

مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث
سلسلة: ندوات ومحاضرات (3)

المملكة المغربية



الرابطة المحمدية للعلماء

الصحابة الكرام في تراث المغاربة والأندلسيين

بحوث الندوة العلمية الدولية التي نظمها مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث
بالرابطة المحمدية للعلماء بمدينة طنجة

يومي الأربعاء والخميس
(25-26 صفر 1431 هـ)
(10-11 فبراير 2010 م)

المجلد الأول



مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث

الرابطة المحمدية للعلماء

شارع لعلو، لوداية ـ الرباط ـ المغرب.

العنوان البريدي: ص. ب: 1320 البريد المركزي ـ الرباط

البريد الإلكتروني: almarkaz@arrabita.ma

هاتف وفاكس: 537.730.334 /537.730.334(212+)

سلسلة: ندوات ومحاضرات (3)

الكتاب: الصحابة الكرام في تراث المغاربة والأندلسيين

المؤلف: مجموعة من الأساتذة

تنسيق وتصحيح: د.عبد اللطيف الجيلاني ـ د.عبد القادر سعود ـ ذ.طارق طاطمي

خطوط الغلاف: بلعيد حميدي

الإخراج الفني: نادية بومعيزة.

عدد النسخ: 2000.

الطبعة الأولى: 1431هـ ـ 2010م

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تمثل بالضرورة رأي المركز

الإيداع القانوني: 2010 MO 2817

ردمك: 4- 06- 542- 9954- 978

الطبع والتوزيع: دار الأمان للنشر والتوزيع ـ الرباط

البريد الإلكتروني: Derelamane@menara.ma

هاتف وفاكس: 537723276/ 537200055(00212)

تطلب منشوراتنا خارج المغرب من:

- **لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت.**
  ص.ب: 14/6366
  هاتف وفاكس: 701974/ 300227(009611)
- **مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.**
  19 شارع عمر لطفي، موازي عباس العقاد ـ مدينة نصر.
  هاتف وفاكس: 2741750/ 2741578 (00202)
- **المملكة العربية السعودية: مكتبة التدمرية، الرياض.**
  ص.ب 26173 ـ الرمز البريدي 11486
  هاتف وفاكس: 4924706 / 4937130(00966)
- **الجزائر: مكتبة عالم المعرفة، حي الصومام، عمارة 17،** المحل07، باب الزوار.
  هاتف: 21244537(00213)

الصحابة الكرام

في تراث المغاربة والأندلسيين

المجلد الأول

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الطيبين، وجميع من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فلا يخفى مكانة صحابة رسول الله ﷺ، وعظيم منزلتهم في الإسلام، فهم الدائرة النّورانية التي قبست من مشكاة النبوة، وهم الأقمار التي انعكست عليها أسرار شمس النبوة، وهم النقلة الأمناء الذين التقطوا أنفاس نبي الختم الشريفة، وحفظوا أقواله وأفعاله وتقريراته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

وقد تنبه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه لهذا الدور المحوري والمضموني للصحابة في حفظ تراث النبوة حينما كان يصر على بقاء الصحابة رضي الله عنهم في المدينة المنورة، محافظين على هذا التراث حتى يصلب ويشتد عود الأمة، وما استطاع كثير من الصحابة الخروج من المدينة المنورة إلا بعد وفاته رضي الله عنه وأرضاه.

ولله درّ إمامنا مالك رضي الله عنه حين قرّر من أصوله عمل أهل المدينة، وهذا التقرير لهذا الأصل الفقهي العظيم المبارك، كان منطلقاً من وعيه العميق بكون المدينة المنورة ليست عمراناً كسائر العمران، وإنما هي المدينة بالألف واللام، كان اسمها يثرب، وكان اسمها طيبة، ولكن سيّدنا رسول الله ﷺ سماها المدينة في إشارة نبوية بليغة إلى بناء وحدة قياسية وجب أن تقاس عليها جميع التمظهرات العمرانية في مختلف أركان المعمور، فهي إذن حالة السواء العمرانية التي يمكن أن

ينطلق منها الإنسان لمعرفة حالة السواء في التعامل بين الناس، وفي التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، ويقع في هذه الوحدة أو الحالة الاندماج بين الأرواح والأشباح معاً، فكان زرع الآيات المنزلة من لدن الله تعالى في نفسه الشريفة عليه الصلاة والسلام أولا، فهو عليه الصلاة والسلام وكما قال عنه ربّه سبحانه:﴿وَالَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر:32]، ثم بعد ذلك انتقل عليه الصلاة والسلام إلى زرع هذه الآيات في أنفس الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لكي ترتفع ألوية وبنودا تهدي الناس للتي هي أقوم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ثم تجلت تلك الآيات والعلامات والصور والبصائر في العمران، ممكنة بذلك من استبانة منهج الإسلام في التعامل مع شتى مناحي الحياة، فإمامنا مالك رضي الله عنه حين قرّر عمل أهل المدينة أصلا من أصول فقهه المثمر المبارك، كان يدرك أثر الصحابة رضوان الله عليهم في نقل ميراث النبوة.

وكذلك أدرك علماء الأمة مكانة الصحابة ومنزلتهم المحورية والمركزية في بناء هذه الأمة، فأوجبوا توقيرهم ومحبّتهم وموالاتهم والاعتراف بعدالتهم، والتأسي والاقتداء بهم، والدفاع عنهم، وحسن الثناء عليهم، كما اشتهر علماء المغرب والأندلس منذ القديم بفرط محبتهم لصحابة رسول الله ﷺ فدأبوا على ذكر حميد سِيرهم، وجميل آثارهم في تصانيفهم وأشعارهم، وحرصوا على الدعاء لهم، والترضي عليهم فوق المنابر، وهو ما اعتبره الإمام أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي(ت488هـ) من فضائل بلاد الأندلس حين قال: «ومِن فضل الأندلس أنها لم يُذكر قطّ أحدٌ على منابرها من السلف إلا بخير»، وحُقّ له ذلك، لما تجسّد في التراث المغربي الأندلسي من مظاهر التجلّة والإكبار لقدر الصحابة الكرام، والاعتراف بفضلهم، والإعجاب بمواقفهم، والتذكير بما يجب على الأمة نحوهم، بل وتسابقهم إلى تخليد ذكرهم في مدونات جامعة لأسمائهم وأنسابهم ومناقبهم

ومآثرهم؛ حتى بلغ مجموع مصنفاتهم ما ينيف على الثلاثمائة وخمسين عملا، كما أنهم وقفوا سدّاً منيعاً أمام أعداء الصحابة من المبتدعة والمارقين، وشددوا رحمهم الله النكير عليهم، واجتهدوا في ردّ شُبههم وتفنيد دعاويهم.

وتبصيرا بمنزلة الصحابة الكرام في تراث علماء المغرب والأندلس، وتعريفاً بما يجب اعتقاده فيهم، وصيانة للناشئة من التيارات الوافدة والمذاهب الباطلة، وحفظاً لبيضة الأمة وحرماتها، وذوداً عن مقدساتها، عقد مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء ندوة علمية دولية عالج فيها الموضوع من مختلف جوانبه بمشاركة ما ينيف على ثلاثين أستاذا باحثا من داخل المغرب وخارجه، وذلك يومي الأربعاء والخميس 25-26 صفر الخير 1431هـ الموافق 10-11 فبراير2010م.

وتعميما للفائدة اجتهدنا في جمع البحوث التي أسهم بها السادة الأساتذة في الندوة المذكورة وقمنا بترتيبها وتصحيحها وتهيئتها للنشر في هذا الكتاب، آملين أن يحظى باهتمام جمهور القراء، وأن يعزّز معرفتنا بفضائل الصحابة رضوان الله عليهم وما يجب علينا نحوهم من التعظيم والتبجيل والاقتداء.

والله أسأل أن يثيب جميع من شارك في هذه الندوة أو أسهم في إنجاح فعالياتها، وأن يجعل ثواب هذا السِّفر في سجل الأعمال الخالدة لمولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس أدام الله نصره وتأييده، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

أحمد عبادي

الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الباب السابع: التأليف في الصحابة لدى علماء الغرب الإسلامي

الباب الثامن: الصحابة في التراث المغربي

الباب التاسع: الصحابة في التراث الأندلسي

الباب العاشر: التعريف ببعض المؤلفات المغربية في الصحابة

الملاحق

المحور الأول

دخول الصحابة لبلدان الغرب الإسلامي وأثرهم في نشر الإسلام

الصحابة الكرام في المغرب
بين الحقيقة التاريخية والموروث الشعبي
ومحاولة استقراء لآثار عقبة بن نافع
ومشروعه في فتح المغرب ومن معه من الصحابة،
وما جاء في صحبته وصحبة رجال رجراجة السبعة

د. عبد الهادي حميتو

ملخص البحث

عنيت في هذا المحور بالجانب التاريخي لفتح المغرب، وركزت على ذكر الصحابة الفاتحين وأعدادهم وأسمائهم، وآثار وجودهم في الجيش في رفع المعنويات والتماس البركات، كما استعرضت طائفة من البشارات النبوية الواردة على لسان رسول الله ﷺ في الكتاب والسنة في الحديث عن مستقبل الدين واتساع ملك الأمة وموضع أهل المغرب من النصرة والجهاد، وتتبعت أخبار الفتوحات التي توجهت إلى مصر وإفريقية وجزر البحر الرومي كصقلية والحملات المبكرة نحو القسطنطينية والأندلس، وأوردت النقول التاريخية التي تتحدث عن مشاركة الصحابة في تلك الوقائع، وجردت لائحة بأسماء مشاهير من دخل إفريقية وما وراءها من أقطار المغرب والأندلس من الصحابة في الفتح، كما ركزت بصفة خاصة على النشاط القيادي لعقبة بن نافع المعدود من الصحابة بالمولد والإدراك، وما كان له من مشروع ريادي في فتح المغرب بجميع أقطاره وأطرافه، وتحدثت عن حملاته المتعددة وولايته أخيرا وبنائه للقيروان التي أصبحت قاعدة المغرب ومنطلق الفتوحات نحو المغرب والأندلس، وتتبعت أطوار الفتح عند عقبة بن نافع إلى منتهى أثره في فتحه لإفريقية وبلاد الزاب والمغرب الأوسط وبلاد طنجة وما يليها، وتحويل خط سيره من جهة المجاز والأندلس إلى الجهات الداخلية من بلاد وليلي وصنهاجة ودرعة ومصمودة ونفوسة وصحراء لمتونة والسوس الأقصى، والعودة عن طريق ماسة وإيجلي وتارودانت وآسفي ودكالة ثم نفيس وصودة وأغمات، واختراق قبائل الأطلس إلى الوصول إلى الزاب حيث استشهد رضي الله عنه مع زهاء ثلاثمائة معه من الصحابة والتابعين وهو في طريقه إلى القيروان.

وتتبعت بعد هذا الجرد التاريخي نتائج حملة عقبة وأصحابه وآثارها، فتحدثت عن هذه النقاط في مباحث:

- تحقيق القول في صحبة عقبة بين المحدثين والمؤرخين.
- كم دخل معه من الصحابة واستشهد منهم؟

- منازل عقبة والمساجد المنسوبة إليه ومشاهد الصحابة في المغرب والأندلس.
- رباط شاكر وصلته بعقبة بن نافع ورجال رجراجة.
- أولاد عقبة ومكانتهم في مقاومة النحل الفاسدة وصلاتهم بالخلفاء في المشرق، ومحاولة تأسيس إمارة بالأندلس عند سقوط دولة الأمويين بالمشرق، ومن ينتمي إليهم من الفهريين وغيرهم إلى اليوم.
- المصحف العقباني في المغرب وأهميته ومصيره.
- الخلاف في الفاتح الأول للمغرب عقبة أو رجال رجراجة السبعة؟ وما قيل في صحبتهم في الموروث الشعبي المتداول.
- أنوع أخرى من الصحبة الاعتبارية والشعبية ومعتمد القائلين بها من الصوفية ورواة الآثار تعلقا منهم بالجانب النبوي الشريف.

الباحث في سطور

الدكتور عبد الهادي حميتو hassanhmito@hotmail.com

- من مواليد عام 1943م.
- أستاذ باحث في القراءات وعلومها وعلوم القرآن الكريم.
- أستاذ مكون بالمركز التربوي الجهوي محمد الخامس بآسفي.
- عضو المكتب التنفيذي للرابطة المحمدية للعلماء بالرباط.
- دكتوراه الدولة من دار الحديث الحسنية بالرباط سنة 1995م، في موضوع: قراءة الإمام نافع عند المغاربة.

من إنتاجه العلمي:

- قراءة الإمام نافع عند المغاربة. مطبوع في سبع مجلدات.
- معجم شيوخ الحافظ أبي عمرو الداني إمام القراء في الأندلس والمغرب.
- معجم مؤلفات الحافظ أبي عمرو الداني إمام القراء في الأندلس والمغرب.
- حياة الكتاب وأدبيات المحضرة، مطبوع في جزءين.

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

حضرات السادة:

- السيد الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء الدكتور أحمد عبادي المحترم.
- السادة الأفاضل الباحثين والمشاركين والطلاب والطالبات.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فإنها لفرصة طيبة تتاح لنا مرة أخرى في هذا اللقاء الأخوي الكريم، ومبادرة حميدة من المبادرات القيمة التي عودتنا الرابطة المحمدية للعلماء بعقد سلسلة من الندوات العلمية والأكاديمية نهوضا منها برسالتها التربوية والتوجيهية، وانسجاما مع مهمتها المولوية التي أناطها بها مؤسسها أمير المؤمنين أيده الله ونصره في المنافحة عن قيم الأمة ومقوماتها والذود عن حرماتها ومقدساتها، والتنويه بثوابتها ومكونات شخصيتها وهويتها ووحدتها. وإن اقتراح الرابطة المحمدية الموقرة لموضوع: «الصحابة الكرام في التراث المغربي الأندلسي» لِيأتيَ في هذه الظرفية التي نعيش أصداءها ونلمس آثارها في بعض القنوات المرئية الموجهة وما تبثه من سموم، وخاصة فيما يتعلق بالصحابة الكرام، مما يخل بما يجب لمناصبهم الكريمة من واجبات التجلة والتوقير والاحترام، لهو اقتراح موفق يستجيب لما تمليه عليها رسالتها ومهمتها، وينطلق من حرصها على تجديد الطابع العام للثقافة المغربية، المنطلقة من قناعاتها العقدية، ومذاهبها الفقهية، وتوجهاتها الفكرية، ومواقفها التاريخية والحضارية، وذلك بالتركيز على ما

للصحابة الكرام عبر تاريخنا في المغرب والأندلس من تأثير انطبعت بطابعه الحياة الشعبية، وبلورته أقلام المؤلفين من مختلف الفئات، في ما صدر عنهم من دواوين ومصنفات، كما انعكس في ما أنتجوه من آداب شعرا ونثرا مما يستعصي على الإحصاء، ويفوت الاستقراء والاستقصاء.

ولقد كان لأهل المغرب والأندلس في هذا الصدد من الخصوصية في موقفهم من الصحابة طوال تاريخهم وتعاقب دولهم ما ميزهم عن سائر الأقطار، وهي خصوصية مدعاة للفخار، نوه بها في القرن الخامس الهجري العلامة المؤرخ أبو محمد فتوح بن عبدالله الحميدي الأندلسي (ت488هـ) صدر كتابه جذوة المقتبس حين قال وقد أدرك عهد الوحدة السياسية بين العدوتين: «ومن فضل الأندلس أنها لم يذكر قط أحد على منابرها من السلف إلا بخير»[1].

وقال الأديب ابن شبرين الأندلسي في نظمه لكتاب «ميزان العمل» لأبي علي الحسين ابن رشيق المرسي:

هذا هو الصدر الكريم الأول　　أهل السوابق التي لا تجهل
نُمسك عما بينهم قد شجرا　　وبالرضا يذكرهم من ذَكرا[2]

وقال الشاعر عبد العزيز الملزوزي في أرجوزته «نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك» حين بلغ إلى ذكر مقتل الخليفة عثمان ﷺ:

(1) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس للحميدي (ص14)، وتبعه المراكشي في المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص26 ـ 27).

(2) انظر كتاب «ابن رشيق المرسي، حياته وآثاره» للدكتور محمد بنشريفة (ص9 ـ 10) منشورات وزارة الأوقاف1429هـ.

أردت أن أذكــــر مـــــا كان الـــسبب   لكنــه الإمــساك عنــدي قــد وجــب
إن كنـــــت ذا عقـــــل وذا إنابـــــة   فـــاترك حـــروب ســـائر الـــصحابة[1]

فمـا الذي خص المغرب والأندلس بهـذه الخصيـصة مـن التـوقير لمنـصب الـصحبة النبوية والاعتراف للمنضوين تحت هذه الصفة الشريفة الجليلـة بالخـصوصية العقديـة التي عبّـر عنها حافظ القراءات وإمـام القراء أبـو عمـرو الـداني في أرجوزتـه «المنبهـة» حيث قال في فصل منها تحت عنوان: «القول في حب أصحاب النبيﷺ»:

وحـــب أصـــحاب النـــبي فـــرض   ومـــــدحهم تَزلُّـــــفٌ وقـــــرض
وأفـــضل الـــصحابة الـــصديق   وبعـــــده المهـــــذب الفـــــاروق
وبعـــــده عثمــــان ذو النــــورين   وبعـــــده علي أبــــو الــــسبطين
وبعـــد هـــؤلاء بـــاقي العـــشَرة   الأتقيـــــاء المرتـــضين الـــبررة
أهـــل الخـــشوع والتـــقى والخـــوف   طلحـــة والـــزبير وابـــن عـــوف
ثُمـــتَ ســـعد بعـــدهم وعامـــر   ثـــم ســـعيد بـــن نفيـــل العـــاشر
وســـائر الـــصحب فهـــم أبـــرار   منتخبـــون ســـادة أخيـــار
وربنـــا جللهـــم إنعامـــه   وخـــصهم بالفـــضل والكرامـــة
والـــسمع والطاعـــة للأئمـــة   مفـــترض على جميـــع الأمـــة
وهـــم على مـــا جـــاء مـــن قـــريش   بـــذا أديـــن الله طـــول عيـــشي
وأمـــــراؤهم كهـــم في الطاعـــة   هـــذا الذي تقـــوله الجمـــاعة[2]

---

(1) نظم السلوك (ص 22)، البيتان 150 ـ 151.
(2) الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقد الديانات للحافظ أبي عمرو الداني(1/ 556 ـ 559)، الأبيات من 559 إلى 569.

وقال الإمام أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي في آخر كتاب «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء» بعد كلام في فضل الصحابة الكرام: «وأحق ما اعتُلِق من حبهم، والإيواءِ إلى شِعبهم، والثناء عليهم، والانضواء إلى قربهم بأوثق أسباب العصمة، وأمتن ذرائع الحُرمة والرحمة، وكلُّ صحابة المصطفى أهل لذلك، والموفق من سلك في حبهم هذه المسالك»، ثم أنشد:

وما فضل أصحاب النبي وقومه ... لمن رام إحصاءً له بمحسَّب
ولكنه أجر وذخر أُعِدُّه ... وأجعله أمني وحصني ومذهبي
سأقطع عمري بالصلاة عليهمُ ... وأدأب في حبي لهم كل مدْأَب
إليك رسولَ الله منها وسيلة ... تناجيك عن قلب بحبك مشرب
يزورك عن شحط المزار مسلما ... فيلقاك بالإخلاص لم يتنكَّب[1]

وسلوكا مني لهذه المحجة رجاء انتظامنا في رعيل أبي عمرو الداني وأبي الربيع الكلاعي وما صدر عنهما من هذه الأنفاس العطرة تجاه الصحابة الكرام، اخترت أن يكون محوري في الحديث عن «الصحابة الكرام في التراث المغربي الأندلسي» من خلال الجرد التاريخي لدخول الصحابة للمغرب والأندلس وأخباره وما أثير حول صحبة عقبة بن نافع أو عدمها وما كان لآل عقبة بعده في المغرب من آثار في تثبيت قيم الإسلام ومقاومة النحل الوثنية والخارجية، وما يذكر لرجال رجراجة السبعة من شرف الصحبة وغير ذلك مما يعتبر داخلا في المفهوم العام للتراث بما يشتمل عليه من تاريخ موثق وموروث شعبي ما تزال له آثاره إلى اليوم.

(1) كتاب الاكتفاء للكلاعي ـ القسم المخطوط.

وأستهل العرض لمباحث هذا المحور بمـا اعتاد المؤلفون في فضائل البلدان الاستفتاح به من ذكر مـا ورد في الأحاديـث والآثـار النبويـة الـشريفة في فـضل المغـرب وأهلـه ووصول الدين إليهم، ومـا سوف يكون لهم من المنزلة في الدخول فـيه والثبـات عليـه إلى يوم الدين. وهو المبحث الأول: البشارة بفتح المغرب في السنة والآثار.

المبحث الأول: البشائر بفتح المغرب في السنة والآثار

اعتاد المؤلفون في تاريخ البلدان في المشرق والمغرب أن يستهلوا الحديث قبل تفصيل الحوادث والأخبار أو الترجمة لمن دخل البلاد من الصحابة والتابعين، ومن كان بها من العلماء والعباد ونحو ذلك، بتخصيص الفصل الأول لما ورد في السنن والآثار في فضل تلك البلاد أو تلك الجهة وفضائل من ينتسب إليها. وقد كثرت المصنفات في فضائل البلدان استقلالا حتى التي لم يكن لها وجود على عهد النبوة وإنما دخلت في فضيلة البلد أو الجهة باعتبار العموم، وفي كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة نقرأ في حرف الفاء عن فضائل كثير من البلدان والبقاع مثل مكة والمدينة ودمشق والبصرة وبغداد وفضائل الشام وبيت المقدس واليمن وأهله وحتى فضائل غرناطة بالأندلس لابن السراج محمد بن إبراهيم الغرناطي(1).

ولم تشذ عن ذلك كتب المغاربة المؤلفة في التاريخ الخاص أو العام أو السيرة، إلا أن كل مؤلف كان يحمل ما ورد من ذلك على أنه يعني بلده أو جهته أو أهل جهته أو بلده، فمؤرخو أفريقية كأبي العرب التميمي في كتاب «طبقات علماء إفريقية» وكأبي بكر المالكي في كتاب «رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية» وأبي زيد الدباغ الأنصاري في «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» وغيرهم، حملوا ما ورد في فضل أهل الغرب أو أهل المغرب على أن المراد أهل إفريقية لأنها أول المغرب، بل جاءت مصرحا بها في أحاديث عدة عند أبي العرب(2).

---

(1) انظر كشف الظنون (2/ 1274 ـ 1278).

(2) انظر طبقات علماء إفريقية لأبي العرب: باب ما جاء من الفضائل في إفريقية (ص1 ـ 7)، وتبعه على ذلك المالكي في رياض النفوس (1/ 8).

ومؤرخو المغرب والأندلس أيضا كل حمل الرواية على بلده أو جهته، وهذا الإمام أبو محمد الحميدي صاحب «جذوة المقتبس» يستهل كتابه بقوله في صدره: «وقد جاء في فضل المغرب غير حديث، من ذلك ما أخرجه مسلم بن الحجاج في الصحيح، رواه عن يحيى بن يحيى عن هشيم بن بشير الواسطى عن داود بن أبي هند عن أبي عثمان النهدى عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال: لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة». قال الحميدي: «وهذا النص وإن كان عاما لما يقع عليه، فللأندلس منه حظ وافر؛ لدخولها في العموم، ومزية لتحققها بالغرب وانتهاء آخر المعمور فيه، وبعض ساحلها الغربي على البحر المحيط، وليس بعده مسلك»[1].

وكذلك فعل المؤرخ عبد الواحد المراكشي في كتاب «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» فقد أسند حديث الإمام مسلم وذكر نحوا مما ذكر الحميدي[2].

وفعل مثل ذلك المؤرخ ابن عذاري المراكشي في أول كتاب «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» حيث استهله بفصل في «ذكر فضل المغرب وما ورد فيه من الأخبار والآثار» وساق جملة من ذلك وذكر الحديث الوارد عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي بالمغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة» ثم ساق حديث مسلم السابق بلفظ «لا يزال أهل المغرب...» الخ وأحاديث أخرى ومنها بالسند إلى أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله ﷺ واقف إذ توجه تلقاء المغرب فسلم وأشار بيده، فقلت: على من تسلم يارسول الله؟ قال: على رجال من أمتي يكونون في هذا المغرب بجزيرة يقال لها الأندلس، حيهم مرابط وميتهم شهيد..»[3].

---

(1) جذوة المقتبس (ص14).

(2) المعجب (ص28).

(3) بيان المغرب (1/ 7).

وقال القاضي أبو الفضل عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى في فصل في أعلام نبوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وقد خرج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم به أصحابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما وعدهم به من الظهور على أعدائه، وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الأمن حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله...»، ثم ذكر جملة من الأحاديث في ذلك وقال:«وكذلك كان، امتدت في المشارق والمغارب مما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة، حيث لا عمارة وراءه، وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم، ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك»[1]. ثم أورد عياض الحديث السابق: «لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة» وقال: «ذهب ابن المدينى إلى أنهم العرب؛ لأنهم المختصون بالسقي بالغرب وهى الدلو، وغيره يذهب إلى أنهم أهل المغرب، وقد ورد «المغرب» كذا في الحديث بمعناه، وفى حديث آخر من رواية أبى أمامة «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك»[2].

واستهل أبو يعقوب ابن الزيات التادلي كتابه «التشوف إلى رجال التصوف» بهذا الحديث أيضا ولم يرتض تأول من تأوله على أن الغرب الدلو، وساق لبيان المراد حديثا قال:«رويناه من طريق بقي بن مخلد في مسنده»، ثم ذكر الحديث بلفظ «لا يزال أهل المغرب»، وذكر طرقا أخرى بهذا اللفظ، ثم استظهر على هذا برسالة الإمام أبي بكر الطرطوشي نزيل الإسكندرية إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بمراكش، وذكر فيها الحديث المذكور في صحيح مسلم ووجهه على أحد معنيين: أحدهما أنه أراد أهل المغرب لما هم عليه من التمسك بالسنة والجماعة وطهارتهم من البدع والإحداث

(1) الشفا (1/ 472-474).
(2) نفسه (1/ 475).

في الدين، والاقتفاء لآثار من مضى من السلف الصالح رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فشرفوا بهذه المآثر شرفا، وشغفوا بهذه المفاخر شغفا[1].

ولم يفت الإمام أبا محمد علي بن حزم نصيبه من الفرح بهذه البشائر وتوظيفها في الدلالة على فضل بلاده الأندلس فقال في «رسالة فضل الأندلس» في سياق تعداده لفضائلها: «وأنا أقول: لو لم يكن لأندلسنا إلا ما رسول الله ﷺ بشر به، ووصف أسلافنا المجاهدين فيه بصفات الملوك على الأسرة، في الحديث الذي رويناه من طريق أبي حمزة أنس بن مالك أن خالته أم حرام بنت ملحان زوج أبي الوليد عبادة بن الصامت ـ رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين ـ حدثته به عن رسول الله ﷺ أنه أخبرها بذلك، لكفى شرفا بذلك يسرُّ عاجله، ويُغبَط آجله، فإن قال قائل: لعله ـ صلوات الله تعالى عليه ـ إنما عنى بذلك الحديث أهل صقلية وإقريطش، وما الدليل على ما ادعيته من أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنى الأندلس حتما، ومثل هذا من التأويل لا يتساهل فيه ذو ورع دون برهان واضح، وبيان لائح لا يحتمل التوجيه ولا يقبل التجريح؟ فالجواب ـ وبالله التوفيق ـ أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب، وأمر بالبيان لما أوحي إليه، وقد أخبر في ذلك الحديث المتصل سنده بالعدول عن العدول بطائفتين من أمته يركبون ثبج البحر غزاة واحدة بعد واحدة، فسألته أم حرام أن يدعو ربه تعالى أن يجعلها منهم، فأخبرها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخبره الحق بأنها من الأولين، وهذا من أعلام نبوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو إخباره بالشيء قبل كونه، وصح البرهان على رسالته بذلك، وكانت من الغزاة إلى قبرس، وخرت عن بغلتها هناك فتوفيت رحمها الله تعالى، وهي أول غزاة ركب فيها المسلمون البحر، فثبت يقينا أن

(1) التشوف (ص31 ـ 32).

الغُزاة إلى قبرس هم الأولون الذين بشر بهم النبي ﷺ وكانت أم حرام منهم كما أخبر صلوات الله تعالى وسلامه عليه، ولا سبيل أن يظن به ـ وقد أوتي ما أوتي من البلاغة والبيان ـ أنه يذكر طائفتين قد سمى إحداهما أولى، إلا والتالية لها ثانية، فهذا من باب الإضافة وتركيب العدد، وهذا مقتضي طبيعة صناعة المنطق؛ إذ لا تكون الأولى أولى إلا لثانية، ولا الثانية ثانية إلا لأولى، فلا سبيل إلى ذكر ثالث إلا بعد ثان ضرورة، وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما ذكر طائفتين وبشر بفئتين، وسمى إحداهما الأولين، فاقتضى ذلك بالقضاء الصدق آخرين، والآخر من الأول هو الثاني الذي أخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه خير القرون بعد قرنه، وأولى القرون بكل فضل بشهادة رسول الله ﷺ بأنه خير من كل قرن بعده...»[1].

وهكذا افتتح أبو عبد الله الحميري الأندلسي أيضا كتابه «الروض المعطار في خبر الأقطار» فقال في جزئه المفرد باسم «صفة جزيرة الأندلس»: «والأندلس دار جهاد وموطن رباط، قد أحاط بشرقيها وشمالها وبعض غربها أصناف أهل الكفر».

وروي عن عثمان رضي الله عنه أنه كتب إلى من انتدب إلى غزو الأندلس: أما بعد، فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس، وإنكم إن فتحتموها كنتم شركاء من يفتحها في الأجر والسلام. وعن كعب الأحبار أنه قال: يعبر البحر إلى الأندلس أقوام يفتحونها يُعرفون بنورهم يوم القيامة». ثم ذكر بعض من دخل الأندلس من الصحابة والتابعين. ثم ذكر أيضا من هذه البشائر عند ذكر فاتح الأندلس طارق بن زياد أنه «ذُكر عن طارق أنه كان نائما في المركب فرأى في منامه النبيﷺ والخلفاء الأربعة يمشون على الماء حتى مروا به، فبشره النبيﷺ بالفتح، وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد».

---

(1) رسالة في فضل الأندلس ـ ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي ـ (2/ 173 ـ 174).

قال:«وفي حكاية أنه لما ركب البحر غلبته عيناه، فرأى النبي ﷺ وحوله المهاجرون والأنصار قد تقلدوا السيوف، وتنكبوا القسي، فيقول له النبي ﷺ: «يا طارق تقدم لشأنك»، ونظر إليه وإلى أصحابه قد دخلوا الأندلس قدامه، فهب من نومه مستبشراً وبشر أصحابه، ولم يشك في الظفر»[1].

ولقد جاءت في بعض الآثار بخصوص البشارة بفتح المغرب روايات عديدة ساق منها المؤلفون في تاريخ إفريقية كثيرا، كأبي العرب في كتاب طبقات علماء إفريقية والمالكي في رياض النفوس وغيرهما، ولعل أغرب أثر في ذلك هذا الأثر الذي ذكره أبو محمد حسن ابن علي بن القطان المراكشي في كتابه «نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان»، ونقله الناصري في الاستقصا، وفيه أنه «لما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستفتحت مدينة مصر وكان عليها عمرو بن العاص، قدم عليه ستة نفر من البربر محلقي الرءوس واللحى، فقال لهم عمرو: من أنتم وما الذي جاء بكم؟ قالوا رغبنا في الإسلام فجئنا له؛ لأن جدودنا قد أوصونا بذلك، فوجههم عمرو إلى عمر رضي الله عنه وكتب إليه بخبرهم، فلما قدموا عليه ـ وهم لا يعرفون لسان العرب ـ كلمهم الترجمان على لسان عمر، فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن بنو مازيغ، فقال عمر لجلسائه: هل سمعتم قط بهؤلاء؟ فقال شيخ من قريش: يا أمير المؤمنين هؤلاء البربر من ذرية بر بن قيس بن عيلان، خرج مغاضبا لأبيه وإخوته فقالوا: بر بر، أي: أخذ البرية، فقال لهم عمر رضي الله عنه : ما علامتكم في بلادكم؟ قالوا: نكرم الخيل ونهين النساء، فقال لهم عمر: ألكم مدائن؟ قالوا: لا، قال: ألكم أعلام تهتدون بها؟ قالوا: لا، قال عمر: والله لقد كنت مع رسول الله ﷺ في بعض مغازيه، فنظرت إلى قلة الجيش وبكيت، فقال لي رسول الله ﷺ: يا عمر لا تحزن، فإن الله سيعز هذا الدين بقوم من

(1) صفة جزيرة الأندلس عن الروض المعطار (ص3 ـ 4، 9).

المغرب ليس لهم مدائن ولا حصون ولا أسواق ولا علامات يهتدون بها في الطرق. ثم قال عمر: فالحمد لله الذي منَّ علي برؤيتهم، ثم أكرمهم ووصلهم وقدَّمهم على من سواهم من الجيوش القادمة عليه، وكتب إلى عمرو بن العاص أن يجعلهم على مقدمة المسلمين، وكانوا من أفخاذ شتى، والله أعلم»[1].

وحتى بخصوص طنجة زعم مؤلف كتاب «الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية» محمد المشرفي أن النبي ﷺ بشر بفتحها فقال تحت عنوان «فتح طنجة»: وهي عريقة في التمدن شهيرة، وكفى بذلك أن النبي ﷺ قال في إخباره بالغيب ـ كما في شفاء القاضي عياض ـ: يبلغ هذا الدين طنجة التي لا عمارة وراءها»[2].

ولا شك أن هذا تأويل بعيد، للخبر الذي أورده عياض ولم يذكر فيه النبي ﷺ طنجة صراحة، وإنما فيه كما ذكره عياض: «أنه زويت له الأرض فأري مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمته ما زوي له منها». قال عياض: «وكذلك كان»، ثم ذكر ما تقدم من امتداد ملك الأمة إلى الهند في أقصى المشرق، وإلى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه[3].

❁ أثر هذه البشائر في رفع معنويات جنود الفتح:

وبقطع النظر عن درجات ما ليس في الصحيح من هذه الأحاديث والآثار، وعن التأويلات التي تأولها عليها رواتها والمعتمدون عليها في تقرير فضائل البلدان والجهات وأهلها، فإننا لا ينبغي أن نغفل عن أثرها البليغ في رفع معنويات الجند الفاتح ثم

---

(1) الاستقصا (1/ 74)، وانظر القصة مع بعض اختلاف في كتاب مفاخر البربر (ص180 ـ 181).

(2) الحلل البهية (1/ 304).

(3) انظر الشفا (1/ 474).

معنويات المنتسبين إلى هذه البلدان والجهات حين كانت تبلغهم عن الثقات مروية وموثقة بالأسانيد، ولا سيما ما كان من ذلك مما كان يأثره الصحابة الفاتحون أنفسهم عن فضائل تلك البلدان والجهات، ويرويه عنهم ثقات التابعين ككثير مما قدم به أبو العرب في كتاب «طبقات علماء إفريقية» في نحو خمس صفحات كلها في فضل إفريقية وفضل رباط المنستير بساحلها، وكذلك ما ساقه المالكي في مقدمة كتابه «رياض النفوس».

ولقد كان القراء والقصاص يخرجون في الفتوحات إلى جانب فقهاء الصحابة حتى من كان منهم في سن متقدمة؛ إذ لم تكن مهمة الخارج في مثل هذه الحملات تنحصر في القتال. وهذا الصحابي الجليل المقداد بن الأسود الذي شهد مع رسول الله ﷺ بدرا وغيرها من المغازي يذكر المالكي في «رياض النفوس» أنه «غزا إفريقية مع ابن أبي سرح ـ يعني في عهد عثمان ـ قال: وكانت له مقامات مشهورة، ذكر سفيان بن الحارث أنهم قالوا للمقداد: إنك ثقلت وتخرج في هذه المغازي؟ فقال: خفيفا كنتُ أو ثقيلا لا أتخلف عنها؛ لأن الله تعالى يقول في كتابه العزيز:﴿إنفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً﴾[1]»[2].

وكانوا يحدثون ببشائر النصر قبل تحققه يقينا منهم بما تضمنته آي الذكر الحكيم من مثل قوله تعالى:﴿هُوَ ٱلذِے أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِالْهُدىٰ وَدِينِ اِ۬لْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[3] ومثلها في سورة الفتح:﴿هُوَ ٱلذِے أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِالْهُدىٰ وَدِينِ اِ۬لْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفىٰ بِاللَّهِ

(1) التوبة: الآية 41.
(2) رياض النفوس (1/ 73 ـ 74).
(3) التوبة: الآية 33، والصف: الآية 9.

شَهِيداً﴾[1]. ويقينا بمثل ما تضمنه قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث ثوبان رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: «إن الله تعالى زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها»[2]. وقد قال الصحابة لوالي صقلية من قبل الروم عند نزول مراكبهم عليها ومحاورتهم له فيما ذكره ابن أعثم في كتاب «الفتوح»: «لقد أخبرنا نبينا محمد ﷺ من قبل وفاته بأن الله تعالى يفتح علينا ويظهرنا على جميع أهل الأديان، وقد بلغك ما كان منا بأرض الشام..»[3].

وكان وجود الصحابة في الجيش كثرة وقلة مدعاة لمزيد من الطمأنينة واستشعار بوادر النصر تحقيقا لما أخبر به الصادق المصدوق صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي أخرجه الشيخان البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقولون: هل فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون لهم: نعم، فيفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم»[4]. وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزالون بخير ما دام

---

(1) الفتح: الآية 28.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي:(18/ 11) كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم الحديث 2889.

(3) كتاب الفتوح لأبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي (2/ 140 ـ 141).

(4) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب فضائل أصحاب النبي د ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، حديث رقم 3649. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث رقم2532.

فيكم من رآني وصاحبني، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني وصاحب من صاحبني»[1].

وقد ظهر مصداق هذه الأحاديث الشريفة في واقع الفتوحات الإسلامية وبان مدلوله كالشمس في رابعة النهار، فإن امتدادات الفتح الإسلامي وما تحقق فيها من انتصارات واتساع رقعة ديار الإسلام إلى أقصى مداها إلى السند شرقا وإلى آخر حدود الأندلس غربا إنما تمت خلال هذه الأطوار الثلاثة من وجود الصحابة في طلائع فتوح الشام والعراق ومصر، ثم وجود بعضهم بعدد محدود وباقي من معهم في الحملات من التابعين ثم انقراض جيلهم وتناقص التابعين ممن صحبوهم، وتحقق آخر الانتصارات في عهد أتباع التابعين، ثم اختلفت الأحوال كما قدمنا من قول القاضي عياض في الشفا.

لهذا كان خروج الصحابة في الجيش مهما يكن عددهم كان محلّ حفاوة واغتباط لما كان يرجى من بركة وجودهم وتحقق الوعد النبوي الذي لا يخيس بمسير الفتح والنصر في ركاب الصحابة الفاتحين، وذلك ما نتابع الإشارات إليه في الحملات التي اتجهت إلى إفريقية لتمهيدها للإسلام في عصر الصحابة الكرام.

---

(1) المصنف (12/ 178). قال ابن حجر: إسناده حسن. فتح الباري (7/ 5).

المبحث الثاني: حملات الفتح نحو إفريقية والمغرب وما كان للصحابة من وجود فيها وأولية عقبة بن نافع.

المراد بإفريقية في الاصطلاح القديم قريب مما يعرف اليوم بالقطر التونسي، وكان التعبير السائد أن تذكر هذه الأقاليم والجهات التي تقع إلى جهة الغرب من البلاد الإسلامية في المشرق باسم «المغرب» هكذا مجردا من الصفة، فإذا أريد التدقيق قيل: «المغرب الأدنى» و«المغرب الأوسط» و«المغرب الأقصى» بحسب المسافة من المشرق. وأما التحديد الجغرافي القديم فقد ذكر ابن عذاري في مقدمة «كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» في ذلك فصلا تحت عنوان «ذكر حد المغرب وإفريقية وما اتصل بهما وعُدَّ معهما» نرى أن نسوقه هنا لما له من الأهمية في تمثيل المسار الذي سارت فيه حملات الفتح نحو إفريقية والمغرب في الصدر الأول على عهد الصحابة الكرام.

قال ابن عذاري المراكشي: «قال أبو مروان في كتاب «المقباس» وابن حمادة في كتاب «القبس» وغيرهما من المؤرخين لأخباره، المعتنين بآثاره: إن حد المغرب هو من ضفة النيل بالإسكندرية التي تلي بلاد المغرب إلى آخر بلاد المغرب، وحده مدينة سلا، وينقسم أقساما: فقسم من الإسكندرية إلى طرابلس، وهو أكبرها وأقلها عمارة، وقسم من إطرابلس وهي «بلاد الجريد»، ويقال أيضاً: «بلاد الزاب الأعلى»، ويلي هذه «بلاد الزاب الأسفل»، وحدها إلى مدينة «تيهرت»، ويليها «بلاد المغرب» وهي بلاد طنجة، وحدها مدينة «سلا» وهي آخر المغرب. وإذا جزت «سلا» وأخذت إلى ناحية الجنوب تركت مغرب الشمس يمنة، وأخذت منها قافلا إلى قبلة، فتسمى تلك البلاد «بلاد تامسنا»، ويقال لها أيضاً «بلاد السوس الأدنى»، وحدها إلى «جبل درن»، وإذا جزت هذا الجبل فعن يمينك «بلاد السوس الأقصى»، ويقال لها: «بلاد ماسة»،

ويتصل «السوس الأقصى» بـ «بلاد الصحراء» إلى «بلاد السودان»، وهي «بلاد الزنج». و«بلاد الأندلس» أيضاً من «المغرب» وداخلة فيه؛ لاتصالها به، ويليها «المجاز الأعظم» الذي يسمى «بحر الزقاق»، وفيه مصب «البحر الكبير» الذي يسمى «المحيط»، ويقال له «بحر الظلمات»... ويصب ماء «الزقاق» في البحر الرومي... وصار المغرب كالجزيرة دخل فيه بعض أعمال مصر وأفريقية كلها، و«الزاب»، والقيروان، والسوس الأدنى، والسوس الأقصى، وبلاد الحبشة..»[1].

وسوف نرى في أخبار الفتوحات في الصدر الأول كيف أسهم الصحابة الكرام في البلوغ بالدعوة إلى هذه الجهات والأقاليم في زمن قياسي لا يتجاوز بضعة عقود، وكيف خفقت راية الإسلام على رؤوسهم في الفتح في اتجاه المغرب والأندلس ابتداء من العشرة الثالثة بعد الهجرة النبوية وانتهاء إلى العشرة العاشرة إلى أن توفي آخر صحابي وصل إلى المغرب ودخل إلى الأندلس حتى توفي بها بعد الفتح وهو المعروف باسم «المنيذر الإفريقي».

ولا يخفى أن طبيعة العرض تقتضي منا الإيجاز والاقتصار في ذكر أخبار الفتح على ما فيه ذكر للصحابة لأن غرضنا إنما يتعلق باستقراء وجود الصحابة في تلك الحملات قلة وكثرة على عهد الولاة الفاتحين.

لقد كانت أولى الفتوحات في اتجاه المغرب انطلاقا من مصر بعد أن افتتحها الصحابي الجليل عمرو بن العاص سنة عشرين من الهجرة في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قال أبو عمر محمد بن يوسف الكندي في كتاب «الولاة والقضاة»: «وحاصر عمرو الإسكندرية ثلاثة أشهر، ثم فتحها عنوة، وهو الفتح الأول. ويقال:

---

(1) البيان المغرب (1/ 5 ـ 6).

بل فتحها مستهل سنة إحدى وعشرين، ثم سار عمرو إلى أنطابلس - وهي برقة - فافتتحها بصلح في آخر سنة إحدى وعشرين. ثم مضى منها إلى أطرابلس، فافتتحها عنوة سنة اثنتين وعشرين»[1].

ويظهر أن عمرو بن العاص قد اختار أن يولي مهمة استكمال فتح إفريقية وما وراءها لمن يكفيه مهمة القيادة ويرابط هنالك بصفة دائمة، فاختار لذلك ابن خالته عقبة بن نافع الفهري. ومن تأمل المسار الذي سار فيه الفتح من بدايته إلى وصوله إلى أقصى السوس والصحراء من المغرب الأقصى يدرك أن مشروع الفتح كان كله مشروع عقبة في جميع مراحله، وعلى هذا يدل قول الواقدي في كتابه، فقد روى من طريق أبي الخير اليزني قال: «لما فتحت مصر بعث عمرو إلى القرى عقبة بن نافع، فدخلت خيوله النوبة، واستأذن عمر في غزو المغرب، وأنه ولى عقبة بن نافع، فلم يأذن له، ثم أذن عثمان لعبد الله بن سعد، فأغزى عقبة فافتتح إفريقية واختط قيروانها»[2].

قال ابن عذاري في «البيان المغرب»: «فأول من دخل إفريقية غازيا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن العاص، وكان استفتح مصر سنة عشرين من الهجرة، ووجه منها عقبة بن نافع الفهري إلى «لوبية» و«أفريقية» فافتتحهما، ثم توجه عمرو بنفسه إلى «برقة» فصالح أهلها على الجزية: دينار على كل حالم، وتوجه منها إلى أطرابلس فافتتحها بعد استغاثة أهلها بقبيل من البربر يقال لهم: «نفوسة»؛ إذ كانوا دخلوا معهم في دين النصرانية»[3].

وقال خليفة بن خياط في تاريخه في حوادث سنة سبع وعشرين: «وفيها عزل عثمان ابن عفان عمرو بن العاصي عن مصر وولاها عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فغزا ابن

(1) كتاب الولاة والقضاة (ص9 - 10).
(2) نقله ابن حجر في الإصابة (3/ 80).
(3) البيان المغرب (1/ 8).

أبي سرح إفريقية ومعه العبادلة: عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن الزبير، فلقي جرجير، وجرجير في مائتي ألف بسُبَيْطلة على سبعين ميلا من القيروان، فقتل جرجير وسبوا وغنموا»[1].

وذكر الناصري هذه الأحداث مفصلة وفيها ذكر المزيد من أسماء الصحابة بينهم ابن عباس وابن عمر وابن عمرو بن العاص وابن جعفر والحسن والحسين رضي الله عنهم. وساروا مع ابن أبي سرح سنة ست وعشرين، قال: «ولقيهم عقبة بن نافع فيمن دخل معه من المسلمين ببرقة، ثم ساروا إلى طرابلس فنهبوا الروم عندها، ثم ساروا إلى إفريقية، وبثوا السرايا في كل ناحية، وكان ملكهم جرجير يملك ما بين طرابلس وطنجة تحت ولاية هرقل، ويحمل إليه الخراج، فلما بلغه الخبر جمع مائة وعشرين ألفا من العساكر، ولقيهم على يوم وليلة من سُبَيطلة دار ملكهم...ولحقهم عبد الله بن الزبير مددا، بعثه عثمان لما أبطأت أخبارهم. وسمع جرجير بوصول المدد ففتّ في عضده». ثم ذكر استمرار القتال إلى الفتح، ثم قال: «ويقال: إنه لما فتح إفريقية أمر عثمان رضي الله عنه عبد الله بن نافع بن عبد القيس ـ كما عند الطبري ـ أن يسير إلى جهة الأندلس، فغزا تلك الجهة وعاد إلى أفريقية فأقام بها واليا من قبل عثمان، ورجع ابن أبي سرح إلى مصر»[2].

وقال ابن حجر في الإصابة:«وروى يعقوب بن سفيان من طريق ابن وهب عن ابن لهيعة قال: قدم عقبة بن نافع على عثمان بفتح إفريقية بعثه عبد الله بن سعد بن أبي سرح»[3].

(1) تاريخ خليفة بن خياط (ص159).
(2) انظر البيان المغرب (2/ 4) والاستقصا (1/ 36 ـ 38).
(3) الإصابة: ترجمة عقبة (3/ 80).

وقال الإمام محمد بن علي السنوسي في كتاب «الدرة السنية في أخبار السلالة الإدريسية» في سياق حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح هذه: «وفي كتاب سيف لما وجه عثمان عبد الله بن سعد إلى إفريقية قال له: إن فتح الله عليك إفريقية فلك مما أفاء الله عليك خمس الخمس، فلما انتهى إلى إفريقية بمن معه لقيهم صاحبها فقاتلهم، فقتله عبد الله بن سعد، وفتح إفريقية سهلها وجبلها، واجتمعوا على الإسلام وحسنت طاعتهم». ثم ذكر أن عثمان رضي الله عنه لما بلغه فتح إفريقية كتب إلى عقبة بن نافع بن عبدالقيس وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين، وأمرهما بالسير إلى الأندلس فيمن ندب معهما من الرجال، وأمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن سعد على صاحب إفريقية، وبعد ذلك يسيران إلى الأندلس. قال: «فلما كان الاستيلاء على صاحب إفريقية سارا من فورهما إلى الأندلس، وأتياها من قبل البحر، وكان عثمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد كتب إلى من انتدب إلى الأندلس: «أما بعد فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس، وإنكم إن لم تفتحوها كنتم شركاء من يفتحها في الأجر، والسلام»[1].

وتحدث الشيخ أبو زيد الدباغ في كتابه «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» عن ترتيب حملات الفتح ومن كان في قيادتها من الصحابة تحت عنوان «ذكر من نزل القيروان من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين» فقال: «أول جيش نزل القيروان من جيوش المسلمين جيش عبد الله بن أبي سرح القرشي العامري في خلافة سيدنا عثمان ابن عفان رضي الله عنه سنة سبع وعشرين، ثم جيش معاوية بن حديج السكوني، ثلاث مرات، وليَ ذلك سنة أربع وثلاثين في خلافة سيدنا عثمان أيضا، ثم عقبة بن عامر الجهني، ثم

(1) الدرة السنية (ص18 ـ 19).

رويفع بن ثابت الأنصاري سنة سبع وأربعين، ثم عقبة بن نافع الفهري أيضا سنة خمسين، وفيها اختط القيروان. وفي كلٍّ من هذه الجيوش تنزل طائفة من الصحابة بأرض القيروان»[1].

وفي كتاب «معلمة المغرب» في حديثه عن عقبة قال: «ولد على عهد رسول الله ﷺ، ويعتبر من رواد الفاتحين المسلمين ببلاد المغرب، وأول من دخل منهم المغرب الأقصى؛ إذ قدم برقة منذ حداثة سنه، ومنها شارك في عدة حملات عسكرية على إفريقية أبدى خلالها ضروبا من الإقدام الحربي والحماسة الدينية، وهي مزايا عبّر عنها بجلاء إبّان تعيينه من قبل عمرو بن العاص سنة 46هـ على رأس جيش لمتابعة فتح إفريقية، فقد اغتنم عقبة هذه المناسبة ليقود فرقة من الفرسان نحو الجنوب حيث فتح مجموعة من الواحات والقصور إلى أن وصل إلى شمال شرقي دولة النيجر اليوم. ولا شك أن خصال عقبة الشخصية لعبت لصالحه عندما عيّنه معاوية بن أبي سفيان والياً على إفريقية سنة 50هـ، وهي ولاية استغرقت خمس سنوات تفرّغ عقبة خلالها إلى متابعة القضاء على الوجود البزنطي بإفريقية، وإلى بناء القيروان لاتخاذها قاعدة عسكرية وسياسية، وسرعان ما أصبحت القيروان أول مدينة إسلامية ببلاد المغرب، ومركزا للإشعاع الديني والفكري بالمنطقة»[2].

وقال الحافظ أبو عمرو بن عبد البر في ترجمته لعقبة بن نافع في كتاب الاستيعاب: «هو عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري، ولد على عهد رسول الله ﷺ. لا تصح له صحبة، كان ابن خالة عمرو بن العاص. ولاه عمرو بن العاص إفريقية وهو على مصر، فانتهى إلى لواتة ومزاتة، فأطاعوا ثم كفروا، فغزاهم من سنته فقتل وسبى، وذلك

---

(1) معالم الإيمان (1/ 70 ـ 71).

(2) معلمة المغرب: مجلد (18/ 6102).

في سنة إحدى وأربعين، وافتتح في سنة اثنتين وأربعين غدامس فقتل وسبى، وافتتح في سنة ثلاث وأربعين كور السودان، وافتتح ودان، وهي من حيز برقة من بلاد إفريقية، وافتتح عامة بلاد البربر»[1].

قال خليفة بن خياط: «وفيها ـ أي سنة خمسين ـ وجه معاوية عقبة بن نافع إلى إفريقية فخط القيروان، وأقام بها ثلاث سنين». ثم ذكر أنه لما افتتح عقبة بن نافع إفريقية وقف على القيروان فقال: «يا أهل الوادي، إنا حالُّون ـ إن شاء الله ـ فاظعنوا»، ثلاث مرات.

قال: فما رأينا حجرا ولا شجرا إلا يخرج من تحته دابة، حتى يهبطن بطن الوادي، ثم قال: «انزلوا بسم الله».

قال ابن خياط «وفيها أغزى مسلمة بن مخلَّد ـ وهو أمير بمصر ـ معاوية بن حُديج فأصاب سبيا وقفل سالما..».

ثم ذكر أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كتب إلى مروان بن الحكم ـ وهو عامله على المدينة المنورة ـ أن ابعث عبد الملك بن مروان على بعث المدينة إلى بلاد المغرب، فقدم عبد الملك بن مروان ـ يعني بمن معه من أهل المدينة ـ فدخل مع معاوية بن حديج إفريقية..»[2].

وذكر ابن خلدون في تاريخه فتوح عقبة بن نافع فقال: «كان عمرو بن العاص قبل وفاته استعمل عقبة بن نافع بن عبد قيس على إفريقية ـ وهو ابن خالته ـ فانتهى إلى لواته ومزاته، فأطاعوا ثم كفروا، فغزاهم وقتل وسبى، ثم افتتح سنة اثنتين وأربعين

(1) الاستيعاب بهامش الإصابة لابن حجر (3/ 109 ـ 110).
(2) تاريخ خليفة بن خياط (ص210 ـ 211).

غدامس، وفي السنة التي بعدها ودّان وكُوَراً من كُوَر السودان، وأثخن في تلك النواحي، وكان له فيها جهاد وفتوح، ثم ولاه معاوية على إفريقية سنة خمسين، وبعث إليه عشرة آلاف فارس، فدخل إفريقية وانضاف إليه مُسلِمَةُ البربر فكثر جمعه، ووضع السيف في أهل البلاد؛ لأنهم كانوا إذا جاءت عساكر المسلمين أسلموا، فإذا رجعوا عنهم ارتدوا، فرأى أن يتخذ مدينة يعتصم بها العسكر من البربر، فاختط القيروان، وبنى بها المسجد الجامع، وبنى الناس مساكنهم ومساجدهم....وكان يغزو ويبعث السرايا للإغارة والنهب، ودخل أكثر البربر في الإسلام، واتسعت خطة المسلمين ورسخ الدين». قال: «ثم ولى معاوية على مصر وإفريقية مسلمةَ بن مخلَّد الأنصاري، واستعمل على إفريقية مولاه أبا المهاجر، فأساء، عزل عقبة واستخفَّ به، فسيَّر ابنُ مخلَّد الانصاري عقبةَ إلى معاوية وشكا إليه، فاعتذر له (معاوية) ووعده برده إلى عمله، ثم ولاه يزيد سنة اثنين وستين»[1].

ذلك ملخص تاريخ الأحداث التي توالت فيها الولايات على إفريقية من مصر والمدينة ثم من الشام، وفي جميعها ـ ما عدا ولاية أبي المهاجر ـ كان الوالي على إفريقية من الصحابة المرموقين، وفي جميعها أيضا كان اشتراك الصحابة في الحملات كما أشارت إلى ذلك المصادر المتخصصة منوهة به.

فأما بلاد مصر باعتبارها المنطلق الأول لفتح إفريقية فقد دخلها مع الصحابة عند الفتح وبعده عدد كبير حتى ألف فيهم بعض علمائها كتابا «فيمن دخل مصر من الصحابة»، وهو الإمام محمد بن الربيع الجيزي صاحب الشافعي، واختصره وزاد

(1) تاريخ ابن خلدون (ص602 ـ 603).

عليه ما لم يذكره منهم الحافظ جلال الدين السيوطي، كما ذكر ذلك في مقدمة كتابه المسمى «در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة»[1]، وقد كانت حملات الفتح نحو إفريقية تمر عليها فينضم إليها العديد من الصحابة إتماما لغايتهم من الخروج للجهاد وعمارة الثغور في البلاد المفتوحة وحراستها.

وكذلك الشأن في إفريقية فإن من دخلها من الصحابة في هذه الحملات وغيرها يفوت الحصر، وقد ألف فيهم العلامة أبو عبد الله بن محمد صالح الجودي(ت1295هـ) كتاب «در السحابة فيمن دخل إفريقية من الصحابة»[2]. وألف العلامة محمد أبو راس المعسكري الجزائري (ت1239هـ) كتابه المسمى أيضا «در السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة»، ذكره له الكتاني في «فهرس الفهارس»[3].

ونهج هذا النهج غير واحد من المؤلفين من أهل المغرب، ومن آخرهم العلامة محمد ابن أحمد الكانوني العبدي الآسفي (ت1357هـ) في كتابه الذي ما يزال مخطوطا بعنوان «الكشف المُغرب عمن دخل من الصحابة المغرب»[4]، والعلامة محمد بن عبدالسلام السائح (ت1367هـ) وسمى كتابه «رقة الصبابة فيمن دخل المغرب من الصحابة»، وهو مخطوط أيضا.

---

(1) وقد أدرجه السيوطي في كتابه «الحاوي في الفتاوي» وكذا في كتابه «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة». وحققه مستقلا سليمان بن محمد المليص في رسالة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة 1404هـ. وللكتاب نسخة خطية ضمن مخطوطات المكتبة الأزهرية.

(2) انظر تعليقات الباحث محمد العنابي بآخر تحقيقه لكتاب «تكميل الصلحاء والأعيان» لمحمد بن صالح الكناني القيرواني على «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» لأبي زيد بن الدباغ (ص299).

(3) فهرس الفهارس (1/ 150).

(4) ذكره له الشيخ عبد السلام بن سودة في كتاب «دليل مؤرخ المغرب الأقصى» تحت رقم 2208 (ص327)، وقال: «استهله بقوله: الحمد لله رب العالمين، وفرغ منه سنة 1346هـ موافق 1927م، يقع في عدة كراريس».

وأما الإشارات في كتب التاريخ والتراجم إلى أعداد من صحب حملات الفتح من الصحابة فكثيرة، ومنها ما ذكره أبو العرب في مقدمة «كتاب طبقات علماء إفريقية» بسنده عن ابن أبي المهاجر قال:«رأيت في كتاب أبي بكر السوسي أن عبد الله بن سعد كان على مصر والخليفة عثمان، فخرج إلى إفريقية في جيش أكثرهم أصحاب رسول الله ﷺ واستخلف على مصر عقبة بن عامر»[1].

وروى أيضا بسنده إلى سليمان بن يسار أنه سئل عن النفل في الغزو، فقال: لم أر أحدا يمنعه، غير أن معاوية بن حديج نفلنا بإفريقية الثلث بعد الخمس ومعنا من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار ناس كثير»[2]. ثم قال: «وقد ذكر بعض المحدثين أن عقبة بن نافع لما دخلها كان معه خمسة وعشرون من أصحاب النبيﷺ، وقال سليمان بن يسار في حديث ابن وهب: إن معاوية بن حديج كان معه من المهاجرين الأولين ناس كثير»[3].

وذكر المالكي في «رياض النفوس» أن معاوية بن حُديج ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ـ خرج من مصر سنة خمس وأربعين ومعه عبد الله بن عمر وابن الزبير وجماعة من الصحابة وغيرهم من التابعين»[4].

وقال خليفة بن خياط في حوادث سنة 28هـ من تاريخه:«وفيها غزا معاوية بن أبي سفيان في البحر ومعه امرأته فاختة بنت قرظة من بني عبد مناف، ومعه عبادة بن

(1) طبقات علماء إفريقية (ص15 ـ 18).

(2) نفسه (ص15).

(3) نفسه (ص17).

(4) رياض النفوس (1/ 28).

الصامت، ومعه امرأته أم حرام بنت ملحان الأنصارية، فأتى قبرس، فتوفيت أم حرام فقبرها هناك»[1].

وفيه من الإشارات أن الصحابة كانوا يصحبون معهم النساء، وفيهن صحابيات كأم حرام بنت ملحان، وهي أخت أم سليم الرميصاء الأنصارية زوج أبي طلحة الأنصاري وأم أنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين.

وذكر أبو العرب والمالكي في ترجمة عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه غزا إفريقية مرتين: الأولى مع عبد الله بن أبي سرح، والثانية مع معاوية بن حُديج، قالا: وكان معه في الغزوة أم ولد فولدت له صبيةً بإفريقية ثم توفيت فدفنها بالمقبرة التي تعرف الآن بـ«مقبرة قريش» بباب سلم، فاتخذتها قريش مقبرة يدفنون فيها لمكان تلك الصبية[2].

وقبل أن نتابع مع عقبة ﷺ مساره في الفتح حتى استشهاده فيمن استشهد معه من أصحابه، نسوق فيما يلي قائمة بأسماء من عرفت أسماؤهم من أعيان من دخل إفريقية والمغرب والأندلس من الصحابة في عهد الفتوحات.

---

(1) تاريخ خليفة بن خياط (ص160).

(2) طبقات علماء إفريقية (ص18)، ورياض النفوس (1/ 62).

المبحث الثالث: قائمة بأسماء أعيان من دخل إفريقية والمغرب والأندلس من الصحابة.

لا نملك إحصاء وافيا لأسماء من شاركوا في فتح إفريقية والمغرب والأندلس بجميع مراحله التي استغرقت أزيد من ستين سنة؛ إذ لا توجد وثائق تسجيل مثلا عن ديوان الجند أو الإمارة، وإنما وصلتنا اجتهادات في الجمع قائمة على استقراء غير تام لما ورد في الأخبار والآثار، ولذلك نجد المصادر القديمة متفاوتة في قوائم الأعداد مع اتفاقها في عناوين الفصول المعقودة لذلك في أوائلها. ولعلنا لو أتيح لنا الوقوف على الكتاب الذي أفرده للموضوع الشيخ أبو عبد الله محمد بن صالح الجودي التونسي(ت1295هـ) المسمى «در السحابة فيمن دخل إفريقية من الصحابة» لأمكننا ـ كما يبدوـ الحصول على أطول لائحة ممكنة وأوعبها بحكم تأخر زمان المؤلف مما يؤهله للاستفادة من المصادر الكثيرة التي تقدمته، وإفراده لهذا الموضوع بالتأليف، ولكونه نشأ في المنطقة نفسها التي تتعلق بها هذه الأحداث. وكذلك الحال لو أتيح لنا الوقوف على ما تضمنه كتاب الكانوني العبدي ـ الآنف الذكر ـ المسمى «الكشف المعرب عمن دخل من الصحابة المغرب»، فإنه أيضا حري أن يكون وافيا موعبا لتأخر وفاته إلى سنة1357هـ. ولعل من يتاح له الجمع بين كتابي الجودي والناصري يحصل على أوفى قائمة بذلك وأوثقها.

وفي غيبة ذلك كله عنا لا نجد مناصا من العودة إلى طائفة من المصنفات التاريخية التي عقدت فصولا لذكرهم في أوائلها مع ملاحظة ما ذكرناه من تفاوتها، فقد ذكر أبو العرب منهم زهاء عشرين صحابيا[1]، وذكر المالكي في «رياض النفوس» أسماء

---

(1) طبقات علماء إفريقية (ص16 ـ 18).

تسعة وعشرين ختمها بذكر عقبة بن نافع[1]، وذكر أبو زيد الدباغ في «معـالم الإيمـان» مع تكملته لابن ناجي التنوخي أسماء اثنين وأربعين[2]، وفي المغرب ذكر العلامة الناصري في الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى واحدا وأربعين[3].

ومن النظر في هذه القوائم الأربعة نجد قائمتي الدباغ في المعالم الأوفى عددا، وتليها قائمة الناصري في الاستقصا، كما يتجلى أن الناصري ـ وهو المتأخر كثيرا عن عصر الدباغ ـ لم يستفد من كتابه في استدراك ما فاته. وقد قام الباحث التونسي محمد العنابي في تعليقاته التي ألحقها بتحقيقه لكتاب «تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان» للعلامة محمد صالح عيسى الكناني القيرواني (ت1292هـ) بتجريد قائمة للمقارنة بين قائمة الدباغ في المعالم وذيله لابن ناجي وبين قائمة الناصري، فلاحظ أنهما يتفقان على سبعة وعشرين، وينفرد صاحب المعالم بسبعة عشر، وينفرد السلاوي ـ يعني الناصري ـ بثلاثة عشر. وهذه لائحة بأسمائهم:

1) لائحة من دخل إفريقية والمغرب من الصحابة ممن اتفق عليهم الدباغ والناصري في كتابيهما:

1. المقداد بن الأسود الكندي.
2. جَرهد بن خويلد الأسلمي.
3. المسيب بن حزن المخزومي.
4. عبد الله بن عباس بن عبد المطلب.

(1) رياض النفوس (1/ 60 ـ 98).

(2) معالم الإيمان (1/ 71 ـ 179).

(3) الاستقصا (1/ 85 ـ 90).

5. عبد الله بن عمر بن الخطاب.
6. سلمة بن الأكوع الأسلمي.
7. أبو زمعة البلوي.
8. عبد الله بن الزبير بن العوام.
9. عبد الله بن عمرو بن العاص.
10. رويفع بن ثابت الأنصاري.
11. حمزة بن عمرو الأسلمي.
12. عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق.
13. المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري.
14. جبلة بن عمرو الأنصاري الساعدي.
15. عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي الأمير.
16. معاوية بن حديج الكندي الأمير.
17. المطلب بن أبي وداعة السهمي القرشي.
18. ربيعة بن عباد الدؤلي.
19. عاصم بن عمر بن الخطاب.
20. عقبة بن نافع الفهري.
21. عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.
22. عبد الرحمن بن العباس بن عبد المطلب.

23. مروان بن الحكم بن العاص.

24. أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي الشاعر.

25. معبد بن العباس بن عبد المطلب.

26. عبيد الله بن عمر بن الخطاب.

2) **لائحة من انفرد بذكرهم صاحب المعالم:**

27. أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري.

28. عبد الله بن أنيس الجهني

29. فُضالة بن عبيد الأنصاري

30. أبو ذر الغفاري

31. عمرو وقيل: عثمـان بن عوف

32. عقبة بن عامر الجهني

33. بلال بن الحارث المُزني

34. زياد بن الحارث الصدائي

35. أبيض بن حـمـال السبائي المـاربي

36. عمـار بن ياسر أبو اليقظان

37. بسر بن أرطأة وقيل: ابن أبي أرطأة القرشي

38. عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث القرشي

39. عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب

40. عبد الرحمن بن صبيحة الليثي وقيل: التميمي

41. أبو منصور الفارسي والد يزيد بن أبي منصور

42. أبو سعيد كيسان المغيري مولى بني حارثة.

3) لائحة من انفرد بذكرهم صاحب الاستقصا

43. الحسن بن علي بن أبي طالب

44. الحسين بن علي بن أبي طالب.

45. الحارث بن حبيب بن خزيمة القرشي

46. حبان بن أبي حبلة القرشي

47. خالد بن ثابت العجلاني الفهمي

48. زهير بن قيس البلوي الأمير

49. سلكان بن مـالك

50. عبد الله بن نافع بن الحصين

51. مسعود بن الأسود البلوي وقيل: العدوي

52. المنيذر الإفريقي الأسلمي

53. أبو رمثة البلوي

54. أبو قيس وقيل: أبو ضبيس البلوي

55. أبو المبتذل خلف أو المبذل أو المنذر

وقد فات كلا من الدباغ والناصري ممن دخل إفريقية من الصحابة صحابيان:

56. قيس بن يسار بن مسلم الكناني، وهو مذكور في رياض النفوس. قال المالكي: «قال أبو سعيد بن يونس وغيره: يقال إنه صحب رسول الله ﷺ وقاتل معه، وقاتل أيام الردة. دخل إفريقية غازيا مع عقبة بن نافع، وقيل: إنه دخلها قبل ذلك سنة سبع وعشرين مع عبد الله بن سعد، وهو جد أبي محرز القاضي». وقال في ترجمة أبي محرز محمد بن عبد الله بن قيس بن يسار بن مسلم الكناني القاضي، من المعدودين من أصحاب مالك.. ويقال: إن جده قيسا صحب النبي ﷺ[1].

57. عفان بن وهب أبو أيمن الخولاني المصري، قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: «له صحبة ورواية، وغزا المغرب»[2].

هذه الأسماء السبعة والخمسون هي التي تمكنا من الوقوف على ذكرها في هذه الكتب، ولا شك أنها لم تستوعب وإنما اقتصرت في أكثرها على الأعيان المشهورين، وأخبار الفتوحات تدل على أكثر من هذا العدد بكثير، يدل على ذلك ما ذكره أبو العرب وغيره من أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح «خرج إلى إفريقية في عشرين ألفا، وأنه خرج إليها في جيش أكثرهم أصحاب رسول الله ﷺ»[3].

وهؤلاء المذكورون في هذه القائمة وغيرهم كثير ممن لم يذكر فيها، منهم من شهد الفتوح الأولى فدخل ثم عاد إلى مصر أو المدينة أو الشام أو غيرها، ومنهم من خرج ثم عاد أكثر من مرة، كعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير، ومنهم من استوطن إفريقية، ومنهم من أدرك فتح عقبة لباقي جهات إفريقية، ومنهم من دخل معه المغرب

---

(1) رياض النفوس (1/ 96) ترجمة 27، وكذا (1/ 274 ـ 277) ترجمة 105.

(2) البداية والنهاية (9/ 44).

(3) طبقات علماء إفريقية لأبي العرب (ص14 ـ 15).

فاستشهد في أثناء الفتح أو رجع فاستشهد معه كما سيأتي، ومنهم من رجع إلى القيروان، ثم خرج مع زهير بن قيس في حملته بعد استشهاد عقبة وأصحابه، ومنهم من عاش حتى شارك في فتح الأندلس مع حملة موسى بن نصير.

وقبل أن نتابع مع عقبة الأطوار الأخيرة من قيادته في الفتح لإنجاز مشروعه الكبير الرامي إلى فتح المغرب والأندلس والاستيلاء على سائر ممالك الروم في الغرب الإسلامي، لا بد لنا هنا من وقفة حول ما يثار من الخلاف في صحبة عقبة بن نافع، وما يبدو من تباين وجهات النظر فيها بين المؤرخين والمحدثين. ونعقد لذلك:

المبحث الرابع: صحبة عقبة بين المؤرخين والمحدثين

موضوع إثبات منصب الصحبة النبوية أو نفيه موضوع في غاية الحساسية والأهمية؛ لما له من الصلة المباشرة بقبول رواية من ثبتت صحبته مطلقا بحكم اتفاق مذهب أهل السنة والجماعة على عدالة الصحابة، ووجوب اعتقاد حُرمتهم والثناء عليهم والترضي عليهم، والإمساك عما شجر بينهم، وغير ذلك من مقتضيات الولاية لهم لصحبتهم لرسول الله ﷺ ووصيته بهم، ومكانتهم من الدين، والتبليغ عن إمام المرسلين. كما أن نفيها عمن ثبتت له بوجه من وجوه الثبوت المعتبرة، فيه نوع من المخاطرة غير المحمودة؛ لما فيه من الإقدام على دفع استحقاق منصب الصحبة عمن استحقها.

ولقد فطن لهذا الملحظ عدد من المؤلفين في الصحابة حين درسوا مفهوم الصحبة وحد «الصحابي»، وفرقوا بين المعنى اللغوي والمعنى العرفي والاصطلاحي، وهو بحث نفيس أفاض فيه الإمام ابن حجر في شرحه للترجمة التي بوّب لها البخاري في صحيحه بقوله: «باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ومن صحب النبي ﷺ أو رآه فهو من أصحابه»[1]. كما أفاض فيه ابن حجر في كتاب «الإصابة في تمييز الصحابة».

وعلى أساس التفاوت في مراتب الصحبة التي اعتبرها المحدثون على اختلاف منازعهم في ذلك، صنف المؤلفون في الصحابة كأبي عمر بن عبد البر في كتاب «الاستيعاب» وابن الأثير في «أسد الغابة» وابن حجر في «الإصابة»، صنفوا الصحابة إلى عدة أصناف بين من هو محقق الصحبة والرواية والسابقة في الإسلام، ومن هو دونه، ومن حضر بعض المشاهد، أو كان له أدنى رتبة من اللقاء أو الرواية أو الدعاء له أو غير

(1) انظر صحيح البخاري بشرح ابن حجر فتح الباري (7/ 3 ـ 4).

ذلك مما جعلوه في أدنى درجات الاستحقاق. وبناء على هذه الاعتبارات اختلفوا في العد والإسقاط، بالإضافة إلى التفاوت في الاستقراء، كما نلاحظه في الذيول الكثيرة التي استدركت على الحافظ أبي عمر بن عبد البر، والاستدراكات التي استدركها الحافظ الذهبي في كتاب «تجريد الصحابة»، وما استدركه الحافظ ابن حجر في كتبه أو استدرك عليه. هذا ولم تخل المعايير التي اعتمدها المؤلفون في الصحابة من هؤلاء الأئمة من قدر من المرونة في التعامل مع منهج المحدثين إثباتا ونفيا، ولعل المؤرخين والمؤلفين في الكرامات وجدوا في هذه المرونة مدخلا إلى اعتماد منهج مغاير يساعد على توسيع دائرة القول بالصحبة في حق بعض المترجمين ممن تنازعتهم الأقوال، وقوي فيهم الاحتمال، ومنهم عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري المتفق على أنه الفاتح الأكبر للمغرب الأقصى دون منازع، مضموما ذلك إلى جملة من المرجحات الآتية، وأكثرها تداولا في كتب التاريخ ولادته في العهد النبوي، وقيادته لحملات الفتح وفيها الجم الغفير من أعيان الصحابة.

وذلك ما غلَب اعتباره عند سائر من عدّ عقبة من الصحابة، فإن أحدا لم يذكر له رواية عن النبي ﷺ، ولا رؤية ولا لقاء ولا شيئا زائدا على ولادته في حياته صلى الله عليه وسلم، وقد أورد ابن عذاري المراكشي في البيان المغرب في ترجمته لعقبة تحديدا لتاريخ ولادته فقال بعد ذكر سلسلة نسبه في قريش إلى فهر: «ومن فهر بن مالك تفرقت القبائل، وقال ابن أبي الفياض: إن عقبة ولد قبل وفاة رسول الله ﷺ بسنة واحدة»(1).

وترجم الحافظ ابن كثير لعقبة بن نافع في كتاب البداية والنهاية ولم يذكر شيئا عن صحبته إثباتا أو نفيا، إلا أنه قال رضي الله عنه: «عند ذكر اسمه، كما ذكر دعاءه عندما اختط

(1) البيان المغرب (1/ 19).

مدينة القيروان قال: «فجعلت السباع والحيات والحشرات تخرج بأولادها من الغيضة التي كانت في موضعها ولم تر فيها بعد ذلك»[1].

وترجم له المالكي في «رياض النفوس» تحت عنوان: «ذكر من دخل إفريقية من أصحاب النبي ﷺ» فقال: «عقبة بن نافع بن عبد القيس رضي الله تعالى عنه: ذكر أبو سعيد وغيره أنه معدود من جملة الصحابة الذين دخلوا إفريقية، ولي الإمارة على إفريقية وبلد المغرب لمعاوية ولولده يزيد، وهو الذي اختط مدينة قيروان إفريقية، وبنى دار الإمارة التي في قبلي الجامع»[2].

وذكر المالكي قصة تأسيسه لمدينة القيروان مفصلة، وفيها قوله لأصحابه: «أرى لكم يامعشر العرب أن تتخذوا بها مدينة يجعل بها عسكر، وتكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر، فأجاب الناس إلى ذلك، واختط مدينة القيروان... وكان في عسكره عند التأسيس خمسة عشر رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ، وسائر ذلك تابعون»[3].

وساق في الترجمة عددا من كرامات عقبة، مما يدل على صدق يقينه في الجهاد، ويعرب عن تحقق صحبته عند الناس، حتى كان يعرف بينهم باسم «عقبة المستجاب». وسيأتي لنا تسمية بعض الناس لأولادهم باسم «عقبة المستجاب» تبركا باسمه.

وعلى مثل هذا بنى العلامة الناصري في قوله في ترجمته له في الاستقصاء: «صحابي بالمولد، وهو آخر من ولي المغرب من الصحابة»[4].

وهذه غفلة منه ـ رحمه الله ـ عن الوالي بعد عقبة زهير بن قيس البلوي، وقد عده هو بنفسه في قائمته «فيمن دخل المغرب من الصحابة»، وتحدث عن ولايته بعده.

---

(1) البداية والنهاية (8/ 217).
(2) رياض النفوس (1/ 97).
(3) نفسه (1/ 10 ـ 13).
(4) الاستقصا (1/ 77).

أمـا مؤلف كتاب مفاخر البربر من مؤرخي العصر المريني فاكتفى بالتنويـه بـصحبته عند ذكر من فتح المغرب فقال: «أولهم عقبة بن نافع الصحابي رضي الله عنه»[1].

وكذلك فعل أبو زيد الدباغ القـيرواني الـذي تـرجم لـه «فـيمن دخـل إفريقيـة مـن الصحابة» كمـا تقدم، وأفاض في ذكر أخباره وكرامـاته في كتابه معالم الإيمـان[2].

ونحن إذا وازنا بين مـا ورد من النقول في تقرير صـحبته وبـين أقـوال مـن ينفيهـا أو تشعر عبارته بالتردد في قبولها كقول بعضهم: «لا تصح له صحبة»، أو «لا صحبة لـه»، أو «هو من التابعين» في ضوء المعايير التي اعتمدها العلمـاء في إثبات الصحبة بمـا فيها مـمـا يمكن أن نسميه «الصحبة الاعتبارية»، أي باعتبار الإدراك أو الميلاد، نقـف عـلى عدة مداخل يمكن لعقبة بن نافع أن يدلف منها إلى الصحبة من باب واسع، ولا تقصر بـه عنهـا بحـال مـن الأحـوال، لا سيمـا إذا صـح مـا نجـده في كثـير مـن المراجـع والتعليقات، كتعليق محقق كتاب «التشوف إلى رجال التـصوف» في إحـدى حـواشي تحقيقه للكتاب حيث قال موافقا لما في تلك المراجع: «ولد عقبـة سـنة 1 قبـل الهجـرة، وتوفي سنة 63هـ»[3].

ويبقى الجواب عن قول من قال: «لا تـصح لـه صـحبة» كالحـافظ ابـن عبـد الـبر في الاستيعاب[4]، وكالعلامـة ابـن الأثـير في أسـد الغابـة[5]، وكـأبي العـرب التميمـي في طبقاته[6]، وهي أقوال تعتمد منهج المحدثين بناء على أنهـم لا يعرفـون لعقبـة روايـة في

---

(1) مفاخر البربر (ص91).

(2) معالم الإيمـان (1/ 71 ـ 179).

(3) التشوف إلى رجال التصوف لأبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات (ص52)، رقـم الهامش 35.

(4) الاستيعاب بهامش الإصابة لابن حجر (3/ 106).

(5) أسد الغابة (2/ 34).

(6) طبقات علمـاء إفريقية (ص 9).

كتب السنة، ولعل قول أبي عمر بن عبد البر: «لا تصح له صحبة»، وكذلك قول من تابعه على ذلك لا يخلو من نوع من الاحتياط؛ إذ ليس نفيا صريحا وجازما، ولعله لذلك ترجم في الاستيعاب لعقبة وأدرجه في جملة من وُلد على عهده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ونبه على ذلك في صدر الكتاب بقوله: «ولم أقتصر في هذا الكتاب على ذكر من صحت صحبته ومجالسته، حتى ذكرت من لقي النبي ﷺ ولو لقية واحدة مؤمنا به أو رآه رؤية أو سمع منه لفظة فأداها عنه، واتصل ذلك بنا على حسب روايتنا، وكذلك ذكرنا من ولد على عهده من أبوين مسلمين، فدعا له أو نظر إليه وبارك عليه ونحو هذا، ومن كان مؤمنا به قد أدى الصدقة إليه ولم يرد عليه، وهذا كله يستكمل القرن الذي أشار إليه النبيﷺ»[1].

وأما من لم يتعرض لذكر صحبته بإثبات ولا نفي كالحافظ ابن حجر الذي اكتفى بقوله في ترجمته في «الإصابة»: «ولد على عهد رسول الله ﷺ»[2]، فإنه يلزمه ذكره ولو بأدنى مراتب «الصحبة الاعتبارية»، بناء على ما أصله هو بنفسه وعمل به في كتاب الإصابة. وبيان ذلك بإيجاز أنه بعد أن قرر في الإصابة أصوله بناء على ما سماه «الطريقة إلى معرفة كون الشخص صحابيا» وفصَّلها، قال تحت عنوان: «ضابط» يستفاد من معرفته صحبة جمع كثير يكتفى فيهم بوصف يتضمن أنهم صحابة:

> الأول: ما أخرجه ابن أبي شيبة بسند لا بأس به قال: كانوا لا يؤمرون في المغازي إلا الصحابة.

> الثاني: أخرج الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف قال: كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي ﷺ فدعا له، وهذا يؤخذ منه شيء كثير.

---

(1) الاستيعاب بهامش الإصابة (1/ 27).

(2) الإصابة (3/ 80).

➢ الثالث: أخرج الحافظ ابن عبد البر بسنده قال: لم يبق بمكة والطائف أحد إلا أسلم وشهد حجة الوداع. قال: هذا وهم في نفس الأمر لا يحصون، لكن يعرف الواحد منهم بوجود ما يقتضي أنه كان في ذلك الوقت موجودا، فيلحق بالقسم الأول والثاني؛ لحصول رؤيتهم للنبي ﷺ وإن لم يرهم هو، والله أعلم»[1].

ولا يخفى على المتدبر لهذه العناصر الثلاثة التي جعلها ابن حجر ضابطا تستفاد منه معرفة الصحبة يجد أن عقبة ﷺ ضارب فيها جميعا بالسهم الوافر مما لا نحتاج معه إلى مزيد من البيان.

وهاهو الحافظ ابن حجر نفسه أخذاً منه بالعنصر الأول في معرفة الصحابي يقول في تراجم عديدة: إنه حكم لأصحابها بالصحبة اعتمادا على أنهم «كانوا لا يؤمرون في الفتوح إلا الصحابة»[2]، من ذلك قوله في ترجمة خالد بن ثابت العجلاني الفهمي: «قال ابن يونس: شهد فتح مصر، وأغزاه مسلمة بن مخلَّد إفريقية سنة أربع وخمسين. ذكرته اعتمادا على أنهم «كانوا لا يؤمرون في الفتوح إلا الصحابة»[3]. وقال في ترجمة ربعي بن الأفكل العنبري: «ذكر سيف في الفتوح أن سعداً ولاه حرب الموصل، وقد ذكرنا غير مرة أنهم كانوا لا يؤمرون في الفتوح إلا الصحابة»[4].

وفي مثل عقبة قالوا في عبيد الله بن عمر بن الخطاب:«وكان صحابيا بالمولد». وقالوا مثل ذلك في أخيه عاصم بن عمر[5].

---

(1) الإصابة (1/ 9 ـ 10).

(2) تتبعت ذلك في زهاء خمسين ترجمة من الإصابة.

(3) الإصابة (1/ 401 ـ 402) ونقله الناصري في الاستقصا (1/ 86).

(4) الإصابة (1/ 490).

(5) الاستقصا (1/ 87).

وقال ابن كثير في البداية والنهاية في ترجمة أبي معرض الأسدي الكوفي: «ولد في حياة النبي ﷺ»[1].

وفي ترجمة عبيد الله بن عدي بن الخيار: «أدرك النبي ﷺ، وحدث عن جماعة من الصحابة»[2].

وقالوا مثل هذا في تراجم كثيرة لولا أن للإدراك فيها معنى «الصحبة الاعتبارية» ما نبهوا عليه، ولفاتت هذه الفضيلة التي لا ينبغي صرفها عن هؤلاء المترجمين.

ولعلنا بناء على هذا وموافقة للمؤرخين لا حرج علينا في القول بصحبة عقبة بن نافع مع من وصفه بها، منطلقين من ضوابط الإمام ابن حجر وصنيعه وصنيع ابن عبد البر وابن الأثير وابن كثير في الأخذ بأدنى سبب في نسبة المترجم إلى هذا المنصب وعدم دفعه عنه طالما وقفوا على وجه من وجوه قبوله داخلا في الاحتمال، لا سيما على طريقة الحافظ ابن عبد البر التي تدخل في الاعتبار كل من ولد في عهده عليه السلام من أبوين مسلمين اعتبارا بأن ذلك محتمل أن يكون قد صحبه بوجه من وجوه الصحبة التي تقدمت الإشارة إليها.

أما الآن وبعد أن تقررت عندنا صحبة عقبة، وتعرفنا على لائحة أعيان الصحابة الذين دخلوا إفريقية في مراحل الفتح المختلفة، وعرفنا أن معهم الكثير من الصحابة الذين شاركوا في الفتح دون أن يكون لهم من الشهرة ما ينبه على أقدارهم مع ما دلت عليه النقول الآنفة الذكر أنهم كانوا في بعض الحملات بالمئات، وفي بعضها بالعشرات، ولكل ذلك اعتبار في الوقائع التي انتهت إلى عشرة الخمسين من الهجرة إلى انتشار الإسلام في أرجاء إفريقية وأجزاء من المغرب.

---

(1) البداية والنهاية (9/ 6).

(2) نفسه (9/ 51).

هاهو عقبة صاحب المشروع الكبير في فتح المغرب بمفهومه الواسع يـنطـلــق أخـيرا في ولاية يزيد بن معاوية بعد أن عقد له على ولاية إفريقية مرة أخرى سنة 62هـ، ليأخـذ بوجهته هذه المرة موليا شطر مـا تبقى على الفتح من جهات وأرجـاء المغـرب الأقـصى والعبور إلى جهة الأندلس لو ساعدت الأحوال.

المبحث الخامس: عقبة ووقائع فتح المغرب الأقصى ومنتهى أثره في الفتح

وكان خروج عقبة بن نافع من القيروان، وهو أول وال عليها ليزيد بن معاوية بالشام سنة62هـ. قال أبو إسحاق الرقيق في تاريخه والمالكي في رياض النفوس: «ثم عزم عقبة على الغزو في سبيل الله، وترك بها جندا من المسلمين، واستخلف عليهم زهير بن قيس، ودعا أولاده فقال لهم: إني بعت نفسي من الله عز وجل بيعا مربحا أن أجاهد من كفر حتى ألحق بالله، ولست أدري أترونني بعد هذا أو أراكم؛ لأن أملي الموت في سبيل الله، أو ردي إليكم كما أحب؟ ثم قال: عليكم سلام الله، اللهم تقبل مني نفسي في رضاك». وقال المالكي: «إن عقبة قال لأولاده في وصيته: إني بعت نفسي من الله، وما أدري ما يأتي علي في سفري. ثم قال: يابني أوصيكم بثلاث خصال فاحفظوها ولا تضيعوها، إياكم أن تملأوا صدوركم بالشعر وتتركوا القرآن، فإن القرآن دليل على الله عز وجل، وخذوا من كلام العرب ما يهتدي به اللبيب ويدلكم على مكارم الأخلاق، ثم انتهوا عما وراءه..»[1].

ومضى عقبة في عسكر عظيم حتى أشرف على مدينة باغاية فحاصر الروم فيها، ومنها مضى إلى مَمْس، وكانت في ذلك الوقت من أعظم مدائن الروم، فقاتل الروم فيها وأصاب غنائم كثيرة، ثم رحل عنها إلى الزاب فاحتل أذنة، ثم رحل عنها حتى نزل على تيهرت، فلما بلغ الروم خبره استعانوا بالبربر، فأعانوهم ونصروهم، فقام عقبة خطيبا في جنده فقال: «يامعشر المسلمين، إن خياركم وأشرافكم والسابقين منكم الذين رضي الله تعالى عنهم وأنزل فيهم كتابه، بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان على قتال من كفر بالله إلى يوم القيامة، وهم أشرافكم والسابقون منكم إلى البيعة، باعوا أنفسهم من

(1) رياض النفوس (1/ 34 ـ 35).

رب العالمين بجنته بيعة رابحة، وأنتم اليوم في دار غربة، فبيعوا أنفسكم من رب العالمين، فإنكم داخلون في تلك البيعة، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، وأنتم ما وطئتم هذه البلاد إلا طلبا لرضاه، وغضبا أن يعبد شيء سواه، فأبشروا، فكلما كثر العدو كان أخزى لهم، وأعز لدينكم، وربكم ليس يسلمكم، فالقوهم بقلوب صادقة، فإن الله عز وجل جعلكم أولي بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين».

فقاتل البربر ومن معهم من الروم قتالا شديدا، فانهزم الروم وغنم المسلمون، وقتلوا من أدركوهم قتلا ذريعا. قال محمد بن علي السنوسي في الدرر السنية: «فرحل عنهم ونزل تلمسان، وهي من أعظم مدائنهم»[1].

ثم رحل حتى نزل طنجة الغربية، فلقيه رجل من الروم يقال له «يليان»، وكان شريفا في قومه فأهدى إليه هدية حسنة ولاطفه، فنزل على حكمه، فسأله عن بحر الأندلس، فقال: «إنه محفوظ لا يرام، فقال له: دلني على حال البربر والروم، فقال له: قد تركت الروم خلفك، وما قدامك إلا البربر وفرسانهم، قال له: وأين موضعهم؟ قال: في السوس الأدنى».

قال الرقيق: «فرحل من طنجة يريد السوس الأدنى، وهو في مغرب مدينة طنجة». ثم ذكر رحيله إلى السوس ودخوله تارودانت وقال: «فانتهى إلى أوائلهم فتلقوه في عدة عظيمة»، قال: «ومضى كذلك حتى دخل السوس الأقصى، واجتمع البربر في عدد لا يحصى، فلقيهم وقاتلهم قتالا شديدا ما سمع أهل المغرب بمثله، فقتل منهم خلقا عظيما»[2].

---

(1) الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية للسنوسي (ص26).

(2) عن تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق (ص7 ـ 15) باختصار يسير، مع تكميل من رياض النفوس للمالكي (1/ 35 ـ 38)، وانظر الكامل في التاريخ لابن الأثير (4/ 106).

وقد ساق ابن عذاري هذه الأحداث بعبارات مقاربة غير أنه قال: «وأوغل في الغرب يقتل ويأسر أمة بعد أمة وطائفة بعد طائفة، بائعا نفسه من مولاه، لا يروعه كثرة ولا تعتريه هو ومن معه سآمة ولا فتْرة، حتى صاروا بأحواز طنجة، وكان بها ملك اسمه يليان يملك منها إلى ساحل المجاز بسبتة، وكان من أشرف ملوك الروم وأعظمهم»، ثم ذكر اجتماعه به ومهاداته إياه وسؤاله عن الأندلس، قال: «فعظَّم عليه أمرها وقال له: تركت الروم وراء ظهرك، وما أمامك إلا البربر...» قال: «ومعظمهم المصامدة»، قال: «فسار عقبة نحو المصامدة بعد فتحه طنجة، على ما ذكرنا من الصلح والمسالمة بسياسة يليان».

وذكر ابن عذاري غزوه للبربر بالسوس الأدنى قال: «وهي بلاد تامسنا إلى بلاد المصامدة، فسار حتى بلغ البحر المحيط، فدخل فيه حتى بلغ الماء بطن فرسه، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: «يارب لولا أن البحر منعني لمضيت في البلاد إلى مسلك ذي القرنين مدافعا عن دينك، مقاتلا من كفر بك». قال: «وانصرف قافلا من السوس الأقصى، قال ذلك ابن أبي الفياض وغيره». ثم قال: «وقال غيره: ونزل من درعة إلى بلاد صنهاجة، ثم إلى بلاد هسكورة، ثم نزل أغمات وريكة، ثم نزل منها على وادي نفيس، وقام عقبة من وادي نفيس، وسار حتى نزل إيجلي بالسوس، وبنى فيه مسجدا. أخبرني الشيخ الصالح أبو علي صالح بن أبي صالح أنه لم يصح عنده أن عقبة رضي الله عنه حضر بنيان شيء من المساجد بالمغرب إلا مسجد القيروان، ومسجد درعة، ومسجدا بالسوس الأقصى، وأما غير ذلك من المساجد التي تسمى باسمه فإن الناس ـ والله أعلم ـ بنوها بموضع نزوله». قال: «وقال الإشبيلي في كتاب «المسالك» له: إن المسجد الذي على وادي نفيس بناه عقبة رضي الله عنه. قال أبو علي ـ يعني صالح بن أبي صالح ـ: ثم سار عقبة من إيجلي حتى وصل ماسة، فأدخل فرسه في البحر حتى وصل الماء تلابيبه

وقال: السلام عليكم يا أولياء الله، فقال له أصحابه: على من تسلم؟ قال: على قوم يونس عليه السلام». ثم قال عن عودته: «ثم رجع عقبة قافلا إلى المغرب الأوسط وسلك على إيغير إن يطوف ثم إلى تارنا، ثم إلى موضع شاكر ـ يعني قرب شيشاوة ـ وترك به صاحبه شاكرا فسمي باسمه، ثم رحل منه إلى بلاد دكالة، فوجد فيها قوما فدعاهم إلى الإسلام فامتنعوا، فقاتلهم فقتلوا جملة من أصحابه، فسمي ذلك الموضع «مقبرة الشهداء» إلى الآن». قال: «ثم رجع من دكالة إلى بلاد هسكورة إلى موضع يقال له: «إطار»، فوجد فيه أقواما فدعاهم إلى الإسلام فامتنعوا، فتقاتل معهم حتى فروا أمامه، فلم يقاتله بعد ذلك أحد من أهل المغرب». ثم قال: «قال ابن عبد البر: فتح عقبة عامة بلاد البربر إلى أن بلغ طنجة وجال هناك، ولا يقاتله ولا يعارضه أحد، حتى فتح كورة من كور السودان».

وقال ابن أبي زرع في كتاب «روض القرطاس» عند حديثه عن صنهاجة الصحراء ومساكنهم منها: «ومدينة «تاتكلاتين» يسكنها قبيلة من صنهاجة يعرفون بـ «بني وارث»، وهم قوم صالحون على السنة والجماعة، وأسلموا على يد عقبة بن نافع عند فتحه للمغرب»[1].

وقال ابن عذاري في تمام كلامه السابق: «وقال أبو علي المذكور ـ يعني صالح بن أبي صالح ـ لما رجع عقبة من بلاد جزولة سلك على بلاد صودة»[2].

وذكر البكري في مسالكه مدينة نفيس فقال: «نفيس: مدينة حصينة أولية افتتحها عقبة ابن نافع، وذكر أنها كانت عامرة في زمنه»[3].

(1) روض القرطاس (ص121).

(2) انظر البيان المغرب (1/ 23 ـ 28) بتصرف.

(3) انظر الاستقصا للناصري (1/ 169).

وتحدث الناصري في الاستقصا عن خط السير لعقبة مستعينا بما في تاريخ ابن خلدون، مضيفا معلومات أخرى عن البلدان التي فتحها، وملخص ذلك أنه حين صرفه يليان بمشورته له عن غزو الأندلس إلى جهة السوس وبلاد البربر: «توجه عقبة نحوهم، فنزل على مدينة وليلي بإزاء جبل زرهون، وهي يومئذ من أكبر مدن المغرب فيما بين النهرين العظيمين: سبو وورغة»، قال:«وهذه المدينة هي المسماة اليوم في لسان العامة بقصر فرعون، فافتتحها عقبة وغنم وسبى، ثم توجه إلى بلاد درعة والسوس، فلقيته جموع البربر، فاقتتلوا قتالا شديدا، ثم انهزمت البربر بعد حروب صعبة، وقتلهم المسلمون قتلا ذريعا، وتبعوا آثارهم إلى صحراء لمتونة لا يلقاهم أحد إلا هزموه». قال: «ثم عطف عقبة على ساحل البحر المحيط الغربي، فانتهى إلى بلاد آسفي، وأدخل قوائم فرسه في البحر، ووقف ساعة ثم قال لأصحابه: «ارفعوا أيديكم»، ففعلوا، فقال: اللهم إني لم أخرج بطرا ولا أشرا، وإنك لتعلم أني إنما أطلب السبب الذي طلبه عبدك ذو القرنين، وهو أن تعبد ولا يشرك بك شيء...»، قال: «ثم انصرف راجعا». قال:«وقال ابن خلدون أيضا: وصل عقبة إلى جبال درن، وقاتل المصامدة بها، فكانت بينه وبينهم حروب، وحاصروه بجبل درن، فنهضت إليهم جموع زناتة ـ وكانوا خالصة للمسلمين منذ إسلام مغراوة ـ فأفرجت المصامدة عن عقبة، وأثخن فيهم حتى حملهم على طاعة الإسلام، ودوَّخ بلادهم، ثم أجاز إلى بلاد السوس لقتال من بها من صنهاجة ـ أهل اللثام ـ وهم يومئذ على دين المجوسية ولم يدينوا بالنصرانية، فأثخن فيهم، وانتهى إلى تارودانت، وهزم جموع البربر، وقاتل مسوفة من وراء السوس ودوخهم وقفل راجعا»[1].

---

(1) الاستقصا (1/ 82 ـ 85).

قال العلامة محمد بن أحمد الكانوني العبدي في كتابه «علائق آسفي ومنطقتها بملوك المغرب»: «ثم إن عقبة لما قضى هذا الغرض، ونادى به الحق المفتَرَض، وأسلم على يديه العباد، وتشرَّفت بمقدمه هذه البقاع والبلاد، ولم يبق له فيها منازع، ولا معاند ولا مدافع، وهمَّ بالانصراف، قصد بحر بلاد آسفي كما للشطيبي في «الجمان» والورتيلاني في رحلته «نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار» وغيرهما، فأدخل قوائم فرسه في البحر ووقف ساعة ثم قال لأصحابه: ارفعوا أيديكم ففعلوا، فقال: اللهم...»، وذكر مثل ما تقدم[1].

❁ كسيلة البربري واستشهاد عقبة ووقع المصاب به:

قال المالكي في رياض النفوس بعد أن ساق نحوا مما تقدم: «ثم رجع عقبة إلى إفريقية، فلما دنا منها أذن لمن معه من أصحابه أن يتفرقوا ويتقدموا فوجا فوجا إلى إفريقية، فلما انتهى إلى ثغر إفريقية وهي «طبنة» أذن لمن بقي معه بالانصراف إلى القيروان، ومال في خيل يسيرة يريد «تهودة» لينظر قدر ما يكفيها من الخيل، فلما انتهى إليها نظر الروم إلى قلة من معه من الخيل، فلما توسط البلاد نزل، فبعثت الروم إلى كسيلة الأوربي فأعلموه بقلة من معه، فجمع له جمعا كبيرا من الروم والبربر، وزحف إليه ليلا حتى نزل بالقرب منه، وأحاط بعسكر عقبة حتى أصبح، فقاتل عقبة وأصحابه حتى بلغ بهم البلاء وكثرت فيهم الجراح، فاستشهد عقبة رضي الله عنه وجميع من كان معه رضي الله عنهم أجمعين، واستشهد معه أبو المهاجر الذي كان واليا قبله على القيروان...»[2].

---

(1) علائق آسفي (ص 7 ـ 8).

(2) رياض النفوس (1/ 39 ـ 41).

قال الناصري في الاستقصا بعد ذكر ما فعله كسيلة من الغدر بعقبة وأصحابه رضوان الله عليهم: «وكانوا زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين، استشهدوا في مصرع واحد، وفيهم أبو المهاجر كان عقبة قد استصحبه في اعتقاله كما قلنا، فأبلى رضي الله عنه في ذلك اليوم البلاء الحسن». ثم قال: «قال ابن خلدون: وأجداث الصحابة رضي الله عنهم أولئك الشهداء، أعني عقبة وأصحابه، بمكانهم من أرض الزاب لهذا العهد، وقد جُعل على قبورهم أسنمة ثم جصصت، واتُّخذ على المكان مسجد عرف باسم عقبة، وهو في عداد المزارات ومظان البركات، بل هو أشرف مزور من الأجداث في بقاع الأرض؛ لما توفر فيه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين الذين لا يبلغ أحدٌ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه. وأسر من الصحابة يومئذ محمد بن أوس الأنصاري، ويزيد بن خلف العبسي، ونفر معهما، ففداهم ابن مصاد صاحب قفصة وبعث بهم إلى القيروان»[1].

ولقد كان لمقتل هذه الصفوة من الصحابة والتابعين وقع أليم ترامت أصداؤه إلى كل مكان، كما أنه كان من أسباب شهرة عقبة وتعلق الناس به وجمعهم لكراماته وروايتها ودخوله في المتوارث الشعبي الذي يروى دون اعتبار لمعايير الرواية المعتمدة في قبول الأخبار والآثار.

فإلى جانب تلقيبهم لعقبة رضي الله عنه فقالوا فيه: ««عقبة المستجاب»، أثنوا عليه ثناء واسعا. فقد روى أبو العرب في طبقاته أنه لما عزم على بناء مدينة القيروان في غيضة كثيرة الهوام والأفاعي، وقف على وادي القيروان فقال: يا أهل الوادي، اظعنوا فإنا نازلون، قال: فرُئين يخرجن من أحجارهن هوارب. ثم قال: قال ابن لهيعة: وكان يقال إن عقبة كان مستجابا، ثم ذكر من حديث الواقدي عن رجل من أهل مصر قال: قدمنا مع عقبة

(1) الاستقصا (1/ 83 ـ 84)، وانظر الاستيعاب بهامش الإصابة (3/ 109 ـ 110).

ابن نافع، وهو خير والٍ وخير أمير. ثم روى أبو العرب بسنده عن وهب بن منبه وشهر بن حوشب أن هذه البقعة الملعونة التي يقال لها «تهودة» كان النبي ﷺ نهى عن سكناها، وقال: سوف يقتل فيها رجال من أمتي على الجهاد في سبيل الله، ثوابهم ثواب أهل بدر وأهل أحد. قال: وقال شهر بن حوشب: سألت التابعين عن هذه العصابة، فقالوا: ذلك عقبة وأصحابه، قتلهم البربر والنصارى بتهودة، فمنها يحشرون يوم القيامة وأسيافهم على أعناقهم حتى يقفوا بين يدي الله تبارك وتعالى»[1].

وذكر المالكي في الرياض أن عقبة مر بعبد الله بن عمرو بن العاص وهو بمصر وقت عودته إلى إفريقية، فقال له عبد الله: لعلك من الجيش الذين يدخلون الجنة برحالهم، فمضى فقاتل بجيشه البربر وهم كفار فقتلوا جميعا[2].

لقد كان وقع المصاب أليما بمقتل عقبة بن نافع وأصحابه من الصحابة والتابعين، ولكن العبرة إنما هي بالنتائج وتحقق الأهداف المرسومة، والحصول على الثمرات الزكية المرجوة، وسوف نرى مقدار المكاسب التي حصلت عليها البلاد المغربية في سائر امتداداتها من وراء جهاد عقبة وأصحابه الكرام في هذا الطور من تاريخ وطننا المجيد، مما كان له الأثر البليغ في عمق إيمان أهلها وثباتهم على الدين الحنيف وقيمه السامية، وجهادهم مع من جاء بعد عقبة من الولاة لإتمام الفتح في بلاد الأندلس وإقامة دولة الإسلام فيها.

---

(1) انظر طبقات علماء إفريقية لأبي العرب (ص8 ـ 10)، ومثله في رياض النفوس (1/ 43 ـ 44)، والاستبصار في عجائب الأمصار (ص 174).
(2) رياض النفوس (1/ 43)، والاستبصار (ص 174).

المبحث السادس: ثمرات الفتح وآثار الصحابة في المغرب الأقصى بقيادة عقبة

تحاول الكتابات والدراسات التاريخية التي تدور في فلك المستشرقين والمستغربين الذين ينطلقون من المفاهيم الغربية في تقويم الفتوحات الإسلامية وأهدافها وأبعادها الدينية إلى التقليل من أهمية حملة الفاتح الأول للمغرب الأقصى عقبة بن نافع، بل تسعى إلى استبعاد أن يكون عقبة في المدة الوجيزة التي تحرك فيها من القيروان في اتجاه المغرب قد تجاوز المغرب الأوسط وتلمسان على أبعد تقدير، كما أنهم مجمعون على القول بفشل هذه الحملة واتهام قائدها بالاندفاع والتهور وعدم احتساب المخاطر، مما انتهى بزعمهم بحركته إلى الفشل في تحقيق الأهداف المرسومة.

وقد أشار محرر ترجمة عقبة بن نافع في موسوعة «معلمة المغرب» إلى ما لمسه من تباين النظرة بين المصادر التاريخية الإسلامية في النظر إلى مسار ما تحقق على يد عقبة من الفتح وإلى منتهى أثره منه، وبين التوجهات الأخرى التي تشكك أو تجزم في الحكم على حملة عقبة وما أنجزه فيها، فبعد أن أتى بمسرد تاريخي نقلا عن المصادر الإسلامية التي منها ما هو قريب الزمن من عهد الفتح ككتاب «فتوح مصر» لابن عبد الحكم، ومنها ما هو متأخر ككتاب البيان لابن عذاري المراكشي الذي وجده يذكر أن عقبة في حملته قصد السوس الأدنى، أي: بلاد تامسنا والمصامدة حيث تصدى للمقاومة المحلية وقضى عليها، وكذلك فعل في سهل الحوز، واستولى فيه على نفيس وأغمات، وبعد ذلك أجاز إلى بلاد السوس لقتال من بها من صنهاجة اللثام كما يقول ابن خلدون، وإذا به يعطف على وجهة النظر الأخرى الغربية فيقول: «هذا إذن هو المسار العام لحملة عقبة على المغرب الأقصى كما تقدمه المصادر، ولئن كان المؤرخون قدامى ومحدثين لا يجمعون على محطات الحملة ومراحلها، فإن معظمهم يقبلون بوصولها إلى مشارف الصحراء الأطلسية»، ثم يقول: «بيد أن أحد الباحثين يرى أن عقبة غزا بالفعل

تلمسان، وربما نظم حملات على شمال المغرب الأقصى دون أن يتعداه»[1]. هكذا بهذه السهولة تشكك في عشرات المصادر القديمة نظرا لأن أحد الباحثين قال ما قال.

وعلى مثل هذه الوتيرة نجد كاتبا وأستاذا معاصرا واسع الشهرة هو الأستاذ عبد الله العروي في كتاب «مجمل تاريخ المغرب» يزيد في التقليل من أهمية حملة عقبة التاريخية ويسعى إلى التقليص من مجالها الجغرافي والعسكري، ويتبنى فقط وجهة النظر الاستشراقية ليقول مختصرا للأحداث: «استعاد عقبة ماموريته سنة 62هـ - 682م، فرجع مصمما العزم على إتمام الفتح، توغل في شمال شرق البلاد، واستولى على «لميس» ثم «باغاي» ثم تاهرت، وهنا تتضارب الأخبار: هل دخل المغرب الأقصى أم لا؟ لا شك أنه وصل إلى ناحية تلمسان، لكن نقرأ أنه لم يوقفه إلا البحر، نتساءل: أي بحر، المتوسط أم الأطلسي؟ ساق روبير برانشفيغ (1942 - 1947، ص108 - 155) أدلة لها وزنها على أن عقبة لم يتعد البحر المتوسط، إلا أن ليفي بروفنصال نشر مخطوطا لم يكن معروفا من قبل (1954، ص17 - 43) يشكك في النظرية المذكورة لا يستبعد أن يكون عقبة قد أرسل بعض السرايا إلى ما وراء نهر ملوية، لكن لا يوجد دليل قاطع على كونه استولى على المنطقة أصلا»[2].

ونترك التعليق على هذه الشنشنة التي نعرفها من أخزم كما يقول المثل العربي؛ لأنها تجافي كل منطق للبحث النزيه، وتتنكر لمئات المصادر والمراجع المعتمدة في القديم والحديث، وكلها مجمعة من حيث الجملة والتفصيل على أن حملة عقبة بن نافع قد دوخت المغرب كله، وانتهت في تخومه الجنوبية والشرقية إلى السوس الأقصى وأطراف من الصحراء الكبرى بالإضافة إلى ديار مصمودة وصنهاجة ودرعة وشمال المغرب بما فيه وليلي وطنجة وما حولها.

---

(1) معلمة المغرب (18/ 6102 - 6103).

(2) كتاب مجمل تاريخ المغرب لعبد الله العروي (ص110 - 111).

ولا أدل على ما نقوله من إجماع المصادر التاريخية على هذه الحقائق ابتداء من أقدم المصادر من تاريخ خليفة بن خياط المتوفى سنة 240هـ إلى عصرنا، ثم لا أدل على ذلك مما تشهد به الآثار المختلفة عن حملة عقبة في عامة المراكز التي تذكر المصادر أنه نزل بها، وهي شواهد صدق لا تقبل الرُّشا؛ إذ لا يعقل أن تبنى المساجد وتقام المشاهد باسم رجل في هذه المناطق المترامية من المغرب، وينسب إليه من الفضائل والكرامات ما لا حصر له، وهو في واقع الأمر لم تطأها له قدم، ولا أجلب عليها بخيل ولا رجل، ومن هنا يأتي تركيزنا في هذا المبحث على إبراز جوانب من آثار عقبة سواء كانت الآثار التي شهد إقامتها في اجتيازه في حملته أو التي بنيت باسمه تخليدا لذكراه ومحبة فيه.

ولست أعني هنا بالآثار الآثار المعنوية التي تمثلت في السرعة التي تمت بها الاستجابة للدعوة من لدن المغاربة في هذه الحملة إلى حد أن كثيرا من القبائل البربرية من صنهاجة وزناتة عوضاً عن أن تقاتل عقبةَ قاتلتْ معه كما قدمنا. وإنما أعني الآثار المادية التي لا سبيل إلى إنكار وجودها، وهذه الآثار في نظرنا كان لها عملها وصداها الشعبي في توارث الأجيال أخبار عقبة والصحابة الفاتحين إلى الحد الذي جعل بعض كتاب عصرنا من أهل المشرق ممن خفيت عليهم هذه الحقائق يعزو ما شاع لعقبة بن نافع من الصيت الذائع والذكر الحسن إلى أن عصبيته في بني فهر القرشيين هي السر في ذلك، فهذا مؤلف كتاب «دراسات في تاريخ الدولة العربية» الدكتور مصطفى أبو ضيف يقول في كتابه متحدثا عن عقبة بن نافع وما ناله من الشهرة في المغرب والمشرق، مقارنا بينه وبين الوالي الذي كان قد عزله وأساء عزله، وهو أبو المهاجر دينار من فضلاء التابعين، فيقول عن أبي المهاجر: «ومن الغريب أن هذا الوالي الجديد لا نجد له في المراجع التاريخية ذكرا يتناسب مع ما قام به من جليل الأعمال، بينما اهتم المؤرخون بعقبة وتتبعوا أعماله». ثم نقل الجواب المحتمل على هذا التساؤل عن مؤلف مشرقي هو الدكتور سعد زغلول عبد الحميد من كتابه «تاريخ

المغرب العربي»[1] فقال معللا للتنويه بعقبة: «ربما كان مرجع ذلك إلى أن الفهريين ـ يعني أهل عصبية عقبة بن نافع الفهري ـ من أقارب عقبة الذين كان لهم مركز ممتاز في مصر والمغرب والأندلس، وكان منهم رواة وإخباريون، وذلك رغم أن بني أبي المهاجر كان لهم مركزهم في المغرب، وكان منهم إخباريون أيضا، ولكنهم لا يرقون إلى مرتبة الفهريين»[2].

والواقع أنه ما كان ينبغي أن ينسب الفرق بين الرجلين اللذين استشهدا معا في موقعة «تهودا» على يد كسيلة وأتباعه لما ذكره الباحثان من العصبية الفهرية؛ إذ العصبية لا سبيل لها إلى تأسيس المساجد باسم عقبة في مواضع كثيرة من المغرب كان لعقبة وجود فيها، ولا سبيل لها أن تقيم في بلاد غانة الإفريقية مثلا اثني عشر مسجدا كلها تحمل اسم عقبة بن نافع كما ذكر الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله في كتاب الموسوعة المغربية[3].

وإنما يرجع الفرق بين الرجلين إلى عنصرين هامين لم يوضعا عندهما في الاعتبار:

1. أولهما: أن عقبة معدود من الصحابة الذين أدركوا الرسول ﷺ بالميلاد، وهذه فضيلة ليست لأبي المهاجر؛ لأنه تابعي باتفاق[4].
2. ثانيهما: أن عقبة صاحب مشروع فتح المغرب؛ لأنه شارك في جميع مراحله كما تقدم لنا، وليس كذلك أبو المهاجر.

---

(1) تاريخ المغرب العربي للدكتور سعد زغلول عبد الحميد (1/ 189).
(2) دراسات في تاريخ الدولة العربية للدكتور مصطفى أبو ضيف أحمد (ص367).
(3) الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية (2/ 135) نقلا عن أحمد بابا مؤرخ سونغاي مؤلف «الإسلام في إفريقيا»، نشر بباريس 1899م، (ص52).
(4) انظر رياض النفوس للمالكي (1/ 31).

ولذلك اتفقت المصادر على أنه الفاتح الأول للمغرب الأقصى، ومن التسليم بهذه الحقيقة أرخ له كل من أرخ للفتح، ابتداء من الفقيه عبد الملك بن حبيب (ت238هـ) في كتاب «التاريخ» له[1]، وكتاب التاريخ لخليفة بن خياط (ت240هـ)[2]، وانتهاء إلى من خصوا عقبة بالتأليف في سيرته كتبا مستقلة، ومنهم في المغرب العلامة الأستاذ عبدالله كنون في كتابه «عقبة بن نافع الفهري» ضمن سلسلة كتابه القيم «ذكريات مشاهير رجال المغرب».

ومنهم المحلل العسكري البارع الشيخ محمود شيت خطاب في كتابه في سيرة عقبة بن نافع، وهو مطبوع قديما كما ذكره العلامة خير الدين الزركلي في مستدركه على كتاب «الأعلام» له[3].

وقد استطاع محرّر ترجمة عقبة في كتاب «معلمة المغرب» من تأليف جماعة من الأساتذة الباحثين أن يتجاوز ما آلت إليه حملة عقبة وأصحابه لينظر في النتائج التي ترتبت عنها حين قال معقبا على خبر استشهاده: «وإذا كانت حملة عقبة على المغرب الأقصى قد آلت إلى فشل عسكري مؤقت، فلا ينبغي غض الطرف عن انعكاساتها الإيجابية، وخصوصا في المجال الديني، فقد نبهت السكان المحليين إلى عقيدة الفاتحين، وهيّأتهم لقبولها فيما بعد، لاسيما وأن عقبة عمد إلى بناء المساجد ببعض جهات البلاد (درعة والسوس الأقصى والحوز)»[4].

إن هذه الانعكاسات الإيجابية من مساجد وغيرها هي ما سميناه ثمرات الفتح، وهي أعظم دليل على ما أنجزه عقبة في حملته، وأوثق بينة للرد على الأطروحة الباردة

(1) كتاب التاريخ (ص 122).
(2) كتاب التاريخ لخليفة بن خياط (ص251).
(3) الأعلام: المستدرك (2/ 142).
(4) معلمة المغرب (18/ 6104).

التي تشكك في فتح عقبة للمغرب الأقصى وبلوغه إلى حيث بلغ، وتريد أن تقصر حملته على نواحي تلمسان ووادي ملوية دون حصول على نتيجة تذكر، ولتقرير هذه الحقيقة بهذه البيانات الشاخصة التي لا تقبل النقض نتوقف عند شواهد الآثار على صعيد الواقع والموصوفة في الوثائق المكتوبة في المصادر التاريخية من مساجد ومشاهد وآثار عمرانية أخرى تحمل اسم عقبة، إما لأنه أمر بإقامتها أو حضر ذلك، أو سماه الناس باسمه تعلقا بذكراه واعترافا له بالمنة والفضل. ونبدأ من آثار عقبة رضي الله عنه بما خلده الناس من ذكراه في محافظتهم على مصحفه الشريف نحو أحد عشر قرنا، وهو المسمى باسم «المصحف العقباني»، ونخصه بمبحث خاص.

المبحث السابع: مصحف عقبة أو «المصحف العقباني» ومحافظة أهل المغرب عليه

كان لعقبة بن نافع ﷺ مصحف شخصي تُـوُورث عنه، وكـان يـدعى «المـصحف العقباني» نسبة إليه، على غرار مصحف الجماعة المعروف بـ«المصحف العثمـاني» نسبة إلى ذي النورين عثمـان بن عفان ﷺ[1]. ويدل مـا تجمَّع عندي مـن معلومـات عنـه على أنه كان متعدد النسخ لظهور بعـض نـسخه بإفريقيـة وبعـضها بـالمغرب، ووصـل بعضها إلى عصرنا.

ولقد تحدثت الباحثة التونسية الأستاذة هند شلبي في كتابها «القـراءات بإفريقيـة مـن الفتح إلى منتصف القرن الخامس» عن مصحف منسوب لعقبة بـن نـافع بتـونس جـاء وصفه في فهرس المخطوطات المصورة بجامعة الدول العربية، وتعـرض لـه د.صـلاح الدين المنجد في كتابه عن تاريخ الخط العربي حيث جاء في الفهرس مـا يلي: «مـصحف شريف بقلم مغربي كتبـه حـديج بـن معاويـة بـن سـلمة الأنـصاري سـنة 47 بمدينـة القيروان، كتبه للأمير عقبة بن نافع الفهري في أوراقه تذهيب كثير»[2].

وقد ناقشت الباحثة هذه المعلومـات الواردة في الفهرسة وعند الدكتور صلاح الدين المنجـد واسـتبعدت أن يكـون التـاريخ المـذكور ـ وهـو سـنة 47هـ ـ صـحيحا، كمـا استبعدت أن يكون كتب بخط مغربي، ومستندها أن عقبة في هذا التاريخ لم يكـن واليـا على القيروان، وأن القيروان لم تؤسس بعد، فكيف تكون كتابته فيها لعقبـة؟! وذكـرت أن كلا من كاتب الفهرس والدكتور المنجد قد شـكَّا قبلهـا في هـذه المعطيـات، ومنهـا تذهيب المصحف ونوع الخط والألـوان المـستعملة فيـه، إلا أنهـا انتهـت إلى نـوع مـن

(1) انظر كتابنا «قراءة الإمـام نافع عند المغاربة» (1/ 61).
(2) أمـانة 44، 226 ق. 11 ـ 17سم.

التوفيق بين الاحتمالات بقولها: «لعل الإجابة الممكنة تتمثل في اعتبار المصحف الموجود اليوم ليس هو بعينه المصحف الذي كتبه حديج بن معاوية، إنما هو نسخة ثانية منه كتبت في فترة متأخرة..»، ثم ذكرت كيف نسب المصحف العثماني إلى عثمان وهو لم يكتبه بنفسه، وكيف وجدت مصاحف متعددة منسوبة إلى عثمان كتبت بخطوط متنوعة في أزمنة مختلفة، ثم قالت:«فلعل هذا هو الذي حدث بالنسبة إلى مصحف عقبة بن نافع، كتب بالقيروان بعد تأسيس عقبة لها، ولعله بقي بها مدة إلى أن جاء من انتسخ منه المصحف الموجود اليوم، ثم ضاع الأصل وبقيت النسخة الثانية شاهدة عليه»، ثم قالت الباحثة في النتيجة: «نرى إذن أن الشكوك كثيرة حول هذا المصحف، لكن ذلك لا يمنع من تسجيل وجوده بإفريقية في فترة متقدمة من تاريخ فتحها، وهذا المصحف وإن كان قد كتب لأمير الجيش العربي، فهو إذن مصحف شخصي، نتصور أنه ساعد على نشأة الوراقة المصحفية بإفريقية التي لم تتأخر كثيرا في الظهور على ما يبدو»(1).

ويظهر أن الباحثة لم تتمكن من الاطلاع على هذا المصحف، ولم تهتم بكونه مطابقا أو مخالفا لمرسوم المصحف الإمام العثماني، ولكن أستاذنا محمد المنوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو باحث متخصص في تاريخ المصاحف في المغرب، تعرض لذكر مصحف عقبة في أثناء حديث عام له عن المصاحف المغربية الخطية فقال: «ومن أقدم مصاحف الغرب الإسلامي التي تعتبر ذات صلة بالمصحف العثماني، المصحف المنسوب للصحابي الجليل عقبة ابن نافع فاتح المغرب، وهو منسوخ من المصحف العثماني مباشرة»(2).

(1) القراءات بإفريقية لهند شلبي (ص47 ـ 53).

(2) تاريخ المصحف العثماني في المغرب للمنوني، دعوة الحق: العدد 4 السنة 22، يونيو ـ يوليوز 1981م (ص1)، وكذا العدد 2: 1968م (ص71).

وهذه المعلومات عن المصحف العقباني مذكورة عند أبي القاسم الزياني الذي أشار إليه الأستاذ المنوني في بحثه.

لكني وقفت عليها بشيء من التفصيل عند العلامة محمد المشرفي في كتاب «الحلل البهية» تحت عنوان «إرسال هدية إلى الحرمين الشريفين» وذلك في حديثه عن مآثر المولى عبد الله بن المولى إسماعيل العلوي حيث قال: «وفي سنة خمس وخمسين ومائة وألف، بعث مولاي عبد الله - هذا - إلى الحرمين الشريفين هدية نفيسة فيها ثلاثة وعشرون مصحفا بين كبير وصغير محلاة بالذهب، ومرصعة بالدر والياقوت، ومن جملتها المصحف الكبير العقباني الذي كان الملوك يتوارثونه بعد المصحف العثماني الذي كان عند بني أمية بالأندلس، وانتقل إلى هذه العدوة على يد عبد المومن بن علي». قال: «وأما المصحف العقباني فهو مصحف عقبة بن نافع الفهري الصحابي المشهور فاتح المغرب، كان نسخه بالقيروان من المصحف العثماني على ما قيل، وبقي متداولا بين أهل المغرب إلى أن وقع بيد الأشراف السعديين، وأخذ فيه المنصور العهد لولده الشيخ على إخوته. ولما وصل إلى هذا السلطان - يعني المولى عبد الله رحمه الله - غرَّبه عن المغرب إلى الحرم الشريف، فعاد به الدر إلى وطنه، والإبريز إلى معدنه»[1].

وما أشار إليه في النص من أخذ أحمد المنصور السعدي للعهد على أولاده لأخيهم محمد الشيخ في المصحف العقباني أرخه العلامة محمد الصغير الإفراني في كتابه «نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي» تحت عنوان «ذكر الخبر عن تجديد المنصور البيعة لولده»، ثم قال: «وفي شوال عام 992هـ جدّد المنصور البيعة لولده ولي عهده محمد الشيخ الملقب بـ«المأمون» على إخوته خصوصا؛ لأنهم كانوا في البيعة الأولى قبل البلوغ...»، قال: «وباشر المنصور البيعة له بنفسه، وحضر الأعيان وأهل الحل والعقد،

---

(1) الحلل البهية للمشرفي (2/ 9).

وأحضر المصحف الكريم الذي هو مصحف عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه وهو من ذخائر الخلفاء، وأحضر الصحيحين البخاري ومسلم، وقرئ ظهير البيعة»[1].

وغني عن التعليق ما يتضمنه أخذ البيعة أو تجديدها على أولاد المنصور الذهبي بإحضار مصحف عقبة بالذات والتنويه بأنه مصحف الصحابي من عميق الدلالة على مكانة عقبة في نفوس العامة والخاصة، ومكانة مصحفه أيضا بالقياس إلى غيره مع القيمة التاريخية التي اكتسبها بالعتاقة والنسخة الفريدة كما دل على ذلك قوله: «وهو من ذخائر الخلفاء»، إلا أنه للأسف إنما بقي في المغرب بعد هذا بضعا وستين ومائة عام، ثم أهداه المولى عبد الله العلوي إلى الحرم الشريف فعاد الإبريز إلى معدنه كما عبر عنه كل من الزياني والمشرفي.

(1) نزهة الحادي (ص175).

المبحث الثامن: المساجد والرباطات التي تحمل اسم عقبة والآثار الباقية من ثمرات حملته

ارتبطت بحركة عقبة في الفتح حركة أقوى منها في جانب الدعوة تجسدت في الاستجابة السريعة لأهل المغرب للدخول في الإسلام واستقبال الفاتحين والرغبة في التعلم منهم والاقتداء بهم والتماس البركة من آثارهم، وكان عقبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيثما نزل في حركته أسس مسجدا أو رباطا يتخذه مركزا لتعليم أهل البلاد ومنطلقا لإتمام الفتح وتبليغ الدعوة، وذلك ـ ولا شك ـ كان يقتضي أنه كان يترك في كل مسجد أو رباط أقامه بعض رجاله ممن يقوم بهذه المهام. وقد تفاوتت المساجد والرباطات التي أقامها أو أقيمت باسمه في الأهمية والشهرة، ولكن المتتبع لمسار عقبة في هذه الحملة نحو المغرب الأقصى إلى تخوم السوس وأطراف الصحراء يجد له في المصادر ذكرا وحضورا بارزا في أهم المناطق التي مر منها. ولا يتسع لنا المجال في هذا العرض لاستيفاء الحديث عن تلك المساجد والرباطات وأدوارها التي قامت بها في ترسيخ آثار الفتح، ودور بعضها الذي ما تزال آثاره قائمة وماثلة إلى اليوم كرباط شاكر مثلا؛ ولذلك فلنقتصر هنا على ذكر مواقع هذه المنشآت التي تحمل اسم عقبة مع الإشارة إلى المصادر التي ذكرتها، ونستهل ذكر هذه المساجد ذات الأثر البارز بمسجده الأول الذي أسسه في مدينة القيروان، والذي ما يزال يحمل اسم «مسجد عقبة» أو «جامع عقبة» إلى اليوم.

❁ جامع عقبة في القيروان:

أسس عقبة هذا المسجد عند تخطيط مدينة القيروان، وأقام قبلته بمحضر عدد وفير من فقهاء الصحابة والتابعين، وقد جدّده عدد من الولاة الذين جاؤوا بعده، ولكنهم

في كل مرة ظلوا يحتفظون بمحرابه على الوضع الذي وضعه عليه عقبة تبركا بـه كمـا ذكر ذلك صاحب «الاستبصار في عجائب الأمصار»[1].

وقد خلّد عملَ عقبة هذا في هذا المسجد ومـا اقترن بإنشائه من كرامـات أحـد أكـابر علمـاء القيروان، وهو أبو إسحاق السبائي (ت356 هـ) في قـصيدة طويلـة في مقاومـة الروافض العبيديين والثناء على الصحابة الكرام، ذكرها له المـالكي بتمـامها في «رياض النفوس» في ترجمته، ومـمـا قال فيها مـمـا يهمنا قوله:

فهـــل للقـــيروان وســاكنيها ... عـــديل حـــين يفتخـــر الفخـــور
عـــراق الـــشرق بغـــداد وهـــذي ... عـــراق الغـــرب بينهمـــا كثـــير
ولـــست أقـــيس بغـــداداً إليهـــا ... وكيـــف تقـــاس بالـــسنة الـــشهور
بـــلادٌ تقـــصف العظمـــاء قـــصفا ... إذا مـــا رامهـــا مـــنهم غـــدور
بـــلاد خطهـــا أصـــحاب بـــدر ... وتلـــك اخـــتط ســـاحتها أمـــير
بناهـــا «المـــستجاب»وقـــد دعا في ... جوانبهـــــا دعاء لا يبـــــور
بناهـــا كل بـــــدري كـــــريم ... كـــأن صـــفاح أوجههـــم بُـــدور
هـــمُ صـــلوا بمـــسجدها بَراحـــا ... ولـــيس له جـــدار مـــستدير
وهـــم وضـــعوا له أُسُـــساً وساســـاً ... فقُدِّســـت المواضـــع والـــصخور
وقـــادهم الأذان إليـــه حـــتى ... أضـــاء لهـــم مـــن المحـــراب نـــور
ولـــم يـــسبقهمُ ملـــك ظلـــوم ... لتأســـيسٍ ولا ملـــكٌ كَفـــور
وأصـــحاب النـــبي له بُنـــاة ... فـــلا عـــصيان فيـــه ولا فُجـــور
أقـــاموا شـــطر قبلتنـــا ســـويا ... إلى البيـــت العتيـــق فلـــم يجـــوروا

---

(1) انظر الاستبصار (ص 114).

وإنَّ عِراصَـــــه لمُقَدَّســـــات مباركـــــة وتربتُـــــه طَهـــــور
بهـــا حِلَـــق العلـــوم لهـــا دوي يجاوبُهـــا الكتـــاب المـــستنير

إلى أن يقول:

وإنـــا بعـــدُ في خـــوف وأمـــن نحـــبُّ إذا تـــشَعَّثت الأمـــور
رســـولَ الله والـــصديقَ حُبّـــاً بـــه تُـــزجى الـــسعادة والحُبـــور
وبعدهمـــا نحـــبُّ القـــومَ طُـــرّاً ومـــا اختلفـــوا فـــربُّهمُ غفـــور

❀ مسجد سيدي عقبة بموضع استشهاده.

وهذا المسجد إنما أقيم بعده، ولكنه أقيم بسببه وتخليدا لذكراه، وقد تقدمت إشارة ابن خلدون إليه، وقوله عند ذكره لأحداث الصحابة هناك: «واتُّخذ على المكان مسجد عرف باسم عقبة، وهو في عداد المزارات ومظان البركات، بل هو أشرف مزور من الأجداث في بقاع الأرض؛ لما توفر فيه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين..»(1).

ومسجد عقبة اليوم مسجد حافل في قرية تحمل اسم «سيدي عقبة»، ومسجدها المذكور مسجد فخم تتسع قاعته لستة آلاف من المصلين، وبجواره مدرسة قرآنية عامرة وداخلية ومكتبة وقاعة للمحاضرات، وهو تابع لولاية بسكرة الجزائرية، يبعد عنها بـ18كلم إلى الجنوب الشرقي.

❀ قلعة ومسجد بنواحي فاس من بناء عقبة

قال صاحب «الاستبصار» عند ذكر ضواحي مدينة فاس: «وبالقرب منها أيضا قلعة يقال لها «قلعة زيد»، فيها مسجد يقال: إن عقبة بن نافع بناها»(2).

---

(1) انظر نقله عند الناصري في الاستقصا (1/ 83).
(2) الاستبصار (ص185 ـ 186).

❁ مسجد نفيس ورباطه بأحواز مراكش

قال في «الاستبصار»: «وهي مدينة أزلية غزاها عقبة بن نافع رَحِمَهُ ٱللَّهُ وحاصرها وبنى فيها مسجدا، وهو معروف بها إلى اليوم». يعني في المائة السابعة[1]. ومثله في كتاب الأنساب لابن عبد الحليم[2]، وفي البيان المغرب لابن عذاري[3]. وفي كتاب التشوف للتادلي ذكر لهذا الرباط وقصص وكرامات مرتبطة به ذكرها[4].

❁ مسجد إيجلي بالسوس

قال في «الاستبصار»: «وإيجلي قاعدة بلاد السوس»، وذكر وصول عقبة إليها عند دخوله في الفتح[5]. وذكر ابن عذاري مثل ذلك في البيان المغرب وقال: «وسار حتى نزل «إيجلي» بالسوس وبنى فيه مسجدا»[6].

❁ مسجد وَلاَتة بموريتانيا

ومما يؤكد توغل حملة عقبة في الفتح في الصحراء المغربية وعدم وقوفه في حدود السوس الأقصى ما نقله الأستاذ الموريتاني الخليل النحوي في كتابه القيم «بلاد شنقيط ـ المنارة والرباط» إذ قال في حديثه عن وصول الإسلام إلى الصحراء: «وتقول بعض الروايات: إن عقبة بن نافع واصل سيره حتى وصل «ولاَتة». قال الشيخ سيدي محمد

---

(1) الاستبصار (ص108).

(2) الأنساب (ص88).

(3) البيان المعرب (1/ 27).

(4) التشوف إلى رجال التصوف (ص314 ـ 315).

(5) الاستبصار (ص212).

(6) البيان المغرب (1/ 27).

ابن الشيخ سيدي المختار (ت1244هـ): وخلّف عقبة ابنه العاقب بـ «سير» أو «بيرو» المدعوة الآن «وَلاَتَة»، وقبره بصحن مسجدها الذي هو بانيه»[1].

❁ **مسجد عقبة في ماسة بسوس ورباط ماسة.**

وقد نوّه بهذا المسجد من المصادر العتيقة المالكي في رياض النفوس فقال في حديثه عن حملة عقبة: «فسار حتى نزل بماسة بمكان من السوس الأقصى فبنى فيه مسجدا»[2].

وقال صاحب الاستبصار: «وعلى مصب هذا الوادي - يعني وادي ماسة - رباط مقصود له موسم عظيم ومجتمع جليل، وهو مأوى الصالحين»[3].

❁ **مسجد عقبة بوادي درعة والقرية المسماة باسم عقبة.**

قال ابن عبد الحليم في كتاب الأنساب: «والذي صح أنه حضر لبنيانه عقبة: «مسجد القيروان» و«مسجد درعة» ومسجد بوادي سوس، وأما غير ذلك فالله أعلم بحقيقته»[4].

ونقل ابن عذاري هذا النص سماعا من ابن عبد الحليم فقال: «أخبرني الشيخ الصالح أبو علي صالح بن أبي صالح أنه لم يصح عنده أن عقبة ﷺ حضر بنيان شيء من المساجد بالمغرب، إلا مسجد القيروان، ومسجدا بدرعة، ومسجدا بالسوس

---

(1) بلاد شنقيط - المنارة والرباط (ص30)، نقلا عن الشيخ سيدي محمد الكنتي في «الرسالة الغلاوية» (مخطوط).

(2) رياض النفوس (1/ 40).

(3) الاستبصار (ص212)، وانظر كتاب المغرب للصديق بن العربي (ص156).

(4) الأنساب (ص88).

الأقصى، وأما غير ذلك من المساجد المسماة باسمه فإن الناس - والله أعلم - بنوها بموضع نزوله»[1].

ونقل المراكشي في الإعلام عن رحلة أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي - وهي من جمع ولده - أنه «لما تكلم على ضريح عقبة قال: «ويقال إنه بلغ إلى أقصى المغرب، وبلغ وادي درعة، وإليه تنسب القرية المدعوة «عقبة» بخميس تنزلين»[2].

❁ رباط عقبة بقبيلة هسكورة.

ذكره ابن عبد الحليم في كتاب الأنساب في سياق ذكره لنسب هسكورة من قبائل مصمودة فقال: «وذُكر أن عقبة بن نافع لما وصل إلى بلاد هسكورة سأل عن أميرهم، فقالوا له: رجل يقال له حُرما بن توطس، فأرسل إليه فأخذ منه عقبة جزيته، وقال: هذه حرمة بيني وبينكم أو تدخلوا في الإسلام، فدخلوا فيه من غير قتال بينه وبينهم»، قال: «وكان اجتماع عقبة مع هسكورة بـ «إيمونتمدا»؛ ولذلك جعلوه رباطا إلى الآن، ويطلبون فيه حوائجهم، وظهرت لهم بركة ذلك الموضع»[3]. قال ابن عبد الحليم: «وهم الذين ترك عندهم عقبة اثني عشر رجلا من المرضى كانوا في عسكره حين جاز إلى سوس، ونزل رجل آخر منهم من أهل تاساوت في وادي نفيس ببلد هزميرة»[4].

❁ رباط شاكر ومسجده على ضفة تانسيفت بإقليم آسفي وبلاد أحمر:

هو أشهر رباط إلى اليوم، ويجري في وقتنا توسيعه وبناء مسجده وإنشاء قرية سياحية عنده ومشروع فلاحي، بعد أن بني سد مائي باسمه، وهو «سد سيدي شيكر»،

---

(1) البيان المغرب (1/ 27).

(2) الإعلام (9/ 313 - 314).

(3) الأنساب (ص56 - 57).

(4) نفسه (ص57).

وهكذا ينطق بإمالة ألفه، كما تقيم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عنده موسما سنويا في أواخر شهر رمضان، وحولته مؤخرا إلى لقاء دولي للطرق الصوفية يفدون عليه من مختلف الجهات والأقطار.

وقد ذكره ابن الزيات في كتاب «التشوف» في اثني عشر موضعا من تراجمه، ونوه بمن كان يغشاه أو يصلي في مسجده ليلة سبع وعشرين أو يعظ الناس على منبره. ولما ذكر أحوال الصالحين في أول كتابه قال: «ومنها سفرهم في كل رمضان إلى «رباط شاكر» الذي ذُكر أنه كان من أصحاب عقبة بن نافع الفهري، وأنه مات هناك، وأن يعلى بن مصلين الرجراجي بناه، وكان يقاتل كفار برغواطة وغزاهم مرات، وأن طبله هو الباقي هناك إلى الآن، والله أعلم»[1].

وقال ابن الزيات في كتابه: «وحدثني أبو عبد الله محمد بن خالص الأنصاري قال: رأيت منية الدكالية في «رباط شاكر» فصليت بها ـ يعني إماما ـ في جماعة من المريدين، وانصرفت عنهم، فأخبرني بعض من تحدث معها من المريدين أنها قالت: حضر هذا العام بهذا الرباط ألف امرأة من الأولياء»[2].

وذكره أبو علي اليوسي فقال في كتاب «المحاضرات» متحدثا عن الرباطات: «ومنها رباط شاكر، وهو مشهور، وكان مجمعا للصالحين من قديم، ولا سيما في رمضان، يفدون إليه من كل أوب»[3]. ثم نقل ما ذكره صاحب «التشوف» عن شاكر وما يُذكر من كونه من أصحاب عقبة، وذكر نقلا عنه مقالة منية الدكالية في حضور ألف امرأة

---

(1) التشوف (ص51 ـ 52).

(2) نفسه (ص316).

(3) المحاضرات (ص45).

من الأولياء في رباط شاكر في رمضان، وقال اليوسي: «فانظر إلى عدد النساء، فكيف بالرجال! فلا شك أن هذا الموضع موضع بركة ومجمع خير»(1).

ذلك هو رباط شاكر، وفيه مسجده المنسوب إليه، وعنده ضريحه الذي بناه يعلى بن مصلين الرجراجي كما قال ابن الزيات في «التشوف»، وتلك هي صلته بعقبة بن نافع التي تتفق عليها المصادر، وأنه كان من أصحاب عقبة. وأما ما وراء ذلك من شخصيته فقد تعاورته الأقوال المتضاربة.

فهذا ابن الزيات في «التشوف» ذكره في اثني عشر موضعا من كتابه باسمه المجرد، وفي أول ذكر لرباطه عرّف بشاكر فقال كما تقدم: «الذي ذُكر أنه كان من أصحاب عقبة بن نافع الفهري، وأنه مات هناك، وأن يعلى بن مصلين الرجراجي بناه»، فاكتفى بذكر اسمه المجرد وموته هنالك وبناء يعلى الرجراجي لرباطه، ولم يذكر أية صلة قرابة له بيعلى بن مصلين الرجراجي المذكور، بينما تجعله الروايات الشعبية المتداولة عند الرجراجيين والمدافعين عن صحبتهم للرسول ﷺ ولدا ليعلى بن مصلين الرجراجي المذكور، وتعدُّ يعلى الرجراجي هذا واحدا من رجال رجراجة السبعة الذين وفدوا على النبي ﷺ إلى مكة قبل الهجرة النبوية فبايعوه على الإسلام، وأن فاطمة الزهراء رضي الله عنها هي السبب في تسميتهم باسم «رجراجة» في قصة ذكرها الشيخ عبد الله بن محمد بن البشير الرجراجي في كتابه «السيف المسلول فيمن أنكر على الرجراجيين صحبة الرسول»(2).

فبمقتضى هذه الدعوى يكون شاكر بن يعلى صاحب عقبة بن نافع رجلا من أبناء رجراجة المقول بصحبتهم القديمة للرسول ﷺ قبل وصول عقبة إلى المغرب ببضع

---

(1) المحاضرات (ص45).

(2) انظر السيف المسلول (ص28 ـ 29).

وسبعين سنة. وقد كنت جمعت الكثير من الأدلة القاطعة على تهافت هـذه الأطروحـة، ثم رأيت كثرة اللغط حولها إثباتا ونفيا ككثير مـمـا أورده العلامـة الكـانوني في كتـاب «الياقوتة الوهاجة» ومـا حشده صاحب «السيف المسلول» وسوى ذلك كثير مـمـا لا يتسع له هذا العرض، فأعرضت عن الدخول في هذه المتاهة، لا سيمـا وأن رجراجة قد انتهوا من تقرير الدعوى، وحصلوا بناء عليها عـلى الظهـائر الـشريفة منـذ أيـام المـولى إسمـاعيل، وعلى أساس تلك الدعوى يقيمون مواسمهم السنوية منذ العهـد المرينـي، كمـا أنهم يقبضون رمز الخدمة لزوايا رجراجـة، وهـو عبـارة عـن شـاة مـن الغـنم أو قيمتها، ويتولون جبايتها في أول أشهر الصيف إلى اليوم من جميع بلاد الـشياظمة، وقـد وردوا على منزلنا ببادية الصويرة مرات لا أحصيها، وحضرت ذلك يـوم كـان والـدي وجدّي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ مستوطنين هناك. ويكفي في تهافت الدعاوى في رجال رجراجـة مـن الصحابة المزعومين أن أسمـاءهم وأسمـاء آبائهم إلى الرابـع أو الخـامس مـن سلـسلة أنسابهم كلها أسمـاء عربية وإسـلامية، فباسـتثناء رئيـسهم الـذي يـسمى «واسـمين» ويكنى بـ «أبي محمد» ـ وهو أمر عجيب ـ نجد الآخـرين يحملـون أسمـاء لا يعقـل أن تكون هي أسمـاءهم وهم مع ذلك من بربر مصمودة أو من ذرية حواريي عيـسى بـن مريم الذين جاءوا من الأندلس قبل الإسلام كمـا يقرره صاحب «الـسيف المـسلول»، فباقي أسمـائهم هـي: أبـو بكـر الـشمـاس، وولـده صـالح بـن أبي بكـر، وعبـد الله الشمـاس، وعيسى بوخابية، وسعيد بن يبقى المعروف بالسابق، وأخيرا يعلى بن واصل أو ابن مصلين. وفي سلاسل آبائهم أيضا نحو عشرين اسمـا كلها عربية، فرئيسهم مثلا هو: واسمين بن يعزى بن مهدي بـن إسمـاعيل بـن مـروان بـن علقمـة. وأبـو بكـر الشمـاس هو: أبو بكر بن عكرمة بن عتيق بن أبي خالد بن أمج. ويعلى الذي يذكر أنـه والد شاكر هو: ابن مصلين أو واصل بن طلحة بن إسمـاعيل بن مـروان بـن علقمـة. وهكذا.

فأين هذه الأسماء من أسماء رجال مصمودة كما نجدها مثلا في القرن السادس عند البيذق في كتاب «الأنساب في معرفة الأصحاب»؟![1].

فإذا أضفنا إلى هذا أن يعلى بن مصلين الذي بنى «رباط شاكر» بناه بموضع شاكر أو بموضع عقبة، فمعنى هذا أنه عاش إلى عهد دخول عقبة إلى المغرب سنة72هـ أو 73هـ، في حين أن كونه من رجال رجراجة السبعة الذين هم من الصحابة الكرام يقتضي أنه كان قبل هجرته عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى المدينة في سن الرجال، وأقل ذلك أن يكون قادرا على شد الرحال إليه رفقة أصحابه، فإذا قدرنا أنه يومئذ في نحو العشرين، فإنه يكون عند دخول عقبة بعد الهجرة بأكثر من سبعين سنة، وصحبة ولده شاكر له، إذ ذاك يكون قد شارف المائة سنة، وهذه السن لا تتناسب مع ما يذكر عنه من جهاد برغواطة، لا سيما وأنهم لم يظهروا بنحلتهم في تامسنا على يد صالح بن طريف البرغواطي إلا في القرن الهجري الثاني.

وفي كتاب «القبلة» لابن عبد الحليم صاحب كتاب الأنساب ـ وهو كتاب ما يزال مخطوطا[2] ـ ما ينسف صحبة يعلى بن مصلين من أساسها؛ إذ يجعله ما ذكره من محاربته لبرغواطة متأخرا عن زمن عقبة وشاكر بنحو ثلاثة قرون، وقد نقل عنه الأستاذ أحمد التوفيق في تعليق له على اسم يعلى بن مصلين عند ذكر المتقدم في كتاب التشوف فقال:«يعلى بن مصلين هو ثالث ثلاثة انتدبهم شيخهم أبو محمد بن تيسييت بأغمات لقتال برغواطة، فقتل الأول، وهو داود بن يمقول من صنهاجة، فقدم تلامذة الشيخ لقيادتهم يحيى بن ويدفا الصادي حتى قتل، فقدموا يعلى بن مصلين هذا، وهو ركراكي،

---

(1) انظر كتاب المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب لأبي بكر بن علي الصنهاجي المعروف بـ«البيذق» (ص43 ـ 55).

(2) منه نسخة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ق 985.

وهو الذي بنى مسجد «رباط شاكر»، وكان ذلك في قرابة نهاية المائة الرابعة للهجرة»[1].

فإذا صح هذا تبين أن يعلى بن مصلين ليس والدا لشاكر، ويترتب على تأخره عن زمنه أنه لا يعقل كونه من الصحابة أو رجال رجراجة السبعة، ولعله لهذه العلة وغيرها لم يذكر له ابن الزيات صلة بشاكر إلا من جهة بنائه لرباطه، بل زاد على ذلك أنه على كثرة من ذكر من الرجراجيين في «التشوف» لم يترجم ليعلى بن مصلين ولا لأحد من رجال رجراجة الباقين، مع أنه كان من أعرف الناس بأخبارهم بحكم مخالطته المحلية لهم؛ إذ كان قاضيا ببلاد رجراجة، وبها كانت وفاته كما قال العلامة الكانوني في «جواهر الكمال»: «قاضيا ببلاد رجراجة سنة سبع أو ثمان وعشرين وستمائة رحمه الله»[2].

وفي مقابل الأطروحة الرجراجية وصحبة رجال رجراجة السبعة المزعومة التي تحدثنا عن تهافت مستنداتها تهمنا بالذات الأطروحة المقابلة التي نجدها أكثر مقاربة للحقيقة التاريخية، وإن كان بعض الباحثين أسرف فيها حتى جعل شاكرا في عداد الصحابة الكرام، بل وجعله من رجال رجراجة السبعة أيضا.

وتنطلق الأطروحة أولا باعتبار كون شاكر عربي الأرومة وممن دخل المغرب في صحبة عقبة، أما اسمه ونسبه فهو شاكر بن عبد الله الأزدي، ومعناه أنه منسوب إلى الأزد القبيلة اليمنية الكبيرة التي يرجع إليها نسب أنصار النبي ﷺ من الأوس والخزرج بالمدينة المنورة.

---

(1) انظر التشوف (ص52) رقم التعليق 36، وكتاب القبلة لابن عبد الحليم ـ مخطوط الخزانة العامة بالرباط في مجموع برقم ق 985.

(2) جواهر الكمال (ص106 ـ 107).

وأما صلته بعقبة فيظهر أنها كانت متقدمة في الزمن عن عهد دخول عقبة في هذه الحملة السريعة، ويستفاد ذلك من وصفه الشائع في المصادر بكونه «من أصحاب عقبة»، ومن مثل قول ابن عذاري في البيان المغرب متحدثا عن مراحل حملة عقبة: «ثم إلى موضع شاكر، وترك به صاحبه شاكرا فسمي باسمه»[1]. ومثله في كتاب الأنساب لابن عبد الحليم[2].

ويظهر أن هذا هو القدر الذي يكون محل اشتراك في شأن صلة شاكر بعقبة، لكننا نجد العلامة محمد الكانوني العبدي في «جواهر الكمال» يخطو بهذه الأطروحة خطوة أخرى إلى الأمام في اتجاه احتمال كون شاكر نفسه صحابيا، وذلك حيث يقول في كتابه «جواهر الكمال» بعد أن ذكر قول ابن خلدون السابق: «إن عقبة مات معه عند رجوعه من المغرب زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين»، قال الكانوني استنتاجا مما ذكره: «فإذا ثبت أنه من أصحاب عقبة بشهادة التاريخ، وثبت أيضا أنه كان مع عقبة عدد كبير من الصحابة، ثبت بذلك أن السيد شاكرا ـ إن لم نقل باحتمال صحبته ـ فهو تابعي بلا مرية؛ لأنه لا يتصور عادة أن يصحبه جيش واحد من أدنى المغرب إلى أقصاه ولا يجتمع بواحد منهم، هذا ما لا يعتقده ذو عقل سليم»[3].

وقد نحا هذا المنحى أيضا الشيخ عبد الحي الكتاني في كتاب ألفه عن شاكر ورباطه، ذكره الرجراجي في «السيف المسلول»[4]، كما سلك ذلك في بحث له نشره بمجلة المغرب (يونيو ـ يوليوز 1936م) تحت عنوان: «أشرف بقعة وأقدس بناحية مراكش»[5].

---

(1) البيان المغرب (ص27).
(2) الأنساب (ص89).
(3) جواهر الكمال (2/ 96).
(4) انظر السيف المسلول (ص37 ـ 38).
(5) انظر الهامش رقم 34 من تحقيق كتاب «التشوف» للأستاذ أحمد التوفيق (ص51).

ثم يأتي من الباحثين المؤرخين المعاصرين الدكتور عبد الهادي التازي فيقرر أن شاكرا صاحب الرباط صحابي تام الصحبة، وذلك في كتابه الذي نشره قبل أقل من خمس سنوات تحت عنوان «رحلة الرحلات: مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة»، فقد قال في بدايته:«وتعود مرويات التاريخ المغربي إلى أول وفادة توجهت منذ الأيام الأولى لظهور نبي الإسلام إلى مكة المكرمة للاجتماع به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يهاجر إلى المدينة المنورة، ويتعلق الأمر بجماعة تتألف من سبعة رجال من قبيلة رجراجة أشرف قبائل مصمودة كان شاكر بن يعلى بن واصل على رأسها، وعن طريق الوفادة سمعت بلاد المغرب بالإسلام أول الأمر على ما ذكره أبو عبد الله محمد بن سعيد المرغيثي السوسي المتوفى سنة 1089هـ ـ 1672م»[1].

وهكذا يعيدنا الدكتور التازي إلى الأطروحة الرجراجية، ولكن بنبض جديد أقوى من اعتباره صاحبا فقط لعقبة، بل بوصفه أحد رجال رجراجة السبعة، وذلك ما لم يقله رجراجة في شيء مما كتب عن شاكر وعنهم.

ومهما يكن فإن مصدر كل هذه الهالة الهائلة التي تحيط بـ«رباط شاكر» وصاحبه إنما هو باعتباره من أصحاب عقبة بن نافع فاتح المغرب؛ إذ لو كانت أطروحة صحبة رجراجة هي أساس ما له من هالة وما أصابه قديما وحديثا إلى يومنا هذا من موصول العناية، لكان كبار رجال رجراجة السبعة أحق بذلك منه، أو على الأقل لكان أبوه المزعوم يعلى بن مصلين أولى بأن يصرف إليه ما يصرف إلى ولده.

وحتى العناية به في إطارها الرسمي اليوم إنما تقوم على اعتبار صحبته لعقبة بن نافع رضي الله عنه، وهكذا تقدمه وسائل الإعلام من خلال التغطية الإعلامية التي تصاحب مهرجانه الصوفي الرمضاني كل عام برباط شاكر المعروف.

(1) انظر رحلة الرحلات: مقدمة الجزء الأول، نشر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي: 1426هـ 2005م.

❁ مسجد عقبة برباط أكوز المنسوب إلى رجراجة بضواحي آسفي.

وصف صاحب «الاستبصار» هذا الرباط بقوله: «من بلد رجراجة، وهو من آخر مراسي سواحل المغرب مما يقرب من بحر المحيط»[1].

أما صلة هذا الرباط بعقبة فتحدث عنها غير واحد، ومنهم العلامة عبد الكبير بن عبد الكريم الشاوي في كتابه «العيون المرضية في ذكر مفاخر الطائفة الرجراجية»، وقد أورد خبره في سياق الدفاع عن صحبة رجال رجراجة السبعة للرسول ﷺ، وذكر أنه «لما قدم عقبة بن نافع الصحابي إلى فتح المغرب، وصل إلى بلاد رجراجة، فوجدهم مسلمين موحدين، يعبدون الله مجتهدين في الدين، فبنى لهم مسجدا في ساحل حربلة يسمى بـ «أكوز»»[2].

❁ موضع وقوف عقبة في أسفي ورمزيته عند الآسفيين.

لا يُعرف بالتعيين الموضع الذي وقف فيه عقبة حين وصل إلى مدينة آسفي التاريخية، ولكن كتب التاريخ تشير باتفاق إلى وقوفه على ساحلها ـ كما تقدم ـ وتوجهه إلى الله معتذرا بحيلولة لجج البحر بينه وبين المضي في الفتح. يقول العلامة الكانوني العبدي في كتابه «علائق آسفي ومنطقتها بملوك المغرب» ناقلا عن مصادر ذكرها: «ثم إن عقبة لما قضى هذا الغرض، ونادى به الحق المفترَض، وأسلم على يديه العباد، وتشرَّفت بمقدمه هذه البقاع والبلاد، ولم يبق له فيها منازع، ولا معاند ولا مدافع، وهمَّ

---

(1) الاستبصار (ص207).

(2) نقله الرجراجي في السيف المسلول (ص48)، ومحمد السعيدي الرجراجي في كتابه «رجراجة وتاريخ المغرب» (ص16ـ 17)، ويقارن بما ذكره د. حسن جلاب في كتابه الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب (ص6 ـ 12).

بالانصراف، قصد بحر بلاد آسفي كما للشطيبي في «الجمان» والورتيلاني في رحلته «نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار» وغيرهما، فأدخل قوائم فرسه في البحر ووقف ساعة...» وذكر الكانوني نحوا مما تقدم من دعائه واعتذاره إلى ربه عز وجل[1]. وذكر مثل هذا في كتابه «جواهر الكمال»[2]، ومثله في الاستقصا للناصري[3].

وقد اعتنى الآسفيون بهذا الخبر عن وقوف عقبة على ساحل آسفي، واعتبروه من فضائل هذه المدينة، وترجم محمد الكانوني العبدي لعقبة في «جواهر الكمال» وغيره من كتبه باعتباره من أعيان الأعلام الذين ينتمون إلى آسفي بالحلول في بعض سواحلها، كما تميّز سكان آسفي بإطلاق اسم عقبة على عدد من المؤسسات إحياء لذكراه وتنويها بصلته بالجهة، ومن ذلك تسمية مستشفاها القديم بـ «مستشفى عقبة ابن نافع»، وإطلاق اسم عقبة على عدد من المدارس الرسمية والخصوصية. على أن إطلاق اسم عقبة على مثل هذه المؤسسات أمر مشترك بين الحواضر المغربية مثل الدار البيضاء والرباط والقنيطرة ووجدة وغيرها، ومن الطريف أن إحدى المدارس الابتدائية في القنيطرة تسمى «مدرسة عقبة» وكان مديرها أيضا يسمى «عقبة»، وربما تقاعد الآن. وأطرف من هذا أني وجدت أحد شيوخ الإمام أبي القاسم بن جبارة الهذلي(ت465هـ) صاحب كتاب الكامل في القراءات يسمى «عقبة المستجاب»، وهو من قراء بسكرة القريبة من قرية سيدي عقبة التي فيها ضريح «عقبة المستجاب» بالجزائر. ذكر ذلك الحافظ ابن الجزري في كتاب غاية النهاية في طبقات القراء[4].

---

(1) علائق آسفي (ص7 ـ 8).

(2) جواهر الكمال (2/ 36).

(3) الاستقصا (1/ 82).

(4) انظر غاية النهاية (2/ 398 ـ 400) ترجمة رقم 3929.

ومن دلائل شغف الآسفيين بالصحابة الكرام والتعلق بآثارهم هذا الحديث الذي رواه الصحابي الوحيد الذي ذكروا أنه دخل بلاد الأندلس عند فتحها، وهو المعروف باسم المنيذر الإفريقي، وقد تقدم ذكر الحافظ الأبار له نقلا عن ابن حبيب أنه الصحابي الوحيد الذي دخل الأندلس في جملة الفاتحين. أما حديثه فقد رواه عالم آسفي في القرن السابع الهجري أبو علي الماجري شيخ المؤرخ الشهير ابن عبد الملك المراكشي صاحب كتاب «الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة»، وقد روى عنه ابن عبد الملك في كتابه.

وقد ترجم للمنيذر الإفريقي ﷺ وقال: «له صحبة، دخل الأندلس فيما ذكر عبد الملك بن حبيب، حكاه عنه الرازي. وقال أبو سعيد بن يونس: له صحبة. قال ابن عبد الملك: وحديثه هو ما حدثناه الحافظ أبو علي الماجري سماعا إن لم يكن قراءة بثغر آسفي حماه الله قال: حدثنا الأسعد عبد الرحمن بن مقرب التجيبي...»، ثم ذكر السند به إلى أبي عبد الرحمن الحبلي عن المنيذر صاحب رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، فأنا الزعيم، فلآخذن بيده، فلأدخلنه الجنة»[1].

ولقد حفزني تعلق أهل مدينة آسفي بعقبة ـ وهي دار إقامتي ـ فكانت مشاعري نحو عقبة ﷺ حاضرة كلما أنشأت كلمة أو نظمت قصيدة في مناسبة من المناسبات تتعلق بآسفي أو غيره مما لعقبة ﷺ ارتباط بوصول حملته إليه، مما ظل مبعث إيحاء للأدب والأدباء. وقد جعلته في قصائد لي عديدة جزءا من تاريخ البلاد، ورمزا من رموزها الخالدة. ومن ذلك قولي في قصيدة لي تحت عنوان: «آسفي الأصالة والعصر»:

---

(1) الذيل والتكملة: المجلد الثامن ـ القسم الثاني (ص 379).

هــذه آســفي الأصــالة والعــصـ ــــر جميعــا والمحتــد اليعــربي
الحــصون الــتي تــراهن والأســ وار والقـــصبات فيهـــا الدوي
تمـرح الـصافنات في سـوحها الفــ يــح ويــسطو الحـسام والــسمهري
والقـلاع الـشداد في منـتهى الطـر ف على هامهـــا الغمـــامُ الــرخي
شاهداتٌ مـن عهـد عقبـة أو مـن عهــد يعقــوب والهتــافُ العــلي
يتـــداعى الله أكـــبر والفـــت حُ وجلجـــل صـــوتها العـــربي
وتعالــت صـيحات عقبــة حــتى مـــلأ الكــون سرهـــا الأبـــدي
واشرأبَّـــتْ مـــاذن وتنـــاجى بالمثـــاني مـــن كل أفـــق نـــجي[1]

وكان لعقبة عندي حضور أيضا في قصيدة لي عن صحرائنا المغربية في إحدى ذكريات المسيرة الخضراء حيث قلت فيها تحت عنوان «ملاحم العودة»:

قبِّــلْ ثراهـــا فهـــو قـــدسٌ أطهـــر وانــشُق شــذاها فهْــو مــسكٌ أذفــر
واســجُدْ لربــك واقــترب متبــتِّلا إمـــا أضــاء لــك الجنــابُ الأنــور
هــذي ديــار بــني أبيــك كعهــدها بالباقيـــات الـــصالحات تعمَّـــر
صيحاتُ عقبـة في مـسامع أرضـها والله أكـــبر فوقهـــا تتكـــبّر
وكـــأن صـــولةَ تاشـــفين ونجلـــه وخطـــا ابـــن ياســـين بهـــا تتخطّـــر
وكأنمـــا لمتونـــة لمتونـــة وجنودهـــا وحـــشودها تتحـــدّر
وكأنَّ «مــا العينــين» عنــد سمــارة وجيـــاد «هيبـــة» في الـــوغى تتمطّـــر
صـــور تمثـــل للعيـــان مـــواثلا حـــتى تكـــاد مـــن التـــألق تَبهَـــر

---

(1) ديوان شعري مخطوط.

لـو تـورق الأمجـاد في أنجادهـا ... لأظلنـا منهـا الوريـف الأزهـر
صـحراؤنا وبكـل نبـع كـوثر ... وبكـل ريـع للمـشاعر عَبقـر
حـصباء تربتهـا شـذور زبرجـد ... وحجـارة «الـوادي المـذهب» مرمَـر
أزهى مـن الأزهـار نفحـة شـيحها ... وأحـب مـن عَبَـق الريـاض الـسعتَر
صـحراؤنا وتقـول كل ثنيـة ... صـحراؤنا فوجودنـا يتعطـر
همنـا بهـا وديارهـا مـاسورة ... ونحبهـا وترابهـا يتحـرر
وطـن بـه وشـجت نيـاطُ قلوبنـا ... إنـا بكـل شـعابه نتـأصَّر
هذي العيون من «العيون» سـوادها ... ومـن «الـسمـارة» جـاء هـذا الأسـمر
ومعـاطس الخـيلاء مـن «سـاقية ... حمـراء» والوجـه الجـريء الأقمـر
و»أبو الجـذور» بـه نبـات جـذورنا ... عـرب تؤلفنـا الدمـاء وبربـر
وبـدارة «الـوادي المـذهب» دورنـا ... وخيامنـا فـبكل شِـعبٍ مـدشر
من عهد «حنَّـا بعـلَ» أو «فينيقيـا» ... أو مـا تـشاء وعهـدنا لا يخفَـر
فاسـأل بنـا في «الأطلـسي» مراكبـا ... ومواكبـاً،إن الـشطوط تخـبِّر
أولم يقـف عنـد الـسواحل عُقبـةٌ ... وصـحابُه والفـتح مـاضٍ يظهـر
وسـل الأطـالس مـن توقَّـل هامَهـا ... بالمـذكيات العاديـات تزمجـر
واسـأل بـني الهيجـاء «باعمرانـةٍ» ... ووُلاتَهـا وقـضاتَها مـا حـبَّروا
كـم بيعـة معقـودةٍ وزيـارة ... مـشهودة وظهـائرٍ تتكـرر
ووثـائقٍ مـن آل سـعدٍ حيـة ... وبـني علي بالحقيقـة تجهـر
وقـصائدٍ لابـن الأمـين أمينـة ... بوثـائق العهـد العهيـد تُـذكِّر
صـحراؤنا لـو زوَّروا تاريخهـا ... أنفـتْ وقائعـه فباتـت تـزأر[1]

---

(1) والقصيدة طويلة أنشأتها في ذكرى المسيرة الخضراء في 5 نوفمبر 1981م.

ومما قلته من قصيدة أخرى في تكريم بعض قراء آسفي بعنوان «منبت الأمجاد»:

يامنبت الأمجاد يا أسفي العلا ... لله كم أنجبت من عملاق
كم صالح كم راسخ في علمه ... كم فارس كم قارئ دقاق
كم قائد دان الزمان لبأسه ... صان الحمى بالسيف والمزراق
هذي قلاع المجد في سطواتها ... وقلائد الأسوار كالأطواق
وملاحمٌ من عهد عقبة لم تزل ... آثارها تنبيك عن مصداق

ولم تقف آثار عقبة ﵁ بالنسبة لفتح المغرب على ما بث فيه من دعوة الإسلام وأقام فيه أو أقيم باسمه تبركا به ووفاء لذكراه من مشاهد ومساجد ورباطات، وإنما خلّف في المغرب من أولاده وأحفاده رجالا أفذاذا واصلوا السير من بعده في كل اتجاه في ترسيخ قيم الإسلام في المنطقة والعمل على استتباب الأمن، والتصدي للنحل والمذاهب الزائغة، والسعي إلى توثيق الصلات مع قاعدة دار الخلافة في المشرق، وتقديم العون للولاة والمشاركة في إدارة البلاد، واستكمال الفتوحات، وفي المبحث التالي نتعرف بإيجاز على آثار عقبة في المنطقة من خلال خلفائه من ذريته، وما كان لهم في المغرب والأندلس وغيرهما من منزلة وآثار نعتبرها جميعا ناشئة عن هذا الصدى البديع الذي خلفه عقبة من ورائه فكان من عوامل الشهرة والمكانة العلية التي نالها آل عقبة من بعده، وكانت له لسان صدق في الآخرين.

المبحث التاسع: آل عقبة في المغرب والأندلس وآثارهم في صنع الأحداث

واكب هذا الصدى الهائل الذي كان لعقبة في إفريقية والمغرب الأقصى صدىً مماثل لا يقل عنه شأنا لرجال من أولاده وأحفاده وبنيهم، وما كان لهم من شخصيات وازنة كانت لها آثار بارزة في القيادات، ومبادرات في الوقائع وصنع الأحداث، مما نبه عليه غير واحد من العلماء والمؤرخين، وتفصيل ذلك مذكور عند الرقيق القيرواني في تاريخه والبيان المغرب لابن عذاري وغيرهما. وأكتفي هنا بالإشارة إلى أهم الأشخاص من آل عقبة، وأهم الأحداث التي برزوا من خلالها:

1. **أبو عبيدة واسمه مرة بن عقبة بن نافع الفهري**

قال المالكي في ترجمته في التابعين في «رياض النفوس»: «كان له فضل ودين، روى عن ابن عمر وغيره، وروى عن أبيه عقبة بن نافع، وروى عنه عبد الكريم بن الحارث وموسى بن أيوب، دخل إفريقية مع أبيه عقبة، وشهد معه بعض مغازيها»[1].

وتتجلى مكانته العلمية ومكانة عقبة بن نافع رضي الله عنه في نازلة فقهية شبيهة بنازلة عثمان رضي الله عنه في تتميمه للصلاة في أيام منى خشية أن يظن الأعراب ممن شهد موسم الحج أن الصلاة هكذا في جميع الأيام. قال المالكي في رياض النفوس: «روى ابن وهب في موطئه يرفعه عن أبي عبيدة قال: كنت مع أبي عقبة بن نافع بإفريقية فقصر الصلاة في أسفاره سنة أو سنتين حتى كتب إليه معاوية بن أبي سفيان فعزم عليه ليُتمَّنّ. قال المالكي: وإنما التزم معاوية في ذلك فعل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهما؛ لأن عثمان أتم الصلاة بمنى»، وساق القصة[2].

---

(1) رياض النفوس (1/ 150 ـ 151) ترجمة 66.

(2) نفسه (1/ 150 ـ 151).

2. **عياض بن عقبة بن نافع الفهري.**

ترجم له أيضا المالكي في «الرياض» وقال: «كان من جلة التابعين وفضلاء المومنين، يروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره من الصحابة والتابعين. روى عنه يزيد ابن أبي حبيب وإسحاق بن أبي فروة وأخوه أبو عبيدة بن عقبة ـ بن نافع ـ سكن إفريفية وأوطنها، وكان مع والده عقبة في حياته وبعد وفاته، ثم انتقل في آخر عمره إلى مصر فسكنها وأوطنها، وتوفي بها في سنة 100 من الهجرة..»، ثم ذكر بعض أخباره ومنها «عن عياض بن عقبة الفهري أنه مات له ابن يقال له «يحيى»، فلما أنزل في قبره قال رجل: والله إن كان لسيد الجيش، فعليك باحتسابه، فقال عياض: وما يمنعني أن أحتسبه، وقد كان أمس من زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات»[1].

3. **موسى بن عقبة بن نافع.**

4. **عثمان بن عقبة بن نافع.**

وقد شارك هؤلاء الأربعة في جيش موسى بن نصير، كما شاركوا في الانتقام من قتلة والدهم عقبة، قال ابن عبد الحليم في كتاب «الأنساب» في حديثه عن موسى بن نصر: «فوصل إلى سجلماسة ووجد عندها كتامة، ووجد صنهاجة على مدينة سجومة، فقتل ملكهم على وادي ملوية، وحمل من مدينة سجومة بنات كسيلة وبنات ملوكهم، وكان مع موسى بن نصير أولاد عقبة بن نافع: عياض بن عقبة وموسى بن عقبة وعثمان بن عقبة وأبو عبيدة بن عقبة، فلما صحت الهزيمة على أهل سجومة قال لهم موسى بن نصير: اقتصوا من قتلة أبيكم..»[2].

---

(1) رياض النفوس (1/ 133) رقم الترجمة 50.

(2) الأنساب (ص 96 ـ 97).

5. **عبد الله بن عقبة.**

ولعقبة ولد خامس يدعى عبد الله، وله ذكر في جهاد الروم في المشرق فيما كان يعرف بالصوائف، وكان منطلقها من دار الخلافة بالشام ومن مصر، وقد أشار إليه ابن خلدون في تاريخه عند ذكر الصوائف في الدولة الأموية فقال في حوادث سنة 110هـ: «وغزا سنة عشر بالصائفة عبد الله بن عقبة الفهري، وكان على جيش البحر عبد الرحمن ابن معاوية بن حديج»[1].

6. **عبدة بن عقبة.**

وهو الابن السادس لعقبة، جاء ذكره في سياق الحديث عن مقتل ولده عيسى بن عبدة ابن عقبة عند خروج الأسود بن نافع بن أبي عبيدة بن عقبة عن طاعة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين بالمشرق، وسيأتي ذكره عند الكندي في كتاب الولاة والقضاة[2].

❁ ظهور آل عقبة في غمار الأحداث في مصر ودار الخلافة بالمشرق

وكان ظهور آل عقبة إلى جانب ولاة بني أمية في المغرب والأندلس انطلاقا من القيروان بعد أن كانت لهم مشاركة في الفتح الأول كما تقدم فيما ذكرناه من مشاركة كل من أبي عبيدة وعياض لوالدهما عقبة بن نافع في ذلك. ثم كان أول ظهور لهم بعد موت يزيد بن معاوية سنة 64هـ، وهو ظهور يدل على أنهم ظلوا ممسكين بزمام المبادرة بعد استشهاد والدهم عقبة، واستشهاد خلفه من بعده زهير بن قيس البلوي، ويدل على ذلك ما كان منهم من المسارعة إلى بيعة الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير

---

(1) تاريخ ابن خلدون (ص672).

(2) انظر الولاة والقضاة للكندي (ص96).

بمكة حين مبايعة أهل الحرمين له بالخلافة. وقد أشار إلى ذلك أبو عمر الكندي في كتاب «الولاة والقضاة» فقال في حوادث سنة 64هـ: «ولحق بابن الزبير ناس من أهل مصر، منهم **أبو عبيدة وعياض ابنا عقبة بن نافع بن قيس الفهري**»[1].

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز بالشام في حوادث سنة 101هـ يذكر الكندي عماله على مصر فيقول: «وكان على أهل مصر أبو عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري»[2].

7. **نافع بن أبي عبيدة بن عقبة.**

وفي خلافة هشام بن عبد الملك من الأمويين، يذكر الكندي أيضا في كتابه في حوادث سنة 118هـ أن نافع بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري كان على بحر أهل مصر[3].

8. **الأسود بن نافع بن أبي عبيدة**

وفي خلافة مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين بالمشرق، وبسبب سريان الضعف إلى دار الخلافة بعد ظهور العباسيين بالعراق وخراسان، كان الأسود بن نافع حفيد أبي عبيدة الفهري ممن انشق عن الأمويين، فيذكر الكندي في كتاب «الولاة والقضاة» في حوادث سنة 132هـ أول من سوّد ـ أي لبس السواد الذي هو شعار دولة بني العباس فيقول: «وأول من سوّد هناك ـ يعني بمصر ـ شرحبيل الكلبي الزهيري، ولحق الأسود ابن نافع بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري بالإسكندرية فسوّد بها»[4].

---

(1) الولاة والقضاة (ص40 ـ 41).
(2) نفسه (ص68 ـ 69).
(3) نفسه (ص79).
(4) نفسه (ص95).

9. عيسى بن عبدة بن عقبة

ومن أحفاد عقبة في مصر أيضا عيسى بن عبدة بن عقبة، ويذكر الكندي في كتابه أن مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين لما بلغه أن الأسود الفهري خرج عن طاعته بالإسكندرية واتخذ شعار العباسيين، بعث إليه بعض قادة جيشه «فالتقوا في ذي القعدة سنة 132هـ، فقتل عيسى بن عبدة بن عقبة بن نافع»[1].

ولما ظهرت دعوة العباسيين وبويع لأبي العباس السفاح بالخلافة، وورد كتابه إلى أهل مصر مع واليه عليها صالح بن علي بن عبد الله بن عباس سنة 133هـ قال الكندي في كتابه: «فخرج صالح معه برجال من أهل مصر صحابة لأمير المؤمنين أبي العباس، ومنهم الأسود بن نافع بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري...»[2]. كما ذكر الكندي إجازة الخليفة لوفادة الأسود الفهري بأن أقطعه «منية بولاق» و«منازل زبان» بالإسكندرية[3].

وهكذا دخل آل عقبة بفروعهم مصر تحت إمارة بني العباس، والتزموا بالطاعة لهم، ولكن الأحوال سرعان ما تغيرت حين استبدّ أبناء فارس بالمناصب والقيادات، فلم يقبل بذلك آل عقبة من آل فهر القرشيين.

10. عبدوس الفهري من آل عقبة.

ويذكر الكندي في كتابه في حوادث سنة 216هـ في خلافة المامون العباسي أن أهل الإسكندرية خالفوا على الوالي، فنزل عليهم الأفشين قائد جيش المامون، قال:«واجتمعوا بأشليم، وعقدوا عليهم لابن عبدوس الفهري من ولد عقبة بن نافع،

(1) الولاة والقضاة (ص96).
(2) نفسه (ص101).
(3) نفسه (ص101).

فواقعهم الأفشين بأشليم، فهزمهم وأسر منهم كثيراً فقتلهم». ثم إن الخليفة المامون قدم بنفسه إلى مصر سنة 217هـ وأمعن في طلب ابن عبدوس الفهري، وتبعه الجيش إلى صعيد مصر حيث ظفر به فقتله[1].

ومن هذا التاريخ تختفي أسماء «آل عقبة» من القيادة في مصر والمشرق، غير أن الحافظ ابن حجر يذكر في الإصابة أن «من ولد عقبة بمصر والشام وإفريقية بقية»[2].

❁آل عقبة في المغرب.

وكانت معرفة «آل عقبة» للمغرب بسائر أقطاره وصلاتهم بأهله نابعة من اطلاع تام على أحوالهم وخبرة بالبلاد وما تمهد فيها من آثار الفتح الأول على يد والدهم عقبة ومن معه من الصحابة والتابعين؛ ولذلك ظل لهم وجود فاعل سواء في القيادات استقلالا أم في شد أزر الولاة المتعاقبين عليه أثناء عهد الولاة قبل فتح الأندلس وبعده في خلافة الأمويين.

ولعل أول حملة كان لهم فيها وجود مكثف هي حملة موسى بن نصير الذي ولي إفريقية والمغرب ولايته الأولى كما ذكره خليفة بن خياط والطبري وغيرهما سنة تسع وسبعين[3]، أي بعد نحو خمسة عشر عاما من استشهاد عقبة. ثم غزا موسى بن نصير السوس الأقصى في خلافة الوليد، ووجه مولاه طارقا فأتى طنجة وعبر منها إلى الأندلس فاستولى على أكثرها سنة 92هـ، ثم عبر إليها موسى بن نصير فاستكمل الفتح سنة 93هـ و94هـ، ورجع إلى المشرق[4]. ويظهر أن رجال بيت عقبة بن نافع كانوا مع

(1) الولاة والقضاة (ص192).

(2) الإصابة (3/ 81).

(3) انظر تاريخ خليفة بن خياط (ص298)، وتاريخ الطبري (5/ 245).

(4) تاريخ خليفة (ص304 ـ 306).

ابن نصير طوال عهد ولايته، كما دخل معه بعضهم الأندلس عند الفتح، وبقي بها عونا لواليها كما سيأتي.

وقد ذكر الحميري الأندلسي في «الروض المعطار» عياض بن عقبة الفهري في طليعة من دخل الأندلس من التابعين[1]. ثم تقاسم آل عقبة في بداية الفتح النفوذ في المغرب والأندلس، وإن لم تكن الولاية لهم في البداية من تقليد الخلفاء.

وقد أحسن العلامة الناصري في الاستقصا تلخيص أخبارهم في فصل عقده فيه تحت عنوان «الخبر عن تغلب آل عقبة بن نافع على المغرب وولاية عبد الرحمن بن حبيب منهم» فقال في ذلك: «كان عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه واليا على المغرب كما مر، وهو الذي افتتح الأقصى منه، ولما استشهد بالزاب بقي بنوه به، **فكانت لهم وجاهة معروفة بين أهله** لمكان أبيهم عقبة من جهاد العدو، وما فتح الله على يده من الأقطار، واختطاطه مدينة القيروان التي هي كرسي الإمارة، فكان ما منح الله أهل المغرب من الإسلام والدين كله في صحيفته، **فنالوا بذلك شرفا خاصا، زيادة على شرف القرشية وعز الفهرية، فكان يكون لهم الشفوف في بعض الأحيان حتى على الولاة فضلا عن غيرهم**»[2].

فكان من رجال «آل عقبة» أثناء فتح الأندلس غير عياض بن عقبة الآنف الذكر:

11. حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة

ويدل على نفوذ حبيب بن أبي عبيدة في الأندلس عقب الفتح ما في كتاب الرازي ـ من مؤرخي الأندلس القدامي ـ ونقله ابن عذاري في «البيان المغرب» ونصه: «أن

(1) انظر صفة جزيرة الأندلس: منتخبة من كتاب الروض المعطار (ص 4).
(2) الاستقصا (1/ 116).

الوليد ـ يعني ابن عبد الملك الخليفة الأموي ـ بعث إلى موسى ـ بن نصير ـ رسولا، فأخذ بعنان دابته ـ يعني بعد فراغه من الفتح ـ وأخرجه من الأندلس، ومعه طارق بن زياد ومغيث مولى ابن نصير. وخلف موسى ابنه عبد العزيز بن موسى على الأندلس»، قال:«وأبقى معه وزيرا **حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع**»[1].

وتتفق المصادر على أن موسى بن نصير رجع إلى المشرق، وأن ابنه عبد العزيز خليفته على الإمارة بالأندلس أساء فيها السيرة، وقيل: لأنه خلع دعوة بني أمية واستبد بأمره لما بلغه ما فعله سليمان بن عبد الملك بأبيه، فلما كانت سنة 97 من الهجرة ثار به حبيب بن أبي عبيدة الفهري وزياد بن عذرة البلوي وجماعة فقتلوه بمدينة إشبيلية، وقيل: إن ذلك كان بأمر الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، نكاية منه بموسى بن نصير الذي اتهمه في غنائم فتح الأندلس، وامتحنه على ذلك[2].

ثم تتابع ولاة بني أمية على الأندلس، ولكن غلبة العصبية القبلية ما بين العرب والبربر من جهة، وبين عرب الشام واليمن وغيرهم من عرب مضر، عصفت بالاستقرار فيها، لا سيما بعد تضعضع أركان خلافة الأمويين بدمشق في العقد الثالث من المائة الثانية. فلما كانت سنة 128 هـ واتسع الخلاف ما بين أهل هذه العصبيات «تراضوا واتفقوا على واحد من «آل عقبة بن نافع» وهو:

12. يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة الفهري

قال المقري في نفح الطيب:«وقدّم المضريّة على أنفسهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري سنة تسعٍ وعشرين» يعني ومائة[3]. وقد اتفق جمهور العرب بالأندلس على

---

(1) البيان المغرب (2/ 16).

(2) انظر جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس للحميدي (ص 13) والبيان المغرب (2/ 34 ـ 35) ونفح الطيب (10/ 224).

(3) نفح الطيب (1/ 227).

توليته عليهم بعد اعتراض عليه من اليمنية وقتالهم له، ثم صفت له الأندلس. قال ابن عذاري في «البيان»: «وولي يوسف عن رضاً من عامة الجند من مضر ويمن والشام، فصفت له الأندلس بعد يوم «شقندة»، وخلصت له القلوب والأنفس»[1].

فكان يوسف أميرا على الأندلس بعد سقوط دولة بني أمية بالمشرق وتحول الخلافة إلى العباسيين، إلى أن دخل الأندلس صقر قريش عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك، فانحاز إليه اليمنية، وقوي أمره ولم يزل يطاول يوسف الفهري بالقتال إلى أن انتزع منه إمارة الأندلس، وبويع له بقرطبة سنة 138هـ[2]. وباستيلاء عبد الرحمن الداخل على الأندلس لم يعد لآل عقبة ذكر في القيادة، ولكن فروعهم كان لها صيت وذكر كما للفهريين عموما بالأندلس. وقد ذكر ذلك ابن غالب الأندلسي ـ صاحب مطمح الأنفس ـ ونقل عنه أبو العباس المقري في «نفح الطيب» قوله في ذكر أنساب عرب الأندلس: «وفي الأندلس من ينسب إلى جمح وإلى بني عبد الدار، وكثير من قريش المعروفون بالفهريين من بني محارب بن فهر، وهم من قريش الظواهر، ومنهم عبد الملك ابن قطن سلطان الأندلس، ومن ولده بنو القاسم الأمراء الفضلاء، وبنو الجد الأعيان العلماء. ومن بني محارب بن فهر يوسف بن عبد الرحمن الفهري سلطان الأندلس الذي غلبه عليها عبد الرحمن الأموي الداخل، وجد يوسف: عقبة بن نافع الفهري صاحب الفتوح بإفريقية»، ثم قال: «قال ابن حزم: «ولهم بالأندلس عدد وثروة»[3]. وقال ابن حزم في جمهرة أنساب العرب:«أولاد عقبة لهم في المغرب عقب كثير»[4].

(1) البيان المغرب (1/ 154).
(2) انظر جذوة المقتبس (ص15)، ونفح الطيب (1/ 277).
(3) نفح الطيب (1/ 277).
(4) نقله الكانوني في علائق آسفي (ص9).

قلت: ومن أعلامهم في الأندلس من رؤسائها في عصر الإمام ابن حزم المذكور من ذرية يوسف الفهري أمير الأندلس:

13. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم

صاحب «البونت» هكذا نسبه ابن حزم إلى ولايته، وهي من أعمال بلنسية استقل فيها بنو قاسم الفهريون بعد الفتنة في رأس الأربعمائة وأولهم:

14. عبد الله بن قاسم

والد محمد هذا، قد استقلوا بهذه الإمارة بعد انحلال دولة بني أمة في الأندلس في جملة ما يعرف «بملوك الطوائف»، فكانت لهم إمارة «بني قاسم» بألبونت[1].

وقد ترجم الحافظ ابن الأبار في «التكملة» لمحمد بن عبد الله وذكر نسبه إلى:

15. قاسم بن يوسف بن عبد الرحمن الفهري

أمير الأندلس، كما ذكر أن محمد بن عبد الله المذكور يلقب «بيمن الدولة»، قال: «وكان رئيسا بـ «قلعة ألبونت» من أعمال بلنسية مقر آبائه الرؤساء.. وله صنع أبو محمد بن حزم ـ وهو كناه ـ رسالته في «فضل الأندلس»، وأطال الثناء عليه وعلى سلفه رحمهم الله»[2].

(1) انظر أعمال الأعلام لسان الدين ابن الخطيب (ص208).

(2) انظر التكملة (1/ 313) ترجمة 1104، و«رسالة في فضل الأندلس لابن حزم» في نفح الطيب للمقري(4/ 157- 158)، ومجموعة رسائل ابن حزم (1/ 172- 178).

❁ **أولاد عقبة في طنجة والمغرب وإفريقية.**

أخّرنا هذا المبحث وكان الأحق بالتقديم، لأنه الأكثر اتصالا بموضوع عرضنا وموضع انعقاد الندوة، ولكننا قصدنا أن نجعل منه مسك الختام، لذكر آل عقبة الأعلام، وما كان لهم من الغناء في باقي الأصقاع المغربية في ترسيخ دولة الإسلام.

وسوف نتابع ذلك من خلال استعراض أسماء من بلغتنا أسماؤهم وسيرهم من ذرية عقبة كما فعلنا فيما تقدم من إخوانهم في المشرق والأندلس. ولقد قدمنا الحديث عن أبناء عقبة المباشرين ممن شهدوا عهد الفتح مع والدهم عقبة ﵁ إلى أن استشهد كأبي عبيدة وعياض وعثمان، ونسوق فيما يلي أسماء الباقين. فمنهم:

16. **حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري.**

وقد دخل طنجة مع موسى بن نصير، وصحبه معه موسى في دخوله الأندلس، أو ربما دخلها مع طارق بن زياد أول الفتح، قد تقدم أن موسى بن نصير لما عزم على الرجوع إلى المشرق استخلف على الأندلس ابنه عبد العزيز، وأنه جعل حبيب بن أبي عبيدة الفهري المذكور وزيرا له. وذكر ابن عذارى وغيره أن الكتب وصلت من سليمان بن عبد الملك إلى حبيب بن أبي عبيدة بقتل عبد العزيز نكاية بأبيه[1].

ثم برز ذكر حبيب الفهري مرة أخرى في ولاية عبيد الله بن الحبحاب على إفريقية والمغرب سنة 116هـ في خلافة هشام بن عبد الملك الأموي، قال الرقيق في تاريخه: «وبعث حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع غازيا إلى المغرب فبلغ السوس الأقصى وأرض السودان، ولم يقابله أحد إلا ظهر عليه، وأصاب من الذهب والفضة والسبي أمرا عظيما، ولم يدع قبيلة إلا أداخها، فملئوا منه رعبا وخوفا.... ورجع سالما

(1) البيان المغرب (1/ 51)، وانظر: تاريخ إفريقية والمغرب، للرقيق (ص 59- 60).

حتى قدم على ابن الحبحاب»[1]. وفي كتاب بلاد شنقيط للأستاذ الخليل النحوي لما تحدث عن أود أغست قال: «وهي عاصمة قديمة للصنهاجيين، وصل إليها حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع في حملته سنة 116هـ»[2].

قال الرقيق: «ثم غزا حبيب بن أبي عبيدة في البحر إلى صقلية، وذلك في سنة 122هـ، ومعه ابنه عبد الرحمن بن حبيب، فلما نزل بأرضها وجه ابنه عبد الرحمن على الخيل فلم يلقه أحد إلا هزمه عبد الرحمن، وظفر ظفرا لم ير مثله، ومضى حتى نزل «سرقوسة» وهي أعظم مدينة بصقلية، فقاتلوه فهزمهم حتى ضرب بابها بالسيف فأثر فيه، فهابه النصارى ورضوا بالجزية، ثم توجه إل أبيه خوفا أن يخالفه العدو إليه»[3].

قال الرقيق: «وكان ابن الحبحاب قد ولى طنجة وما والاها عمر بن عبيد الله المرادي فأساء السيرة وتعدى في الصدقات والقسم... فلما بلغ البربر خروج حبيب بن أبي عبيدة إلى بلد الروم انتقضوا على عبيد الله بن الحبحاب بطنجة، وتداعت عليه بأسرها، وعظم البلاء، وذلك في سنة 122هـ، وهي أول فتنة كانت بإفريقية في الإسلام».

❁ ظهور ميسرة المدغري المعروف بالخفير من الخوارج واستشهاد بعض أولاد عقبة في «غزوة الأشراف».

قال الرقيق: «فعند ذلك خرج ميسرة المدغري وقام على عمر بن عبيد الله المرادي فقتله، وكان بالمغرب يومئذ قوم ظهرت فيهم دعوة الخوارج، وفيهم عدد كثير وشوكة، وهم برغواطة، فكتب عبد الله بن الحبحاب إلى ابن أبي عبيدة بالرجوع من صقلية، وولى:

---

(1) تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق (ص72- 73).

(2) بلاد شنقيط المنارة والرباط (ص66).

(3) تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق (ص72-73)، ونحوه في تاريخ ابن خلدون (ص676).

17. خالد بن أبي حبيب الفهري

على أشراف إفريقية ووجوههم وشخص إلى ميسرة، ووصل حبيب بن أبي عبيدة من صقلية، فعقد له ابن الحبحاب، وأمره أن يلحق بخالد، فتوجه حبيب في أثره، وسار خالد حتى عبر «وادي شلف»، وهو نهر في أرض البربر على ساحل من "تيهرت" - يعني بالجزائر اليوم - ثم قدم حبيب بن أبي عبيدة حتى نزل على وادي شلف، فأقام ولم يبرح، ومضى خالد بن أبي حبيب من فوره حتى لقي ميسرة دون طنجة، فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله، ثم انصرف ميسرة إلى طنجة، وأنكرت عليه البربر سوء سيرته، وتغيروا عما كانوا بايعوه عليه، وقد بويع بالخلافة فقتلوه، وولوا أمرهم خالد بن حميد الزناتي. قال: فالتقى خالد بن أبي حبيب والبربر، فكان بينهم قتال شديد، فبينما هم كذلك إذ غشيهم ابن حميد الزناتي بعسكر عظيم، فتكاثرت عليهم البربر وانهزموا، فكره خالد أن ينهزم، فألقى بنفسه هو وأصحابه إلى الموت، فقتل خالد بن أبي حبيب وجميع من معه حتى لم يبق من أصحابه رجل واحد، وقتل في تلك الوقعة حماة العرب وفرسانها، وكماتها وأبطالها، فسميت الغزوة «غزوة الأشراف»[1].

هذه كانت نهاية هؤلاء الأبطال التي أعادت ذكرى مأساة استشهاد عقبة وأصحابه في «تهودة» في بلاد الزاب، إذ قتل فيها من الأخيار ما جعل الناس يسمون الوقعة بغزوة الأشراف، وتقوى بها أمر الخوارج الصفرية الذين سيكون لهم شأن حينما تتقوى ظهورهم بظهور متنبئ برغواطة صالح بن طريف في هذه الجهات ابتداء من هذا العهد بالذات.

---

(1) تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق (ص 73- 75)، ومثله في البيان المغرب (1/ 53-54).

وظل صدى «غزوة الأشراف» هذه سجلا لا ينسى في ذاكرة أهل طنجة فظلوا يتناقلون أخبارها، ويشاهدون آثارها، ولعل مشاهد أولئك الأشراف كانت معروفة في بعض الضواحي، وكانت تسمى «قبور أبناء الصحابة».

وقد بقيت ذكرى هذه المأساة حية في الأذهان حتى أوحت إلى الشاعر العلامة أبي فارس ابن الربيع الغرناطي في أواخر القرن التاسع أن يقول في قصيدة طويلة على لسان أهل الأندلس يستنجدون بالمولى علي الشريف جد السلاطين العلويين ملوك المغرب ليقوم بإنجادهم قبل سقوط ما تبقى في الأندلس من البلاد حيث يقول:

أيا راكبا يطوي المفاوز والقفرا ... رشدتَ ولُقّيتَ السلامة والخيرا
ترحل وجِدَّ السير يوما وليلة ... وسافر تجدها في مطالعها زهرا
تحمل رعاك الله مني إلى الحمى ... تحية مشتاق تهيّجه الذكرى
وأُمَّ ديار الحي من سجلماسّة ... فتلك ديار تجمع العز والفخرا

إلى أن يقول:

وقل يا أهيل القبلة السادة الألى ... إذا ما دُعوا في حادث أسرعوا النفرا
وخُص سليل الهاشمي ابن صهره ... علي الذي يعلو على زحل قدرا
أبا الحسن المولى الشريف الذي به ... على الغرب شمس النصر طبقت الصحرا
أغار على الأعلاج فاجتاح جمعهم ... وجَدَّ لهم قتلا وشردهم أسرا
بطنجة قد طاب الممات لزمرة ... بنصرتها ترجو من الملك الأجرا
دعاها بأقصى السوس قوم فأسرجوا ... من الصافنات الجرد لم يأخذوا الحذرا
فهبت ركاب القوم والشمسُ ... وأرهق جيش الله أعداءه خسرا

إلى أن يقول:

وأجـداث أبنـاء الـصحابة فوقهـا ... وكل ولي أشـعث لا بـس طمـرا
تنـاديكم غوثـا مـن الله سرعـة ... فقد كاد أن يستأصل الكفـر ذا الـبرا
فعونـا رجـال الله عونـا لعـدوة ... أحاطت بها البأسـاء واشـتدت الـضرا
فـأنتم لنـا الجنـد القـوي ونحـوكم ... تـشوُّفُنا فاسـتعجلوا نحونـا الـسيرا
ونثني على خـير البريـة ذي الهـدى ... محمـد المبعـوث بالملـة اليـسرى
وآل وصـحب ثـم تـال لنهجهـم ... ومن لذوي الإسلام قد قصد النصرا[1]

18. شعيب بن عثمان بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري.

وفي هذه الوقائع ظهر بطل آخر من أبطـال آل عقبـة في مقاومـة الخـوارج، وذلـك في ولاية حنظلة بن صفوان الكلبي الذي ولي إفريقية والمغرب لهشام بن عبـد الملـك سـنة 124هـ، فلم يمكث حنظلة بـالقيروان إلا قلـيلا حتـى زحـف إليـه عكاشـة الـصفري الخارجي بجمع عظيم من البربر، قال الرقيق القيرواني في تاريخه: «فبرز إليه شعيب بـن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع.... ثم ذكـر نهـوض شـعيب إلى قتـال الخـوارج وزعـيمهم عكاشة حتى قتل بظاهر القيروان»[2].

19. عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري.

هذا هو الفارس والقائد الثامن عشر من آل عقبة، وقد مر بنا ذكر والده حبيب وجده أبي عبيدة بن عقبة، وهاهو عبد الرحمن بن حبيب في عام 127هـ يظهر في الميـدان يحمـل معه همة أسلافه أبناء المعارك ليعمل على توحيد المنطقة وإنقاذها من التـدهور الـسياسي

---

(1) انظر القصيدة بتمـامها في الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية للمشرفي (1/ 214).
(2) تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق (ص83 – 85).

والفراغ الإداري الذي يعصف بها بسبب ضعف مركز دار الخلافة بالشام، وبسبب الاضطرابات التي كانت لهذا العهد في البيت الحاكم، ثم أفضى إلى انهيار خلافة الأمويين، وقيام دولة بني العباس سنة 132هـ.

كان عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع ـ كما يقول الرقيق القيرواني ـ قد هرب من إفريقية إلى الأندلس عند هزيمة كلثوم بن عياض في الوقعة التي قتل فيها كلثوم ووالده حبيب بن أبي عبيدة في «غزوة الأشراف»، فلم يزل وهو بالأندلس يحاول أن يتغلب عليها فلم يمكنه ما يريد، إلى أن وجه حنظلة بن صفوان أبا الخطار إلى الأندلس، فخاف عبد الرحمن على نفسه، فخرج مستترا فركب البحر إلى تونس فنزل بها، وذلك في شهر جمادى الأولى سنة 127هـ، فدعا الناس إلى نفسه فأجابوه... وأقبل عبد الرحمن بن حبيب حتى دخل القيروان... وكان عبد الرحمن قد كتب إلى مروان بن محمد ـ آخر الأمويين ـ وأهدى إليه هدايا، فكتب إليه مروان بولايته على إفريقية والمغرب كله والأندلس، وقتل مروان بن محمد وزالت دولة بني أمية، وعبد الرحمن وال على إفريقية، ثم وجه عبد الرحمن كتابا إلى أبي العباس السفاح ـ الخليفة العباسي بالعراق ـ بسمعه وطاعته وذلك سنة 136هـ، فلما كانت خلافة أبي جعفر المنصور جدد له عبد الرحمن البيعة على السمع والطاعة، ثم ما لبث أن رجع عنها وخلع شعار السواد الذي هو شعار بني العباس. قال الرقيق القيرواني: وهو أول سواد لبس بإفريقية، ثم وقع الخلاف بين عبد الرحمن وبين أخوين له وهما:

20. **إلياس بن حبيب بن أبي عبيدة.**

21. **عبد الوارث بن حبيب بن أبي عبيدة**، وانتهى الأمر بقتلهما لعبد الرحمن، وازداد الخلاف بين بقية «آل عقبة» بإفريقية، وكان من رجالهم.

22. **حبيب بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة، وعمه.**

23. **عمران بن حبيب بن أبي عبيدة.**

24. **عمر بن نافع بن أبي عبيدة.**

25. **الأسود بن موسى بن عبد الرحمن بن عقبة.**

ولما اشتد النزاع بينهم وتغلب عليهم إلياس شدهم وثاقا، ووجه بهم إلى يوسف بن عبد الرحمن بن عقبة في سفينة، وهو إذ ذاك والي الأندلس ـ كما قدمنا ـ فوصلوا إليه ولكن حبيب بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة هرب، ونفذ إلى القيروان، وكسر باب السجن وأخرج منه.

26. **سلام بن عبد الرحمن بن حبيب أخاه**، وجماعة من صنائع أبيه ومواليه، وكان مع إلياس.

27. **عمرو بن عثمان بن أبي عبيدة الفهري** وكان على ميمنته، وانتهى الأمر بقتل إلياس ودخول حبيب القيروان، وقتل مع إلياس من آل عقبة من بني عمومته:

28. **محمد بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع**، ثم كانت الثورة على حبيب من قبيلة نفزة وغيرها فقتل سنة 140هـ(1).

وكان آخر من بقي بإفريقية من آل عقبة:

29. **عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع**، وكان قد لجأ إلى قبيلة كتامة، وما زال يتردد في الجهة حتى استولى بنو العباس على القيروان وإفريقية، وقامت فيها إمارة بني الأغلب القوية بعد عشرة السبعين ومائة

---

(1) انظر هذه الأحداث في تاريخ الرقيق (ص95 – 103)، والبيان المغرب(1/ 67 – 70).

على عهد الخليفة هارون الرشيد، وانتهى بذلك في المغرب وإفريقية دور بني عقبة الذي استمر في القيادة ومعمعان الأحداث قرابة المائة عام، ولله الأمر من قبل ومن بعد. وقد تعرفنا في قائمة «آل عقبة» على سبعة وعشرين من رجالهم، ونختم بذكر فرع آخر منهم ممن تخلف بعد عقبة خلال الفتح في الصحراء المغربية كما قدمنا، ومنهم:

30. **العاقب بن عقبة.** قال الأستاذ الخليل النحوي في كتابه «بلاد شنقيط المنارة والرباط» في حديثه عن الإسلام في الصحراء: «وتقول بعض الروايات إن عقبة بن نافع واصل سيره من السوس حتى وصل «ولاتة» قال الشيخ سيدي محمد ابن الشيخ سيدي المختار (ت1244هـ): وخلف عقبة ابنه العاقب بـ«سير» المدعوة الآن «ولاتة» وقبره بصحن مسجدها الذي هو بانيه. قال: ويعتقد أن قبيلة «اولاد تدرارين» الصحراوية منتسبة إلى صحابي أنصاري قدم مع عقبة». وفي سنة 116هـ قاد حفيد عقبة حبيب بن أبي عبيدة حملة إلى الصحراء بتكليف من عبد الله بن الحبحاب السلولي الموصلي والي هشام بن عبد الملك على المغرب، فنشر الإسلام بالسوس الأقصى ومسوفة في تخوم السودان»[1]. ويقول في موضع من كتابه تحت عنوان «الهجرة إلى البلاد»: «ومن الأمثلة المبكرة على هجرة الزوايا:

31. **سيدي علي بن سيدي يحيى** من سلالة عقبة بن نافع الذي كان يخرج من توات إلى المرابطين أيام دولتهم، وتزوج في **الصحراء** بنت محمد بن آلم بن كنت بن زم رئيس أبدوكل فولدت له ابنه:

(1) بلاد شنقيط: المنارة والرباط للأستاذ النحوي (ص30)، وهو ينقل عن «الرسالة الغلاوية» للشيخ سيدي محمد ابن الشيخ سيدي المختار الكنتي ـ (مخطوط).

32. **سيدي محمد الكنتي**، فنشأ في أخواله الصنهاجيين، وقفل سيدي علي إلى توات، وخرج سيدي محمد الكنتي إلى سبتة فأخذ فيها عن أبي العباس السبتي، ثم عاد فاستوطن الصحراء، ومعه تلامذته، وبها ولد له:

33. **سيدي أحمد البكاي** من أم جكنية[1].

۞ اكتشاف جديد وإضافة نوعية:

بينما أنا أعد لتقديم هذا البحث للطبع وفقنا الله تعالى لاكتشاف جديد في غاية الأهمية، وهو انتماء الشاعر القيرواني الشهير أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري الفهري نزيل سبتة والمتوفى بطنجة سنة 488هـ إلى عقبة بن نافع الفهري.

فبينما أنا أتصفح كتاب «منح الفريدة الحمصية في شرح القصيدة الحصرية» لابن عظيمة العبدري الإشبيلي المطبوع مؤخرا بتحقيق الأستاذ الباحث الفاضل الدكتور توفيق العبقري وجدته يقول في تعليل نسبته «الفهري» معلقا عليها بما يلي: «نسبة إلى فهر بن مالك من قريش»، ثم يقول ـ وهو الاكتشاف القيم الجديد عندنا ـ: «وقد كان الحصري ينسب إلى عقبة بن نافع الفهري المستجاب الدعوة، قال فيه أحد بني بياع بطنجة يمدحه:

دعاءُ عليِّ بنِ عبد الغنيِّ ... فلا تظلموه دعاءٌ مُجاب
هو العَلَم الفردُ في علمه ... ومَن جدُّه (عقبةُ المستجاب)

ثم قال محققه: «انظر شرح الحصرية لابن مطروح: الورقة 5 ـ مخطوط القرويين»[2].

---

(1) بلاد شنقيط (ص98).
(2) منح الفريدة الحمصية :(ص31).

قلت: ولعله لهذا كان يضيف «الفهري» إلى نسبه اعتزازا بهذه النسبة لشرفها وصلته بعقبة بن نافع الفهري من خلالها. وقد ذكرها أيضا في قصيدته الرائية (الحصرية) في قراءة نافع ، فقال في باب إدغام دال «قد»:

ودالَ قدْ أظهرْ لستة أحرف — كما أظهرَتْ سرَّ الدجى طلعةُ البدر
بجيم ودالٍ ثم شينٍ وبعدها — ثلاثُ الصفيرياتِ فافهم عن (الفهري)[1]

فهذه شخصية جديدة تضاف إلى قائمة آل عقبة الأماجد تبين مقدار هذه الأسرة والأثر البليغ الذي كان لها في الصدر الأول وإلى عهود متأخرة.

❁ جذور نسب آل عقبة في بني الحارث بن فهر.

ومن تمام الفائدة أن أورد جذر نسب عقبة بن نافع في بني الحارث بن فهر بن مالك الذي يلتقي فيه في هذا النسب العدناني الشريف مع رسول الله ﷺ كما ساقه الإمام أبو محمد بن حزم الأندلسي في جمهرة أنساب العرب، وفيه ذكر لبعض فروعه العلمية في مصر.

قال رحمه الله: «ومن ولد ضباب بن الحارث بن فهر بن مالك: هند بنت جابر بن وهب بن ضباب بن الحارث بن فهر، امرأة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه . ومن بني الخلج ـ وهو قيس بن الحارث بن فهر ـ إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة بن الهذيل ابن الربيع بن عامر بن صبح بن عدي بن قيس، وهو الخلج بن الحارث بن فهر؛ وهو الشاعر ابن هرمة.

---

(1) القصيدة الحصرية (ص114) البيتان 103 ـ 104.

وولد الظرب عبد الله بن الحارث: عائش، وأمية. فمن ولد عائش بن الظرب: عبدالله بن عتبة بن أبي إياس بن الحارث بن عبد أسد بن حجر بن عمرو بن عائش بن الظرب بن الحارث بن فهر، ولي مصر لابن الزبير، وقتله مروان بن الحكم.

ومن ولد أمية بن الظرب: **نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الظرب ابن الحارث بن فهر**؛ نخس بزينب بنت رسول الله ﷺ مع هبار بن الأسود؛ وابنه عقبة ابن نافع، الذي بنى قيروان إفريقية؛ وأخوه، عم عقبة: سعد بن عبد قيس، من مهاجرة الحبشة. فولد عقبة بن نافع: أبو عبيدة. فولد أبي عبيدة: حبيب، قاتل عبد العزيز بن موسى بن نصير؛ وعبد الرحمن بن أبي عبيدة بن عقبة؛ ونافع بن أبي عبيدة. فولد حبيب: عبد الرحمن، ولي إفريقية؛ وإلياس، وعبد الوارث. ولهم بإفريقية عقب كثير. وولد عبدالرحمن بن أبي عبيدة: يوسف، ولي الأندلس، وله بها عقب. وبالأندلس من فهر عدد عظيم.

ومن ولد نافع بن أبي عبيدة: المحدث بمصر أبو بكر محمد بن الحارث بن الأبيض ابن الأسود بن نافع بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع المذكور، ومات سنة 344هـ، وهو في قعدد معاوية بن يزيد بن معاوية، ومات أبوه الحارث بن الأبيض سنة 276هـ، وهو في قعدد عبد الله بن عثمان أمير المؤمنين رضي الله عنه من أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ»[1].

(1) جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص181 ـ 182).

خاتمة المبحث:

فهؤلاء أكثر من ثلاثين قائدا من قادة الفتح الإسلامي من آل عقبة الذين عملوا في مصر وإفريقية والمغرب والأندلس والصحراء على نشر دعوة الإسلام وبناء دولته.

وقد أشار غير واحد من المؤرخين إلى بيت عقبة وانتشار ذريته في المغرب كما قال الإمام أبو محمد بن حزم في «جمهرة أنساب العرب»: «أولاد عقبة لهم في المغرب عقب كثير»، وتقدم قول الحافظ ابن حجر العسقلاني في «الإصابة»: «ومن ولده بمصر والشام وإفريقية بقية»، وقال العلامة الكانوني بعد أن سمى بعض من ذكرناهم من أعيان ولده:«ومن عقبة بيت «آل الفاسي» بفاس، أوليتهم بالأندلس، وخرجوا منها إلى «القصر» لما استحوذ الإسبان على الأندلس، ثم من القصر لفاس، وهو بيت كبير تعدد فيه العلماء والصلحاء، وشهرتهم أغنت عن التعريف بهم. قال: ومن بني عقبة «آل سيدي المختار الكنتي» بالصحراء، وهم علماء صلحاء نفع الله بهم في تلك الأصقاع الصحراوية...»[1].

ولقد أبقى الله لعقبة، بسبب هذه الذرية الطيبة الكثيرة، صيتا ذائعا، ولسان صدق في الآخرين، كما كان لآل بيته الأثر البارز في إتمام مشروعه الكبير في فتح المغرب والأندلس، والتمكين لدولة الإسلام في أرجائه، والدفاع عن عقيدته السنية في وجه المذاهب الخارجية والنحل الزائغة، وهكذا كانت هذه الذرية الطيبة من بعده تمثل الاستمرارية لرسالته وتضحيته، لأنها سارت على نفس الدرب، إذ كانت هذه المرحلة في أمس الحاجة إلى قادة أكفاء ترعى مسيرة الفتح الفتية حتى تتعمق جذور الإسلام في هذه التربة القصية عن المركز الأول لدعوته، وهي ضرورة كانت قائمة بعد استشهاد

---

(1) كتاب علائق آسفي بملوك المغرب (ص9).

عقبة ومن معه من الصحابة تنتظر أمثالهم ليقوموا بسدها على نحو ما عبر عن ذلك الأستاذ الخليل النحوي في كتابه حين قال وهو يتحدث عن دخول الإسلام إلى الصحراء: «وحين وصل الفاتحون الأول عقبة وأبناؤه تركوا الإسلام وهو لا يعدو أن يكون شتلة مغروسة في أرض غير مستصلحة»[1].

لقد كانت الأرض كما قال غير مستصلحة، وكان استصلاحها مما بذل له آل عقبة كل طاقاتهم طوال أزيد من مائة عام، ومعهم من المخلصين لرسالة عقبة جماعة من أعيان الفاتحين.

لقد كان عقبة كما وصفه بعض الكتاب بطلا أسطوريا بحق، لأنه استطاع أن يكتب تاريخ الجهاد في الفتح بدمه الزكي بعد أن كان يكتبه في حياته الجهادية بالوقائع والحملات، ثم استشهد فترك الدنيا تلهج بذكراه في كل زمان ومكان.

---

(1) بلاد شنقيط: المنارة والرباط (ص283).

المبحث العاشر: مدلول الصحبة في الموروث الشعبي ودعوى الرواية عن الصحابة من الجن.

انطلقنا في هذا المبحث من التعبير باسم الدعوى على ما سنورده في هذا المبحث من نقول وأخبار اعتبارا بأن مضامينها لا تخضع للمقاييس العلمية المعتادة في الحكم على الأقوال والأخبار، ولكننا مع ذلك نذكرها باعتبارها من الثقافة العامة التي لها تأثير وجداني واسع يرتبط بالموروث الشعبي ومقدار تمثله للحقائق في صورها المفترضة بصرف النظر عن واقعيتها أو عدمها، وهي مع ذلك لا تخلو من نوع من الإيجابية في التفاعل مع الحقيقة الأصلية والقبول بها بوجه عام، ولا نعني بكونها دعوى أنها على مستوى واحد في اقترابها وابتعادها من الحقيقة التاريخية، وإنما سلكناها جميعا في سلك الدعوى، طالما أن معاييرنا المألوفة لا تتلاءم معها ثبوتا ونفيا، كما أن موازيننا في التعقل تقف دون استيعابها استيعابا منطقيا وعقلانيا مقبولا.

ولقد مرت بنا في إثبات الصحبة لرجال رجراجة السبعة أمثلة لم نحب أن نتوقف عندها، أشير بعجالة إلى واحدة منها، وتتصل بالدعوى المسترسلة التي تُقَص بها قصة سفر الرجال السبعة من بلاد رجراجة في الجنوب المغربي إلى مكة المكرمة، وكيف أن واحدا من السبعة، وهو سعيد بن يبقى، تخلف عن الرفقة بسبب مرضه الشديد وعجزه عن مواصلة الرحلة، فتركه أصحابه ومضوا، ولكنهم عندما التقوا برسول الله ﷺ وأخبروه بالمتخلف منهم في الطريق قال لهم: بل هو «السابق»، وأخرجه لهم من تحت ردائه، فلهذا يسمى إلى اليوم باسم «سيدي سعيد السابق». هكذا تقول الحكاية الشعبية المتداولة في المنطقة ـ وأنا من مواليد المنطقة ـ وهذه أطروحة شعبية رجراجية لا تقبل عند المروجين لها النقاش لدخولها في المأثور الشعبي وحصولها من جمهورها على القبول عبر العصور.

وعن مثل هذا عبَّر أبو سالم العياشي في رحلته المسماة «ماء الموائد» تحت عنوان: «لطيفة»، وساق قصة تتعلق بمدينة بالجبل الأخضر على الساحل الليبي، فذكر عمن حدثه «أن بها قبرا مشهورا يزار ويزعم أعراب البلد أنه قبر نبي، قال: فقلت له: الغالب أنه قبر صحابي، فقد نص المؤرخون على أن رويفع بن ثابت بن السكن الأنصاري النجاري من الصحابة قد توفي ببرقة وهو وال عليها من قِبَل مَسلمة بن مخلّد، وقتل ببرقة أيضا زهير بن قيس البلوي، ندبه عبد العزيز بن مروان إلى برقة، فلقي الروم، فقاتل حتى قُتل، وما ذاك إلا قبر أحدهما، **فإن كثيرا من العوام يطلقون اسم النبي على الصحابي، وقد شاهدنا كثيرا منهم يعتقدون في أبي بكر وعمر وعلي أنهم أنبياء**، ويظُن أن اسم النبي والصحابي مترادفان، فلما أخبرته بذلك فرح، وقال: ليس الأمر إلا كما ذكرت»[1]. ثم قال:«ولما رجعنا من الحجاز سنة 74هـ ـ يعني بعد الألف ـ لقيته ببلدة مسراتة وقال لي: إني قد ذهبت بعدك إلى المكان المذكور، وتأملت القبر وعليه كتابة وأمارات، ربما تدل على صحة ما ذكرت، وقال لي: وذكرت كلامك لبعض الأمراء في «درنة» ففرح بذلك، وأمر بالبناء على القبر والتنويه به»[2].

وقد واجه العلامة أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي مثل هذه الأطروحات الشعبية في كتابه «طلعة المشتري في النسب الجعفري» نقلا عن «شرح عقود الجمان النفيس في أعيان شرفاء غريس» لأبي عبد الله الراشدي، وذلك في حديثه عن الصحابي وابن الصحابي عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما حيث قال:«وكانت لعبد الله بن جعفر في الشجاعة مواطن قفا فيها أثر والده «جعفر الطيار»، ذكرها غير واحد في فتوح الشام». قال:«وما شاع على ألسنة العوام من أنه أوقع الوقائع بإفريقية وتلمسان وغيرها من بلاد المغرب فهو باطل لا أصل له، بل لم يحضر عبد الله وقعة

(1) ماء الموائد للعياشي (ص150 ـ 151).
(2) نفسه (ص151).

إفريقية، ولم تتجاوزها الصحابة». قال الناصري:«أما شهود عبد الله فتح إفريقية فقد نص عليه ابن خلدون في كتاب «العبر» وناهيك به، نعم تلك الوقائع الخارقة للعادة التي ينقلونها في فتوح إفريقية باطلة، بل الحق أن عبد الله بن جعفر لم يشتهر بالشجاعة، وإنما اشتهر بالجود، وإن كان الجود والشجاعة قلّما ينفك أحدهما عن الآخر فيما يزعمون»[1].

ومن تتبع ذلك وجد قصصا كثيرة مما حشده الشيخ الرجراجي في كتاب «السيف المسلول» هو من هذا القبيل في الحديث عن سبق من رجال رجراجة إلى صحبة النبيﷺ، وسبقهم لعقبة في فتح المغرب، وقيامهم بجهاد برغواطة بقيادة يعلى بن مصلين، كما يدل على ذلك طبله المعلق قديما برباط شاكر كما تقدم، واستشهاد شاكر نفسه في حربهم كما ذكر ذلك الأستاذ محمد الرجراجي السعيدي في كتابه «رجراجة وتاريخ المغرب»[2].

ونقرأ في «السيف المسلول» في الاحتجاج لإمكان رحلة الرجال السبعة في عهد النبوة وإثبات سبقهم وصحبتهم مثل هذه الروايات التي ينقلها حيث يقول: «ووجدت في شرح ابن التلمساني على الشفا ـ وهو من أهل القرن العاشر ـ ما يُستغرب سماعه، أن ابناً لأبي جهل بعد فتح مكة ورد على المغرب لناحية آسفي وسكن بها، حكى ذلك أبو التقى صالح بن عبد الحليم، وقال: حدثني بنسبه إليه الشيخ الفقيه المسن أبو يعقوب الماجري، ثم ساق عموده إلى أبي جهل من جهة الولد المذكور»[3]. ثم قال الرجراجي:«ومثله في الغرابة ما ذكره ابن التلمساني أيضا نقلا عن الحافظ أبي

---

(1) طلعة المشتري في النسب الجعفري (1/ 50).

(2) انظر رجراجة وتاريخ المغرب (ص16).

(3) السيف المسلول (ص17). قلت: قرأت ما يتعلق بما ذكره ابن عبد الحليم المذكور فيمن وصل إلى النبيﷺ من المغرب مما ذكره في كتاب «الأنساب» فلم أقف فيه على قصة ابن أبي جهل. انظر الأنساب(ص69 ـ 78).

عبد الله محمد بن أبي علي الحسن أبركان قال: «ذكر أبي عن شيوخه أن في غزوة الأحزاب سار فيها لنصرة قريش من رجال صدينة من المغرب الأقصى أربعون رجلا أو فارسا. ذكره الجزولي»[1].

ومثل هذه الحكايات التي لا خطام لها ولا زمام تساق في مساق الاستدلال بها على سبق أهل المغرب، وهو سبق غير مشرف حتى لو لم يكن مجرد أسطورة لا حقيقة لها، لا سيما والغرض من إثباته تفويت السبق إلى فتح المغرب عن عقبة ﷺ، وهو حدث جليل رأينا آثاره وتقصينا أخباره في المشاهد والمساجد وأعيان الأبطال المجاهدين من ذريته.

❁الطرح الصوفي للصحبة عند بعض الطرق.

وإلى جانب هذا الطرح الشعبي الذي لا تشهد له الوثائق التاريخية، هناك أنواع أخرى من الصحبة، منها ما يمكن تسميته «صحبة اعتبارية» أي باعتبار صحبة أحاديثه وآثاره أو ما يطلق عليه بعض المشايخ «صحبة الأنفاس النبوية»، وفيها كنا نسمع مشايخنا يذكرون في سياق التنويه بشرف أهل الحديث هذا البيت:

أهل الحديث هم صحب النبي وإن ... لم يصحبوا نفسه أنفاسه صَحبوا

ومن هذا المنطلق كانوا يغتبطون بقلة الوسائط في الرواية، لا من جهة مظنة سلامة الأسانيد فقط، وإنما لما في قلتها من معنى القرب من النبي ﷺ، أو ممن يروي حديثه أو شمائله. وبهذا «القرب من المصطفى ﷺ» نوّه العلامة الرصاع في نقل أورده جاء فيه: «ذكر البُرزُلي أنه أنشده شيخه الشيخ الصالح أبو الحسن محمد البطرني عن

(1) نفسه (ص17).

شيخه أبي عبد الله محمد أحمد بن حيان لنفسه ـ رحمه الله ـ في سنده لكتاب «الشفا» للقاضي عياض:

أحبابنـــا هـــذا الـــشفا بـــالقرب مـــن ســـند «الـــشفا»
بيـــني وبـــين عياضـــه شـــيخان مـــن أهـــل الـــصَّفا
شرف الوجـــود بـــأسره قـــرب النـــبي المـــصطفى
صـــلى عليـــه الله مـــا شـــفع الحبيـــب وشُرِّفـــا

وفي مثل هذا يقول شيخ الجماعة أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي في أرجوزة ذكر فيها سنده في القراءات من طريق أبي زيد الشريف المنجرة عن شيوخه من أهل المشرق:

وطـرق الـشرق كثـيرة العـدد كطـرقٍ للغـرب فـاترك الـلَّدد
إذِ المـراد الاتـصال بالرسـول فلُمعـةٌ منهـا كفـاءٌ فـأقول[1]

(1) انظر السند في كتابنا قراءة الإمام نافع عند المغاربة (4/ 412 ـ 413).

❁ **السند عن المعمرين وعن الجن.**

وانتهاجا منهم لهذا المهيع في التعلق بالأسانيد العالية لم يجدوا حرجا في مصادمة أصول الرواية المجمع عليها من أوصاف العدالة والضبط والبعد عن الشذوذ والعلة القادحة ورواية غرائب المتون، فإنهم رووا عن طائفة من المعمرين ممن ادعوا الإدراك والصحبة أو ادعيت لهم، أو ادعوا إدراك بعض الصحابة، وكل ذلك منهم إنما نتج عن الشغف بالأسانيد العالية القليلة الوسائط، ولكي يقرب بعضهم على نفسه الشقة روى وأسند من طريق الجن والعفاريت ضاربا عرض الحائط بكل ما اشترطه العلماء في الرواية، وزاعما أن تلك الشروط لا تلزمه لأن المروي عنه صحابي، والصحابة كلهم عدول.

وقد نشر طارق بن عبد الرحمن الحمودي تأليفا له على شبكة «الأنترنت» سماه «كتاب إظهار الغرابة بذكر الجن من الصحابة» ساق فيه الكثير من النقول عن المتأخرين من أهل المغرب مما يتصل بالرواية عن الجن وتعرض لذكر مستندات بعضهم في ذلك كما صرح به. يقوله فيه: «أما بعد: فقد ألف في ذكر أسماء الصحابة وشيء من أخبارهم وفضائلهم ثلة من فضلاء أهل العلم، والذي يثير اهتمامك في بعضها أنهم ذكروا صحابة من الجن. وقد ذكر شيخ شيخنا عبد الحي الكتاني في «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات»[1] أن هناك تأليفا في إثبات صحبة شمهروش الجني لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام بن محمد بن العربي بن يوسف بن عبد السلام الفاسي لقبا ودارا، المتوفي بفاس سنة (1214هـ) وقال أيضا: «وهو عندي بخطه في أربع ورقات»[2]. ثم قال:«وكان شيخنا بوخبزة قد أخبرنا أن

(1) فهرس الفهارس (1/ 338).
(2) نفسه (2/ 848).

أحمد بن الصديق ألف كتابا سماه «مسند الجن». لكنه لم يظهر، ولربما لم يكن له وجود أصلا». ثم قال: «قال شيخ شيخنا عبد الحفيظ الفاسي في «الآيات البينات في شرح وتخريج الأحاديث المسلسلات»[1]: «وقد أنكر ذلك جماعة من أهل الحديث، وإنما أوردنا ذلك تبعا للمتأخرين من أرباب الفهارس، وجمعا للنظائر. قال أبو سالم العياشي في «مسالك الهداية»:جرت عادتهم برواية ماكان مثل هذا مع إنكاره، كأحاديث المعمر والخضر، ثم قال حاكيا عن ابن عقيلة في «مسلسلاته» قائلا: إن هذا الأمر لما لم يكن متعلقا بشيء من الأحكام، بل هو أمر متبرك به، قبلته الأئمة الأعلام، ولو كان في الأحكام والاستنباطات لما قبل هذا السند، وفيه ما فيه». ثم قال:«وقال الشيخ مرتضى - يعني الزبيدي - في «التعليقة الجليلة على مسلسلات ابن عقيلة»: وما رأيت لأحد من الحفاظ المتقدمين كلاما في القاضي شمهروش، وفي ابنه علي، وفي لقيه به ﷺ ولكن الجن كانت تجتمع به ﷺ وتأخذ عنه، وهذا كله وإن لم يفد شيئا على طريقة المحدثين وعلماء الظاهر، لكن يفيد عند أرباب الباطن الذين ألهموا صدق ذلك الجني فيما أخبر به، ويفيد هؤلاء الملهمين التبرك والانتظام في سلك هذا السند». ثم قال:«لكن قد توقف في الرواية عن الجن بعض الحفاظ؛ لأن شرط الراوي العدالة والضبط، وكذا مدعي الصحبة شرطه العدالة، والجن لا نعلم عدالتهم، مع أنه ورد الإنذار بخروج شياطين يحدثون الناس، وإثبات صحبة شخص وعدالته من الأمور الشرعية، وليس الإلهام من الطرق عند أهل العلم التي يستدل بها في الشرعيات؛ لأن الإلهام ربما لا يكون صحيحا، وهو مثل الكشف في ذلك، فقد صرح العلماء أن الكشف يخطئ ويصيب». قال: «ويلزم من إثبات صحبة الجني بالإلهام تصديقه فيما يخبر به عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وربما يكون كاذبا

---

(1) الآيات البينات (1/ 31).

في دعواه، فنكون قد أثبتنا صحبة شخص للنبيﷺ من غير اعتماد شيء يفيد، إلا على الإلهام الذي ليس بحجة في الشرعيات، فندخل في الوعيد الوارد في قوله ﷺ: «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار».

وقد ساق صاحب المقال الحديث المسلسل بالمصافحة من طريق الشيخ محمد بن جعفر الكتاني وفيه قوله:«وسمعت الحديث المسلسل بالمصافحة الشمهروشية بالسند المذكور إلى الشيخ سيدي محمد صالح عن السيد الجليل عبد الوهاب الموصلي قال: صافحت إسماعيل كما صافحه أحمد المنني كما صافحه السيد الجليل عبد الغني المقدسي كما صافحه القاضي أبو محمد شمهروش صاحب سيدنا رسول الله ﷺ، قال: «اجتمعت مع سيدنا رسول الله ﷺ في جبل أحد فقال لي: ياشمهروش صافحني، فإنه من صافحني أو صافح من صافحني أو صافح من صافح من صافحني إلى سبع مرات دخل الجنة من غير سابقة عذاب»».

ثم قال الكاتب: «وذكر العلامة اليفرني في «صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر» عن أبي العباس أحمد العجمي في فهرسته قال: لم أجد لشمهروش ذكرا في معجم الصحابة، والله أعلم. قال اليفرني: «يعني مع أن صاحب الإصابة تتبع أسماء الصحابة من الجن فذكر منهم عدة، ولم يتعرض لشمهروش مع شهرة أمره عند الناس، لكن أمره تواتر، وشاع وتكاثر، وإخبار غير واحد بالاجتماع به من ذوي البصائر معلوم، وإذعانهم لجنابه مقرر مرسوم، وهم القدوة، ولنا فيهم إسوة، وعدم ذكرهم له في الصحابة لا يخدش في هذا المطلب؛ لأن اجتماع الجن معه ـ عليه السلام ـ مما لا يخفى في الأغلب، والله أعلم بالصواب»[1].

---

(1) من موقع الملتقى العلمي للعقيدة والمذاهب المعاصرة رقم الحديث 13.

إنه إذن اختلاف المعايير بين علم العلماء، وأصحاب الدعاوى التي تتعلق بالحديث عن البصائر والإلهامات والخوارق التي لا يشهد لها دليل. والغريب من هذا أن يتعلق بهذه الغرائب علماء أجلاء ثم يصل الأمر إلى أن يسندوا من طريق هذه المخارق كتاب الله عز وجل بالروايات.

وهاهو الشيخ أبو عبد الله بن عبد السلام يدرج السند الشمهروشي في أسانيده للقراءات السبع من طريق أبي زيد عبد الرحمن بن إدريس المنجرة عن والده إدريس بن محمد بأسانيده، وقد نظم ما يتعلق به غرضنا بقوله:

أخذت عن سيدنا الإمام ... العالم الدراكة الهمام
شيخ الجماعة بقطر فاس ... الحسني العاطر الأنفاس
الحافظ النحرير ذي الإتقان ... الألمعي عابد الرحمن
عن الرضا والده أبي العلا ... ثمت عن أبي الفدا شيخ الملا
فالشبراملسي علي ثم عن ... الحلبي صاحب الهدي الحسن
عن شمهروش صاحب الرسول ... عنه عن الأمين جبرائيل[1]

ومن الطريف أنه صدَّر أسانيده المنظومة بهذا السند الشمهروشي، وربما لكونه قليل الوسائط؛ إذ ليس فيه بين إدريس المنجرة (ت1137هـ) إلا أربع وسائط رابعها هذا الصحابي الجني المزعوم.

وفي فهرس الفهارس حين أسند سنده بالمصافحة الشمهروشية مما ذكر أنه حدثه به أبو عبد الله محمد بن المدني الشرقاوي بآنفا عام 1321هـ ثم ذكر سنده إلى شمهروش

(1) انظر كتابنا قراءة الإمام نافع عند المغاربة (4/ 211).

قال: «فهو على هذا لنا رباعي، وقد حصل للسيد مرتضى سداسياً فافتخر به قائلاً في «ألفية السند» له في ترجمة شيخه البلدي:

وخذ لإسنادِ حديثٍ عالِ ⁂ من طرقِ الجنّ بالاتصالِ»[1].

ويزيد الشيخ الكتاني إمعانا في هذا المهيع فيقول:«ومن عواليه روايته للقرآن الكريم عن حميد السندي عن ابن حجر المكي عن محمد بن أبي الحمائل السروري عن تابعيّ معمر من الجن عن صحابيّ جني عن النبي ﷺ »[2].

فانظر إلى حال هذه العوالي المزعومة في رواية القرآن الكريم عن تابعي مجهول الاسم والعين عن صحابي مثله، بأي معيار يمكن اعتبارها في باب الأسانيد؟ ولكنه هاجس علو السند وطلب القرب من الرسول ﷺ بأي وسيلة.

وقد أشار العلامة الفاضل الدكتور الحسن وكاك في رسالته عن «تقييد وقف القرآن الكريم» للشيخ أبي جمعة الهبطي إلى تعلق المتأخرين من مشايخ الرواية بالمغرب فقال: «وإدراج الجن في السند العلمي لم يكن معيبا عند قراء المغرب المتأخرين، بل كانوا يفتخرون به كما حدثني بذلك الشيخ أحمد أبو عبيدة الفيلالي عن المقرئ ابن المبخوت الفيلالي أنه كان يقول مفتخرا بالقراءة الفيلالية على قراءة النواحي الأخرى من المغرب: قراءتنا فيها رائحة الجنون، وقريبة من الرسول»[3].

---

(1) فهرس الفهارس (/ 703 ـ 704) ترجمة 453.

(2) نفسه (2/ 583) ترجمة 486.

(3) تقييد وقف القرآن الكريم للدكتور وكاك (ص103).

⊛الطرح الصوفي للصحبة ورؤية المشايخ له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقظة ومشافهتهم له.

وفي مقابل هذا التعلق بالصحبة ودعوى الرواية عن الصحابة نجد عند بعض الطرق الصوفية طرحا آخر للصحبة يمكن أن يدخل أيضا تحت مسمى «الصحبة الاعتبارية» بمفهومها الصوفي عندهم.

يقول الشيخ محمد العربي السايح أحد كبار أتباع الطريقة التيجانية وصاحب الزاوية المعروفة بالرباط في كتابه «بغية المستفيد بشرح منية المريد»: «قال في منية المريد وهو يتحدث عن كرامات الشيخ التجاني:

ومنه رؤية النبي الهادي ... وهي لديهم غاية المراد
وعنه لا يغيب لمح بصر ... يقظة فياله من منظر
في يوم الاثنين ويوم الجمعةِ ... رائيهِ يدخل غداً في الجنةِ
بلا حسابٍ لا ولا عقاب ... بل هو آمن من العذاب

ثم يشرح الأبيات فيقول: «ولا يذهب بك الوهم إلى أن تنفي الخصوصية الكبرى والمزية العظمى عمن أكرمه الله تعالى بهذه الكرامة التي هي الرؤية له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقظة ومشافهة، حيث انتفت عنه «درجة الصحبة»، فإن «درجة الصحبة» درجة سامية لا مطمع في دركها لأحد مما عدا صحابته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لمكان صحبتهم لجسده الطاهر ﷺ في مدة وجوده الحقيقي الخارجي، ولقوله ﷺ: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحد منهم ولا نصيفه»[1].

(1) بغية المستفيد (ص209 ـ 213).

ثم قال صاحب منية المريد عن حصول ذلك لشيخه في موضع نزوله وأخذه المشيخة عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

وفـــتح الله بهـــذا العـــام فتحـــا لـــشيخي الكامـــل الهمـــام
بـــأن رأى بـــالعين عـــين الرحمـــة يقَظـــة فـــصار عـــين الأُمـــة
وقـــال: دع كل شـــيوخك وذر أنـــا مربيـــك وشـــيخك الأبـــر
وقـــال: أنـــت وارثي وحـــسبي وولدي حقـــا بغـــير عتـــب
وكان فـــتح شـــيخنا ذي الديـــن بقـــصر الاســـعاد أبي ســـمغون

وقال السائح في شرحه للأبيات في «بغية المستفيد»: «وفي هذا العام انتقل سيدنا رضي الله عنه من تلمسان، فتح الله تعالى بفضله له فتحا كاملا واضح البرهان، وذلك بأن رأى بعيني رأسه يقظة وجه سيد الأكوان، وتشرف بمشاهدة طلعة سيد ولد عدنان ﷺ، وصرح له ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنه شيخه ومربيه وكامله، وأنه لا منة لمخلوق سواه عليه من الأنام، وأمره بترك جميع ما أخذه من مشايخ الطريق، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل على التحقيق، فلقنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طريقته من الأوراد، وافية بكل غرض ومراد»[1].

ومن الطريف أن صحبة شمهروش أيضا كانت حاضرة عند صاحب البغية وصالحة للأخذ عن صاحبها، يقول في شرح قول «منية المريد»:

وكل مـــا ينـــال كل عارف مـــن الخـــلال ومـــن المعـــارف
فـــشيخنا أخـــذه مـــن النـــبي وحزبـــه بنيلـــه للرتـــب
فخـــضعت رقـــاب الأوليـــاء لقـــدمي شـــيخي بـــلا امـــتراء

---

(1) بغية المستفيد (ص 174 ـ 175).

ثم يقول بعد شرح الأبيات:«ولم ينقل عن أحد من أهل الطريق أنه شيَّخ جنيا في الطريق، إلا ما في بعض طرق المسلسل بالمصافحة، وكذلك تلقي بعض العارفين لبعض الأسرار الخاصة من خاصتهم، كتلقي سيدي علي حرازم تلميذ سيدنا رضي الله عنه للحزب السيفي وغيره من الأسرار مشافهة من القاضي أبي محمد شمهروش الصحابي المعروف رضي الله عنه وذلك بإذن من سيدنا رضي الله عنه كما هو معروف عند الأصحاب. قال: وكان أخذ الشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن الشيخ محمد بن ناصر الدرعي رضي الله عنهما فاتحة الكتاب بالقراءة الورشية متصلة ميم البسملة بالحمد لله رب العالمين، عن عبدالمومن الجني الصحابي رضي الله عنه لما لقيه ببدر حين حج، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبما وقفنا عليه في أسانيد بعض العلماء»(1).

فهذه رواية الشيخ علي حرازم صاحب كتاب «جواهر المعاني» الذي هو عمدة الطريقة التيجانية، يروي «الحزب السيفي» وغيره من الأسرار عن هذا الصحابي المزعوم من الجن، وهو شمهروش في القرن الثاني عشر الهجري؛ لأنه تلميذ الشيخ التيجاني دفين فاس المتوفى سنة 1130هـ. في حين يذكر الشيخ السائح رواية الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي لرواية ورش من طريق جني آخر من الصحابة غير شمهروش، ويزيد على ذلك أن ابن ناصر لقيه الجني عبد المومن ببدر حين حج، ولا أدري كيف التقيا ببدر مع بعد بدر عن كل من مكة والمدينة، كما لا أدري كيف يروي عبد المومن الجني الصحابي رواية ورش عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وورش، وهو عثمان بن سعيد المصري راوي القراءة عن نافع المدني، ونافع إنما عاش ما بين عامي 70ـ 169هـ، وكذلك ورش صاحب الرواية المذكورة إنما عاش في القرن الهجري الثاني ما بين عام 110ـ 197هـ، فكيف يروي عبد المومن الجني الصحابي قراءة ورواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

(1) بغية المستفيد (ص 234).

وكل من صاحب القراءة والرواية لم يولد بعد، وإنما يولدان بعد عشرات السنين؟! وإنما الجواب يكمن في اختلاف مستوى التفكير وتباين المعايير. ونحن لا نستغرب من أن نجد مثل هذه الترهات في «بغية المستفيد» وما شاكلها، وإنما الذي يدعو إلى الاستغراب حقا أن نجد مثل الشيخ عبد الباقي الأيوبي في كتاب «المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة» يقبل مثل هذه الروايات عن أشخاص من الجن لا حقيقة لهم مع الاعتداد بصحبتهم وروايتهم، وأغرب من ذلك وأدهى وأمر أن تتعلق الرواية بكتاب الله الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾[1].

وأطرف من ذلك أن يذكر في الأسانيد فقهاء لهم اعتبار، كهذا السند الذي يروي فيه الأيوبي قراءة فاتحة الكتاب بسند متصل إلى الشيخ علي الأجهوري المصري الفقيه المالكي فيقول: «وهو قرأها على النجم الغيطي، وهو قرأها على القاضي شمهروش الجني الصحابي، وهو قرأها على النبي ﷺ»[2].

ثم يروي الفاتحة أيضا من طريق الشيخ ابن ناصر الآنف الذكر مسلسلة عمن سماه «العارف بالله سيدي أحمد بن ناصر عن عبد المومن الجني البدري الصحابي عن النبيﷺ بقراءة ورش مقصورة»، يعني «ملك يوم الدين» دون ألف كما هي في قراءة نافع[3].

وقد أسند الشيخ عبد الحي الكتاني نحوا من هذا في فهرس الفهارس من طريق جني ثالث بسنده إليه فقال في سند المصافحة «عن المعمر محمد بن عبد الفتاح الجني عن شمهروش عن النبي ﷺ»[4].

---

(1) فصلت: الآية 42.

(2) المناهل السلسلة (ص78 ـ 79) رقم المسلسل 55.

(3) انظر المناهل السلسلة (ص79) رقم المسلسل 79.

(4) فهرس الفهارس (2/ 703 ـ 704) ترجمة 453.

وتعالوا معي لننظر كيف هي غبطة بعض البسطاء بالحصول على مثل هذه الإجازات المفتعلة عن صحابة من الجن لا وجود لهم إلا في هذه الروايات التي لا تخضع لمنهج من مناهج أهل العلم بما تثبت به النقول. اجتمع الشيخ الولاتي في رحلته المدونة باسم «الرحلة الحجازية» وهو في طريق العودة بشيخ من شيوخ الإسكندرية يدعى إبراهيم محمد نوار وأملى عليه هذه الإجازة فكتبها بخطه، ووقع له عليها الشيخ الولاتي. وفيها بعد الاستفتاح قوله: «أما بعد، فقد أسعدنا الحظ بالاجتماع بمولانا قاضي القضاة بجهة الحوض بصحراء المغرب الكبرى محمد يحيى بن محمد المختار الوَلاَتي نسبة إلى مدينة وَلاَتة ببلاد الحوض.... وشابكنا كما شابكه شيخه عثمان بن أحمد، كما شابكه شيخه الطالب الأمين، كما شابكه شيخه سيدي محمد بن الحاج، كما شابكه الجني شنفور بن الصيص، قال: شابكت رسول الله ﷺ ليلة الجن». قال شيخنا محمد يحيى المذكور: «فهو من الوفد الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة الجن. كتبه الفقير إبراهيم محمد نوار الشافعي السكندري بإملاء شيخنا المذكور، نفعنا الله به، آمين». وتحتها توقيع الفقيه الولاتي بتاريخ 12 جمادى الثانية 1314هـ.

وهذه الإجازة مصورة في ترجمة الولاتي في «الإعلام» للزركلي، وفيها ـ كما نرى ـ أن الفقيه الولاتي في القرن الرابع عشر الهجري يروي عن النبي ﷺ مسلسل المشابكة باليد في السلام، وليس بينه وبينه إلا أربع وسائط، وأول هذه الوسائط جني من وفد نصيبين الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة الجن بمكة المكرمة قبل الهجرة. وراوي المشابكة في هذه المرة ليس شمهروش كما في أسانيد عبد الباقي الأيوبي والشيخ عبد الحي الكتاني، وإنما هو شنفور بن الصيص كما تزعم الرواية. ومعنى هذا أن الصحابة من الجن كانوا ما زالوا أحياء تؤخذ عنهم الروايات عن النبي ﷺ بعد وفاته بأكثر من اثني عشر قرنا.

ولنا نحن بمعاييرنا أن ننتقد كما نشاء، ولكن ذلك لا يستطيع أن يلغي مثل هذه الثقافة الشعبية إن صح أن تسمى ثقافة، لكونها ثقافة متجدرة في التربة الصوفية التي لا تعطي كبير أهمية للمنهج العلمي والمنطق العقلي، وهي على كل حال جزء من التراث الشعبي المكتوب الذي يملأ فهارس الفقهاء والمتصوفة ويُكَوِّن جزءا من الموروث يمثل مستوى من التصور والتصديق لا سبيل إلى إلغائه.

خاتمة

وبعد فلعلنا من خلال مباحث العرض قد استطعنا أن نتابع آثار الصحابة الكرام في المغرب بين معايير التاريخ الموثق في مصادره المعتبرة، والموروث الشعبي المدون منه والشفوي، من خلال ما استقصينا من أخبار عقبة بن نافع الصحابي وآثاره، ومشروعه في فتح المغرب ومن كان معه من الصحابة الكرام، وما خلَّفه في المغرب من آثار تجسّدت في المشاهد والمساجد والرباطات، كما تمثلت في جهاد «آل عقبة» من بعده في أقطار مصر وإفريقية والأندلس والمغرب لمدى مائة عام، كما أجرينا موازنة بين آثار عقبة وأولاده في الفتح، وبين من ينازعونه في السابقة والفتح من رجال رجراجة السبعة، وما كان لهم بسبب صحبتهم المزعومة المتقدمة على وصول عقبة إلى المغرب، ثم ختمنا بمبحث هام في نوع مما سميناه «صحبة التبرك» أو «الصحبة الاعتبارية» كما تمثلت في المفهوم الصوفي والتصور الشعبي من خلال الرواية عن صحابة مزعومين من الجن. ورأينا أن الباعث الأكبر في التعلق بالرواية عنهم على عِلاّتها هو طلب القرب من الرسول ﷺ عن طريق الإسناد العالي، لما فيه من قلة الوسائط. وبقدر ما كشفنا عن تهافت هذه الروايات التي تملأ كتب الفهارس والرحلات، وأبنَّا عن مجافاتها للمنطق العقلي والمنهج العلمي، فقد لاحظنا من جانبها الإيجابي أنها تمثل تمجيداً وإكباراً لمنصب «الصحبة النبوية»، وهي تسعى من خلال مثل هذه الروايات إلى الاقتراب من المشكاة النبوية عن طريق الرواية القصيرة السند، ولو اقتضى الحال أن تكون عن مثل عبد المومن الجني والقاضي شمهروش وشنفور بن الصيص والقائمة طويلة، ولا يعنيها أن يكون لهم وجود أو لا يكون.

والحصيلة في النهاية أن ذلك كله يجسد مقدار تغلغل محبة الصحابة الكرام في الوجدان المغربي، وانعكاس تلك المحبة وذلك التعلق في الموروث الشعبي بمختلف صوره مما لم يسمح المجال بالتوسع فيه. ورحم الله الشيخ شرف الدين البوصيري الصنهاجي الأصل ـ من صنهاجة المغرب ـ حين يقول في «همزيته» في وصف الصحابة الكرام متوجها بالخطاب إليه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

وبأصحابك الذين همُ بعـ ... ـدك فينا الهداةُ والأوصياء
أحسنوا بعدك الخلافة في الد ... ين، وكل لما تولى إزاء
أغنياءٌ نزاهةً فقراءٌ ... علماءُ أئمةٌ أمراء
زهدوا في الدنيا فما عرف الميـ ... ـل إليها منهم ولا الرغباء
أرخصوا في الوغى نفوس ملوك ... حاربوها أسلابها إغلاء
كلهم في أحكامه ذو اجتهاد ... وصواب وكلهم أكفاء
رضي الله عنهمُ ورضوا عنـ ... ـه فأنى يخطو إليهم خَطاء
جاء قومٌ من بعد قوم بحق ... وعلى المنهج الحنيفي جاءوا
ما لموسى ولا لعيسى حَوار ... يُّون في عدِّهم ولا نقباء

فرضي الله تعالى عن جميع أصحاب رسول الله ﷺ، ونفعنا بمحبتهم وحشرنا في زمرتهم. آمين.

السلام عليكم ورحمة الله

فهرس المصادر والمراجع

➢ الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقد الديانات بالتجويد والدلالات لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق محمد بن مجقان الجزائري ـ دار المغني ـ الرياض، ط 1420/1هـ ـ 1999م.

➢ الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مراكشي موحدي من أهل القرن السادس، تحقيق محمد زغلول عبد الحميد ، دار النشر المغربية ـ الدار البيضاء: 1985م.

➢ الاستدراك على الاستيعاب للحافظ أبي إسحاق إبراهيم الطليطلي الأندلسي المعروف بابن الأمين ، رواية أبي القاسم بن بشكوال ، دراسة وتحقيق الأستاذة حنان الحداد ـ منشورات وزارة الأوقاف المغربية ـ مطبعة النجاح ـ الدار البيضاء: ط 1 / 2008م.

➢ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصا لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب ـ الدار البيضاء: 1956م.

➢ الاستيعاب في معرفقة الأصحاب (بهامش الإصابة لابن حجر).

➢ أسد الغابة في معرفة أسماء الصحابة لابن الأثير، طبعة طهران: 1980م.

➢ آسفي وما إليه قديما وحديثا لمحمد بن أحمد العبدي الكانوني، نشر المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة: 1353هـ

➢ الإصابة في تمييز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة مصطفى محمد بمصر ـ القاهرة ، 1359هـ ـ 1939م.

➢ الأعلام لخير الدين الزركلي، نشر دار العلم للملايين ، ط10 ـ بيروت ـ لبنان.

➢ الأعلام لخير الدين الزركلي (المستدرك)، طبعة بيروت 1980م.

➢ أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام للسان الدين بن الخطيب السلماني، تحقيق وتعليق: الدكتور أحمد مختار العيادي والأستاذ محمد إبراهيم الكتاني، نشر وتوزيع دار الكتاب ـ الدار البيضاء: 1964م.

➢ أقرب المسالك إلى موطإ الإمام مالك للشيخ التهامي كنون.

➢ الاكتفا في سيرة النبي ﷺ والثلاثة الخلفا للإمام الكلاعي الأندلسي، تحقيق مصطفى عبدالواحد: 1970م.

➢ الأنساب لابن عبد الحليم ، مخطوط خ. ع. ك رقم 1275.

➢ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، لعلي بن أبي زرع الفاسي، دار المنصور للطباعة والوراقة ـ الرباط سنة 1972م.

➢ الآيات البينات في شرح وتخريج الأحاديث المسلسلات للشيخ عبد الحفيظ الفاسي.

➢ البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، طبعة مكتبة المعارف ـ بيروت.

➢ بغية المستفيد للشيخ محمد العربي السايح ـ المطبعة المهدية ـ تطوان.

➢ بلاد شنقيط: المنارة والرباط، للخليل النحوي ، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة ـ تونس: 1987م.

➢ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان.

➢ بيوتات فاس الكبرى لإسماعيل بن الأحمر ومن معه ـ دار المنصور للطباعة ـ الرباط:1972م.

➢ تاريخ ابن خلدون ـ المطبعة المصرية ـ القاهرة: 1391هـ ـ 1971م.

➢ تاريخ إفريقية والمغرب لأبي إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق ، تحقيق د.عبد الله العلي الزيدان ود.عز الدين عمر موسى، طبعة دار الغرب الإسلامي، ط1/1990م.

➢ تاريخ خليفة بن خياط لأبي عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري الملقب بـ «شباب»، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار طيبة ـ الرياض ط2/1405هـ ـ 1985م.

➢ تاريخ المصحف العثماني في المغرب للعلامة محمد المنوني: دعوة الحق ـ العدد 4 /22 يونيو ـ يوليوز 1981م.

➢ تاريخ المغرب العربي للدكتور سعد زغلول عبد الحميد ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان.

➢ التشوف إلى رجال التصوف لأبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط 2 /1997م.

- تقييد وقف القرآن الكريم للهبطي دراسة وتحقيق الدكتور الحسن وكاك ـ مطبعة النجاح ـ الدار البيضاء: 1411هـ ـ 1991م.
- تكميل الصلحاء والأعيان (ذيل معالم الإيمان) لمحمد بن صالح الكناني القيرواني، تحقيق محمد العنابي ـ المكتبة العتيقة ـ نهج جامع الزيتونة ـ تونس/1970م.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس لأبي محمد بن أبي نصر فتوح الحميدي الأزدي الأندلسي، تحقيق دة. روحية عبد الرحمن السويفي، منشورات دار الكتب العلمية - بيروت، ط1417/1هـ ـ 1997م.
- جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي، تحقيق وتعليق إ.ليفي بروفنسال، طبعة شركة نوابغ الفكر ـ القاهرة، ط 1 /2009م.
- جواهر الكمال في تراجم الرجال لمحمد بن أحمد الكانوني العبدي ـ المطبعة العربية ـ الدار البيضاء ـ مطبعة ربانيت ـ آسفي: ط2004/2 م.
- الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب للدكتور حسن جلاب، كلية اللغة العربية ـ مراكش.
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي، المطبعة الشرقية، القاهرة.
- الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية لمحمد المشرفي.
- دراسات في تاريخ الدولة العلوية للدكتور مصطفى أبو ضيف أحمد.
- الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية لمحمد بن علي السنوسي.
- دليل مؤرخ المغرب الأقصا لعبد السلام بن سودة ـ الدار البيضاء: 1960م.
- ذكريات مشاهير رجال المغرب للأستاذ عبد الله كنون الطنجي ـ دار الكتاب اللبناني.
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبدالملك الأنصاري الأوسي المراكشي، السفر الأول والثاني بتحقيق د.محمد بن شريفة. والسفر الرابع والخامس والسادس بتحقيق د. إحسان عباس، نشر دار الثقافة بيروت، والسفر الثامن بتحقيق د. محمد ابن شريفة ضمن مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1984م.
- ديوان شعري (مخطوط) للدكتور عبد الهادي حميتو.

- رجراجة في تاريخ المغرب للأستاذ محمد السعيدي الرجراجي، نشر جمعية حوض آسفي/1424هـ 2004م.
- رحلة الرحلات للدكتور عبد الهادي التازي، نشر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي/1426هـ - 2005م.
- رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها لأبي محمد بن حزم الأندلسي، مطبوعة ضمن رسائل ابن حزم، الرسالة رقم 5، من (ص170 إلى ص188)، تحقيق د.إحسان عباس، المؤسسة العربية للدرسات والنشر، ط1/1981م.
- ابن رشيق المرسي: حياته وأثاره للدكتور محمد بنشريفة: منشورات وزارة الأوقاف/1429هـ.
- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، تحقيق بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي، نشر دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط1/1401هـ - 1981م.
- السيف المسلول على من أنكر على الرجراجيين صحبة الرسول لعبد الله بن محمد ابن البشير الرجراجي السعيدي - مطبوعات معهد الشعبي بالصويرة.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، تحقيق علي محمد البجاوي، الناشر دار الكتاب العربي، سنة1404هـ/1984م.
- صحيح البخاري بحاشية السندي، طبعة دار الفكر - بيروت - لبنان.
- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة/1956م.
- صفة جزيرة الأندلس من الروض المعطار للحميري، نشر إ.ليفي بروفنسال - جامعة الجزائر - الجزائر.
- صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر لليفرني المراكشي، طبعة على الحجر - فاس.
- طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي، دار الكتاب اللبناني - بيروت.
- طلعة المشتري في النسب الجعفري للشيخ أحمد بن خالد الناصري - طبعة على الحجر - فاس.

➢ غاية النهاية في طبقات القــراء لشمس الدين مـحمد بن مـحمد بن الجزري، عـني بنـشـره ج برجستراسر، طبعة دار الكتب العلمية- بيروت، ط2/1400هـ1980م.

➢ فتح الباري بشرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، طبعـة دار الـسلام - الرياض - دار الفيحاء - دمشق، ط:1418هـ/1997م.

➢ فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف - مصر - القاهرة.

➢ فهرس الفهارس والأثبـات ومعجـم المعـاجم والمـشيخات والمسلـسلات لعبـد الـحي ابـن عبدالكبير الكتاني، باعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط2/1402هـ - 1982م.

➢ القبلة لابن عبد الحليم، مخطوط الخزانة العامة بالرباط في مجموع برقم 985 ق.

➢ القراءات بإفريقية تأليف هند شلبي، نشر الدار العربية للكتاب/1983م.

➢ قراءة الإمـام نافع عند المغاربة من روايـة أبي سـعيد ورش، مقومـــاتها البنائيـة ومدارسـها الأدائية إلى نهاية القرن العاشر الهجري للدكتور عبـدالهادي حميتـو، مـن منـشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية، سنة1424هـ/2003م.

➢ القصيدة الحصرية في قراءة الإمـام نافع لأبي الحسن علي بـن عبـد الغـني الحـصري، تحقيـق د.توفيق العبقري ، ط مكتبة أولاد الشيخ - مصر ط1/1423هـ 2002م.

➢ الكامل في التاريخ لابن الأثير.

➢ كتاب الطبقات لأبي عمرو خليفة بن خيـاط بـن أبي هبـيرة الليـثي العـصفري الملقـب بــ «شباب»، تحقيق د. أكرم ضياء العمري ، دار طيبة - الرياض، ط2/1402هـ-1982م.

➢ كتاب الفتوح لأبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي، تحـت إشراف د. محمـد عبـد المعيـد خـان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمـانية بحيـدر آباد الدكـن - الهنـد، تـصوير دار النـدوة الجديدة - بيروت.

➢ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى بـن عبـد الله الـشهير بحـاجي خليفـة، منشورات مكتبة المثنى - بغداد - العراق.

➢ مـاء الموائد (الرحلة العياشـية) لأبي سـالم العيـاشي، إعـداد محمـد حـجي، ط2/1397هـ - 1989م.

➢ مجمل تاريخ المغرب لعبد الله العروي، جامعة الحسن الثاني - الدار البيضاء.

- المحاضرات للإمام الحسن بن علي اليوسي، إعداد محمد حجي، الرباط/1396هـ - 1975م.
- مصنف أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة المكتب الإسلامي - بيروت، ط 1403/2هـ - 1983م.
- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، أكمله وعلق عليه أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تحقيق محمد ماضور، الناشر المكتبة العتيقة بتونس ومكتبة الخانجي بمصر.
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي، تقديم د.ممدوح حقي، نشر دار الكتاب - الدار البيضاء - المغرب.
- معلمة المغرب، تأليف جماعة من الباحثين.
- مفاخر البربر لمؤلف مجهول، طبعة الرباط/1934م.
- المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب لأبي بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيدق، طبعة دار المنصور وطبعة باريس.
- مقدمة ابن خلدون، طبعة دار الفكر - دار الرشاد الحديثة - الدار البيضاء.
- المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة للشيخ عبد الباقي الأيوبي، نشر دار إحياء علوم الدين - بيروت - لبنان.
- منح الفريدة الحمصية في شرح القصيدة الحصرية، تحقيق الأستاذ الدكتور توفيق العبقري - طبعة وزارة الأوقاف المغربية.
- الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية لعبد العزيز بنعبد الله، من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، مطبعة فضالة - المحمدية، 1395هـ/1975م.
- موقع الملتقى العلمي للعقيدة والمذاهب المعاصرة (شبكة الأنترنت).
- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي لمحمد الصغير الإفراني، تحقيق عبداللطيف الشادلي، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء، ط1/1419هـ-1998م.
- نظم الجمان لابن القطان، تحقيق محمود علي مكي - المطبعة المهدية - تطوان.
- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك لأبي فارس عبد العزيز الملزوزي - المطبعة الملكية - الرباط (مطبوعات القصر الملكي).
- الولاة والقضاة للكندي، نشر مؤسسة قرطبة - القاهرة - مصر.

الصحابة الذين ثبت دخولهم البلاد الليبية في الفتوحات الإسلامية

د. حمزة أبو فارس

ملخص البحث

ينتظم البحث في مبحثين:

المبحث الأول في نقطتين:

- الأولى: البلاد الليبية قبيل الفتح الإسلامي.
- الثانية: الفتح الإسلامي لليبيا.

المبحث الثاني:

الصحابة الذين ثبت دخولهم إلى البلاد الليبية وذلك يشمل من دخلها وتجاوزها غربا، ومن دخلها وقفل راجعا، ومن دخلها وتوفي على أرضها وستكون الورقة حوالي خمس عشرة صفحة بإذن الله تعالى.

الباحث في سطور

الدكتور حمزة أبو فارس Hamza_abufars@yahoo.com

- من مواليد عام 1946م بقرية وادنة ـ مدينة مسلاته ليبيا.
- أستاذ التعليم العالي بكلية القانون جامعة الفاتح بطرابلس.
- دكتوراه في العلوم الإسلامية (الفقه المقارن) بجامعة الزيتونة بتونس بعنوان: «القاضي عبد الوهاب البغدادي ومنهجه في شرح الرسالة».
- شارك في ندوات متعددة وطنية ودولية.
- شارك ببحوث فقهية عديدة.
- ألف أحد عشر كتابا ما بين تحقيق وتأليف، منها:

✍ كتاب «بحوث ودراسات في قضايا فكرية وفقهية وتاريخية».

✍ القاضي عبد الوهاب البغدادي ومنهجه في شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

✍ مقدمة في أصول فقه الإمام مالك ـ بالاشتراك ـ

✍ التعريف بالرجال المذكورين في جامع الأمهات لابن الحاجب ـ بالاشتراك ـ

✍ كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب ـ بالاشتراك ـ وغيرها.

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدي بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإني كنت فكرت في جمع من أسعفتني المصادر المتوفرة بمعلومات عنهم ممن ثبتت صحبتهم للرسول الكريم ﷺ، ودخلوا البلاد الليبية أثناء الفتح الإسلامي، سواء مروا بها أو دفنوا فيها. ولا نشك لحظة أنهم جم غفير. ولكن النص على أسمائهم كان قليلا.

بدأت بالكتابة في ذلك منذ أكثر من سبع سنين، ثم توقفت لندرة المادة، وبقي ما كتبت من صفحات قليلة مسودة، تضمنت أسماء عشرة من الصحابة الكرام، ثم سمعت أن أحد الليبين قد ألف رسالة في نفس الموضوع أو ما يقاربه، ففرحت بذلك كثيرا، وحرصت على اقتنائها ولما حصلت عليها وجدت أنها خصصت لمباحث أخرى، لا صلة لها بموضوعنا، ووجدت منهاج البحث مختلفا، ثم جاءتني الآن دعوة كريمة من الرابطة المحمدية لعلماء المغرب لأشارك في ندوة ستعقد بمدينة طنجة بعنوان «الصحابة الكرام في التراث المغربي الأندلسي» وكان من محاورها: «الصحابة الذين دخلوا المغرب والأندلس»، فأعجبني هذا المحور، وقررت المشاركة فيه، فشمرت عن ساعد الجد بالبحث في مظان تاريخ إفريقية وكتب تراجم الصحابة، فحصل لي أربعون ترجمة، معظم أصحابها ثبت دخولهم التراب الليبي، فدونت ذلك، ولو أنه حصل على عجل، ورأيت أن هذا البحث يفي بقليل من الدين الذي في أعناقنا لهؤلاء الصحابة الأجلاء الذين كانوا سببا سخرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لإنقاذ منطقتنا

من الظلمات إلى النور، داعين الله أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه، وأن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، وأن يجنبنا الخطأ والزلل إنه سميع مجيب.

قبل أن أذكر أسماء الصحابة الذين ثبت دخولهم التراب الليبي وأترجم لهم باختصار محيلا إلى المصادر التي استعملتها ليراجعها من أراد الاستزادة، قبل ذلك لابد لي من توطئة جد مختصرة أعرف فيها بالبلاد الليبية وفتح المسلمين لها، ليكون الكلام مترابطا، فأقول وبالله التوفيق:

أطلق اليونان اسم «ليبيا» على البقاع الأولى التي تعرفوا عليها من المناطق الواقعة غرب مصر. ويعتقد أن الاسم مشتق من كلمة «ليبي» التي كانت تعني هذه الشعوب التي كانت تسكن الحدود المشتركة الآن بين ليبيا ومصر.

ومن المحتمل أن تكون هذه التسمية مشتقة من اسم «لواته، لباته، ليبو». أما في العهد الروماني، والروايات المتواترة بعد ذلك، فإن كلمة «ليبيا» كانت تعني جزءا كبيرا من إفريقية الشمالية، لكن دون تحديد جغرافي.

ولم يستخدم هذا الاسم بتحديد جغرافي دقيق إلا سنة 1911م عندما أطلق على طرابلس وبرقة[1].

وبرقة كانت تطلق على المنطقة الممتدة بين الإسكندرية وإفريقية[2]. وقد عرفت فترة بـ«انطابلس». كما أن هناك مدينة كانت تعرف باسم برقة[3]. وأما طرابلس الغرب فقد أطلق هذا الاسم على المنطقة الغربية من ليبيا الحالية في القرن الثالث للميلاد.

---

(1) ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م (ص23).

(2) معجم البلدان: مادة برقة. وإفريقية كانت تطلق على المنطقة الممتدة من برقة إلى القيروان. وأحيانا يقصد بها ما بين طرابلس والقيروان.

(3) معجم البلدان الليبية(ص56).

بينما سميت طرابلس المدينة «أويا» عندما بنى الفنيقيون المدن الثلاث، وأطلقوا عليها في مجموعها «تري بوليس». والمدينتان الأخريان هما صبراته ولبدة.

وكانت لبدة تمثل أهم هذه المدن وتعتبر عاصمة لها إلى أن ضعفت بسبب غارات الجرمنتيين عليها، فحلت «أويا» محلها، وأصبحت تعرف بالاسم المجموعي «تري بوليس» حتى أصبح علما عليها[1] . وقد وردت في مراسلات المسلمين الأوائل عند الفتح باسم أطرابلس. بألف قبل الطاء، بينما وجدت في بعض كتب التاريخ بدون ألف[2]. ويرى بعض العلماء أن الألف وضع للتفرقة بينها وبين طرابلس الشام.

---

(1) معجم البلدان الليبية (ص25).

(2) تاريخ اليعقوبي (2/ 156)، ومعجم البلدان الليبية (ص25).

❁ الفتح الإسلامي لليبيا

لست بصدد التأريخ للفتح الإسلامي لهذه البلاد، وإنما أنا ذاكر ما لا بد منه كمقدمة لموضوع هذه الورقة الذي هو ذكر الصحابة الذين دخلوا هذا القطر.

قال الطبري: «وفيها (سنة اثنين وعشرين) سار عمرو بن العاص إلى أنطابلس - وهي برقة - فافتتحها، وصالح أهل برقة على ثلاثة عشر ألف دينار»[1]. وفي نفس السنة بعث عمرو بن العاص عقبة بن نافع الفهري، فافتتح زويلة بصلح، وما بين برقة وزويلة سلم للمسلمين[2]. وقبل افتتاح برقة كان عمرو بن العاص قد افتتح الإسكندرية[3]. ثم سار إلى طرابلس فافتتحها، ولنستمع إلى ابن الأثير يقص علينا خبر افتتاحها: «فلما فرغ عمرو بن العاص من برقة سار إلى طرابلس الغرب، فحاصرها شهرا، فلم يظفر بها، وكان قد نزل شرقيها، فخرج رجل من بني مدلج يتصيد في سبعة نفر، وسلكوا غرب المدينة: فلما رجعوا اشتد عليهم الحر فأخذوا على جانب البحر، ولم يكن السور متصلا بالبحر، وكانت سفن الروم في مرساها مقابل بيوتهم. فرأى المدلجي وأصحابه مسلكا بين البحر والبلد، فدخلوا منه وكبروا، فلم يكن للروم ملجأ إلا سفنهم؛ لأنهم ظنوا أن المسلمين قد دخلوا البلد. ونظر عمرو ومن معه فرأى السيوف في المدينة وسمعوا الصياح، فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم البلد، فلم يفلت الروم إلا بما خف معهم في مراكبهم»[4].

---

(1) تاريخ الأمم والملوك للطبري (2/ 534)، وانظر تاريخ الإسلام للذهبي (3/ 228).

(2) تاريخ الطبري (2/ 534).

(3) البيان المغرب لابن عذاري (1/ 534).

(4) الكامل لابن الأثير (2/ 193). وقد نص اليعقوبي في البلدان (ص103) أن ذلك كان سنة 23. وينظر فتوح مصر والمغرب (ص220 - 223).

ولما فتح عمرو طرابلس سير جيشا من ليلته إلى صبراته، التي كانت تعرف آنذاك بسبرة أو سبرت، وقد تبدل السين صادا في اللفظة الأولى[1]. فصبحها جيشه، وأهلها قد فتحوا الباب وسرحوا مواشيهم، لأنهم لم يسمعوا بفتح طرابلس، فوقع المسلمون عليهم، ودخلوا البلد مكابرة وغنموا ما فيه[2].

ومر بنا قريبا أن عمرو بن العاص بعث عقبة بن نافع إلى زويلة فافتتحها صلحا سنة اثنين وعشرين.

ثم استأذن عمرَ بن الخطاب في فتح إفريقية، فلم يأذن له[3].

وكان عمرو بن العاص قد بعث بسر بن أرطأة أثناء حصاره لطرابلس، بعثه إلى ودان فافتتحها، ثم نقضوا عهدهم، فافتتحها من جديد عقبة بن نافع سنة ست وأربعين بعد أن ترك عقبة جيشه في غدامس مستخلفا عليه زهير بن قيس البلوي[4]. هذه لمحة سريعة لفتح بعض المدن الليبية ليس هذا مكان تفصيلها، وإنما مرادنا بيان أن هذه البلاد دخلها عدد غفير من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لم يعرف إلا أسماء قليل منهم.

وإذا كان الجيش الذي أرسل به عثمان رضي الله عنه، إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح لفتح افريقية، كان به جماعة من أعيان الصحابة[5]، فإن الجيش الذي حضر مع عمرو بن العاص من قبل كان عدد الصحابة فيه أكثر[6].

---

(1) الكامل لابن الأثير (2/ 193). انظر أيضا معجم البلدان لياقوت (3/ 184)، ومعجم البلدان الليبية للطاهر الزاوي (ص211).

(2) الكامل (2/ 193).

(3) البيان المغرب (1/ 8)، وتاريخ إليعقوبي (2/ 156)، وفتوح البلدان (1/ 316).

(4) معجم البلدان لياقوت (5/ 366)، ومعجم البلدان الليبية (ص323).

(5) الكامل (2/ 235)، وفتوح البلدان (1/ 317).

(6) لم نتعرض لتفاصيل فتح المدن الليبية، ولم نذكر ارتداد بعضها ومعاودة فتحها وتواريخ كل ذلك؛ لأن موضوع هذه الورقة ليس ذلك وهو مسطور في كتب التاريخ وفتوح البلدان.

❁ الصحابة الذين دخلوا البلاد الليبية

ذكرت المصادر التاريخية المتعددة أن الحملات الأولى للفتوح كان بها جمع غفير من الصحابة. لكن هذه المصادر لم تسعفنا إلا بذكر قليل منهم. ومن المعلوم أن معظم الذين وصلوا إفريقية كانوا قد اجتازوا الديار الليبية، إذ استعمال البحر كان نادرا .

وقد عدد صاحب معالم الإيمان[1] ثلاثين من كبار الصحابة ممن دخل إفريقية بعضهم متفق على صحبته، وبعضهم مختلف فيها، ثم ثنى بذكر اثني عشر ممن ولد على عهد رسول الله ﷺ ولم يره[2].

ولا أريد ذكر من عدده الدباغ من الأخيرين، ولكن سأقتصر على ترجمة من ذكرت المصادر أنه دخل البلاد الليبية قطعا، سواء توفي فيها أو في غيرها، وأذيلهم بمن يشك إما في دخولهم إفريقية، أو يشك في صحبتهم ونبدأ أولا بذكر الذين ثبت دخولهم:

1. **عبد الله بن عمر بن الخطاب:**

أسلم بإسلام أبيه، كان عالما بالكتاب والسنة، متبعا لآثار رسول الله ﷺ. غزا إفريقية مرتين، الأولى مع عبد الله بن أبي سرح، والثانية مع معاوية بن حديج.

---

(1) وهم المقداد بن عمرو البهراني، كعب بن عمرو الأنصاري، عبد الله بن أنيس الجهني، عبد الله بن عمر ابن الخطاب، أبو ذر الغفاري، عمرو بن عوف المزني، سلمة بن عمرو بم الأكوع، أبو زمعة البلوي، المسيب ابن حزن، جرهد بن خويلد، فضالة بن عبيد، عبد الله بن عباس عبد الله بن الزبير، عبد الله بن عمرو بن العاص، عقبة بن عامر، ورويفع بن ثابت، حمزة بن عمرو، عبد الرحمن بن أبي بكر، بلال بن الحارث، المسور بن مخزمة، جبلة بن عمرو، عبد الله بن سعد بن أبي سرح، معاوية بن خديج، المطلب بن أبي وداعة، ربيعة بن عباد، زياد بن الحارث، سفيان بن وهب، أبيض بن حمال السبائي، أبو اليقظان، بسر بن أرطأة. انظر معالم الإيمان:(1/ 71-160).

(2) معالم الإيمان (1/ 161 – 178) وهم: عبد الرحمن بن الأسود، عاصم بن عمر بن الخطاب، عقبة بن نافع، عبيد الله بن عمر بن الخطاب، عبد الرحمن بن صبيحة، مروان بن الحكم، أبو ذؤيب خويلد بن خالد الجهني، أبو منصور الفارسي، أبوسعيد كيسان المقبري.

وكانت معه في الغزوة أم ولد فولد له منها صبية بإفريقية، ثم توفيت فدفنها بالمقبرة التي تعرف بمقبرة قريش بباب سلم. أما هو فتوفي بمكة سنة ثلاث وسبعين[1].

2. **عبد الله بن العباس:**

ابن عم رسول الله ﷺ كنيته أبو العباس. ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي النبي ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة. من علماء الصحابة المشهورين، غزا إفريقية مع عبد الله بن أبي سرح، وقسم الفيء بين المسلمين في هذا الغزو[2].

3. **عبد الله بن الزبير بن العوام:**

والدته أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه. غزا إفريقية مع أبي سرح، وقتل (جرجير) ملك الروم، وغزاها ثانية مع معاوية بن حديج، وذكر بعضهم غزوه لها ثلاث مرات، قتله الحجاج سنة ثلاث وسبعين[3].

---

(1) الاستيعاب (3 / 950 ـ 953)، أسد الغابة (3/ 340)، الإصابة (2 / 247)، طبقات علماء إفريقية لأبي العرب (ص73)، ورياض النفوس (ص60)، معالم الإيمان (1 / 79)، الاستيعاب(3/ 950 ـ 953)، أسد الغابة (3 / 340)، الإصابة (2/ 247)، طبقات علماء إفريقية لأبي العرب (ص73)، ورياض النفوس (ص60)، معالم الإيمان (1/ 79 – 84).

(2) ترجمته في الإصابة (4 / 141)، وطبقات خليفة (ص29)، والمحبر (ص289)، الاستيعاب (3/ 933 – 939)، وأسد الغابة (3/ 290 – 294)، وطبقات علماء إفريقية لأبي العرب (ص74). ورياض النفوس (1 / 60– 61). ومعالم الإيمان (1 / 107 – 112).

(3) الاستيعاب (3/ 1413 – 1414)، الإصابة (5 / 89)، طبقات علماء افريقية(ص 74 – 75)، ورياض النفوس للمالكي (1 / 63– 64). ومعالم الإيمان(1/ 112 – 116)، وسير أعلام النبلاء(3 / 363)، وتاريخ الإسلام وفيات سنة52هـ (ص304 – 305). وذكر غزوه لإفريقيا في نفس الجزء (ص15).

4. **حمزة بن عمرو الأسلمي:**

كذا في نسخة الاستيعاب المطبوعة وفي هامشها: حمزة بن عامر بن مالك، وهو الذي في الإصابة. ذكره أبو العرب في عداد الصحابة الذين غزوا إفريقية توفي سنة إحدى وستين[1].

5. **سلمة بن الأكوع:**

من الصحابة الذين بايعوا تحت الشجرة توفي بالمدينة سنة أربع وسبعين ذكره أبو العرب في الصحابة الذين دخلوا إفريقية[2].

6. **بلال بن الحارث المزني:**

صاحب لواء مزينة يوم الفتح. غزا إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح. توفي سنة ستين[3].

7. **كعب بن عمرو السلمي:**

شهد العقبة وبدرًا، وهو الذي أسر العباس يوم بدر. روى عن النبي ﷺ «من نظر معسراً أو وضع له، أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله». ذكره أبو العرب في عداد الصحابة الذين دخلوا إفريقية. توفي في المدينة سنة خمس وخمسين[4].

---

(1) الاستيعاب (1 / 375)، والإصابة (2 / 121)، طبقات علماء إفريقية (ص73 – 74). رياض النفوس(1 / 75)، معالم الإيمان (1 / 125).

(2) الاستيعاب (2 / 639 – 640)، الإصابة (3 / 143). طبقات علماء إفريقية (ص 74). معالم الإيمان(1/ 94).

(3) الاستيعاب (1/ 183). الإصابة (1/ 326). طبقات علماء إفريقية (ص74). رياض النفوس(1/ 75 – 77). معالم الإيمان (1 / 131 – 132).

(4) الاستيعاب (3 / 1322)، الإصابة (5 / 606). طبقات علماء إفريقية(ص74)، معالم الإيمان(1/ 76 – 77).

8. **المسور بن مخرمة:**

ولد في السنة الثانية من الهجرة. قال صاحب المعالم: «شهد المسور بن مخرمة فتح إفريقية بن سعد، وهو الذي حرض عثمان على غزوها. توفي سنة أربع وستين»[1].

9. **عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق:**

دخل إفريقية غازيا. ذكره الذهبي في وفيات سنة ستين[2].

10. **أبو ذر الغفاري (جندب بن جنادة):**

صحابي جليل، سيرته مشهورة. دخل إفريقية غازيا. توفي سنة اثنتين وثلاثين[3].

11. **ربيعة بن عباد الديلي:**

له رؤية. دخل مع عبد الله بن سعد إفريقية، وشهد غزوها. روي عنه أنه رأى رسول الله ﷺ بذي المجاز وهو يقول للناس: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» ووراءه رجل أحول ذو غديرتين يقول إنه صابئ، فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب[4].

---

(1) الاستيعاب (3/ 1399 – 1400)، الإصابة (6/ 119)، طبقات علماء إفريقية(ص68)، ومعالم الإيمان (1/ 132 – 136)، ورياض النفوس(1/ 69).

(2) الاستيعاب (2/ 824)، والإصابة (4/ 291)، رياض النفوس (1/ 70)، تاريخ الإسلام وفيات سنة ستين (ص265 – 267).

(3) الاستيعاب (4/ 1652)، الإصابة (7/ 125)، رياض النفوس (1 / 15، 71 – 72)، معالم الإيمان(1/ 85 – 91).

(4) الاستيعاب (2 / 492 – 493)، والإصابة (2/ 469)، طبقات علماء إفريقية (ص75)، ورياض النفوس (1/ 79).

12. عبد الله بن أنيس الجهني:

من أصحاب النبيﷺ صلى القبلتين. قال ابن يونس: شهد فتح إفريقية مع عبد الله ابن سعد. توفي سنة أربع وخمسين[1].

13. معاوية بن حديج:

صحابي جليل. دخل إفريقية غازيا ثلاث مرات لمعاوية بن أبي سفيان[2].

14. المقداد بن عمرو القضاعي:

كان من فضلاء الصحابة ـ أول من غزا بفرسه في سبيل الله. شهد بدرًا والمشاهد كلها. وشهد فتح مصر، وغزا إفريقية مع عبد الله بن سعد. ذكر ذلك ابن يونس وابن وهب. توفي سنة ثلاث وثلاثين[3].

15. المطلب بن أبي وداعة السهمي:

معدود في جملة الصحابة. غزا إفريقية مع عبد الله بن سعد في جماعة من قومه[4].

16. زياد بن الحارث الصدائي:

له صحبة ورواية. وأذن بين يدي رسول الله ﷺ. دخل إفريقية وشهد المغازي[5].

---

(1) الاستيعاب (3 / 869 – 870)، والإصابة (2 / 469)، رياض النفوس (1 / 68)، ومعالم الإيمان(1/ 77 – 79).

(2) فتوح مصر والمغرب (ص220 – 221). الاستيعاب (3/ 1413 – 1414)، الإصابة (6 / 147). طبقات علماء إفريقية لأبي العرب (ص76)، ورياض النفوس (1/ 92 – 93).

(3) الاستيعاب (4 / 1480 – 1482)، الإصابة (6 / 202). رياض النفوس (1 / 73 – 74)، ومعالم الإيمان (1/ 71 – 76).

(4) الاستيعاب (3 / 1402)، الإصابة (6/ 132). رياض النفوس (1 / 77 – 78)، ومعالم الإيمان(1/ 144 – 146).

(5) الاستيعاب (2 / 530 – 531)، الإصابة (2 / 597). طبقات علماء إفريقية (ص75)، ورياض النفوس (1 / 86 – 89)، ومعالم الإيمان (1/ 148 – 150).

17. بسر بن أبي أرطأة:

وبعضهم من يسميه بن أرطأه، اختلف في صحبته، دخل إفريقية. كان من الغلاة في معاوية، وله فتن غير حميدة أطال ابن عبد البر في سردها نقلا عن بعض المؤرخين[1].

18. أبو زمعة عبيد بن أرقم البلوي:

كان من أصحاب رسول الله ﷺ ممن بايع تحت الشجرة، حضرته الوفاة بإفريقية، فأمرهم أن يسووا قبره بالأرض. قال أبو العرب: «وبلغني أن قبره بالبلوية»[2].

19. عمرو بن عوف المزني:

قديم الصحبة، شهد الخندق، وسكن المدينة. ذكره أبو العرب فيمن دخل إفريقية من الصحابة. توفي آخر زمن معاوية[3].

20. فضالة بن عبيد الأنصاري:

روى له الإمام أحمد حديثا في مسنده[4]. عده ابن يونس ممن دخل إفريقية من الصحابة غازيا. توفي بدمشق سنة ثلاث وخمسين وقيل بعد ذلك[5].

---

(1) الاستيعاب (1 / 157 – 166). الإصابة (1 / 289). طبقات علماء إفريقية (ص76). رياض النفوس (1 / 85)، معالم الإيمان (1/ 157).

(2) الاستيعاب (4 / 1662)، الإصابة (4 / 407). طبقات علماء إفريقية (ص 76– 77). رياض النفوس (1/ 84)، معالم الإيمان (1/ 97).

(3) الاستيعاب (3/ 1196)، الإصابة (4/ 666). تاريخ الإسلام وفيات سنة ستين (ص279 – 280). طبقات علماء إفريقية (ص77)، معالم الإيمان (1 / 92 – 93).

(4) المسند (6/ 19).

(5) الاستيعاب (3/ 1262 – 1263). الإصابة (5 / 371). رياض النفوس (1 / 80). معالم الإيمان(1/ 105 – 106).

21. المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي:

والد سعيد بن المسيب، التابعي المشهور، صحابي، كان ممن بايع تحت الشجرة. شهد غزو إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح[1].

22. جرهد بن خويلد الأسلمي:

كان من أهل الصفة، وشهد الحديبية، وبايع بيعة الرضوان، ثم شهد فتح إفريقية مع عبد الله بن سعد. روي عنه أنه قال: جلس رسول الله ﷺ ـ عندنا ـ وفخذي منكشفة، فقال: «أما علمت أن الفخذ عورة». توفي سنة إحدى وثلاثين[2].

23. عقبة بن عامر الجهني:

سكن مصر وابتنى بها دارًا. روى عن النبي ﷺ حديث صلاته عليه الصلاة والسلام على قتلى أحد بعد ثماني سنين. غزا إفريقية قبل عقبة بن نافع. هذا الذي ذكر ابن وهب عن الليث بن سعد. وقال المالكي: بل هو عقبة ابن نافع، ولا يوجد في شيء من المغازي والسير أن عقبة بن عامر غزا إفريقية ولا ولي عليها. توفي سنة ثمان وخمسين[3].

24. سفيان بن وهب الخولاني:

كان من أصحاب رسول الله ﷺ حج معه حجة الوداع. شهد فتح مصر، وغزا إفريقية، ودخل القيروان. روى غياث بن أبي شبيب قال: كان سفيان بن وهب

(1) الاستيعاب (3 / 1400. الإصابة (6 / 121)، معالم الإيمان (1/ 102 – 104).

(2) الاستيعاب (1/ 270 – 271). الإصابة 1 / 473). رياض النفوس (1/ 83). ومعالم الإيمان(1/ 104 – 105).

(3) الاستيعاب (3 / 1073)، رياض النفوس (1/ 97 – 98)، الإصابة (4 / 520)، معالم الإيمان(1/ 120 – 122).

- صاحب رسول الله ﷺ - يمر بنا ونحن غلمة بالقيروان فيسلم علينا، ونحن في الكتاب، وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه. توفي سنة اثنتين وثمانين. روى حديث «لا تأتي المائة وعلى ظهر الأرض أحد باق»[1].

25. جبلة بن عمرو الساعدي الأنصاري:

من الصحابة الذين دخلوا إفريقية مع معاوية بن حديج. قال بكير بن الأشج: سألت سليمان بن يسار عن النفل في الغزو؟ فقال: نفلنا معاوية بن حديج بإفريقية، فأبى جبلة صاحب رسول الله ﷺ أن يأخذ من ذلك شيئا. قال ابن يونس: وولده بإفريقية[2].

26. أبيض

لم ينسبه صاحب الرياض، وذكر عن ابن يونس أنه معدود في الصحابة وأنه دخل إفريقية. ونسبه في المعالم هكذا، أبيض بن حمال السبائي المازمي، وقال إنه من مارب إليمن، أما ابن الأثير فقد رد أن يكون أبيض الصحابي الذي دخل إفريقية هو أبيض ابن حمال قائلا إن هذا لم يدخل مصر، بل رجع إلى إليمن بعد مبايعة رسول الله ﷺ أما ابن عبد البر فسماه: أبيض بن حمال السبائي، ولم يتعرض لدخوله إلى مصر[3].

---

(1) الاستيعاب (2 / 631)، الإصابة (3/ 131)، رياض النفوس (1 / 89 – 91)، ومعالم الإيمان(1/ 151).

(2) الاستيعاب (1/ 235 – 236). الإصابة (1 / 457). رياض النفوس (1/ 91 –92)، ومعالم الإيمان(1/ 136 – 137).

(3) الاستيعاب (1/ 138)، الإصابة (1/ 24). أسد الغابة (1/ 57 – 58). رياض النفوس (1/ 95). معالم الإيمان (1 / 153 – 155).

27. أبو اليقظان

من الصحابة لا يعرف عنه غير هذه الكنية. وقد ظنه بعض المؤرخين عمار بن ياسر. ونقل المالكي عن أبي سعيد أن ذلك وهم. وقد عده أبو سعيد من الصحابة الذين دخلوا إفريقية[1].

28. عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي:

صحابي مشهور. فتح مصر وبرقة. ثم سار إلى طرابلس، فنزل على القبة التي على الشرق من شرقيها فحاصرها مدة، ثم فتحها. ولاه عمر بن الخطاب مصر إلى أن مات عثمان، فخرج إلى الشام. ثم ولاه معاوية مصر فمكث بها إلى أن مات ليلة الفطر سنة ثلاث وأربعين[2].

29. عبد الله بن عمرو بن العاص:

صحابي جليل. أسلم قبل أبيه. وجمع القرآن في حياة الرسول ﷺ، ودخل إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح. شهد صفين مع معاوية. روى عن النبي ﷺ، كثيرا، وعن عمر، وأبي الدرداء، ومعاذ، وابن عوف، وعن والده عمرو. حدث عنه من الصحابة ابن عمر، وأبو أمامة، والمسور، والسائب بن يزيد، وأبو الطفيل، وكثير من التابعين.

قال الطبري: قيل: كان طوالا أحمر، عظيم الساقين، أبيض الرأس واللحية. عمي في آخر عمره.

(1) الاستيعاب (4/ 1777). الإصابة(7 / 469)، رياض النفوس (1 / 96)، ومعالم الإيمان(1/ 155 – 157).

(2) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد (7/ 342)، والإصابة (4/ 650) ولم يذكره صاحب معالم الإيمان؛ لأنه يتعد طرابلس إلى إفريقية. وانظر فتوح مصر والمغرب (ص197 – 198).

اختلف في مكان موته وتاريخه مـا بين سنة خمس وستين إلى تسع وستين[1].

30. عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن حذافة العمري:

أخو عثمـان بن عثمـان من الرضاعة. أسلم وكتب للنبيﷺ، ثـم اسـتزله الـشيطان فلحق بالكفار[2].

فلمـا كان فتح مكة كان من الجمـاعة الـذين أهـدر النبـي ﷺ دمهـم، فاختبـأ عنـد عثمـان، فاستجار له عثمـان، فأجاره الرسول ﷺ. ولاه عثمـان مصر بعد عزل عمرو ابن العاص. وهو الذي افتتح إفريقية. دخل طرابلس أكثـر مـن مـرة، إحداهمـا عنـد عودته من سبيطلة، حيث طلب من الأمير أن يبعث إليه بمراكب لحمل الغنائم بـالبحر خوفا عليها من العدو، فوافته المراكب بطرابلس[3].

ولمـا وقعت الفتنة سكن عسقلان، ومـات بها على قول ابن يونس. وقال ابـن البرقـي كان محمودا في ولايته. وذهب البغـوي والبخـاري إلى أنـه تـوفي في الرملـة سـنة تـسع وخمسين، في آخر سني معاوية[4].

31. المنيذر:

ذكره ابن عبد الـبر في الـصحابة، وسمـاه المنيـذر الإفريقـي[5]، وكنـاه البخـاري في تاريـخه الكبير بأبي المنيذر. غير أن النسخ الخطية للتاريخ الكبير اختلفت فيمـا بعد الميم من الحروف[6].

---

(1) الإصابة (4/ 192 – 194).

(2) نفسه (4/ 194).

(3) معالم الإيمـان (1/ 42).

(4) الإصابة (4/ 110، 111)، والطبقات الكبرى (7/ 344).

(5) الاستعاب (3/ 528).

(6) التاريخ الكبير (2/ 1/ 75).

وتوسع ابن حجر في الحديث عن الاختلاف في اسمه. ورجح أن المنيذر اسم وليس كنية، وهو بالتصغير[1]. وهذا يوافق المعروف عند أهل طرابلس؛ إذ هو مدفون بها، ومازالت المقبرة معروفة باسمه إلى يومنا هذا.

32. **رويفع بن ثابت بن السكن بن عدي بن حارثة الأنصاري**

صحابي معروف. ولاه معاوية طرابلس سنة ستة وأربعين، فغزا منها إفريقية سنة سبع وأربعين، وافتتح جربة. وخطب في جنوده خطبة ضمنها عدة أحاديث عن النبيﷺ.

توفي ببرقة، وهو وال عليها، سنة ثلاث وخمسين أو ست وخمسين. وقبره معروف بمدينة البيضاء الليبية[2].

33. **زهير بن قيس البلوي. يكني أبا شداد.**

قال ابن يونس والأمير ابن ماكولا: يقال له صحبة.

شهد فتح مصر. روى عن علقمة بن رمثة البلوي. روى عنه سويد بن قيس. نهض إلى برقة فلقي الروم في عدد قليل، فقاتل حتى قتل شهيدا سنة ست وسبعين. وهو معدود فيمن دفن من الصحابة بمدينة درنة الليبية[3].

أما حفيده زاهر فقد ولي برقة لهشام بن عبد الملك، وبها توفي[4].

---

(1) الإصابة (6/ 324) و (7/ 401 - 402).
(2) الاستيعاب (1/ 500 ، 501)، والإصابة (2/ 501)، وأسد الغابة (2/ 239)، ورياض النفوس(1/ 81).
(3) الإكمال (4/ 158)، وأسد الغابة (2/ 267)، والإصابة (2/ 579)، وتاريخ الفتح العربي(ص128).
(4) الإكمال (4/ 158).

34. عليم بن سلمة الفهمي:

قال ابن حجر: له إدراك. كان ممن خرج من أهل مصر إلى علي، وشهد معه حروبه. وكان رئيس الجيش الذي قاتل مروان. فلما صالح مروان أهل مصر، فر عليم إلى برقة فأقام هناك حتى توفي سنة ثمان وستين، وهو ابن ثمانين. قال في الإصابة: فأدرك من عصر النبي ﷺ فوق عشرين سنة(1).

35. نافع بن عبد الله القيس الفهري:

أخو العاص بن وائل لأمه. كان مع عمرو بن العاص في فتح مصر، وبعثه عمرو إلى برقة. وقد بقي إلى خلافة عثمان.

36. هبيرة بن أسعد بن كهلان السبائي:

قال ابن حجر: له إدراك، وشهد فتح مصر. وقال ابن يونس: إن في برقة بقية من ولده.

37. أبو سجيف بن قيس بن الحارث بن عباس:

له إدراك، وشهد اليرموك في خلافة أبي بكر، ثم شهد فتح مصر، وسكنها. ولما قاتل أهل مصر مروان بن الحكم، كان أبو سجيف من المعدودين في منعه من القدوم. فلما دخل مروان مصر هرب أبو سجيف إلى طرابلس، فسكنها إلى أن مات.

➢ وقد ذكر المالكي من الصحابة الذين دخلوا إفريقية غازيا:

38. قيس بن يسار بن مسلم الكناني.

انفرد بذكره صاحب رياض النفوس، ولم يذكره صاحب المعالم(2).

---

(1) الإصابة (5/ 137 - 138).

(2) رياض النفوس (1/ 96).

39. **عقبة بن نافع:**

نقل المالكي عن أبي سعيد أنه معدود من الصحابة الذين دخلوا إفريقية، وولي الإمارة عليها. والإشكال ليس في دخوله إفريقية وإمارته عليها، فهذا ثابت لا شك فيه، وإنما الإشكال في كونه صحابيا، فقد قال ابن عبد البر: ولد على عهد رسول الله ﷺ لا تصح له صحبة. ونقل ابن حجر عن ابن يونس نفس الشيء. وسيرة عقبة مشهورة، وهو الذي اختط القيروان. استشهد سنة ثلاث وستين[1].

➢ **وذكر أبو العرب ممن رأى النبي ﷺ ودخل إفريقية:**

40. **عبد الرحمن بن صبيحة:**

وقد نقل ابن عبد البر عن الواقدي أنه قال: ولد على عهد النبي ﷺ وحج مع أبي بكر وروى عنه[2].

(1) فتوح مصر والمغرب (ص222 – 224). الاستيعاب (3 / 1075 – 1077). الإصابة (5 / 64 –65).
(2) طبقات علماء إفريقية(ص77)، والاستيعاب (2 / 836). الإصابة (5 / 39).

خاتمة

هذا ما استطعت الآن الوقوف عليه من أسماء الصحابة الذين دخلوا ليبيا، وقد اعتمدت على الكتب التي ألفت في أسماء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مثل طبقات ابن سعد، والاستيعاب لابن عبد البر الحافظ، وأسد الغابة لابن الأثير، والإصابة للحافظ ابن حجر. واستبعدت المشكوك في صحبتهم، أو المتلبس أمرهم، مثل أبي منصور الفارسي، إذ ذكر بهذه الكنية وعدّه بعضهم في الصحابة، بينما ذكره ابن حبان في ثقات أتباع التابعين باسم يزيد بن أبي منصور، وكذلك عبد الله بن البراء الداري. وصلى الله على سيدنا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله

فهرس المصادر والمراجع

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر القرطبي بهامش الإصابة مطبعة السعادة ـ القاهرة 1328هـ وبتحقيق علي محمد البجاوي طبعة نهضة مصر ـ القاهرة دون تاريخ.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير تحقيق محمد البنا وآخرين طبعة الشعب ـ القاهرة 1980م.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر تحقيق علي محمد البجاوي ـ نهضة مصر ـ القاهرة.
- الإكمال: لابن ماكولا دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ تصوير للطبعة الأولى 1990م.
- البداية والنهاية، لابن كثير تحقيق علي شيرى ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت1988م.
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري تحقيق كولان وبروفسنال ـ الدار العربية للكتاب ـ ليبيا، تونس.
- تاريخ الإسلام، للذهبي تحقيق عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي ـ بيروت.
- تاريخ الأمم والملوك، للطبري دار الكتب العلمية ـ بيروت 1988م.
- التاريخ الكبير، للبخاري تصوير مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت.
- تاريخ اليعقوبي، لليعقوبي دار بيروت للطباعة والنشر 1970م.
- رياض النفوس، للمالكي تحقيق بشير البكوش ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت1984م.
- الطبقات الكبرى، لابن سعد تحقيق محمد عبدالقادر عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت 1990م.
- فتوح البلدان، للبلاذري تحقيق الأخوين عبد الله وعمر الطباع ـ مؤسسة المعارف بيروت 1987م.
- فتوح مصر والمغرب، لابن عبد الحكم تحقيق علي محمد عمر مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة 1415هـ 1995م.

- الكامل، لابن الأثير تحقيق علي شيرى. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت1989م.
- ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1991، لأتوري روسي. ترجمة خليفة التليسي. دار الثقافة بيروت1974م.
- معالم الإيمان، للدباغ ـ ج1، تحقيق إبراهيم شبوح مكتبة الخانجي ـ القاهرة 1968م.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي. دار صادر بيروت 1979م.
- معجم البلدان الليبية، للشيخ الطاهر الزاوي. مكتبة النور ـ طرابلس 1968م.

أثر الصحابة الكرام في نشر الإسلام ببلاد الغرب الإسلامي

د. عبد القادر بوباية

ملخص البحث

يتناول هذا البحث أثر الصحابة الكرام في نشر الإسلام ببلاد المغرب الإسلامي، وقد حاولت الإجابة فيه على ثلاثة أسئلة هي: ما هو أثر الصحابة في انتشار الإسلام ببلاد الغرب الإسلامي؟ وما هي نشاطات الصحابة في سبيل إرساء قواعد الدين الإسلامي بين أهالي المناطق المفتوحة؟ ومن هم الصحابة الذين شاركوا في فتوح بلاد المغرب الإسلامي؟ وقد تتبعت فيه مسار انتشار الإسلام في بلاد المغرب، وسُقت مختلف الحملات التي قادها ثلة من القادة من أمثال عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي سرح ومعاوية بن حديج وعقبة بن نافع الفهري وزهير ابن قيس البلوي رضي الله عنهم الذين أبلوا البلاء الحسن من أجل إيصال كلمة الحق إلى أهل المغارب، كما تضمّن البحث ترجمة موجزة لعدد كبير من الصحابة الذين أثبتت كتب التراجم مشاركتهم في نشر الإسلام ببلاد المغرب الإسلامي.

الباحث في سطور

الدكتور عبد القادر بوباية aboubaya@gmail.com

من مواليد عام 1956م، بأولاد فارس ـ ولاية الشلف، الجزائر.

- أستاذ التعليم العالي في قسم التاريخ وعلم الآثار ـ جامعة وهران ـ الجزائر.
- دكتوراه الدولة بجامعة وهران ـ الجزائر عام 2002م.
- رئيس تحرير مجلة عصور التي أصدرها مخبر مصادر وتراجم ـ قسم التاريخ ـ جامعة وهران من 2002 إلى 2005، وقد صدر منها 7 أعداد.
- له العديد من المقالات والمشاركات العلمية في ملتقيات وطنية ودولية.

من أعماله العلمية المنشورة:

- كتاب مفاخر البربر لمؤلف مجهول ـ دراسة وتحقيق.
- كتاب تاريخ الأندلس لمؤلف مجهول ـ دراسة وتحقيق.
- كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء لأبي مروان عبد الملك ابن الكردبوس التوزري ـ دراسة وتحقيق.

مقدمة

كان الصحابة الكرام أول من آمن برسالة سيدنا محمد ﷺ، كما كانوا السبّاقين إلى تلبية نداء الجهاد في سبيل إيصال كلمة الحق إلى الناس كافة.

ومن المناطق التي قصدها الصحابة من أجل نشر الدين الإسلامي بلاد الغرب الإسلامي التي وصلتها طلائع الفتح بداية من سنة 21هـ/ 641م على يد عمرو بن العاص وعقبة بن نافع الفهري؛ ثم تواصلت على يد ثلة من الصحابة إلى أن تم فتح معظم بلاد المغرب الإسلامي، وانتشرت راية الإسلام في ربوعه، بل أصبح المغاربة من البربر هم حاملو راية الدعوة إلى الله في ربوع بلاهم، وغيرها من البلاد الأخرى كما جرى عليه الأمر مع طارق بن زياد الولهاصي النفزي الذي حمل الدين الجديد إلى شبه جزيرة أيبيريا.

فما هو أثر الصحابة في انتشار الإسلام ببلاد الغرب الإسلامي؟ وما هي نشاطات الصحابة في سبيل إرساء قواعد الدين الإسلامي بين أهالي المناطق المفتوحة؟ ومن هم الصحابة الذين شاركوا في فتوح بلاد المغرب الإسلامي؟ تلك هي جملة التساؤلات التي سنحاول الإجابة عنها من خلال هذه المداخلة التي اعتمدنا فيها على أبرز المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ البلاد الإسلامية عامة، وبلاد المغرب الإسلامي على وجه الخصوص.

1 ـ أثر الصحابة في نشر الإسلام على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

۞ فتوحات عمرو بن العاص:

بعد الانتهاء من فتح مصر بموجب معاهدة الإسكندرية الموقعة في 16 شوال21هـ/ 17/ 09/ 642م شرع عمرو بن العاص في العمل على مواصلة الفتح نحو الغرب، ويذكر المؤرخون أن فاتح مصر كان قد وجّه عقبة بن نافع إلى زويلة ففتحها سنة 21هـ/ 642م[1]، ثم سار عمرو بن العاص غربا حتى قدم برقة وكانت أشبه بولاية بربرية مستقلة عن الدولة البيزنطية، وكان سكانها من قبيلة لواتة ساخطين على البيزنطيين بسبب جورهم وتعسفهم في جباية الضرائب، ولذلك سعوا إلى التخلص من حكمهم، ولعلّ هذا ما يفسر مبادرتهم بتقديم فروض الولاء للجيش الفاتح، ولذلك صالحهم عمرو بن العاص مقابل جزية يؤدونها إليه، ويذكر المؤرخون أنه صالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار جزية[2]، وذكر ابن عبد الحكم نقلا عن عثمان ابن صالح أن أهل برقة كانوا يبعثون له الجزية إذا جاء وقتها، وأنه لم يدخل برقة يومئذ جابي خراج، ويؤيده في ذلك البلاذري[3]، ويدل هذا كله على ترحيب سكان برقة بالمسلمين والاطمئنان إليهم.

بعد إتمام فتح برقة شرع عمرو بن العاص في فتح طرابلس، ومن أجل تأمين خط الرجعة قسّم جيشه إلى قسمين: أحدها بقيادة عقبة، وسار نحو جوف البلاد، ونجح في فتح فزّان ـ أهم واحات طرابلس ـ ثم واصل زحفه حتى بلغ زويلة ـ من مدن فزان ـ،

---

(1) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (1 / 8)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس (ص37).

(2) فتوح مصر وأخبارها (ص294 ـ 295)، فتوح البلدان (ص221)، المسالك والممالك (2 / 649)، الكامل في التاريخ (ص355).

(3) فتوح مصر وأخبارها (ص295)، فتوح البلدان (ص222).

ونجح عقبة في مهمته حيث صارت المنطقة الممتدة ما بين برقة وزويلة مامونة الجانب[1]، أما الجيش الثاني فسار تحت قيادته، وكان هدفه الاستيلاء على مدينة طرابلس.

بدأ عمرو حملته بالاستيلاء على مدينة سُرت، ثم زحف على لبدة التي استسلم أهلها للفاتحين، ثم واصل سيره حتى أدرك طرابلس، وكانت مدينة حصينة مسورة من جهة البر، ومفتوحة فقط من جهة البحر لتتمكن من تلقي الإمدادات من بيزنطة، وبعد حصار دام شهرا كاملا تمكنت جماعة من جند المسلمين من مفاجأة الروم عن طريق البحر، وبذلك استولى عمرو عليها[2]، وعاهد أهلها، وفي أثناء الحصار المفروض عليها فتح بُسر بن أرطأة ودّان سنة 23هـ/ 644م[3].

قال خليفة بن خياط متحدثا عن سنة 22هـ/ 643م: وفيها افتتح عمرو بن العاص أطرابلس صلحًا، وقال أيضًا: ثم أتى لبدة من أرض أطرابلس؛ فافتتحها ثم رجع في سنة 24هـ/ 645م[4].

كتب عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعلمه بما فتح ويستأذنه في فتح إفريقية، ومما ذكر في رسالته قوله: «إن الله قد فتح علينا طرابلس وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل»[5]، ولكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان مطلعا على الأوضاع السياسية

---

(1) فتوح مصر (ص295)، فتوح البلدان (ص222)، المسالك والممالك (2 / 650).

(2) فتوح مصر وأخبارها (ص295)، المسالك والممالك (2 / 655)، الكامل في التاريخ (ص355).

(3) المسالك والممالك (2 / 660).

(4) تاريخ خليفة بن خياط (ص86).

(5) فتوح مصر وأخبارها (ص297)، الاكتفاء في أخبار الخلفاء (1 / 89)، وانظر فتوح البلدان(ص223).

السائدة في كل من إفريقية والدولة الإسلامية على حد سواء آثر أن يقف المسلمون عند هذا الحدّ، وبادر بالكتابة إلى عمرو قائلا له: «لا إنها ليست بإفريقية ولكنها المفرِّقة، غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت»(1).

إن هذه الرواية تدل على أن الخليفة كان يخشى على جيوش المسلمين من أن تنساب في هذه المناطق الشاسعة، والدولة لا تزال في حاجة إليها من أجل توطيد نفوذها وسلطانها في البلاد المفتوحة حديثا مثل الشام والعراق ومصر.

اضطرّ عمرو إلى العودة إلى مصر، ومع ذلك فقد خلّف عقبة بن نافع على المناطق الصحراوية الواقعة في إقليم برقة، ونجح قائد المسلمين في استمالة كثير من سكانها إلى الدين الجديد، وبخاصة من قبائل لواتة ونفوسة ونفزاوة وهوارة وزواغة فدخلوه طائعين، ونتيجة لذلك أصبحت برقة قاعدة لجيش المسلمين، أما عمرو بن العاص فقد عاد إلى الفسطاط، وعقب وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عزله الخليفة الجديد عن ولاية مصر، وعيّن عبد الله بن سعد بن أبي سرح مكانه.

2 ـ على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

❁ فتوحات عبد الله بن سعد بن أبي سرح:

اتخذ عقبة بن نافع مدينة سُرت قاعدة لغزواته في داخل البلاد، وركز جهده على غزو الواحات القريبة من فزّان وودّان وزويلة(2)، وكان خلال ذلك الوقت يداوم على إرسال التقارير عن حالة البلاد إلى والي مصر، وكان هذا الأخير بدوره يكتب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه «يُخبره بما نال المسلمون من عدوهم»، ويستأذنه في غزو

(1) فتوح مصر وأخبارها (ص297)، الاكتفاء في أخبار الخلفاء (1/ 89)، فتوح البلدان (ص223).

(2) المسالك والممالك (2/ 660 ـ 661).

إفريقيـة[1]، إلا أن هـذا الأخـير كـان متوقفـا عـن غزوهـا بـسبب رفـض عمـر بـن الخطاب ﷺ لذلك الأمر، ولكن ميله إلى الاستجابة لرغبة عبـد الله بـن سـعد غلـب عليه.

اجتمع عثمـان بن عفان ﷺ بوجـوه الـصحابة وذوي الـرأي سـنة 27هـ/ 647م، واستشارهم في أمر الفتح؛ فأجمعوا على موافقته، ومـا أن تمّ ذلك حتى اسـتنفر الخليفـة المسلمين، وندبهم إلى الغزو.

حدّث الواقدي عن المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري قال: «ثم خطب الناس وندبهم إلى الغزو إلى إفريقية؛ فخرج جمـاعة مـن الـصحابة مـنهم عبـد الله بـن الـزبير وأبـو ذر الغفاري وعبد الله بن العباس والمسور بن مخرمة والمقداد بن الأسود وعبـد الـرحمن بـن الأسود بن عبد يغوث وعبد الرحمن بن أبي بكـر الـصديق وعبـد الـرحمن بـن صـبيحة وعبدالله بن عمر بن الخطاب وأخـواه عبيـد الله وعاصـم وعبـد الـرحمن بـن زيـد بـن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص والمطلب بن السائب بن أبي وداعة والسائب بن عامر بن هشام وبُسْر بن أرطأة بن عويمر العامري ومعبد بن العباس بـن عبـد المطلـب وعبد الرحمن بن العباس بن عبد المطلب ومروان بن الحكـم بـن أبي العـاص بـن أميـة والحارث بن الحكم أخوه وأبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي الشاعر والمقداد بن عمـرو البهراني، ومعاوية بن حديج وفضالة بن عبيد ورويفع بن ثابت وحمزة بن خويلـد وأبـو زمعة البلوي والمسيب بن حَزْن وجبلة بن عمرو الساعدي وزياد بن الحارث الـصدائي وسفيان بن وهب وقيس بن يسار بن مسلمة وزهير بن قيس وعبد الـرحمن بـن صـخر

(1) فتوح مصر وأخبارها (ص312)، طبقات علمـاء إفريقية وتونس (ص65)، كتاب رياض النفـوس في طبقات علمـاء القيروان وإفريقية (1/ 14)، البيان المغرب (1 / 9).

وعمرو بن عوف، ومع كل واحد منهم جماعة من قومه، وخرج من أسلم ثلاثمائة رجل منهم حمزة بن عمرو الأسلمي وسلمة بن الأكوع، وخرج من مزينة ثمانمائة منهم بلال بن الحارث المزني، وكان اللواء بيده، وخرج من بني سُلَيم أربعمائة وخمسون، وخرج من جهينة ستمائة رجل، ومن بني الدِّيل وضمرة وغفار مائة رجل، ومن غطفان وأشجع وفرارة سبعمائة رجل، ومن كعب بن عمرو أربعمائة رجل، وكانوا آخر من قدم على عثمان، الذي أعان الجيش بألف بعير من ماله يحمل عليه ضعفاء الناس، وفرّق السلاح، وأمر للناس بأعطياتهم، وذلك في المحرّم سنة سبع وعشرين، وكانت هذه الغزاة تسمى غزوة العبادلة»[1].

قال النويري: «وخطب عثمان الناس، ورغّبهم في الجهاد، وقال لهم: قد استعملت عليكم الحارث بن الحكم إلى أن تقدموا على عبد الله بن سعد فيكون الأمر إليه»[2].

قال ربيعة بن عبّاد الدِّيلي: «أغزانا عثمان بن عفان رضي الله عنه إفريقية؛ فخرجنا مع الناس حتى قدمنا مصر؛ فخرج عبد الله بن بن سعد ـ وهو أمير مصر ـ بمن كان معه، وبمن قدم عليه من المدينة؛ فكانوا عشرين ألفا، ونحن نريد بطريق للروم بإفريقية يقال له جرجير كان قد غلب على ما هنالك من أرض المغرب»[3].

---

(1) فتوح البلدان (ص224)، طبقات علماء إفريقية وتونس (ص68 ـ 69)، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب (ص176 ـ 177)، رياض النفوس (1/ 15 ـ 16)، وانظر: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (ص563) الذي أضاف الحسين والحسن ضمن الصحابة المشاركين في الغزوة.

(2) نهاية الأرب (ص178).

(3) طبقات علماء إفريقية وتونس (ص70)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان (1/ 64 ـ 65).

وبلغ الواقدي أن عبد الله بن الزبير قال: «أغزانا عثمان رضي الله تعالى عنه إفريقية وكان بها بطريق يسمى جرجير كان سلطانه من أطرابلس إلى طنجة؛ فسار عبد الله حتى حلّ به؛ فقاتله أياما فقتله الله عزّ وجلّ، وكنت أنا الذي قتلته فهرب جيشه»[1].

وقال أبو العرب عن عيسى بن محمد بن سليمان أنه قال: «رأيت في كتاب أبي بكر السوسي أن عبد الله بن سعد خرج إلى إفريقية في جيش أكثرهم أصحاب رسول الله ﷺ، واستخلف على مصر عقبة بن عامر الجُهُني»[2].

وذكر بعض المؤرخين أن عبد الله بن سعد غزا إفريقية في جماعة من الصحابة فلقي جرجيرا في سبيطلة، وهي مدينة على سبعين ميلا من القيروان؛ فقتل جرجير وهو في مائة ألف، وصالح ابن أبي سرح أهل الحصون والمدائن على مائة ألف رطل من الذهب، قال أبو عثمان سعيد بن عفير في تاريخه: «ولما سمعت الروم والأفارقة بخروج عبد الله بن سعد ووصوله إلى إفريقية خرجوا إليه، ومعهم جرجير في جمع كثير من الروم؛ فلما التقى المسلمون بادر جرجير بالبراز؛ فبرز إليه عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم؛ فقتله ابن الزبير، ومنهم من قال قتلاه جميعًا، ثم كانت الهزيمة، واتخذ المسلمون ذلك المنزل معسكرًا ومنزلا، وأصابوا لهم غنائم كثيرة، وقسّم عبد الله الفيء على الصحابة؛ فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار، وسهم الراجل ألف مثقال، وتولى قَسْمَ الغنيمة عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما... وبلغ الخمس أربعمائة ألف دينار[3].

(1) رياض النفوس (1 / 19 ـ 20).
(2) طبقات علماء إفريقية وتونس (ص70).
(3) الاكتفاء في أخبار الخلفاء (1 / 104)، الكامل في التاريخ (ص372- 373)، نهاية الأرب(ص179ـ183)، العبر (ص564)، رياض النفوس (1 / 21).

ثم زحف عبد الله بن سعد إلى سبيطلة فحاصرها حصارا محكما واستولى عليها، واستغل الانتصار الذي حققه على الروم ليبث السرايا في البلاد؛ «فبلغت قفصة فسبوا وغنموا، وسيّر عسكرًا إلى حصن الأجم فحاصره وفتحه على الآمان»[1].

اجتمعت الروم بعد قتل جرجير إلى كورة من الكور الحصينة؛ فسار إليهم عبد الله بن أبي سرح بمن معه من المسلمين؛ فصالحوه على ثلاثمائة قنطار ذهبًا، وهي ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف دينار؛ فقبضها منهم وانصرف عنهم[2].

وقال شبَّاب العصفري[3] في تاريخه: «فغزا ابن سعد ومعه العبادلة عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير؛ فلقي جرجير وهو في مائتي ألف بسبيطلة على سبعين ميلا من القيروان؛ فقتل جرجير وسبوا وغنموا»، وصالح أهل المدائن والحصون على مائة ألف رطل ذهب[4].

❁ **توقف الفتح**: توقف المسلمون عن الإغارة على بلاد إفريقية منذ سنة 28هـ/ 649م وهي سنة عقد الصلح بينهم وبين أهل إفريقية بسبب انشغالهم بفتنة الأمصار التي كان من أبرز نتائجها استشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم بالفتنة الكبرى التي دار الصراع خلالها بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وبقيت إفريقية على حالها إلى غاية انتهائها، وتولي معاوية الحكم بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله عنه عن الخلافة، وذلك سنة 41هـ/ 661م؛ فلما ولي معاوية عزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن مصر وإفريقية[5]، وولى عليها عمرو بن العاص.

---

(1) فتوح البلدان (ص224)، نهاية الأرب (ص183)، الكامل في التاريخ (ص373).

(2) فتوح البلدان (ص224 ـ 225)، معالم الإيمان (1/ 65 ـ 66).

(3) هو أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري الملقب بشبَّاب المتوفى سنة 240هـ/ 854م، كان حافظا عارفا بتواريخ وأيام الناس. تاريخ خليفة بن خياط (ص5).

(4) تاريخ خليفة بن خياط (ص92)، رياض النفوس (1 / 18 ـ 19).

(5) معالم الإيمان (1 / 71).

3 ـ على عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه:

❁ فتوحات عمرو بن العاص:

ولى عمرو بن العاص عقبة بن نافع الفهري إفريقية سنة 41هـ/ 661م؛ فانتهى إلى لواتة ومزاتة؛ فأطاعوا ثم كفروا؛ فغزاهم في سنته فقتل وسبى[1]، وفي السنة الموالية غزا عقبة بن نافع فافتتح غدامس، وفي سنة 43هـ/ 663م افتتح ودان وهي من حيز برقة، وكلها من بلاد إفريقية[2].

❁ فتوحات معاوية بن حديج:

توفي عمرو بن العاص في شوال سنة 43هـ/ 663م؛ فقام معاوية بفصل إفريقية عن ولاية مصر واعتبرها ولاية مستقلة تابعة لدمشق بصفة مباشرة، وولى عليها معاوية بن حديج الكندي.

خرج معاوية بن حديج في جيش كثيف عدّته عشرة آلاف مقاتل، ويختلف المؤرخون في تحديد تاريخ سير هذه الحملة إلى إفريقية فمنهم من جعلها سنة 34هـ/ 654م[3]، ومنهم من قال أنها كانت سنة 41هـ/ 661م[4]، ومنهم من قال سنة 45هـ/ 665م، وهو الرأي الراجح[5].

---

(1) تاريخ خليفة بن خياط (ص124)، الاستيعاب في أسماء الأصحاب (3/ 108ـ 109)، الاكتفاء في أخبار الخلفاء (1/ 171)، الكامل (ص469)، العبر (ص602).

(2) تاريخ خليفة بن خياط (ص125)، الاستيعاب (3 / 108- 109)، الاكتفاء في أخبار الخلفاء(1/ 171)، الكامل في التاريخ (ص469)، البيان المغرب (1 / 15)، العبر (ص602).

(3) فتوح مصر وأخبارها (ص327)، الاكتفاء في أخبار الخلفاء (1/ 111)، العبر (ص1018).

(4) المسالك والممالك (2 / 721)، البيان المغرب (1/ 17)، رياض النفوس (1/ 28).

(5) نهاية الأرب (ص184)، البيان المغرب (1/ 16)، العبر (ص1607)، معالم الإيمان (1 / 71)، الناصري السلاوي أحمد بن خالد ـ الاستقصا أخبار دول المغرب الأقصى (1/ 133).

وعن الصحابة المشاركين في حملة معاوية بن حُديج يقول المالكي: «فأراد معاوية غزو إفريقية؛ فأغزاها معاوية بن حُديج؛ فخرج من مصر في سنة خمس وأربعين، ومعه عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وجماعة من الصحابة وغيرهم من التابعين، وكان معه أيضا عبد الملك بن مروان والأكدر بن حُمام اللخمي وكريب بن أبرهة بن الصباح وخالد بن ثابت القرشي وأشراف من جند مصر»[1]، وقال ابن الكردبوس: وكانت معه جماعة من المهاجرين والأنصار[2].

سار الجيش في نفس الاتجاه الذي سار فيه من سبقه من الفاتحين حتى وصل إلى جنوب قرطاجنة في موضع يعرف بقمونية أو قونية، وفي هذه الأثناء وصل إلى إفريقية بطريق جديد يدعى نقفور، وفي الموضع المذكور آنفا التقى الجيشان، وانهزم الروم في أول اشتباك، وانسحبوا إلى مدينة سوسة، وتحصنوا داخل أسوارها.

تقدم جيش المسلمين شمالا وعسكر في موضع يعرف بجبل القرن، ومن هناك سيّر معاوية بن حديج جيشين: أحدهما بقيادة عبد الله بن الزبير نجح في فتح سوسة[3]، والثاني بقيادة عبد الملك بن مروان سار إلى جلولاء[4] في ألفي فارس، ومكنه انهيار جزء من السور من دخول المدينة وغنم ما فيها، ومن المؤرخين من ينسب فتح هذه المدينة إلى معاوية بن حديج[5].

---

(1) نهاية الأرب (ص185)، البيان المغرب (1/ 16)، رياض النفوس (ص28-30)، معالم الإيمان(1/ 71 ـ 72).

(2) الاكتفاء في أخبار الخلفاء (1/ 111).

(3) المسالك والممالك (2/ 689)، نهاية الأرب (ص185 ـ 186)، البيان المغرب (1 / 19).

(4) جلولاء: بينها وبين القيروان أربعة وعشرين ميلا. معجم البلدان (2/ 156).

(5) فتوح مصر (ص329)، نهاية الأرب (ص186)، المسالك والممالك (2 / 686- 687)، رياض النفوس (ص28 ـ 30)، معالم الإيمان (1/ 72)، البيان المغرب (1 / 17)، الاستقصا (1/ 133).

مضى معاوية بعد ذلك شمالا فافتتح ثغر بنزرت، كما غزا صقلية سنة46هـ/ 666م وعاد بغنائم كثيرة، واختتم غزواته في إفريقية بإرسال الصحابي رويفع بن ثابت الأنصاري لفتح جزيرة جربة، وتمت هذه الغزوة سنة47هـ/ 667م[1].

عزل معاوية بن أبي سفيان ابن حديج سنة 48هـ/ 668م، وقيل سنة 50هـ/ 670م، وولى إفريقية عقبة بن نافع الفهري، وبتوليته تبدأ المرحلة الثانية من فتح المغرب، وهي مرحلة الفتح الثابت المنظم.

⊛ فتوحات عقبة بن نافع الفهري:

< **الولاية الأولى**: تجمع معظم المصادر العربية على أن تولية عقبة بن نافع الفهري إمارة إفريقية كانت سنة 50هـ/ 670م[2]، قال ابن عذاري: «وصل عقبة بن نافع الفهري إلى إفريقية في عشرة آلاف من المسلمين؛ فافتتحها ودخلها»[3]، وكان في عسكره خمسة عشر رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ[4]، وقال ابن عذاري والنويري: ثمانية عشر[5].

وأول عمل شرع في تنفيذه هو اتخاذ قيروان للمسلمين حين قال مخاطبا جند المسلمين: «إن إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام؛ فإذا خرج منها رجع من

(1) المسالك والممالك (2 / 668)، رياض النفوس (ص28 ـ 30)، معالم الإيمان (1 / 71 ـ 72).
(2) تاريخ الرسل والملوك (6/ 116)، الاستيعاب (3 / 109)، الاكتفاء في أخبار الخلفاء (1 / 176)، الكامل في التاريخ (ص481)، نهاية الأرب (ص187)، البيان المغرب (1 / 19)، وانظر ابن خلدون الذي يذكر تاريخين لتوليته: سنة 50هـ (العبر ـ ص602)، وسنة 45هـ (العبر ـ ص1018).
(3) البيان المغرب (1/ 19).
(4) القبلة في الأندلس والمغرب الأقصى (ص26)، كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية (1/ 11).
(5) البيان المغرب (1/ 20)، نهاية الأرب (ص187).

كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر؛ فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عِزًّا للإسلام إلى آخر الدهر»[1]، ولم يكن عقبة أول من فكر في بناء قاعدة للمسلمين في إفريقية إذ كان معاوية بن حديج «قد اختط قيروانا بموضع يدعى اليوم بالقرن فلما رآه عقبة لم يعجبه»[2]، وسبب ذلك أن قيروان ابن حديج قريبة من البحر، وبالتالي فهي مهددة من قبل الروم، ولذلك فكر عقبة في إنشاء قاعدة داخلية للمسلمين في إفريقية، وذلك حين قال: «اجعلوا بينها وبين البحر ما لا يدركها صاحب القسطنطينية إلا وقد علم به»، وبذلك تكون في مامن من الروم[3].

كان موضع القيروان غيضة كثيرة الأشجار ماوى للوحوش والحيات؛ فأمر بقطع ذلك واختط المدينة، ثم شرع في اختطاط دار الإمارة والمسجد الجامع[4]، وعلى إثر ذلك شرع الناس في بناء دورهم ومساكنهم[5]، وبذلك عمرت المدينة بمختلف أنواع الأبنية والمنشآت، وشدّ الناس إليها الرحال، وانتجعوها من كل مكان، واتسعت بالأسواق والمرافق، ودامت حركة البناء بها نحو خمس سنوات، واكتملت عمارتها سنة 55هـ/ 674م[6].

جمع عقبة وجوه أصحابه وكبار العسكر؛ فدار بهم حول القيروان، وأقبل يدعو لها ويقول في دعائه: «اللهم املأها علما وفقها، وأعمرها بالمطيعين والعابدين، واجعلها عزًّا لدينك وذلا على من كفر، وأعز بها الإسلام، وامنعها من جبابرة الأرض»[7].

---

(1) البيان المغرب (1/ 19)، مفاخر البربر (ص 206)، نهاية الأرب (ص187).

(2) فتوح مصر وأخبارها (ص332)، الاستيعاب (3 / 109)، الاكتفاء (1 / 176).

(3) البيان المغرب (1/ 19 ـ 20)، مفاخر البربر (ص206).

(4) تاريخ الرسل والملوك (6 / 116)، الكامل في التاريخ (ص481 ـ 482)، نهاية الأرب (ص188)، العبر (ص603)، رياض النفوس (1/ 10).

(5) الكامل في التاريخ (ص 482)، البيان المغرب (1 / 21)، العبر (ص603).

(6) نهاية الأرب (ص 189)، البيان المغرب (1 / 21).

(7) تاريخ إفريقية والمغرب (ص8)، رياض النفوس (1 / 10)، معالم الإيمان (1/ 42).

❁ **بناء المسجد:**

ثم أتى بهم إلى موضع المسجد الأعظم فاختطه، ولم يُحدث فيه بناء، وكان يصلي فيه وهو كذلك، ثم أخذ الناس في بنيان الديار والمساجد وغير ذلك، فشدّ إليها الناس المطايا من كل مكان، وعمرت بفضلاء الناس من الفقهاء والمحدثين والمتطوعين والعابدين والنساك والزاهدين[1].

كانت مدينة القيروان في بداية نشأتها قاعدة حربية، ومركزا توجه منه الغزوات، وكان عقبة أثناء عمارته لها يغزو ويبعث السرايا فتغير وتغنم، ودخل كثير من البربر في الإسلام، وأصبحت القيروان حاضرة المغرب الإسلامي على عهد الخلافة الأموية، ولكن انشغال عقبة الكبير ببناء القيروان، وعزوفه عن الغزو أثناء مدة البناء والتي دامت خمس سنوات قد حرم الخلافة من مورد هام هو الغنائم، ولذلك أخذت السعايات تلعب دورًا هاما ضدّ عقبة في بلاط الخليفة، وكان والي مصر مسلمة بن مخلد الأنصاري في مقدمة الساعين لعزل عقبة، وتمّ ذلك سنة 55هـ/ 674م.

> **الولاية الثانية** (62-63هـ/ 682-683م): بعد توليه الخلافة سنة 60هـ/ 680م، قام يزيد بن معاوية بفصل إفريقية عن ولاية مصر، ثم عزل أبو المهاجر دينار وعيّن عقبة ابن نافع مكانه، وهي ولايته الثانية لإفريقية، وكان عقبة قد اشتكى ليزيد من تصرّف أبي المهاجر دينار، وما دخل عليه منه وقال له: «لما فتحت إفريقية وبنيت مسجد الجماعة بعثتم عبد الأنصاري فأهانني وأساء عزلي»؛ فغضب يزيد وقال: «أدركوها قبل أن يخربها»، وردّ عقبة إليها، وأزال مسلمة عنها، وأقرّه بمصر، وذلك سنة اثنتين وستين»[2].

---

(1) رياض النفوس (1 / 12 ـ 13).

(2) نهاية الأرب (ص190)، رياض النفوس (1 / 33 ـ 34)، معالم الإيمان (1 / 74 ـ 75).

قدم عقبة بن نافع الفهري إلى القيروان ومعه خمسة وعشرون رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ[1]؛ فجدد بناءها وأمر الناس بتعميرها والانتقال إليها؛ فعادت إليها عظمتها السابقة[2].

❁غزوة عقبة الكبرى:

استخلف زهير بن قيس البلوي[3] وعمر بن علي القرشي على إفريقية، وخرج في جيش عدته خمسة عشر ألفًا من المسلمين من القيروان[4]، كما اشترك في هذه الحملة جموع كثيرة من مسلمي البربر يتزعمهم كسيلة بن لمزم الأوربي، وتمكنت جيوش المسلمين من إلحاق الهزيمة بالروم في مدينة باغاية وعلى وادي المسيلة، واتجه عقبة بعد ذلك إلى تاهرت أين انتصر على التحالف البربري البيزنطي[5]، وبذلك قضى عقبة على البربر والروم في المغرب الأوسط، ونشر الإسلام في ربوعه.

ثم سار في اتجاه طنجة موطن أوربة التي أسلم أهلها بإسلام كسيلة، ولم يستمع لنصيحة أبي المهاجر دينار الذي حاول أن يقنعه بعدم جدوى غزوها، والتقى بحاكم طنجة وسبتة يوليان، وكان سياسيا محنكا، ولذلك بادر بمهادنة عقبة، وعُقد صلح بين الطرفين، ودله يوليان على مواطن البربر فيما وراء جبال درن، وأرشده إلى عوراتهم، وبفضل ذلك وصل عقبة إلى وليلي أين هزم جموع البربر، وطاردهم حتى درعة حيث

---

(1) البيان المغرب (1 / 23)، كتاب رياض النفوس (1 / 10)، معالم الإيمان (1 / 42).

(2) رياض النفوس (1 / 34)، البيان المغرب (1 / 23)، معالم الإيمان (1 / 75).

(3) يخالف ابن خلدون بقية المؤرخين حين يقول إن عقبة «جعل مقدمته زهير بن قيس البلوي». العبر (ص1018).

(4) فتوح مصر وأخبارها (ص70)، الكامل في التاريخ (ص527)، رياض النفوس (1 / 35)، معالم الإيمان (1 / 75).

(5) تاريخ إفريقية والمغرب (10ـ 14)، الكامل في التاريخ (ص527)، كتاب الأنساب (ص 86 ـ 87)، البيان المغرب (1/ 24 ـ 25).

هزمهم ثانية، وقتل عددا كبيرا منهم، وذكر بعض المؤرخين أنه انحدر من بلاد تامسنا، وتوغل في بلاد «صنهاجة إلى بلاد هسكورة، ثم نزل أغمات وريكة، ثم نزل منها على وادي نفيس، وقام من وادي نفيس، وسار حتى نزل إيجلي بالسوس وبنى فيه مسجدا، ثم سار حتى وصل إلى البحر المحيط»[1].

دخل عقبة بلاد صنهاجة وهسكورة، ومرّ بأغمات وافتتحها، كما افتتح مدينة نفيس وتارودانت، ثم نزل بوادي السوس، واتصل بقبائل جزولة فأسلمت، ثم سار نحو بلاد دكالة، ومنها إلى بلاد هسكورة، وعبر نهر أم الربيع، وأوغل في البلاد شرقا حتى دخل المغرب الأوسط[2]، وخلال رحلته هذه هزم البربر، ونشر الدين الجديد في صفوفهم فضلا على بناء المساجد، ولعلّ أبرزها الذي بناه بماسة من السوس الأقصى[3]، وقال أبو عبيد صالح نقلا عن «أصحاب المسالك البكري والإشبيلي»: بنى مسجده بنفيس المشهور باسمه إلى الآن، وعقّب على ذلك فقال: «والذي صحّ أنه حضر لبنيانه عقبة مسجد القيروان ومسجد بدرعة ومسجد بوادي سوس، وأما غير ذلك فالله أعلم بحقيقته»[4].

من خلال ما سبق يتبين المجهود الكبير الذي قام به عقبة بن نافع الذي لم يكتف بفتح المناطق المغاربية فقط، بل سعى إلى ترسيخ عقيدة التوحيد من خلال بناء المساجد التي تعد اللبنة الأساسية في الدين الإسلامي إذ تعتبر مركز العبادة والقيادة في آن واحد.

---

(1) تاريخ إفريقية والمغرب (ص14 ـ 15)، الكامل في التاريخ (ص527)، البيان المغرب (1 / 26)، كتاب الأنساب (ص219)، البيان المغرب (1 / 26 ـ 27)، مفاخر البربر (ص207)، العبر (ص1018)، الاستقصا (1 / 138).

(2) كتاب الأنساب (ص89).

(3) معالم الإيمان (1 / 79).

(4) كتاب الأنساب (ص 88)، البيان المغرب (1 / 27).

وانتهت هذه الحملة الكبرى باستشهاد عقبة وأغلب من بقي معه من المسلمين سنة 63هـ/ 683م في موقعة تهودة التي كمن له فيها كسيلة وقومه والروم المتحالفين معه[1]، وأسر من الصحابة يومئذ محمد بن أوس الأنصاري ويزيد بن خلف العبسي ونفر معهما؛ ففداهم ابن مصاد صاحب قفصة، وبعث بهم إلى القيروان[2].

❁ **فتوحات زهير بن قيس البلوي:**

عقب استشهاد عقبة بن نافع الفهري حاول خليفته على القيروان زهير بن قيس البلوي إقناع المسلمين بالوقوف في وجه كسيله وجيشه، ولكن حنش الصنعاني التابعي حال دون ذلك؛ فاضطرّ أغلب المجاهدين إلى الانسحاب نحو برقة، ونجح كسيلة في دخولها، وبذلك خرجت القيروان من أيدي العرب الفاتحين.

عاد زهير إلى برقة، ومكث بها ينتظر المدد من الخليفة الأموي، ولكن الأحداث التي تعاقبت على الدولة[3] أخرت وصولها لمدة خمس سنوات؛ ففي سنة 69هـ/ 688م[4] أمر الخليفة عبد الملك بن مروان زهير بالسير إلى القيروان، ولم

---

(1) الكامل في التاريخ (ص528)، مفاخر البربر (ص207)، البيان المغرب (1/ 28 ـ 29)، كتاب الأنساب (ص89 ـ 90)، نهاية الأرب (ص194)، العبر (ص1018)، رياض النفوس (1/ 41 ـ 42)، معالم الإيمان (1/ 78).

(2) الكامل في التاريخ (ص528)، البيان المغرب (1 / 29)، العبر (ص1018)، الاستقصا (1/ 140).

(3) وفاة يزيد بن معاوية سنة 64هـ، وخلفه ابنه معاوية الذي مات بعد أربعين يوم ولم يولي أحد، وظل عرش الخلافة شاغرا لمدة تقارب ستة شهور قامت خلالها ثورات عديدة أبرزها ثورة عبد الله بن الزبير، وفي ذي القعدة انعقد مؤتمر الجابية الذي أسفر عن بيعة مروان بن الحكم في منصب الخلافة، واشغل هذا الأخير بمحاربة المضرية بزعامة الضحاك بن قيس والزبيريين في مصر والحجاز، وبعد وفاته في رمضان سنة 65هـ خلفه عبد الملك بن مروان. أبو عبيد صالح ـ كتاب الأنساب (ص90)، معالم الإيمان (1/ 82).

(4) قال ابن خلدون: ولما ولي عبد الملك بن مروان بعث إلى زهير بمكانه من برقة، وولاه حرب البرابرة؛ فزحف سنة سبع وستين. العبر (ص1018).

يبخل عليه بالمال والرجال، ويقول المالكي: إن عبد الملك أرسل «إلى أشراف العرب ليحشدوا إليه الناس من الشام، وأفرغ عليهم أموال مصر؛ فسارع الناس إلى الجهاد، واجتمع منهم خلق عظيم فأمرهم أن يلحقوا بزهير»[1].

خرج زهير من برقة على رأس جيش ضخم متوجها نحو إفريقية، وعندما بلغه خبر مقدم المسلمين حشد كسيلة للقائهم جيشًا كثيفا من البربر والروم بقرية ممس الواقعة جنوبي القيروان[2]، والتقى الجمعان بعد أربعة أيام من وصول زهير، وانتهت المواجهة بمقتل كسيلة وانهزام جيشه[3]، ويعلق السلاوي على ذلك فيقول: «وفي هذه الوقعة ذلّ البربر، وفنيت فرسانهم ورجالهم، وخمدت شوكتهم واضمحلّ أمر الفرنجة فلم يعد، وخاف البربر من زهير والعرب خوفا شديدا؛ فلجأوا إلى القلاع والحصون، وكسرت شوكة أوربة من بينهم، واستقر جمهورهم بدار المغرب الأقصى، وملكوا مدينة وليلي»[4].

عاد زهير إلى القيروان ولكنه لم يستقر بها لاعتقاده أن مهمته قد انتهت باسترداد القيروان والثأر لمقتل عقبة بن نافع، إضافة إلى زهده في الإمارة، ولذلك كله آثر العودة إلى مصر[5]، ويتفق المؤرخون على أنه استشهد في برقة بعدما بلغه ما حلّ بمسلميها

---

(1) تاريخ إفريقية والمغرب (ص17 ـ 18)، رياض النفوس (1/ 46)، البيان المغرب (1/ 31).

(2) يسميها البكري ساقية ممس، ويقول إنها قرية عامرة آهلة بها مسجد جامع وفندق، وتقع قرب مدينة سبيبة. المسالك والممالك (2/ 834).

(3) تاريخ إفريقية والمغرب (ص19 ـ 20)، الكامل في التاريخ (ص528)، نهاية الأرب(ص195)، كتاب الأنساب (ص90 ـ 91)، البيان المغرب (1/ 32)، العبر (ص1018)، رياض النفوس (1/ 46 ـ 47)، معالم الإيمان (1/ 83).

(4) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (1/ 147).

(5) تاريخ إفريقية والمغرب (ص20)، الكامل في التاريخ (ص528)، نهاية الأرب (ص195)، البيان المغرب (1/ 32 ـ 33)، العبر (ص1018)، رياض النفوس (1/ 47)، معالم الإيمان (1 / 84).

على يد الروم الذين أغاروا عليها؛ فاضطر إلى تلبية نداء من استنجد به من أطفال ونساء المسلمين، ودخل في مواجهة انتهت باستشهاده واستشهاد جميع من كان معه من المسلمين[1].

❁ ذكر من دخل إفريقية من أصحاب النبي ﷺ:

1 ـ **أبو العباس عبد الله بن عباس** رضي الله عنه: هو ابن عمّ رسول الله ﷺ، ولد بالشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له النبي ﷺ وقال: «اللهم علمه الكتاب والحكمة»[2]، وكان من العلماء بكتاب الله عزّ وجلّ وتفسيره ومحكمه وناسخه ومنسوخه، وعالما بالسنة وجميع العلوم الشرعية، غزا إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وهو الذي تولى تقسيم الفيء بها بين المسلمين، وكانت وفاته بالطائف سنة ثمان وستين[3].

2 ـ **أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر** رضي الله عنه: أسلم بإسلام أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمكة، وهاجر مع والديه إلى المدينة المنورة، وكان من أهل الورع والعلم بالكتاب والسنة، وكان ﷺ يقول عنه: «نعم الرجل عبد الله بن عمر إلا أنه ليس يصلي

---

(1) تاريخ إفريقية والمغرب (ص21 ـ 22)، الكامل في التاريخ (ص529)، نهاية الأرب (ص195)، كتاب الأنساب (ص91 ـ 92)، البيان المغرب (1/ 33)، رياض النفوس (1/ 47 ـ 48)، معالم الإيمان(1/ 84)، ويخالفهم ابن خلدون حين يقول: «واعترضه بسواحل برقة أسطول صاحب القسطنطينية، جاؤوا لقتاله؛ فقاتلهم واستشهد». العبر (ص1019).

(2) رواه البخاري من طريقين الأول طريق مسدّد ولفظه: «ضمّني النبي ﷺ إلى صدره وقال: اللهم علمه الحكمة»، أما الطريق الثاني فهو عن أبي معمر وفيه: «... وعلمه الكتاب». البخاري أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل ـ صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ـ باب ذكر ابن عباس ـ حديث رقم 3756 (ص657).

(3) الإصابة في تمييز الصحابة(2/ 322ـ 326)، الاستيعاب(2/ 343 ـ 349)، معالم الإيمان (1/ 119 ـ 123)، رياض النفوس (1/ 60 ـ 61).

بالليل»[1]، قال سالم ابنه: فكان عبد الله بن عمر بعد ذلك لا ينام الليل إلا قليلا، غزا إفريقية مرتين الأولى مع عبد الله بن أبي سرح، والثانية مع معاوية بن حديج، مات بمكة وهو ابن أربع وثمانين سنة، ويقال سبع وثمانين، وهو آخر من مات بمكة من الصحابة[2].

3 ـ **أبو بكر عبد الله بن الزبير** رضي الله عنه: ولدته أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد الهجرة بعشرين شهرًا، وهو أول مولود في الإسلام بالمدينة المنورة، كان كثير الصيام طويل الصلاة، وربما قرأ في الركعة الواحدة بالبقرة وآل عمران والنساء والمائدة، غزا إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة سبع وعشرين، وهو الذي قتل جرجير ملك الروم، ثم غزا إفريقية مع معاوية بن حُديج، وشهد فتح جلولاء، وبويع له بالخلافة في الحرمين والعراقين واليمن وبعض الشام ومصر، وحجَّ بالناس ثلاث حِجَج، وقتله الحجّاج بن يوسف الثقفي يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين[3].

4 ـ **أبو عبد الله عمرو بن العاص القرشي السهمي** رضي الله عنه: أسلم قبل الفتح سنة ثمان، وقيل بين الحديبية وخيبر، وولي عمرو إمرة مصر في زمن عمر بن الخطاب، وهو الذي افتتحها، وأبقاه عثمان قليلا ثم عزله، وولى عبد الله ابن أبي سرح، ولما كانت

---

(1) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ـ صحيح مسلم ـ مكتبة الإيمان ـ القاهرة ـ د. ت ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب فضائل عبد الله بن عمر ـ حديث رقم 148 (2484) ـ (ص1242)/ البخاري ـ صحيح البخاري ـ كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ـ باب مناقب عبد الله ابن عمر ـ حديث رقم 3738 ـ (ص655 ـ 656).

(2) الإصابة (2/ 338 ـ 341)، الاستيعاب (2 / 333 ـ 337)، طبقات علماء إفريقية وتونس (ص73)، رياض النفوس (1/ 61 ـ 62)، معالم الإيمان (1/ 100 ـ 104).

(3) الإصابة (2/ 301 ـ 303)، الاستيعاب (2 / 290 ـ 298)، طبقات علماء إفريقية وتونس (ص74 ـ 75)، معالم الإيمان (1/ 123 ـ 126)، رياض النفوس (1/ 63 ـ 64).

الفتنة لحق بمعاوية، فكان معه يدبر أمره في الحرب إلى أن جرى أمر الحكمين، ثم سار في جيش جهزه معاوية إلى مصر، فوليها له من صفر سنة ثمان وثلاثين إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين[1].

5 ـ **أبو محمد عبد الله بن عمرو بن العاص** رضي الله عنه: صحب رسول الله ﷺ وأكثر الرواية عنه، أسلم قبل أبيه، ورحل من مكة إلى الشام فأقام بها، ثم رحل إلى مكة فسكنها، كان رجلا صالحًا عالمًا، أذِن له رسول الله ﷺ في كتابة الحديث عنه، شهد غزوة إفريقية مع ابن أبي سرح سنة سبع وعشرين، وكان قد شهد فتح مصر، توفي بمكة المكرّمة سنة خمس وستين في ولاية يزيد بن معاوية، وقيل إنه توفي بمصر في داره، ودفن بها[2].

6 ـ **أبو يحي عبد الله بن سعد بن أبي سرح الحسام بن الحارث** رضي الله عنه: أسلم قبل الفتح وهاجر، وكان أخا عثمان بن عفان رضي الله عنه من الرّضاع، وكان يكتب الوحي للنبي ﷺ، وكان فارس بني عامر بن لؤي والمُقدّم فيهم، وكان أحد العقلاء النجباء من قريش، شهد فتح مصر، ثم ولاه عثمان بن عفان رضي الله عنه غزو إفريقية سنة سبع وعشرين؛ وذكر المالكي أن عبد الله بن أبي سرح بنى مسجدًا يعرف به في شرقي القيروان عند باب عبد الله هو به معروف، يقال له مسجد ابن أبي سرح، اعتزل الفتنة وأقام بفلسطين وتوفي بعسقلان سنة ست أو سبع وثلاثين[3].

---

(1) الإصابة (3/ 2 ـ 3)، الاستيعاب (2 / 501 ـ 508)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (1/ 53).

(2) الإصابة (2/ 343 ـ 344)، الاستيعاب (2/ 338 ـ 341)، معالم الإيمان (1/ 126 ـ 128)، رياض النفوس (1/ 65 ـ 66).

(3) طبقات علماء افريقية وتونس (ص75)، الإصابة (1/ 309 - 310)، الاستيعاب(1/ 367 ـ 370)، رياض النفوس (1/ 66 ـ 67)، معالم الإيمان (1/ 140 ـ 142).

7 ـ **أبو ذر الغفاري** رضي الله عنه : واسمه جندب بن جنادة، كان من كبار الصحابة، أسلم بمكة قديما ثم رجع إلى قومه فأقام معهم حتى مضت بدر وأحد والخندق، ثم قدم على النبي ﷺ وصحبه إلى أن مات، وكان كثير العزلة، دخل إفريقية غازيا مع ابن أبي سرح، وشهد مشاهدها، وكان قد شهد فتح مصر واختط بها، وكانت وفاته بالربذة سنة إحدى وثلاثين[1].

8 ـ **عبد الرحمن بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم** رضي الله عنهما: ولد على عهد الرسول ﷺ، وشهد غزو بإفريقية هو أخوه معبد مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح في زمن عثمان رضي الله عنه ، ومات بإفريقية شهيدا، وقيل قتل بالشام[2].

9 ـ **أبو العباس معبد بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي** رضي الله عنه : ولد على عهد الرسول ﷺ ولم يحفظ عنه، قتل بإفريقية شهيدا في زمن عثمان، وكان غزاها مع ابن أبي سرح، وقيل استشهد بعد ذلك في خلافة معاوية[3].

10 ـ **عبيد الله بن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه : ولد على عهد الرسول ﷺ، ولم يرو عنه، وكان من أنجاد قريش وفرسانهم، غزا إفريقية هو وأخوه مع عبد الله بن سعد، وقتل بصفين مع معاوية، وكان ذلك في ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين[4].

---

(1) الإصابة (4 / 63- 65)، الاستيعاب (4 / 63- 65)، رياض النفوس (1/ 71)، معالم الإيمان(1/ 104 ـ 106).

(2) الاستيعاب (2 / 394 ـ 395)، الإصابة (1 / 71)، الدباغ ـ معالم الإيمان (1 / 161).

(3) الاستيعاب (3/ 436 ـ 437)، الإصابة (3 / 457)، معالم الإيمان (1/ 162).

(4) الاستيعاب (2/ 423 ـ 425)، الإصابة (3/ 75 -77)، معالم الإيمان(1/ 160 ـ 161).

11 ـ **أبو عمر عاصم بن عمر بن الخطاب** رضي اللهم عنهما: ولد قبل وفاة الرسول ﷺ بسنتين، وكان خيرًا فاضلا، وكان شاعرًا مُجيدًا حسن الشعر، دخل إفريقية مجاهدًا مع عبد الله بن سعد سنة سبع وعشرين، وكانت وفاته سنة سبعين[1].

12 ـ **عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب القرشي العدوي** رضي الله عنه: ولد سنة خمس، وكان له عند وفاة النبي ﷺ ست سنين، وقال ابن حبان: ولد سنة الهجرة، ولاه يزيد بن معاوية أمر مكة، وكان لبيبا عاقلا، روى عن أبيه وعمه وابن مسعود وغيرهم، دخل إفريقية غازيًا مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وتوفي في ولاية عبد الله بن الزبير[2].

13 ـ **أبو الحكم مروان بن الحكم بن أبي العاصي القرشي الأموي** رضي الله عنه: ولد على عهد الرسول ﷺ بعد عامين من الهجرة، وقيل عام الخندق، ولم يرو عن النبي ﷺ شيئا، شهد فتح مصر ثم فتح إفريقية، وبويع له بالخلافة في رجب سنة أربع وستين، وتوفي بدمشق السنة التي بعدها[3].

14 ـ **أبو يحي عبد الله بن أنيس الجهني القضاعي** رضي الله عنه: صحب النبي ﷺ وصلى معه القبلتين، شهد أحد ما بعدها، قال أبو سعيد بن يونس وغيره: شهد فتح إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح، توفي سنة أربع وخمسين[4].

---

(1) الاستيعاب (3/ 135ـ 136)، معالم الإيمان (1/ 157ـ 158)، رياض النفوس(1/ 141 ـ 142).

(2) الاستيعاب (2 / 417)، الإصابة (3/ 69ـ 70)، طبقات علماء إفريقية وتونس (ص80)، معالم الإيمان (1/ 161).

(3) الإصابة (3/ 455 ـ 456)، الاستيعاب (3/ 405 ـ 408)، معالم الإيمان (1/ 162 ـ 163).

(4) الاستيعاب (2/ 249- 250)، الإصابة (2/ 270)، رياض النفوس (1/ 68)، معالم الإيمان(1/ 99ـ100).

15 ـ **أبو عبد الرحمن المِسْوَر بن مَخْرمة القرشي الزهري** رضي الله عنه: توفي أبوه يوم فتح مكة، وولد المسور بعد الهجرة بسنتين، صحب النبي ﷺ وروى عنه، كان عاقلا ضابطا لما يتحمله، وكان من أهل الفضل والدين، شهد المسور فتح إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وشهد معه المغازي والمعارك، وهو الذي حرّض عثمان رضي الله عنه على غزوها، كانت وفاته سنة أربع وقيل خمس ستين[1].

16 ـ **أبو عبد الله عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق** رضي الله عنهما: ويكنى أبا محمد، صحب ﷺ، كان من أشجع قريش وأرماهم بِسَهمٍ، وذكر أبو سعيد بن يونس وغيره أن عبد الرحمن دخل إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكانت وفاته على عشرة أميال من مكة سنة ثلاث وخمسين، ودفن بمكة[2].

17 ـ **أبو سعيد المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة البهراني** رضي الله عنه: كان من فضلاء الصحابة ونجبائهم، شهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وغيرها من المغازي، وروى عنه حديثا كثيرًا، وغزا إفريقية مع ابن أبي سرح، وكانت له مقامات مشهورة، وتوفي المقداد سنة ثلاث وثلاثين بالجرف[3]، ودفن بالمدينة المنورة، وصلى عليه عثمان ابن عفان رضي الله عنه، وتوفي وهو ابن سبعين سنة[4].

---

(1) الاستيعاب (3/ 396 ـ 398)، الإصابة (3 / 399 ـ 400)، معالم الإيمان (1/ 137 ـ 140)، رياض النفوس(1/ 69 ـ 70).

(2) الإصابة (2/ 399 ـ 401)، الاستيعاب (2/ 391ـ 394)، طبقات علماء إفريقية وتونس (ص75)، معالم الإيمان (1/ 134 ـ 136)، رياض النفوس (1/ 70 ـ 71).

(3) الجرف: هو موضع على ثلاثة أميال من المدينة المنورة نحو الشام. معجم البلدان (2/ 128).

(4) الاستيعاب (3/ 451 ـ 454)، الإصابة (3 / 433 ـ 434)، طبقات علماء إفريقية وتونس (ص49 ـ 50)، رياض النفوس (1/ 73 ـ 74)، معالم الإيمان (1/ 93 ـ 98).

18 ـ **أبو صالح حمزة بن عمر الأسلمي** رضي الله عنه: صحابي بن صحابي، كان رجلا فاضلا يَسْرُد الصوم، وروى عن النبي ﷺ حديثا كثيرًا، شهد فتح إفريقية مع عبد الله ابن سعد، وكانت له فيها مقامات محمودة، وتوفي سنة إحدى وستين[1].

19 ـ **أبو عبد الرحمن بلال بن الحارث المزني** رضي الله عنه: وفد على النبي ﷺ في وفد مُزينة سنة خمس من الهجرة، وكان يحمل ألويتها يوم الفتح، وروى عن النبي ﷺ حديثا كثيرًا، شهد غزو إفريقية وفتحها مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح، قال الواقدي: حدثني كثير ابن عبد الله المزني عن أبيه عن جدّه قال: كانت مُزينة في غزو إفريقية وفتحها أربعمائة، وكان وفاته سنة ستين في آخر خلافة معاوية[2].

20 ـ **المطلب بن أبي وداعة السَّهمي** رضي الله عنه: واسم أبي وداعة الحارث بن صُبَيْرة، أسلم يوم فتح مكة وهو معدود في جملة الصحابة رضي الله عنهم، غزا إفريقية مع عبدالله بن سعد بن أبي سرح في جمع من بني سهم رضي الله عنهم[3].

21 ـ **ربيعة بن عباد الدُّؤَلي** رضي الله عنه: كانت له صحبة لرسول الله ﷺ ورواية عنه، وشهد فتح إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكانت له بها آثار ومقامات، وتوفي بالمدينة في ولاية الوليد بن عبد الملك[4].

---

(1) الاستيعاب (1/ 276)، الإصابة (1/ 254)، معالم الإيمان (1/ 132ـ 133)، طبقات علماء إفريقية وتونس (ص73)، رياض النفوس (1/ 75).

(2) الاستيعاب (1/ 150)، الإصابة (1/ 168)، طبقات علماء إفريقية وتونس (ص74)، معالم الإيمان(1/ 136 ـ 137)، رياض النفوس (1 / 75 ـ 76).

(3) الاستيعاب (3/ 392 ـ 393)، الإصابة (3/ 405)، معالم الإيمان (1/ 145ـ 146)، رياض النفوس(1/ 77 ـ 78).

(4) الاستيعاب (1/ 496)، الإصابة (1/ 496)، طبقات علماء افريقية وتونس (ص75)، معالم الإيمان(1/ 147 ـ 148)، رياض النفوس (1/ 79).

22 ـ **أبو محمد فَضَالة بن عُبيد الأنصاري الأوسي** رضي الله عنه: صحب رسول الله ﷺ وروى عنه، وأدخله محمد بن سنجر في مسنده في جملة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، شهد فتح مصر والشام وولي قضاء دمشق لمعاوية، ثم دخل إفريقية غازيًا مع رويفع بن ثابت، وكانت وفاته بدمشق سنة ثلاث وخمسين[1].

23 ـ **رويفع بن ثابت الأنصاري** رضي الله عنه: صحب رسول الله ﷺ وروى عنه، وقال حنش بن عبد الله الصنعاني: غزونا المغرب وعلينا رويفع بن ثابت؛ فافتتحنا جزيرة يقال لها جربة، وكانت له بالمغرب وإفريقية ولايات وفتوحات، وكان قد شهد فتح مصر واختط بها، وتوفي رويفع بن ثابت سنة ثلاث وخمسين ببرقة، وهو أمير عليها لمسلمة بن مخلَّد الأنصاري أمير مصر[2].

24 ـ **أبو عبد الرحمن جَرْهد بن خُوَيلد بن بُجْرة الأسلمي** رضي الله عنه: صحب رسول الله ﷺ وروى عنه، شهد الحديبية وبايع بيعة الرضوان، قال ابن عبد البر: لا تثبت له صحبة، وقال ابن يونس: شهد فتح إفريقية وغزوها مع عبد الله بن سعد، وكانت وفاته سنة إحدى وستين[3].

25 ـ **أبو زمعة عبيد بن أرقم البلوي** رضي الله عنه: شهد بيعة الرسول ﷺ تحت الشجرة، وشهد فتح مصر، وغزا إفريقية مع معاوية بن حديج وأقام بها، قال الدباغ: ومن

---

(1) الاستيعاب (3/ 192 - 193)، الإصابة (3 / 201)، معالم الإيمان (1/ 118 - 119)، رياض النفوس (1/ 80).

(2) الاستيعاب (1/ 188 ، 489)، الإصابة (1 / 507)، معالم الإيمان (1/ 130 ـ 132)، رياض النفوس (1/ 81 - 82)، المسالك والممالك (2/ 650).

(3) الاستيعاب (1/ 257 - 258)، رياض النفوس (1/ 83)، معالم الإيمان (1/ 117 ـ 118).

فضائل القيروان التي تمتاز بها على سائر المغرب أن بها قبر أبي زمعة البلوي صاحب رسول الله ﷺ[1].

26 ـ **أبو عبد الرحمن بُسْر بن أرطأة**، ويقال ابن أبي أرطأة رضي الله عنه: صحب النبي ﷺ وروى عنه، دخل إفريقية غازيا وشهد فتحها مع عبد الله بن سعد، وأقام معه بها، وشهد قبل ذلك فتح مصر واختط بها، وكان قد عرض له وسواس في آخر عمره بعد قتل عثمان رضي الله عنه حزنًا عليه، وكانت وفاته بالشام[2].

27 ـ **أبو سعيد المسيب بن حزن المخزومي** رضي الله عنه: له ولأبيه حَزْن بن أبي وهب صحبة، وله حديث في الصحيحين، كان ممن بايع تحت الشجرة، وشهد فتوح الشام، كما شهد غزو إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح[3].

28 ـ **زياد بن الحارث الصُّدَائي** رضي الله عنه: بايع الرسول الله ﷺ وأذن بين يديه، وروى عنه، وكان قد أتى إلى النبي ﷺ فبايعه على الإسلام، ثم كتب إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، والقدوم على رسول الله ﷺ، فأقبلوا وأسلموا، قدم زياد بن الحارث الصدائي إفريقية، وانفرد أهل إفريقية بحديثه، وشهد المغازي بإفريقية[4].

---

(1) الاستيعاب (4 / 81)، الإصابة (4 / 77)، طبقات علماء افريقية وتونس (ص76ـ 77)، معالم الإيمان (1/ 113 ـ 116)، رياض النفوس (1/ 84).

(2) الإصابة (1/ 152)، الاستيعاب (1 / 161ـ 170)، طبقات علماء افريقية وتونس (ص76)، معالم الإيمان (1/ 153 ـ 156)، رياض النفوس (1 / 85).

(3) الاستيعاب (3 / 421 ـ 422)، الإصابة (3 / 400 ـ 401)، معالم الإيمان (1 / 116 ـ 117)، رياض النفوس (1 / 86).

(4) الاستيعاب (1 / 547)، الإصابة (1 / 538 ـ 539)، طبقات علماء افريقية وتونس (ص75)، معالم الإيمان (1 / 148 ـ 149)، رياض النفوس (1 / 86 ـ 87).

29 ـ **أبو أيمن سفيان بن وهب الخولاني** رضي الله عنه: صحب رسول الله ﷺ، وقال أبو العلاء: إنه كان تحت راحلة رسول الله ﷺ في حجّة الوداع، شهد سفيان فتح مصر، وبقي بها حتى ولِيَ إمارة إفريقية لعبد العزيز بن مروان سنة ثمان وسبعين، وذكر ابن سحنون في تاريخه أنه غزا إفريقية سنة ستين، وكانت وفاته سنة اثنتين وثمانين[1].

30 ـ **جبلة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري الساعدي** رضي الله عنه: كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم، شهد فتح مصر، وغزا إفريقية مع معاوية بن حديج، وشهد صفين مع علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، روى ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن بُكَيْر بن الأشَجّ قال: سألت سليمان بن يسار عن النفل في الغزو؛ فقال: نفلنا معاوية بن حديج بإفريقية؛ فأبى جبلة صاحب رسول الله ﷺ أن يأخذ من ذلك شيئا[2].

31 ـ **أبو نعيم معاوية بن حُدَيْج السَّكُوني الكِنْدي** رضي الله عنه: ذُكر في جملة أصحاب رسول الله ﷺ، شهد فتح مصر، ودخل إفريقية غازيًا، وكانت له بها مقامات جليلة ومشاهد مشهورة شريفة، وكان قد اختط مدينة عند القرن قبل تأسيس عقبة للقيروان، وأقام بها، وحفر آبارًا عند باب تونس، وكانت وفاته سنة اثنتين وخمسين[3].

32 ـ **أبو شداد زهير بن قيس البلوي** رضي الله عنه: ذكره ابن يونس وأنه معدود في جملة أصحاب رسول الله ﷺ، وأنه روى مع صحبته عن بعض التابعين ولم يذكر عنه حديثا،

---

(1) الاستيعاب (1/ 66)، الإصابة (1/ 56)، معالم الإيمان (1/ 150- 151)، رياض النفوس(1/ 89 ـ 91).

(2) الاستيعاب (1/ 241)، الإصابة (1/ 225)، معالم الإيمان (1/ 140)، رياض النفوس (1/ 91_92).

(3) الاستيعاب (3/ 389 ـ 390)، الإصابة (3/ 411)، وهو عندها معاوية بن خُديج، طبقات علماء إفريقية وتونس (ص76)، معالم الإيمان (1/ 142 ـ 145)، رياض النفوس (1/ 92 ـ 93).

غزا زهير إفريقية ووليها، ورجع إلى مصر كراهة في الإمارة بعد أن سار بسيرة أهل العدل(1).

33 ـ **أبيض بن حمال السُّبائي المارِبي** رضي الله عنه: ذكره ابن يونس والبخاري في جملة الصحابة، وروى عن الرسول ﷺ أحاديث، قال أبو سعيد بن يونس بن عبد الأعلى: دخل أبيض هذا إفريقية، وهو معدود منها ومن أهل مصر(2).

34 ـ **قيس بن يسار بن مسلم الكناني** رضي الله عنه: قال أبو سعيد وغيره: يقال إنه صحب رسول الله ﷺ، وقاتل معه، وقاتل أيام الردّة، ودخل إفريقية غازيًا مع عقبة بن نافع، وقيل إنه دخلها قبل ذلك سنة سبع وعشرين مع عبد الله بن سعد، وهو جد أبي محرز القاضي(3).

35 ـ **أبو اليقظان** رضي الله عنه: ذكره أبو سعيد في جملة الصحابة، دخل إفريقية، وغزا منها صقلية ثم سكن مصر، وقال: إنه دخل إفريقية مع معاوية بن حديج(4).

36 ـ **عقبة بن نافع** رضي الله عنه: هو عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية ابن الظرب بن أمية بن الحارث بن فهر القرشي، ولد على عهد الرسول ﷺ، قال ابن يونس: يقال له صحبة ولا يصح، ذكر أبو سعيد وغيره أنه معدود من جملة الصحابة

---

(1) الإصابة (1/ 537)، رياض النفوس (1/ 93 ـ 94).

(2) الاستيعاب (1/ 116 - 117)، الإصابة (1/ 29)، معالم الإيمان (1/ 151 - 152)، رياض النفوس(1/ 95).

(3) رياض النفوس (1/ 96).

(4) الاستيعاب (4/ 216)، الإصابة (4 / 217)، معالم الإيمان (1/ 152 - 153)، رياض النفوس(1/ 96 ـ 97).

الذين دخلوا إفريقية، ولي الإمـارة على إفريقية وبلد المغرب لمعاوية ولولده يزيد، وهـو الذي اختط مدينة «قيروان إفريقية»، وبنى دار الإمـارة التي في قبليِّ الجامع(1).

37 ـ **أبو اليُسر كعب بن عمرو الأنـصاري** رضي الله عنه : شهد العقبة وبدرا وهو ابن عشرين سنة، وهو الذي أسر العباس بن عبد المطلب يوم بدر، وهو الذي انتزع رايـة المشركين في ذات الغزوة، وشهد صفين مع علي بـن أبي طالـب كـرّم الله وجهـه، وتـوفي بالمدينـة المنورة سنة خمس وخمسين(2).

38 ـ **أبو مسلم سلمة بن عمرو بـن الأكـوع الأسلمي** رضي الله عنه : شـهد بيعـة الرضـوان، وبايع الرسول ﷺ مرتين، وغزا معه سبع غزوات، ومع أبي بكر زيـد بـن حارثـة تـسع غزوات، قال يونس وغيره: غزا إفريقية مـع ابـن أبي سرح، روى عـن أبي بكـر وعمـر وعثمـان رضي الله عنهم، ورُوي له عن الرسـول ﷺ سـبعًا وسـبعين حـديثا، وكانـت وفاته بالمدينة المنورة سنة أربع وسبعين(3).

39 ـ **عبد الرحمن بن صبيحة بن الحارث الليثي التيمي** رضي الله عنه : قـال الواقـدي: ولـد على عهد النبي ﷺ ، وروى عن أبي بكر الصديق وعمر، وغزا إفريقية مع عبـد الله ابـن أبي سرح(4).

---

(1) الإصـابة (3/ 80ــ 81)، الاسـتيعاب (3/ 108 ـ 109)، معـالم الإيمـان (1/ 158 ـ 160)، البيـان المغرب (1/ 19)، رياض النفوس (1/ 97).

(2) الإصابة (4/ 217)، الاستيعاب (4 / 315ـ 316)، معالم الإيمـان(1/ 98).

(3) الاستيعاب (2/ 85 ـ87)، الإصـابة (2 / 65)، معـالم الإيمـان (1/ 110 ـ 112)، طبقـات علمـاء إفريقية وتونس (ص74).

(4) الإصـابة (3/ 71)، طبقـات علمـاء إفريقيـة وتـونس (ص77)، الاسـتيعاب (2/ 419)، معـالم الإيمـان(1/ 162).

40 ـ **أبو عبد الله عمرو بن عوف المزني** رضي الله عنه: وهو أبو عبد الله عمرو بن عوف بن ملحة وقيل مليحة المزني، قديم الإسلام صحب النبي ﷺ فترة واستعمله الرسول على المدينة أول غزواته الأبواء وقيل الخندق، دخل إفريقية غازيا، وروى عن النبي ﷺ، وكانت وفات بالمدينة آخر خلافة معاوية[1].

41 ـ **أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي الشاعر** رضي الله عنه: كان مسلما على عهد الرسول ﷺ، ولم يره، قال ابن عبد البر: غزا أبو ذؤيب مع عبد الله بن الزبير أفريقية فاستشهد بها، وقيل إنه مات في طريق عودته منها بمصر، وقيل توفي بطريق مكة، وقيل مات غازيا بأرض الروم[2].

42 ـ **كريب بن أبرهة بن الصباح** رضي الله عنه: هو أبو رشدين كريب بن أبرهة بن الصبح ابن مرثد بن مكنف الأصبحي يقال له صحبة وذكره البغوي ضمن صحابة رسول الله ﷺ، وكانت وفاته سنة خمس وسبعين، وقال ابن عبد البر في صحبته نظر[3].

43 ـ **الأكدر بن حمام اللخمي** رضي الله عنه: هو الأكدر بن حمام بن عامر بن صعب بن كثير بن عكرمة بن هذيل بن سعيد بن رزين بن تميم اللخمي له إدراك، قال سعيد بن عفير شهد فتح مصر هو وأبوه، وكان ذا دين وفضل وفقه في الدين، وجالس الصحابة وروى عنهم، وهو صاحب الفريضة التي تسمى الأكدرية[4].

---

(1) الاستيعاب (2/ 509 ـ 510)، الإصابة (3 / 9)، طبقات علماء إفريقية وتونس (ص77).
(2) الإصابة (4 / 66 ـ 67)، الاستيعاب (4 / 65 ـ 68)، معالم الإيمان (1/ 163 ـ 166).
(3) الإصابة (3 / 295 ـ 296)، الاستيعاب (3 / 304).
(4) الإصابة (1 / 120).

44 ـ **خالد بن ثابت القرشي** رضي الله عنه: هو خالد بن ثابت بن طاعن بن الجلان بن عبدالله بن صبيح الفهمي، ذكر ابن يونس أنه شهد فتح مصر وقال خليفة بن خياط أغزاه مسلمة بن مخلد إفريقية سنة أربع وخمسين[1].

45 ـ **عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث الزهري** رضي الله عنه: ولد على عهد الرسول ﷺ، ويُعدّ في الصحابة، وروى عن الرسول ﷺ، وعن أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما، وكان رجلا صالحا فاضلا، غزا إفريقية مع عبد الله بن سعد[2].

46 ـ **أبو منصور الفارسي والد يزيد بن أبي منصور** رضي الله عنه: ذكر ابن عبد البر أن له صحبة، ويعد في أهل مصر، كان فقيها قارئا للقرآن متفننا في العلم يروي عن جلة من الصحابة، قدم إفريقية وسكن القيروان إلى أن مات بها[3].

---

(1) الإصابة (1 / 401 ـ 402).

(2) الاستيعاب (2 / 419)، الاستيعاب (2/ 382 ـ 383)، معالم الإيمان (1 / 156).

(3) الاستيعاب (4 / 181)، الإصابة (4 / 186)، طبقات علماء إفريقية والمغرب (ص83)، معالم الإيمان (1 / 41 ـ 42).

خاتمة

مما سبق يتبين لنا الدور الكبير الذي قام به الصحابة في سبيل نشر الدين الإسلامي ببلاد المغرب الإسلامي، ويدل على ذلك العدد الكبير من الصحابة الذين دخلوا بلاد المغرب الإسلامي فاتحين، وبالتالي ناشرين للدين الإسلامي الذي أخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، وقبل ذلك الاهتمام الذي أولاه خلفاء الدولة الإسلامية سواء الراشدين منهم أو الأمويين الذين لم يبخلوا بالمال والرجال على قادة الفتح من أجل تمكينهم من القيام بمهمتهم.

لقد قام هؤلاء الصحابة بدورهم على أكمل وجه إذ أوصلوا مبادئ الدين الحنيف إلى أهل بلاد المغرب الإسلامي، كما عملوا على تعليمهم اللغة العربية مبادئ الدين الجديد ببناء المساجد والتعليم فيها، وبذلك مكنوهم من الإسهام بدورهم في نشر هذا الدين بين إخوانهم، فضلا على نشره في بقية المناطق المجاورة، وبخاصة منها بلاد الأندلس وبلاد السودان في مرحلة لاحقة.

فهرس المصادر والمراجع

كتب الحديث:

- البخاري الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل - صحيح البخاري. المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - 1424هـ/2003م.
- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري - صحيح مسلم. مكتبة الإيمان - القاهرة د. ت.

المصادر:

- ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن محمد - الكامل في التاريخ. اعتنى به أبو صهيب الكرمي - بيت الأفكار الدولية - عمان - د. ت.
- ابن أبي دينار الرعيني القيرواني محمد بن أبي القاسم - المؤنس في أخبار إفريقية وتونس. دار المسيرة - بيروت - مؤسسة سعيدان - تونس - ط3 /1993م.
- البكري أبو عبيد - المسالك والممالك. تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري - الدار العربية للكتاب - بيت الحكمة - قرطاج/1992م.
- ابن خلدون عبد الرحمن - العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. بيت الأفكار الدولية - عمان - د.ت.
- ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي - الإصابة في تمييز الصحابة. دار الكتاب العربي - بيروت - د. ت.
- خليفة بن خياط - تاريخ خليفة بن خياط. تحقيق مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز - دار الكتب العلمية - بيروت، ط1 - 1415م/1995م.
- الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري - معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان. تحقيق عبد المجيد خيالي. دار الكتب العلمية - بيروت - ط1 - 1426هـ/2005م.

- الرقيق القيرواني - تاريخ إفريقية والمغرب. تحقيق عبد الله العلي الزيدان وعز الدين عمر موسى. دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط1/1990م.
- صالح بن عبد الحليم - كتاب الأنساب ضمن ثلاثة نصوص عربية عن البربر. دراسة وتحقيق محمد يعلى. المجلس الأعلى للأبحاث العلمية - الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي - مدريد - 1996م.
- أبو علي صالح المصمودي - القبلة في الأندلس والمغرب الأقصى. تحقيق مونيكا ريوس - كلية الآداب - جامعة برشلونة - معهد مياس فاليكروزة للتراث العلمي العربي - برشلونة - 2000م.
- أبو علي صالح بن عبد الحليم الإيلاني - مفاخر البربر. دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية - دار أبي رقراق للطباعة والنشر - ط2 /2008م.
- الطبري محمد بن جرير - تاريخ الرسل والملوك - تقديم ومراجعة صدقي جميل العطار - دار الفكر - بيروت - ط1 /1418هـ-1998م.
- ابن عبد الحكم عبد الرحمن - فتوح مصر وأخبارها - . تحقيق وتقديم محمد الحجيري، دار الفكر - بيروت - ط1 /1416هـ-1996م .
- البلاذري أبو الحسن - فتوح البلدان - منشورات مكتبة الهلال - بيروت ط1/1403هـ -1983م
- ابن عبد البر النمري أبو عمر - الاستيعاب في أسماء الأصحاب. دار الكتاب العربي - بيروت - د. ت.
- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تحقيق ومراجعة ج.س.كولان - إ.ليفي بروفنسال - دار الكتب العلمية - بيروت - ط1/2009م.
- أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني - طبقات علماء إفريقية وتونس. تقديم وتحقيق علي الشابّي ونعيم حسن اليافي - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - الدار التونسية للنشر - تونس ط2 /1985م.

- ابن العماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي - شذرات الذهب في أخبار من ذهب. دار الكتب العلمية - بيروت ط1 /1399هـ - 1979م.
- ابن الكردبوس التوزري أبو مروان عبد الملك - الاكتفاء في أخبار الخلفاء. دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية - دار الكتب العلمية - بيروت 1430هـ/2009م.
- المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد - كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية. تحقيق بشير البكوش ومراجعة محمد العروسي المطوي - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط2 /1414هـ-1994م.
- الناصري السلاوي أحمد بن خالد - الاستقصا أخبار دول المغرب الأقصى. تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري - دار الكتاب - الدار البيضاء - 1418هـ/1997م.
- النويري أحمد بن عبد الوهاب - تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب. تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد - دار النشر المغربية - الدار البيضاء - 1984م.
- ياقوت الحموي - معجم البلدان. دار بيروت - دار صادر - بيروت 1404هـ/1984م.

المحور الثاني

الصحابة في الأدب المغربي الأندلسي

صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم
في الشعر الأندلسي

د. محمد المعلمي

ملخص البحث

تنهض هذه الدراسة على المحاور الآتية:

☒ إضاءة: تتضمن الإشارة إلى كون اهتمام شعراء الأندلس بالصحابة الكرام، هو من صميم تشبثهم بالإسلام، وتعلقهم بأسسه ومقوماته ورموزه؛ الأمر الذي تبدّى في الباقات الشعرية التي تضوعت بأريج: القرآن الكريم، وقصصه، وصوره...، ومدائح الرسول ﷺ، ومدح آل بيته الأطهار، والمناسبات والأعياد الدينية (رمضان، ليلة القدر، الإسراء والمعراج، عيد الفطر، عيد الأضحى، الهجرة النبوية...)، والتبرك بالبقاع الطاهرة والتشوق إلى زيارتها، من خلال شعيرة الحج، والاحتفاء بأماكن ذات مغزى إسلامي: مكة ـ طيبة ـ أُحد ـ رضوى ـ وادي العقيق ـ صبا نجد...

☒ إطلالة على صحابة الرسول ﷺ في الشعر الأندلسي، وكان المعتمد في هذا الصدد، عينات شعرية همت فئات الصحابة الكرام الآتية: الخلفاء الراشدون، والصحابة المبشرون بالجنة، والصحابة المجاهدون، والصحابة الشهداء، والصحابة الشعراء.

☒ سياق ورود أسماء الصحابة ودلالاته، وتم التطرق فيه للسياقات الآتية:

سياق المدائح النبوية والمولديات،وسياق الشوق إلى البقاع المقدسة (الحج)، وسياق مدح بعض الحكام والأمراء المنتسبين إلى الصحابي الممدوح.

☒ صيغ ورود أسماء الصحابة، حيث تم تتبع مختلف الصيغ التي حفلت بها نصوص الشعر المعتمدة.

☒ كيفية توظيف أسماء الصحابة، حيث تم الوقوف على تنوع توظيف أسماء الصحابة، تبعا لمقصد الحالة الشعرية.

☒ موقع ذكر الصحابة في النصوص الشعرية، وتم فيه الكشف عن الموقع الذي ذكر فيه الصحابي داخل كل نص، وإبراز دلالته.

☒ منطلقات النظر إلى الصحابة، فنظرا لتأثر كل حالة شعرية بالظرفية الزمانية والمكانية، تم رصد مختلف المنطلقات التي صدر عنها الشعراء.

☒ سمات فنية: تميز الشعر الأندلسي المحتفي بالصحابة بسمات فنية عديدة، تجلت في معجمه اللغوي، وأساليبه البلاغية، وصوره الفنية، وقد رصدت الدراسة بعضا منها، على سبيل المثال لا الحصر.

☒ خاتمة: خلصت فيها الدراسة إلى ثلاثة أمور:

- **أولها**: إن توظيف الشعر الأندلسي لأسماء الصحابة، كان باعتبارهم المثال الإسلامي في القول والفعل.
- **ثانيها**: إن الاحتفاء بأسماء الصحابة، حمل في طياته تخليدا لمواقفهم وبطولاتهم التي هي من كنوز تاريخ الإسلام وحضارته.
- **ثالثها**: إن استلهام أسماء الصحابة ومواقفهم في مضمار الشعر، يبقى دعوة دائمة لكل الشعراء المسلمين للمتح من معين التاريخ الإسلامي المليء بنماذج بطولية سامية، عوض الانبهار بنماذج من خارج نطاق الهوية الدينية والحضارية والتاريخية..

الباحث في سطور

الدكتور محمد المعلمي d.lamaalmi@gmail.com

- من مواليد سنة 1954م بشمال المغرب.
- دكتوراه الدولة في الأدب العربي من كلية الآداب بجامعة عبد المالك السعدي تطوان2006م.
- عضو في أسرة تحرير صحيفة (القبس الشمالي).
- نشر مقالات فكرية وأدبية، ودراسات تربوية في مجلات ودوريات وصحف مغربية وعربية.

صدرت له من الكتب:

- محمد بن عبد الكريم الخطابي في رحاب الشعر.
- المرشد إلى ما في القرآن الكريم من ثنائيات مثلى في أسماء الله الحسنى وصفاته العلى.
- طه حسين في المغرب، صفحة في سفر التواصل المصري المغربي.

وله تحت الطبع كتاب «مدينة سبتة في الشعر المغربي قديما وحديثا».

إضــاءة

يمثل اهتمـام الشعر الأندلسي بصحابة الرسول ﷺ جانبا مـن تـشبع ذويـه بالثقافـة العربية الإسلامية، وتعلقهم بأسـسها، ومقومــاتها، ورموزهـا. آيـة ذلـك أن المـصادر الأدبية الأندلسية حافلة بنـصوص شـعرية متـضوعة باقتباسـات وتـضمينات قرآنيـة، وزاخرة بصور وقصص مستمدة من الكتاب العزيز الـذي كـان مـصدرا خـصبا ألهـم الشعراء لفظا وتصويرا، فاستمدوا منه عناصر تكوين وجدانهم؛ واقتطفوا من شـجرته الطيبة موضوعات وصورا أدبية؛ الأمر الذي تجلى في العديد من قصائدهم التي احتفوا فيها بمناسبات وأعياد دينية كليلة القدر، والإسراء والمعراج، وشهر رمـضان، وعيـدي الفطر والأضحى.

هذا، فضلا عن الهجرة النبوية، وغزوات الرسول وفتوحاته، التـي وجـدها الـشعراء مناسبة لإبراز عمق تعلقهم بنبيهم وحبهم له. فقد كـان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإسـوة الحـسنة والرجـاء المنـشود، لهجـت القـرائح بمدحـه، ورددت سـيرته العطـرة تعبـدا وتـشفعا وتبركا...

وهناك مطولات أوقفها أصحابها على مدح خير الورى وأهل بيته الأطهار، وإعـلان الشوق العارم لزيارة البقاع الطاهرة لأداء فريـضة الحـج والتـبرك بزيـارة مثـوى سـيد الأنام؛ هذا علاوة على مطولات أخرى جادت بها القرائح لما شـاع الاحتفـال بالمولـد النبوي. وهي كلها نابضة بمـشاعر فياضـة تعكـس عميـق إيمـــان مبـدعيها بـدينهم، وحبهم للرسول وآله وصحبه.

❀ إطلالة على صحابة الرسول في الشعر الأندلسي

نظرا لما حفل به الشعر الأندلسي من قصائد ومقطعات وأراجيز ومخمسات في صحابة الرسول ﷺ، ونظرا لتعدد طبقاتهم، فإن التناول المنهجي لهذه النصوص اقتضى، بحكم متطلبات المقام، انتقاء عينة دالة منها بغية تخصيص حيز مناسب لكل طبقة، دون أن يعني ذلك الإحاطة الشاملة بهذا الموضوع الدقيق الذي يستحق دراسات أشمل وأدق، ونفسا أعمق. ولعل هذه الندوة المباركة تقدح زند البحث في هذا المجال الحيوي لدى الباحثين الشباب ليعكفوا على استخراج النصوص من مختلف المصادر وتصنيفها ودراستها دراسات مستفيضة، تميط النقاب عما ثوى في ثناياها من قيم إيمانية سامية، ما أحوج مجتمعاتنا الإسلامية إليها اليوم، وهي تخوض غمار التنمية البشرية التي لا أفق لها بدون إنسان ذي شخصية مؤسسة على قيم الإيمان والتقوى، ومعتزة بانتمائها الحضاري.

وعليه؛ فإنه من خلال تأمل الباقات الشعرية التي ازدانت بذكر الصحابة الكرام، يتضح أنه بالإمكان تقسيمهم حسب قربهم من الرسول الكريم، رغم تعذر ذلك أحيانا، إلى خمس طبقات هي:

1) **طبقة الخلفاء الراشدين:**

نال الخلفاء الراشدون اهتماما ملحوظا في الشعر الأندلسي باعتبارهم صفوة صحابة الرسول ﷺ. وقد انصرف هذا الاهتمام أحيانا، نحو خليفة بعينه، وانصرف أحيانا أخرى، صوب الخلفاء الأربعة جميعا في آن واحد.

ومن الشعر الذي سلك أصحابه الخلفاء الراشدين في عقد واحد، نذكر أرجوزة **أبي طالب عبد الجبار** التي أثبتها ابن بسام في ذخيرته على طولها، ويهمنا فيها المقطع المتعلق

بمـا نحن بصدده، حيث بدأ بالخليفـة **أبي بكـر الـصديق** صـاحب الرسـول في الغـار، وقاطع دابر الردة بقوله:

ثـــمت خـــص الخلفـــاء الأربعـــه ... فأكمـــل الله بهـــم مـــا صنعـــه
فاســـتخلف الـــصديق ثـــاني اثنـــين ... ذاك أبـــو بكـــر بغـــير مـــين
جـــرد في جهـــاد أهـــل الـــرده ... ولـــم يكـــن يـــرضى بغـــير الـــشده
ثـــم توفـــاه الإلـه راضيـــــا ... وكان في ذات الإله مـاضيـــــا(1)

ثم انتقل إلى **عمر الفاروق**، ومـا كان على يديه من فتوح حتى نال الشهادة، تاركا أمـر خلافته شورى بين صحابة الرسول الستة بقوله:

ثـــم تـــولى عمـــر الفـــاروق ... فالتأمـــت مـــن بعـــده الفتـــوق
واســـتعمل البعـــوث والأجنـــادا ... وألـــف الحـــروب والجهـــادا
حـــتى أتتـــه محنـــة الـــشهـادة ... فهيـــأ الله لـه الـــسعـاده
فـــصير الـــشورى إلى أصـــحابه ... ســـتتهم وهـــو يـــشكو مـــا بـــه(2)

وأردفه بذي النورين **عثمـان**، ومـا كان من ورعه وتقواه، إلى حين محاصرته واغتيالـه بقوله:

فـــآثروا عثمـــان بالخلافـــه ... وكان لـــلإله ذا مخافـــه
فمهـــد الأمـــة ذو النـــورين ... حـــتى ســـقاه الله كـــأس الحـــين
إذ حـــصروه في حـــريم الدار ... مستـسلمـا مـن غـير مـا أنـصار

---

(1) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (2 / 929).
(2) نفسه (2 / 929).

طوبى له من أشمط قتيل يقوم طول الليل بالتنزيل
بؤسا لقوم قتلوا عثمانا إذ نقموا استخلاصه مروانا[1]

وأتبعه بأبي السبطين علي الموسوم بالعلم والشجاعة والزهد، مشيرا إلى ما رافق توليه الخلافة من أحداث وتقلبات واضطرابات، إلى أن امتدت إليه يد ابن ملجم الآثمة لتغتاله في أطهر بقعة، وأقدس لحظة. كل ذلك نلفيه في هذه الأبيات:

ثم تولاها أبو السبطين ذاك أبو الحسن والحسين
علي ذو العلوم والشجاعه والزهد في الدنيا وذو البراعه
فسار طلحة مع الزبير إلى العراق في أحث سير
وخرجت عائشة للصلح فانصرفت والحرب ذات كلح
فشبت الحروب يوم الجمل حتى أصيب طلحة في المقتل
وقتل الزبير قبل الملحمه منصرفا عنها حليف مندمه
وثارت الحروب بالخوارج أصلاهم بالنار ذو المعارج
ثم مضى علي إلى معاويه فاضطرب الأمر بعمرو الداهيه
فاجتمعوا للحرب في صفينا فأيتموا البنات والبنينا
ودام في حروبه علي حتى دهاه حادث وبي
حين أصابته يدا ابن ملجم فخضب المفرق منه بالدم
تبا له من خارجي فاسق خالف في التنزيل أمر الخالق
فاغتاله وهو ينادي سحرا: قوموا إلى الصلاة يدعو منذرا[2]

---

(1) الذخيرة (2 / 929).
(2) نفسه (2 / 930).

ولابن جابر قصيدة مطولة في فضائل الصحابة العشرة وأهل البيت، أفاض في الأبيات الخاصة بأبي بكر الصديق في سرد خصاله وسجاياه المتمثلة في صدقه، وجوده، وإيثاره، ووفائه، بقوله:

فمنهم أبو بكر خليفته الذي ... له الفضل والتقديم في كل مشهد
وصديق هادي الخلق والمؤثر الذي ... لإنفاقه للمال في الله قد هدي
وصهر رسول الله، وابنته التي ... يبرئها نص الكتاب المجد
وصاحبه في الغار إذ قال لا تخف ... فثالثنا ذو العرش أوثق منجد
وسد على المختار مخرج حية ... هناك برجل منه فازت بأسعد
وفيه وفي خير الأنام تسامعوا ... بمكة صوت الهاتف المتقصد
جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتي أم معبد
وعتق بلال حسبه، فهو سيد ... تأثل في الإسلام، إعتاق سيد
وقال رسول الله إن أمنكم ... علي أبو بكر وأوفى بموعد
فصدق إذ كذبتم، وأطاع إذ ... عصيتم، ووافاني موافاة مسعد
ولو أنني من أمتي كنت آخذا ... خليلا تولى خلتي وتوددي
لكان أبو بكر، ولكن أخوة ... في الإسلام مهما تنقص الناس تزدد
فلما أراد الله قبض نبيه ... وصار إلى دار النعيم المخلد
تقدم في نيل الخلافة بعده ... بإجماعهم لا بالحسام المهند
وقد فارقت يوم السقيفة فرقة ... فلما رأته الحق لم تتردد
وقام علي بعد ذاك مبايعا ... فأثنى ثناء المخلص المتودد
وأظهر عذرا في تأنيه صادقا ... وبايع طوعا لا لفقدان مسند

فــآب بحمــد مــنهم غــير قــاصر ومن يتبع الإنـصاف والحـق يحمـد
ومـا أشـبه الـصديق في الفـضل مـشبه ولا أحــصيت أوصــافه بتعــدد[1]

وفي الأبيات التي خص بها **عمر بن الخطاب**، نجده يركز على التزام عمر نهج الحق الذي لم تكن تأخذه فيه لومة لائم مهما كانت الظروف والحيثيات، حتى سمي بالفاروق؛ وما كان لدخوله في دين الله من عزة للإسلام والمسلمين ودحر للشرك والمشركين، وإلى ذلك أشار بقوله:

هـو المـرء لـم يـترك له الحـق صـاحبا ولا قعـد الـشيطان منـه بـمقعـد
ولا سـلك الـشيطان فجـا قـد اغتـدى له سـالكا مـن خوفـه المتزيـد
ومـن ظلـه قـد كان ينفـر هيبـة له حيثمـا أضـحى يـروح ويغتـدي
وقـد جـاء عـنهم: مـا برحنـا أعـزة بإسلامه فانكف مـن كان يعتـدي
ومـن قـولهم: إسـلامه كان غـرة وهجرتـه فتحـا شـجا كل ملحـد
وإمرتـه كانـت على النـاس رحمـة فـآبوا إلى فـتح وعـز مـمهـد
ومـن فـضله رعي النـبي بغيـرة له فـانثنى عـن قـصره المتـشيـد
وقـد قيـل للفـاروق: هـذا، ومـن بـه فأنبـأه عـن ذا النعـيم المؤبـد
فأقبـل يـبكي قـائلا كيـف غـيرتي عليك، ولولا أنت مـا كنت أهتـدي
ورؤيـا رسـول الله للقـدح الذي تنـاول مـن در بـه غايـة الـصدي
ونـاوله الفـاروق مـن بعـد مـا ارتـووا إلى أن غدا مـن ظفـره الـري يبتـدي
فـأوله العلـم الذي منـه نالـه وأول رؤيـا الدلـو حـسن التأيـد
فـصارت له غربـا فـأروى بهـا الـورى فـكان افتتـاح الأرض فـتح مـمهـد

---

(1) نفح الطيب للمقري (7 / 359 ـ 360).

ورؤيـــاه أيـــضا في قمـــيص يجـــره | وللناس قمص بعـضها يبلـغ الشـدي
فـــأول خـــير الخلـــق طـــول قميـــصه | بـمـا حـاز في إيـمـانه مـن تأيـــد
وتفريقـــه مـــا بـــين حـــق وباطـــل | بيـوم سـقى الكفـار أفظـع مـــورد
وســـمي بالفـــاروق مـــن أجـــل هـــذه | ومـــا زال في نـص الهـدى ذا تجلـــد
وحـــسبك أن الله وافـــق رأيـــه | لدى يوم بـدر إذ رأى قتـل مـن فـدي
كـــذا في أذان والحجـــاب وجعلهـــم | مـصلى مقامـا للخليـل بـمـسجـــد
شـــديد على أهـــل الهـــوى رحمـــة لمـــن | عـن الحـق لـم يجـنح ولـم يتحيـــد
ومـمـــا رووا إن كان في أمـــة فـــتى | يحـدث فالفـاروق مـن ذاك فاعـــدد
ومـــا أبغـــض الفـــاروق إلا مفـــارق | لدين الهدى ذو مذهب لـم يـسـدد[1]

وخص **عثمـان بن عفان** بأبيات نوه فيها بصبره وحلمه وحيائه وتقواه، وجمعه القرآن الكريم، وتجهيزه جيش العسرة، وشرائه بئر رومة استجابة لنداء حبيبه المصطفى، ونيله وسام ذي النورين، وارتقائه نحو مولاه شهيدا، فقال:

وحـــسبي عثمـــان بـــن عفـــان أنـــه | عليه اعتمـادي وهو سؤلي ومقصدي
إمـــام صـــبور لـــلأذى وهـــو قـــادر | حلـيم عـن الجـاني جميـل التعـــود
هـــو الجـــامع القـــرآن والقانـــت الذي | إذا جـن ليـل لـيس يـأوي لمرقـــد
ويقطـــع بالـــصوم النهـــار وينثـــني | مـدى ليلـه في خـشية وتهجـــد
وقـــال رســـول الله في بـــئر رومـــة | أما مشتر يـبغي بهـا الأجـر في غـــد
له الجنـــة العليـــا بـــذلك فاشـــترى | وتجهيز جيش العـسرة اذكـر وعـــدد
فقـــال رســـول الله إذ جـــاءه بـمـــا | قد احتاج من مـــال وظهـر وأعبـــد

(1) نفح الطيب (7 / 360 ـ 362).

هنيئا لعثمان بن عفان فعله ... وما ضره ما بعد مع هذه اليد
وقول ألا أبدي حياء لمن له ... قد استحيت الأملاك أشرف محتد
وبلغ بشرى الهاشمي بأنه ... من الجنة العليا بأكرم مقعد
ولكن على بلوى، وقال سأرتضي ... وأصبر صبر الطائع المتجلد
فأظهر يوم الدار صبر أولي النهى ... ولو شاء لم تظفر به يد معتد
ولم يرض، صونا للدماء، بحربهم ... وكان متى يستنجد القوم ينجد
فمات شهيدا صابرا فهو خير من ... على نفسه في غير حق قد اعتدي
على بنتي المختار أرخى ستوره ... فناهيك من مجد وعز مجدد
ولم يدع ذا النورين إلا لأنه ... حوى بيته نورين من نور أحمد
وإن لعثمان بن عفان رتبة ... من المجد تسمو عن سماك وفرقد[1]

ونفح **عليا** كرم الله وجهه بأبيات ضمنها حظوته لدى سيد الخلق، فهو صاحبه السامي وصهره المجتبى وابن عمه وأبو الحسنين. هذا فضلا عن تحليه بخصال قلما تجتمع في رجل واحد؛ فهو أول صبي سابق إلى الإسلام، وهو سيف الرسول والفارس المقدام، وباب مدينة علم سيد الأنام. كان صواما، قواما، منيبا لربه، كثير التعبد، معرضا عن المال، قنوعا من الدنيا التي طلقها ثلاثا.

وهو ما نجده يشع من ثنايا هذه الأبيات عبر ترديد مفردات ذات مغزى بعيد في الثقافة الإسلامية كالعلم، والزهد، والتقوى، والحق. ولا ريب، فإنها أعمق مغزى عندما تكون رديفة للإمام علي رضي الله عنه:

---

(1) نفح الطيب (7 / 362 ـ 363).

وإن عليا كان سيف رسوله ... وصاحبه السامي لمجد مشيد
وصهر النبي المجتبى وابن عمه ... أبو الحسنين المحتوي كل سؤدد
وزوجه رب السما من سمائه ... وناهيك تزويجا من العرش قد بدي
بخير نساء الجنة الغر سؤددا ... وحسبك هذا سؤددا لمسود
فباتا وحلي الزهد خير حلاهما ... وقد آثرا بالزاد من جاء يجتدي
فآثرت الجنات من حلل ومن ... حلي لها رعيا لذاك التزهد
وما ضر من قد بات والصوف لبسه ... وفي السندس الغالي غدا سوف يغتدي
وقال رسول الله إني مدينة ... من العلم وهو الباب، والباب فاقصد
ومن كنت مولاه علي وليه ... ومولاك فاصدق حب مولاك ترشد
وإنك مني خاليا من نبوة ... كهرون من موسى وحسبك فاحمد
وقال غدا أعط اللواء محببا ... إلي وللرحمن بالنصر مرتدي
فباتوا وكل يشتهي أن ينالها ... إلى أن بدا وجه الصباح المجود
فنادى عليا ثم أبرأ عينه ... بنفث كأن لم يمس قبل بأرمد
فأعطاه إياها وقال له ادعهم ... ومهما أبوا فانهد إليهم تؤيد
فجدل منهم من جنى عندما دعا ... إلى الحرب دعوى الفاتك المتمرد
وقاتل طول اليوم والباب ترسه ... يجر به للقوم في كل مرصد
فأعجزهن الباب من بعد عشرة ... فما الظن في هذا القوي المؤيد
وكان من الصبيان أول سابق ... إلى الدين لم يسبق بطائع مرشد
وجاء رسول الله مرتضيا له ... وكان عن الزهراء بالمتشرد
فمسح عنه الترب إذ مس جلده ... وقد قام منه آلفا للتفرد

وقال له قول التلطف ((قم أبا تراب)) كلام المخلص المتودد
وفي ابنيه قال المصطفى ذان سيدا شبابكم في دار عز وسؤدد
وأرسله عنه الرسول مبلغا وخص بهذا الأمر تخصيص مفرد
وقال هل التبليغ عني ينبغي لمن ليس من بيتي فبالقوم فاقتد
وقد قال عبد الله للسائل الذي أتى سائلا عنهم سؤال منددد
وأما علي فالتفت أين بيته وبيت رسول الله فاعرفه واشهد
بأمرين من حر وبرد فلم يجد أذى بردها أو حرها المتوقد
وما زال صواما منيبا لربه على الحق قواما كثير التعبد
قنوعا من الدنيا بما نال، معرضا عن المال، مهما جاءه المال يزهد
لقد طلق الدنيا ثلاثا، وكلما رآها وقد جاءت يقول لها ابعدي
وأقربهم للحق فيها وكلهم أولو الحق لكن كان أقرب مهتد[1]

2) طبقة الصحابة المبشرين بالجنة:

يسترعي الانتباه في النصوص التي وصلت إليها يد البحث، إيلاء أصحابها عناية ملحوظة للصحابة المبشرين بالجنة كالذي نجده مثلا في مخمسة **أبي عبد الله محمد بن حبيش اللخمي** المرسي لقصيدة (معراج المناقب) لابن أبي الخصال التي أتى فيها على ذكر المبشرين بالجنة.

ونظرا لطولها، نكتفي بإيراد المقطع التالي؛ وهو شاهد على الصورة المثلى التي رسمها الشاعر لهؤلاء الصحابة الغر الميامين الذين حازوا الحسنيين في العاجلة والآجلة:

(1) نفح الطيب (7 / 363 ـ 364).

هم عشرة حازوا الكمال ضريبة وحلوا بفردوس قصورا رحيبة
وواحدهم ما زال يلقى كتيبة وكل لفهر أو قصي صليبة
يقارع منهم كل نبع بأصلب(1)

ومن الشعراء الذين اهتموا بهؤلاء الصحابة أيضا، **ابن جابر** الذي أحسن لما سلكهم في عقد نضيد يليق بالمال الذي أكرمهم به رب العرش المجيد الفعال لما يريد، فقال:

أزكى صلاتي على الهادي وعترته وصحبه، وخصوصا منهم عشره
صديقهم عمر الفاروق أحزمهم عثمان ثم علي مهلك الكفره
سعد سعيد عبيد طلحة وأبو عبيدة وابن عوف عاشر العشره(2)

3) طبقة الصحابة المجاهدين:

أولى شعراء الأندلس عناية خاصة للصحابة الذين جاهدوا في الله حق جهاده فأعز الله بهم الإسلام في مختلف المواقع والغزوات، وأكتفي، في هذا المقام، بالإشارة إلى صحابة كانوا مثالا في التضحية والجهاد، هم: أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري الذي شهد مع رسول الله بدرا، وأحدا، والخندق، وسعد بن أبي وقاص الذي دعا له رسول الله بدعوته المأثورة «اللهم سدد رميته، وأجب دعوته»، وخالد بن الوليد الذي كان سيفا من سيوف الله، سله سبحانه على الكفار والمنافقين.

فهذا **ابن عبدون** في رائيته الشهيرة في رثاء بني الأفطس يشير، في معرض ذكر من خسفت بهم الأيام رغم جبروتهم، إلى هزم قائد جند المسلمين سعد بن أبي وقاص لرستم قائد الفرس في موقعة القادسية بقوله:

---

(1) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض للمقري (5 / 225).
(2) نفح الطيب (7 / 326).

ولم ترد مواضي رستم وقنا ❊❊❊ ذي حاجب عنه سعدا في ابنة الغير[1].

وهذا **أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني** يستحضر وقيعة خالد بن الوليد في مرتدي اليمامة في ثنايا مدحه للمعتضد بإشبيلة فخاطبه قائلا:

ونصر لمن واليت يردي عدوه ❊❊❊ ردى أهل جو في وقيعة خالد[2]

وهذا **أبو عبد الله ابن حبيش** يسطر في مخمسته بأحرف من نور بطولات أبي طلحة في مقارعة صناديد الكفر في شتى المواقع جنب رسول الله، فقال:

بصحب الهدى أبدى الزمان اختياله ❊ غداة غدوا إجماله وجماله

فلو أومؤوا للأفق نالوا هلاله ❊ ولو نيط فخر بالثريا لناله

أبو طلحة عفوا ولم يتصعب

بسراء أو ضراء أنفق ماله ❊ وفي السر والإعلان واصل آله

وصيحته في الجيش هدت جباله ❊ ولما تناءى البر عن أن يناله

بغير سخاء عن نضيد مركب[3]

4) **طبقة الصحابة الشهداء:**

ورد ذكر عدد من هؤلاء الصحابة الذين جادوا، رضوان الله عليهم، بأرواحهم في سبيل دين الله. منهم سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب، ومصعب بن عمير.

---

(1) قلائد العقيان لابن خاقان(ص103).

(2) الذخيرة (3 / 87).

(3) أزهار الرياض(5 / 239).

فقد أتى ابن عبدون على ذكرهم في سياق الاعتبار بتقلبات الأيام بقوله:

ومزقــت جعفــرا بــالبيض واختلــست من غيلـه حمـزة الظـلام للجــزر...
وأنزلــت مــصعبا مــن رأس شاهقــة كانـت بهـا مهجـة المختـار في وزر[1]

وتبوأ الصحابة الشهداء خبيب بن عدي[2] وعاصـم بـن ثابـت وحـرام بـن ملحـان الأنصاري في مخمسة ابن حبيش مقامـا عليا في قوله:

تحـلى خبيــب للــتقى خــير زينــة ومــاذا تلـقى عاصـم مـن سـكينة
غـــداة حمتـــه الدبـــر أي أمينـــة وفــاز حــرام يــوم بــئر معونـــة
بقطــر دم يــستــن من كل مشــخــب[3]

كمـا نال كل من شهيد بدر حارثة بن سراقة، وشهيد أحد حنظلة الغسيل، ثناء جميلا في مخمسة ابن حبيش لمـا شع ذكرهمـا في قوله:

وحنظلـــة بـــشراه في فـــوز ســـهمه لقد طهرت بالـسفح طـاهر جـسمه
ملائكـــة نعـــم الأســـاة لكلمـــه وحارثـــة قـــال الرســـول لأمــــه
ببدر وقد قالت لعبرتها اسكب[4]

---

(1) قلائد العقيان(ص102، 104).

(2) هذا الصحابي الجليل هو القائل يوم قدم للصلب:

لعمرك ما آسى إذا مت مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي

وقد رثاه شاعر الرسول حسان بن ثابت رثاء مؤثرا فقال:

يا عين جودي بدمع منـك منسكب وابكي خبيبا مـع الغـادين لم يـؤب
صـقرا توسـط في الأنـصار منـصبه حلو الـسجية محـضا غـير مؤتـشب

ديوان حسان بن ثابت(ص225).

(3) أزهار الرياض(5/ 244).

(4) نفسه(5/ 231).

وخص **ابن جابر** في مطولته سيد الشهداء وليث الله (حمزة) بأبيات جمع فيها ما أثر عن هذا الصحابي الأثير لدى رسول الله ﷺ، من خصال الشهامة والبطولة التي ارتقت بروحه الطاهرة إلى سدرة الشهادة يوم أحد، فقال:

ومن مثل ليث الله حمزة في الندى ... مبيد العدا مأوى الغريب المطرد
فكم حز أعناق العداة بسيفه ... وذب عن المختار كل مشدد...
وفي أحد نال الشهادة بعدما ... أذاق سباعا للردى شر مورد
ففاز وأضحى سيد الشهداء في ... ملائكة الرحمن يسعى ويغتدي
وصلى رسول الله سبعين مرة ... عليه إلى ثنتين عند التعدد..[1]

5) طبقة الصحابة الشعراء:

وفي طليعتهم نجد حسان بن ثابت وكعب بن زهير اللذين تردد ذكرهما كثيرا في الشعر الأندلسي، من ذلك مثلا ما ورد في قصيدة **لابن مرج الكحل** ردد فيها سبقه البلاغي، في معرض رده على الشاعر صفوان بن إدريس، متوهما التفوق على حسان لو كان من الجيل الأول بقوله:

نطقت فأفحمت العراق بلاغة ... وأخرست ما تحوي السراة خراسان
ولو سمعت سمعا عكاظ بلاغتي ... لما جرر الأذيال في الدهر سحبان
ولو كنت في جيل الأوائل لم يكن ... ليذكر بالإحسان في الشعر حسان[2]

(1) نفح الطيب (7/ 365ـ 366).
(2) أعلام مالقة (ص216).

وقرن **ابن حبيش** في أحد مقاطع مخمسته لقصيدة (معراج المناقب) بين حسان وكعب، مشيرا إلى حظوتهما لدى رسول الله ﷺ بقوله:

وكعب علا كعبا على رغم شامت ومنطقه للحرب أنعت ناعت
وتيب عليه توب أروع قانت وحسان حسان الحسام بن ثابت
يقول وروح القدس للقول مجنب[1]

وهذا **ابن فركون** يستحضر مباركة الرسول ﷺ شعر حسان في الذود عن الإسلام، فقال في ثنايا إحدى مدائحه ليوسف الثالث:

لا تسل عن سواه إذ سوف تلفي جبل الفتح تابعا شمانه
قد علمتم والشعر أصدق فالا ما دعا المصطفى له حسانه
دون مولاي من نظامي خودا فذة الحسن والحلى فتانه
راق منها بالمدح فيك بيان أفق الطرس مطلع شهبانه[2]

وهذا **ابن جابر**، في معرض مدحته النبوية، يرجو أن ينال الحظوة التي نالها كعب بن زهير لما خلع عليه الرسول ﷺ حلته، غب إنشاده في مسجده، بحضرة أصحابه لاميته الشهيرة التي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ❊ متيم إثرها لم يجز مكبول

(1) أزهار الرياض (5 / 242).
(2) ديوان ابن فركون(ص179).

فقال:

إني لأرجو بنظمي في مدائحه ... رجاء كعب ومن يمدحه لم يضم[1]

وهذا ابن الخطيب عند مدحه للسلطان أبي سالم المريني لما فتح تلمسان، يستلهم عناية الرسول ﷺ بالشعر فيختم مدحته بتضمينها ذكر كعب وحسان، شاعري الرسول بقوله:

فدونكها من بحر فكري لؤلؤا ... يفصل من حسن النظام بمرجان

وكان رسول الله بالشعر يعتني ... وكم حجة في شعر كعب وحسان

ووالله ما وفيت قدرك حقه ... ولكنه وسعي ومبلغ إمكاني[2]

ولابن الخطيب أيضا في قصيدة أخرى إشارة إلى إنصات الرسول الكريم لشعر كعب وحسان، وثنائه عليهما، فقال عند مخاطبته السلطان أبا الحجاج:

أمولاي إن الشعر ديوان حكمة ... يفيد الغنى والعز والجاه من كانا

وقد وجد المختار في الحفل منصتا ... له وحبا كعبا عليه وحسانا[3]

❁ صيغ ورود أسماء الصحابة:

عمد الشعراء، في هذا الصدد، إلى صيغتين:

---

(1) الحلة السيرا في مدح خير الورى لابن جابر (ص 77).

(2) نفح الطيب (5 / 37).

(3) نفسه (6 / 497).

1- **صيغة مباشرة**: كالذي رأيناه في النماذج الشعرية السابقة،حيث يورد الشاعر اسم الصحابي الذي عرف به، مقرونا بأبرز الصفات والشيم التي اتصف بها في حياته الخاصة والعامة.

2- **صيغة كنائية**: حيث عمد كثير من الشعراء إلى الإشارة إلى الصحابي بكنيته أو بصفة غالبة عليه دون سواها. من ذلك مثلا أن كثيرا من الشعراء قرن ذكر أبي بكر بصفة (الصديق) كقول **أبي عبد الله محمد الشران الغرناطي**:

ما أصدق الصديق في قوله ✿✿✿ عدل لنا في حجج الصدق قال[1]

وعمر بن الخطاب بصفة (الفاروق)، وكنية (أبي حفص) كقول **أبي الحجاج يوسف ابن موسى الجذامي المنتشاقري**:

ولذي الفخار وذي العلى ووزيره ... صديقه وأخي الهدى فاروقه
مني السلام عليهم كالزهر في ... تأليفها والزهر في تأليفه[2]

وقرنوا عثمان بن عفان بكنية (ذي النورين) كقول **ابن دراج القسطلي** في إحدى مدائحه:

وما ساقت الشورى وأوجبه التقى ✿✿✿ وأورث ذو النورين عمك عثمان[3]

والأمر ذاته بالنسبة لعلي بن أبي طالب الذي حلوا ذكره تارة بـ (أبي الحسنين، وأبي السبطين، وذي السبطين، وأبي تراب) وتارة أخرى بسيفه (ذي الفقار) كقول **محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الأمي المريي**:

---

(1) أزهار الرياض(1/ 141).
(2) الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (4 / 384).
(3) الذخيرة (1 / 70).

وعلى أبي السبطين من سبق الألى سبقوا إلى الإسلام يوم سباق
الطاهر الطهر ابن عم المصطفى شرف على التخصيص والإطلاق[1]

ورددوا كنية (أبي اليقظان) التي عنوا بها الصحابي الجليل عمار بن ياسر، كقول **ابن عبدون** في رائيته الشهيرة:

وما رعت لأبي اليقظان صحبته ولم تزوده إلا الضيح في الغمر[2]

❁ سياق ورود أسماء الصحابة:

وردت أسماء الصحابة في سياق ما يلي:

1- مدح الرسول الكريم:

حيث عمد الشعراء إلى الإعلاء من قدر الصحابة في أعطاف مدح الرسولﷺ، من ذلك مثلا قول **ابن السيد البطليوسي**:

فدونك يا رسول الله مني تحية مؤمن وهدى محب
سأجعل عروتي الوثقى يقيني لصحة ما أتيت به وحبي
عسى ود ثوى لك في فؤادي على بعد سيوجب منك قربي
شهدت بأن دينك خير دين بلا شك وصحبك خير صحب[3]

---

(1) نفح الطيب (6/ 229).
(2) قلائد العقيان (ص103).
(3) أزهار الرياض (3 / 149).

والأمر ذاته عند **ابن جابر** في ميميته في مدح خير الورى، حيث ختمها بالتماس شفاعة الرسول ﷺ بقوله:

فاشفع لعبدك وادفع ضر ذي أمل ❊❊❊ يرجو رضاك عسى ينجو من الألم[1]

ثم طفق يعدد بانشراح ما يكنه من حب صادق لصحابة الرسول (الصديق - الفاروق ـ ذو النورين ـ أبو حسن ـ حمزة ـ العباس) الذين عدهم ركنه وملتزمه بقوله:

حسبي صلات صلاة سحبها شملت ... آلا وصحبا هم ركني وملتزمي
بصدق حبي في الصديق فزت ولا ... أفارق الحب للفاروق ليثهم
وقد أنار بذي النورين صدري هل ... نخاف نارا وإنا أهل حبهم
بغيثهم يوم إحسان أبي حسن ... غوثي وسبطيه سمطي جيد مجدهم
أطفي بحمزة والعباس جمرة ذي ... بأس وأطوي زماني في ضمانهم[2]

وبلغ انشراحه ذروته لما تمثل في الصحابة الكرام النجاة من كل بلوى، ووجد في ذكرهم ماله وآماله، وهو ما بثه في هذه الأبيات عندما قال:

صحب الرسول هم سولي وجودهم ... أرجو وأنجو من البلوى ببالهم
أحب من حبهم من أجل من صحبوا ... أجل وأبغض من يعزى لبغضهم
هم مالي وآمالي أميل لهم ... ولا يمل لساني من حديثهم
لكن وإن طال مدحي لا أفي أبدا ... فأجعل العذر والإقرار مختتمي[3]

---

(1) الحلة السيرا في مدح خير الورى (ص152).
(2) نفسه (ص153 ـ 154).
(3) نفسه (ص154 ـ 155).

وعمد ابن جبير إلى ختم إحدى مدائحه النبوية باعتبار النيل من صحابة الرسول ﷺ كفرا، فقد جاهدوا رضوان الله عليهم في الله حق جهاده، ونصروا الدين الذي ارتضاه لخلقه، فقال:

وما أنا للصحب الكرام بمبغض فإني أرى البغضاء في حقهم كفرا
هم جاهدوا في الله حق جهاده وهم نصروا دين الهدى بالظبى نصرا
عليهم سلام الله ما دام ذكرهم لدى الملإ الأعلى وأكرم به ذكرا[1]

وهذا الموقف المتضوع ثناء على صحابة الرسول الكريم هو ذاته الذي عبر عنه ابن حبيش في مخمسته، إذ قال في مقطع منها:

أيا صاح دعني من ثراء وعيلة ومل بي إلى صحب الهدى خير ميلة
أحبر ثناهم كل يوم وليلة وعرج على الأنصار أبناء قيلة
وبغضهم كفر فعذ وتحبب[2]

وجدد تعلقه بالصحب الكرام وثناءه عليهم باعتبارهم نجوم هداية، فقال:

صحاب رسول الله في الأرض أنجم ليرشد حيران وينجاب مظلم
بهم في الدنا نحمى وفي الدين نعصم سأقطع عمري بالصلاة عليهم
وأدأب في حبي لهم كل مدأب[3]

(1) نفح الطيب (2 / 493).
(2) أزهار الرياض(5 / 248).
(3) نفسه (5 / 249).

2-**مقرونة بالممدوح:**

حيث قرن الشعراء بين ممدوحيهم وأسماء الصحابة مثال ذلك أن **أبا بكر محمد بن عيسى الداني** المعروف **بابن اللبانة** مدح ابن عباد فقرنه في عدله بالخليفة عمر بن الخطاب بقوله:

ومن رمته من الأيام حادثة   فليس غير ابن عباد لها وزر
ملك غدا الرزق مبعوثا على يده   وظل يجري على أحكامه القدر
مقدم السبق يحكي في بسالته   عمرا ولكنه في عدله عمر(1)

ونظيره مدح **أبي بكر محمد بن رحيم** للأمير أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين بكونه سار في تقواه على نهج العمرين، وتحلى بمضاء علي بقوله:

ليوسف مفخر يروى ويتلى   كما يتلى الحديث عن النبي
ركبت مناهج التقوى ففاقت   أمورك كل أمر معتلي
وسرت بسيرة العمرين عدلا   ولم تقعد مضاء عن علي(2)

ومثيل ما سبق، مدح **أبي محمد بن صارة الشنتريني** لذي الوزارتين قاضي قضاة الشرق إبراهيم بن عصام، المكنى بأبي أمية، وقرنه في تقواه بالصحابي الجليل أبي هريرة بقوله:

قاض تقابلنا حبي أبراده   بأبي هريرة في التقى ومعاذه

---

(1) خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني (2 / 117).

(2) قلائد العقيان(ص295 ـ 296).

ومدحه أيضا في قصيدة أخرى مشبها إياه بالصحابيين الجليلين أبي بكر وعمر بقوله:

في حبوتيـــه إذا اســـتقبلته ملـــــك مقــــدس الــــروح إلا أنــــه بـــشر
أضـفى على الديـن أبـراد الـشباب فقـل صــديقه الــبر أو فاروقــه عمـــر[1]

وفي ذات الموضوع مدح **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد** أميره ابن صمادح فشبهه في محاربة مناوئيه بالإمام علي في صراعه مع غلاة الخوارج بقوله:

وكـــم قـــد رأت رأي الخـــوارج فرقـــة فكنـــت عليـــا في حـــروب شراتهـــا
بعـــــزم أبي لا يـــــرد مـــــضــــاؤه وهل تملك الأفلاك عـن حركاتهـا[2]

وعلى نفس المنوال مدح **أبو الحسن ابن الجد** أمير المسلمين وناصر الدين أبا يعقوب يوسف بن تاشفين مشبها إياه في حدبه وسهره على رعاياه بعمر بن الخطاب بقوله:

فقل لمن نام أصبحت، انتبـه، فلقـــد مضى لك الليل بحتا وانقضى السحر
وانظر إلى الصبح سيفا في يـدي ملـك في الله من جنده التأييـد والظفـــر
يـرعى الرعايـا بطـرف سـاهر يقـظ كمـا رعاها بطرف سـاهر عمـــر[3]

وعلى ذات النهج سار ابن **سهل الأندلسي**، وهو يكيل المدح لولي نعمته الوزير أبي علي ابن خلاص الذي ذكرته سجاياه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله:

بصير بطـرق البـأس والجـود لـم تـزل وقائعـــه جهـــرا ومعروفـــه ســـــرا
له ســـير أذكرتنـــا عمـــرا إلـــــى مواقـف في الهيجـاء أنـسيننا عمـرا[4]

---

(1) قلائد العقيان (ص645).
(2) ديوان ابن الحداد (ص166ـ 167).
(3) الذخيرة (3/ 257).
(4) ديوان ابن سهل الأندلسي (ص122).

ولابن فركون قصائد عديدة في مدح الملك يوسف الثالث، حرص فيها على ذكر الصحابي الجليل سعد بن عبادة الأنصاري الذي ينتمي إلى ذريته بنو نصر ملوك غرناطة. من ذلك قوله في قصيدته التي رفعها إلى يوسف الثالث غداة بيعته:

لك المجد في الأملاك يروى حديثه ... وقيس بن سعد في القديم تأثله
فآباؤك الأنصار جاءت بذكرهم ... لنا سور في محكم الذكر منزله
هم أوضحوا نهج الهداية للورى ... وهم نصروا دين الإله ومرسله[1]

ولابن زمرك قصيدة في مدح محمد الخامس سلطان غرناطة، استحضر فيها اتصال محتده بالصحابي سعد بن عبادة وآله من الأنصار الذين نصروا رسول الله ﷺ. ولم تفته الإشارة، خلال ذلك، إلى كون ممدوحه وارث مجد أجداده ومحيي سنتهم العطرة. وهو ما نجده ماثلا في قوله:

يا ابن الألى قد أحرزوا خصل العلا ... وسموا بطيب أرومة ونجار
وتنوب عن صوب الغمام أكفهم ... وتنوب أوجههم عن الأقمار
من آل سعد رافعي علم الهدى ... والمصطفين لنصرة المختار
أصبحت وارث مجدهم وفخارهم ... ومشرف الأعصار والأمصار
وجه كما حسر الصباح نقابه ... ويد تمد أناملا ببحار
جردت دون الدين عزمة أروع ... جددت منها سنة الأنصار[2]

---

(1) ديوان ابن فركون (ص104).

(2) ديوان ابن زمرك (ص414 ـ 415).

2- **مقرونة بالمرثي**: وهناك من الشعراء من قرن اسم المرثي باسم الصحابي كالذي فعله مثلا **ابن حمديس** في رثاء أبيه حيث استحضر نداء عمر بن الخطاب ﷺ لسارية الجبل بقوله:

سمعت مقالة شيخي النصيح وأرضي عن أرضه نائيه

كأن بأذني لها صرخة أراد بها عمر ساريه

مضى سالكا سبل آبائه وأجداده الغرر الماضيه

كرام تولوا بريب المنون وأبقوا مفاخرهم باقيه[1]

ومنه أيضا ما جاء في رثاء **أبي الحسن علي بن الجياب** لأبي الوليد إسماعيل بن نصر إذ شبه نهايته بما جرى للصحابي الجليل عثمان بن عفان ﷺ بقوله:

مجاهد نال من فضل الشهادة ما يجبى عليه بأجر غير ممنون

قضى كعثمان في الشهر الحرام ضحى وفاة مستشهد في الدار مطعون

في عارضيه غبار الغزو تمسحه في جنة الخلد أيدي حورها العين[2]

❁ موقع ذكر الصحابة في النصوص الشعرية:

لم يسر الشعراء على خط واحد، وهم يذكرون أسماء الصحابة في شعرهم، ويرجع ذلك إلى طبيعة التوظيف وما ترتب عليها من دلالة؛ بيد أن الأمر لا يخرج عن المواقع الآتية:

---

(1) ديوان ابن حمديس (ص523 ـ 524).

(2) الإحاطة في أخبار غرناطة(1/ 394).

1. في مستهل كل مقطع داخل القصيدة الواحدة: وفي ذلك دلالة على مكانة الصحابي وكأنه نجم. من ذلك ما قام به أبو طالب عبد الجبار الذي رأينا كيف كان يعمد كل مرة إلى ذكر الصحابي ويسترسل في ذكر سجاياه، وتتويجها بثناء الرسول الكريم حسب كل حالة.

2. في وسط القصيدة: وأحيانا يرد الصحابي في ثنايا القصيدة من ذلك ما وقفنا على نماذج منه في بعض المدائح والمراثي.

3. في ختام القصيدة: حيث عمد بعض الشعراء إلى جعل مسك ختام قصائدهم ذكر الصحابة بعبارة مجملة، وهم يصلون على النبي ﷺ، وعلى آله وصحبه كالذي نجده لدى ابن خاتمة في ختام إحدى قصائده حيث قال:

ثم الصلاة على المبعوث مرحمة إلى الخليقة من جن ومن إنس
وآله والصحاب الغر قاطبة ما افتر ثغر صباح عن لمى غلس(1)

❁ منطلقات النظر إلى الصحابة:

إن ما وقفنا عليه من نماذج شعرية، يبيح لنا القول بأن الشعراء وهم يذكرون الصحابة الكرام، استطاعوا بنسب متفاوتة تجاوز إثارة صورة الصحابي المشكلة من خصاله ومواقفه، إلى استخدام دلالاتها ومشاهدها في الموقف الذي كان فيه كل شاعر، مكانا وزمانا؛ إذ ربط القيم السامية المشتركة بين ممدوحه ومرثيه من جهة، وبين الصحابة من جهة أخرى، وبذلك عكس لنا شعره عالمه المرئي الذي كان في صلب تَمَوُّجَاته مع عالمه الذهني الذي تصوره من سير الصحابة الكرام.

---

(1) ديوان ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي (ص18).

وقد لا نكون مغالين بعد إمعان النظر في صور الشعر المتصلة بالصحابة، إذا اعتبرنا أن طبيعة تلك الصور بحمولتها الدينية، غمرت بأنوارها ثقافة الشاعر وإحساساته وأفكاره، لتشكل حجر الأساس في رؤيته للحياة ولمحيطه، وخاصة إبان المراحل الحرجة في التاريخ الأندلسي.

وعليه؛ فإن منطلقات النظر إلى الصحابة لدى الشعراء الذين ذكرناهم، انبثقت من طبيعة المرحلة التاريخية التي عاصروها وعاشوا أحداثها. وهي إجمالا انحصرت في زاويتي النظر الآتيتين:

- زاوية النظر في مراحل القوة: حيث كان الاستمداد من الموروث الإسلامي دليل صحة ثقافية ونفسية، وتحقيقا للهوية الأندلسية المسلمة.
- زاوية النظر في مراحل الاضطراب والتدهور، حيث كان اللوذ بالأصول واستلهام الموروث، تحصينا للذات وتقوية لها في مواجهة ما كان يحيق بالمجتمع الأندلسي من أخطار داهمة، تهدد هويته ووجوده الإسلاميين.

❁ سمات فنية:

تجلت هذه السمات في كيفية توظيف أسماء الصحابة لدى كل شاعر، ويمكن حصرها في الآتي:

- استخدام اسم الصحابي نظيرا لشخصيات الشعر حينا، وحينا آخر كان استخدامه معادلا موضوعيا للقيم والصفات التي طبعت شخصية الصحابي المعني كالصدق والعدل والصبر والتقوى والجود والشجاعة.
- تحويل أسماء الصحابة إلى رموز، فقد تبين من خلال النصوص التي سبق ذكرها، أن أصحابها عمدوا إلى ذكر الصحابة وكناهم وألقابهم، وقد نحوا ذلك المنحى

بغية اختصار الطريق وتحويل الأسماء إلى رموز لموضوعاتهم، تبث إشعاعها في فضاء حضاري عام؛ ولا ريب فإن مجرد استحضارها من لدن المتلقي، كان يثير فيه طاقات إيحائية ونفحات وجدانية.

- الاستمداد اللغوي والأسلوبي من المعين القرآني، وقد رأينا كيف أن تعابير الشعراء الفنية تلونت، في أكثر من موقع، بألوان لغوية هي سليلة البلاغة القرآنية القائمة على البيان والتبيين والتبيان.

- اتخاذ كثير من الشعراء أعلام الصحابة مادة تصويرية لتشبيهاتهم، وصورهم التقابلية، والكنائية، وفقا لطبيعة التجربة الشعرية ودرجة شاعريتها.

خاتمة

هذه نفحات من شعر أندلسي فيه ذكر طيب لأعلام من صحابة الرسول ﷺ، وهي بما انطوت عليه من مثل سامية وقيم رفيعة، تشهد لهذا الشعر بما يلي:

1- ارتباطه الوثيق بأصول ثقافته الإسلامية في شتى الأغراض ومختلف الحالات.

2- توظيفه لأسماء الصحابة باعتبارهم جيل التأسيس، والمثال الإسلامي المقتدى في القول والفعل.

3- تمثله بطولات الصحابة هو تخليد لها باعتبارها معالم خالدة في تاريخ الإسلام وحضارته.

4- استلهامه مواقف الصحابة، يمثل دعوة دائمة ومتجددة لكل الشعراء المسلمين للمتح من معين التاريخ الإسلامي الزاخر بأعلام بطولية رائدة، عوض الانبهار بنماذج من خارج نطاق الهوية.

وصفوة القول، فإن ارتباط الشعر الأندلسي بجذوره الأصيلة، وتوظيفه لأسماء الصحابة بصيغ متنوعة، وتمثله لبطولاتهم، واستلهامه مواقفهم، هي معالم للعلاقة التي يمكن للشاعر المسلم دوما أن يوثق عراها مع تراثه وتاريخه، في كنف لقاء حميم بين القديم والحديث.

فهرس المصادر والمراجع

- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، الناشر: مكتبة الخانجي ـ القاهرة. ط1393/2هـ- 1973م.
- الحلة السيرا في مدح خير الورى لابن جابر الأندلسي، تحقيق: علي أبو زيد، عالم الكتب ـ بيروت. ط2/ 1405هـ 1985م.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تأليف: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: د.إحسان عباس. دار الثقافة ـ بيروت 1399هـ/1979م.
- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: د. عبد السلام الهراس وسعيد أحمد أعراب. مطبعة فضالة ـ المحمدية 1400هـ/1980م.
- أعلام مالقة، تأليف: أبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس. تقديم وتخريج وتعليق د. عبد الله المرابط الترغي. دار الأمان للنشر والتوزيع ـ الرباط. ط1420/1هـ 1999م.
- خريدة القصر وجريدة العصر، العماد الأصفهاني الكاتب، تحقيق: محمد العروسي المطوي، الجيلاني بن الحاج يحي، محمد المرزوقي. الدار التونسية للنشر. ط1986/3.
- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: د. سيد حنفي حسنين، الناشر: دار المعارف، القاهرة 1983م.
- ديوان ابن الحداد الأندلسي، جمعه وحققه وشرحه وقدم له د. يوسف علي طويل. الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت. ط1410/1هـ1990م.
- ديوان ابن حمديس، صححه وقدم له د. إحسان عباس. الناشر: دار بيروت للطباعة والنشر (بدون تاريخ).

- ديوان ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي (أحمد بن علي)، حققه وقدم له د. محمد رضوان الداية. الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي. 1392هـ/1972م.
- ديوان ابن زمرك الأندلسي(محمد بن يوسف الصريح) حققه وقدم له ووضع فهارسه د. محمد توفيق النيفر. الناشر: دار الغرب الإسلامي. ط1/1997م.
- ديوان ابن سهل الأندلسي، تقديم: د. إحسان عباس. الناشر: دار صادر ـ بيروت 1400هـ/1980م.
- ديوان ابن فركون، تقديم وتعليق د. محمد ابن شريفة. مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ـ سلسلة «التراث». ط1/1407هـ- 1987م.
- قلائد العقيان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي (الملقب بابن خاقان)، صححه وحققه وعلق عليه الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور. الدار التونسية للنشر سنة 1990م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: د.إحسان عباس. الناشر: دار الفكر 1408هـ/1988م.

شعـــر الصحابة من خلال كتاب
«منـح المدح لابن سيد الناس»
دراسة في النسبة والتوثيق

د. محمد الحافظ الروسي

ملخص البحث

ينظر هذا البحث في شعر الصحابة من خلال مؤلف لأحد الأندلسيين وهو ابن سيد الناس الإشبيلي دفين القاهرة من جهة ضبط النسبة والتوثيق، وما يترتب على ذلك من معرفة صحة كثير من هذا الشعر من عدمها، ومعرفة أثره الحقيقي في الشعراء، ومعرفة خصائصه، وهل هو علامة على كثرة المدح وشدة التعلق فقط، أو هو علامة على أمور أخرى، يتطرق لها البحث، تتعلق باللاحقين أكثر من تعلقها بجيل الصحابة.

الباحث في سطور

الدكتور محمد الحافظ الروسي Roussi.hafid@yahoo.fr

- من مواليد 15 ماي 1964م.
- أستاذ التعليم العالي بجامعة عبد المالك السعدي ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ تطوان.
- دكتوراه الدولة في النقد الأدبي القديم والبلاغة عام 2002م.
- عضو عامل برابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- شارك في عدة ندوات وطنية ودولية وأيام دراسية.

من إنتاجه الأدبي والعلمي المنشور:

- ظاهرة الشعر عند حازم القرطاجني، مشروعه التنظيري: مقوماته وقوانينه.
- مفهوم التناسب عند نقاد القرن الرابع الهجري.
- مفهوم صحة المعنى عند نقاد القرن الرابع الهجري.
- جودة الشعر عند نقاد القرن الرابع الهجري بين الطبع والصنعة.
- المدخل إلى فهم شعر محمد الطنجاوي وصناعته.

وله أعمال أخرى عديدة قيد النشر.

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحابته الغر أجمعين وعلى من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

يعتبر كتاب منح المدح لابن سيد الناس (671ـ 732هـ) بابا من التأليف لم يسبق إليه صاحبه، ولم يهتد إليه قبله أحد، وفي ذلك يقول: «..ثم عرض لي بعد ذلك معنى لم أسبق ـ فيما علمت ـ إليه، ولا دل أحد يقدمني عليه، من ذكر مادحيه من الصحابة، نجوم المهتدين، ورجوم المعتدين؛ لتكون لنا بهم القدوة، وفيهم ﷺ الأسوة..»[1]. والقدوة المقصودة هنا هي الاقتداء بهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في مدحهم للنبيﷺ، وفي الأخذ بطريقتهم في ذلك، لأن سائر الناس إنما هم تبع لهم في الشعر، وفي التعلق بالرسول ﷺ، والذود عنه، فهم أرباب الفصاحة والإيمان معا. ويكفي في معرفة ذلك أن نذكر أننا لا نعرف في الشعر العربي قصيدة كان لها أثر في الشعر والأدب يقارب قصيدة بانت سعاد لكعب ابن زهير حيث كانت سببا في ظهور عشرات القصائد معارضة وتشطيرا وتخميسا، وعشرات المؤلفات شرحا وتعليقا وتبيينا[2].

وواضح أنه لا يبلغ هذه الأهمية من الشعر إلا ما صحت نسبته لصحابي، فإذا كان فوق ذلك شاعرا مجيدا فإن أهمية هذا الشعر أقوى، وشأنه أعلى. فإذا اتصلت بذلك

---

(1) منح المدح (ص30).
(2) قصيدة «بانت سعاد» لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي . د. السيد إبراهيم محمد.

الشعر واقعة تاريخية، أو كان شاهدا على حدث من أحداث السيرة، اجتمع على العناية به الرواة وأهل السير. وقد اجتمع ذلك كله لبانت سعاد، فكانت لها هذه العناية الخاصة التي لا نجدها لغيرها.

وهذا أمر لم يخف على المتقدمين فكان أصحاب الخصومات إذا وضعوا شعرا على شاعر تخيروا أن يكون صحابيا مجيدا ثم ربطوا ذلك الشعر الموضوع بحادثة أو واقعة صحيحة أو مختلقة. وفي ذلك يقول ابن سلام في حديثه عن حسان: «وهو كثير الشعر جيدُهُ، وقد حُمِلَ عليه ما لم يُحمل على أحد، لما تعاضهت قريش واستبت، وضعوا عليه أشعارا كثيرة لا تُنَقَّى»[1].

وقد أورد الأصبهاني في الأغاني قصة تصلح أن تكون شاهدا على ما ذكره ابن سلام، قال: «وأخبرني أحمدُ بن سليمان بن داود الطُّوسي، والحَرَميُّ بن أبي العلاء قالا: حدثنا الزبير بن بَكَّار قال حدثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال أخبرني محمد ابن عبد العزيز عن ابن أبي نهشل عن أبيه قال:

قال لي أبو بكر بنُ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ـ وجئته أطلب منه مغرما ـ: يا خال هذه أربعةُ آلاف درهم وأنشدْ هذه الأبيات الأربعةَ وقل: سمعتُ حسانَ ينشدها رسولَ الله ﷺ. فقلت: أعوذ بالله أن أفتري على الله ورسوله، ولكن إن شئت أن أقول: سمعتُ عائشة تنشدها فعلتُ. فقال: لا، إلا أن تقول: سمعتُ حسانَ ينشدها رسولَ الله ﷺ، ورسول الله ﷺ جالسٌ، فأبى علي وأبيتُ عليه، فأقمنا لذلك لا نتكلم عدةَ ليالٍ. فأرسل إلي فقال: قل أبياتا تمدح بها هشاما ـ يعني ابن المغيرة ـ وبني أمية. فقلتُ: سمِّهِمْ لي، فسماهم وقال: اجعلها في عكاظ واجعلها لأبيك. فقلت:

ألا لله قوم ولدت أختُ بني سهمِ

(1) طبقات فحول الشعراء (1/ 215).

الأبيات. قال: ثم جئت فقلتُ: هذه قالها أبي. فقال: لا، ولكن قل: قالها ابن الزبعرى. قال: فهي إلى الآن منسوبة في كتب الناس إلى ابن الزبعرى»[1].

ومع الوضع كان هناك إشكال آخر هو إشكال ضياع معظم شعر الصحابة، وهو الوجه الثاني للقضية، حيث كثرة الشعر الذي نجده للصحابة ليس دالا بالضرورة على كثرة ما تبقى لنا من الصحيح منه. وهذا شعر كعب بن مالك الأنصاري، وهو أحد كبار شعراء الرسول ﷺ لم يصلنا إلا القليل منه[2]، فكيف بمن هم دون كعب في المرتبة؟!

ويعود سبب هذا الضياع إلى أمرين هما: اشتغال الناس بالفتوح وحفظ القرآن عن الشعر، ونهي بعض الأمراء عن رواية شعر بعينه. كنهي أمراء بني أمية عن رواية الشعر الذي فيه مدح لعلي رضي الله عنه ، ومن الناس من زعم أن لكعب بن زهير قصيدة في مدح علي رضي الله عنه كانت بنو أمية تنهى عن روايتها وإضافتها إلى شعره أولها:

هلْ حبلُ رَمْلَةَ قبل البينِ مبتورُ ... أم أنت بالحلم بعد الجهل معذورُ

وقد ألحقت بناء على هذه الدعوى بفائت الشارح في ديوان كعب[3].

وقد حصل ـ بناء على هذا ـ من الخلط في شعر الصحابة ما لم يحصل في شعر غيرهم، فأصبح من المتعذر على الدارس بناء الأحكام الصحيحة، وتجنب الدعاوى العريضة، ووضع الاستنتاجات الدقيقة المتعلقة بخصائص هذا الشعر، وعلاماته،

---

(1) الأغاني (1/ 63).

(2) انظر في ذلك كعب بن مالك الأنصاري الصحابي الشاعر الأديب. د. محمد علي الهاشمي (ص118 ـ 136).

(3) شرح ديوان كعب بن زهير (ص251 ـ 254).

وأثره في السيرة، ومدى تأثيره في اللاحقين، وقيمته في الأدب العربي دون دراسة توثيقية تبين الصحيح من غيره، والمشكوك فيه من المسلّم به، والمقطوع بوضعه من المختلف فيه. والسبيل إلى ذلك الدراسة الجزئية التي تتناول هؤلاء الشعراء شاعرا شاعرا، وتنظر في هذه القصائد قصيدة قصيدة، ثم تنتقل بعد ذلك إلى وضع أحكام كلية مركبة من هذه النتائج الجزئية تكون أقرب إلى الصواب من غيرها، وهذا أمر البحث فيه شاق لأنه يحتاج في منهجه إلى النظر في الروايات والأسانيد وقوام ذلك علم الحديث، وإلى النظر في المتن من جهة القوة والضعف، ومن جهة خصائصه الأسلوبية وقوام ذلك علم البلاغة، والمعرفةُ بأساليب العرب وتطورها، وإلى النظر في متن محدد يجعل الأحكام أكثر دقة، وأبعد عن التعميم والافتراض.

فإذا استقام البحث في السند والمتن أمكن الاطمئنان إلى ما ينتج عن هذا البحث من هاتين الجهتين وهو تحديد النسبة. وينتج عن تحديد النسبة ما تعلق بها من أمور من توثيق شعر شاعر بعينه، ومعرفة خصائص أسلوبه، وتطور شعره، وما تعلق به من أحداث وموضوعات، ثم وضع ذلك في سياقه الأدبي والتاريخي.

فهذا الذي جعلنا ننظر في هذا الكتاب من جهات ثلاث، هي: جهة السند، وجهة المتن، وجهة النسبة. مما يصلح أن يكون مدخلا لدراسة هذا الكتاب دراسة توثيقية، ثم الانتقال منه إلى غيره من المصنفات والدواوين.

❁ أولا: جهة السند:

تعتبر دراسة أسانيد الشعر المروي عن الصحابة وما تعلق به من حديث من أصعب الأمور التي يمكن أن تعترض الباحث لقلة الصحيح فيها. ويكفي في ذلك أن نشير إلى أنه ليس أشهر في مدائح رسول الله ﷺ من قصيدة «بانت سعاد» لكعب بن زهير، ومع ذلك ففي رواياتها نظر، فكيف بغيرها مما ليس له مثل شهرتها وأهميتها.

وقد اجتهد أحد الدارسين وهو الدكتور سعود بن عبد الله الفنيسان في إثبات صحة روايات هذه القصيدة في كتاب له سماه «توثيق قصيدة بانت سعاد في المتن والإسناد»، وذكر لهذه القصيدة خمس عشرة رواية، منها رواية ابن سيد الناس في «منح المدح»[1]. وبحث في رجال إسناد كل رواية رواية منها، ثم قال مستنتجا:«..وعليه أقول: إن قصيدة بانت سعاد صحيحة ثابتة، إن لم تكن بالإسناد الموصول كما عند بعض العلماء، فبالإسناد المرسل»[2]. وعلق على هذا الكلام الشيخ المحدث محمد محفوظ البحراوي فقال: «.. حاصل ما جاء في تلك الرسالة أن القصة تدور على مسند وثلاثة مراسل. أما المسند فيدور على راويين مجهولي العين، ومثل هذا لا يصلح للاعتبار والتقوية.

وأما المراسل فهي كالآتي:

1ـ مرسل علي بن جُدعان. المرسل على هذا ضعيف والراوي عنه ضعيف أيضا فلا يصلح للاعتبار والتقوية.

2 ـ مرسل موسى بن عقبة. والطريق إليه ضعيف أيضا، فلا يصلح للاعتبار والتقوية أيضا.

---

(1) توثيق قصيدة بانت سعاد (ص37)، ومنح المدح (ص254).

(2) توثيق قصيدة بانت سعاد (ص46).

3 ـ مرسل عاصم بن عمر بن قتادة من رواية محمد بن إسحاق عنه. وهذا يصلح للاعتبار إذ صرح بالسماع، ويحتج به من يرى أن المرسل حجة.

فالقصة ـ في حقيقة الأمر ـ تدور على هذا المرسل. فأين التواتر؟ ! وأين الروايات والطرق التي أتعب الكاتب نفسه في البحث فيها كما أتعب القراء؟!![1]

ومع ذلك فليس في شعر كعب أصحُّ من هذه القصيدة له، بل وليس في الشعر الذي مدح به الصحابة رسول الله ﷺ أصحُّ من هذا الشعر، مما يدل على أن هذا الشعر محتاج إلى عمل توثيقي ينتقل من تمحيص القصائد إلى تمحيص الدواوين، ومن تمحيص الدواوين إلى تمييز المختلط من الشعر، وتبيين الساقط منه والمنحول، بعد أن بعد العهد بالأسباب التي دعت إلى حصول مثل هذه الإشكالات. وقد كتب أحد الدارسين كتابا سماه: شعر السيرة النبوية، دراسة توثيقية، وهو الدكتور شوقي رياض أحمد، تحدث فيه عن مصادر شعر السيرة وعن رواته، ووصف ظواهر التشويه والنقص فيه، وعمل العلماء في توثيقه. ولكن الذي نقصده غير هذا، فإننا نريد عملا تطبيقيا في كتب السير يمكن أن نركب من نتائجه أحكاما كلية جامعة، حتى يسهل بعد ذلك معرفة الكم الحقيقي لهذا الشعر، ومعرفة قيمته وأثره، ومميزاته وخصائصه، بل ومعرفة تطوره، على اعتبار أن المنحول للصحابي في زمن يكون بعد زمن الصحابي، ينظر إليه باعتباره شعرا منحولا لأسباب معظمها لا علاقة له بالأدب، وينظر إليه باعتباره دالا على تصور الناحل لشعر الصحابي، وعلى الذي كان يريده منه، ويود لو أنه قاله.

وهذا عمل لاحق على عملية إثبات وضع هذا الشعر على لسان صحابي بعينه، ولماذا اختير دون غيره من الصحابة ليكون لسانا للناحل يقول عن طريقه ما يود قوله،

---

(1) من تعليق بخط يد الشيخ نحتفظ به في مكتبتنا.

ولاحقٌ على عملية معرفة الناحل - إن أمكن - وما هو مذهبه. وهذا طريق، في البحث، شاق مضن، لا يصلح إلا لمن لا تطمئن نفسه للأحكام الجاهزة.

وقد كان يسهل مثل هذا العمل أن ينقد ابن سيد الناس الروايات، ويعتني بالصحة أكثر من عنايته بالجمع وتكثير عدد المادحين. ولكنه قليل الفعل لذلك، فقد أورد أخبارا واهية لم يعلق عليها بشيء، مع أنه لو شاء لفعل. ومن ذلك القليل تنبيهه على ضعف إسناد خبر مشهور، وهو قصة خُنافر بن التوأم الحميري، وما قاله من شعر زعموا أن أوله:

ألم تر أن الله عـادَ بفضله ... وأنقذ من لفح الزخيخ خُنافرا[1]

والذي قاله هو الذي عليه علماء الحديث، غير أنه لا يجري على هذا المنهج في كتابه كله[2]. فقد أكثر النقل عن وثيمة بن موسى (ت237هـ) من غير تصحيح منه ولا تعليق، فمن ذلك ما نسبه لخطيب رسول الله ﷺ ثابت بن قيس بن شماس من شعر زعم أنه قاله يوم اليمامة، وهو شعر لا نجد له أثرا في كتب الأدب والتراجم والسير، أوله:

ليس فراري يا براء مـخلدي[3]

وهي أبيات ضعيفة لا يليق أن تنسب لخطيب رسول الله ﷺ، وليست سائر روايات ابن وثيمة بحجة. وقد قال عنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل: «وثيمة بن موسى بن الفرات المصري: روى عن سلمة بن الفضل، روى عنه أحمد بن إبراهيم. قال أبو محمد: كتب إلي أحمد بن إبراهيم، عن وثيمة، عن سلمة بأحاديث موضوعة»[4]. وقال عنه

---

(1) منح المدح (ص90). وقد أخطأت المحققة فكتبت في مكان الزخيخ: الرخيخ، وأثبتت شرح ابن سيد الناس للزخيخ على غير وجهه، فكتبت: الرخيخ بريق الخمر، وإنما هي: الزخيخ: بريق الجمر، كما في اللسان. مادة: زخخ. (3/ 21). وذكره للفح يرجح أن المقصود النار لا غيرها.

(2) الإصابة (2/ 304). رقم الترجمة:2347. وأسد الغابة (2/ 188). رقم الترجمة:1484.

(3) منح المدح (ص58).

(4) الجرح والتعديل (9/ 66) رقم الترجمة: 15874/ 219.

ياقوت في ترجمته: «وَثِيمَة بن موسى بن الفرات...حدث عن سلمة بن فضل عن ابن سمعان عن الزهري بأحاديث موضوعة، وله عن مالك حديث منكر»[1].

ومن الأبيات التي انفرد بروايتها وثيمة ونقلها عنه ابن سيد الناس أبيات نسبت لثمامة بن أُثال الحنفي، رواها عن ابن إسحاق[2]. وليس ابن إسحاق في الشعر بشيء. قال عنه ابن سلام في طبقات فحول الشعراء: «..وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كلَّ غُثاءٍ منه، محمد بن إسحاق بن يسار... ـ وكان أكثر علمه بالمغازي والسير وغير ذلك ـ فقبل الناس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول: لا علم لي بالشعر، أتينا به فنحمله. ولم يكن ذلك له عذرا، فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط، وأشعار النساء فضلا عن الرجال..»[3].

ومن هذه الأبيات أيضا ما ذكره وثيمة في كتاب الردة عن ابن إسحاق من شعر قاله ثور بن مالك الكندي، وهي أبيات لم ترو بغير هذا السند، ولم يروها أهل العلم بالشعر، ولا ذكرتها كتب الأدب والسير، ولم أجد، بعد البحث، من نقلها عن كتاب الردة لابن وثيمة غير ابن سيد الناس وغير ابن حجر في الإصابة[4]. مثلها في ذلك مثل أبيات نسبها للحارث بن مرة بن دودان النفيلي أولها: بني عامر إن تَنْصُروا الله تُنصَروا[5].

وروى بهذا السند أيضا أبياتا نسبها لعمرو بن العاص لم أجدها عند غيره[6]. وهي أبيات ضعيفة ليس فيها مدح للنبي ﷺ، ولا يليق أن تنسب إلى مثل عمرو بن العاص.

---

(1) معجم الأدباء (6/ 2795 ـ 2796) رقم الترجمة: 1215 .
(2) منح المدح (ص60 ـ 61)، والإصابة (1/ 526).
(3) طبقات فحول الشعراء (1/ 7 ـ 8).
(4) منح المدح (ص61 ـ 62)، والإصابة (1/ 533) رقم الترجمة:985.
(5) منح المدح (ص84)، والإصابة (2/ 137) رقم الترجمة:1936.
(6) منح المدح (ص201 ـ 202).

فقد كان له شعر حسن، كما أشار إلى ذلك ابن الأثير في أُسْد الغابة[1]، بل إنه كان أحد أربعة هم رأس شعراء قريش في شركها وهم: عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبعرى، وأبو سفيان بن الحارث، وضرار بن الخطاب. وإن كان شعره، مع ذلك، لا يرقى به إلى طبقة كبار الشعراء. فقد أُنشد حسان شعرَ عمرو فقال: «ما هو شاعر، ولكنه عاقل»[2]. غير أن هذا لا ينحط به أيضا إلى أن يقول مثل ما زعم وثيمة أنه له، وذلك كقوله:

إن كان قد مات النبيُّ فدينُنَا ... دينُ النبي وما هداه هداني
كان النبي أمانة مضمونة ... فينا إلى أجلٍ وحدٍّ أوان
فارتدها من كان يملك ردها ... هذا لعمرُ أبيكَ في الفرقان[3]

ومن الروايات الضعيفة التي نقلها ابن سيد الناس في كتابه، غير رواياته عن وثيمة، روايته الحديث عن طريق يعلى بن الأشدق، وهو ساقط الحديث[4]. حيث روى من هذا الطريق الأبيات التي قالها حميد بن ثور حين أسلم، وأولها: أصبح قلبي من سُلَيْمَى مُقْصَدَا[5].

(1) أسد الغابة (4/ 234) رقم الترجمة: 3971.
(2) فحولة الشعراء (ص37).
(3) منح المدح (ص202).
(4) ما قاله عنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (9/ 369ـ 370) رقم الترجمة: 16960، وابن حجر في الإصابة (2/ 110) رقم الترجمة: 1839.
(5) والشك في أنه أنشد هذه الأبيات في حضرة النبي ﷺ لا في الشعر، فإنه أشبه بشعره. وقد أثبته عبدالعزيز الميمني في الديوان الذي صنعه له (ص77 ـ 78). ونسبه إليه الشريف السبتي في رفع الحجب المستورة(1/ 329). وذكر أنه أنشده بين يدي رسول الله ﷺ، غير أن أهل صناعة الحديث لهم رأي آخر يتوصل إليه عن طريق صناعتهم، وأهل الأدب لا يبحثون كثيرا فيما وراء صحة نسبة الشعر وسلامة ألفاظه.

وروى قصة إنشاد النابغة الجعدي سيدَنا رسول الله ﷺ قوله:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ❊❊❊ وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا.

وقول النبي ﷺ له: وما المظهر يا أبا ليلى؟. قال: الجنة. فقال له النبي ﷺ : أجل، إن شاء الله. ثم أنشد بيتين، بعد ذلك، هما قوله:

ولا خير في حلم إذا لم يكن بوادرُ تحمي صفوَه أن يُكدَّرا
ولا خير في جهلٍ إذا لم يكن له حليمٌ إذا ما أورد الأمرُ أصدرَا

فقال له النبي ﷺ: لا يفضض الله فاك. مرتين[1].

وهو حديث مشهور جدا، كثر ذكره في كتب الأدب. قال عنه ابن الجوزي: حديث لا يصح[2]. وذكره ابن الأثير في أسد الغابة من طريقين كلاهما عن يعلى بن الأشدق، وقد تقدم القول فيه[3]. وله طرق أخرى استدرك بها ابن حجر في الإصابة على من سبقه، غير هذا الطريق الذي روى به ابن سيد الناس هذا الحديث[4].

ومما أثبته في كتابه مما يرجع ضعفه إلى جهالة بالراوي ما نسبه إلى بشير بن عُرْفطة أو عقربة من أبيات لم يذكرها له أحد من أهل العلم بالشعر. وقال: «ذكره البغوي من حديث عبد الحميد بن عدي الجهني عن عبد الله بن حميد عنه»[5]. وهذا

(1) منح المدح (ص235).

(2) فيض القدير (3/ 417).

(3) أسد الغابة (5/ 277 ـ 278). رقم الترجمة: 5162.

(4) الإصابة (6/ 311 ـ 312). وفي أخبار النابغة أساطير كثيرة، لعل أقربها زعمهم أنه عاش مائتين وعشرين سنة. ن. منح المدح (ص234).

(5) منح المدح (ص54).

إسناد مجهول ـ كما أشار إلى ذلك البغوي نفسه ـ[1] وقال الحافظ ابن حجر: «عبدالحميد، قال أبو حاتم: إنه صالح. وأما شيخه فلا أعرفه»[2].

وذكر أبياتا غاية في الضعف والركاكة نسبها لِجَهْيش بن أويس النخَعي بسند قال فيه ابن الأثير في أسد الغابة: فيه نظر[3]. ونقل ابن حجر في الإصابة عن الذهبي في التجريد، بعد ذكر حديث قدوم جهيش على رسول الله ﷺ في وفد النخَع قولَه: « يقال له الخزاعي، ذُكر في حديث كأنه موضوع»[4].

ويكفي في هذا الشعر الذي ذكره أنه نسب لعربي على عهد رسول الله ﷺ قوله:

شرعت لنا دين الحنيفة بعدما ⁂ عبدنا، كأمثال الحمير، طواغيا

---

(1) الإصابة (1/ 432).

(2) المصدر نفسه.

(3) أسد الغابة (1/ 579). رقم الترجمة: 827.

(4) الإصابة (1/ 626). رقم الترجمة: 1257.

❁ ثانيا: جهـة المـتـن

ترجع الإشكالات المتعلقة بالمتن مـمـا له عُلقة بالنسبة من جهتي الترجيح والرد، إلى أمرين همـا:

أ ـ رد الشعر من جهة كونه مـمـا لا يمكن أن ينسب إلى شاعر أطبق الناس على جودة شعره. وذلك كرد ابن سلام رواية ابن إسحاق لشعر أبي سفيان بن الحارث وشعر غيره من فحول الشعر بقوله: «ولسنا نَعُدُّ مـا يروي ابن إسحاقَ له ولا لغيره شعراً، ولأن لا يكونَ لهم شعرٌ، أحسنُ من أن يكون ذاكَ لهم»[1].

ب ـ رد الشعر من جهة وجود قرينة معنوية تـشكك في صـحته، وهـذه إلى قـسمين: قسم مشكك في صحة الرواية، وقسم مشكك في صحة النسبة.

ومثال القسم الأول رواية ابن سيد الناس لبيت عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

أنت الرسول ومن يُحرم نوافلـه ❊❊❊ والوجهَ منه فقد أزرى به القدر

وهي الرواية القديمة لهذا البيت[2]، بلفظ:

أنت الرسول ومن يـحرم شفاعـتـه ❊❊❊ يوم الحساب لقد أزرى به القدر[3]

ووجه ترجيح الرواية الأولى، بالإضافة إلى قدمها، أن المتأخرين كـانوا أحـرص عـلى ذكر الشفاعة في مدائحهم من المتقدمين. فإن قصائد المتأخرين لا تكاد تخلو منها، بينمـا لا نكاد نجد لها ذكرا في مـا صح من شعر الصحابة[4].

---

(1) طبقات فحول الشعراء (1/ 247).

(2) السيرة النبوية (4/ 374).

(3) منح المدح (ص 168).

(4) ومن هذا القليل قول سواد بن قارب رضي الله عنه وهو صحابي:

وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة ❊❊❊ سواك بـمغن عن سواد بن قارب

ومثال القسم الثاني ما أثبته ابن سيد الناس في كتابه من شعر زعم أن دحية بن خليفة الكلبي قاله في توجهه إلى رسول الله ﷺ بكتاب قيصر، وهو قوله:

ألا هـــل أتاهـــا على نأيهـــا ... بـــأني قـــدمتُ على قيـــصرِ
فقررتـــه بـــصلاة المـــسيح ... وكانـــت مـــن الجـــوهر الأحمـــر
وقلـــتُ: تَقَـــرُّ ببـــشرى المـــسيحِ ... فقـــال: ســـأنظر. قلـــت: انظـــرِ
فـــكاد يقـــر بأمـــر الرســـول ... فمـــال إلى البـــدل الأعـــور
فـــشطَّ وجاشـــت له نفـــسهُ ... وجاشـــتْ نفـــوسُ بـــني الأصـــفرِ
على وضـــعه بيديـــه الكتـــابَ ... على الـــرأس والعـــين والمنخـــرِ
فأصـــبح قيـــصر مـــن أمـــره ... بـــمنزلـــة الفـــرس الأشقـــرِ[1]

وهذا شعر جيد نُسب لرجل لم يعرف بشعر قط، ولم ينسب له في دواوين الأدب شيء منه، وإنما ذكرت له هذه القطعة في مصادر قليلة جدا. ووجه الإشكال فيه قوله: فمال إلى البدل الأعور؛ لأن علماء الأمثال كالمجمعين على أن أصل هذا المثل سببه أن « يزيد بن المهلب لما صُرف عن خراسان بقُتيبة بن مسلم الباهلي ـ وكان شحيحا أعور ـ قال الناس: هذا بدل أعور؛ فصار مثلا لكل من لا يُرْتَضَى بدلاً من الذاهب»[2].

ومنهم من يزعم أن أصله قول نهار بن توسعة أو عبد الله بن همام السلولي في هجاء قتيبة بن مسلم:

أَقُتَيْبَ قد قُلنا غداةَ لقيتنا ... بدلٌ لعمركَ من يزيدٍ أعورُ[3]

(1) منح المدح (ص97).
(2) مجمع الأمثال (1/ 90).
(3) جمهرة الأمثال (1/ 187)، والتمثيل والمحاضرة (ص41)، ووفيات الأعيان (6/ 290). والشعر والشعراء (1/ 537).

فإذا صح هذا فإنه لا يمكن نسبة هذه الأبيات لدحية، وإن لم يصح فإن قولهم في أصل هذا المثل غير صحيح، ويكون المثل حينئذ قديما، وهو الرأي الذي مال إليه اليوسي في زهر الأكم[1]. ويقوي هذا الرأي أننا نجد في حديث أم زرع زيادة زادها بعضهم هي: «فاستبدلت، وكل بدل أعور»[2]. ويكون معنى أعور هنا «معيب رديء، وليس من عور العين»[3]، كما بين ذلك عياض في بغية الرائد. ولعل في عبارة أبي عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأمثال ما يشعر بأن ابن همام إنما استعمل مثلا معروفا، ولم يصنع مثلا جديدا، وذلك قوله: «بدل أعور. ومنه قول ابن همام السلولي لقتيبة بن مسلم، وولي خراسان بعد يزيد بن المهلب..(وذكر البيت)»[4].

ويحتاط في هذا القسم الثاني من أمر أشار إليه ابن سلام في الطبقات، وهو تعمد الناحل أن يضمن شعره قرائن موهمة بكون الشعر لمن زعمه له. «قال ابن سلام: أخبرني أبو عبيدة أن ابن داود بن متمم بن نويرة، قدم البصرة في بعض ما يَقْدَمُ له البدوي من الجَلَبِ والمِيرَة، فنزل النَّحيت، فأتيتُهُ أنا وابن نوحٍ العُطَاردي، فسألناه عن شعر أبيه متمِّم، وقمنا له بحاجته وكَفيناه ضَيْعَتَه، فلما نَفِدَ شعرُ أبيه، جعل يزيدُ في الأشعار ويصنعها لنا، وإذا كلام دون كلامِ متمم، وإذا هو يحتذي على كلامه، فيذكر المواضع التي ذكرها متمم، والوقائع التي شهدها. فلما توالى ذلك علمنا أنه يَفْتَعِلُه»[5].

---

(1) زهر الأكم (1/ 178).

(2) بغية الرائد (ص11).

(3) نفسه (ص159).

(4) كتاب الأمثال (ص 122).

(5) طبقات فحول الشعراء (1/ 47 ـ 48).

وأقرب مثال على هذا الأمر نجده في منح المدح قصة خُنافر بن التوأم الحميري، وما قاله من شعر زعموا أن أوله:

ألـم تـر أن الله عـادَ بفضلـه ••• وأنقذ من لفح الزخيخ خُنافـرا[1]

إذ في قوله: من لفح الزخيخ، تصنع دال على الوضع، فكأن صاحب هذه القصة أراد أن يثبت أن هذا الشعر لرجل من اليمن، وقد ذكروا أن خنافر كان كاهنا حميريا، والزخيخ هو النار بلغة أهل اليمن[2].

(1) منح المدح (ص90).
(2) اللسان. مادة: زخخ (3/ 21). وقد سبقت الإشارة في الهامش رقم:10 إلى الخطأ الذي وقعت فيه المحققة في قراءة هذه الكلمة.

❁ ثالثا: جهة النسبة

لقد نتج عن تساهل ابن سيد الناس من هاتين الجهتين اللتين ذكرناهما، وهما جهة السند، وجهة المتن، خلط كثير وقلة ضبط. فهو قليل العناية بتحقيق النسبة إلا فيما ندر، وذلك كتحقيقه النسبة في بيت ذكره فيما يستحسن لكعب بن زهير، وهو قوله:

تحمله الناقة الأدماء معتجراً ✼✼✼ بالبُرْدِ كالبدرِ جلَّى ليلةَ الظُّلَمِ

حيث قال، بعد أن نسبه لكعب: ويروى لغيره[1]. يقصد بغيره: أبا دَهْبَل. ولعله، لو لم يحقق النسبة في هذا الموطن، لكان لذلك توجيه. فقد شدد الأصمعي في التأكيد على أن هذا البيت لكعب فقال، بعد أن نسبه له: «والجهال يروون هذا البيت لأبي دَهْبَل»[2].

ومع ذلك فإن من جملة من نسب هذا البيت لأبي دهبل أو جعله في قصيدة له الأصبهاني في الأغاني[3]، وأبو تمام وصدر الدين البصري في حماستيهما[4]، وابن قتيبة في الشعر والشعراء[5].

وأظن أنه إن ثبت أن هذا البيت لأبي دهبل لا لكعب، فقد نُسب لكعب لأنهم رأوا أن هذا المعنى لا يليق إلا برسول الله ﷺ أو كما قال الحصري في زهر الآداب معلقا على هذا البيت: «وهو بصفات النبي ﷺ أَعْلَقُ وبمدحه أليق»[6].

وقد جرَّت المؤلفَ قلةُ العناية بأمر ضبط النسبة إلى خمسة أنواع من الخلل هي:

---

(1) منح المدح (ص269).

(2) زهر الآداب (4/ 1162). والعمدة (2/ 786). وحلية المحاضرة (1/ 326).

(3) الأغاني (7/ 132).

(4) حماسة أبي تمام بشرح المرزوقي (4/ 1618 ـ 1619). والحماسة البصرية (2/ 555).

(5) الشعر والشعراء (2/ 614).

(6) زهر الآداب (4/ 1162). ولا وجود لهذا البيت في ديوان كعب الذي صنعه أبو سعيد السكري.

> **أولا:** خلل سببه نسبة الشعر إلى من لم يصح أنه قال شعرا قط. وذلك كنسبته لفاطمة رضي الله عنها أبياتا في رثاء رسول الله ﷺ هي قولها:

اغْبَرَّ آفاقُ السَّماءِ وَكُوِّرَتْ ... شَمْسُ النَّهَارِ وَأَظْلَمَ الْعَصْرَانِ

الأرضُ مِنْ بعدِ النبيِّ كئيبةٌ ... أسفاً عليهِ كثيرةُ الرَّجَفَانِ

فَلْيَبْكِهِ شرقُ البلادِ وغربُهَا ... ولْتَبْكِهِ مضرٌ وكلُّ يَمانِ

ولْيبكهِ الطَّوْدُ المعظَّمُ جوُّهُ ... والبيتُ ذو الأستارِ والأركانِ

يا خاتمَ الرسْلِ المباركُ ضوؤُهُ ... صلى عليكَ منزل الفرقانِ[1]

وهذه أبيات مشهورة النسبة لفاطمة رضي الله عنها وقد ذكر لها الحصري في زهر الآداب سندا قال: «وحدث أبو بكر بن دريد عن عبد الأول بن يزيد قال: حدثني رجلٌ في مجلسِ يزيد بن هارون بالبصرة قال: لما توفي رسول الله ﷺ دُفِنَ، ورجع المهاجرون والأنصار إلى رحالهم، ورجعت فاطمة إلى بيتها؛ فاجتمع إليها نساؤها، فقالت: (وذكر الأبيات)»[2].

وهذا سند فيه إبهام، وحكم المبهم عدم القبول إلا أن يصرح باسم الراوي المبهم أو يعرف اسمه من طريق آخر. وفي متنه إشكال، لأن هذه الأبيات لا تستقيم إلا لمن عرف بكثرة مزاولة الشعر. ويكفي في ذلك أن نذكر أن ابن رشيق في العمدة[3] فضلها على شعر الكميت في رثاء رسول الله ﷺ وجعلها أنموذجا في هذا الباب يحتذيه الشعراء.

---

(1) منح المدح (ص358).
(2) زهر الآداب (1/ 70).
(3) العمدة (2/ 816).

ولأهل التشيع ولوع بوضع الشعر على لسان آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ومما وضعوه على لسان فاطمة رضي الله عنها حينا، وعلى لسان علي رضي الله عنه حينا آخر، هذين البيتين اللذين ذكرهما ابن سيد الناس وهما:

ماذا علَى مَنْ شَمَّ تربةَ أحمدٍ ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صُبَّتْ عليهِ مصائبٌ لوْ أنها ... صُبَّتْ على الأيامِ صِرْنَ لياليا[1]

وقد شك أحد العلماء بالشعر في هذه الرواية، وهو الآمدي في الموازنة، فقال: «وتمثلت فاطمة الزهراء عليها السلام عند وفاة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فيما روي عنها، ولا أعرف صحته:

صبت علي مصائب لو أنها ... صبت على الأيام عدن لياليا»[2].

فهو عنده - إن ثبتت صحته -، وهو فيها متوقف، قد قيل على سبيل التمثل لا غير. لأن مثل هذا البيت لا يكون لمن لم يُعرفْ عنه اشتغال بشعر ولا طول مزاولة له. وإنما يوفق القائل لمثل هذا بعد طول المكابدة، وكثرة المزاولة، والصبر على المراجعة، وإدمان القول.

> **ثانيا:** خلل سببه ترك الاستشهاد بما صح للشاعر واعتماد ما لم يصح له. فمن ذلك نسبته لحسان أبياتا أولها:

يا ركن معتمر وعصمةَ لائذ ... وملاذ منتجع وجار مجاور[3]

(1) منح المدح (ص358).
(2) الموازنة (1/ 105).
(3) منح المدح (ص73).

وهي أبيات ضعيفة لم يروها رواة ديوان حسان من أهل العلم بشعره كمحمد بن حبيب وعلي بن المغيرة الأثرم وغيرهما[1]. وقد وُضع على حسان شيء كثير، لم يوضع مثله على شاعر في جاهلية ولا إسلام. وأصلُ إثباته لهذه الأبيات رواية جناب الكلبي عن النبي ﷺ «أنه سمعه يقول لرجل ربعة: إن جبريل عن يميني، وميكائيل والملائكة قد أظلت عسكري، فخذ في بعض هناتك. فأطرق الرجل شيئا ثم طفق يقول...(فذكر الشعر وقال: والرجل حسان بن ثابت)»[2]. وهذا طرف من حديث رواه ابن مَنْده من طريق عبد الله بن العلاء عن الزُّهري عن سعيد بن المسيب عن حائط بن جناب الكناني عن أبيه. لذلك قال ابن حجر في الإصابة: «فلعله اختلف في نسبه»[3]. والحديث إلى ذلك ضعيف الإسناد، كما أشار إلى ذلك ابن حجر[4]. فاجتمع له ضعف الإسناد وإنكار أهل العلم بالشعر لمتنه.

ومثل هذا أيضا ما نسبه لعلي رضي الله عنه من أبيات زعم أنه قالها في إجلاء بني النضير وما تقدم ذلك من قتل كعب بن الأشرف منها:

فأصبح أحمدُ فينا عزيزاً ••• عزيز المقامة والموقفِ[5]

ونقلها عنه الصفدي في الوافي بالوفيات مصرحا بذلك. وهي أبيات رواها ابن إسحاق وقال عنها ابن هشام في السيرة: «قالها رجل من المسلمين غير علي بن أبي طالب، فيما ذكر لي بعضُ أهل العلم بالشِّعر، ولم أر أحدا منهم يعرفها لعلي»[6].

(1) رواة الديوان: ديوان حسان بن ثابت. مقدمة المحقق د. سيد حنفي حسنين (ص19 ـ 22).
(2) منح المدح (ص73). والإصابة (1/ 607). رقم الترجمة: 1202.
(3) الإصابة (1/ 607).
(4) نفسه (1/ 606).
(5) منح المدح (188).
(6) السيرة النبوية (3/ 196).

ونسب لعلي رضي الله عنه روايةً عن ابن إسحاق أبياتا ثلاثة زعم أنه قالها يوم بدر أولها:

ألم تــر أن الله أبلى رسـولـه ... بلاءَ عزيز ذي اقتدار وذي فضلِ[1]

ونقلها عنه الصفدي على عادته. وهي أبيات قال عنها ابن هشام: «ولم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها ولا نقيضَتَهَا، وإنما كتبناها لأنه يقال: إن عمرو بن عبد الله ابن جُدعان قُتل يوم بدر، ولم يذكره ابن إسحاق في القتلى، وذكره في هذا الشعر»[2].

ولعل عليا رضي الله عنه من أكثر الصحابة الذين نسب إليهم من الشعر ما لم يقولوه. فقد نُسِبَ إليه ما تمثل به، ونسب إليه ما لم يقله قط، فضلا عن الذي قاله وصحت نسبته إليه. وكأن أهل العلم بالشعر قد احتاجوا إلى التنبيه على كثرة المنسوب إلى علي رضي الله عنه وقلة الصحيح منه. فقال المبرد، مثلا، في الكامل، وقد احتاج إلى ذكر شعر قاله علي رضي الله عنه: «ومن شعر علي بن أبي طالب الذي لا اختلاف فيه أنه قاله وأنه كان يردده...

يـا شـاهد الله عليَّ فـاشـهـدِ ... أني على دين النبي أحـمـدِ

من شك في الله فإني مهتدي»[3].

ولم يكن علي رضي الله عنه مع فصاحته وقوله الشعرَ ممن يكثرُ من قوله وإنشاده، ويفضل عند مواطن الاستشهاد أن يكون بالقرآن أوَّلاً لا بغيره. فمن ذلك قوله لمن قال متمثلا:

جرت الرياحُ على مكان ديارهم ... فكأنـمـا كانـوا على مـيعـادِ

(1) منح المدح (ص188).
(2) السيرة النبوية (3/ 11).
(3) الكامل (3/ 1107).

«فَلِمَ لَمْ تقل كما قال الله جل وعز: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۝ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً ءَاخَرِينَ ﴾»[1]. وقولُـهُ لأب الفرزدق، وقد قال له: إن ابني هذا يقول الشعر.: «علمه القرآن، فهو خير له»[2]. ولكن الشيعة نسبت إليه فأكثرت.

➢ **ثالثا:** خلل سببه نسبته مدح النبي ﷺ إلى من لم يصح له شعر في مدحه ﷺ وإن صح له شعر في غيره.

فترجم لامرئ القيس بن عابس[3]، وهو من شعراء الصحابة المعروفين، غير أنه لم يُعرف له مدح للنبي ﷺ[4].

وترجم لبُجير بن بَجْرَةَ الطائي، وهذا له صحبة، وله شعر في قتال أهل الردة، ولكن لم يُرْوَ له شعر صريح في مدح النبي ﷺ[5]. وليس في البيتين اللذين ذكرهما له مدحٌ، وهما قوله:

تبارك سائق البقرات إني ... رأيتُ الله يهدي كل هادِ
فمن يك حائدا عن ذي تبوك ... فإنا قد أمرنا بالجهادِ[6]

---

(1) الأغاني (13/ 18 ـ 19).
(2) نفسه (21/ 395).
(3) منح المدح (ص47ـ49).
(4) ترجمته وشعره في كتاب أخبار المراقسة وأشعارهم لحسن السندوبي (ص369 ـ 378).
(5) ترجمته في الإصابة (1/ 401ـ402). رقم الترجمة: 589. وأسد الغابة (1/ 350ـ351). رقم الترجمة: 363.
(6) منح المدح (ص53).

ولعله كان مع هذين البيتين أبيات أخرى لم يذكرها الرواة، ولم تحفظ عنه، لقول بجير: «فلما أتينا النبي ﷺ أنشدته أبياتا منها..». وذكر قوله: تبارك سائق البقرات..[1]

وذكر لتميم بن الأسد الخزاعي بيتا واحدا، ليس فيه صريح مدح، وليس يُعرف له معه غيره. وإنما رُويت له أبياتٌ في غير مدح رسول الله ﷺ ونصرة الإسلام، وقع الخلاف في نسبتها مع ذلك[2]. وهذا البيت هو قوله:

وفي الأصنام معتبر وعلم ❊❊❊ لمن يرجو الثواب أو العقابا[3].

وذكر الحارث بن هشام رضي الله عنه[4] ولا يعرف له شعر صريح في مدح رسول الله ﷺ، وإن نُسِبَ إليه شعر في نصرة الإسلام. فإن كان هذا هو المقصود بالترجمة، أي السابقة في الإسلام، والثبات على الأمر، فإنه قد ترجم لحريث بن زيد الخيل بن مهلهل الطائي[5]، وهو الذي قتل رسولَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بابن عم له وفر إلى الشام في قصة ذكرها الأصفهاني في الأغاني[6]، ونقلها عنه ابن حجر في الإصابة[7]. وقصيدته في ذلك: ألا بكر الناعي بأوس بن خالد، مشهورة، وهي من شعر الحماسة[8].

---

(1) الإصابة (1/ 402).

(2) السيرة النبوية (4/ 391ـ392).

(3) منح المدح (ص55). والإصابة (1/ 487). رقم الترجمة: 835. وأسد الغابة (1/ 427). رقم الترجمة: 513. والسيرة النبوية (4/ 417).

(4) منح المدح (ص75ـ76).

(5) نفسه (ص 77).

(6) الأغاني (17/ 269).

(7) الإصابة (2/ 298ـ299). رقم الترجمة: 332 ز.

(8) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (2/ 846ـ849). وشرح ديوان الحماسة للأعلم (1/ 550ـ551).

> رابعا: خلل سببه خلط بين الشعراء، ونسبة الشعر لأكثر من واحد دون فصل في الأمر أو تحقيق. وليس من هذا الباب في نظرنا الترجمة لشخص واحد في مكانين مختلفين إذا كان هناك خلاف بين أهل العلم في اسمه، وذلك كابن مُكْعِت الأسدي حيث من العلماء من ذكر أن اسمه هو الحارث بن عمرو الأسدي، ومنهم من ذكر أن اسمه هو عُرْفُطة بن نَضْلة[1]، فترجم له ابن سيد الناس لذلك في مكانين من كتابه[2]. فهذا منهج قد جروا عليه في كتبهم. وإن كان يؤخذ على ابن سيد الناس تركه التحقيق في مثل هذه المسألة. وإنما يعد من هذا الباب أن يترجم لأكثر من صحابي، وينسب للجميع شعرا واحدا دون تحقيق في المسألة أو بيان. وذلك كالشعر الذي فيه:

أتيناك كيما يعرفَ الناسُ فضلنا ⁂ إذا خالَفتُنَا عند ذكر المكارمِ

فقد ذكر بسببه الأقرع بن حابس[3]، وعطارد بن حاجب بن زرارة[4]. والشعر مع ذلك قد يروى للزبرقان، ولم يذكره فيما ذكر له من شعر.

ويظهر من قصة هذا الشعر كما أوردها ابن هشام في السيرة النبوية[5]، أنه أقرب إلى أن يكون لغير الأقرع، لقوله فيها: «وأبي، إن هذا الرجل لمؤتى له، لخطيبه أخطب من

---

(1) الإصابة (7/ 316). رقم الترجمة: 10566. وأسد الغابة (6/ 284). رقم الترجمة: 6256. و(6/ 292-293). رقم الترجمة: 6275. وقد ترجم له ابن الأثير تحت اسم أبي مصعب الأسدي، وتحت اسم أبي مكعت. والصواب الثانية، وإنما الأولى تصحيف من أبي نعيم، كما بين ذلك ابن الأثير في أسد الغابة وابن حجر في الإصابة.

(2) منح المدح (ص83-84 و219-220).

(3) نفسه (ص46-47).

(4) نفسه (ص213-215).

(5) السيرة النبوية (4/ 565-566).

خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا..»[1]. فهذه عبارة يقصد بها غيره لا نفسه. فهو إذن للزبرقان، كما في سيرة ابن هشام أو لعطارد بن حاجب كما في الأغاني[2].

ولم يُنسب للأقرع في الإصابة شعر[3]، غير أنه قد نُسِبَ له هذا الشعر في أسد الغابة[4] في حديث طويل تفرد بروايته بأشعاره المعلى بن عبد الرحمن بن الحكم الواسطي.

وهؤلاء الثلاثة أي الزبرقان وعطارد والأقرع كانوا جميعا في وفد من أشراف تميم قدم على النبي ﷺ بعد فتح مكة.

فأما عطارد فيُذكر في الخطباء، وإن كان له شعر. قال الجاحظ في البيان: «ومن خطباء العرب: عطارد بن حاجب بن زرارة، وهو كان الخطيبَ عند النبي ﷺ»[5]. وإنما يذكر في الشعراء الزبرقان، وهو كان أولى أن يجعل هذا الشعر في ترجمته. وقد بين عبدالرحيم العباسي في معاهد التنصيص هذا الأمر فقال، بعد أن ذكر بيتين لحسان: «البيتان..من قصيدة من البسيط قالها حين قدم وفد تميم على النبي ﷺ، وفيهم الأقرع ابن حابس، والزبرقان بن بدر، وعطارد بن حاجب، وأرادوا المفاخرة بخطيبهم، وهو عطارد، وشاعرهم، وهو الزبرقان، في خبر طويل»[6]. وهذا الذي ذكره هو ما ذكره محمد بن إسحاق وابن هشام ونقله عنهما النويري في نهاية الأرب[7].

---

(1) السيرة النبوية (4/ 567).

(2) الأغاني (4/ 150).

(3) الإصابة (1/ 252-254).

(4) أسد الغابة (1/ 266-267).

(5) البيان (1/ 328).

(6) معاهد التنصيص (3/ 6).

(7) نهاية الأرب (18/ 33-38).

ومثال آخر على هذا الأمر، حيث ذكر فيمن مدح النبي ﷺ أَسِيد بن أبي أُناس[1] لمجرد أن ابن الأثير في أسد الغابة[2] نسب له أبياتا اختلف العلماء في نسبتها، وهي الأبيات التي أولها:

أأنت الذي تُهْدَى معدٌّ بأمره ... بل الله يهديها وقال لك: اشهد.

وقد ذكرها هو نفسه لأنس بعد ذلك[3]. ثم ذكرها لأبي أناس الدؤلي وقال: وعمه سارية بن زُنَيْم[4]. وهي لأنس في السيرة النبوية لابن هشام[5]، وخزانة البغدادي[6]. ولقرة بن هبيرة في جمهرة أشعار العرب[7]. ولسارية بن زنيم في المستطرف[8].

وأنس أخو سارية، وهو يضاف إلى جده كما في الخزانة، فهو «أنس بن أبي أناس الكناني بن زُنَيْم بن مَحْمِيَةَ بن عَبْد بن عدي بن الدِّيل»[9]. وهو الذي وُصِفَ بأنه شاعر مشهور حاذق[10]. فهذه الأبيات في جودتها أولى أن تنسب له[11].

---

(1) منح المدح (ص44).

(2) أسد الغابة (1/ 236ـ237).

(3) منح المدح (ص45ـ46).

(4) المصدر نفسه (ص 50).

(5) السيرة النبوية (4/ 424ـ425).

(6) خزانة الأدب (6/ 473ـ474).

(7) جمهرة أشعار العرب (39ـ40).

(8) المستطرف (1/ 328).

(9) خزانة الأدب (6/ 473).

(10) الخزانة (6/ 473).

(11) في جوانب من جودتها الروض الأنف (4/ 190ـ191).

وهذا النسب الذي ذكر في الخزانة لأنس هو نفسه الذي ذكر في أسد الغابة لأسيد[1]، فهمـا أخوان إذن.

وذكر دعبل في طبقات الشعراء لأسيد ابنا هو أنس بن أسيد ونسب له بيتـا مـن هـذه القصيدة، فنسبه عنده هو أنس بن أَسِيد بن أبي أناس بن زُنيم الكنـاني. وصـحح ذلـك ابن حجر في الإصابة فقال: «وهذا البيت من قصيدة أنس بن زُنيم..على الصواب، وأبو أناس أخوه لا جده، والله أعلم»[2]. وقال عن أنس بن زُنيم: «وهذا أخو أَسـيد بـن أبي أناس لا عمه؛ فلعله سُمي باسمه. وأنس بن زُنيم أخو سارية بن زنيم»[3].

فظهر أنهم ثلاثة إخوة، ذكرهم ابن سيد النـاس جـميعا، ونـسب هـذا الـشعر لهـم، وهم: أنس وأَسِيد وسارية. والصحيح أن هذا الشعر لأنس.

ومن هذا الباب أيضا أن يأخذ بغير رأي أهل العلم بالشعر في ضبط الاسم أو النسبة. فنسب إلى أعشى بني مـازن أبياتا مـن الرجـز، متبعـا أصـحاب الحـديث في ذلـك[4]، وعلمـاء الشعر مطبقون على أنه ليس في بني مـازن أعشى. وهم ينسبون الأبيات التـي ذكرها لأعشى بني الحرمـاز.

---

(1) أسد الغابة (1/ 236).

(2) الإصابة (1/ 390).

(3) المصدر نفسه (1/ 273). يقصد أنهم جعلوا نسب أنس هو أنس بن زُنيم، ونسب أَسِيد هو أَسِيد بن أبي أناس بن زُنيم، فيكون أنس بذلك عمـا لأسيد، وأخا لابن أبي أناس، وذلك غير صحيح فهمـا أخوان. وسبب هذا الإشكال هو مـا ذكر في الخزانة من إضافتهم له لجده. وهذا أقـرب مـن قولـه في الإصـابة: فلعله سمي باسمه. أي فلعل أنسا سمي باسم عمه، فظنوا المقصود العم لا ابن الأخ.

(4) قال في الإصابة، نقلا عن الآمدي: «أهل الحديث يقولون المـازني. وإنمـا هو الحرمـازي؛ وليس في بنـي مـازن أعشى». الإصابة (4/ 8).

وهذه الأبيات هي قوله:

يـا مـالك النـاس وديَّـانَ العـربْ ... إليـك جـاني اليـومَ شـانٌ وأَرَبْ
إني لقيـتُ ذربَـةً مـن العـربْ ... عـدوتُ أبغيهـا الطعـامَ في رَجَـبْ
أكمـهُ لا أبـصر عُقْـدَةَ الحَقَـبْ ... لا أبـصر الـصاحب إلا مـا اقتـربْ
فخلفَتْـني في نـزاعٍ وكَـرَبْ ... وهـن شرُّ غالـبٍ لـمن غلـبْ[1]

فهذا رجز ذكر ثعلب عن ابن الأعرابي أنه «للأعور بنِ قُـراد بـنِ سـفيان، مـن بنـي الحِرْمـاز، وهو أبو شيبان الحِرْمـازِي، أعشى بنـي حِرْمـاز»[2]. إلا أن لابـن الأثـير في «أسد الغابة» توجيها لهذه المسألة قال:«...إلا أن أبـا عمـر قـال: الحِرْمـازِي المـازني، وليس في نسب الحرمـاز إلى تـميم مـازنٌ..فإذن يكون الحرمـاز بطنا من مـازن..وقـد جرت عادتهم ينسبون أولاد البطن القليل إلى أخيه إذا كان مشهورا»[3]. وقد أخذ بهـذا التوجيه ابن حجر في الإصابة فقال: «الأعـشى المـازني، ويقـال الحِرْمـازي؛ ومـازن وحرمـاز أخوان من بني تـميم»[4].

---

(1) منح المدح (ص42-43). والشطر الأخير، وهو قوله: وهـن شر غالـب لمـن غلـب. نـسبه الجـاحظ في البيان(3/ 204). للنِّلْبِ اليمـاني. وقد نسب ابن سيد الناس هذه الأبيات بعد ذلـك لرجـل يقـال لـه: شجاع بن الحارث السدوسي، لا يعرف له ذكر إلا من خلال هذه القصة. منح المدح (ص127-128). والإصابة (3/ 255-256). رقم الترجمة: 3858.

(2) اللسان. مـادة (ذرب) (1/ 386). قلت: الأعور بن قراد الذي ذكره ثعلب عن ابن الأعرابي هـو والـد الأعشى، فهو عبد الله بن الأعور بن قراد، كمـا في الإصابة (4/ 8).

(3) أسد الغابة (1/ 257).

(4) الإصابة (1/ 246).

ويضم إلى هذا الضرب من قلة الضبط خلطه بين رجلين، ومثال ذلك ترجمته لأُصَيْدَ ابن سَلَمَةَ الكلابي حيث خلط بينه وبين أصيدَ بن سَلَمَة السلمي[1]. ويروى للثاني شعرٌ تجده في الإصابة[2]، وأسد الغابة[3]، وليس للذي ترجم له هو شعرٌ. والشعر الذي نسبه له للسلمي. ووالد أصيد السلمي أسلم، أما أب أصيد الكلابي فقد قُتل على كفره. وقد ذكر ابن سيد الناس الروايتين معا وجعلهما روايتين مختلفتين رويتا فيما حصل لوالد أصيد. وليس الأمر كذلك. وهذا الخلط كان قبل ابن سيد الناس. قال في الإصابة: «..استدركه ابن فتحون، ونقله ابن شاهين، عن محمد بن إبراهيم، عن محمد ابن يزيد، عن رجاله؛ ولكنه خَلطه بالذي قبله، والصواب التفرقة». ولا يُعرف ـ مع ذلك ـ لأصيد غير هذا الشعر، ولا يرد اسمه إلا في هذه القصة.

> **خامسا**: خلل سببه الحرص على تكثير التراجم بالترجمة لمن لم تثبت له صحبة ولا رؤية. فترجم للحارث بن عبد كُلال[4]، وليست للحارث صحبة ولا رؤية، كما بين ذلك ابن الأثير في أُسد الغابة[5]. وإن ذكر الهمداني في «الأنساب» غير ذلك. قال ابن حجر: «والذي تضافرت به الروايات أنه أرسل بإسلامه، وأقام باليمن»[6].

وترجم لقوم لا نكاد نعرف لهم ترجمة، ولم يثبت لهم شعر في مدح رسول الله ﷺ، فضلا عن أن تُعْرَفَ لهم صحبة، منهم: جعونة بن مرثد الأسدي[7].

---

(1) منح المدح (ص40ـ41).

(2) الإصابة (1/ 243).

(3) أسد الغابة (1/ 254).

(4) منح المدح (ص85ـ86).

(5) أسد الغابة (1/ 622). رقم الترجمة: 922.

(6) الإصابة (1/ 678). رقم الترجمة: 1445. وبيان ذلك في السيرة النبوية (4/ 588ـ590).

(7) منح المدح (ص65).

فهذا لا يعرف عنه إلا أنه أسدي قال أبياتا يخاطب بها بني أسد في ردتهم مع طليحة ابن خويلد[1].

ونقل عن وثيمة أبياتا ثلاثة نسبها لحُبَيْش الأسدي. وليس في قصته ما يقتضي أنه لقي النبي ﷺ، كما أشار إلى ذلك ابن حجر في الإصابة[2].

ونسب للجحاف بن حكيم الأبيات التي أولها:

شهدن مع النبي مسومات ... حُنَيْناً وهي دامية الحوامي

وزعم أن له صحبة[3].

---

(1) الإصابة (1/ 637). رقم الترجمة: 1297. وترجم لأوس بن مغراء وذكر له شعرا، وسماهُ أوس بن معن القريعي (منح المدح.49-50) والعلماء مجمعون على أن الترجمة والشعر معا لأوس بن مغراء، وفيه هذا البيت المشهور له جدا، وهو قوله:

لعمرك ما تبلى سرابيل عامرٍ ... من اللؤم ما دامت عليها جلودُهَا

(انظر في ذلك مثلا: الأغاني (5/ 12)، والعمدة (2/ 854)، وطبقات فحول الشعراء(1/ 125-126)، والموشح (ص85)، ونقد الشعر (ص116). والمغراء أبوه. فهو كما في اللآلي أوس بن مغراء أحد بني جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. (اللآلي 2/ 795) وفي السيرة النبوية لابن هشام أنه جده، فهو عنده: أوس بن تميم ابن مغراء السعدي. (السيرة النبوية1/ 121). ولم يجعل أحد من العلماء اسم أبيه مَعْناً.

وليس في الشعراء شاعر اسمه أوس بن معن، وإنما هناك معن بن أوس المزني، وهو مخضرم غير أنه لا تُعرف له صحبة. والغالب أن الخطأ من المحققة لا من المؤلف، فقد نقل عنه ابن حجر في الإصابة ولم يذكر إلا أنه أوس بن مغراء القريعي. قال:«وله شعر يمدح به النبي ﷺ أورده ابن سيد الناس في كتاب الصحابة الذين مدحوا المصطفى، وأنه مخضرم، ومنه:

محمد خير من يمشي على قدم ... وصاحباه وعثمانُ بنُ عفانا». (الإصابة1/ 358).

قلت: وهذه الرواية التي نقلها عن ابن سيد الناس أدخل في باب المدح من الرواية التي توجد في النسخة المطبوعة من الكتاب، وهي:

منا النبي الذي قد عاش مؤتمنا ... وصاحباه وعثمانُ بن عفانا. (منح المدح ص49).

(2) الإصابة (2/ 142). رقم الترجمة: 1954ز.

(3) منح المدح (ص66).

ولا شك أنه إن ثبتت هذه الأبيات للجحاف فإن الصحبة لا تثبت له يقينا. فقد وُلِدَ بعد النبي ﷺ بزمانٍ. وهذه أبيات، إن صحت له، إنما يعني بها خيل قومه بني سُلَيْم، كما ذكر ابن سلام في طبقات فحول الشعراء[1]، ونقل عنه ذلك ابن حجر في الإصابة[2]. وإن كان في بعض هذا الخبر الذي نقله إشكالٌ، وذلك في قول ابن سلام: «وذكرتُ ذلك لعبد القاهر بن السَّرِيِّ فقال: جدي قيسُ بن الهيثم أعطى حكيم بن أمية جاريةً ولدتْ له الجحاف في غرفةٍ في دارنا»[3]. وقد نبه على هذا الإشكال محقق الطبقات الشيخ محمود شاكر ـ رحمه الله تعالى ـ. وذلك أنه ليس في نسب الجحاف أمية[4].

وقد نسب هذه الأبيات ـ بعد ذلك ـ لِحَرِيش بن هلال القريعي[5]، ولا دلالة فيها على صحبته، كما بين ذلك ابن حجر في الإصابة[6]. ثم نسبها لخفاف بن ندبة السلمي[7]. غير أنه لم يذكرها في ترجمة العباس بن مرداس السلمي[8]، وهو ممن تنسب هذه الأبيات لهم[9]، وصحبته لا شك فيها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(1) طبقات فحول الشعراء (1/ 482).
(2) الإصابة (1/ 644). رقم الترجمة: 1330. والخطأ هنا إما في نسبة هذا الشعر للجحاف، وإما في جعله متعلقا بأحداث الفتح. وهذا كله قديم وقع فيه قبل ابن سيد الناس ابن إسحاق ومن نقل عنه. السيرة النبوية (4/ 432ـ433). وأسد الغابة (1/ 519). رقم الترجمة: 704.
(3) طبقات فحول الشعراء (1/ 482).
(4) تفصيل هذا الإشكال في المصدر السابق (1/ 482). هامش:4.
(5) منح المدح (ص81ـ82).
(6) الإصابة (2/ 177). رقم الترجمة: 2092.
(7) منح المدح (ص88).
(8) نفسه (ص193ـ195).
(9) شرح المرزوقي للحماسة (1/ 139). وشرح الأعلم لها (1/ 353).

فهرس المصادر والمراجع

- أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ عز الدين ابن الأثير(ت630هـ)، تحقيق: علي محمد معوض ـ عادل أحمد عبد الموجود. دار الكتب العلمية ـ بيروت. ط2/2003م-1424هـ
- الإصابة في تمييز الصحابة. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت852هـ)، تحقيق: علي محمد معوض ـ عادل أحمد عبد الموجود. دار الكتب العلمية ـ بيروت. ط.3/2005م-1426هـ
- الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني (ت356 هـ)، من ج: 1 إلى ج: 16. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب)؛ من ج:17 إلى ج:24. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. دار الكاتب العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ـ عبد الكريم إبراهيم العزباوي ـ علي النجدي ناصف ـ محمود محمد غنيم ـ علي السباعي ـ عبد العزيز مطر، طبعت هذه الأجزاء بين: 1389هـ/1970م. و1394هـ/1974م.
- بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد. القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي(ت544 هـ)، تحقيق: صلاح الدين بن أحمد الإدلبي ـ محمد الحسن أجانف ـ محمد عبدالسلام الشرقاوي. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المملكة المغربية. 1395هـ/1975م.
- البيان والتبيين .الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، ت255هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون. دار الفكر ـ بيروت. ط/4.
- تجلي غرر المعاني عن مثل صور الغواني والتحلي بالقلائد من جوهر الفوائد في شرح الحماسة. الشنتمري (أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم ت476هـ)، تحقيق: د. علي المفضل حمودان. مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي ـ دار الفكر ـ بيروت. ط: 1/1413هـ-1992م.

- التمثيل والمحاضرة. أبو منصور الثعالبي(ت429 هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو. الدار العربية للكتاب.
- توثيق قصيدة بانت سعاد في المتن والإسناد. د. سعود بن عبد الله الفنيسان، مكتبة الرشد ـ الرياض.ط. 1 /1420هـ-1999م.
- الجرح والتعديل. عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي(ت327 هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا. دار الكتب العلمية ـ بيروت. ط.1/1422هـ-2002م.
- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام. محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق: علي محمد البجاوي. دار نهضة مصر ـ القاهرة.
- جمهرة الأمثال (كتاب جمهرة الأمثال). أبو هلال العسكري. (ت بعد:395هـ)، ضبطه: د. أحمد عبد السلام .خرج أحاديثه : محمد سعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ـ بيروت. ط: 1/1408هـ- 1988م .
- حلية المحاضرة في صناعة الشعر. الحاتمي (أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر ت388هـ)، تحقيق: د. جعفر الكتاني. دار الرشيد للنشر ـ العراق /1979م .
- الحماسة البصرية. صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري(ت656هـ)، تحقيق: د. عادل سليمان جمال. مكتبة الخانجي - القاهرة. ط.1/1420هـ-1999م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. عبد القادر بن عمر البغدادي(ت1093هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، ط.4/1418هـ-1997م.
- ديوان حسان بن ثابت.(ت54 هـ). تحقيق: د. سيد حنفي حسنين. دار المعارف.
- رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة. أبو القاسم السبتي (محمد بن أحمد ت760هـ)، تحقيق: محمد الحجوي. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المملكة المغربية1418هـ/1997م .
- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام. أبو القاسم السهيلي(ت581هـ). دار الكتب العلمية ـ بيروت. ط. 1.

- زهر الآداب وثمر الألباب. الحصري القيرواني (أبو إسحاق إبراهيم بن علي ت453هـ)، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم: د. زكي مبارك. حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه: محمد محيي الدين عبد الحميد . دار الجيل ـ بيروت. ط.1972/4م.
- زهر الأكم في الأمثال والحكم. الحسن اليوسي.(ت1102هـ)، تحقيق: د. محمد حجي ود. محمد الأخضر.دار الثقافة ـ الدار البيضاء. ط.1/1401هـ-1981م.
- سمط اللآلي المحتوي على اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري الأونبي. الميمني الراجكوتي (عبد العزيز ت 1398هـ-1978م)، لجنة التأليف والترجمة والنشر 1354هـ/1936م .
- السيرة النبوية. ابن هشام(ت213هـ)، تحقيق: مصطفى السقا ـ إبراهيم الأبياري ـ عبد الحفيظ شلبي. المكتبة العلمية ـ بيروت.
- شرح ديوان الحماسة. أبو علي المرزوقي.(ت421هـ)، نشره: أحمد أمين ـ عبدالسلام هارون. دار الجيل بيروت. ط.1/1411هـ-1991م.
- شرح ديوان كعب بن زهير.(ت26هـ) صنعة أبي سعيد السكري(ت275هـ)، دار الكتب والوثائق القومية ـ القاهرة. ط 3 /1423هـ-2002م.
- شرح ديوان امرئ القيس ويليه أخبار المراقسة وأشعارهم وأخبار النوابغ وآثارهم في الجاهلية وصدر الإسلام. جمعها وقدم لها: حسن السندوبي. راجعها وشرحها: أسامة صلاح الدين منيمنه، دار إحياء العلوم. بيروت. ط1 /1410هـ-1990م.
- شعر السيرة النبوية: دراسة توثيقية. د. شوقي رياض أحمد. دار المامون ـ القاهرة. ط.1/1987م.
- الشعر والشعراء. ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت276هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر. دار المعارف ـ القاهرة 1982م.
- طبقات فحول الشعراء. ابن سلام (أبو عبد الله محمد ت231هـ)، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر. مطبعة المدني ـ القاهرة/1974م .

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه. ابن رشيق (أبو علي الحسن ت456هـ)، تحقيق: د.محمد قرقزان. دار المعرفة ـ بيروت .ط: 1 /1408هـ-1988م .
- فيض القدير شرح الجامع الصغير. عبد الرؤوف المناوي (ت1031هـ).
- قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي. د. السيد إبراهيم محمد، المكتب الإسلامي. ط. 1406/1هـ-1986م.
- الكامل. أبو العباس محمد بن يزيد المبرد.(ت285هـ)، تحقيق: د. محمد أحمد الدالي. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط. 3 /1418هـ-1997م.
- كتاب الأمثال. أبو عبيد القاسم بن سلام.(ت224 هـ)، تحقيق: د. عبد المجيد قطامش. دار المامون للتراث. دمشق ـ بيروت. ط.1400/1هـ-1980م.
- كعب بن مالك الأنصاري الصحابي الشاعر الأديب. د. محمد علي الهاشمي، دار البشائر الإسلامية. ط. 1405/1هـ-1985م.
- لسان العرب المحيط. ابن منظور المصري (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت711هـ) دار صادر ـ بيروت .
- مجمع الأمثال. أبو الفضل الميداني.(ت 518هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد.دار الفكر. ط.1393/3هـ-1972م.
- المستطرف في كل فن مستظرف. شهاب الدين الأبشيهي(ت850هـ)، دار مكتبة الحياة ـ 1411هـ/1990 م.
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. العباسي (عبد الرحيم بن أحمد ت963هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. عالم الكتب ـ بيروت.(طبعة مصورة عن طبعة سنة:1947م).
- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب). ياقوت الحموي الرومي.(ت626هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط. 1993/1م.
- منح المدح. ابن سيد الناس.(ت732هـ). تحقيق: عفت وصال حمزة، دار الفكر ـ دمشق. ط.1 /1407هـ-1987م.

- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري. الآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى ت.370هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر. دار المعارف. ط: 4.
- نهاية الأرب في فنون الأدب. شهاب الدين النويري (ت733هـ)، السفر الثامن عشر. مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة. ط. 1374/1هـ-1955م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان(ت681هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس. دار الثقافة. بيروت/1968م.

المحور الثالث

الصحابة في الدراسات القرآنية عند علماء الغرب الإسلامي

تراث الصحابة رضي الله عنهم في الدرس القرآني عند علماء الأندلس

د. حسن الوراكلي

ملخص البحث

عرّف القرآن الكريم بقدر الصحابة العالي، فقال عز من قائل﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ وأثنى رسول الله ﷺ على منزلتهم السنية، فقال: «والذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه». وبذا عُلِم أمرهم وشُهر بِرّهم كما قيل بحق.

وقد وعى المسلمون كافة هذه المكانة الرفيعة التي بوأها الكتاب والسنة صحابة رسول الله ﷺ فمحضوهم وافر مودة واتخذوهم خالص قدوة.

وكان من ثمرات المنظومة المعرفية والأخلاقية والسلوكية التي صاغت شخصية الصحابي ونسجت سيرته تراث خصب غَرف منه علماء الأمة وأدباؤها في المشرق والمغرب ما شاءوا من علم ثابت، وعمل بان، وخُلق هاد.

ومن ذلك التراث ما اتصل بالنص القرآني تأريخا وتفسيرا وقراءة وإعجازا أفاد منه المشتغلون من العلماء بالتفسير وبغير التفسير من علوم القرآن الكريم.

وتجتهد هذه الورقة في الكشف عن شواهد من ذلكم التراث استثمرها علماء الأندلس في درسهم القرآني.

وقد أفردت لذلك فقرات أربعة يسبقها تمهيد ويعقبها ختام، وذلك على النحو التالي:

- تمهيد في مصطلح التراث.
- تراث الصحابة في الدرس القرآني لدى الأندلسيين:
  - في التأريخ للنص القرآني.
  - في تفسير النص القرآني.
  - في بلاغة النص القرآني.
  - في قراءة النص القرآني.
  - في مبهم النص القرآني.
- خاتمة.

الباحث في سطور

الدكتور حسن الوراكلي alwaragli@hotmail.com

- من مواليد مدينة تطوان عام 1941م.
- أستاذ جامعي بقسمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكليتي الآداب بتطوان ووجدة.
- دكتوراه الدولة في الآداب الأندلسية ـ جامعة مدريد المركزية.
- شغل مناصب علميةً عديدة في الجامعات والمراكز العلمية بمكة المكرمة وغيرها.
- كتب في العديد من الصحف والمجلات الثقافية، والأدبية، والدعوية مغربية ومشرقية، ونشر بحوثه وتحقيقاته ومترجماته في صحف ومجلات محكمة عديدة، وشارك في ندوات ومؤتمرات علمية وأدبية وفكرية عديدة وطنية ودولية.
- نشر أعمالا علمية وفكرية وأدبية عديدة، منها:
  - شيوخ العلم وكتب الدرس في سبتة.
  - المقامات اللزومية لأبي طاهر السرقسطي (تحقيق وتقديم).
  - وشي وحلي (كلمات وفاء وحب في رجالات عرفتهم).
  - المسلمون وأسئلة الهوية.

تقـــدم

عرف القرآن الكريم بقدر الصحابة المنيف، فقال عزمن قائل ﴿وَالسَّـٰبِقُون ٱلأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَالأَنصارِ وَالذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[1]، وأثنى رسول الله ﷺ على منزلتهم السنية، فقال كما في صحيح البخاري «والذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» وبذا علم أمرهم وشهر برهم كما قيل بحق.

وقد وعى المسلمون هذه المكانة الرفيعة التي بوأها الكتاب والسنة صحابة رسول الله ﷺ فمحضوهم وفير مودة واتخذوهم رفيع قدوة.

وكان من ثمرات المنظومة العلمية والسلوكية التي صاغت شخصية الصحابي ونسجت سيرته تراث خصب غرف منه علماء الأمة وأدباؤها في المشرق والمغرب ما شاءوا من علم هاد، وعمل بان.

وتجتهد هذه الورقة في الكشف عن شواهد من ذلكم التراث استثمرها علماء الأندلس في درسهم القرآني.

وقد أفردت لذلك فقرات ثلاثة يسبقها تمهيد ويعقبها ختام، وذلك على النحو التالي:

أ ـ في التأريخ للنص القرآني.

ب ـ في تفسير النص القرآني.

ج ـ في مبهم النص القرآني.

---

(1) سورة التوبة: الآية 100.

-أ-

قبل أن ننظر في استمداد علماء الأندلس في درسهم القرآني من تراث الصحابة واستبيان مناهجهم في ذلك يجدر بنا أن نجيب عن سؤالين، أولهما سؤال المراد عندنا بتراث الصحابة بخاصة، ثم نردفه بالسؤال عن مفهوم للتراث نعالج في ضوئه مباحث فقرات هذه الورقة.

أما مرادنا بتراث الصحابة فهو كل ما أثر عنهم من نظر وفعل. وهو بهذا ذو بعدين:

أولهما: بعد نظر وعلم، وهو المعبر عنه بـ (قول الصحابي) في تفسير، أو سبب نزول، أوفتوى، أو قضاء.

وثانيهما: بعد عمل وسلوك تجسد في جهودهم الموصولة التي استرخصوا فيها أموالهم وأنفسهم لنشر رسالة الاستواء وترسيخ كلمة الاهتداء.

ويهمنا من بُعدي هذا التراث في هذه الورقة البعد الثاني، أي بعد النظر والعلم، ويهمنا منه بخاصة ما تعلق بالدرس القرآني.

وأما مفهوم التراث الذي ستهتدي هذه الورقة به فهو الذي استخلصناه من معاني التراث المعجمية ومن دلالاته الفكرية، فإن لكلمة التراث في لسان العرب معاني، منها معنى الإرث؛ أي ما يخلفه المرء لذويه من تركة يرثها بعضهم عن بعض قدما. ومنها معنى الأصل، أي الأمر القديم الذي يتوارثه الآخر عن الأول على نحو ما يستفاد من قول الرسول ﷺ لأهل عرفة «اثبتوا على مشاعركم هذه فإنكم على إرث من إرث إبراهيم» رواه الترمذي وابن ماجة. ومن معانيها معنى توريث النار، أي إيقادها بإذكاء جذوتها نفخا فيها أو تنحية لما علاها من رماد.

ففي المعنيين الأول والثاني ما يوحي باتصال الأجيال من خلال تعقيب هذا الإرث أو ذاك الأصل في أفرادها خلفا عن سلف. وفي المعنى الثالث ما يوحي بفكرة الانبعاث الحضاري الذي هو أشبه شيء، حين يغير الحاضر وفق ثوابته الموروثة، بتوريث النار إذ يحرك ما كمن من جذوات متقدات تحت رمادها.

واتصال الأجيال بتعقيب الإرث يستدعي - فيما يستدعي من وشائج عقلية وشعورية تمتن حبل الاتصال - مرجعية تصورية تتوحد وفق ثوابتها ومقاصدها دون أن يمنعها هذا التوحد من الاختلاف في الفهم والتطبيق.

وما يصل بين الأجيال المسلمة هو الوحي المتضمن العقيدة والشرعة والمنهج، ولا نقول عن الوحي تراثا، ولكن نقول إنه منبع التراث عند المسلمين الذي هو فهمهم إياه. وهو كأي تراث يساءل ويناقش، ويؤخذ منه ويرد، والعكس لا يصح ﴿وَمَا كَانَ لِمُومِنٍ وَلاَ مُومِنَةٍ إِذَا قَضَى أَللَّهُ وَرَسُولُهُۥ أَمْراً اَن تَكُونَ لَهُمُ اُلْخِيَرَةُ مِنَ اَمْرِهِمْ﴾[1].

فهل يندرج في ضوء هذا المفهوم للتراث ما أسميناه بتراث الصحابة باعتباره فهما لمرجعيتهم التصورية - أي الوحي المتضمن العقيدة والشرعة والمنهج - وتفاعلا معها فيما بلوره علمهم وجسده عملهم يساءلون فيه ويناقشون، ويؤخذ منهم ويرد؟

للعلماء في الإجابة عن هذا السؤال مذاهب:

مذهب يرى أصحابه أن تراث الصحابة أو قولهم في التفسير من قبيل المرفوع. وقصر بعضهم المرفوع على أسباب النزول. قال السخاوي في شرح بيت العراقي من ألفيته:

وعد ما فسره الصحابي ✿✿✿ رفعا فمحمول على الأسباب.

---

(1) سورة الأحزاب: الآية 36.

(وأمـا «عد مـا فسره الصحابي» الذي شاهد الوحي والتنزيل من آي القرآن(رفعـا) أي مرفوعا. وقوله «فمحمول على الأسباب» للنـزول ونحوهـا مـمـا لامجال للـرأي فيه)[1] ومعناه مـا تعلق من قوله في أسباب النزول يعتبر محمـولا، وبـذلك يخـرج عـن كونه قولا للصحابي، وإنمـا يعد رواية للصحابي عن رسول الله ﷺ، وبهذا يخرج عمـا سميناه (تراث) الصحابي.

ومذهب آخر اعتبر أصحابه تراث الصحابة القولي حجة هي ثمرة اجتهاد مبني على مـا اختصوا به عن سواهم من قرائن الأحوال بجانـب وقـوفهم عـلى أسـباب النـزول وتـمكنهم من اللسان العربي لاسيمـا علمـاؤهم وكبراؤهم فهم أقوى الناس استنباطا واجتهادا)[2].

وخلافا لهذا المذهب وذاك ذهب فريق ثالث إلى إدراج تـراث الـصحابة في التفـسير ضمن الموقوف معتبرين إياه فهمـا للنص قابلا للنظر أو هو بعبارتنا من الكـلام الـذي يؤخذ منه ويرد بالمساءلة والمناقشة. وهذا مـا عبر عنه أبو حنيفة بقولـه «مـا جـاء عـن النبي ﷺ فهو على الرأس والعين، ومـا جاء عن الصحابة تخيرنا»[3]. بل ذهب ابن حزم إلى أبعد من هذا حين حصر مصادر التفسير عنده في قوله «ولا يجوز أن يفسر كـلام الله تعالى إلا بكلامه، أو بكلام رسول الله ﷺ، أو بلغة العرب التي أخبر الله تعالى أنها أنزل القرآن بها، وباليقين الذي لا شك فيه أنـه مـراد الله تعـالى»[4] مـستبعدا بـذلك تفـسير الصحابة باعتباره إياه من باب مذهب الصحابي وهو لا يحتج به كمـا هو مقرر عنده.

---

(1) فتح المغيث (1/ 123).

(2) تفسير ابن كثير (1/ 15).

(3) المحلى (3/ 288).

(4) الاستيعاب (1/ 2).

وخلاصة الكلام في المراد ب(تراث)الصحابي:

1 ـ قول الصحابي في «أسباب النزول» حكمه حكم المرفوع (أي مسند).

ب ـ قول الصحابي في غير أسباب النزول من وجوه التفسير موقوف.

ـ ب ـ

ومن المناسب ونحن نمهد للنظر فيما أفاد المعنيون من علماء الأندلس بالدرس القرآني من تراث الصحابة أن نستبين ملامح الصحابي العلمية والسلوكية في تصورهم مما قد يسعف في معرفة ما كان له من أثر في أسلوب إفادتهم من التراث المذكور وكيفية استثمارهم له في درسهم القرآني.

ويمكن القول بأن أبرز ما يستخلصه الباحث من أقوال العلماء الأندلسيين في الصحابة يتمثل في التنويه بعدالتهم التي ثبتت عند الله عَزَّوَجَلَّ بثنائه عليهم، وثناء رسوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما يقول ابن عبد البر «ولا أعدل ممن ارتضاه لمحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه»[1] وكما يؤكد أبو إسحاق الشاطبي ذلك بما ثبت عند الخلق من أهل السنة على الإطلاق والعموم إذ أخذوا عن الصحابة «رواية ودراية من غير استثناء ولا محاشاة بخلاف غيرهم فلم يعتبروا منهم إلا من صحت إمامته وثبتت عدالته، وذلك مصدق لكونهم أحق بذلك المدح من غيرهم فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط أي عدول بإطلاق. وإذا كان كذلك فقولهم معتبر وعملهم مقتدى به»[2].

(1) الموافقات (4/ 75).

(2) العواصم من القواصم (1/ 75).

أما ملمح السلوك فيستخلص من ثنائهم على ما بذلوه من نفس ونفيس في سبيل دعوة التوحيد وإرساء أسس الإيمان بما عبر عنه أبو بكر ابن العربي بـ «تأسيس الإسلام وتعضيد الدين وإقامة المنار، وافتتاح الأمصار، وحماية البيضة، وتمهيد الملة»[1].

والمستفاد من هذه النصوص اتفاق أصحابها على القول بما يستدل به، فضلا عن عدالة الصحابة، على عملهم الذي لم يكن ـ كما يقول ابن العربي ليدانيهم فيه أحد، «ويبلغ شأوهم فيه بشر»[8] مع ما كان من (تفاوتت درجاتهم فيه، فمن سابق ولاحق، وأول وآخر)[2] كما يستخلص من نقول أولئك العلماء بخصوص علم الصحابة أنه علم معتبر مع تفاوت مستوياتهم فيه، فابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، ومكانته لدى المشتغلين بالدرس القرآني من علماء الأندلس، كما هي عند غيرهم، الصدارة، يدل على ذلك وفرة النقول عنه عند المفسرين مثل ابن عطية وابن جزي وغيرهما.

على أن حظوظ الصحابة من العلم بكتاب الله وفهمه كانت متفاوتة. ومن المسلم به أن أوفرهم حظا من ذلك هم أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس، وابن مسعود، وأبي بن زيد، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير[3] ومع ذلك فإن ما وصلنا من تراثهم فيما اصطلح على تسميته عند الفقهاء بأدلة الأحكام الفرعية، وهوما يعرف بـ(قول الصحابي) ليس موضع اتفاق بين العلماء في اعتباره دليلا شرعيا، فمنهم من قصر الأمر على أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، ومنهم من وسع فشمل به الخلفاء الراشدين الأربعة[4].

---

(1) العواصم من القواصم:(1/ 175).
(2) تفسير ابن كثير (1/ 15).
(3) كلمة أبي حنيفة.
(4) المحلى (3/ 288).

ويجدر بنا ونحن مقبلون على قراءة ما استثمره علماء الأندلس من تراث الصحابة في درسهم القرآني أن نطرح تساؤلات عن كيفية ذلكم الاستثمار نفتتح بها الفقرة التالية.

-ج-

أي أثر كان لهذا النظر المسدد إلى مقام الصحابة الرفيع علما وعملا على التعامل مع تراثهم في الدرس القرآني عند المعنيين به من العلماء الأندلسيين؟

- هل اقتصر تعاملهم مع هذا التراث بنقله؟
- أم شفعوا هذا النقل بالتعقيب والمناقشة؟
- هل أخذوا منه ولم يردوا؟
- أم أخذوا منه وردوا؟

وبصيغة أخرى: إلى أي مدى اعتمد المعنيون بالدرس القرآني من علماء الأندلس على تراث الصحابة، وما مناهجهم في ذلك؟ وما مواقفهم من أقوالهم في التفسير وفي غير التفسير؟

إن ما سنقف عليه من صور لتراث الصحابة فيما وظفه علماء الأندلس في درسهم القرآني ذو دلالة على اعتبارهم إياه موقوفا؛أي فهما يؤخذ منه تارة للاحتجاج والاستشهاد، وتارة أخرى يورد نصه مشفوعا بالتعقيب عليه أو المفاضلة بين أفهامهم للنص القرآني. وبهذا يتبين لنا أن أصحاب هذا الدرس تعاملوا مع ما ثبت لديهم وقفه من تراث الصحابة في التفسير وغيره من علوم القرآن كما يتعاملون مع أي تراث آخر يؤخذ منه ويرد.

ونذيل التساؤلات السابقة بآخر، هو: أتراهم بهذا المنهج، وهم المالكية في الفروع، خالفوا منهج إمامهم مالك في اعتباره تراث الصحابي من قول أو فتوى حجة يعمل بمقتضاها؟

لقد أخذ غير واحد من أصحاب كتب الأحكام القرآنية أو التفاسير الفقهية الأندلسية مثل ابن عطية والقرطبي (سار على) بما ذهب إليه الإمام مالك، واعتبر مفسر آخر هو ابن جزي أن «كل ما جاء من التفسير عن الصحابة فهو حسن»[1] غير أن ما يقف عليه الباحث مما أورده هؤلاء المفسرون وغيرهم من تراث الصحابة في التفسير وفي غير التفسير من علوم القرآن يؤكد أنهم نقلوا منه تعضيدا لدرسهم وناقشوا منه تعضيدا كذلك لدرسهم.

ـ د ـ

وهذا الذي ألمعنا إليه من طرائق في تعامل علماء الأندلس مع تراث الصحابة في درسهم القرآني سقنا للتمثيل له في أصل هذا البحث شواهد عدة نكتفي منها في هذه الورقة بنصوص للسهيلي في مواضيع ثلاثة تتعلق بـ:

1) **التأريخ للنص القرآني.**

وقد ساق حوله السهيلي نقلين اثنين:

أولهما: نقل تعضيد لقول ابن عباس رضي الله عنهما ساقه صاحب السيرة وتبناه السهيلي في نصه التالي الذي عرض فيه لتاريخ نزول القرآن الكريم. قال:(وذكر قول الله تعالى﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[2] إلى آخر الآية مستشهدا بذلك على

(1) الاستيعاب (1/ 2).
(2) سورة البقرة: الآية 184.

أن القرآن أنزل في شهر رمضان وفي ليلة القدر من رمضان.فبين أن القول بنزوله في شهر رمضان وفي ليلة القدر منه (يحمل تأويلين: أحدهما: أن يكون أراد بدء النزول وأوله؛ لأن القرآن نزل في أكثر من عشرين سنة في رمضان وغيره. والثاني ما قال ابن عباس أنه نزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا، فجعل في بيت العزة مكنونا في الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة، ثم نزلت منه الآية بعد الآية والسورة بعد السورة في أجوبة السائلين والنوازل الحادثة إلى أن توفي رسول الله ﷺ. وهذا التأويل أشبه بالظاهر وأصح في النقل، والله أعلم)[1].

وثانيهما: نقل مشفوع بالنظر في تعدد الرواية حول مدة فترة الوحي ابتغاء التوفيق بين مضامينها.

وقد اجتهد السهيلي في نقله من أنس بن مالك وابن عباس في تحديد فترة الوحي بالموازنة بين الروايات المتباينة والتوفيق بينها، فقال: «...جاء في بعض الأحاديث المسندة أنها سنتان ونصف سنة. فمن هذا يتفق ما قاله أنس بن مالك أن مكثه بمكة كان عشر سنين، وقول ابن عباس: ثلاث عشرة سنة، وكان قد ابتدئ بالرؤيا الصادقة ستة أشهر. فمن عد مدة الفترة وأضاف إليها الشهر الستة كانت كما قال ابن عباس: ومن عدها من حين حمي الوحي وتتابع كما في حديث جابر كانت عشر سنين. ووجه آخر في الجمع بين القولين أيضا وهو أن الشعبي قال: وكل إسرافيل بنبوة محمد ﷺ ثلاث سنين ثم جاءه بالقرآن جبريل، وقد قدمنا هذا الحديث ورواه أبو عمر في كتاب (الاستيعاب). وإذا صح فهو أيضا وجه من الجمع بين الحديثين، والله أعلم»[2].

---

(1) الموافقات (4/ 75).

(2) العواصم من القواصم (1/ 75).

2) تفسير النص القرآني:

التفسير بالمأثور أصح طرق التفسير، وهو ذو مستويات أعلاها القرآن والحديث، ثم أقوال الصحابة فالتابعين. على أن الصحابة وإن كانوا يشكلون الطبقة الأولى من طبقات التفسير إلا أنهم يتفاوتون من حيث الفهم للنص القرآني ومن حيث كمية ما روي عنهم، وقد اعتبر علي ابن أبي طالب وابن عباس على رأس القائمة، يؤكد ذلك شهادة الأخير في مصدره (ما عندي من تفسير القرآن فهو عن علي بن أبي طالب)وشهادة هذا بقوله في تفسيرابن عباس «كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق..» أما من حيث قدر المروي منه فابن عباس أكثرهم كلاما في التفسير وهو ما وسع دائرة الاستفادة من تراثه في كتب التفسير بعامة، ومنها كتاب (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)لابن عطية الغرناطي، وهو أكثر مفسري الأندلس إفادة من تراث الصحابة الفقهي في تفسير آيات الأحكام، فلا يقف عند نص تضمن حكما إلا ويورد ما لديه من أقوال الصحابة فيه. وقريب منه في ذلك ابن جزي في (التسهيل) بل إن من المفسرين من كان يبتدئ تفسير كل آية بقول ابن عباس ما وجد له نصا.

وقد تعددت وجوه استثمار ما نقله أصحاب الدرس القرآني في التفسير وفي غير التفسير من تراث الصحابة في استجلاء معان أو تقرير أحكام، أو استشهاد بقراءة معينة.

ونسوق فيما يلي أمثلة مما أفاده السهيلي من تراث الصحابة في التفسير المذكور:

أولها: نقل مشفوع بتعقيب تصحيح ما يعزى من تفسير للصحابي:

قال السهيلي فيما نسب لابن عمر عن قوله عز وجل: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[1].

(1) سورة البقرة: الآية 221.

إتيان النساء في أعجازهن محرم. وتحريمه مأخوذ من قواعد الشرع الثلاث، وهي الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب فاستنبط التحريم منه من ثلاث آيات:

- **الأولى**: قوله عز وجل: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾.
- وأما **الآية الثانية** فقوله عز وجل في قوم لوط ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنَ أَزْوَاجِكُم ﴾[1].
- وأما **الآية الثالثة** فقول سبحانه و تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً﴾[2] فنبه على علة التحريم لوطء الحائض.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سئل عن ذلك، فقال:«هي اللوطية الصغرى» وهذا أولى بابن عمر من رواية من روى عنه غير ذلك. وهي رواية منكرة عن نافع عن ابن عمر.

وقد سئل نافع عن ذلك فأنكر أن يكون رواه عن ابن عمر، وقال:إنما كان يعرض القرآن في المصحف، فمرت به هذه الآية ﴿ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، فقال: هو أن يأتيها في، وسكت. وهذا يحتمل أن يكون ابن عمر أراد: أن يأتيها من قبلها من أي جهة شاء، لأن قول الله ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ إنما معناه: من أين شئتم. فليست «أنى» في كلام العرب بمعنى «أين» حتى يضاف (إلى «أين» «من») كما قال الله عز وجل: ﴿ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ أي: من أين جاءك هذا. فكذلك قوله: ﴿أَنَّىٰ

(1) سورة الشعراء: الآية 166.

(2) سورة البقرة: الآية 220.

شِئۡتُمۡۖ﴾ أي: فجيئوهن إلى موضع الوطء، وهو موضع الولد، من أين شئتم، مقبلة أو مدبرة)[1].

وثانيهما نقل تعضيد لتفسير الصحابي مع التنويه بقدره وسعة علمه بكلام رب العالمين وفهمه له والرد على من خالف:

قال السهيلي تعقيبا على ما ذكر ابن إسحاق بخصوص سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾: «وتفسيره لها في الظاهر خلاف ما ذكره ابن عباس حين سأله عمر عن تأويلها فأخبره أن الله تعالى أعلم فيها نبيه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بانقضاء أجله، فقال له عمر: ما أعلم منها إلا ما قلت. وظاهر هذا الكلام يدل على ما قاله ابن عباس وعمر؛ لأن الله عز وجل لم يقل: «فاشكر ربك، واحمده» كما قال ابن إسحاق: إنما قال: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[2] فهذا أمر لنبيه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بالاستعداد للقاء ربه تعالى والتوبة إليه، ومعناها الرجوع عما كان بسبيله مما أرسل به من إظهار الدين، إذ قد فرغ من ذلك، وتم مراده فيه، فصار جواب «إذا» من قوله تعالى:﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ محذوفا. وكثيرا ما يجيء في القرآن الكريم الجواب محذوفا، والتقدير: إذا جاء نصر الله والفتح فقد انقضى الأمر ودنا الأجل، وحان اللقاء، ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾. ووقع في مسند البزاز مبينا من قول ابن عباس فقال فيه: فقد دنا أجلك فسبح، هذا المعنى هو الذي فهمه ابن عباس، وهو حذف جواب «إذا». ولما لم يتنبه لهذه النكتة حسب أن جواب «إذا» في قوله سبحانه ﴿فَسَبِّحۡ﴾، كما تقول «إذا جاء رمضان فصم» وليس في هذا التأويل من المشاكلة لما قبله ما في تأويل ابن عباس فتدبره، فقد وافقه

---

(1) العواصم من القواصم (1/ 75).

(2) سورة النصر: الآية 13.

عليه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسبك بهما فهما لكتاب الله تبارك وتعالى، فالفاء على قول ابن عباس رابطة لأمر بالفعل المحذوف وعلى ما ظهر لغيره رابطة لجواب الشرط الذي في «إذا»)[1].

3ـ مبهم النص القرآني.

المبهمات علم هدف به أصحابه إلى معرفة ما أبهم اسمه في القرآن الكريم من إنس أو غير إنس ممن خلق الله، ومن حيوان وغير حيوان مما ذرأ. وقد كان للصحابة رضوان الله عليهم عناية بالتعرف على ما ورد مبهما في سور الذكر الكريم، وقد ظل ابن عباس رضي الله عنهما فيما تحدث به سنين يريد أن يسأل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ لا يمنعه إلا مهابته، وكذلك ظل مولاه عكرمة بن عبد الله أربع عشرة سنة يطلب اسم الذي خرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم أدركه الموت. ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِراً اِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[2].

ويعتبر السهيلي أكثر مفسري الأندلس إفادة من (تراث) الصحابة في مبهم القرآن الكريم؛ بل إنه يعتبر أول من أفرد مبهمات القرآنية بكتاب سماه (التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام).

وأسوق فيما يلي أمثلة ثلاثة من إفادة السهيلي من تراث الصحابة في المبهمات القرآنية:

أولها: نقل مجرد عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو متعلق ب(مجمع البحرين) في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَيٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ اَلْبَحْرَيْنِ﴾[3] ينبه

(1) العواصم من القواسم (1/ 75).
(2) سورة النساء: الآية 99.
(3) سورة الكهف: الآية 59

على حكمة الله تعالى في جمع موسى مع الخضر عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ بمجمع البحرين، وذلك أنهما بحران في العلم، أحدهما أعلم بالظاهر، وأعني بالظاهر علم الشرعيات، وهو موسى، والآخر أعلم بالباطن وأسرار الملكوت وهو الخضر، فكان اجتماع البحرين بمجمع البحرين)[1].

وثانيها: نقل مشفوع بتعقيب يغني موضوع المبهم ويجلي جوانبه استنادا إلى نصوص القرآن، ومن ذلك لفظ (الرعد) في قوله تعالى﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾[2] قال:(الرعد اسم ملك، وروي عن عباس أنه في السماء الثالثة، ومنها ينزل قطع الغمام) ثم شفع السهيلي بالتعقيب التالي «وإذا صح هذا وجدنا بالمشاهدة رعدا في المشرق، في المغرب، ورعدا في الآفاق، فذلك ـ والله أعلم ـ من قبل أن له أعوانا، فتكون هذه الرعود أعوانا مضافة كما يضاف قبض الأرواح إلى ملك الموت تارة وإلى أعوانه أخرى.قال الله تعالى:﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾[3] وقال عزوجل: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾[4] وهذا مجاز، والحقيقة قوله سبحانه ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾[5] [6].

ونحو منه في قوله تعالى﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[7] أورد قول عكرمة (هم أبو بكر وعمر) ثم ساق قول قتادة (هو أبو بكر)وقال علي ومجاهد (هو علي بن أبي طالب) ثم عقب بقوله: «ولفظ الآية عام، والأولى حملها على العموم»[8].



(1) التعريف والإعلام (ص188).
(2) سورة الرعد: الآية 14.
(3) سورة الأنعام: الآية 62.
(4) سورة السجدة: الآية 11.
(5) سورة الزمر: الآية 39.
(6) التعريف والإعلام (ص150-151).
(7) سورة التحريم: الآية 4.
(8) التعريف والإعلام (ص 342).

تلكم أمثلة من تعامل الدرس القرآني الأندلسي مع تراث الصحابة العلمي أفاد منه واغترف، لكنه لم يقف به أصحابه عند حدود النقل الذي يراد به الشاهد والتعضيض؛ وإنما شفعوه بضروب من التعقيب والاستدراك، منها ما تضمن شرحا وتصحيحا، ومنها ما تضمن اجتهادا في التوفيق بين أقوال تدافعت، والجمع بين روايات تباينت، ومنها ما تضمن فهما يغني موضوع النقل ويجليه استنادا إلى النص القرآني، ومنها ما تضمن وجهة نظر نقدي في تبيين معان وتوضيح أحكام يراها أولى بالأخذ والاعتماد.

ومثل هذا الاستثمار لتراث الصحابة ذو دلالات، أبرزها اثنان:

أولهما حرص المعنيين من علماء الأندلس بالدرس القرآني بالاستفادة من تراث الصحابة العلمي مرفوعه وموقوفه.

وثانيهما استثمار التراث المذكور في نطاق الموقوف منه وفق قراءة نقدية مسلحة بالمعرفة الشرعية والآلية. وفي هذا ما ينم عن وعي معمق بالمنهج الأصلح والأفيد في استثمار التراث تكريسا للمعرفة القويمة وتبصيرا بمقاصدها النبيلة.

وكتب بدارة زمزم

أبو أيمن حسن الوراكلي

فهرس المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة (1974هـ).
- أحكام القرآن، ابن العربي المعافري، تحقيق:علي محمد البجاوي، طبعة عيسى البابي الحلبي.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف ابن عبد البر، تحقيق:محمد علي البجاوي، مكتبة نهضة مصر ـ القاهرة (1960م).
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن جزي الكلبي الغرناطي، دار الكتاب العربي ـ بيروت (1973م).
- تفسير القرآن العظيم، عماد الدين إسماعيل بن كثير، تحقيق عبد العزيز غنيم وآخرين، دار المعرفة ـ بيروت.
- التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، أبو القاسم عبدالرحمن السهيلي، دراسة وتحقيق عبد الله محمد علي النقراط، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ـ طرابلس.
- الروض الأنف، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة.
- فتح المغيث شرح ألفية الحديث، شمس الدين السخاوي، دار الكتب العلمية ـ بيروت (1403هـ).
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية، تحقيق المجلس العلمي بفاس، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية.
- المحلى شرح المجلى، أبو محمد ابن حزم، دار الجيل ـ بيروت.
- الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي، طبعة المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة.

الصحابة عند مفسري الغرب الإسلامي

د. نورالدين قراط

ملخص البحث

إنه مما ينبغي لفت الانتباه إليه والتوقف عنده قبل كل شيء، هو أن القرآن الكريم قد تحدث عن السلف الصالح وعلى رأسهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مرات ومرات فهو يحدثنا تارة عن بعضهم، وتارة أخرى عن مجموعهم، بل وفي بعض الأحيان يتحدث عنهم من خلال فئاتهم، والملفت أن ذكر الله لهم كان في كفة، وذكر من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين كان في كفة أخرى مساوية، ولعل السر في ذلك، أن الفترة الزمنية التي عاش فيها أولئك الصحابة الأبرار الذين رضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه، تساوى في أهميتها عشرات الألوف من السنين التي عاشها وسيعيشها من اتبعهم بإحسان من الملايين من كل البشر إلى يوم الدين، وذلك من أجل أن يقدم للأمة المحمدية كلها نماذج حية ورائقة وفاعلة في الإسلام، حتى يتعلموا منهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ومن هنا وقع اختياري على هذا الموضوع وذلك لمتابعته من خلال موارد ذكر الصحابة في آي القرآن الكريم، في مختلف مراحلهم وظروفهم كلها، وذلك في إطار تفسيرات واستنباطات وتحليلات مفسري الغرب الإسلامي لهذه النصوص القرآنية، كي نبرز حجم المساهمة التي قدمها مفسروا الغرب الإسلامي في هذا المجال، وذلك مثل: إيمانهم بالله وبرسالة محمد ﷺ، وثناء الله عليهم بدون استثناء أحد منهم، ومدى صدقهم في تحملهم مسؤولية الدعوة، وأنهم أوذوا في سبيلها، وجهادهم في سبيل الله، بالإضافة إلى ما كانوا يتصفون به من أخلاق سامقة، في كل حركاتهم وسكناتهم وفي معاملاتهم كلها، حتى صاروا أئمة في الصلاح والفوز إلى يوم الدين.

الباحث في سطور

الدكتور نور الدين قراط Karrat2001@hotmail.fr

- من مواليد عام 1968م.
- أستاذ التعليم العالي بجامعة محمد الأول كلية الآداب وجدة.
- دكتوراه في مقاصد الشريعة بكلية الآداب ـ وجدة.
- شارك في ندوات وملتقيات ودورات تدريبية وطنية ودولية عديدة.

من إنتاجه العلمي:

- القدس في وعي المسلمين.
- وقفات مع الدكتور الخمليشي في مقاله مساءلة النفس ومراجعة الذات.
- مقاصد الشريعة وأثرها في الاجتهاد الفقهي المعاصر.
- أولويات الأسرة المسلمة.
- التعليل المقاصدي في القرآن الكريم. الرفق في القرآن بين توابعه ومستلزماته..الخ.

مُقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد:

فقد بعث الله رسوله محمدا ﷺ ليبين للناس على فترة من الرسل أن يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، فقد جاءكم بشير ونذير، والله على كل شيء قدير، وجعل معجزته العظمى وحجته العليا كلامه الذي هو أحسن الحديث، خاتمة رسالاته إلى خلقه، والوحي الجامع المهيمن على جميع ما أنزل من قبل، المحيط بعلم الأولين والآخرين، الشافي لجميع أدواء البشر بأنجع دواء، الوافي بجميع حاجاتهم، الكافل لسعادتهم في الأولى والأخرى بأتم وأعظم وفاء، حتى بلغت أمة هذا الكتاب بفضل علمها به وتبعها له أسمى درجات الخيرية بين أمم الأرض﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ اخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ اِلْمُنكَرِ وَتُومِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1]. فما الظن بكتاب بلغ من سمو هداه وشمول رحمته أنه يهدي للتي هي أقوم: ﴿إِنَّ هَذَا أَلْقُرْءَانَ يَهْدِے لِلتِے هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ اُلْمُومِنِينَ أَلذِينَ يَعْمَلُونَ أَلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمُۥٓ أَجْراً كَبِيراً﴾[2].

ومن هذا المنطلق سرد علينا القرآن الكريم قصص السلف الصالح، وعلى رأسهم الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ مرات ومرات فهو يحدثنا تارة عن بعضهم، وتارة أخرى عن مجموعهم، وفي بعض الأحيان يتحدث عنهم من خلال فئاتهم، ولكن

(1) سورة آل عمران: الآية 110.
(2) سورة الإسراء: الآية 9.

الملفت في ذلك كله، أن ذكر الله لهؤلاء كان في كفة، وذكر من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين كان في كفة أخرى مساوية، وكأن الله يريد أن يقول عن هذه الفترة التي عاشها الصحابة، إنها تساوى في أهميتها عشرات الألوف من السنين التي عاشها وسيعيشها من اتبعهم بإحسان من الملايين من كل البشر إلى يوم الدين، ومن هنا وقع اختياري على هذا الموضوع وذلك لمتابعته من خلال موارد ذكر الصحابة في آي القرآن الكريم، أو بالأحرى في بعض آي القرآن. وذلك في مختلف مراحلهم وظروفهم كلها، معتمدا على تفسيرات واستنباطات وتحليلات مفسري الغرب الإسلامي لهذه النصوص القرآنية، كي نبرز مكانة الصحابة في القرآن الكريم، ونبرز من جهة أخرى حجم المساهمة التي قدمها مفسرو الغرب الإسلامي في هذا المجال.

أما فيما يتعلق بالطريقة التي سأسلكها في تقريب مضامين هذا الموضوع فهي كالتالي:

تقديم.

- حقيقة الصحبة في القرآن الكريم.
- شهادات القرآن الكريم في الصحابة.
  - الشهادة الأولى: أثنى الله عليهم جميعا.
  - الشهادة الثانية: كونهم يسارعون إلى تلبية نداء الحق.
  - الشهادة الثالثة: زكى الله عباداتهم.
  - الشهادة الرابعة: أثنى الله على جهادهم في نشر دعوة الحق والدفاع عنها.
  - الشهادة الخامسة رضي الله عنهم ورضوا عنه.

❀ حقيقة الصحبة في القرآن الكريم.

إن المحور الذي يدور عليه فلك مـادة: «صـحب» في القـرآن الكـريم هـو المعـاشرة والملازمة المتحققة بالاجتمـاع واللقاء واللبث، دون النظر إلى وحدة الاعتقاد أو وحدة السلوك، وهي أنواع:

➢ **أولاً**: الصحبة بين مؤمنين: قال تعالى حكايـة عـن موسـىعَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في حديثـه مـع العبد الـصالح ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾[1]. فقـد عـدل الخضر جوابه إلى المبادرة باشتراط مـا تطمئن إليه نفس صـاحبه بأنـه إن عـاد للـسؤال الذي لا يبتغيه صاحبه فقد جعل له أن لا يصاحبه بعده[2].

➢ **ثانياً**: الصحبة بالمعروف بين الأبناء والآباء بغض النظر عـن اخـتلافهم في الـدين، يقال صاحبته مصاحبة ومصاحبا..[3]. قـال تعـالى ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[4].

➢ **ثالثـاً**: الـصحبة بـين رفيقـي سـفر[5]: قـال تعـالى﴿وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾[6].

➢ **رابعاً**: الـصحبة بـين قائـد ومقـود: قـال تعـالى﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[7].. والـصاحب هنـا هـو أبـو بكـر

(1) سورة الكهف: الآية 75.
(2) التحرير والتنوير (17/ 6).
(3) الجامع لأحكام القرآن (14/ 65).
(4) سورة لقمـان: الآية 14.
(5) التحرير والتنوير (17/ 6 4).
(6) سورة النساء: الآية 36.
(7) سورة التوبة: الآية 40.

الصديق رضي الله عنه . المتصف بهذه الصحبة، ومنه سميت الزوجة صاحبة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ﴾[1] قال بعض العلماء: من أنكر أن يكون عمر وعثمان أو أحد من الصحابة صاحب رسول الله ﷺ فهو كذاب مبتدع. ومن أنكر أن يكون أبو بكر رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ فهو كافر؛ لأنه رد نص القرآن[2]. وليس ذلك لسائر الصحابة[3].

➢ **خامساً**: الصحبة بين إنسانين مختلفين في الدين: قال تعالى﴿فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا... قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾[4] والصاحب هنا بمعنى المقارن[5]. في الذكر حيث انتظمهما خبر المثل، أو أريد به الملابس[6] المخاصم[7].

➢ **سادساً**: الصحبة بين النبي ﷺ وأمته، بغض النظر عن الدين. قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾[8]. أي ما ضل محمد ﷺ عن الحق وما حاد عنه[9]، لأنه خطاب للمشركين.

---

(1) سورة الأنعام: الآية101 .

(2) تفسير القرطبي (8/ 78).

(3) التفسير الكبير المسمى البحر المحيط (5/ 43).

(4) سورة الكهف: الآيات 24-26.

(5) أي: كون الانسان مثله في الجنس أو مثله في الوظيفة لأن كليهما يقوم على الجنة..

(6) الملابس هو المخالط له في المعاشرة أو الحركة الحياتية أو المهنية، والمخاصم الذي تحول إلى خصمه، وقد نص عليه القرآن أنه يتباهى عليه.

(7) التحرير والتنوير (17/ 320).

(8) سورة النجم: الآية 2.

(9) تفسير القرطبي (17/ 79).

➢ **سابعاً**: الصحبة بين الكافرين فيما بينهم. قال تعالى ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾[1]. وعبر بصاحبهم للإشارة إلى أنهم راضون بفعله إذ هم مصاحبون له وممالئون[2] أي: متفرقون.

➢ **ثامنا**: الصحبة بمعنى أللبث والمكوث ومنها: أصحاب الجنة، وأصحاب النار. قال تعالى﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾[3].

➢ **تاسعا**: العلاقة الاضطرارية الوقتية وذلك مثل ما جاء في خطاب يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لصاحبيه في السجن: يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ[4].

هذه هي أهم اطلاقات الصاحب كما وردت في القرآن الكريم. وبالتوفيق بينها وبين المعاني التي يذكرها اللغويون[5]، يكون معنى الصاحب هو: من تأت مرافقته ومعاشرته بوجه من الوجوه دامت واستمرت أو لم تدم.

---

(1) سورة القمر: الآية 29.

(2) التحرير والتنوير (28/ 202).

(3) الأعراف: الآية 43.

(4) يوسف: الآية 39.

(5) قال الخليل الفراهيدي: كلّ شيء لاءَم شيئاً فقد استصحبه، والصحابة: مصدر صاحَبَكَ، الصاحب يكون في حالٍ نعتاً ولكنّه عمّ في الكلام فجرى مجرى الاسم. ترتيب كتاب العين، للفراهيدي(ص440)، وقال الجوهري: كلّ شيء لاءَم شيئاً فقد استصحبه. اصطحب القوم: صَحِبَ بعضهم بعضاً. أصحب: إذا انقاد بعد صعوبة. وقال الراغب الأصفهاني: الصاحب: الملازم... ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن وهو الأصل والأكثر، أو بالعناية والهمة. ويقال لمالك الشيء: هو صاحبه، وكذلك لمن يملك التصرّف فيه. والمصاحبة والاصطحاب أبلغ من الاجتماع، لأَجل أنّ المصاحبة تقتضي طول لبثة، فكل اصطحاب اجتماع، وليس كل اجتماع اصطحاباً. مفردات ألفاظ القرآن(ص275).

❁ المعنى الاصطلاحي للصحابي:

وأما إطلاقه في الاصطلاح، فإنه حاصل ما تضمنته عبارات العلماء العديدة في هذا المقام: أن الصحابي هو كلّ من جالس النبي ﷺ. ولو ساعة، وسمع منه ولو كلمة فما فوقها، أو شاهد منه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أمراً يعيه، ولم يكن من المنافقين الذين اتصل نفاقهم واشتهر حتى ماتوا على ذلك، ولا مثل من نفاه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ باستحقاقه[1].

فالصحابي إذن هو: كل من آمن به صلى الله عليه وسلم وصدقه واتبعه على ذلك ـ أي التصديق ـ في حياته ومات على ذلك. وهم يتفاوتون في مدى الصحبة ومدى الصلة برسول الله ﷺ، ولكن الجامع المشترك بينهم يصدق عليهم جميعا أنهم أصحاب رسول الله ﷺ.

هؤلاء الأعلام إنما استحقوا الصحبة نظرا لما عرفوه من أحوال النبي ﷺ مما جعلهم يهرعون إليه ويضعون مقاليدهم بين يديه، ينغمسون في فيضه الذي بهر منهم الأبصار وأزال عنهم الأكدار، وصيرهم أهلا لمجالسته ومحادثته ومرافقته ومخالطته، حتى آثروه على أنفسهم وأموالهم وأزواجهم وأولادهم، وبلغ من محبتهم له وإيثارهم الموت في سبيله أن هان عليهم اقتحام المنية كراهة أن يجدوه في موقف مؤذ أو كربة يغض من قدره[2]، حتى إنهم لكثرة هذه المخالطة له صلى الله عليه وسلم والمعرفة بأحواله كلها أصبحوا هم في مجموعهم لا في جميعهم ترجمان الوحي والمعرفة بخصائصه ومواقع التنزيل له بحسب الحاجة والواقعة والنازلة ما جعلهم في بعض الأحيان يستصدرون الأحكام من غير الحاجة إلى ذكر مرجعهم النصي فيها نظرا لما أصبح يؤهلهم من هذه الملكة الفقهية الموروثة عما ذكرناه سابقا من أحواله ﷺ .

---

(1) تفسير القرطبي (8/ 160)، الإحكام في أصول الأحكام (5/ 86).

(2) الإصابة (1 / 7)، أسد الغابة (1 / 18).

☒ شهادات القرآن في الصحابة رضوان الله عليهم

إن الآيات التي تحدثت عن أصحاب رسول الله ﷺ تنقسم إلى قسمين:

قسم: تضمن شهادة من الله إلى أصحاب رسوله ﷺ عموما، بقطع النظر عن السابقين منهم، واختلاف درجاتهم، وبقطع النظر عن مشاهد معينة، هي شهادة خلدها بيان الله لهم.

وقسم: تحدث فيه القرآن عن فئة من الصحابة في مناسبات ومشاهد وظروف معينة وخاصة.

هذا ومن اللاّفت للنظر أن هذين النوعين يتنوعان إلى فئتين:

- فئة: ثبتت لهم الصحبة وحدها أي: ليس بينهم وبين الرسول ﷺ رحم.
- وفئة: ثبتت لهم الصحبة، وهم في الوقت ذاته يتمتعون بمزية أخرى وهي النسب وهم من آل البيت﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً اِلاَّ ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبىٰ﴾[1].

هؤلاء الصحابة جميعا صاغهم الحق سبحانه أعظم صياغة، ليكونوا ورثة نبيه وحملة رسالته من بعده. قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلاَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلِايمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾[2].

فلكي يتأهلوا لشرف صحبة المعصوم صلى الله عليه وسلم أعدهم الله ذلك الإعداد الرفيع، فحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، فاستحقوا بذلك أن يكونوا هم الراشدون كما تنطق الآية الكريمة.

---

(1) سورة الشورى: الآية21 .

(2) سورة الحجرات: الآية 7.

هؤلاء يتفاوتون في مدى الصحبة لكنهم مشتركون جميعا في صفة، وهي أنهم أصحاب رسول الله ﷺ، والقرآن حين يتحدث عنهم، يتحدث عن كل من ثبتت له الصحبة لرسول الله ﷺ، وهذا ما سيتبين لنا من خلال الشهادات التالية:

❁الشهادة الأولى: ثناء الله عليهم جميعا.

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَٰناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنَ اثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الِانجِيلِ كَزَرْعٍ اَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[1].

➢ الشهادة **الأولى** للحبيب محمد ﷺ.

➢ **والشهادة الثانية** إلى من ثبتت له الصحبة لرسول الله وهو مومن ومات على ذلك، بغض النظر عن اختلاف درجاتهم. وهذا ما يفيده حرف «معه»: الذي يعني المصاحبة الكاملة بالطاعة والتأييد، وهو الرأي الذي رجحه الجمهور [2]. والصحابة عرفوا بصدق ما عاهدوا عليه الله، ولذلك لما انهزم المسلمون يوم حنين قال رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب: ناد يا أصل السمرة[3]. هؤلاء الذين ثبتت لهم الصحبة، اتصفوا بصفات، منها:

---

(1) سورة الفتح: الآية 29.

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (5/ 143).

(3) المقصود هنا شجرة الرضوان، يقول ابن منظور السمرة هي الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية. انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري (2 / 198)، ولسان العرب لابن منظور (4 / 379).

الصفة الأولى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: وهي صلابة المعاملة وقساوتها، وهي الشدة في قتالهم[1]. وإظهار العداوة لهم في حَرْبهم[2]، وذلك لأنهم:

> **أولا**: كفروا بالله وعادوه ولم يؤمنوا به ولم يحببوه، والله يبغضهم لذلك فهم إذاً غلاظ عليهم لذلك.

> **ثانيا**: أن **الغلظة** والشدة قد تكون سببا في هدايتهم لأنهم يتألمون بها، ويرون خلافها مع المسلمين فيسلمون فيرحمون ويفوزون[3].

> **ثالثا**: **المؤمنون** الذين كانوا مع النبي ﷺ كانوا فئة الحق، فلا يليق بهم إلا إظهار الغضب لله والحب في الله. والبغض والحب في الله من الإيمان، ولذلك كان أكثر الصحابة محاورة في إباء صلح الحديبية يومئذ، وعلى رأسهم أشد أشدائهم على الكفار، عمر بن الخطاب، بينما أبو بكر كان أفهمهم للمصلحة التي توخاها النبيﷺ في إبرام هذا الصلح، وقد قال سهل بن حنيف يوم صفين: أيها الناس اتهموا الرأي فلقد رأيتنا يوم أبي جندل ، ولو نستطيع أن نرد على رسول الله فعله لرددناه، والله ورسوله أعلم[4].

---

(1) هذا بالنسبة للمحارب والمقاتل للمسلمين، والمخرج لهم من ديارهم، وصاد لهم عن دينهم، أما من كان مسالما غير محارب فلا، وإلى هذا يشير القرآن بقوله: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾. (الممتحنة: الآية 8).

(2) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (12 / 161).

(3) أيسر التفاسير (5/ 116).

(4) التحرير والتنوير (27/ 20).

الصفة الثانية: ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾، أي متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد[1]. قال قتادة: ألقى الله في قلوبهم الرحمة لبعضهم من بعض[2]. وبلغ من تراحمهم فيما بينهم: أنهم كانوا لا يرى مؤمنٌ مؤمناً إلا صافحه وعانقه وهذا الوصف الذي مَدَحَ الله به الصحابةَ رضي الله عنهم مطلوبٌ من جميع المؤمنين، لقوله صلى الله عليه وسلم «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادِّهم وتعاطفهم كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحُمَّى»[3]. وقال أيضاً: «نَظَرُ الرجل إلى أخيهِ شوقاً خيراً من اعتكاف سَنَة في مسجدِي هذا»[4].

وفي الجمع لهم بين هاتين الخلتين المتضادتين الشدة والرحمة إيماء إلى أصالة آرائهم وحكمة عقولهم، وأنهم يتصرفون في أخلاقهم وأعمالهم تصرف الحكمة والرشد فلا تغلب على نفوسهم محمدة دون أخرى ولا يندفعون إلى العمل بالجبلة وعدم الروية. ـ بمعنى الامعان في النظر والتأني ـ.

وفي تعليق «رحماء» مع ظرف (بين) المفيد للمكان الداخل وسط ما يضاف هو إليه تنبيه على انبثاث التراحم فيهم جميعا[5]، وفي معنى هذه الآية قوله تعالى﴿فَسَوْفَ يَاتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُومِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[6].

(1) أيسر التفاسير (5/ 117).
(2) الهداية إلى بلوغ النهاية (11/ 6974)
(3) صحيح البخاري:(5/ 2238/ ح5665) كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم.
(4) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (12/ 162).
(5) التحرير والتنوير (27/ 205).
(6) سورة المائدة: الآية 56.

الصفة الثالثة: ﴿رُكَّعاً سُجَّداً﴾: دليل على كثرة ذلك منهم وهذه السيمة كما قال مالك بن أنس: كانت جباههم منيرة من كثرة السجود في التراب(1). بحيث تُشاهدُهم حال كونهم راكعين ساجدين؛ لمواظبتهم على الصلوات، أو: على قيام الليل، كما قال مَن شاهد حالهم: رهبان بالليل أُسدٌ بالنهار(2).

الصفة الرابعة: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً﴾: أي يطلبون بالركوع والسجود ثوابا من ربهم هو الجنة ورضوانا هو رضاه عز وجل.

الصفة الخامسة: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنَ آثَرِ السُّجُودِ﴾ أي: نور وبياض يعرفون به يوم القيامة أنهم سجدوا في الدنيا(3).

وفي نفس السياق جاءت صفات أخرى متممة لهذه الصفات، في سورة الحشر قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(4).

ومن أهم الأشياء التي جعلها الله في أصحاب رسوله ﷺ، هذه الصفات، التي نتمنى أن نتصف بعشرها أو بشيء مهما قل منها.

---

(1) التفسير الكبير المسمى البحر المحيط الأندلسي (8/ 103).

(2) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (12 / 162).

(3) أيسر التفاسير (5 / 118).

(4) سورة الحشر: الآيات: 8-9 .

۞الصفة السادسة ﴿يَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾. ببذل الغالي والنفيس لقوة اليقين إذ علامة وجدان[1]. اليقين ظهور أثره على الجوارح بحيث لا تمكن حركاتها إلا على مقتضى شاهدهم من العلم[2].

۞ الصفة السابعة: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ حتى شاطروهم أموالهم، وأنزلوهم منازلهم، ونزل مَن كانت له امرأتان عن إحداهما ليتزوجها المهاجري، ومحبتهم للمهاجرين من حيث هجرتهم لنصرة الدين لشدة محبتهم للإيمان[3].

۞ الصفة الثامنة: ﴿وَيُوثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. لمكان الفتوّة وكمال المروءة ولقوة التوحيد والاحتراز عن حظ النفس وخوف الرجوع إلى المطالب الجزئية بعد وجدان الذوق من المطالب الكلية[4]. من ذلك قصة الأنصاري مع ضيف الرسول ﷺ، حيث لم يكن لهم إلا ما يأكل الصبية، فأوهمهم أنه يأكل حتى أكل الضيف، فقال له الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «عجب الله من فعلكما البارحة» فالآية مشيرة إلى ذلك. وروي غير ذلك في إيثارهم[5]. وهذا ما دل عليه اسم الإشارة من

---

(1) وللاحظة ابن عربي واستعماله للألفاظ يدل بعضها على تبين النفس الصوفي الفلسفي لأنه استعمل وجدان بدل وجود لأن التعبير بالوجود يستعمله الواصف من الخارج وهو يغلب عليه الحديث عن الحقائق من الداخل، وهنا الفرق بين وجدان ووجود كما في عبارة على مقتضى شاهدهم بدل مشاهدتهم فإنه يفرق بين الشاهد المباشر الإشراق الداخلي وبين المشاهدة التي يغلب عليها الوصف من الخارج، هذا للتنبيه فقط على ما غلب على الرجل في مجال الكتابة.

(2) تفسير القرآن (2/ 309).

(3) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (13/ 61).

(4) تفسير القرآن (2/ 310).

(5) البحر المحيط (8/ 248).

تعظيم لشأنهم، وتنبيه على أن استحقاقهم وصف الصادقين لأجل ما سبق اسم الإشارة من الصفات وهي أنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم، وابتغاؤهم فضلا من الله ورضوانا ونصرهم الله ورسوله[1]. وكان خُلق الكثيرين منهم بعد الهجرة كما فعل الصديق رضي الله عنه حين تصدق بكل ماله فقال له رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ فقال رضي الله عنه: أبقيت لهم الله ورسوله، وكذلك عائشة الصديقة رضي الله عنها حينما كانت صائمة، وليس عندها سوى قرص من الشعير وجاء سائل فقالت لبريرة : ادفعي إليه ما عندك، فقالت لها: ليس إلا ما ستفطرين عليه، فقالت لها: ادفعيه إليه، ولعل أحوج إليه الآن، أو كما قالت .ولما جاء المغرب أهدى إليهم رجل شاة بقرامها[2]. فقالت لبريرة: كلي هذا خير من قرصك. وكما فعل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه تصدق بالعير وما تحمله من تجارة حين قدمت، والرسول ﷺ يخطب يوم الجمعة فخرج الناس إليها. فعلى هذا كان مجتمع المدينة في عهده ﷺ مجتمعا متكافلا بعضهم أولياء بعض، وقد نوه ﷺ في قصة غنائم حنين بفضل كلا الفريقين في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار». ومن بعده عمر رضي الله عنه قال: وأوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم، وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوءوا الدار والإيمان، من قبل أن يقبل من محسنهم، وأن يعفو عن مسيئهم. ثم كان هذا خلق المهاجرين والأنصار جميعا، كما وقع في وقعة اليرموك، قال حذيفة العدوي: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي، ومعي شيء من الماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به فقلت له: أسقيك ؟ فأشار برأسه أن نعم، فإذا أنا برجل يقول: آه آه،

---

(1) التحرير والتنوير (29/ 89).

(2) القرام: هو ما كانت العرب تفعله إذا أرادوا شواء شاة طلوها من الخارج بالعجين حفظا لها من رماد الجمر.

فأشار إلي ابن عمي أن انطلق إليه، فإذا هو هشام بن العاص، فقلت أسقيك؟ فأشار أن نعم، فسمع آخر يقول آه آه، فأشار هشام أن انطلق إليه فجئته، فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام، فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات[1].

هذه الشهادة تشمل كل أصحاب رسول الله ﷺ[2]، على الرغم من أن منطوق هذه الأوصاف يدل بمفهومه أنه خاص بالمهاجرين، ومع ذلك فهو عام نظرا لوجود نصوص أخرى تدل على مشاركة الأنصار لهم فيه، منها قوله تعالى﴿إِنَّ ٱلذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[3]. وقوله بعدها: ﴿وَٱلذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُومِنُونَ حَقًّا﴾[4].

---

(1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (8/ 44).

(2) إن مشكلة البعض أنه لا يبحث إلا عن النقائص والعيوب فقط، على الرغم من أننا مطالبون بالإنصاف ونحن نمارس هذا اللون من النقد لمن هو أهلا لذلك. قال: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ إِعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ سورة المائدة: 8. وإذا أنصف الإنسان حمله إنصافه على أن يعرف قدر الخطأ، فلا يعطيه أكبر من حقه، كما لا ينسى سابقة قائله، وظروفه التي حملته على فعله، ولا يغيبن عنك فعل حاطب بن أبي بلتعة وكيف أن عقوبته منع من ترتبها عليه مشهده العظيم يوم بدر، قال ابن القيم: «من قواعد الشرع والحكمة أن من كثرت حسناته وعظمت وكان له في الإسلام تأثير ظاهر فإنه يُحتمل منه ما لا يُحتمل من غيره ويعفى عنه ما لا يعفى من غيره فإن المعصية خبث والماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث.. وهذا أمر معلوم عند الناس مستقر في فطرهم أن من له ألوف الحسنات فإنه يسامح بالسيئة والسيئتين وكما قيل:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد ⁂ جاءت محاسنه بألف شفيع» .

مفتاح دار السعادة (1/ 177).

(3) سورة الأنفال: الآية 72.

(4) سورة الأنفال: الآية 74.

فذكر المهاجرين بالجهاد بالمال والنفس، وذكر معهم الأنصار بالإيواء والنصر، ووصف الفريقين معا بولاية بعضهم لبعض، وأثبت لهم معا حقيقة الإيمان، فاستوى الأنصار مع المهاجرين[1].

ولنواصل خاتمة هذه الأوصاف: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ... ﴾. فشبههم الله في الإنجيل بالزرع الذي أخرج فراخه، وذلك أنهم في أول دخولهم الإسلام كانوا عدداً قليلاً كالزرع في أول ما يخرج، ثم جعلوا يتزايدون ويكثرون، كالزرع إذا أخرج فراخه فكثر وعظم بها، ونما، فيكون الأصل ثلاثين وأربعين وأكثر بالفراخ فكذلك أصحاب النبي ﷺ كانوا قليلاً ثم تزايدوا وكثروا فكانت هذه صفتهم في التوراة والإنجيل من قبل أن يخلق الله السماوات والأرض فكان مثلهم في التوراة غير مثلهم في الإنجيل، هذا قول أكثر المفسرين، ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ وهو مَثَلٌ ضربه الله لأصحابه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بدء الإسلام، ثم كثروا واستحكموا، بتَرَقي أمرهم يوما بيوم، بحيث أعجب الناسَ أمرهم، فكان الإسلام يتقوّى كما تقوى الطاقة من الزرع، بما يحتفّ بها مما يتولّد منها[2]. والمَثَل شامل للنبي ﷺ وللصحابة، فإنّ النبي ﷺ بُعِث وحده، فهو الزرع، حَبّة واحدة، ثم كثُر المسلمون، فهم كالشطْءِ، تَقَوّى بهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3]. ثم قال: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: وعد الله الذين صدقوا محمداً وعملوا الأعمال الصالحات من أصحاب محمد أجراً عظيما ففضلهم بذلك على غيرهم[4].

---

(1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (8/ 190-191).

(2) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (12/ 162).

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (5/ 143).

(4) الهداية إلى بلوغ النهاية (11/ 6980).

روى أبو عروة الزبيري من ولد الزبير: كنا عند مالك بن أنس، فذكروا رجلا ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ، فقرأ مالك هذه الآية ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ حتى بلغ ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ فقال مالك: من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية، فمن نقص واحدا منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين، إنهم: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾. وهذا كله مع علمه تبارك وتعالى بحالهم ومآل أمرهم[1]. وقال رسول الله ﷺ: اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي، لا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ، وَمَنْ آذَى اللهَ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ[2] أي اتقوا الله فيهم، ولا تلمزوهم بسوء، أو اذكروا الله فيهم وفي تعظيمهم وتوقيرهم، وكرره إيذانا بمزيد الحث على الكف عن التعرض لهم بمنقص (لا تتخذوهم غرضا) هدفا ترموهم بقبيح الكلام كما يرمى الهدف بالسهام هو تشبيه بليغ (بعدي) أي بعد وفاتي» ا.هـ[3] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ مَن سبَّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[4].

هذا وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾[5] هم أصحاب محمد ﷺ[6] وقال سفيان في قوله عز وجل

---

(1) تفسير القرطبي (16/ 269 - 272).
(2) رواه أحمد (5/ 54)، والترمذي (ح3862)، والبيهقي في الشعب (2/ 191).
(3) فيض القدير المناوي (2/ 98).
(4) رواه الطبراني في الكبير (12/ 142)، وفي الدعاء (2108) والخلال في السنة.
(5) سورة النمل: الآية 59.
(6) رواه الطبري(20/ 2)، والبزار، وانظر: تفسير ابن كثير (3/ 370)، الاستيعاب(1/ 13)، تفسير القرطبي (13/ 220)، وبذلك فسرها سفيان الثوري. كما رواه عنه أبو نعيم في الحلية (7/ 77)، وابن عساكر (23/ 463).

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1] قال: هم أصحاب محمد ﷺ[2]. وعن وهب بن منبه: في قوله تعالى ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[3] قال هم أصحاب محمد ﷺ[4]. وقال قتادة في قوله تعالى ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾[5]. هم أصحاب محمد ﷺ آمنوا بكتاب الله وعملوا بما فيه[6].

والأحاديث بهذا المعنى كثيرة، فحذار من الوقوع في أحد منهم، فهم ممن مدحهم الله ووصفهم وأثنى عليهم ووعدهم مغفرة وأجرا عظيما.

وعن عمر بن حبيب قال: حضرت مجلس هارون الرشيد فجرت مسألة تنازعها الحضور وعلت أصواتهم، فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ، فرفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم: لا يقبل هذا الحديث على رسول الله ﷺ ؛ لأن أبا هريرة متهم فيما يرويه، وصرحوا بتكذيبه، ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ونصر قولهم فقلت أنا: الحديث صحيح عن رسول الله ﷺ، وأبو هريرة صحيح النقل صدوق فيما يرويه عن النبي ﷺ وغيره، فنظر إلي الرشيد نظر مغضب، وقمت من المجلس فانصرفت إلى منزلي، فلم ألبث حتى قيل: صاحب البريد بالباب، فدخل فقال لي: أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول، وتحنط وتكفن فقلت: اللهم إنك تعلم أني دافعت عن صاحب نبيك، وأجللت نبيك أن يطعن على أصحابه، فسلمني منه. فأدخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي من ذهب،

---

(1) سورة الرعد: الآية 29.

(2) رواه سعيد بن منصور (5/ 435).

(3) سورة عبس: الآية 16.

(4) رواه عبد بن حميد وابن المنذر كما في تفسير ابن كثير(4/ 472)، الدر المنثور(8/ 418).

(5) سورة البقرة: الآية 120.

(6) فتح الباري لابن حجر(13/ 508).

حاسر عن ذراعيه، بيده السيف وبين يديه النطع، فلما بصر بي قال لي: يا عمر بن حبيب ما تلقاني أحد من الرد والدفع لقولي بمثل ما تلقيتني به، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الذي قلته وجادلت عنه فيه ازدراء على رسول الله ﷺ وعلى ما جاء به، إذا كان أصحابه كذابين فالشريعة باطلة، والفرائض والأحكام في الصيام والصلاة والطلاق والنكاح والحدود كله مردود غير مقبول فرجع إلى نفسه ثم قال: أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله، وأمر لي بعشرة آلاف درهم .علما بأن هذه الروايات التاريخية وما يشبهها عن الرشيد يحتاج إلى تمحيص دقيق لما يشبه أنها مصوغة بنوع من الحنكة للتحامل على الرشيد، ولا أدل على ذلك من السيف والنطع أمامه وغير ذلك من الأمور الأخرى.

فالصحابة إذن كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله. هذا مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة. وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم[1].

وهنا نتساءل سؤالا ، هل الصحابة معصومون؟

في معتقد أهل السنة والجماعة أنه لا عصمة لأحد سوى الأنبياء. وكل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه إلا الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام، ولا يعرف الإسلام منح القداسة لأحد بما يبرر لنا الحجر على أي رأي يتناول بالدراسة والنقد تاريخ أحد، غير أن هذه الحرية المطلقة في جرح وتعديل الأشخاص ـ والتي لها مئات الشواهد في كتب الفرق وكتب الرجال ـ هي حرية «بصيرة»، وليست منصة يعتليها البعض للتهكم والمغالطة واجترار الأكاذيب المفضوحة، وهدم مناهج البحث العلمي على مذبح الروايات الشاذة والأحاديث المنكرة .

(1) تفسير القرطبي (16/ 269 -272).

عدالة الصحابة لا تعني أنهم معصومون من الأخطاء والسهو والنسيان، ولا أنهم في مرتبة واحدة من الفضل، ولا تنفي عنهم ما صح من انتقاد بعضهم بعضاً، وإنما تثبت لهم استقامة في الدين، وسلامة في الخلق تمنعهم من تعمد الكذب على المعصوم ﷺ. فرد التهمة عن الصحابي هنا واجب حماية للدين ورحمة بالمتدينين أن يلتبس الأمر عليهم.

لهم هذه المزية وإن عصوا الله. ومن هنا قال الإمام الشاطبي إن سنة الصحابة رضي الله عنهم يعمل بها ويرجع إليها. واستدل لهذا الرأي بمجموعة من الأدلة:

- **الأول**: ثناء الله عليهم من غير مَثْنَوية[1]. ومَدحهم بالعدالة وما يرجع إليها كقوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2] وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[3].

ففي الأولى إثبات الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقتضي استقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة، وفي الثانية إثبات العدالة مطلقا، وذلك يدل على ما دلت عليه الأولى...

- **الثاني**: ما جاء في الحديث من الأمر باتباعهم، وأن سنتهم في طلب الإتباع كسنة النبي ﷺ، كقوله «... عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»[4]...

---

(1) المثنوية هي النظرة الفلسفية التي ترى أن هناك وجودا لمصطلحين أساسيين، غالبا ما يكونا متعاكسين، مثل الخير والشر، النور والظلام، الذكر والأنثى.
(2) سورة آل عمران: الآية 110.
(3) سورة البقرة: الآية 143.
(4) أخرجه أحمد في المسند برقم(17275)، وأبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم(4594) والترمذي في كتاب العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، رقم(2815). وقال حديث حسن صحيح.

➢ **الثالث**: أن جمهور العلماء قدموا الصحابة عند ترجيح الأقوال، فقد جعل طائفة قول أبي بكر وعمر حجة ودليلا، وبعضهم عد قول الخلفاء الأربعة دليلا، وبعضهم يعد قول الصحابة على الإطلاق حجة ودليلا، ولكل قول من هذه الأقوال متعلق من السنة.

➢ **الرابع**: ما جاء في الأحاديث من إيجاب محبتهم، وذم من أبغضهم، وأن من أحبهم فقد أحب النبي ﷺ، ومن أبغضهم فقد أبغض النبي ﷺ، وما ذاك من جهة كونه رأوه أو جاوروه أو حاوروه فقط إذ لا مزية في ذلك، وإنما هو لشدة متابعتهم له، وأخذهم أنفسهم بالعمل على سنته، وحمايته ونصرته، ومن كان بهذه المثابة حقيق أن يُتخَذ قدوة وتجعل سيرته قبلة، ولما بالغ مالك في هذا المعنى بالنسبة إلى الصحابة أو من اهتدى بهديهم، واستن بسنتهم جعله الله تعالى قدوة لغيره في ذلك، فقد كان المعاصرون لمالك يتبعون آثاره، ويقتفون بأفعاله، ببركة أتباعه لمن أثنى الله ورسوله عليهم، وجعلهم قدوة أو من اتبعهم رضي الله عنهم ورضوا عنه...»[1].

❁ **الشهادة الثانية: سارعوا إلى تلبية نداء الحق والإيمان.**

على الرغم من أن أكثر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم قد ولدوا في الجاهلية، والكل يعرف مدى عمق المنحدر الذي هوَت إليه العقلية الإنسانية يومها، ومدى الانحلال السلوكي الذي عاناه الإنسان، لدرجة كانوا يعبدون الأصنام التي ينحتونها بأيديهم، وكان أصحاب النفوذ يتسلّطون على رقاب الضعفاء، والحروب لا تكاد تنتهي، ووأد البنات كان عملاً يُحمد عليه صاحبه، وبيوت البغاء كانت تعلوها رايات خاصة، وهكذا لا تكاد ترى غير الفوضى والضياع في كل مكان من أماكن هذا

---

(1) الموافقات للإمام الشاطبي (4/ 48).

المجتمع، ومع ذلك، فإن أكثرهم سارعوا إلى تلبية دعوة محمد ﷺ، قال تعالى﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِے لِلاِيمَٰنِ أَنَ ـامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلاَبْرارِ﴾[1]. فالفاء في قوله ﴿فَـَٔامَنَّا﴾ مؤذن بتعجيل القبول وتسبيب الإيمان عن السماع من غير تراخ[2]. ولعل هذا هو السر في مخاطبتهم من قبل الحق بوصف الإيمان، قال تعالى ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلذِينَ إَتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِےٓءُ وَالذِينَ ءَامَنُواْ وَاللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُومِنِينَ﴾[3]. وقوله ﴿لَٰكِنِ اِلرَّسُولُ وَالذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[4].وقوله ﴿بَلْ ظَنَنتُمُۥٓ أَن لَّنْ يَّنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَالْمُومِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمُۥٓ أَبَداً وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِے قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْماً بُوراً﴾[5]. وقوله ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ فِے قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُومِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَےْءٍ عَلِيماً﴾[6]. وفي خروج النبي ﷺ وهجرته مع أصحابه من مكة إلى المدينة قال تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمُۥٓ أَن تُومِنُواْ بِاللَّهِ رَبِّكُمُۥٓ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰداً فِے سَبِيلِے وَابْتِغَآءَ مَرْضَاتِے تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَآ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَنْ يَّفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَد ضَّلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[7].

---

(1) سورة آل عمران: الآية 193.
(2) التفسير الكبير المسمى البحر المحيط محمد بن يوسف الأندلسي (3/ 142).
(3) سورة آل عمران: الآية 68.
(4) سورة التوبة: الآية 89.
(5) سورة الفتح: الآية 12.
(6) سورة الفتح: الآية 26.
(7) سورة الممتحنة: الآية1.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال أن إيمان الصحابة رضوان الله عليهم كان في ازدياد دائم، كما قال تعالى ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[1].

أي: أنهم قبل نزول السورة لم يكن لزمهم فرض ما في السورة التي نزلت. فلما نزلت قبلوها والتزموا ما فيها من فرض، فذلك زيادة في إيمانهم الأول. وقال الربيع: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ أي: خشية[2]. وذلك لما يتجدد عندهم من البراهين والأدلة عند نزول كل آية[3]. لأن قلوب الصحابة كانت نيرة، وسرائرهم كانت صافية، بخلاف قلوب المنافقين[4]. ولما كان الاستفهام في قولهم «أَيُّكُمْ» للاستهزاء كان متضمنا معنى إنكار أن يكون نزول سور القرآن يزيد سامعيها إيمانا توهما منهم بأن ما لا يزيدهم إيمانا لا يزيد غيرهم إيمانا، يقيسون على أحوال قلوبهم. أجيب عنهم بهذا التفصيل المتفرع عليه، فأثبت أن للسورة زيادة في إيمان بعض الناس وأكثر من الزيادة، وهو حصول البشر لهم. وارتقي في الجواب عن مقصدهم من الإنكار بأن السورة ليست منفيا عنها زيادة في إيمان بعض الناس فقط، بل الأمر أشد إذ هي زائدة في كفرهم، فالقسم الأول المؤمنون زادتهم إيمانا وأكسبتهم بشرى. والقسم الثاني الذين في قلوبهم مرض زادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون[5].

والقرآن قد صرح في غير ما موضع، بأنه يزيد المؤمنين إيمانا قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ

(1) سورة التوبة: الآية 124.

(2) الهداية إلى بلوغ النهاية (4/ 3195).

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (1/ 478).

(4) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد(6/ 143).

(5) التحرير والتنوير (12/ 66).

زَادَتْهُمْ إِيمَـٰناً وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[1]. والصحابة كانوا إذا سمعوا القرآن قالوا قد ازددنا إيمانا، كقول معاذ بن جبل للأسود بن هلال: اجلس بنا نؤمن ساعة[2]، مع أن الزيادة في الإيمان والنقصان منه موضع تخبط بين الناس وإطناب وإيجاز. والقول فيه أن الإيمان الذي هو نفس التصديق ليس مما يقبل الزيادة والنقص في نفسه، وإنما تقع الزيادة في المصدق به، فإذا نزلت سورة من الله تعالى حدث للمؤمنين بها تصديق خاص لم يكن قبل، فتصديقهم بما تضمنته السورة من إخبار وأمر ونهي، أمر زائد على الذي كان عندهم قبل، فهذا وجه من زيادة الإيمان.

ووجه آخر أن السورة ربما تضمنت دليلاً أو تنبيهاً عليه فيكون المؤمن قد عرف الله بعدة أدلة، فإذا نزلت السورة زادت في أدلته، وهذه أيضاً جهة أخرى من الزيادة، وكلها خارجة عن نفس التصديق إذا حصل تاما، فإنه ليس يبقى فيه موضع زيادة. ووجه آخر من وجوه الزيادة أن الرجل ربما عارضه شك يسير أو لاحت له شبهة مشغبة فإذا نزلت السورة ارتفعت تلك الشبهة واستراح منها، فهذا أيضاً زيادة في الإيمان إذ يرتقي اعتقاده عن مرتبة معارضة تلك الشبهة إلى الخلوص منها.

وأما على قول من يسمي الطاعات إيماناً وذلك مجاز عند أهل السنة فتترتب الزيادة بالسورة إذ تتضمن أوامر ونواهي وأحكاما، وهذا حكم من يتعلم العلم في معنى زيادة الإيمان ونقصانه إلى يوم القيامة، فإن تعلم الإنسان العلم بمنزلة نزول سورة القرآن[3]. وفي هذا الصدد كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز قائلا: «إن للإيمان سننا وفرائض من استكملها فقد استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان»

(1) سورة الأنفال: الآية 2.

(2) صحيح البخاري:(1/ 11) كتاب الإيمان، باب الإيمان.

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (3/ 99).

قال عمر بن عبد العزيز: «فإن أعش فسأبينها لكم وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص». وقال ابن المبارك: لم أجد بدا من أن أقول بزيادة الإيمان وإلا رددت القرآن[1]. هذا هو محمل ما ورد في الكتاب والسنة من إضافة الزيادة إلى الإيمان وكذلك ما يضاف إلى الكفر والنفاق من الزيادة، كقوله تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً﴾[2]. وإلى هذا المحمل يرجع خلاف الأيمة في قبول الإيمان الزيادة والنقص فيئول إلى خلاف لفظي[3]. ومن هنا فلا وجه للاختلاف في هذه المسألة بعد تصريح الله جل وعلا بذلك في كتابه في آيات متعددة[4] كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُومِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمُۥٓ إِلَّآ إِيمَٰناً وَتَسْلِيماً﴾[5]. وقوله: ﴿هُوَ ٱلذِےٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِے قُلُوبِ ٱلْمُومِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰناً مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ وَلِلهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾[6]. لأن الله علم أن السكينة إذا حصلت في قلوبهم رسخ إيمانهم، فعومل المعلوم حصوله من الفعل معاملة العلة وأدخل عليه حرف التعليل وهو لام كي وجعلت قوة الإيمان بمنزلة إيمان آخر دخل على الإيمان الأسبق لأن الواحد من أفراد الجنس إذا انضم إلى أفراد أخر زادها قوة فلذلك علق بالإيمان ظرف (مع) في قوله ﴿مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ فكان في ذلك الحادث خير عظيم لهم كما كان فيه خير للنبي ﷺ بأن كان سببا لتشريفه بالمغفرة العامة ولإتمام النعمة عليه ولهدايته صراطا

(1) تفسير القرطبي (8/ 215).

(2) سورة التوبة: الآية 98.

(3) التحرير والتنوير (22/ 306).

(4) تفسير القرآن أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (6/ 235).

(5) سورة الأحزاب: الآية 22.

(6) سورة الفتح: الآية 4.

مستقيما ولنصره نصرا عزيزا، فأعظم به حدثا أعقب هذا الخير للرسول ﷺ ولأصحابه[1].

هذه الزيادة الإيمانية كانت تتم بمعية أنوار نبوة محمد ﷺ وتحت رعايته وتربيته قال تعالى﴿ لِّلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾[2]. قال ابن عباس: «لما نزلت هذه الآية وقع في قلوبهم شيء، فقال لهم النبي عليه السلام: «قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا»، فَأَلْقَى اللهُ الإيمانَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَأَنْزَلَ: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُومِنُونَ﴾ إلى ﴿أَوَ اَخْطَأْنَا﴾. قال «قَدْ فَعَلْتُ» ﴿رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً﴾، قال: «قَدْ فَعَلْتُ»، ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ إلى آخر السورة. قال: «قَدْ فَعَلْتُ»[3]. وقال سعيد بن مرجانة[4]: جئت عبد الله بن عمر، فتلا هذه الآية ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ ثم قال: والله لئن أُخذنا بهذه الآية لنهلكن، ثم بكى حتى سالت دموعه وسُمع نشيجه. قال ابن مرجانة: فقمت حتى جئت ابن عباس فأخبرته بما قال ابن عمر وبما فعل، فقال: يرحم الله أبا عبدالرحمن، لقد وجد المسلمون منها حين نزلت مثل ما وجد عبد الله بن عمر فأنزل الله ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً اِلاَّ وُسْعَهَا﴾، فنسخت الوسوسة وثبت القول والفعل[5]. قال ابن عطية: وهذا هو الصواب، وذلك أن قوله تعالى ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ معناه مما هو في وسعكم وتحت

(1) التحرير والتنوير (27/ 150).
(2) سورة البقرة: الآية 283.
(3) تفسير الهدايه إلى بلوغ النهايه (1/ 931).
(4) (تابعي توفي سنة 96هـ).
(5) المحرر الوجيز (2/ 531).

كسبكم، وذلك استصحاب المعتقد والفكر فيه. فلما كان اللفظ مما يمكن أن تدخل فيه الخواطر أشفق الصحابة والنبي ﷺ، فبين الله تعالى لهم ما أراد بالآية الأولى وخصصها، ونص على حكمه أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها... وكان في هذا البيان فرَجُهم وكشف كربهم»[1].

ولذلك أمر الله المنافقين بأن يومنوا إيمانا كإيمان الصحابة رضوان الله عليهم، قال تعالى﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾[2] لأن إيمان الصحابة مرضي عنه، وهو الإيمان المنجي والنافع. وقد أمر الله تعالى أهل الكتاب من اليهود والنصارى بما أمر به المنافقين فقال تعالى﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[3].

❁ الشهادة الثالثة: زكى الله عباداتهم.

لقد خلد لنا القرآن الكريم حالات ونماذج من عبادة الصحابة رضوان الله عليهم، فمنذ وقت مبكر من البعثة المحمدية الميمونة أمر الله تعالى رسوله ﷺ بقيام الليل﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا...﴾ الآيات[4]. ورغم أن الخطاب خاص برسول الله ﷺ. ومع ذلك فإن الصحابة الكرام كانوا يحرصون على مشاركته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قيام الليل. قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ

---

(1) المحرر الوجيز (2/ 532).

(2) سورة البقرة: الآية 13.

(3) سورة البقرة: الآية 137.

(4) سورة المزمل: الآية 1.

ٱلَّيْلِ وَنِصْفِهِۥ وَثُلُثِهِۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾. ولكن الله تعالى أشفق عليهم وخفف عنهم ورحمهم في أعذارهم فقال سبحانه﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَاقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ...﴾[1].

ووصف (طائفة) بأنهم ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾، في عمل مما سيق له الكلام، أي المصاحبين لك في قيام الليل، لم يكن في تفسيره تعيين لناس بأعيانهم، وإنما كان عاما، ففي حديث عائشة في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ صلى ذات ليلة في المسجد فصلى بصلاته ناس ثم صلى من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ فلما أصبح قال: قد رأيت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم وذلك في رمضان .

وصَدْر هذه الآية إيماء إلى الثناء على النبيﷺ في وفائه بقيام الليل حق الوفاء، وعلى الطائفة الذين تابعوه في ذلك. فالخبر بأن الله يعلم أنك تقوم مراد به الكناية عن الرضا عنهم فيما فعلوا[2]، لأن الصحابة كانوا حريصين كل الحرص على ملازمة كل المجالس النبوية، لدرجة أن البعض من المشركين استنكف من مجالسة الرسول ﷺ بحضور بعض ضَعَفة المسلمين، فطالبوه بإخلاء مجلسه منهم حتى يجلس إليه أشراف قريش وكبراؤها، وأنزل الله في هذا قرآنا يحذر من الاستجابة لهذا الطلب الاستكباري، وفي نفس الوقت يثني على الصحابة بملازمتهم لمجالس رسول الله ﷺ، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ

(1) سورة المزمل: الآية 20.
(2) التحرير والتنوير (30/ 279).

مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]. وسماه طردا تأكيدا لمعنى النهي، وذلك لحكمة: كانت أرجح من الطمع في إيمان أولئك، لأن الله اطلع على سرائرهم فعلم أنهم لا يؤمنون، وأراد الله أن يظهر استغناء دينه ورسوله عن الاعتزاز بأولئك الطغاة القساة، وليظهر لهم أن أولئك الضعفاء خير منهم، وأن الحرص على قربهم من الرسول ﷺ أولى من الحرص على قرب المشركين، وأن الدين يرغب الناس فيه وليس هو يرغب في الناس كما قال تعالى﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنَ اَسْلَمُواْ قُل لاَّ تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمُۥ أَنْ هَدَيٰكُمْ لِلِايمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[2].

هذا وقد اجتمع في هذا الكلام خمس مؤكدات وهي (من) البيانية، و (من) الزائدة، وتقديم المعمول، وصيغة الحصر في قوله ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾، والتأكيد بالتتميم بنفي المقابل في قوله ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ فإنه شبيه بالتوكيد اللفظي. وكل ذلك للتنصيص على منتهى التبرئة من محاولة إجابتهم لاقتراحهم[3]. والتقدير: ﴿ وَلاَ تَطْرُدِ ٱلذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾، فتكون من الظالمين، ما عليك من حسابهم من شيء فتَطرُدهم: آخِرُ الكلامِ لأوَّلِه، وأوسطُهُ لأِوسَطِه[4]..

وقد بين الحق في آيات أخر أن طرد ضعفاء المسلمين الذي طلبه كفار العرب من نبينا ﷺ فنهاه الله عنه، طلبه أيضا قوم نوح من نوح، فأبى. قال الله تعالى عنه: ﴿وَمَآ أَنَا

---

(1) سورة الأنعام: الآية 53.

(2) سورة الحجرات: الآية17.

(3) التحرير والتنوير (30/ 247).

(4) الهداية إلى بلوغ النهاية (3/ 2031).

بِطَارِدِ ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ إلى قولـه: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ﴾[1]. الآية، وقوله: ﴿وَمَآ أَنَا بِطَارِدِ ٱلْمُؤمِنِينَ ﴾[2]. وهذا من تشابه قلوب الكفار المذكور في قوله تعالى: ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[3] الآية[4].

ولم يكتف القرآن بنهي رسول الله ﷺ عن طردهم فقط، بل أمره ربه بأن يصبر نفسه معهم قال تعالى﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيا وَلاَ تُطِعْ مَنَ اَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوِيٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطاً ﴾[5]. فكان لا يقوم حتى يكونوا هم الذين يبتدئون القيام [6].

❁ **الشهادة الرابعة: أثنى الله على جهادهم في نشر الدعوة والدفاع عنها.**

لقد قدم الصحابة رضوان الله عليهم لهذه الغاية أقصى ما يستطيعون، وبذلوا كل ما يملكون، وضحوا بأنفسهم ونفائسهم. وحتى صفتا «الأنصار والمهاجرين» اللتان يسمى بهما الصحابة ويتَصَنَّفون تحتهما، إنما تشيران إلى جوانب من جهادهم في إقامة الدين وتثبيت أركانه وبناء دولته. فالمهاجرون هاجروا من ديارهم وأهليهم وأموالهم في سبيل الله. والأنصار استقبلوا وآووا ونصروا. فبهذا كان لهم شرف هذه التسمية القرآنية. قال تعالى﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيٓءِ وَالْمُهَٰجِرِينَ وَالاَنصارِ

---

(1) سورة هود: الآية 29.
(2) سورة الشعراء: الآية 114.
(3) سورة البقرة: الآية 118.
(4) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (1/ 479).
(5) سورة الكهف: الآية 28.
(6) تفسير القرطبي (6/ 339).

ٱلذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

في غزوة تبوك كانت في فترة عصيبة جدا حيث الصيف اللاهب والثمار نضجت، كل شيء في المدينة يغري بالبقاء، في هذا الوقت، نادى المعصوم ﷺ للتوجه إلى تبوك رغم قلة المال والدواب والجمال والخيول، ولذلك سمي جيش هذه الغزوة بجيش العسرة، ومع ذلك استجاب الصحابة لذلك، ولسانهم يقول لبيك يارسول الله، حدّثنا ابن هشامٍ عن محمد بن إسحاق، قال: إنّ رسول الله أمر أصحابه بالتهيّؤ لغزو الروم، وذلك في زمانٍ من عُسْرة الناس، وشدّةٍ من الحرّ، وجدبٍ من البلاد، وحين طابت الثمار، والناس يُحِبّون المُقَامَ في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه، وكان رسول الله ﷺ قلّما يخرج في غزوةٍ إلا كنّى عنها، وأخبرَ أنه يريد غير الوجه الذي يَصْمِدُ له (أي يقصده)، إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بيّنها للناس، لبُعدِ الشُّقَّة (أي المسير)، وشدّة الزمان، وكثرة العدوّ، ليتأهّب الناس لذلك أُهبتَه، فأمر الناسَ بالجِهاز، وأخبرهم أنه يريد الروم[2].

حتى الآيات التي جاء فيها عتاب لهم أو لبعضهم شاهدة بعدالتهم حيث غفر الله لهم ما عاتبهم فيه وتاب عليهم قال تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3] وتأمل ختام العتاب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، وهل بعد مغفرة الله من شيء؟

(1) سورة التوبة: الآية 117.

(2) سيرة ابن هشام (4 / 125).

(3) سورة الأنفال: الآيات: 67-69.

وهنا نفتح نافذة لقصة ثلاثة من الصحابة تخلفوا هم: كعب بن مـالك، ومـرارة بـن الربيـع، وهـلال بـن أميـة، تخلفـوا عـن رسـول الله ﷺ في غـزوة تبـوك، وصـدقوا الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما جاء من غـزوة تبـوك، أخـبروه بـأنهم لـيس عنـدهم عـذر، والمنافقون الذين تخلفوا كذبوا وحلفوا، فالرسـول ﷺ قبـل مـنهم علانيـتهم، وأوكـل سرائرهم إلى الله. ومع ذلك هجرهم والمسلمون كذلك خمسين ليلة، لا يكلمـونهم، ولا يردون عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، ولا يجيبون دعوتهم، ولما مضت أربعون ليلـة أمـرهم النبـي ﷺ أن يعتزلوا نساءهم أيضا، حتى ضاقت عليهم الأرض بمـا رحبت، وضاقت عليهم الدنيا بأسرها.

هلال بن أمية ومرارة بن الربيع كل واحد منهم قعد في بيته يبكي، ولا يصلون مـع الجمـاعة، مهجورون، وهذا فيه دليـل أنـه قـد ـ في هـذه الحالـة ـ قـد تـسقط عـنهم الجمـاعة.

وأمـا كعب بن مـالك فكان أشب القوم، كان يطوف في الأسواق ويسلم، ولا أحد يرد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حتى ضاقت عليه الأرض بمـا رحبت، حتى جاء إلى ابن عمه الذي هو أحب الناس إليه، فسلم عليه، فلم يرد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقال: يا فـلان ـ وهو أحب الناس إليه ـ أسألك هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ وكررها ثلاثا، فلم يرد عليه، حتى قال في الثالثة: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناه، حتى ضاقت عليهم الأرض بمـا رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم. فجاءهم الفرج، وأنزل الله توبتهم من فوق سبع سمـاوات قرآنا يتلى إلى يوم القيامة: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ.. ﴾[1]. وغير ذلك من الآيات الشاهدة بمغفرة الله لهم لما ارتكبوا من بعض المعاصي.

---

(1) سورة التوبة: الآية 118.

مشهد آخر يثني فيها الله على بعض أصحابه في غزوة الأحزاب أو الخندق صبروا أياما وهم يحفرون الخندق قال جل وعلا: ﴿وَلَمَّا رَءَا أَلْمُومِنُونَ أَلاَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا أَللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ أَللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمُۥٓ إِلَّآ إِيمَٰناً وَتَسْلِيماً﴾[1].

الحق منصور، ولكن لابد أن يسبق بابتلاء وتمحيص، سنة الله، ولن تجد لها تبديلاً. كما ابتلي المؤمنون في الأحزاب بما أخبر به ربنا في كتابه، ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنَ اَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ اِلَابْصَٰرُ وَبَلَغَتِ اِلْقُلُوبُ اُلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ اِلظُّنُونَا ۝ هُنَالِكَ اَ۟بْتُلِيَ أَلْمُومِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيداً﴾[2].

وقال: ﴿ أَلذِينَ اَسْتَجَابُواْ لِلهِ وَالرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ اُلْقَرْحُ لِلذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَوْاْ اَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[3].

مدحهم لصبرهم، وروي أنه خرج في الناس أخوان وبهما جراحة شديدة وكان أحدهما قد ضعف، فكان أخوه يحمله عقبه ويمشي هو عقبة، ورغب جابر بن عبد الله إلى النبي ﷺ في الخروج معه فأذن له، وأخبرهم تعالى أن الأجر العظيم قد تحصل لهم بهذه الفعلة، وقال رسول الله ﷺ: إنها غزوة[4].

ومن هنا استحقوا من الله هذا الوصف الذي جاء فيهم في القرآن الكريم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ اِلْمُنكَرِ وَتُومِنُونَ

(1) سورة الأحزاب: الآية 22.

(2) سورة الأحزاب: الآية 10.

(3) سورة آل عمران: الآية 172.

(4) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1/ 542).

بِاللَّهِ ﴾[1]. ووجه دلالة هذه الآية أنها أثبتت الخيرية المطلقة لهذه الأمة على سائر الأمم قبلها، وأول من يدخل في هذه الخيرية المخاطبون بهذه الآية مباشرة عند النزول، وهم الصحابة الكرام، وذلك يقتضي استقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة، ومن البعيد أن يصفهم الله بأنهم خير أمة ولا يكونوا أهل عدل واستقامة، وهل الخيرية إلا ذلك؟

كما أنه لا يجوز أن يخبر الله تعالى بأنه جعلهم أمة وسطاً: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2] ـ أي عدولاً ـ[3]، وهم على غير ذلك، فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم «خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط أي عدول بإطلاق»[4]. يقول ابن عبد البر: «قد كوفينا البحث عن أحوالهم؛ بإجماع أهل الحق من المسلمين، وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول»[5].

۞ الشهادة الخامسة: رضي الله عنهم ورضوا عنه.

في صلح الحديبية عندما اتجه المعصوم ﷺ مع أصحابه معتمرين لا يقصدون قتالا ولا إساءة إلى أي احد، ولما وصلوا إلى الحديبية كان المشركون قد شعروا بذلك وأرسلوا إليهم بأنهم سوف يقاتلونهم إن دخلوا، فتخلل ذلك مفاوضات وتوصلوا إلى صلح الحديبية.

---

(1) سورة آل عمران: الآية 110.
(2) سورة البقرة: الآية 143.
(3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (2/ 154).
(4) الموافقات (4/ 450 – 452) بتصرف.
(5) الاستيعاب (1/ 8).

اقتضى أحد بنود هذا الصلح أن يرجعوا ولا يعتمرون، حتى السنة القادمة، ثم يعودوا بعد ثلاثة أيام، ثم شاع بعد ذلك مقتل سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه وأرضاه، ثم جاءت شهادة هؤلاء الذين بايعوا الرسول ﷺ على ذلك: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[1] وقوله: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2]. وقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[3]. وقوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[4]. وقوله: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[5].

ولعل أجمع آية في مدح الصحابة والثناء على صفاتهم التي اتصفوا بها، هي تلك الآيات التي نزلت جوابا على تساؤل بعض الصحابيات عن عدم ذكرهن في القرآن

(1) سورة الفتح: الآية 18.
(2) سورة المائدة: الآية 119.
(3) سورة التوبة: الآية 100.
(4) سورة المجادلة: الآية 21.
(5) سورة البينة: الآية 8.

كمـا يذكر الرجال، فأنزل الله تعالى هذه الشهادة الجامعة لأوصاف الصحابة رجالا ونساء، ويدخل فيها من كان مثلهم من المؤمنين والمؤمنات[1] ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُومِنِينَ وَٱلْمُومِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيراً وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[2].

ومـا هذه المنة من ربهم إلا بيان لعباده مؤمنهم وكافرهم إلى قيام الساعة؛ بعظم مكانة من اختارهم لصحبة سيد أنبيائه ورسله، وأن التجريح والقدح في تلك المكانة والعدالة إنمـا هو تجريح وقدح فيمن بوأهم تلك المكانة، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس.

إنها شهادة من الحق سبحانه بمـا كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ﴿قُلَ اَيُّ شَےْءٍ اَكْبَرُ شَهَـٰدَةً قُلِ اِ۬للَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِے وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَـٰذَا اَ۬لْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَيِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اَ۬للَّهِ ءَالِهَةً اُخْرَيٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلِ اِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِے بَرِےٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[3].

وبهذا يتم لنا القول في موضوع الصحابة في القرآن الكريم من خلال تفاسير علمـاء الغرب الإسلامي، فإن وفقت إلى مـا إليه قصدت فالخير أردت، ولله الفضل والمنة، وإن كانت الأخرى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فحسبي أن من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر، والله المسؤول بمنه وكرمه أن يجبر خللي ويغفر زللي، ويخلص لوجهه عملي إنه نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله أولا وأخيرا.

---

(1) الصحابة في القرآن (ص4).
(2) سورة الأحزاب: الآية 35.
(3) سورة الأنعام: الآية 19.

فهرس المصادر والمراجع

- الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الأندلسي، دار الجيل ـ طبعة 2، بيروت 1407هـ.
- الاستيعاب في تمييز الأصحاب أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري، دار الجيل.
- أسد الغابة لابن الأثير، طبعة، دار الشعب.
- الإصابة لابن حجر العسقلاني، طبعة، دار الفكر بيروت لبنان 1398هـ/1978م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان.
- تاريخ الأمم والملوك للإمام المجتهد الحافظ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، طبعة 1407/1هـ دار الكتب العلمية بيروت.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، دار النشر، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس/1997م.
- تفسير أيسر التفاسير أبو بكر الجزائري مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
- تفسير البحر المحيط أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان، دار النشر، دار الفكر.
- تفسير البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة، دار النشر، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
- تفسير التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الغرناطي الناشر، دار الأرقم.
- تفسير القرآن محي الدين محمد بن على المعروف بابن عربي الطائي المالكي.
- التفسير الكبير المسمى البحر المحيط، لأبي عبد الله محمد بن يوسف الأندلسي، دار إحياء التراث العربي.

- تفسير ابن كثير إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، طبعة دار، طبعة يبة.
- تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تأليف أبي محمد عبدالحق بن غالب ابن عطية الأندلسي الغرناطي الحافظ القاضي، دار النشر، دار الكتب العلمية، لبنان، 1413هـ/1993م.
- تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية أبو محمد مكي بن أبي، طبعة البحَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، 1429هـ/ 2008م.
- الجامع لأحكام القرآن القرطبي الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية الطبعة: 1423هـ/2003م.
- الجامع لشعب الإيمان أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي مكتبة الرشد.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين، الخضيري، المعروف بـ: جلال الدين السيوطي، دار الفكر ـ بيروت/1993م.
- سنن أبي داود.
- السيرة النبوية عبد الملك بن هشام المعافري، دار الجيل ـ بيروت/1411هـ، الطبعة الأولى، تحقيق عبد الرءوف.
- صحيح البخاري.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري الحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الفكر.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير الإمام عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب.
- كتاب العين، الخليل الفراهيدي: مؤسسة النشر الإسلامي قم 1414هـ/ ط1.
- لسان العرب للعلامة جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، طبعة 1، دار صادر بيروت.

- معجم الطبراني الكبير سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني مكتبة العلوم والحكم ـ الموصل.
- مفتاح، دار السعادة. ابن قيم الجوزية الناشر: المكتبة العصرية، الدار النموذجية.
- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني المكتبة المرتضوية 1373هـ
- الموافقات في أصول الفقه وحكم الشريعة وأسراره للامام أبي إسحق ابراهيم ابن موسى ابن محمد اللخمي الشاطبي ثم الغرناطي، طبعة: المطبعة التجارية الكبرى مصر وعليها شرح للشيخ عبد الله دراز.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، أبو محمد مكي ابن أبي، طبعة البحَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي. الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى/1429 هـ 2008م.

المحور الرابع

منزلة الصحابة الكرام عند علماء الغرب الإسلامي

فضائل الصحابة الكرام من خلال شرحي القاضي عياض والقرطبي لصحيح الإمام مسلم

د. محمد رستم

ملخص البحث

ألقى الله عز وجل في قلوب أهل المغرب والأندلس، محبة الصحابة الكرام الذين نصروا رسول الله ﷺ، وبلغوا هذا الدين إلى الآفاق، وأبلوا في الإسلام بلاء حسنا.

ولقد ظهرت هذه المحبة العظيمة للصحابة، فيما وضع المغاربة والأندلسيون من تآليف منوهة بفضائل الصحابة، ومن بين هذه التآليف ما وُضع على صحيح الإمام مسلم من شروح، وتحاول هذه المشاركة أن تلقي الضوء على جهود القاضي عياض والقرطبي في شرحيهما لصحيح مسلم، بيانا لفضائل الصحابة، وتنويها بمكانتهم، وإشادة بمنزلتهم، وذلك من خلال الأحاديث الصحيحة عن النبيﷺ التي جاءت في بيان ذلك في كتاب الفضائل من الصحيح.

الباحث في سطور

الدكتور محمد رستم Abouyassir.rostom@gmail.com

- من مواليد عام 1963م.
- أستاذ التعليم العالي(أستاذ مشارك) بجامعة السلطان المولى سليمان، كلية الآداب، بني ملال.
- دكتوراه الدولة في الحديث وعلومه.
- له أزيد من 50 بحثا ودراسة منشورة في مجلات ودوريات محلية ودولية، منها خمسة بحوث منشورة في مجلات محكَّمة خارج المغرب، ومنها دراسات في الغرب الإسلامي.
- شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات محليا ودوليا.

من أعماله المنشورة:

- كتاب الإعراب عن الحيرة والإلتباس لابن حزم.
- كتاب تعليقات الحكم المستنصر على الكتب.
- ترجمان التراجم على أبواب صحيح البخاري لابن رشيد السبتي، جمع ودراسة وتحقيق.
- الكتب المشرقية والأصول النادرة في الأندلس.

مُقَدِّمَة

لم تكن عناية المغاربة وأهل الأندلس في التأليف في الصحابة إلا ثمرة من محبتهم لهذا الرعيل الأول من المسلمين الذين نصروا رسول الله ﷺ، واهتبلوا بهذا الدين الجديد، فنشروه في الآفاق حتى وصل إلى أنحاء مختلفة من المعمورة، وتنوعت مناحي التأليف في تاريخ الصحابة الكرام في التراث المغربي والأندلسي، فكان من ذلك كتب مبسوطة اعتنت بذكر تراجم الصحابة عامة، وكتب اعتنى أصحابها بالحديث عن صحابي واحد، وكتبٌ في بيان حقيقة الحال في تحقيق مواقف الصحابة زمنَ الفتنة، بيد أن هناك كتبا في الدارسات المغربية الأندلسية ورد فيها ذكرُ سِيَرِ الصَّحابة وتواريخهم، كما ورد فيها حديثٌ مستفيضٌ عن فضائلهم ومناقبهم التي عُرفوا بها، ومن هذه الكتب شروح صحيح الإمام مسلم.

ويُعنى هذا البحث بالتَّنويه بجهد شارحيْن لصحيح الإمام مُسلم في التنويه بفضائل الصحابة الكرام، أحدهما مغربي وهو القاضي عياض بن موسى السبتي المتوفى سنة 544هـ في كتابه الموسوم بـ: «إكمال المعلم بفوائد مسلم»، والثاني أندلسي وهو الحافظ الإمام المفسر أحمد بن عمر القرطبي المتوفى سنة656هـ في كتابه: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم».

❁أسباب اختيار الكتابة في الموضوع:

وترجع أسباب اختيار الكتابة في هذا الموضوع إلى ما يلي:

◄ **أولا**: اقتراح اللجنة المنظمة لهذه الندوة العلمية المباركة للكتابة في هذا المنحى، الذي قد يُغفل البحثَ فيه كثيرٌ من الباحثين في تاريخ الصحابة الكرام.

➢ **ثانيا**: إغفالُ كثيرٍ من الدَّارسين لتاريخ الصَّحابة الكرام في التراث المغربي والأندلسي، لهذا النوع من الشروح الموضوعة على بعض الكتب الحديثية التي اعتنى أصحابُها بالتنويه بالصحابة سيرةً ومناقب وأخباراً.

➢ **ثالثا**: وجود مادة علمية لابأس بها عن الصحابة الكرام في هذا النوع من الكتب الشارحة لبعض كتب الحديث.

➢ **رابعا**: الوقوف على مساهمة أهل الغرب الإسلامي في التأليف عن الصحابة الكرام، ومحاولة الكشف عن الإضافة العلمية الجادة التي اشتملت عليها التآليف المغربية والأندلسية عن الصحابة.

❀ منهج البحث في الموضوع:

يقوم منهج البحث في هذا الموضوع على ما يلي:

➢ محاولة استقراء المادة العلمية المتعلقة بفضائل الصحابة من شرح القاضي عياض والقرطبي لصحيح الإمام مسلم، وذلك من خلال كتاب الفضائل من الجامع الصحيح.

➢ استخراج آراء عياض والقرطبي في فضائل الصحابة الكرام من المادة العلمية المتوفرة.

والله أسأل أن ينفع الباحثين بهذه الدراسة، وأن يكتب لي بها الأجر، ويجزل العطاء، إنه كريم جواد لا رب لنا سواه.

المبحث الأول: استخراج المادة العلمية المتعلقة بفضائل الصحابة من شرح عياض والقرطبي لصحيح مسلم

توجد المادة العلمية الخاصة بفضائل الصحابة في شرح القاضي عياض السبتي والقرطبي لصحيح الإمام مسلم، في كلامهما على كتاب الفضائل من الجامع الصحيح، والناظر في هذه المادة يستطيع أن يصنف موضوعها إلى ما يلي:

أولا: تفسير الفضائل

فسَّر الإمامُ القرطبي الفضائل بقوله:«الفضائل جمع فضيلة، كرغائب جمع رغيبة، وكبائر جمع كبيرة، وهو كثير، وأصلها الخصلة الجميلة التي بها يحصل للإنسان شرفٌ، وعلوٌّ منزلةٍ وقدرٍ»[1].

ثم ينتقل القرطبي إلى بيان حقيقة الشرف الملازم لصاحب الفضيلة، فيقول:»ثم ذلك الشرف، وذلك الفضل إما عند الخلق، وإما عند الخالق، فأما الأول فلا يلتفت إليه إن لم يوصل إلى الشرف المعتبر عند الخالق، فإذاً الشرفُ المعتبر، والفضلُ المطلوب على التحقيق، إنما هو الذي هو شرفٌ عند الله تعالى»[2].

ثانيا: تفسير قول من قال: الصحابة فضلاء:

يقول الإمام القرطبي مفسرا ذلك:«...فإذا قلنا إن أحدا من الصحابة رضي الله عنهم فاضل، فمعناه أن له منزلة شريفة عند الله تعالى»[3].

---

(1) المفهم (6/ 237).
(2) نفسه (6/ 237).
(3) نفسه.

ثالثا: شرط ثبوت الفضائل:

> **الفضائل لا يُتوصل إليها بالعقل**: هكذا يقرر القرطبي عندما يقول: «وهذا لا يتوصل إليه بالعقل قطعا، فلابد أن يرجع ذلك إلى النقل، والنقل إنما يتلقى من الرسول، ﷺ، فإذا أخبرنا الرسول ﷺ بشيء من ذلك تلقيناه، فإن كان قطعيا حصل لنا العلم بذلك، وإن لم يكن قطعيا كان ذلك كسبيل المجتهدات... لكِنّا إذا رأينا من أعانه الله على الخير، ويسر له أسباب الخير رجونا له حصول تلك المنزلة عند الله تمسكا بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله في الخير، ووفقه لعمل صالح»[1].

> **الفضائل لا تُدرك بالقياس**: وهذا الشرط في ثبوت الفضائل قريبٌ من الذي قبله، إن لم يكن مثله، ولقد نبّه عليه القاضي عياض عندما قال: «اعلم أن الفضائل والتفضيل عند العلماء مما لا يدركه القياسُ، إنما مداره على التوقيف، ومعنى فلان أفضل من فلان أي أكثر ثوابا عند الله، وأرفع منزلة لربه، وهذا مما لا يعلم إلا بتوقيف، ولا يستدل عليه بكثرة الطاعات الظاهرة، إذ قد يكون الثواب من الله على اليسير الخفي منها، أكثر من الكثير الظاهر وعلى صحة الإيمان وكثرة الذكر والفكر والخشية، وإن كانت الأعمال الظاهرة فيها مجال لغلبات الظنون بالتفضيل، قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[2].

---

(1) المفهم (6/ 237-238).

(2) إكمال المعلم (7/ 382).

رابعا: التنصيص على فضل كل واحد من الصحابة الذين وردت أحاديث فيهم بذلك في صحيح مسلم:

1. فضائل الأربعة الخلفاء:

لقد وردت عدة أحاديث في صحيح الإمام مسلم في بيان فضائل الأربعة الخلفاء، وتصدى لشرحها والتعليق عليها القاضي عياض والقرطبي، فمن ذلك التنويه بـ:

أ - فضل أبي بكر الصديق:

اعتنى القاضي عياض والقرطبي في أثناء شرحهما للأحاديث الواردة في فضل أبي بكر الصديق من صحيح الإمام مسلم، ببيان مناقب الخليفة الأول، والخليل الأمثل لرسول الله ﷺ، فمن ذلك قول عياض عند شرح حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: «عبدٌ خيَّره اللهُ بين أن يؤتيه زهرة الدنيا، وبين ما عنده، فاختار ما عنده»، فبكى أبو بكر، وبكى، فقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، قال: فكان رسول الله ﷺ، هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا به، وقال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِنْ أمنِّ الناس عليَّ في ماله وصحبته أبو بكر، ولو كنتُ متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخوةُ الإسلام، لا تُبقيَّن في المسجد خَوخَة إلا خوخة أبي بكر»[1]: وقوله: «لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر»، بفتح الخاءين... فيه دليل على أن المساجد لاتتطرق إلى الدور ولاغيرها، واختصاصه لأبي بكر بهذا دليلٌ على فضيلته، وقد استدل به على صحة إمامته واستخلافه للصلاة، وعلى خلافته بعده»[2].

---

(1) أخرجه مسلم برقم2293 في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(2) إكمال المعلم (7/ 386).

وأفاض القرطبي في التعليق على هذا الحديث، منوها بفضل أبي بكر الصديق فقال: «وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عبدٌ خيَّره الله تعالى بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده»، هذا قولٌ فيه إبهام، قصد به النبي ﷺ اختبار أفهام أصحابه، وكيفية تعلق قلوبهم به، فظهر أن أبا بكر كان عنده من ذلك ما لم يكن عند أحد منهم، ولما فهم من ذلك ما لم يفهموا بادر بقوله: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، ولذلك قالوا: فكان أبو بكر أعلمنا»، وهذا يدل من أبي بكر رضي الله عنه ـ على أن قلبه ممتلئٌ من محبة رسول الله ﷺ ومستغرق عنه...ولما علم النبي ﷺ، ذلك منه، وصدر منه في ذلك الوقت ذلك الفهمُ عنه، اختصه بالخصوصية العظمى التي لم يظفر بمثلها بشري في الأولى ولا في الآخرة، فقال:«إن من أمن الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنتُ متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا»، فقد تضمن هذا الكلام أن لأبي بكر من الفضائل والحقوق مالا يشاركه فيها مخلوق، ووزنُ أمنُّ أفعل، من المنة بمعنى الامتنان، أي أكثر منةً، ومعناه أن أبا بكر رضي الله عنه له من الحقوق ما لو كانت لغيره لامتن بها، وذلك أنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بادر النبيَّ ﷺ، بالتصديق، والناس كلهم مكذبون، وبنفقة الأموال العظيمة، والناس يبخلون، وبالملازمة والمصاحبة، والناس ينفرون، وهو مع ذلك بانشراح صدره، ورسوخ علمه يعلمُ، أن لله ولرسوله الفضلُ والإحسانُ، والمنة والامتنان، لكن النبيﷺ، بكرم خلقه، وجميل معاشرته اعترف بالفضل لمن صدر عنه، وشكر الصنيعة لمن وجدت منه، عملا بشكر المنعم، ليسنَّ، وليعلِّم»[1].

ب - فضل عمر بن الخطاب:

لم يدع القاضي عياض والقرطبي مناسبة شرح الأحاديث الواردة في فضائل عمر بن الخطاب في صحيح مسلم، دون التنويه بفضله والتنبيه على شريف مكانته في الإسلام،

---

(1) المفهم (6/ 240-241).

فهذا القاضي عياض يقول عند شرح حديث أبي هريرة الذي فيه قول رسول الله ﷺ: «بينا أنا نائم رأيتني على قليب، عليها دلو، فنزعتُ منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بها ذنوبا أو ذنوبين.....ثم استحالت غربا فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر بن الخطاب، حتى ضرب الناس بعطن»[(1)]: «هذا ضربُ مثل لحاله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، مع أمته وقيامه بأمرهم، وقيام أبي بكر وعمر بعده، وصفة حالتهم في الخلافة واستقرار الأمور واتساع الإسلام، وكثرة الفيء والخير، واستقرار الشريعة والعلم والفقه في الدين أيام عمر، فعبر القليبَ والبئر والحوض على اختلاف ألفاظ الحديث بأمر المسلمين لما فيها من الماء الذي به حياتهم وصلاحهم.....وقوله: «وفي نزعه ضعف»: «ليس أن ذلك مما حطَّ من فضله[(2)] ولا أثبت فضل عمر عليه بقوة نزعه، وإنما هو إخبار عن حالتي ولايتهما وصفة الأمة معهما وقصر ولاية أبي بكر وطول ولاية عمر، وأن مدة أبي بكر كان فيها من تفرق كلمة العرب بعده بالردة، وشغل المسلمين بحربهم أكثر أيامه ما لم يتفرغوا معه لقتال غيرهم، وفتوح بلاد الكفرة، وغنائم أموالهم إلا في أخريات أيامه.....ثم اتسع ذلك أيام عمر وطالت مدته، وكثرت الفتوحات معه وكثرت الجبايات، واتسع نطاق الإسلام، وامتلأت أيديهم من الغنائم، ومصرت الأمصار، ودونت الدواوين»[(3)].

وقال القرطبي في بيان مناقب عمر:«وسُمي الفاروق لأنه فرق بإظهار إسلامه بين الحق والباطل...ونزل جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، على رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد استبشر أهل السماء بإسلام عمر»[(4)].

---

(1) أخرجه مسلم برقم2392 في فضائل الصحابة باب فضائل عمر.

(2) يعني القاضي عياض بذلك أبا بكر الصديق.

(3) إكمال المعلم (7/ 396-397).

(4) المفهم (6/ 251).

وقال القرطبي أيضا في شرح حديث: «قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحدٌ، فإن عمر بن الخطاب منهم»[1]: «وقوله: «فإن يكن في أمتي أحد منهم فعمر»، دليل على قلة وقوع هذا وندوره، وعلى أنه ليس المراد بالمحدثين المصيبين فيما يظنون، لأن هذا كثير في العلماء والأئمة الفضلاء، بل وفي عوام الخلق كثير ممن يقوى حدسه فتصح إصابته فترتفع خصوصية عمر رضي الله عنه بذلك. ومعنى هذا الخبر قد تحقق ووجد في عمر قطعا، وإن كان النبي ﷺ، لم يجزم فيه بالوقوع، ولا صرح فيه بالأخبار، لأنه إنما ذكره بصيغة الاشتراط، وقد دلَّ على وقوع ذلك حكايات كثيرة عنه، كقصة الجبل يا سارية الجبل، وغيره، وأصح ما يدل على ذلك شهادة النبي ﷺ له بذلك كما رواه الترمذي عن ابن عمر مرفوعا: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «ما نزل بالناس أمر قط قالوا فيه وقال فيه عمر إلا نزل القرآن على نحو ما قال فيه عمر...ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه: «وافقت ربي في ثلاث....الحديث»[2].

❁ **التنويه بفضل خلافة أبي بكر وعمر:**

اقتضى التنويه بفضل أبي بكر وعمر الإشادة بالمدة التي قضاها الخليفتان في الإمامة والإمارة، فهذا القرطبي يقول في شرح حديث: «أريت كأني أنزع بدلو بكرة على قليب، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين، فنزع نزعا ضعيفا، والله تبارك وتعالى يغفر له، ثم جاء عمر فاستقى، فاستحالت غربا، فلم أر عبقريا من الناس يفري فريه حتى روى الناس، وضربوا العطن»[3]: «وهذا الرؤيا هي مثالٌ لما فتح الله تعالى على يدي

---

(1) أخرجه مسلم في فضائل عمر بن الخطاب برقم2310.

(2) المفهم (6/ 260-261) ومن تتمة الحديث: « في مقام إبراهيم وفي الحجاب وفي أسارى بدر».

(3) سبق تخريجه.

النبي ﷺ ويدي الخليفتين بعده من الإسلام والبلاد والفيء، فالنبيﷺ، هو مبدأ الأمر ومـمكنٌ منه، وأبو بكر ﷛ بعده؛ غير أن مقدار مـا فتح الله على يديه من بلاد الكفـر قليل، لأن مدة خلافته كانت سنتين وثلاثة أشهر، اشتغل في معظمها بقتال أهل الـردة، ثم لمـا فرغ منها أخذ في قتال أهل الكفر، ففـتح في تلـك المـدة بعـض العـراق وبعـض الشام، ثم مـات رضي الله عنه، ففتح الله علي يدي عمر ﷛، سـائر الـبلاد، واتـسعت خطة الإسلام شرقا وغربا وشامـا، وعظمت الفتوحات، وكثرت الخـيرات والبركـات التي نحن فيها حتى اليوم، فعبر عن سنتي الخلافة أبي بكر ﷛ بالـذنوبين، وعـن قلـة الفتوحات فيها بالضعف، وليس ذلك وهنا في عزيمته، ولا نقصا في فضله على مـا هـو المعروف من همته، والموصوف من حالته»[1].

ت- فضل عثمـان بن عفان:

نوَّه القاضي عياض السبتي والإمـام القرطبي بفضل الخليفة الراشد الثالـث عثمـان ابن عفان، وبفـضل خلافتـه، فهـذا الأول يقـول:«...وأمـا عثمـان ﷛، فخلافتـه صحيحة وقتلته فسقة ظلمة، بغت عليه أنه حمـا الحِمى، وفضَّل أقاربه في العطاء، وآوى طريد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقد ذكر العلمـاء المخرج من هذا كلـه، ولـو كـان مـمـا ينقم به، ولا عذر فيه لم يوجب إراقة دمه»[2].

وقال القرطبي عند شرح حديث أبي موسى الأشعري في اسـتئذان أبي بكـر وعمـر وعثمـان على رسول الله ﷺ وهـو جـالس إلى بئـر قـد دلَّى رجليـه إليهـا[3] ـ مُنوِّهـا بعثمـان ـ:«...وقد كان انتهى من الفضل والعلم، والعبادة إلى الغايـة القـصوى، كـان

(1) المفهم (6/ 254-255).

(2) إكمـال المعلم (7/ 381).

(3) أخرجه مسلم في النبوات، باب فضائل عثمـان ﷛ برقم: 2313.

يصوم الدهر، ويقوم الليل يقرأ القرآن كله في ركعة الوتر...وقد شهد له رسول الله ﷺ بأنه شهيد، ومن أهل الجنة، وقتلته مخطئون قطعا، وقد قدموا على ما قدموا عليه»[1].

ج- فضل علي بن أبي طالب:

لقد اهتبل القاضي عياض والقرطبي بذكر علي بن أبي طالب ذكرا جميلا، والإشادة بما صحَّ من فضائله ومناقبه، فمن ذلك قول عياض عند شرح حديث:«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي»[2]: «وهذا الحديث بكل حال لا حجة فيه لأحد منهم -يعني الروافض- بل فيه من فضائل علي ومنزلته ما لا يحط من منزلة غيره»[3].

وقال القرطبي في بيان فضائل علي عند شرح الحديث السابق: «وكان رضي الله عنه قد خص من العلم والشجاعة والحلم، والزهد والورع وكارم الأخلاق ما لا يسعه كتابٌ، ولا يحويه حصر حساب»[4].

ولقد اقتضى التنويه بعلي بن أبي طالب من القاضي عياض والقرطبي، الإشادة بخلافته، وأنها قد تمت صحيحة معتبرةً، فالقاضي عياض يقول: «...وكذلك علي رضي الله تعالى عنه العقدُ له بوجهٍ صحيح، والعقدُ لغيره في أيام خلافته وحياته لا ينعقد ولا يصح»[5].

(1) المفهم (6/ 267).
(2) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب برقم31.
(3) إكمال المعلم (7/ 412).
(4) المفهم (6/ 270).
(5) إكمال المعلم (7/ 381).

وبنحو هذا التقرير، يقول القرطبي متحدثا عن كيفية العَقد لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «... بويع له بالخلافة يوم مقتل عثمان، واجتمع على بيعته أهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار، إلا نفرا منهم...»[1].

❁ ترتيب الأربعة الخلفاء في الفضل:

عرَّج القاضي عياض والقرطبي على مسألة المفاضلة بين الخلفاء الأربعة، وعرضا رأي أهل السنة والجماعة في ذلك، وانتصرا له، يقول عياض: «والمشهور عن مالك وسفيان، وكافة أئمة الحديث والفقهاء، وكثير من المتكلمين ترتيب الأربعة في الفضل حسب ترتيبهم في الخلافة واختلفت الرواية في المدونة، ففي رواية بعضهم: لأبي بكر ثم عمر ثم عثمان، وقال: أو في ذلك شك؟....»[2].

وتعرَّض عياضٌ لهذه المسألة في موضع آخر من شرحه لصحيح الإمام مسلم فقال: «وقد استدل بعض العلماء بتقديم الخلفاء الأربعة وترتيبهم في الخلافة على رتبة درجاتهم ومناصبهم في التفضيل، وهذا إنما يستقيم على القول بوجوب تقديم الأفضل بكل حال، فأما مع القول بجواز تقديم المفضول مع وجود الفاضل فلا دليل فيه على ذلك، لكنا علمنا تقديمهم وترتيبهم في الفضائل بغير هذه الطريق، وما ورد عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من فضائلهم، وكثرة مناقبهم، وقدمهم في الإسلام، وتقدمهم على ما تقدم من الاختلاف، هل ذلك على القطع أو على غلبة الظن؟ وما رُوي عن جمهور السلف الصالح في ذلك، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن تقديمهم للخلافة بحسب ما قدر الله تعالى من أنهم الأربعة سيكونون خلفاء وأئمة ومتباينة آجالهم، وأن الخلافة

---

(1) المفهم (6/ 270).

(2) إكمال المعلم (7/ 382).

كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعده ثلاثون سنة، فيقدم أبو بكر إذْ كان أولهم موتا، فلو تقدم أحد الثلاثة لم يل الخلافة، ولا كانت مدتها واحدة، وقد سبق له أن يلي، وكذلك عمر مع من بعده، وكذلك عثمان مع علي، ولو تقدم علي أولا لم يل واحد منهم لموت جميعهم في بقية عمره»[1].

ويقرب من رأي القاضي عياض في هذه المسألة رأيُ القرطبي، الذي يقول عند شرح حديث:«..يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[2]: «...وإذا تقرر هذا فالمقطوع بفضله، وأفضليته بعد رسول الله ﷺ، يعند أهل السنة، وهو الذي يقطع به من الكتاب والسنة، أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق، ولم يختلف في ذلك أحد من أئمة السلف، ولا الخلف، ولا مبالاة بأقوال أهل الشيع، ولا أهل البدع، فإنهم بين مكفر تضرب رقبته، وبين مبتدع مفسق لاتقبل كلمته، وتدحض حجته، وقد اختلف أئمة أهل السنة في علي وعثمان رضي الله عنهما، فالجمهور منهم على تقديم عثمان، وقد روي عن مالك أنه توقف في ذلك، وروي عنه أنه رجع إلى ما عليه الجمهور، وهو الأصح إن شاء الله، والمسألة اجتهادية لا قطعية، ومستندها الكلي أن هؤلاء الأربعة هم الذين اختارهم الله تعالى لخلافة نبيه، ولإقامة دينه، فمراتبهم عنده بحسب ترتيبهم في الخلافة، إلى ما ينضاف إلى ذلك بما يشهد لكل واحد منهم من شهادات النبي ﷺ له بذلك تأصيلا وتفصيلا..وهذا الباب بحرٌ لا يُدرك قعره، ولا يُنزفُ غمره، وفيما ذكرناه كفاية، والله الموفق للهداية»[3].

---

(1) إكمال المعلم (7/ 389).

(2) أخرجه مسلم في النبوات، في فضائل أبي بكر الصديق واستخلافه برقم2292.

(3) المفهم (7/ 238-239).

2- فضائل بقية الصحابة:

لقد اشتمل شرح القاضي عياض والقرطبي على صحيح الإمام مسلم على ذكر فضائل كثير من الصحابة الذين ثبتت صحبتهم، وعُرفت ملازمتهم لرسول الله ﷺ، ونحن هنا سنعرج على ذكر فضائل بعض هؤلاء الصحابة، قصد التمثيل للدلالة على وجود مادة الفضائل في الشَّرحيْن المنوه بهما ههنا.

1- فضل معاذ بن جبل:

اعتنى الإمام القرطبي بذكر فضل معاذ بن جبل أثناء ذكره لفضائل عبد الله بن مسعود، فقال في التنويه به:«...شهد العقبة مع السبعين، وشهد بدرا، وجميع المشاهد، وولاَّه رسول الله ﷺ على عمل من أعمال اليمن، وخرج معه النبي ﷺ مودعا ماشيا، ومعاذ راكبا، منعه من أن ينزل، وقال فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أعلمكم بالحلال والحرام معاذ»، وقال:«إنه يسبق العلماء يوم القيامة رتوة[1] بحجر»، وقال فيه ابن مسعود: «إنه كان أمة قانتا لله، وقال: الأمة هو الذي يعلم الناس الخير، والقانت: هو المطيع لله عَزَّوَجَلَّ، وكان عابدا مجتهدا ورعا محققا...وكان مجاب الدعوة...»[2].

2- فضل عبد الله بن عباس:

عرَّج الإمام القرطبي في شرحه لصحيح الإمام مسلم على ذكر فضائل عبد الله بن عباس، فقال عند تصديه لشرح حديث دعاء النبي ﷺ له بقوله: «اللهم فقهه»[3]: «توفي ابن عباس وهو ابن سبعين سنة...وصلى عليه محمد ابن الحنفية، وقال: اليوم

---

(1) الرتوة: الرمية.

(2) المفهم (6/ 376-377).

(3) أخرجه مسلم في النبوات، باب فضائل عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر برقم2386.

مات رباني هذه الأمة، وضرب على قبره فسطاطا، ويروى عن مجاهد عنه أنه قال: رأيت جبريل عند النبي ﷺ مرتين، ودعا لي رسول الله ﷺ بالحكمة مرتين، وقال ابن مسعود رضي الله عنه، فيه: فتى الكهول، لسان سؤول، وقلب عقول...وكان يسمى البحر لغزارة علمه، والحبر لاتساع حفظه، ونفوذ فهمه، وكان عمر رضي الله عنه، يقربه ويدنيه لجودة فهمه وحسن تأتيه»[1].

ثم قال القرطبي مبينا ظهور بركة دعاء النبي ﷺ له:«قلتُ: وقد ظهرت عليه بركات هذه الدعوات، فاشتهرت علومه وفضائله، وعمَّت خيراته وفواضله، فارتحل طُلاَّب العلم إليه، وازدحموا عليه، ورجعوا عند اختلافهم لقوله، وعوَّلوا على نظره ورأيه، قال يزيد بن الأصم: خرج معاوية حاجا معه ابن عباس فكان لمعاوية موكب، ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم... ولقد كان عمر رضي الله عنه يعده للمعضلات مع اجتهاد عمر ونظره للمسلمين، وكان قد عمي في آخره، فأنشد في ذلك:

إن يأخذ الله من عيني نورهما ... ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل ... وفي فمي صارمٌ كالسَّيف مأثور

..... وفضائله أكثر من أن تُحصى»[2].

3 - فضل عائشة رضي الله عنها:

لم يكن الإمامُ القرطبيُّ ليُغفلَ الحديثَ عن السيِّدة عائشة حبيبة رسول الله ﷺ، إذْ وصفها بقوله:«...وكانت فاضلةً، عالمة كاملةً»، قال مسروق:«رأيتُ مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض، وقال عطاء: كانت عائشةُ أفقهَ الناس،

(1) المفهم (6/ 406).

(2) نفسه (6/ 406-407).

وأحسن الناس رأيا في العامة، وقال عروة: ما رأيتُ أحدا أعلم بفقه، ولا طب ولا شعر من عائشة، وقال أبو الزِّناد: ما رأيت أحدا أروى لشعر من عروة، فقيل له: ما أرواك يا أبا عبد الله، قال، وما روايتي في رواية عائشة، ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعرا، قال الزهري: لو جُمع علم عائشة إلى علم أزواج النبي ﷺ وعلم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل»[1].

4- فضل أبي هريرة رضي الله عنه:

تعرَّض الإمامُ القرطبي لذكر فضائل أبي هريرة، عند مناسبة ذِكْر الإمام مُسلم لحديث إسلام أمِّ أبي هريرة[2]، فكان مما قال:«...وكان رضي الله عنه من علماء الصحابة وفضلائها، ناشرا للعلم، شديد التواضع والعبادة، عارفا لنعم الله، شاكرا لها، مجتهدا في العبادة، كان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثا، يصلي هذا ثم يوقظ هذا، ويصلي هذا، ثم يوقظ هذا، وكان يقول: نشأت يتيما، وهاجرت مسكينا، وكنت أجيرا لبسرة بنت غزوان بطعام بطني، وعقبة رحلي، فكنتُ أخدم إذا نزلوا، وأحدو إذا ركبوا، فزوَّجنِيها اللهُ، فالحمد لله الذي جعل الدين قواما، وجعل أبا هريرة إماما»[3].

---

(1) المفهم (6/ 320).
(2) أخرجه مسلم في النبوات، باب فضائل أبي هريرة رضي الله عنه برقم2399.
(3) المفهم (6/ 435).

المبحث الثاني: منهج القاضي عياض والإمام القرطبي في ذكر فضائل الصحابة

تميَّز منهج القاضي عياض والإمام القرطبي في ذكر فضائل الصحابة بعدة مميزات وخصائص، نُجمل القولَ فيها على هذا النحو:

1- كان سياق الفضائل عند الإمامين عياض والقرطبي في الغالب الأعم ضمن الترجمة للصحابي، وكانت الترجمة تتضمن ذِكْرَ اسم الصحابي وزمن إسلامه، وعدد المشاهد التي حضرها مع رسول الله ﷺ، وسنة مولده ووفاته، وعدد الأحاديث التي رواها إلى آخره، وكان سياق الترجمة غالبا ما يكون سياقا مختصرا.

2- قد يَردُ ذِكرُ فضائل صحابي ضمن التنويه بفضائل صحابي آخر، وذلك قد وقع مثلا للقرطبي عند ذكره لفضائل معاذ بن جبل في غضون التنويه بفضائل عبد الله بن مسعود[1].

3- عوَّل القاضي عياض والإمام القرطبي في سياق فضائل كثير من الصحابة، على نقل أقوال الصحابة بعضهم في بعض، وعلى أقوال كبار التابعين الذين عاصروا الصحابة، وشاهدوا من مناقبهم وأحوالهم ما عطَّر سيَرهم، ونَشرَ لهم في العالمين ذِكْراً جميلا، وأحدوثةً حسنةً، كما عوَّل الإمامان المذكوران أيضا على نقل أقوال كبار علماء السِّير والمغازي الذين كان لهم اهتبالٌ برواية مناقب الصحابة وأخبارهم.

4- كانت عنايةُ القاضي عياض بذكر فضائل الصحابة الذين اهتم الإمام مسلم بذكر الأحاديث الصحيحة فيهم قليلةً بالنسبة إلى عناية الإمام القرطبي، وذلك ـ لعمر الله ـ ليس يضرُّ عياضا شيئا، إذ هو عارف بالذي يجب للصحابة من التعظيم

(1) المفهم (6/ 376).

والتوقير والمحبة والولاء، بيد أنه ذكَرَ في شرحه على مسلم من فضائل طائفة من الصحابة نُبذا.

5- عنايةُ القاضي عياض والإمام القرطبي أثناء ذِكر فضائل الصحابة، بدفع الشبهات والأباطيل التي أُلصقت بتاريخ بعض الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وروَّج لها أعداءُ الإسلام قديما وحديثاً، فمن هذه الشبهات:

1- ردُّ شبهة مَنْ زعم أن عليًّا رضي الله عنه مبغض للشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فعند شرح حديث ابن عباس في موت عمر بن الخطاب الذي فيه قوله: «وضع عمر بن الخطاب على سريره، فتكنَّفه الناس يدعون ويُثنون ويُصلون عليه قبل أن يُرفع، وأنا فيهم، قال: فلم يرعني إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفتُّ، فإذا هو عليٌّ، فترحَّم على عمر، وقال: ما خلَّفتَ أحدا أحب إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك...الحديث»[1] ـ قال القرطبي: «وهذا الحديث ردٌّ من علي رضي الله عنه على الشيعة فيما يتقولونه عليه من بغضه للشيخين، ونسبته إياهما إلى الجور في الإمامة، وأنهما غصباه، وهذا كله كذب وافتراء، عليٌّ منه براءٌ، بل المعلوم من حاله معهما تعظيمه ومحبته لهما، واعترافه بالفضل لهما عليه وعلى غيره، وحديثه هذا ينصُّ على هذا المعنى، وقد تقدم ثناء عليٍّ على أبي بكر رضي الله عنه، واعتذاره عن تخلفه عن بيعته، وصحة مبايعته له، وانقياده له مختارا طائعا سرا وجهرا، وكذلك فعل مع عمر رضي الله عنهم أجمعين، وكل ذلك يكذِّب الشيعةَ والروافضَ في دعواهم، لكن الهوى والتعصب أعماهم»[2].

(1) أخرجه مسلم في النبوات، باب فضائل عمر بن الخطاب برقم 2301.
(2) المفهم (6/ 252).

2- ردُّ شبهة من زعم النبوة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، فعند شرح حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»[1] _ قال القاضي عياض: «...وفي طي ذلك تنبيهه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على ما اقترفه غلاة الرافضة على عليٍّ من النبوة حتى ترقى بعضهم فيه إلى دعوى ألوهيته من زمنه رضي الله عنه إلى أيامنا هذه، وقد حرق بعضهم رضي الله عنه على هذه الدعوة، فزادهم ذلك ضلالا، وقالوا تحققنا أنه الله، لأنه لا يعذب بالنار إلا اللهُ، فلهذا خص هذا الكلام في شأن علي دون أبي بكر وعمر وغيرهم إذ لم يدع ذلك أحد لهم ولا اعتقده فيهم»[2].

3- ردُّ شبهة زعم من قال إن عليا مشارك في قتل عثمان رضي الله عنه، ففي شرح حديث: «أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال: «ما منعك أن تسب أبا تراب؟ الحديث...»، قال القرطبي: «وقول معاوية لسعد بن أبي وقاص: ما منعك أن تسب أبا تراب، يدل على أن مقدم بني أمية كانوا يسبون عليا وينتقصونه، وذلك كان منهم لما وقر في أنفسهم من أنه أعان على قتل عثمان، وأنه أسلمه لمن قتله، بناءً منهم على أنه كان بالمدينة، وأنه كان متمكنا من نصرته، وكل ذلك ظنٌّ كذب، وتأويل باطل غطى التعصبُ منه وجهَ الصَّواب، وقد قدَّمنا أنَّ عليا رضي الله عنه أقسم بالله أنه ما قتله ولا رَضِيَه، ولم يقل أحد من النقلة قط، ولا سمع من أحد أن عليا كان مع القتلة، ولا أنه دخل معهم الدار عليه، وأما ترك نصرته، فعثمان رضي الله عنه أسلم نفسه، ومنع من نصرته، كما ذكرنا في بابه، ومما تشبثوا به، أنهم نسبوا عليا إلى ترك أخذ القصاص من قتلة عثمان، وإلى أنه منعهم منهم، وأنه أقام دونهم، وكلُّ ذلك أقوال كاذبةٌ أنتجت ظنونا غير صائبة، ترتَّب عليها ذلك البلاء كما سبق به القضاء»[3].

(1) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب برقم2404.
(2) إكمال المعلم (7/ 413).
(3) المفهم (6/ 272).

4- ردُّ شبهة سبِّ معاوية لعلي بن أبي طالب: فعند شرح حديث سهل بن سعد في الرجل الذي أمره بشتم عليٍّ، وامتناع سهل من الإستجابة[1]، قال القرطبي:«...وهذا الحديث يدل على معرفة معاوية بفضل علي رضي الله عنه، ومنزلته، وعظيم حقه ومكانته، وعند ذلك يبعد على معاوية أن يصرح بلعنه وسبه، لما كان معاوية موصوفا به من الفضل والدين والحلم وكرم الأخلاق، وما يروى عنه من ذلك فأكثره كذب لا يصح، وأصح ما فيها قوله لسعد بن أبي وقاص: ما يمنعك أن تسب أبا تراب؟، وهذا ليس بتصريح بالسب، وإنما هو سؤال عن سبب امتناعه ليستخرج من عنده من ذلك، أو نقيضه، كما قد ظهر من جوابه، ولما سمع ذلك معاوية سكت وأذعن، وعرف الحق لمستحقه، ولو سلمنا أن ذلك من معاوية حمل على السب، فإنه يحتمل أن يكون طلب منه أن يسبه بتقصير في اجتهاد، في إسلام عثمان لقاتليه، أو إقدامه على الحرب والقتال للمسلمين، وما أشبه ذلك مما يمكن أن يقصر بمثله من أهل الفضل، وأما التصريح باللعن، وركيك القول، كما قد اقتحمه جُهَّال بني أمية وسِفْلتهم، فحاش معاوية منه، ومن كان على مثل حاله من الصحبة والدين والفضل والحلم والعلم، والله تعالى أعلم»[2].

5- ردُّ قول من قال من الفرق: إن النبي صلى الله عليه وسلم قد استخلف عليا على الأمة، ففي شرح حديث:«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي»[3]، قال القرطبي: «وقد استدل بهذا الحديث الروافض والإمامية وسائر فرق الشيعة على أن النبي صلى الله عليه وسلم استخلف عليا رضي الله عنه، على جميع الأمة، فأما الروافض فقد كفروا الصحابة

(1) أخرجه مسلم في النبوات، باب فضائل علي بن أبي طالب برقم 2317.
(2) المفهم (6/ 278).
(3) أخرجه مسلم في النبوات، باب فضائل علي بن أبي طالب برقم: 2315.

كلهم، لأنهم عندهم تركوا العمل بالحق الذي هو النصُّ على استخلاف علي ﷺ، واستخلفوا غيره بالإجتهاد، ومنهم من كفر عليا ﷺ؛ لأنه لم يطلب حقه، وهؤلاء لا يشك في كفرهم، لأنَّ من كفَّر الأمة كلها والصدر الأول، فقد أبطل نقل الشريعة، وهدم الإسلام، وأما غيرهم من الفرق فلم يرتكب أحد منهم هذه المقالة القبيحة القصعاء ومن ارتكبها منهم ألحقناه بمن تقدم في التكفير ومأواه جهنم وبئس المصير، وعلى الجملة فلا حجة لأحد منهم في هذا الحديث، فإنَّ النبي ﷺ إنما استنابه في أمر خاص وفي وقت خاص، كما استناب موسى هارون عليهما السلام في وقت خاص، فلما رجع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من مناجاته، عاد هارون إلى أول حالاته، على أنه قد كان هارون شرك مع موسى في أصل الرسالة، فلا تكون لهم فيما راموه دلالة، وغاية هذا الحديث أن يدلل على أن النبي ﷺ إنما استخلف عليا ﷺ على المدينة فقط، فلما رجع النبي ﷺ من تبوك قعد مقعده، وعاد علي ﷺ إلى ما كان عليه قبل، وهذا كما استخلف رسول الله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم وغيره، ولا يلزم من ذلك استخلافه دائما بالاتفاق»[1].

6- ردُّ الشُّبهات والأباطيل التي رُوِّجت ضد عثمان بن عفان ﷺ، فمن ذلك ما قاله القرطبي عند شرح حديث جلوس النبي ﷺ إلى البئر[2]، ذاكراً عثمان بن عفان: «..فهذه الأحاديث وغيرها مما يطول تتبعه، تدل على أن النبي ﷺ أخبره بتفصيل ما جرى عليه، وأنه سلم نفسه لما علم من أن ذلك قدرٌ سبق وقضاءٌ واجب، ولذلك منع كلَّ من أراد القتال دونه، والدفع عنه ممن كان معه في الدار وفي المدينة من نصرته، وتفصيل كيفية قتله، وما جرى لهم معه مذكور في التواريخ، وجملة الأمر

(1) المفهم (6/ 273).

(2) أخرجه مسلم في النبوات، باب فضائل عثمان ﷺ برقم: 2313.

أن قوما من أهل مصر وغيرهم غلب عليهم الجهل والهوى والتعصب، فنقموا عليه أمورا أكثرها كذب، وسائرها له فيها أوجهٌ من المعاذير، وليس فيها شيءٌ يوجب خلعه، ولا قتله، فتحزبوا، واجتمعوا بالمدينة، وحاصروه في داره، فقيل شهران وقيل تسعة وأربعون يوما، وهو في كل ذلك يعظهم، ويذكِّرهم بحقوقه، ويتنصل مما نسبوه إليه، ويعتذر منه، ويصرِّح بالتوبة، ويحتجُّ عليهم بحجج صحيحة لا مخلص لهم عنها، ولا جواب عليها، لكن أعمتهم الأهواءُ ليغلب القضاء، فدخلوا عليه وقتلوه مظلوما كما شهد له النبيﷺ وجماعة أهل السنة...»[1].

---

(1) المفهم (6/ 266).

خاتمة

كانت هذه الدراسة مدخلا تمهيديا للوقوف على جهود القاضي عياض والإمام القرطبي في بيان فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم، والتنويه بمحاسن ما أوتوا من أخلاقٍ وخِلالٍ أوجبتْ محبتهم، وفرضت تقديمهم، وعدهم من أفضل الخلق طُراً بعد النبيﷺ، ولقد خلصتْ هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

× اشتملت هذه الدراسةُ على نصوص كثيرة مشيرةٍ إلى المادة العلمية التي تنوه بفضائل الصحابة في شرْحيِ الإمامين عياض والقرطبي لصحيح الإمام مسلم، وتوجد هذه المادة في الجملة في كتاب الفضائل من الصحيح.

× بيانٌ لمنهج الإمامين عياض والقرطبي في التنويه بفضائل الصحابة، الذين اعتنى الإمام مسلمٌ بذكر الأحاديث التي وردتْ في محاسن مناقبهم، وجميل صفاتهم، ومن معالم هذا المنهج سياق فضائل الصحابي ضمن ترجمته من الشرح..

× اعتنى الإمامان عياضٌ والقرطبيُّ بدفع كثير من الشُّبهات والأباطيل التي نُسجتْ حول سِيَر بعض الصحابة، وبيان حقيقة الحال فيها بالدليل الناصع والحجة الواضحة، ولعمرُ الله، فإن ذلك يؤكد معتقد الإمامين الجليلين في الصحابة، وأنهم جنس من الناس ليسوا كبقية الناس، ولقد أحسن الإمامُ القرطبي التعبير عن هذا المعنى عندما قال عند شرح حديث: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا، ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه»[1]: «من المعلوم الذي لا يُشك فيه، أن الله تعالى اختار أصحاب نبيهﷺ لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولإقامة دينه، فجميع ما نحن فيه من العلوم، والأعمال والفضائل والأحوال والممتلكات

(1) أخرجه مسلم في كتاب النبوات باب وجوب احترام أصحاب النبيﷺ برقم: 2444.

والأموال والعز والسلطان والدين والإيمان، وغير ذلك من النعم التي لا يحصيها لسانٌ، ولا يتسع لتقديرها زمانٌ، إنما كان بسببهم، ولما كان ذلك وجب علينا الاعتراف بحقوقهم والشكر لهم على عظيم أياديهم، قياما بما أوجبه الله تعالى من شكر المنعم، واجتنابا لما حرمه من كفران حقه، هذا مع ما تحققناه من ثناء الله تعالى عليهم، وتشريفه لهم، ورضاه عنهم، كقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُومِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ...﴾ إلى قوله ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿وَالسَّـٰبِقُونَ ٱلاَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَالاَنصارِ﴾، وقوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾ إلى غير ذلك، وكقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين»، إلى غير ذلك من الأحاديث المتضمنة للثناء عليهم رضي الله عنهم أجمعين، وعلى هذا فمن تعرض لسبهم، وجحد عظيم حقهم، فقد انسلخ من الإيمان، وقابل الشكر بالكفران.... »[1] .

وإذا كان لنا من توصية في آخر هذه الدراسة، فهي تتلخص في أمرين اثنين هما:

> أولا: بذل مزيد من الجهد لاستخراج دفائن المعلومات الخاصة بفضائل الصحابة الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، من بطون شروح الكتب الحديثية المؤلفة في الغرب الإسلامي عموما والأندلس بصفة خاصة.

> دعوة الباحثين في تاريخ الصحابة الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، إلى مراجعة مثل هذه الكتب، حين البحث في مجال علمي متعلق بذاك الطراز الرفيع، من الجيل الذين ربَّاهم محمَّد ﷺ.

وأختم بحمد الله تعالى على الهداية إلى الكتابة في هذا الموضوع، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

---

(1) المفهم (6/ 492-493).

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت544هـ)، تحقيق: د.يحي إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى1419هـ
- صحيح الإمام مسلم المطبوع مع إكمال المعلم، والمفهم(انظر إكمال المعلم، والمفهم).
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت656هـ)، تحقيق جماعة من الأساتذة، دار ابن كثير دمشق بيروت، الطبعة الثانية1420هـ

منهج الصحابة في الكشف عن المقاصد الشرعية عند الإمام الشاطبي

د. محمد المنتار

ملخص البحث

من الطرق التي يمكن التعرف بها على مقاصد الشارع الإهتداء بالصحابة رضوان الله عليهم، والإقتداء بهم في فهم الأحكام من الكتاب والسنة وتطبيقها على الواقع وذلك لما توفر فيهم من صدق الإيمان وفصاحة اللسان، وأصول البيان، ومعاصرتهم لنزول القرآن، ومشاهدتهم لمن كُلّف ببيان القرآن بأفعاله وأقواله وتقريراته صلى الله عليه وسلم، ولأنهم أفهمُ الأمة لمراد نبّيها لخصوصياتهم في هذا الجانب؛ فقد دندنوا كثيرا حول معرفة مراد الشارع ومقصوده، فعللوا الأحكام، واستنبطوا الحِكم والمصالح المطلقة والمقيدة واستحضروا المالات والأعراف والعادات وراعوا القرائن والسياق متسلحين بالاستقراء التام.

الباحث في سطور

الدكتور محمد المنتار mohamedelmantar@gmail.com

- من مواليد عام 1980م بمدينة مراكش.
- رئيس مركز الدراسات القرآنية بالرابطة المحمدية للعلماء.
- رئيس تحرير موقع الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب.www.arrabita.ma.
- حاصل على شهادة الدكتوراه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة القاضي عياض بمراكش في موضوع: «طرق الكشف عن مقاصد الشريعة ودورها في الاجتهاد الفقهي».
- شارك في ندوات وملتقيات علمية.

✍ له كتاب قيد الطبع بعنوان «الأمر والنهي بين القصد الأصلي والقصد التبعي عند الإمام الشاطبي»، وهو بحث دبلوم الدراسات العليا.

مُقَدِّمَة

إن من استقرأ المأثور عن فقهاء الصحابة وتأمله بعمق، تبين له أنهم كانوا ينظرون إلى ما وراء الأحكام من علل ومصالح، وما تحمله الأوامر والنواهي من حكم ومقاصد، فإذا أفتوا في مسألة، أو حكموا في قضية، لم تغب عن بالهم مقاصد الشريعة وأهدافها، ولم يهدروا المقاصد الكلية في غمرة الحماسة للنصوص الجزئية، ولا العكس، بل ربطوا الجزئيات بالكليات، والفروع بالأصول، والأحكام بالمقاصد، بعيدا عن الحرفية والجمود. وهذا ما عناه ابن رشد الحفيد بقوله: «إذ كانوا هم أقعد بمفهوم الأحوال ودلالات الأقوال»[1].

وقد ساعدهم على ذلك أنهم كانوا أقرب الناس إلى النبي ﷺ، وألصقهم به، حيث شاهدوا أفعاله وأحواله وسيرته، مما جعلهم أفقه وأفهم لمقاصد التشريع، «فقد مُنِحوا حقائق العبادات وخالص الديانات، وإحاطة بأسرار الأمور وبواطنها ما لم يمنح غيرهم»[2]. كما أنهم «التزموا العمل بالسنة، وأجمعوا على ذلك في أقوالهم وأفعالهم، وكانوا متى ثبت لديهم من عمله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو قوله أو تقريره وقفوا عنده ولم يخالفوه إلى غيره أبدا»[3].

ولئن كان الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وصف مذهبهم في الفصل الرابع من القسم الأول، معتذرا عن عدم عد محاولاتهم طرائق في الكشف عن مقاصد الشريعة

---

(1) بداية المجتهد (1/ 328).

(2) مجموع الفتاوى (1/ 265ـ 266).

(3) مقاصد الشريعة ومكارمها (ص111).

بقوله:«وهذا المبحث يتنزل منزلة طريق من طرق إثبات المقاصد الشرعية، ولكني لم أعده في عدادها من حيث إني لم أجد حجة في كل قول من أقوال السلف؛ إذ بعضها غير مصرح صاحبه بأنه راعى في كلامه المقصد وبعضها فيه التصريح أو ما يقاربه، ولم يعده بمفرده حجة؛ لأن قصاراه أنه رأي من صاحبه في فهم مقصد الشريعة»[1]. فإن ذلك لم يمنعه من اعتباره؛ لأن «مناط الحجة لنا بأقوالهم أنها دالة على أن مقاصد الشريعة على الجملة واجبة الاعتبار. وأن أقوالهم أيضا لما تكاثرت قد أنبأتنا بأنهم كانوا يتقصون بالاستقراء مقاصد الشريعة من التشريع»[2].

إذا كان كذلك فإن الإمام الشاطبي كان صريحا في عد طريق الصحابة مسلكا من مسالك الكشف عن مقاصد الشريعة، منذ الصفحات الأولى من كتابه الموافقات، حيث قال عن صحابة رسول الله ﷺ: «..الذين عرفوا مقاصد الشريعة فحصَّلوها، وأسسوا قواعدها وأصَّلُوها، وجالت أفكارهم في آياتها، وأعملوا الجد في تحقيق مبادئها وغاياتها، وعُنوا بعد ذلك باطراح الآمال، وشفعوا العلم بإصلاح الأعمال، وسابقوا إلى الخيرات فسبقوا، وسارعوا إلى الصالحات فما لُحقوا، إلى أن طلع في آفاق بصائرهم شمس الفرقان، وأشرق في قلوبهم نور الإيقان، فظهرت ينابيع الحكم منها على اللسان، فهم أهل الإسلام والإيمان والإحسان، وكيف لا وقد كانوا أول من قرع ذلك الباب، فصاروا خاصة الخاصة ولباب اللباب، ونجوما يهتدي بأنوارهم أولوا الألباب، رضي الله عنهم..»[3].

---

(1) مقاصد الشريعة الإسلامية (ص20).

(2) نفسه (ص21).

(3) الموافقات (1/ 15).

وأوجز اختياره هذا في موضع آخر، فقال: «.. لا ينبغي الاستنباط من القرآن الاقتصار عليه دون النظر في شرحه وبيانه وهو السنة؛ لأنه إذا كان كليا وفيه أمور كلية كما في شأن الصلاة والزكاة والحج والصوم ونحوها فلا محيص عن النظر في بيانه، وبعد ذلك ينظر في تفسير السلف الصالح له إن أعوزته السنة، فإنهم أعرف به من غيرهم؛ وإلا فمطلق الفهم العربي لمن حصله يكفي فيما أعوز من ذلك. والله أعلم»[1].

ويضيف: «.. وإلى هذا فإن السلف الصالح، من الصحابة والتابعين ومن يليهم، كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه..»[2].

وهذا ما أكده الإمام الشاطبي بقوله «وبعث الله من هؤلاء(صحابة رسول الله ﷺ) سادة فهموا عن الله، وعن رسول الله ﷺ، فاستنبطوا أحكاما فهموا معانيها من أغراض الشريعة في الكتاب، والسنة، تارة من نفس القول، وتارة من معناه، وتارة من علة الحكم، حتى نزلوا الوقائع التي لم تذكر على ما ذكروا، وسهلوا لمن جاء بعدهم طريق ذلك»[3].

وجعل بيانهم بيانا يؤخذ ويعتد به، وذلك لسببين: «الأول: معرفتهم باللسان العربي، فإنهم عرب فصحاء، لم تتغير ألسنتهم، ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم. فهم أعرف في فهم الكتاب والسنة من غيرهم، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان صح اعتماده من هذه الجهة. والثاني: مباشرتهم للوقائع والنوازل، وتنزيل الوحي بالكتاب

---

(1) الموافقات (3/ 276).

(2) نفسه (2/ 61).

(3) نفسه (2/ 46).

والسنة، فهم أقعد في فهم القرائن الحالية[1]، وأعرف بأسباب التنزيل، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب»[2].

والناظر في الموافقات والاعتصام يجد أن أبا إسحاق كثر تعويله على أقوال السلف ومسلكهم في الفهم والنظر، وطرائقهم في استنباط العلل والحكم، وبناء القواعد الكلية، وفهم الفروع الجزئية، ومخافة الخروج عن المقصود الأصلي من هذا المبحث المحدد، ثنيت العزم عن عرض ما تحصل لدي في هذا الجانب إلى ما يأتي من بحوث في المستقبل بحول الله وقوته.

وعندما ألف الشاطبي نتيجة عمره، ويتيمة دهره، في زمان متأخر، وفي بلد ناءٍ، حيث بدأت روح الاجتهاد، ومراعاة المقاصد تضعف وتغيب، وقدم فيها ما نظم من فرائد، وما جمع من فوائد، عاقدا قرانها بتراجم تردها إلى أصولها، تكون عونا على تعقلها وتحصيلها، جعل، رحمه الله، مسلك الصحابة في فهم نصوص الوحي أحد أعمدتها الأساسية، وفي ذلك يقول: «فإن عارضك دون هذا الكتاب عارض الإنكار، وعمي عنك وجه الاختراع فيه والابتكار، وغر الظان (أنه شيء ما سمع بمثله، ولا ألف في العلوم الشرعية الأصلية أو الفرعية ما نسج على منواله أو شكل بشكله، وحسبك من شر سماعه، ومن كل بدع في الشريعة ابتداعه) فلا تلتفت إلى الإشكال دون اختبار، ولا ترم بمظنة الفائدة على غير اعتبار، فإنه بحمد الله أمر قررته الآيات والأخبار، وشد معاقده السلف الأخيار، ورسم معالمه العلماء الأحبار، وشيد أركانه

(1) أي التي تجيء من جهة الحوادث والنوازل المقتضية لنزول الآية والحديث. أما القرائن المقالية فيشترك فيهما معهم غيرهم من أهل الفهم في ذلك، وإن كان مقتضى الوجه أن بيانهم أرجح من جهة اللغة أيضا. من تعليق الشيخ عبد الله دراز الهامش 3، من الموافقات (3/ 251).

(2) الموافقات (3/ 251).

أنظار النظار، وإذا وضح السبيل لم يجب الإنكار، ووجب قبول ما حواه والاعتبار بصحة ما أبداه والإقرار»[1]. نعم إذا وضح السبيل لم يجب الإنكار.

فكأني به رحمه الله، يريد أن يرد الأمور إلى نصابها، ويعيد للمقاصد محوريتها وأهميتها في فهم وتنزيل النصوص الشرعية، فألزم نفسه باعتماد ما شد أزره السلف الأخيار، ورسم معالمه العلماء الأحبار. إذن إذا وضح السبيل لم يجب الإنكار.

وعلى عادته في ذلك، لم يكتف الشاطبي بعرض الصورة النظرية لهذا المأخذ، وبيان عظيم نفعه، وشدة حاجة العلماء إليه في الكشف عن حكم النصوص وغاياتها، بل عزز اختياره بترسانة من الأمثلة والأدلة وما يتبعها من اعتراضات وتساؤلات، ليخلص له دليله صافيا من الشوائب والاختلالات. ومن هذه الأدلة:

الأول: ثناء الله عليهم من غير مثنوية، ومدهم بالعدالة وما يرجع إليها، كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران110]، وقوله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[البقرة 142]، ففي الأولى إثبات الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقضي باستقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة، وفي الثانية إثبات العدالة مطلقا، وذلك يدل على ما دلت عليه الأولى. وأيضا فإن مَن بَعد الصحابة من أهل السنة عدلوا الصحابة على الإطلاق والعموم، فأخذوا عنهم رواية ودراية من غير استثناء ولا محاشاة، بخلاف غيرهم فلم يعتبروا منهم إلا من صحت إمامته وثبتت عدالته، وذلك مصدق لكونهم أحق بالمدح من غيرهم،

---

(1) الموافقات (1/ 18).

فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط أي عدول بإطلاق[1]، وإذا كان كذلك فقولهم معتبر، وعملهم مقتدى به.

الثاني: مـا جاء في الحديث من الأمر باتباعهم، وأن سنتهم في طلب الاتبـاع كـسنة النبي ﷺ، كقوله:«فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»[2].

الثالث: أن جمهور العلمـاء قدموا الصحابة عند ترجيح الأقاويل، فقد جعل طائفة قول أبي بكر وعمر حجة ودليلاً، وبعضهم عَدَّ قول الخلفاء الأربعـة دلـيلاً، وبعـضهم يعد قول الصحابة على الإطلاق حجة ودليلاً، ولكل قول من هذه الأقوال متعلـق مـن السنة... »[3].

الرابع: مـا جاء في الأحاديث من إيجاب محبتهم، وذم من أبغضهم، وأن من أحبهم فقد أحب النبي ﷺ، ومن أبغضهم فقد أبغض النبي ﷺ، ومـا ذاك مـن جهـة كـونهم رأوه، أو جاوروه، أو حاوروه فقط، إذ لا مزية في ذلك، وإنمـا هو لشدة متـابعتهم لـه، وأخذهم أنفسهم بالعمل على سنته مع حـمـايته ونصرته، ومن كان بهذه المثابـة حقيـق أن يتخذ قدوة، وتجعل سيرته قبلة[4].

ومن الأمثلة التقريبية لمـا ذهب إليه الشاطبي:

---

(1) الموافقات (4/ 55ـ56).

(2) أخرجه أبو داود سننه ـ كتاب السنة ـ باب في لزوم السنة ـ رقم الحديث6407، والترمذي في الجامع ـ أبواب العلم، باب مـا جـاء في الأخـذ بالسنة واجـتـناب الـبدع ـ رقم الحديث 2676، وابـن مـاجة في السنن ـ المقدمة ـ بـاب اتبـاع سـنـة الخلـفـاء الراشدين المهديـين (رقم 42 ،44)، وابـن حبـان في الصحيح(رقم 45). وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(3) الموافقات (4/ 57ـ58).

(4) نفسه (4/ 58ـ59) بتصرف.

> أن أبا **إسحاق** عقد مبحثا خاصا للنسخ عند السلف، مع بيان الفرق بينه وبين مصطلح النسخ عند المتأخرين، مما يعد اختفاء حقيقيا بمقاصد السلف وبيان مذاهبهم[1].

> أن **الشاطبي** وضع مسألة برأسها في تقرير أنه يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الصحابة والتابعون وما كانوا عليه؛ لأن فهم عاصم من الزيغ عن مقاصد الشرع، ومرامي الكتاب والسنة، وفي ذلك يقول:«.. ولذلك لا تجد فرقة من الفرق الضالة ولا أحدا من المختلفين في الأحكام الفروعية ولا الأصولية يعجز عن الاستدلال على مذهبه بظواهر الأدلة.. فلهذا كله يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم من الأولون، وما كانوا عليه في العمل، فهو أحرى بالصواب، وأقوم في العلم والعمل»[2]. وقد تضمن بحثه فيها «من دقائق الفقه ومآخذ الأدلة»[3]، ما يدل على تفرده، وعمق نظره، وفهمه، ثم عرضه لهذا المسلك على المستويين النظري والتطبيقي.

> أن السلف الصالح قد أخذوا الأدلة على الأحكام الشرعية مآخذ الافتقار، واقتباس ما تضمنته دون هوى متبع، وتنزيلها على وفق المقصد الشرعي المراد للشارع، فلا شك أن للمقتدي بهم نصيب في ذلك[4].

أكثر من ذلك جعل الشاطبي مسلك الصحابة من قبيل مفهوم السنة وفق ما انتهى إليه، فالناظر في تراث الرجل يجده يطلق لفظ السنة على ما جاء منقولا عن النبي ﷺ

---

(1) انظر ما سطره الشاطبي في المسألة الثالثة من الفصل الثاني في الإحكام والنسخ من كتاب الأدلة الشرعية. الموافقات (3/ 81-88).

(2) الموافقات (3/ 56-57).

(3) التجديد والمجددون في أصول الفقه (ص272).

(4) الموافقات (3/ 57).

على الخصوص، مما لم ينص عليه في الكتاب العزيز، بل إنما نص عليه من جهته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كان بيانا لما في الكتاب أو لا.

ويطلقه أيضا في مقابلة البدعة، فيقال: «فلان على سنة» إذا عمل على وفق ما عمل عليه النبي ﷺ، كان ذلك مما نص عليه في الكتاب أو لا، ويقال: «فلان على بدعة» إذا عمل على خلاف ذلك. وكأن هذا الإطلاق إنما اعتبر فيه عمل صاحب الشريعة، فأطلق عليه لفظ السنة من تلك الجهة، وإن كان العمل بمقتضى الكتاب[1].

ويطلق أيضا لفظ السنة على ما عمل عليه الصحابة، وجد ذلك في الكتاب أو السنة أو لم يوجد، لكونه اتباعا لسنة ثبتت عندهم لم تنقل إلينا، أو اجتهادا مجتمعا عليه منهم أو من خلفائهم، فإن إجماعهم إجماع، وعمل خلفائهم راجع أيضا إلى حقيقة الإجماع، من جهة حمل الناس عليه حسبما اقتضاه النظر المصلحي عندهم. فيدخل تحت هذا الإطلاق ما كان في عهد الصحابة من المصالح المرسلة والاستحسان، كما فعلوا في حد الخمر، وتضمين الصناع، وجمع المصحف، وحمل الناس على القراءة بحرف واحد من الحروف السبعة، وتدوين الدواوين، وما أشبه ذلك. ويدل على هذا الإطلاق قوله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»[2].

واختيار الشاطبي إطلاق السنة على عمل الصحابة هو غاية التعظيم لهم وتقديم أقوالهم على كل أحد. وقد عضد الشاطبي إدخاله عمل الصحابة في حيز السنة بما أورده عن عمر بن عبد العزيز ونصه: «الأخذ بها ـ أي سنة الصحابة ـ تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله»[3]، ويضيف الشاطبي: «ومنها ـ أي من

(1) الموافقات (4/ 3).

(2) نفسه (4/ 4ـ5)، والحديث تقدم تخريجه.

(3) الاعتصام (1/ 68)، وانظر جامع بيان العلم (2/ 1176) رقم 2326، والفقيه والمتفقه (1/ 435) رقم 455.

السنة ـ ما سنه ولاة الأمر من بعد النبي ﷺ فهو سنة لا بدعة فيه البتة، وإن لم يعلم في كتاب الله ولا سنة نبيه ﷺ ما يدل عليه على الخصوص، فقد جاء ما يدل عليه في الجملة، وذلك نص حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، حيث قال فيه: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجد، وإياكم ومحدثات الأمور»[1]، فقرن رسول الله ﷺ ـ كما ترى ـ سنة الخلفاء الراشدين بسنته، وإن من اتباع سنته اتباع سنتهم، وإن المحدثات خلاف ذلك ليست منها في شيء؛ لأنهم رضوان الله عليهم فيما سنوه: إما متبعون لسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام، نفسها، وإما متبعون لما فهموا من سنته صلى الله عليه وسلم في الجملة والتفصيل على وجه يخفى على غيرهم مثله، لا زائد على ذلك»[2].

وقد شرح عبارته الأخيرة «لا زائد على ذلك» في موطن آخر، فقال: «فلا زائد إذا على ما ثبت في السنة النبوية، إلا أنه قد يخاف أن تكون منسوخة بسنة أخرى، فافتقر العلماء إلى النظر في عمل الخلفاء بعده، ليعلموا أن ذلك هو الذي مات عليه النبي ﷺ من غير أن يكون له ناسخ؛ لأنهم كانوا يأخذون بالأحدث فالأحدث من أمره، وعلى هذا المعنى بنى مالك ابن أنس في احتجاجه بالعمل ـ أي عمل الصحابي ـ ورجوعه إليه عند تعارض السنن»[3].

وقال في موضع آخر معلنا عن مذهبه في ذلك: «... ليس لأحد تغييرها ـ أي سنة السلف ـ ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من عمل بها مهتد، ومن انتصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المومنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا»[4].

---

(1) أخرجه الترمذي وابن ماجة، تقدم.
(2) الاعتصام (1/ 68).
(3) نفسه (1/ 68).
(4) نفسه (1/ 67).

وإذا جمعنا ما تقدم، تحصل لدينا أن لفظ «السنة» عند الشاطبي له أربعة أوجه: قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وفعله، ويدخل تحته الكف عن الفعل أو ما يسمى بالترك عنده[1]، وإقراره[2] ـ وكل ذلك إما متلقى بالوحي أو بالاجتهاد، بناء على صحة الاجتهاد في حقه ـ وهذه ثلاثة. والرابع ما جاء عن الصحابة أو الخلفاء الراشدين. وهو وإن كان ينقسم إلى القول والفعل والإقرار، ولكن عد وجها واحدا، إذ لم ينفصل الأمر فيما جاء عن الصحابة تفصيل ما جاء عن النبي ﷺ[3].

والذي ينبغي قوله: إن هذه المعاني التي سطرها الإمام الشاطبي حول طريق السلف والصحابة باعتبارها سنة يعمل بها ويرجع إليها، ومسلكا من المسالك التي بها يمكننا التوصل إلى معرفة مقاصد الشريعة، ليست من قبيل الترف الفكري المجرد عن حقيقة التشريع، بل هي مدخل من المداخل المنهجية المعتبرة التي دخل من خلالها الشاطبي إلى رحاب مقاصد الشريعة، وعزز دعائمها، وجلّى مضمرها وما خفي منها. وهي من أظهر خصائص المنزع السلفي عند هذا النجم، وأشدها تمكنا من نفسه.

لهذا كله لا يتوانى الشاطبي في التقرير أن «كل ما جاء مخالفا لما عليه السلف الصالح فهو الضلال بعينه»[4]، ويضيف محذرا من مخالفتهم «الحذر الحذر من مخالفة الأولين، فلو كان ثم فضل ما لكان الأولون أحق به. والله المستعان»[5].

---

(1) أدخل الشاطبي تحت قسم السنة الفعلية، الترك أو الكف، لأنه فعل عنده. ولذلك عَدّ مخالف الترك مباينا للسنة، بل وقد يدخل في حد البدعة إذا صاحب مخالفته قصد مضاهاة الشارع من حيث الزيادة أوالنقصان. انظر الموافقات (4/ 58).

(2) ومجموع الثلاثة هو ما يطلق عليه لفظ السنة عند علماء الأصول. تعليق دراز بهامش الموافقات(4/ 5).

(3) الموافقات (4/ 5).

(4) نفسه (3/ 54).

(5) نفسه (3/ 52).

وقبيل الشاطبي نجد ابن القيم يقول:«وقد كان الصحابة أفهم الأمة لمراد نبيها وأتبع له، وإن كانوا يدندنون حول معرفة مراده ومقصوده، ولم يكن أحد منهم يظهر له مراد رسول الله ﷺ ثم يعدل إلى غيره البتة، والعلم بمراد المتكلم يعرف تارة من عموم لفظه، وتارة من عموم علته، والحوالة على الأول أوضح لأرباب الألفاظ، وعلى الثاني أوضح لأرباب المعاني والفهم والتدبير»[1].

وهو كلام يدل على القيمة الكشفية لمسلك الصحابة في فهم الخطاب الشرعي، لذلك نجد علماء المسلمين ينصون عليه، ويعتمدونه فيما أصلوه من قواعد ووسائل للتعامل مع النصوص الشرعية، وبشكل خاص أئمة المذاهب.

ولله در إمام دار الهجرة مالك بن أنس الذي «ألهم السداد، وتصرف تصرف الرشاد»[2] عندما أدرك أهمية عمل الصحابة في فهم الخطاب الشرعي ومقاصده، فجعل له مكانا في التأصيل لأقوال مذهبه، واعتبر عمل أهل المدينة أصلا من أصول مذهبه المعتبرة، وقاعدة من قواعده، وحاز بذلك الفضل والثناء الجميلين، يقول الشاطبي:«ولما بالغ مالك في هذا المعنى بالنسبة للصحابة ـ يعني في محبتهم والاعتبار بأقوالهم وأعمالهم ـ أو من اهتدى بهديهم واستن بسنتهم جعله الله تعالى قدوة لغيره في ذلك، فقد كان المعاصرون لمالك يتبعون آثاره ويقتدون بأفعاله، ببركة اتباعه لمن أثنى الله ورسوله عليهم، وجعلهم قدوة أو من اتبعهم ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾»[3].

---

(1) إعلام الموقعين(1/ 225ـ 226).

(2) «مالك ونظريته في تأصيل عمل أهل المدينة»، للشيخ الرحالي الفارق ضمن أعمال الإمام مالك والمالكية (ص58).

(3) الموافقات(4/ 59)، ويقول في موضع آخر:«..فعادة مالك في موطئه وغيه، الإتيان بالآثار عن الصحابة مبينا بها السنن، وما يعمل منها وما لا يعمل به، وما يقيد به مطلقاتها، وهو دأبه ومذهبه لما تقدم ذكره..» الموافقات (3/ 252).

وقال أبو إسحاق في مبحث ترجيح الدليل باستدامة العمل بمقتضاه أو بكثرته، ما نصه: «ومن هذا المكان يتطلع إلى قصد مالك رحمه الله في جعله العمل مقدما على الأحاديث؛ إذ كان إنما يراعي كل المراعاة العمل المستمر والأكثر ويترك ما سوى ذلك وإن جاء فيه أحاديث، وكان ممن أدرك التابعين وراقب أعمالهم، وكان العمل المستمر فيهم مأخوذا عن العمل المستمر في الصحابة ولم يكن مستمرا فيهم إلا وهو مستمر في عمل رسول الله ﷺ أو في قوة المستمر.. وسأله أبو يوسف عن الأذان. فقال مالك: وما حاجتك إلى ذلك؟ فعجبا من فقيه يسأل عن الأذان. ثم قال له مالك: وكيف الأذان عندكم؟ فذكر مذهبهم فيه. فقال: من أين لكم هذا؟ فذكر له أن بلالا لما قدم الشام سألوه أن يؤذن لهم فأذن لهم كما ذكر عنهم. فقال له مالك: ما أدري ما أذان يوم؟ وما صلاة يوم؟ وهذا مؤذن رسول الله ﷺ وولده من بعده يؤذنون في حياته وعند قبره، وبحضرة الخلفاء الراشدين بعده. فأشار مالك إلى أن ما جرى عليه العمل وثبت مستمرا أثبت في الاتباع وأولى أن يرجع إليه»(1).

وقد وضع الإمام مالك بهذا الأصل مبدأ تشريعيا مهما، كان أقرب وأخصب إلى تحقيق مقاصد الشرع، فكان بذلك منسجما مع البيئة التي عاش فيها وتأثر بها؛ إذ لم يكن مقتصرا على الحديث ولا أغلق مجال الرأي، بل إنه كان مسايرا للمنهج الاجتهادي الذي ربطه بمقاصد الشريعة؛ فكان حريصا على ربط النص الشرعي بالحياة العملية التي كانت قائمة بالمدينة؛ مما أعطاه مرونة في اجتهاداته، وهو اتجاه إيجابي ينسجم مع التطور الزماني انطلاقا من التوسع في الأخذ بالمصلحة، آخذا بعين الاعتبار العمل الذي كان بالمدينة، معتبرا إياه الصورة العملية التطبيقية للشريعة(2).

---

(1) الموافقات (3/ 48)، وانظر مالك ونظريته في تأصيل عمل أهل المدينة(ص51).

(2) العرف والعمل في المذهب المالكي ومفهومهما لدى علماء المغرب (ص335) بتصرف.

إذا تقرر هذا، أنتقل إلي عرض نماذج تطبيقية تقربنا من منهج الصحابة رضوان الله عليهم في الكشف عن مقاصد الشريعة.

وصف الشاطبي الصحابة بقوله: «..المتقلدون لكلام النبوة، المهتدون للشريعة، الذين فهموا أمر دين الله بالتلقي من نبيه مشافهة، على علم وبصيرة بمواطن التشريع وقرائن الأحوال، بخلاف غيرهم»[1]. وعلى هذا الاعتبار «كل ما سنوه فهو سنة من غير نظير فيه، بخلاف غيرهم»[2]. والسبب في ذلك «أنهم شاهدوا من أسباب التكاليف وقرائن الأحوال ما لم يشاهد من بعدهم، ونقل قرائن الأحوال على ما هي عليه كالمتعذر، فلابد من القول بأن فهمهم في الشريعة أتم وأحرى بالتقديم»[3].

ومما يدخل في علم وبصيرة الصحابة رضوان الله عليهم، مراعاتهم لقرائن الأحوال، وعلل الأحكام، واعتبارهم لمآلات الأفعال، والحرص على موافقة الأفعال في الظاهر والباطن والحال والمآل للمقاصد والغايات التي قصدها الشارع، واستجلاب المصالح ودفع المفاسد، وسد الذرائع، ورفع المشاق عن المكلفين، والابتعاد الوقائي عن مناقضة المقاصد التي راعاها الشارع عند تطبيق الأحكام..

❁ تعليل الحكم بما يؤول إليه:

علل الصحابة رضوان الله عليهم بعض الأحكام بما تؤول إليه، وهذا يدل على اعتدادهم بالمآلات، ومن الشواهد على ذلك قياس علي بن أبي طالب رضي الله عنه حد شرب الخمر على حد القذف، عندما استشار الفاروق عمر بن الخطاب الصحابة في ذلك،

(1) الاعتصام (2/ 473).

(2) نفسه (2/ 474).

(3) الموافقات (3/ 253).

حيث قال: «من سكر هذى، ومن هذى افترى، فأرى عليه حد المفتري»[1]، وفي رواية قال:«إن الرجل إذا شرب افترى، فأرى أن يجعله كحد الفرية»[2].

ووجه الاستشهاد به أن عليا بن أبي طالب رضي الله عنه علل قياس حد الخمر على حد القذف بما يؤول إليه شرب الخمر من الافتراء الذي تقتضيه كثرة الهذيان، يقول الإمام الشاطبي: «فرأوا - أي الصحابة - الشرب ذريعة إلى الافتراء الذي تقتضيه كثرة الهذيان، فإنه أول سابق إلى السكران»[3].

ومن أمثلته قول عمر رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنهما في مسألة جمع المصحف: «إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه، وإني أرى أن تجمع القرآن»[4].

ووجه الاستشهاد به أن عمر رضي الله عنه علل رأيه بجمع المصحف بما يؤول إليه من حفظ القرآن وعدم ضياعه، وكذلك لما أشار حذيفة رضي الله عنه على عثمان رضي الله عنه بجمع المصاحف على حرف واحد علل ذلك بما يؤول إليه عدم جمعه من اختلاف الناس في القرآن، حيث قال: «يا أمير المومنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب كما اختلفت اليهود والنصارى»[5].

---

(1) الاعتصام (2/ 366).

(2) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الحدود - باب إذا تتابع في شرب الخمر - رقم الحديث 4489.

(3) الاعتصام (2/ 366).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير - باب قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ - رقم الحديث 4679.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل القرآن - باب جمع القرآن - رقم الحديث 4987.

ورغم انعدام نص صريح من النبي ﷺ فيما صنعوا، لكنهم رضوان الله عليهم «رأوا في ذلك مصلحة تتناسب وتصرفات الشرع قطعا، حيث إنه يرجع إلى حفظ الشريعة، والأمر بحفظها معلوم»[1].

❁ **سد الذرائع المفضية إلى المفسدة**

ورد عن الصحابة رضوان الله عليهم سد الذرائع المفضية إلى مفسدة واقعة أو متوقعة، ومنع الفعل المباح إذا كان فعله مفضيا إلى الوقوع في محظور، أو التحيل على الأحكام الشرعية فيعامل بنقيض مقصوده.

ومن شواهد هذا ما قاله عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لعثمان رضي الله عنه في الفتنة لما أراد أن يخلع نفسه. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عثمان رضي الله عنه قال له وهو محصور في الدار: «ما تقول فيما أشار به علي المغيرة». قلت: «وما أشار عليك». قال: «إن هؤلاء القوم يريدون خلعي، فإن خلعت تركوني، وإن لم أخلع قتلوني». قلت:«أرأيت إن خلعت أتراك مخلدا في الدنيا». قال: لا. قلت: «فهل يملكون الجنة والنار». قال: لا. قلت: «أرأيت إن لم تخلع أيزيدون على قتلك». قال: لا. قال: «أرأيت تسن هذه السنة في الإسلام كلما سخط قوم على أميرهم خلعوه، ولا تخلع قميصا قمصكه الله»[2].

ووجه الاستشهاد أن ابن عمر رضي الله عنهما علل نهيه لعثمان عن خلع الإمارة بما يؤول إليه ذلك من أن اتخاذ الناس ذلك طريقة وعادة، كلما كرهوا أميرهم، وهذا من باب سد الذرائع[3].

---

(1) الاعتصام (2/ 364-365).

(2) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه - كتاب الفتن - باب ما ذكر في عثمان (رقم 37656).

(3) الموافقات (3/ 292).

❁ ترك الفعل المشروع لئلا يؤول إلى محظور[1]

ترك الصحابة رضي الله عنهم بعض الأفعال مع أنها قد تكون مشروعة لئلا يؤدي فعلها إلى ما هو محظور، قال الشاطبي: «إن الصحابة عملوا على هذا الاحتياط في الدين لما فهموا هذا الأصل من الشريعة، وكانوا أئمة يقتدى بهم، فتركوا أشياء وأظهروا ذلك ليبينوا أن تركها غير قادح، وإن كانت مطلوبة»[2].

ومن الشواهد الدالة على ذلك قول حذيفة رضي الله عنه: «شهدت أبا بكر وعمر وكانا لا يضحيان مخافة أن يرى الناس أنها واجبة، وقال بلال رضي الله عنه: لا أبالي أن أضحي بكبش أو بديك. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يشتري لحما بدرهمين يوم الأضحى، ويقول لعكرمة: من سألك فقل هذه أضحية ابن عباس، وكان غنيا، وقال أبو أيوب الأنصاري: كنا نضحي عن النساء وأهلينا، فلما تباهى الناس بذلك تركناها..»[3].

ووجه الاستشهاد أن العلة في ترك الأضحية من طرف كل هؤلاء الصحابة كان مخافة أن يعتقد الناس وجوبها.

ومن ذلك أيضا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ يوم الجمعة بسورة النحل، حتى إذا وصل إلى السجدة سجد، وسجد معه الناس، وفي الجمعة الموالية قرأها فلما قرب من موضع السجدة تهيأ الناس للسجود، فلم يسجدها، وقال: إن الله لم يكتبها علينا إلا أن نشاء.

ووجه الاستشهاد به أن الفاروق رضي الله عنه لم يداوم على القيام بسجدة التلاوة مخافة أن يعتقد الناس وجوبها مع أنها مشروعة.

---

(1) اعتبار مآلات الأفعال وأثرها الفقهي (1/ 163).

(2) الموافقات (3/ 241).

(3) نفسه (3/ 241).

❁النظر إلى الأسباب وعلاقتها بالمسببات من حيث المصالح والمفاسد

يقرر الإمام الشاطبي أن «الأسباب الممنوعة أسباب للمفاسد لا للمصالح، كما أن الأسباب المشروعة أسباب للمصالح لا للمفاسد»[1]، ومثال ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه أمر مشروع؛ لأنه سبب لإقامة الدين، وإظهار شعائر الإسلام، وإخماد الباطل على أي وجه كان، وليس بسبب ـ في الوضع الشرعي ـ لإتلاف مال أو نفس، ولا نيل من عرض، وإن أدى ذلك في الطريق.

يقول الإمام الشاطبي: «وكذلك الجهاد موضوع لإعلاء كلمة الله، وإن أدى إلى مفسدة في المال أو النفس... والطلب بالزكاة مشروع لإقامة ذلك الركن من أركان الإسلام، وإن أدى إلى القتال كما فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم»[2].

ووجهه أن أبا بكر رضي الله عنه قد أدرك ببعد نظره، وعمق تدبيره، أن المصلحة في محاربة المرتدين، لما يترتب على ذلك من تحقيق لمصلحة حفظ الدين الذي يعد رأس الضروريات، وإن أدى إلى مفسدة في ضروري النفس والمال.

❁ طلب الفعل لما يؤول إليه من مصلحة

أمر الصحابة رضي الله عنهم ببعض الأفعال لما تؤول إليه من المصلحة، وسدا لذرائع الفساد، ومثال ذلك ما اتفقوا عليه من تضمين الصناع الذين انتصبوا للناس في أعمالهم ما أهلكوا في أيديهم، وقال علي رضي الله عنه: «لا يصلح الناس إلا ذلك»[3].

---

(1) الموافقات (1/ 174).

(2) نفسه (1/ 174).

(3) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ـ كتاب البيوع والأقضية ـ باب في القصار والصباغ وغيره ـ رقم 21051.

يقول الإمـــام الـشاطبي: «إن الخلفـاء الراشـدين قـضوا بتـضمين الـصناع، ووجـه المصلحة فيه أن الناس لهـم حاجـة إلى الـصناع، وهـم يغيبـون عـن الأمتعـة في غالـب الأحوال، والأغلب عليهم التفريط وترك الحفظ، فلو لم يثبـت تـضمينهم مـع مـسيس الحاجة إلى استعمـالهم لأفضى ذلك إلى أحد الأمرين، إمــا تـرك الاستـصناع بالكليـة، وذلك شاق على الخلق. وإمـا أن يعملوا ولا يضمنوا ذلك بدعواهم الهـلاك والـضياع، فتضيع الأموال، ويقل الاحتراز، وتتطرق الخيانة، فكانت المصلحة التضمين»[1].

❁ اعتمادهم سكوت الشارع

كان الصحابة الكرام البررة، رضوان الله تعالى عنهم، يستدلون على مشروعية وجواز مـا أتوه من تصرفات حين نزول القرآن، وحين وجود النبي ﷺ مـن بيـنهم، بـسكوت الشارع عنه، وعدم إنكاره عليهم إلى انـقـضاء عهد التشريع، ذلك لأن القرآن الكريم لم يكن يسكت عن بيان المخالفات والمنكرات التي كانت تؤتى عصر التنزيل[2].

ومثاله مـا ورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه في شرعية العزل: «كنا نعزل والقرآن ينزل، لو كان شيئا ينهى عنه لنهانا عنه القرآن»[3].

وفي ذلك يقول الإمـام الشاطبي: «فالحاصل أن الأمر أو الإذن إذا وقع عـلى أمـر لـه دليل مطلق، فرأيت الأولين قد عنوا به على وجه واستمر عليه عملهم، فـلا حجـة فيـه على العمل على وجه آخر، بل هو مفتقر إلى دليل يتبعه في إعمـال ذلك الوجه»[4].

---

(1) الاعتصام (2/ 366_367).

(2) البعد المصدري لفقه النصوص (ص80).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب النكاح ـ رقم الحديث 1440.

(4) الموافقات (3/ 43).

❁ اعتبار السياق

أخرج الإمام الترمذي في جامعه وقال: حسن صحيح، والطبري في تفسيره وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والواحدي من طريق المقرئ عن حَيْوَة بن شُرَيْح عن يزيد ابن أبي حبيب أخبري أسلم أبو عمران قال: «كنا بالقسطنطينية، وعلى أهل مصر عُقبة ابن عامر، وعلى أهل الشام فضالة بن عُبيد، فخرج من المدينة صف عظيم من الروم، وصففنا لهم صفا عظيما من المسلمين، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، ثم خرج إلينا مقبلا فتصايح الناس فقالوا: سبحان الله ألقى بيده إلى التهلكة».

فقام أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ فقال: يأيها الناس، إنكم تتأولون هذه الآية على غير التأويل، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، إنا لما أعز الله نبيه وكثر ناصروه، قلنا بعضنا لبعض سرّا من رسول الله ﷺ إن أموالنا قد ضاعت، فلو أنّا أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى كتابه يرد علينا ما هممنا به، فقال: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ في الإقامة التي أردنا أن نقيم في الأموال فنصلحها، فأمرنا بالغزو. فما زال أبو أيوب غازيا في سبيل الله حتى قبضه الله عز وجل[1].

فانظر كيف تأوّل الناس الآية بعيدا عن سياقها ولم يصلوها مع الآيات التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ كما غفلوا أو جهلوا سبب نزولها، وهو الأنسب للسياق حتى فسّره لهم الصحابي الجليل أبو أيوب رضي الله عنه وأرضاه.

---

(1) تفسير القرآن الكريم (1/ 404-405).

فهرس المصادر والمراجع

- **الاعتصام**، الشاطبي، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، ط1/2000م.
- **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، ابن رشد الحفيد، تحقيق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط1/2002م.
- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام**، لأحمد ابن تيمية الحراني، طبعة ابن تيمية لإحياء التراث الإسلامي، ط2/1400هـ.
- **مقاصد الشريعة ومكارمها**، علال الفاسي، منشورات مؤسسة علال الفاسي، ط5/2008م.
- **مقاصد الشريعة الإسلامية**، محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط3/1988م.
- **الموافقات في أصول الشريعة**، الشاطبي، مع شرح الشيخ عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، د.ت.
- **التجديد والمجددون في أصول الفقه**، عبد السلام بن عبد الكريم، المكتبة الإسلامية، ط1/2001م.
- **مالك ونظريته في تأصيل عمل أهل المدينة**، للشيخ الرحالي الفارق ضمن أعمال الإمام مالك والمالكية، مجلة الملتقى، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط/2007م.
- **العرف والعمل في المذهب المالكي ومفهومهما لدى علماء المغرب**، عمر الجيدي.
- **اعتبار مالات الأفعال وأثرها الفقهي**، وليد بن علي الحسين، دار التدمرية، الرياض، ط1/2008م.
- **البعد المصدري لفقه النصوص**، صالح قادر الزنكي، سلسلة كتاب الأمة، العدد113، السنة 26، 1427هـ
- **تفسير القرآن**، ابن كثير، دار الكتب العلمية، د.ت.

منزلة الصحابة الكرام والرد على مناوئيهم في أشهر المنظومات العلمية بالمغرب والأندلس قصيدة «أبي عمران الأندلسي الواعظ في مناقب أم المؤمنين عائشة» نموذجا

د. عبد اللطيف الجيلاني

مُلَخّصُ البَحْث

وُلِعَ المغاربة والأندلسيون بالنظم، واستعملوه قالبا لصياغة مختلف العلوم والفنون، فاشتهرت منظومات كثيرة متنوعة في الوصايا والقراءات والعقائد والفقه والتاريخ والميقات وغيرها من العلوم التي سعى العلماء من خلالها إلى تطويع النثر وصوغه في أوزان شعرية منظومة؛ ليسهل حفظها وتكون أقرب إلى أذهان المتعلمين.

وبالرجوع إلى بعض هذه المنظومات نجدها تتضمن أبياتا بديعة في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، وتؤكد على عظيم منزلتهم في الإسلام، ووجوب توقيرهم وتفضيلهم، والإمساك عما شجر بينهم، كما نجدهم في كثير من منظوماتهم يتصدون للردِّ على مُتَنقصي الصحابة ومُبْغضيهم، وإفحامهم بالحجج المبينة والبراهين القوية.

ولعلّ أهم تلك المنظومات وأكثرها شهرة وتداولا بين أيدي الباحثين: نونية أبي محمد عبدالله ابن محمد الأندلسي القحطاني، ووصية محمد بن موسى الشهير بابن عمار الكلاعي الميورقي لابنه ـ وهما فيما يبدو من علماء القرن الخامس الهجري ـ، والأرجوزة المنبهة لأبي عمرو الدّاني(444هـ)، ومنظومة إضاءة الدُّجنة في اعتقاد أهل السنة لأبي العباس المقّري(ت1041هـ) وغيرها كثير، إلا أنه استوقفتني أثناء بحثي قصيدة في مناقب أم المؤمنين عائشة « للشيخ أبي عمران موسى بن محمد بن عبد الله المري الأندلسي المعروف بابن بهيج، الذي عاش في أواخر القرن الخامس الهجري(كان حيا سنة 496هـ)، وهي رائعة من الروائع الأدبية ضمّنها ناظمها بتعبير فائق، ولفظ رائق، ونظم محكم متين: فضائل أم المؤمنين عائشة وفضائل والدها أبي بكر الصديق، وجَادَلَ على لسانها خصومها ومبغضيها بالدليل الواضح من الكتاب والسنة، أولها:

مَا شَانُ أُمِّ المؤمنين وشَاني ... هُدِيَ المُحِبُّ لها وضَلَّ الشَّاني

إِنِّي أَقُولُ مُبيِّناً عَنْ فَضْلِها ... ومُتَرْجِماً عَنْ قَوْلِها بِلِسَاني

يَا مُبْغِضِي لا تَأتِ قَبْرَ مُحَمَّدٍ ... فالبَيْتُ بَيْتي والمَكَانُ مَكَاني

إنِّي خُصِصْتُ على نِساءِ مُحَمَّدٍ ... بِصِفاتِ بِرٍّ تَحْتَهنَّ مَعاني
وَسَبَقْتُهُنَّ إلى الفَضائِلِ كُلِّها ... فالسَّبقُ سَبقي والعِنَانُ عِنَاني

وبالجملة فهذه القصيدة الرائعة قد حلّت من البلاغة والحُسن في حصن منيع، فهي واسطة العقد فيما اطلعت عليه من المنظومات التي تتناول منزلة الصحابة الكرام وتَرُدُّ على مُتنقصيهم، ولهذا أكثر العلماء من تداولها والتغني بأبياتها، بل لجأ بعضهم إلى معارضتها والنسج على منوالها.

وفي ختام هذا الملخص أنبّه إلى أنني قسمت بحثي في هذا الموضوع إلى مدخل وثلاثة مباحث، تناولت في المدخل نبذة وجيزة عن مكانة الصحابة عند علماء الإسلام عموما وعلماء المغرب والأندلس بصفة خاصة، وبينت فيه أيضا اهتمامهم بتقرير ذلك عن طريق النظم كما هو الشأن بالنسبة للنثر، مؤكدا قيمة النظم في الحياة التعليمية بالبيئة المغربية والأندلسية منذ القدم. وفي المبحث الأول عرضت قائمة بما وقفت عليه من المنظومات المغربية الأندلسية في الصحابة الكرام، وخصّصت المبحث الثاني لبيان منزلة الصحابة والرَّدِّ على مناوئيهم في مجموعة من أشهر المنظومات المغربية الأندلسية، وأما المبحث الثالث فتناولت فيه قصيدة أبي عمران الأندلسي الواعظ في مدح أم المؤمنين عائشة ‹›، مُعَرِّفا بناظمها، وكاشفا حقائق جديدة لم يطلع عليها جميع الباحثين الذين درسوا هذه المنظومة أو نشروها، ثم تناولت قيمتها ومكانتها عند العلماء ومبينا طبعاتها ونسخها المخطوطة في مختلف الخزائن والمكتبات، وذكرت في خاتمة البحث أهم التوصيات والنتائج التي توصلت إليها، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الباحث في سطور

الدكتور عبد اللطيف الجيلاني Jilani5@maktoob.com

- أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة الحسن الثاني ـ عين الشق ـ الدار البيضاء.
- أستاذ سابق بكلية الآداب ـ جامعة ابن زهر ـ أكادير.
- دكتوراه في الحديث وعلومه من جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس عام 2003م.
- رئيس مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء.

من أعماله المنشورة:

- الحافظ ابن رُشَيد السبتي وجهوده في خدمة السنة النبوية.
- الإنصاف فيما بين علماء المسلمين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب من الاختلاف، للإمام أبي عمر ابن عبد البر القرطبي(ت463هـ)، دراسة وتحقيق.
- استدعاءات الإجازة، لابن رُشَيد السبتي(ت721هـ)، دراسة وتحقيق.
- كتب المسلسلات عند المحدثين.
- التراحم بين الناس في السنة النبوية، وغيرها.

مدخل تمهيدي
في بيان منزلة الصحابة عند علماء المغرب والأندلس:

من البديهي أن يهتم علماء الإسلام بسيرة الصحابة وأن يصنفوا التصانيف في التعريف بهم وبيان فضائلهم؛ اعتبارا لمكانتهم في الإسلام وأثرهم في نشر تعاليمه، يقول الحافظ أبو عمر ابن عبدالبر القرطبي (ت463هـ): «وما أظن أهل دين من الأديان إلا وعلماؤه مُعْتَنُونَ بمعرفة أصحاب أنبيائهم؛ لأنهم الواسطة بين النبيّ وبين أمته»[1].

وبالبحث في التراث المغربي الأندلسي نجده يحفل بالتصانيف والأوضاع العلمية الناطقة بتمجيد الصحابة الكرام وتبجيلهم وتعظيمهم والاعتراف بفضلهم وسبقهم في الإسلام والإمساك عما شجر بينهم، بل يمكن الجزم بأن عقيدتهم في الصحابة الكرام وإجماعهم على القول بعدالتهم وعظيم منزلتهم وفضلهم يعدّ خصيصة من أبرز خصائص البلاد المغربية الأندلسية وفضيلة من أعظم فضائلها، ورافدا مهما من روافد وحدتها العقدية والمذهبية منذ سالف العصور، وإلى ذلك أشار الإمام أبو عبدالله محمد ابن فتوح الحُمَيْدي (ت488هـ) في كتابه جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس حينما ذكر فضائل الأندلس التي تميزت بها عن سائر البلدان، فقال: «ومن فضلها أنه لم يذكر قط على منابرها أحد من السلف إلا بخير وإلى الآن»[2]؛ أي إلى عصره رحمه الله تعالى.

ولم تسجل كتب التاريخ والتراجم سوى حالات يسيرة لبعض العلماء الذين تأثروا في مواقفهم من الصحابة الكرام بمذهبي النصب والتشيع المنتشرين بالمشرق؛ كما

---

(1) الاستيعاب (1/ 8ـ9) بحاشية الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر.

(2) جذوة المقتبس (ص7).

نلحظه عند أبي عمر أحمد بن محمد ابن عبد ربه القرطبي الأديب(ت328هـ) الذي تأثر بالنصب، وهو تيار يناصر بني أمية، ويعلن العداوة لعلي وأتباعه، وكذلك ما ورد في بعض المصادر من اتهام الإمام منذر بن سعيد البلوطي بالتشيع، وقد وقع بينه وبين ابن عبد ربه الأديب نفور وشنآن؛ حينما أنشأ ابن عبد ربه أرجوزة ذكر فيها أخبار الخلفاء، وجعل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه رابعهم، ولم يذكر عليا رضي الله عنه فيهم، ثم وصل ذلك بذكر الخلفاء من بني مروان إلى عبد الرحمن بن محمد، وحكى ابن الأبار أن القاضي مُنذر بن سعيد لما اطلع على هذه القصيدة كتب بهامشها أبياتا أنشد فيها:

أو ما عليٌّ لا برحت مُلعنا ... يا ابن الخبيثةِ عندكم بإمامِ

ربُّ الكساء وخير آل محمد ... داني الولاء مقدم الإسلامِ[1]

وبالجملة فإن علماء المغرب والأندلس عبر مختلف العصور تشبتوا بالعقيدة السنية التي تؤكد مكانة الصحابة الكرام وتعترف بعظيم منزلتهم في الإسلام، بل قرّروا ذلك في كتبهم، وهذه بعض نصوصهم في ذلك:

قال مسلمة بن القاسم القرطبي(ت353هـ) في كتابه الرد على أهل البدع وتبيين أصول السنة: «ومن تمام السنة الصلاة على من مات من أهل القبلة وإن عمل الكبائر، وذكر فضائل أصحاب النبي ﷺ، والسكوت عما شجر بينهم، والاقتداء بهم. وخير الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر الصديق [...][2]، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين بعدهما، ثم علي الرضى رابعهم، ثم أصحابه الباقون خير الأصحاب، وأنصاره خير الأنصار، وأمته خير الأمم»[3].

(1) التكملة لكتاب الصلة(1/ 239).

(2) غير واضح في الأصل المخطوط.

(3) الرد على أهل البدع (الورقة305)، وقد حقّقت هذا الكتاب وسيصدر قريبا إن شاء الله.

وقال الإمام أبو بكر ابن العربي المعافري رحمه الله (543هـ) في العواصم من القواصم: «ما رَضِيَت النصارى واليهود، في أصحاب موسى وعيسى، ما رَضِيَت الروافض في أصحاب محمد ﷺ، حين حكموا عليهم بأنهم قد اتفقوا على الكفر والباطل»[1].

وقال مالك الصغير الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني النفزي الأندلسي (ت386هـ)، قال رحمه الله: «وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون: أبوبكر وعمر وعثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، وأن لا يذكر أحد من صحابة رسول الله ﷺ إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج، ويظن بهم أحسن الظن»[2].

ومنهم أبو عبد الله محمد ابن أبي زَمَنِين (399هـ) قال: «ومن قول أهل السنة أن يعتقد المرء المحبة لأصحاب النبي ﷺ، وأن ينشر محاسنهم وفضائلهم، ويمسك عن الخوض فيما دار بينهم»[3].

وقال الإمام أبو عمرو الدّاني (ت444هـ) في الرسالة الواعية: «ومن قولهم ـ يعني أهل السنة ـ أن يحسن القول في السادات الكرام أصحاب النبي ﷺ، وأن تذكر فضائلهم، وتنشر محاسنهم، ويُمسك عما سوى ذلك مما شَجَرَ بينهم؛ لقوله ﷺ: إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا؛ يعني إذا ذكروا بغير الجميل، ولقوله ﷺ: الله الله في أصحابي، ويجب أن يُلتمس لهم أحسن المخارج، وأجمل المذاهب؛ لمكانهم من الإسلام، وموضعهم من الدين والإيمان، وأنهم أهل الرأي والاجتهاد، وأنصح الناس للعباد،

(1) العواصم من القواصم (ص192).
(2) متن الرسالة بشرح عبد المجيد الأزهري (ص20).
(3) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص263).

وهم من قال الله تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾، وقد شهد لهم بالجنة في غير موضع من كتابه فقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿الْعَظِيمُ﴾ رحمة الله عليهم أجمعين...»[1] .

وقال: «ومن قولهم إن أفضل الصحابة رضوان الله عليهم المهاجرون معه والذّابون عنه، كما قال سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾، ثم الأنصار ثم التابعون بإحسان، وقال عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾، وأفضل المهاجرين: العشرة الموعدون بالجنة، وهم: أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة ابن الجراح، وأفضل هؤلاء العشرة الأئمة الأربعة: لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين، وأفضل الأربعة: لأبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رحمة الله عليهم أجمعين»[2] .

وقال الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، قال رحمه الله: «فإن الكلمة في أول الإسلام والثمرة والصبر حينئذ، وركعة في ذلك الوقت؛ تعدل اجتهاد الأزمان الطوال، وجهادها وبذل الأموال الجسام بعد ذلك، ولذلك قال رسول الله ﷺ: دعوا لي أصحابي!! فلو كان لأحدكم مثل أحد ذهبا، فأنفقه ما بلغ مد أحدهم ولا نَصِيفَه، فكان نصف مُدٍّ شعير أو تمر في ذلك الوقت أفضل من جَبَل أُحُدٍ ذهبا ننفقه نحن في سبيل الله عز وجل بعد ذلك، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا

(1) الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات(ص132ـ133).
(2) نفسه (ص133ـ134).

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾. ثم قال أبو محمد: هذا في الصحابة فيما بينهم؛ فكيف بمن بعدهم معهم رضي الله عنهم أجمعين»[1].

وقال الإمام أبو بكر ابن العربي المعافري(ت543هـ) في شأن الأخبار التي يتداولها الناس عن الصحابة الكرام: «وخذوا لأنفسكم بالأرجح في طلب السلامة، والخلاص بين الصحابة والتابعين فلا تكونوا ـ ولم تشاهدوهم وقد عصمكم الله من فتنهم ـ ممن دخل بلسانه في دمائهم، فولغ فيها ولوغ الكلب في بقية الدم على الأرض بعد رفع الفريسة بلحمها، لم يلحق الكلب منها إلا بقية دم سقط على الأرض»[2].

وقال أيضا: «ومن نظر إلى أفعال الصحابة تبين منها بطلان هذه الهتوك التي يختلقها أهل التواريخ فيدسونها في قلوب الضعفاء»[3].

وقال العلامة أحمد بن محمد البرنسي التازي الفاسي المعروف بـزروق (ت899هـ) ـ شارح متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني ـ فقد نقل عن أبي القاسم الحكيم أنه قال: «اليهود والنصارى أحسن حالاً من الروافض وإن كانوا مسلمين؛ لأنه لو قيل ليهودي: من أفضل الناس؟ قال: موسى، فإذا قيل من أفضل الناس بعده؟ قال: نقباؤه، ولو قيل للنصراني: من أفضل الناس؟ قال: عيسى، فإذا قيل له: من بعده في الفضل؟ قال: حواريوه، ولو قيل لرافضي: من أفضل الناس؟ قال: محمد ﷺ، فإذا قيل له: من شر الناس بعد موته؟ قال: أصحابه، فقبح الله رأيهم فيما أتوا من ذلك. فالواجب ذكرهم بكل جميل، والإمساك عن كل ما يؤدي لخلافه، وما وقع بين علي ومعاوية فعن اجتهاد، ولكل أجرٌ بما وقع منه، ومذهب أهل السنة أن الصحابة كلهم عدول»[4].

---

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل(5/ 185).
(2) العواصم(ص227).
(3) نفسه (ص248).
(4) شرح زروق على الرسالة(1/ 85ـ86).

وغنيٌّ عن البيان أن اهتمام علماء المغرب والأندلس بالصحابة الكرام قد تجلى في مختلف أنماط كتاباتهم النثرية والشعرية، فقد جرى ذكر الصحابة والثناء عليهم في كتب الرحلات ودواوين الشعر والأمداح النبوية، فعلى سبيل المثال نجد الرحّالة المحدّث الشهير أبي عبد الله محمد بن عمر بن رُشَيد السبتي في رحلته المسماة ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة يشير إلى زيارته قبور الصحابة بالبقيع بعد زيارته قبر النبيﷺ وصاحبيه أبي بكر الصديق وعمر الفاروق، فيقول: «دخلنا المدينة شرفها الله للسلام على النبيﷺ، وقد ملأ السرور قلوبنا، وملك التوقير جوارحنا، واستعملنا سنة السلام وحيّيناه ﷺ بتحية الإجلال والإعظام، ووقفنا حيث حدّه العلماء من ضريحه الكريم، المخصوص بالتشريف والتعظيم، وقضينا المستطاع من أدب التحية، وكادت تغلب الوقار الأريحية... ثم قضينا حق السلام على خليفة رسول الله ﷺ الصديق، ثانيه في الغار والعريش والطريق، ثم على أمير المؤمنين الفاروق ثالثهما في المدفن الكريم المقدس، وتالي أبي بكر في المكانة الذي اختصه بحمل أعباء الخلافة بعده، وفوّض إليه ملقيا مقاليد تلك الأمانة رضي الله عنهما وجزاهما أفضل ما جزى صَاحِبَيْ نَبِيٍّ عنه، ثم زُرْنَا بالبقيع قبر أمير المؤمنين ذي النورين، وثالث العمرين رضوان الله عليه، وقبره في طرف البقيع بقيع الغرقد بالموضع المعروف بحُشِّ كوكب، ودفنت معه في قبة واحدة فاطمة بنت أسد رضي الله عنها أم المؤمنين وابن عم سيد المرسلين أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقرأنا على مهد قبرها منقوشا: ما ضَمَّ قَبْرٌ أَمّ أَحَد، كفاطمة بنت أسد....وزُرنا من عُرِفَ قبره من الصحابة رضوان الله عليهم والصحابيات»[1]، وحكى ابن رُشيد فائدة في هذا المقام يحسن إيرادها عنونها بقوله: فائدة في الاقتداء، بشيوخ الاهتداء، ثم قال: «وقفت أنظر إلى سلام شيخينا ابني الزجاج على النبيﷺ فجاءا حتى استقبلا مقابلة

(1) ملء العيبة(5/ 18_19).

وجهه الكريم شرفه الله، والقنديل المعلّق هناك يكون حذو رؤوسهما، فأدّيا واجب السلام، ثم انحدرا يسيرا وَوَقَفَا ودَعَوَا بما تيسر لهما إلى جهة أيمانهما فسلّما على أبي بكر رضي الله عنه، ثم انحدرا يسيرا إلى مقابلة عمر رضي الله عنهما، فَسَلَّمَا عليه رضي الله عنه ووقفا عندهما. فقالا ما تيسر لهما ثم انصرفا على أيمانهما، فرأيت أبا القاسم عبدالحميد منهما يبكي وسمعته يقول وقد ولّى: ما أعطي أحد من الشرف ما أعطي أبو بكر وعمر، متى سُلِّمَ عليه سُلِّمَ عليهما. هذا أو معناه من الكلام»[1]، وسائر كتب الرحلات لا تُغفل الحديث عن زيارة قبور الصحابة وما يتبع ذلك من عبارات دالّة على عظيم الإجلال والتوقير لجنابهم رضوان الله عليهم[2].

وكما اعتنى المغاربة والأندلسيون بوصف رحلتهم إلى المدينة وزيارتهم قبور الصحابة نثرا اعتنوا بذلك شعرا، ومن أمثلة ذلك قصيدة للمحدث الأديب عبدالملك ابن حبيب السلمي(ت238هـ) ذكر فيها زيارته للمدينة المنورة والقبر النبوي وأجرى فيها ذكر زيارته لقبور الصحابة قائلا:

وبقبر حمزة والصحابة حوله ... فاضت دموع العين منهمرات
سقيا لتلك معاهدا شاهدتها ... وشهدتها بالخطو واللحظات
لا زلتُ زَوَّاراً لقبر نبينا ... ومدينة زهراء بالبركاتِ
صلى الإله على النبي المصطفى ... هادي البرية كاشف الكربات
وعلى ضجيعيه السلام مُرَدَّداً ... ما لاَحَ نُورُ الحق في الظلمات[3]

---

(1) ملء العيبة (5/ 36).

(2) انظر على سبيل المثال: رحلة ابن جبير (ص144ـ145). بل إن هناك تصانيف كثيرة أفردت في بيان قبور الصحابة ومن جاء بعدهم من علماء الأمة؛ ككتاب مرشد الزوّار للموفق ابن عثمان، وكتاب الكواكب السيّارة لابن الزيّات، وعنوان النجابة للعلوي، وغيرها.

(3) نفح الطيب(1/ 46).

أما شعر المدائح النبوية فهو سبيل ممهدة عند أدباء المغرب والأندلس لإظهار مدى اعتزازهم بالصحب الكرام، ويكثر ورود ذكرهم في ختام قصائدهم كما نقف عليه مثلا في معظم قصائد العلامة الأديب الشهير محمد بن أحمد بن علي المعروف بابن جابر الأندلسي(ت780هـ)، كقوله:

صلى الإله على النبي المجتبى ... ما رجَّعَت في بانةٍ ورقاءُ
وعلى صحابته الأُلى بهم عَلَتْ ... في الناس هذي الملة البيضاءُ[1]

وقوله أيضا في ختام قصيدة أخرى من قصائده في المديح النبوي:

صَلُّوا على المصطفى وآلٍ ... كانوا على الحقِّ أولياءَ
وارضَوْا عن الصحب ولتكونوا ... من مبغضي صحبه بُرَاءَ[2]

ومن أشعار الأندلسيين التي تُفصح عن عقيدتهم في الصحب الكرام أبيات للعالم الأديب الرحّالة أبي الحسين محمد بن أحمد بن جُبَيْر الكناني الأندلسي(ت614هـ) يقول فيها:

أُحِبُّ النبي المصطفى وابن عَمِّهِ ... عَلِيّاً وسبطيه وفاطمةَ الزَّهْرَا
هُمُ أهل بيت أُذهبَ الرجس عنهمُ ... وأطلعهمْ أفْقُ الهدى أنجما زُهْرا
مُوالاتهم فرضٌ على كل مسلمٍ ... وحُبُّهُمْ أسنى الذخائرِ للأخرى
وما أنا للصحب الكرام بمبغضٍ ... فإني أرى البغضاءَ في حَقِّهِمْ كُفْرا
هُمُ جاهدوا في الله حقَّ جهاده ... وهمُ نَصَرُوا دين الهدى بالظُّبَى نصرا
عليهمْ سلام الله ما دام ذكرهمْ ... لدى الملإ الأعلى وأَكْرِمْ به ذكرا[3]

---

(1) نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين(ص28).
(2) نفسه (ص33).
(3) نفح الطيب(2/ 493).

ومن أشعارهم التي تبين تعلقهم بالصحب الكرام وتُجلِّي عظيم منزلتهم ما جاء على لسان الأديب أبي بكر محمد بن الحسن ابن **حَبِيش** المرسي - نزيل تونس -(ت679هـ) في مخمسته:

صِحَابُ رسول الله في الأرضِ أنجمُ ليرشد حيران وينجاب مظلمُ

بهم في الدُّنَا نُحْمَى وفي الدين نُعْصَمُ سأقطع عمري بالصلاة عليهمُ

وَأَدْأَبُ في حُبِّي لهم كل مَدْأَبِ[1]

وإذا كان ذكر الصحابة الكرام والثناء عليهم والدفاع عنهم في جارياً أشعار المغاربة والأندلسيين، فهو ظاهرٌ أيضا في منظوماتهم؛ إذ عرفوا بالنظم وتفننوا فيه، واستعملوه قالبا لصياغة مختلف العلوم والفنون، فاشتهرت منظومات كثيرة متنوعة في الوصايا والقراءات والعقائد والفقه والتاريخ والميقات وغيرها من العلوم التي سعى العلماء من خلالها إلى تطويع النثر وصوغه في أوزان شعرية منظومة، ليسهل حفظها وتكون أقرب إلى أذهان المتعلمين.

وبالرجوع إلى بعض هذه المنظومات نجدها تتضمن أبياتا بديعة في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، وتؤكد على عظيم منزلتهم في الإسلام، ووجوب توقيرهم وتفضيلهم، والإمساك عما شجر بينهم، كما نجدهم في كثير من منظوماتهم يتصدون للردِّ على مُتَنقصي الصحابة ومُبْغضيهم، وإفحامهم بالحجج المبينة والبراهين القوية، وهو ما سيأتي تفصيله في المبحثين الآتيين إن شاء الله تعالى.

---

(1) أزهار الرياض(5/ 249).

المبحث الأول: المنظومات المغربية الأندلسية في الصحابة الكرام

أورد المغاربة والأندلسيون ذكر الصحابة الكرام والثناء عليهم في أشهر منظوماتهم التي تناولت الوصايا والوعظ والعقائد، كما أنهم أفردوا بعض المنظومات أو خصصوا حيزا كبيرا منها للحديث عن الصحابة، وقد ارتأيت أن أورد أسماء بعض ما وقفت عليه من هذه المنظومات، مع بيان مكان الموجود منها[1]:

1. **قصيدة في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها**؛ لأبي عمران موسى بن محمد ابن عبد الله الأندلسي الواعظ المعروف بابن بهيج (كان حياً سنة 496هـ)، طبعت مرارا، وسيأتي الكلام عنها في المبحث الثالث من هذا البحث.

2. **أرجوزة في الزهد وذكر النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم**: لأبي الفضل جعفر ابن محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي القيرواني(ت534هـ)[2].

3. **طل الغمامة وطوق الحمامة في مناقب من خصَّه رسول الله ﷺ من صحابته بالكرامة**: لأبي عبد الله محمد بن مسعود بن فرج ابن أبي الخِصَال الغافقي ذي الوزارتين(ت540هـ)[3]، قصيدة حققها الأستاذ عبد الله كنون ولم ينشر.

4. **معراج المناقب ومنهاج الحسن الثاقب في نسب رسول الله ﷺ وما انتظم به من مناقب أصحابه رضوان الله عليهم**: لابن أبي الخصال الغافقي(ت540هـ)[4]، قصيدة حققها عبد الله كنون ولم ينشره[5]، وحُقّق في جامعة القرويين بفاس، وطبعت القصيدة

---

(1) أمدني بمعظم أسماء هذه المنظومات الأستاذ طارق طاطمي جزاه الله عني خير الجزاء.

(2) فهرسة ابن خير:(ص423).

(3) فهرسة ابن خير:(ص386)، ومعجم المؤلفين المعاصرين:(ص404).

(4) فهرسة ابن خير:(ص420).

(5) معجم المؤلفين المعاصرين:(ص404).

القصيدة ضمن رسائل ابن أبي الخصال عن دار الفكر المعاصر عام 1987م، بتحقيق محمد رضوان الداية، وتسمى القصيدة المديدة البائية، نظم فيها نسب النبي ﷺ إلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذكر جملة من معجزاته، ومناقب صحابته رضي الله عنهم في 366 بيتاً، قال عنها الكلاعي: «قصيدة فريدة مفيدة»، وذكر في الاكتفا قرابة 123 بيتاً من القصيدة، مطلعها:

إليك فهمي والفؤاد بيثرب وإن عاقني عن مطلع الوحي مغربي

أعلل بالآمال نفسا أغرها بتقديم غاياتي وتأخير مذهبي

وديني على الأيام زورة أحمد فهل ينقضي ديني ويقرب مطلبي

وهل أَرِدَن فضل الرسول بطيبة فيا برد أحشائي ويا طيب مشربي

وهل فضلت من مركب العمر فضلة تبلغني أم لا بلاغ لمركب

ألا ليت زادي شربة من مياهها وهل مثلها ريا لغلة مذنب

ويا ليتني فيها إلى الله صائر وقلبي عن الإيمان غير مقلب[1]

5. **أرجوزة في قصة مقتل الحسين رضي الله عنه**: لأبي عمران موسى بن عيسى بن محمد الأزدي القرطبي المعروف بابن المناصف(ت627هـ)[2]، نظمها باقتراح من الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن زكرياء الدرعي المالكي الكفيف، ومما نظمه فيها قوله:

وترى نعامته أكنَّت فرخه وذبابه ناء مداه يصير

وتكلف الصردان منه لسانه ولحره في الأذن منه ظهور

وحداته قد أشرفت وفراشة وبشعر صلصله تراه يشير

---

(1) الاكتفا (1/ 32).

(2) الذيل والتكملة(8/ 382-283).

6. **قصيدة في ذكر النبي ﷺ وأصحابه**: لأبي يعقوب الغماري(توفي في حدود 650هـ)[1].

7. **منظومة في أزواج النبي ﷺ**: لأبي عبد الله محمد بن علي بن العابد **الأنصاري** الفاسي الغرناطي(ت662هـ)، منها نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم12245.

8. **تخميس قصيدة معراج المناقب ومنهاج الحسن الثاقب**: لأبي بكر محمد بن الحسن ابن يوسف ابن حبيش اللخمي(توفي بعد 679هـ)[2].

9. **العُمْدَة في النبي ﷺ والخلفاء بعده**: لمحمد بن أبي بكر بن عبد الله الأنصاري(ت681هـ)[3]، ذكر ابن عبد الملك أنه وقف على نسختين من هذا الكتاب، إحداهما أكبر من الأخرى، نقلهما من خطه، يقول في الصغرى:

هذا كتاب العمدة ... للذكر خير عدة
مشرف في ملإ ... مؤنس في وحدة

وفي الأخرى يقول:

الحمد لله على عونه ... في وضع هذا الجامع المختصر
ما أعظم النفع به لامرئ ... على اطلاع ليس فيه قصر

10. **قصيدة رائية في مدح أهل البيت**: لأبي حامد محمد العربي بن يوسف بن محمد الفهري القصري الفاسي(ت1052هـ)، منه نسخة بالخزانة الحسنية

(1) صلة الصلة:(القسم المفقود: رقم 222).
(2) تاج المفرق في تحلية علماء الشرق للبلوي:(ص121).
(3) الذيل والتكملة:(8/ 280-281).

رقم(14102)، ونسخة بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود رقم(349-8) من (3 ورقات)، أوله:

11. **هالة البدر في نظم أسماء أهل بدر**: لأبي سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العيّاشي(ت1090هـ)[1]، منه ست نسخ خطية بالخزانة الحسنية، تحت رقم(52، 598، 11982، 12302، 12402، 13406).

12. **إسفار البدر عن رجال أهل بدر**: لأبي عيسى محمد المهدي بن أحمد بن علي بن أبي المحاسن الفاسي الفهري(ت1109هـ)، وهي أرجوزة في ذكر أهل بدر، منها نسخة خطية في دار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم(18557) من (9 ورقات).

13. **رجاء الإجابة بالبدْريِّين من الصحابة**: لأبي محمد عبد السلام بن الطيب بن محمد القادري الحسني الفاسي(ت1110هـ)[2]، والكتاب عبارة عن منظومة تقع في 249 بيتاً، وهي في التوسل بالصحابة الذين حضروا غزوة بدر، توجد منها نسختان بالخزانة الصبيحية بسلا: الأولى تحت رقم (305/ 7)، وتضم 7 ورقات بخط مغربي مدموج كثيراً، والثانية برقم (379/ 3)، من (8 أوراق) بخط مغربي مبسوط جميل ملون ومشكول[3]، ومنها ست نسخ بالخزانة الحسنية تحت رقم(52، 11954، 12302، 12402، 12467، 13638).

14. **نيل القربات بأهل العقبات**: لأبي محمد عبد السلام بن الطيب القادري الحسني(ت1110هـ)[4]، وهي أرجوزة من 76 بيتاً في التوسل بالصحابة الذين حضروا

---

(1) مقدمة اقتفاء الأثر:(ص67).

(2) الإكليل والتاج:(ص428).

(3) فهرس الخزانة الصبيحية:(260-261) رقم(540-541).

(4) الإكليل والتاج:(ص428).

بيعة العقبة، منها أربع نسخ بالخزانة الحسنية تحت رقم(52، 7248، 12467، 13938)، ونسخة أخرى في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم(483/ 8 د) ضمن مجموع من (119 إلى 122)، ونسخة أخرى في الخزانة الصبيحية برقم(379/ 4).

15. **عقد اللآل ووسيلة السؤال بما له ﷺ من الآل**: لأبي محمد عبد السلام بن الطيب **القادري** الحسني(ت1110هـ)[1]، وهي منظومة في التوسل بآل البيت، توجد منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(52)، ونسخة في الخزانة العامة برقم(2007/ 3) ضمن مجموع، من الصفحة 53 إلى 56، ونسخة أخرى بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود تحت رقم(349-5) من (3 ورقات).

16. **ذخيرة الاكتساب فيمن يدخل الجنة بغير حساب**: لأبي محمد عبد السلام بن الطيب القادري الحسني(ت1110هـ)[2]، وهو منظومة في 40 بيتاً، توجد منها نسخة مخطوطة بالخزانة الصبيحية تحت رقم(379/ 5)، ونسخة بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود برقم(349-3) من ورقتين.

17. **أرجوزة في نشأة النبي ﷺ وأزواجه وعشيرته**: لأبي محمد عبد السلام بن الطيب القادري(ت1110هـ)، منها نسخة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم(75 د) ضمن مجموع من (87 إلى 88).

18. **نظم في التوسل بالصحابة**: لمحمد بن عبد القادر الفهري الفاسي(ت1116هـ)[3].

---

(1) الإكليل والتاج:(ص428).

(2) معجم طبقات المؤلفين: (2/ 176).

(3) نفسه: (2/ 328).

19. **نظم فيمن هاجر إلى الحبشة من الصحابة**: لأحمد بن عبد القادر القادري الفاسي(ت1133هـ)[1]، وهي منظومة رجزية تقع في 89 بيتاً، منها نسخة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم(2839د).

20. **عوارف المنة فيمن شهد له بالجنة**: لأحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني(ت1146هـ)[2]، وهو منظومة رجزية في التوسل بأسماء الصحابة المبشرين بالجنة.

21. **قصيدة في مدح آل البيت**: لأبي محمد عبد المجيد بن علي بن محمد المنالي الحسني الفاسي الشهير بالزبادي(ت1163هـ)، هي قصيدة تقع في 46 بيتاً، امتدح فيها آل البيت النبوي وخصوصا فاطمة الزهراء ﭬ، ألفها عام 1143هـ، منها نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم (14102)، ونسخة أخرى في مؤسسة علال الفاسي بالرباط تحت رقم(189ع) من ورقتين ضمن مجموع، أولها:

بآل البيت تنشرحُ الصُّدُور ⁂ وتزدانُ المحافلُ والصُّدور[3]

22. **قصيدة ميمية في رثاء عمر بن الخطاب** ﭬ: لأبي العباس أحمد بن عبد العزيز ابن رشيد الهلالي السجلماسي(ت1175هـ)، منها نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم(12740).

23. **أرجوزة في التوسل بأهل بدر**: لأبي زيد محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبدالجليل السجلماسي الفيلالي البُوجَعْدِي(ت1214هـ)، منها سبع نسخ خطية بالخزانة الحسنية تحت رقم(52، 872، 12302، 12402، 12719، 13271، 13346).

---

(1) التقاط الدرر (ص320)، معجم طبقات المؤلفين(2/ 68).
(2) معجم طبقات المؤلفين(2/ 76)، التقاط الدرر (ص360).
(3) الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي(1/ 62).

24. **إغاثة المضطر في التوسل بأهل بدر**: لعلي بن محمد خُلَيِّف التميمي القيرواني(ت1232هـ)، وهي منظومة من بحر الرجز في 250 بيتاً، قال في آخرها:

قد انتهت إغاثة المضطر ❊❊❊ أبياتها أجاب أهل بدر

أتمها عام 1202هـ، ومنها نسخة في دار الكتب الوطنية بتونس من7 ورقات، تحت رقم (9/ 18557)، ضمن مجموع من الورقة 55 إلى 62[1].

25. **وسيلة الرواج في ذكر الأزواج**: لغالي بن المختار فال بن أحمد تلمود البصادي(توفي نحو 1243هـ)[2]، وهي منظومة في ذكر أسماء أمهات المؤمنين وأنسابهن، طبعت.

26. **نظم أهل بدر**: لعبد الله بن سيد محمود الحاجي(ت1250هـ)[3].

27. **قصيدة عينية في التوسل على ترتيب حروف اسم الصحابي سيدنا عمران بن حصين**: لأبي حامد محمد العربي بن محمد بن السائح الشرقي العمري الرباطي التيجاني(ت1309هـ)، منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(13679).

28. **شرح قصيدة أهل بدر**: لمحمد بن عبد المجيد بن عبد الرحمن أقصبي(ت1364هـ)، منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(7062).

29. **قصيدة الكرام في مدح آل بيت رسول الله عليه السلام**: للصادق بن محمد بن الصادق بن عبد الله الجزائري، قصيدة من (73 بيتاً) في مدح آل البيت النبوي الكريم،

---

(1) كتاب العمر(2/ 549-550).

(2) معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي:(ص94).

(3) نفسه:(ص89).

طبعت في مراكش عن مطبعة التقدم الإسلامية دون تاريخ، في (4 صفحات)، منها نسخة بالخزانة العامة تحت رقم(A 14769).

30. **قصيدة في مدح أهل البيت:** لمصطفى بن محمد بن الكبير بن عبد الرحمن العلوي المدغري، منها نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم(13762).

31. **أرجوزة في أنساب آل البيت:** للتهامي بن عبد الله بن الشريف عثمان، منه نسخة في الخزانة الحسنية، بخط مغربي من (20 ورقة).

32. **شرح أرجوزة أحمد بابا العلوي الشنقيطي في أزواج النبي ﷺ وما له منهن من البنين والبنات:** مجهول(كان حياً في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري)، منه نسخة في مؤسسة آل سعود بالدار البيضاء تحت رقم (142)، تضم (98 ورقة) بخط مغربي، ألفه بأمر من شيخه العربي بن السايح الرباطي(ت1309هـ)، أوله: «الحمد لله الذي بنعمته الصالحات وبأنوار عنايته نستوهب لطائف النفحات»، وآخره:«وهذا من خصائصه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام كما في أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب للحافظ السيوطي رحمه الله»[1].

(1) فهرس مخطوطات آل سعود:(ص42).

المبحث الثاني: منزلة الصحابة والرَّدّ على مناوئيهم في أشهر المنظومات العلمية لعلماء المغرب والأندلس

إذا تأمّلنا معظم المنظومات التي أفردت في الصحابة الكرام فسنجدها تعتني بتدوين أسماء الصحابة وتعداد مناقبهم وذكر فضائلهم، بل إن كثيرا من المنظومات المتأخرة في الصحابة رام أصحابها نظم أسماء الصحابة على سبيل التبرك والتوسل، لكن حينما نستعرض طائفة من أشهر المنظومات العامة أو تلك التي تندرج في فن معين كالوصايا والمواعظ والعقائد؛ نجدها أكثر فائدة وأنفع عائدة في تجلية منزلة الصحابة الكرام والتأكيد على فضلهم وسبقهم في الإسلام ووجوب توقيرهم والإمساك عما شجر بينهم، والرد على متنقصيهم، ومن أشهر هذه المنظومات نونية أبي محمد عبد الله بن محمد القحطاني الأندلسي، وهي منظومة عجيبة تناول فيها مواضيع كثيرة تتعلق بأصول الدين والأحكام الشرعية والأخلاق والمواعظ، وتحدث في عدد منها عن مكانة الصحابة وعقيدة أهل السنة والجماعة القاضية بوجوب محبتهم، وشدّد القحطاني النكير على الشيعة الذين يُكفرون الصحابة ويحطون من أقدارهم، وفيما يلي الأبيات التي ردّ فيها على الرافضة منتصرا للصحابة:

لا تعتقد دين الروافض إنهم ... أهل المحالِ وحِزْبَةُ الشيطانِ
جعلوا الشهور على قياس حسابهم ... ولربما كملا لنا شهران
ولربما نقص الذي هو عندهم ... وَافٍ وأوفى صاحبُ النقصان
إن الروافض شر من وطئ الحصى ... من كل إنس ناطقٍ أو جانِ
مدحوا النبي وخوّنوا أصحابه ... ورموهم بالظلم والعدوان
حَبُّوا قرابته وسبوا صحبه ... جدلان عند الله منتقضان[1]

(1) نونية القحطاني(ص20ـ21).

وواضح أن الإمام القحطاني قد شدّد لهجته في هجاء الرافضة بناء على أسس منطقية؛ منها استحالة الجمع بين محبة القرابة وسب الصحابة، فهو تناقض لا يقبله العقل؛ فكما أن الطعن في القرابة وآل البيت النبوي الطاهر يلزم منه الطعن في النبيﷺ ؛ كذلك الطعن في الصحابة يلزم منه الطعن في النبي ﷺ ، وهو ما يؤكده الإمام مالك بقوله عن الروافض: ((إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء، لو كان رجلاً صالحا لكان أصحابه صالحين))[1] ، ثم أنشد القحطاني في مدح النبي ﷺ المدح والثناء عليه وعلى آله وخلفائه وصحابته:

فكأنما آل النبي وصحبه ... روح يضم جميعها جسدان
فئتان عقدهما شريعة أحمد ... بأبي وأمي ذانك الفئتان
فئتان سالكتان في سبل الهدى ... وهما بدين الله قائمتان
قل إن خير الأنبياء محمد ... وأجل من يمشي على الكثبان
وأجل صحب الرسل صحب محمد ... وكذاك أفضل صحبه العمران
رجلان قد خلقا لنصر محمد ... بدمي ونفسي ذانك الرجلان
فهما اللذان تظاهرا لنبينا ... في نصره وهما له صهران
بنتاهما[2] أسنى نساء نبينا ... وهما له بالوحي صاحبتان
أبواهما أسنى صحابة أحمد ... يا حبذا الأبوان والبنتان
وهما وزيراه اللذان هما هما ... لفضائل الأعمال مستبقان
وهما لأحمد ناظراه وسمعه ... وبقربه في القبر مضطجعان

---

(1) الصارم المسلول(ص580).

(2) يعني رحمه الله أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، وأم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

كانـــا على الإســـلام أشـــفق أهلـــه وهمـــا لديـــن محمـــد جـــبلان
أصفاهمـــا أقواهمـــا أخـــشاهما أتقاهمـــا في الـــسر والإعـــلان
أسناهمـــا أزكاهمـــا أعلاهمـــا أوفاهمـــا في الـــوزن والرجحـــان
صـــديق أحمـــد صـــاحب الغـــار الذي هـــو في المغـــارة والنـــبي اثنـــان
أعـــني أبـــا بكـــر الذي لـــم يختلـــف مـــن شرعنـــا في فـــضله رجـــلان
هـــو شـــيخ أصـــحاب النـــبي وخـــيرهم وإمـــامهم حقـــا بـــلا بطـــلان
وأبـــو المطهـــرة الـــتي تنزيهها قـــد جاءنـــا في النـــور والفرقـــان
أكـــرم بعائـــشة الـــرضى مـــن حـــرة بكـــر مطهـــرة الإزار حـــصان
هي زوج خـــير الأنبيـــاء وبكـــره وعروســـه مـــن جملـــة النـــسوان
هي عرســـه هي أنـــسه هي إلفـــه هي حبـــه صـــدقا بـــلا أدهـــان
أولـــيس والدهـــا يـــصافي بعلها وهمـــا بـــروح الله مؤتلفـــان
لمـــا قـــضى صـــديق أحمـــد نحبـــه دفـــع الخلافـــة للإمـــام الثـــاني
أعـــني بـــه الفـــاروق فـــرق عنـــوة بالـــسيف بـــين الكفـــر والإيمـــان
هـــو أظهـــر الإســـلام بعـــد خفائـــه ومحـــا الظـــلام وبـــاح بالكتمـــان
ومـــضى وخـــلى الأمـــر شـــورى بيـــنهم في الأمـــر فـــاجتمعوا على عثمـــان
مـــن كان يـــسهر ليلـــة في ركعـــة وتـــرا فيكمـــل ختمـــة القـــرآن
ولي الخلافـــة صـــهر أحمـــد بعـــده أعـــني علي العـــالم الربـــاني
زوج البتـــول أخـــا الرســـول وركنـــه ليـــث الحـــروب منـــازل الأقـــران
ســـبحان مـــن جعـــل الخلافـــة رتبـــة وبـــنى الإمـــامة أيمـــا بنيـــان
واســـتخلف الأصـــحاب كي لا يـــدعي مـــن بعـــد أحمـــد في النبـــوة ثـــاني
أكـــرم بفاطمـــة البتـــول وبعلها وبمـــن همـــا لمحمـــد ســـبطان
غـــصنان أصلهمـــا بروضـــة أحمـــد لله در الأصـــل والغـــصنان
أكـــرم بطلحـــة والـــزبير وســـعدهم وســـعيدهم وبعابـــد الـــرحمن

وأبي عبيـــدة ذي الديانـــة والتـــقى ... وامــدح جمــاعة بيعــة الرضــوان
قــل خــير قــول في صــحابة أحمــد ... وامــدح جميــع الآل والنــسوان
دع مــا جــرى بــين الـصحابة في الـوغى ... بــسيوفهم يــوم التــقى الجمعــان
فقتــيلهم مــنهم وقــاتلهم لهــم ... وكلاهمــا في الحــشر مرحومــان
والله يــوم الحــشر يــنزع كل مــا ... تحــوي صــدورهم مــن الأضــغان
والويــل للركــب الذيــن ســعوا إلى ... عثمــان فــاجتمعوا على العــصيان
ويــل لمــن قتــل الحــسين فإنــه ... قــد بــاء مــن مــولاه بالخــسران
لــسنا نكفــر مــسلما بكبــيرة ... فــالله ذو عفــو وذو غفــران(1)

وقال مُقَرِّرا اعتقاده في آل البيت والصحابة:

واحفـظ لأهـل البيـت واجـب حقهـم ... واعــرف عليّــا أيمــا عرفــان
لا تنتقـــصه ولا تـــزد في قـــدره ... فعليــه تَــصْلَى النــار طائفتــان
إحداهمــا لا ترتــضيه خليفــة ... وتنــصه الأخــرى إلهــا ثــاني
والعــن زنادقــة الجهالــة إنهــم ... أعنــاقهم غلــت إلى الأذقــان
جحــدوا الــشرائع والنبــوة واقتــدوا ... بفــساد ملــة صــاحب الإيــوان(2)
لا تــركنن إلى الــروافض إنهــم ... شــتموا الــصحابة دون مــا برهــان
لعنــوا كمــا بغــضوا صــحابة أحمــد ... ووداهــم فــرض على الإنــسان
حُــبُّ الــصحابة والقرابــة سُــنة ... ألــقى بهــا ربي إذا أحيــاني
اِحْــذَرْ عقــابَ الله وَارْجُ ثوابَــهُ ... حــتى تكــون كمــن له قلبــان(3)

---

(1) نونية القحطاني(ص21ـ24).
(2) المقصود بصاحب الإيوان كسرى أنو شروان.
(3) نونية القحطاني(ص24ـ25).

وأنشد الإمام المقرئ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي(ت444هـ)[1] في أرجوزته المسماة بالمنبهة:

إذا رأيت المرء قد أحبّا أئمة الدين وعنهم ذبا
وفَضَّلَ الصحابةَ الأبرارا وَقَدَّم الأصهارَ والأنصارا
وَأَبْغَضَ البدعي والمخالفا ومن تَرَاهُ لهما مُخَالفا
فاعلم بأنه من أهل السنه فالزمه واستمسك بما قد سنّه[2]

وقال:

وَحُبُّ أصحاب النبي فرضٌ ومدحهم تزلف وقرضٌ
وأفضلُ الصحابة الصديقُ وبعده المهذب الفاروقُ
وبعده عثمان ذو النورينِ وبعده علي أبو السبطينِ
وبعدَ هؤلاء باقي العَشَرَه الأتقياء المرتضيين البَرَرَهْ
أهل الخشوع والتقى والخوفِ طلحةُ والزبيرُ وابن عوفِ
ثُمَّتَ سعدٌ بعدهم وعامرُ ثم سعيدُ بن نفيلِ العاشرُ
وسائرُ الصّحب فهم أبرارُ منتخبون سادة أخيارُ
وربنا جلَّ لَهُم إنعامَهْ وخصّهم بالفضل والكرامهْ[3]

وأنشد أبو عبد الله محمد بن عيسى بن بن محمد بن أصبغ الأزدي المالكي المعروف بابن المناصف(ت620هـ)[4] في المعلم الرابع الخاص بالسيرة النبوية من أرجوزته الطويلة المسماة الدرة السنية في المعالم السنية:

---

(1) انظر ترجمته في: جذوة المقتبس(ص287)، وسير أعلام النبلاء(18/ 7).

(2) منبهة الإمام المقرئ أبي عمرو الداني(ص540، 543).

(3) الأرجوزة المنبهة(ص556_558).

(4) انظر ترجمته في الذيل والتكملة لابن عبدالملك(8/ ق1/ 345)، والأعلام للزركلي(6/ 322).

وفرقـــة معروفـــة بالرافـــضة ... صـنف مـن الـشيعة حـيرى خائـضة

قـــوم تـــبرؤا مـــن الـــصحابة ... وأوســـعوا في الـــسبّ والمعابـــة

وكفـــروا هنـــاك بعـــض الـسلف ... وطعنـــوا في فـــضلهم والـــشرف

وربمـــا مـــالوا للاعـــتزال ... في بعـض مـا لهـم مـن الأقـوال

قـالوا لزيـد بـن علي بـن الحـسين ... نجـل علي المعـتلي عـن كل شـين

اشـــتم أبـــابكر وأيـــضاً عمـــرا ... فلـم يطعهـم حـين جـاؤوا نكـراً

فرفـــضوه فلذلـــك نـــسبوا ... رافـضة ثـم اسـتمر اللقـب[1]

وأنشد أبو عبد الله محمد بن موسى بن عمار الكلاعي، من أهل ميورقة(من علماء التوحيد والكلام البارزين في القرن الخامس الهجري)[2]، في وصيته:

وأَبْغِـــضْ كل مبتـــدع كفـــور ... كمثـــل الرافـــضين الكافرينـــا

ألا إنَّ الـــرَّوَافِضَ شَرُّ خَلْـــقٍ ... وأكـــذبُ مـــن يهـــود الكاذبينـــا

ضـــلالتهم وكفـــرهم شـــنيعٌ ... وبعـــدهم الـــكلابُ الخارجينـــا

همـــا طرفـــان في كفـــر وسَـــبٍّ ... وهـــم سـبوا الـصحابة مُعلنينـا

وقـــد قـــالَ الرســـولُ كلامَ صـــدقٍ ... صِـــحَابي كالنجـــوم لمقتـــدينا

ومـــا ضَرَّ النجـــوم نُبَـــاحُ كلـــبٍ ... فـــسُحْقاً للـــكلابِ النَّابِحِينَـــا

تـــسمي الـــسيف للإســـلام جِبْتـــاً ... فأنـــضى الله سَـــيْفَ المـــسلمينا

فقنعـــه بـــه عمـــا قريـــب ... فَيَـــشْفِ صُـــدُورَ قـــومٍ مُؤْمِنِينَـــا

---

(1) الدرة السنية (ق14) مخطوط.

(2) قال عياض: كان من أهل العلم والفهم، ورحل فلقي بقية مشيخة القيروان، ولقي شيوخ مصر، ومن كان بمكة، وغلب عليه علم التوحيد والكلام فيه؛ وألف في ذلك كتاب الإعلام، وكان حسن العبارة، جيد القريحة. انظر ترجمته في ترتيب المدارك(8/ 159).

إلـــهي طَهِّـــرِ الحــــرمين مــــنهم ... ومــــصر الأرض مـــن متمجـــسينا
وأورثنـــا ديـــار القـــوم حـــتى ... نكـــون بهـــا بجـــودك قاطنينـــا
وغــــيرهم مــــن الهــــواء جَنِّـــبْ ... فبـــدعتهم تـــضُمُّ الـــسامعينا
فبُغــــضهم ولعنــــتهم أكيــــدٌ ... أجـــلُّ وســـيلةِ المتوســـلينا[1]

وقد جاء في ختام نظمه:

كتبـــت وصـــيتي نظمـــا ووعظـــا ... وذكـــرى تنفـــع المتـــذكرينا
ولـــم أَكُ شـــاعراً لكـــن نفـــسي ... تَـــنْظِمُ مـــا رأت للناثرينـــا[2]

إلى أن قال:

وأختـــتم بالـــصلاة على نـــبي ... سَمـــاهُ الله فـــوق المرســـلينا
عليـــه صـــلاة ربي ذي الجـــلالِ ... كمثـــلِ الرَّمْـــلِ تَـــتْرَا كلَّ حِينَـــا[3]

وأبو العباس أحمد بن محمد المقّري التلمساني(ت1041هـ)[4] في منظومته إضاءة الدُّجُنَّة في اعتقاد أهل السنة:

وأفـــضلُ الأمــــة ذات القَـــدْرِ ... أصـــحابُ مـــن أُعطـــي شَرْحَ الـــصَّدْرِ
إِذ جـــاء في القـــرآن مـــا يَقْـــضِي لهـــمْ ... بالـــسَّبْقِ في آيٍ حَـــوَتْ تفـــضيلهمْ

---

(1) وصية محمد بن موسى الشهير بابن عمار الكلاعي الميورقي لابنه(ص87).

(2) نفسه (ص88).

(3) نفسه (ص89).

(4) انظر ترجمته في: التقاط الدرر للقادري(ص94ـ95)، خلاصة الأثر للمحبي(1/ 320)، وصفوة من انتشر للإفراني(ص143).

وكـــم أحاديـــثَ علـــيهمْ تُثْـــنَى كقـــوله خـــير القـــرون قَـــرْنِي
وقـــول طـــه المـــصطفى لـــو أنفقـــا فجـــلّ مـــن زكّاهـــم ووفقّـــا
ثـــم يلـــيهم تـــابع بـــادى الـــسَّنَا فتـــابع لتـــابع قـــد أحـــسنا
والخلفـــاء الراشـــدون الأربعـــهْ خـــيرُ الـــصحابة الأُلَى كانـــوا معـــهْ
ورَتِّـــبَنّ الفـــضل فيمـــا بيـــنهمْ على خلافـــة وقَـــدِّمْ عَيْـــنَهُم
وهْـــوَ أبـــو بكـــر وفـــاروقٌ يـــلي وبعـــد عثمـــانُ واختـــم بعـــلي
زوجُ البتـــولِ بُـــضْعَةِ الرســـولِ مـــن نـــال بالـــسبطين أقـــصى الـــسُّولِ
وبعـــد هـــؤلاء بـــاقي العـــشرهْ طلحـــةٌ والـــزبيرُ زاكي النَّـــشْرَهْ
وعامـــرٌ وســـعدٌ الـــسامي الحُـــلَى مـــع ابـــن عـــوفٍ وســـعيدٍ ذي العُـــلاَ
فأهـــلُ بـــدرٍ ثُـــمَّ أهـــلُ أُحُـــدِ فبيعـــةِ الرِّضـــوانِ بعـــدهُ اعْـــدُدِ
والـــسابقون الأولـــون صُرِّحَـــا بفـــضلهمْ والخُلْـــف فـــيهمْ سُرِّحَـــا
وبعـــضُ مـــن بـــالعلم قـــد تحـــلّى يقـــول مـــن للقبلتـــين صـــلّى
والـــصَّحْبُ كلهـــم عُـــدُولٌ خِـــيَرَهْ فمـــن يُـــرِدْ وَجْـــهَ اهتـــدا بهـــم يَـــرَهْ
لأنَّ مـــن أحـــاط بـــالخبيِّ علمـــا حَبَـــاهُمْ صـــحبة النـــبيّ
فهـــم نجـــومٌ في الـــسُّرَى مـــن اقْتَـــدَى بهـــمْ إلى معـــالم الحـــقِّ اهْتَـــدَى
فـــلا تَخُـــضْ فيمـــا مـــن الأمـــرِ اخْـــتَلَطْ بيـــنهمْ واحْـــذَرْ إذا خُـــضْتَ الغَلَـــطْ
والتمـــسَنَّ أحـــسنَ المخـــارج لهـــم فالاجتهـــاد ذو معـــارجْ[1]

---

(1) إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة (ص95 ـ 98).

المبحث الثالث: التعريف بقصيدة أبي عمران الأندلسي الواعظ في مناقب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

أ ـ نشراتها ونسخها الخطية:

نُشرت قصيدة أبي عمران الواعظ في مناقب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لأول مرة بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني في كتابه «عائشة والسياسة»، المنشور بدار الفكر ببيروت عام1947م، وكان رحمه الله قد اعتمد في نشرها على نسخة خطية وحيدة في ملك السادة آل عبيد أصحاب المكتبة العربية بدمشق تعود حسب تقدير الأستاذ أحمد عبيد إلى القرن الثامن الهجري. ثم نشرها الأستاذ عبد الله كنون رحمه الله في مجلة المناهل الصادرة عن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية بالرباط ـ المملكة المغربية، وذلك في العدد السادس(رجب 1396هـ/ 1976م)، واعتمد رحمه الله في تحقيقها على أربع نسخ خطية؛ منها نسخة المكتبة الكنونية، وهي بخط مغربي جميل، وتغلب عليها الصحة، وباقي النسخ من المكتبة العامة بتطوان، وهي التي تقع ضمن مجاميع تحمل الأرقام:(656 ، 830، 60/ 5).

ثم نُشرت مرة ثالثة منسوبة على سبيل الوهم إلى أبي الخير الجزري بتحقيق الدكتور عبدالله الحجيلي في ملحق التراث بجريدة المدينة ـ السعودية، (العدد: 11364)، اعتمادا على نسخة فريدة محفوظة بخزانة عارف حكمت بالمدينة المنورة، وقد وقع في هذه النشرة زيادة ثمانية وعشرين بيتا على نشرة الأستاذ عبدالله كنون، وكنت أشرت إلى ذلك مع تنبيهات وملاحظات في مقال نشرته في ملحق التراث بجريدة المدينة (العدد: 11595 بتاريخ29 ديسمبر1994م) بعنوان: القصيدة ما تزال بحاجة إلى تحقيق ودراسة، وقد ناديت في ختامه أهل العلم والأدب أن يتصدوا إلى جمع نسخها الخطية وتحقيقها تحقيقا علميا دقيقا، فظهرت بعد ذلك ـ ولله الحمد والمنة ـ في نشرتين:

➢ الأولى بعنوان: قصيدة الواعظ الأندلسي في مناقب أم المؤمنين الصديقة عائشة رضي الله عنها، تحقيق: أخينا الأستاذ الدكتور فهد الرومي، نشر مكتبة التوبة بالرياض(1418هـ ـ 1998م)، واعتمد الدكتور فهد الرومي في تحقيقه على ثلاث نسخ خطية هي التي سبق أن اعتمدها الأستاذ عبدالله كنون في تحقيقه، وهي النسخ المحفوظة بالخزانة العامة بتطوان ضمن مجاميع تحمل الأرقام: (60م ـ 656م ـ 830م/ 7).

➢ والثانية بعنوان: القصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم، اعتنى بها صديقنا العزيز الأستاذ العلامة نظام محمد صالح يعقوبي، سلسلة: لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام برقم:33، نشر دار البشائر الإسلامية ببيروت(1423هـ ـ 2002م)، وكان معتمد الأستاذ اليعقوبي على نسختين خطيتين، الأولى بالمكتبة البريطانية بلندن برقم: or 5509، ضمن مجموع مؤرخة سنة776هـ، والنسخة الثانية محفوظة بالمكتبة البودلية بأكسفورد بلندن أيضا ضمن مجموع برقم:marsh 493، نسخها يونس ابن ملاج الحسني الحنفي.

أما نسخها الخطية فكثيرة أذكر منها بعض النسخ التي لم تعتمد في النشرات المشار إليها آنفا:

➢ نسخة جامعة برنستون برقم:95 مجموعة جاريت ضمن مجموع من الورقة12 إلى14 وبذيلها إجازة بروايتها مع ذكر أسانيدها وسماعاتها.

➢ نسخة بمكتبة البلدية بالإسكندرية برقم:2190.

➢ أربع نسخ خطية محفوظة ضمن مجاميع بالخزانة الملكية بالرباط تحمل الأرقام: (1586 ـ 12241 ـ 12245 ـ 13681).

ب . موضوعها:

تقع هذه القصيدة في ستة وخمسين بيتا، وهي كما قال العلامة سيدي عبد الله كنون رحمه الله: «قصيدة من أروع الشعر وأبدعه، في مناقب أم المؤمنين عائشة»، اشتملت على ذكر فضائلها، وفضائل والدها أبي بكر الصديق، ومجادلة الخصوم المبغضين لها المتقولين عليها، ومحاجتهم بالدليل من الكتاب والسنة في إيمان صادق، ودفاع حار، وبالواقع التأريخي الذي لا نزاع فيه من سيرتها العطرة وسيرة أبيها الخليفة الأول رضوان الله عليه، وكل ذلك بأسلوب بارع، وبيان رفيع، ونظم محكم متين ، وإلى هذا وبقطع النظر عن كل اعتبار، فالقصيدة تعبر عن عاطفة إنسانية رفيعة؛ لأنها تتخذ موقف المساندة بجنب سيدة شريفة أثناء أزمة هي أعنف أزمة تمر بها امرأة في حياتها، فتنافح عنها وعن كرامتها، حتى تحتفظ لها بسمعتها الطيبة وذكرها الجميل.

ومما أبرّ به صاحب هذه القصيدة أنه جعلها على لسان السيدة عائشة نفسها، فبعد المطلع الذي يوذن بمقصوده تخلص في البيت الثاني إلى إعطائها الكلمة، فجعلها هي التي تناظر وتفاخر وتدفع في نحور الأعداء بسلاح الحجة والبرهان الذي يطوقهم الخزي والعار، فلو أنها رضي الله عنها نطقت فعلاً بشعر في الموضوع لما زادت على ما احتوته هذه القصيدة، وهي من هي قوة بيان، وشدة عارضة.

وهذا مما يدل على بلاغة مُنْشِئِهَا، وَمَقْدُرَتِه البيانية، وتمكنه من صناعة الشعر، فضلاً عن رسوخ قدمه في المعرفة بعلم الحديث والسيرة النبوية والتاريخ وسائر العلوم الإسلامية»[1].

---

(1) مجلة المناهل: العدد السادس (ص25ـ26).

ويَرُومُ أبو عمران الأندلسي الواعظ في هذه القصيدة تبكيت الرافضة الذين ينبزون الصحابة، ومنهم أمهات المؤمنين، وليس هو الوحيد في إعلانه الدفاع عن أم المؤمنين عائشة، بل شاركه في ذلك سائر علماء أهل السنة والجماعة الذين تنوعت أساليب مجابهتهم لطعون الرافضة، فنجد علماء الحديث النبوي يذكرون ما ورد من الأحاديث في فضلها في الكتب التي أفردوها لذكر فضائل الصحابة أو تلك التي ضمّنوها دواوينهم الحديثية، كما نجدهم يُقررون وجوب توقيرها والاعتراف بفضلها، ويُشددون في حكم من تعرض لها بطعن أو من سب، وقد ساق الإمام أبو بكر ابن العربي المعافري(ت543هـ) في كتابه أحكام القرآن حكم الإمام مالك فيمن سبّ عائشة فقال:»قال هشام بن عمار: سمعت مالك يقول: من سبّ أبا بكر وعمر أُدِّب، ومن سَبَّ عائشة قُتِل؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]، فمن سبّ عائشة فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن قُتل، وقال: «إن أهل الإفك رَمَوْا عائشة المطهرة بالفاحشة فَبَرَّأَهَا الله، فكل من سبّها مما برأها الله منه فهو مُكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر»، ثم قال أبو بكر ابن العربي: «فهذا طريق قول مالك، وهي سبيل لائحة لأهل البصائر، ولو أن رجلاً سبّ عائشة بغير ما برّأها الله منه لكان جزاؤه الأدب»[2] .

وقريبٌ مما ذكره ابن العربي نجده عند معاصره الإمام الكبير القاضي عياض رحمه الله(ت544هـ) في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى؛ إذ نقل عن الإمام مالك قوله: «من سبّ عائشة رضي الله عنها قُتل، قيل له: لم، قال: من رَمَاهَا فقد خالف القرآن؛ لأن الله يقول: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم

(1) سورة النور: الآية 17.

(2) أحكام القرآن لابن العربي(3/ 1356).

مُّومِنِينَ﴾، فمن عاد لمثله فقد كفر»[1]، ثم حكى رحمه الله أن رجلا شتم عائشة بالكوفة فَقُدِّمَ إلى موسى بن عيسى العبّاسي فقال: من حضر هذا، فقال ابن أبي ليلى: أنا، فجلد ثمانين وحُلِقَ رأسه وأسلمه للحجامين[2].

ويُؤَكِّدُ شدّة الإمام مالك رحمه الله في الحكم على شاتمي الصحابة رضي الله عنهم اعتقاده بأن لا نصيب لهم من الإسلام، فقد روى الخلاّل عن أبي بكر المروذي قال: سمعت أبا عبد الله يقول، قال مالك: الذي يشتم أصحاب النبي ﷺ ليس لهم اسم، أو قال: نصيب في الإسلام[3].

وصفوة القول أن هذه القصيدة قد صاغها أبو عمران الواعظ على لسان أم المؤمنين عائشة في قالب بديع منظوم، جمع بين جمال السبك، وإتقان الرصف؛ وكأنها هي التي تنشد وتتحدث عن مناقبها وفضائلها، ومن أهم ما أورده أبو عمران الواعظ على لسانها من مناقبها وفضائلها ما يأتي:

- أن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ جاء بصورتها إلى الرسول ﷺ ليتزوجها، فأحبها وتزوج بها.
- أن النبي ﷺ تزوج بها وهي بكر، ولم يتزوج بكرا غيرها.
- أن الوحي كان يأتي النبي ﷺ وهو في بيتها، بل رأت نور جبريل وهي مع النبي ﷺ في لحاف واحد.
- أن الله أنزل في براءتها قرآنا يتلى إلى يوم القيامة.

---

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (2/ 309).

(2) نفسه (2/ 310).

(3) السنة للخلال (2 / 557).

- أن النبي ﷺ قبض في بيتها وفي يومها الذي يدور عليها فيه، وبين سحرها ونحرها.
- أنها نشأت في الإسلام وأنها بِنت خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق.

ولم يكتف أبو عمران بذكر فضائل عائشة، بل استطرد في أبيات كثيرة مبينا خطورة بغضها وسبها والنيل منها كما هو ديدن الرافضة، وأفاض في بيان منزلة والدها أبي بكر الصديق ومكانته في الإسلام، كما أشار إلى بعض فضائل الصحابة، وما كان يجري بينهم من المودة والرحمة، وأنه يجب محبتهم وتوقيرهم واجتناب بغضهم وسبهم. ومما يجب التنبيه إليه أن جلّ ما أورده أبو عمران في هذه القصيدة الرائعة من فضائل أم المؤمنين عائشة هو في حقيقته مقتبس من نصوص قرآنية وحديثية لا يسع المجال بإيرادها، ويكفي أم المؤمنين عائشة فضلا وشرفا قول الرسول ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[1]، وقد عرف الصحابة رضي الله عنهم فضلها وشدة محبة النبي ﷺ لها، فحينما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأمهات المؤمنين عشرة آلاف، عشرة آلاف، زاد عائشة ألفين، وقال: إنها حبيبة رسول الله ﷺ[2]، وحينما كانت رضي الله عنها في فراش الموت دخل عليها عبد الله بن عباس فسلم وجلس وقال: أبشري يا أم المؤمنين، فوالله ما بينك وبين أن يذهب عنك كل أذى ونصب، أو قال: وصب، وتلقي الأحبة محمدا وحزبه، أو قال: أصحابه؛ إلا أن تفارق روحك جسدك فقالت: وأيضا، فقال ابن عباس: كنت أَحَبَّ أزواج رسول الله

---

(1) صحيح البخاري(4/ 220).
(2) سير أعلام النبلاء(2/ 187).

ﷺ إليه، ولم يكن يحب إلا طيبا، وأنزل الله عز وجل براءتك من فوق سبع سماوات فليس في الأرض مسجد إلا وهو يتلى فيه آناء الليل وآناء النهار، وسقطت قلادتك في الأبواء فاحتبس النبي ﷺ في المنزل والناس معه في ابتغائها أو قال: في طلبها حتى أصبح القوم على غير ماء، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً﴾ الآية، وكان في ذلك رخصة للناس عامة في سببك.. فوالله إنك مباركة، فقالت: دعني يا ابن عباس من هذا فوالله لوددت أني كنت نسيا منسيا»[1].

وكانت وفاتها رضي الله عنها في الليلة السابعة عشرة من رمضان سنة57هـ بعد الوتر، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه وأمرت أن تدفن من ليلتها، ودفنت بالبقيع وعمرها ثلاثة وستون سنة وستة أشهر[2].

ومهما يكن من أمر، ففضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كثيرة يمكن تتبعها من خلال دواوين السنة النبوية، لكن أبا عمران الواعظ في هذه القصيدة أجاد في اقتباس أهم تلك الفضائل، وأتقن سبكها، فصارت قصيدته فريدة في فنها، فائقة في حسنها، يطرب بسماعها الثكلان، وينشط لقراءتها الكسلان، كأن نظمها السكر المذاب، أو رشف الثنايا العذاب، تدخل الأذن بلا إذن لخلوها عن التعقيد وفصاحتها، ويرشفها الذهن لصناعتها ونصاعتها[3].

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده(1/ 349)، والحاكم في المستدرك(4/ 8ـ9) وصححه ووافقه الذهبي.

(2) سير أعلام النبلاء(2/ 192ـ193).

(3) اقتبست هذه العبارات من كلام الإمام محمد عبدالرؤوف المناوي عن ألفية السيرة للحافظ العراقي.

ج . اشتهارها عند العلماء:

ذكرها الحافظ أبو طاهر السلفي في كتابه معجم السفر وأورد أبياتا منها[1]، كما أوردها العياشي في رحلته[2]، ورواها ابن حجر في المجمع المؤسس والمعجم المفهرس[3]، ورواها أيضا القلقشندي في ثبته[4].

د ـ التعريف بناظمها وذكر قصته مع الأمير الأفضل الجمالي:

طال الإهمال صاحب هذه القصيدة الإمام أبا عمران موسى بن محمد بن عبدالله الواعظ الأندلسي، إذ لم يعرف به في معظم نشرات القصيدة، فالأستاذ عبد الله كنون نبّه إلى عدم وقوفه على ترجمته، واكتفى بإيراد إشارات يسيرة تفيد في التعرف على بلده وعصره، مثل كونه رحل إلى مصر وأنشد القصيدة في عصر الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي وأنه أجازه عليها بمائة دينار[5]. بينما نجد الدكتور عبد الله الحجيلي يهم في نشرته وينسب القصيدة لأبي الخير الجزري، متابعا في ذلك ما ورد في النسخة الخطية الوحيدة التي اعتمدها[6].

---

(1) معجم السفر (ص191ـ192).

(2) الرحلة العياشية (2/ 168ـ169).

(3) المجمع المؤسس للمعجم المفهرس (2/ 130)، والمعجم المفهرس (ص415).

(4) ثبت القلقشندي (ق1/ ب) نسخة خزانة عارف حكمت الموجودة ضمن مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة برقم: 365.

(5) مجلة المناهل، العدد السادس (ص26ـ28).

(6) وهي نسخة محفوظة بخزانة عارف حكمت بالمدينة المنورة، وقد ظهرت نشرته على صفحات ملحق التراث بجريدة المدينة العدد11364 سنة 1994م، ونشر في الملحق المذكور مجموعة من المقالات في التعقيب على الدكتور الحجيلي وتصحيح نسبة القصيدة، لكن لم يرد فيها أيضا ما يكفي في التعريف بناظمها.

أمـا الدكتور فهد الرومي في تقديمه للقصيدة فأكّد مـا ذكره الأسـتاذ عبـد الله كنـون من إفادات وإشارت تتعلق بناظم القصيدة، وصرّح هو الآخر بعدم وقوفه على ترجمتـه فقال: «ولم أجد له ترجمة أو ذكرا فيمـا رجعت إليه من كتب الـتراجم والتـاريخ سـواء كانت عند المشارقة أو المغاربة»[1]، ثم قال: «ولعلّ أحد الباحثين يكشف لنا عـن ترجمـة وافية لحياته رحمه الله تعالى»[2]، وكأن الدكتور فهـد الرومـي يعنينـي بـذلك ـ جـزاه الله خيرا ـ إذ جمعني به لقاء علمي تحدثنا فيه كثيرا عن هذه القصيدة، وقد رأيته أفصح عنـه في تعليق له بموقع تفـسير عـلى الـشبكة العنكبوتيـة إذ قـال حفظـه الله: «وقـد التقيـت بالباحث... عبد اللطيف الجيلاني ... وأفادني كثيرا عن هذه القصيدة ومـا دار حولهـا وحول نسبتها من حوار طويل في حلقات كثيرة في جريدة المدينة المنورة، وكـم أتـمنى أن يقوم بتحقيقها ونشرها فالقصيدة لم تأخذ حقها من الاهتمـام والنشر»[3].

وإذا استقرأنا مصادر التراجم فسنجد أخبـار صـاحب هـذه القـصيدة متفرقـة هنـا وهناك، وأنه من أهل المرية بالأندلس، وأنـه نـزل في أواخـر القـرن الخـامس الهجـري بمصر، وتولى الإمـامة، وكان ضريرا، مقرئا حـسن الـصوت، معـدودا في أهـل العلـم والأدب، وله في الزهد وغيره أشعار حملت عنه، وله مخمـسة في صـفة أعمـال الحـج، ومن أوضاعه قصيدته في مناقب أم المؤمنين عائشة التي ذاعت وشاعت وأخذها الناس عنه بسبب امتحانه بسببها ونفيه بأمر من أمير مـصر إلى ضـاحيتها بـالجيزة، وقـد كـان التشيع هو الغالب على أهل مصر في عصر الفاطميين، لكن شاء الله عز وجل أن يخـرج

(1) قصيدة الواعظ الأندلسي، تحقيق: فهد الرومي (ص37).

(2) نفسه (ص40).

(3) انظر موقع: www.tafsir.net، ومـا جاء في كـلام الـدكتور فهـد الرومـي المـذكور يـشف عـن أمـانة وتواضع وإخلاص في خدمة العلم أسال الله أن ينفعه بـذلك، ولعـلي أُحَقِّـقُ بـإذن الله تعـالى أُمنيتـه إذا توفرت لي الأسباب لجمع نسخ القصيدة المتفرقة في خزائن شتى، لاسيمـا النسخ الـجيدة التي لم تعتمـد في النشرات السالفة.

أمير الجيوش الأفضل بن بدر الجمالي(ت515هـ)[1] يوما من الأيام إلى الجيزة فالتقى به في مسجده فتعرف عليه وأخبره بقصته، وطلب منه أن يقرأ عليه شيئا من القرآن فقرأ عليه فطرب الأمير لجمال صوته وحسن قراءته، وبكى بكاء شديدا، ثم طلب منه أن ينشده القصيدة التي أخرج من مصر بسببها فأنشده إياها، فلما وصل الأمير إلى مصر أمر واليه أن يمضي إليه ويأتي به إلى مصر، ويسأله الدعاء، وأرسل إليه بدنانير كثيرة وكسوة، وفي بعض السماعات المثبتة على إحدى نسخ قصيدته أنه أجازه عليها جائزة سنية بلغت مائة دينار.

ويبدو أن أبا عمران الواعظ قد عاش إلى أواخر القرن الخامس إذ ورد ما يدل على أنه كان حيا سنة496هـ، ويجوز أنه عاش السنوات الأولى من القرن السادس الهجري، وقبره بقرافة مصر ظاهر معروف.

وفيما يلي أسوق ما ذكرته بعض المصادر في التعريف به:

ترجمه ابن الأبار في كتابه التكملة لكتاب الصلة فقال: «موسى بن بهيج المغربي الواعظ أندلسي من أهل المرية، نزل مصر، يكنى أبا عمران، كان من أهل العلم والأدب، وله في الزهد وغيره أشعار حُمِلَت عنه، ذكره ابن خير، وحدث عن أبي جعفر ابن زيدون، عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عباس المرشاني عنه بمخمسته في الحج

---

(1) مدبر دولة الفاطميين بمصر، تولى الأمر والحكم أيام المستنصر سنة487هـ وجميع أيام المستعلي وبعض أيام الآمر، قال أبو الحسن ابن الأثير: كان الإسماعيلية يكرهونه لأسباب منها تضييعه على إمامهم وتركه ما يجب عندهم سلوكه معهم، ومنها تركه معارضة أهل السنة في اعتقادهم، والنهي عن معارضتهم وإذنه للناس في إظهار معتقداتهم والمناظرة عليها فكثر الغرباء ببلاد مصر، وكان حسن السيرة عادلا. وقال ابن كثير: وكان عادلا حسن السيرة، موصوفا بجودة السريرة، قتل رحمه الله سنة515هـ بعد أن تولى ثمانية وعشرين سنة. الكامل في التاريخ(9/ 207ـ208)، وسير أعلام النبلاء(19/ 507)، والبداية والنهاية(16/ 253).

وأعمـاله كلها، لقيه بمـصر وقرأهـا عليـه في سـنة سـت وتـسعين وأربعمـائة، وكـان أبوعمر المعروف بابن يَمْنَالَش الزاهد ينشد لابن بهيج:

إنـمـــا دنيـــاك ســـاعة فاجعـــل الـــساعة طاعـــة

واحـــذر التقـــصير فيهـــا واجتهـــد مـــا قـــدر ســـاعة

وإذا أحببـــــت عـــــزا فـــالتمس عـــز القناعـــة»[1]

ومـا نقله ابن الأبار من رواية ابن خير لمخمسته في صفة الحج وأعمـاله ثابت في فهرسة مـا رواه عن شيوخه، قال ابن خير: «مـخمسة الشيخ الواعظ المقرئ أبي عمران بن بهيج الأندلسي في صفة الحج وأعمـاله كلها؛ وقطعة شعر لامية أيضا في الزهد أولها:

كم تـحسنت أو حسنت المعال

وهي اثنا عشر بيتا؛ حدثني بهمـا الشيخ الـوزير أبـو جعفـر عبـد الله بـن محمـد بـن زيدون المخزومي رحمه الله، مناولة لي قال: حدثني بهمـا الحاج الإمـام أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عياش العبدري المرشاني رحمه الله قراءة عليه، عن قائلهمـا أبي عمـران بـن بهيج رحـمه الله قراءة عليه، لقيه بمصر سنة 496»[2].

وذكر موفق الدين بن عثمـان(من علمـاء القرن السابع الهجري) قبره ضمن قبـور العلمـاء الصالحين المعروفة بمصر وعرف به وذكر قصيدته في مناقب أم المؤمنين عائشة ومـا جرى بينه وبين الأمير بشأنها فقال رحمه الله:«قـبر الـشيخ أبي عمـران موسـى بـن محمد الأندلسي: وتخرج من باب تربة ذي النون تجد على يمينك قبر الـشيخ أبي عمـران موسى بن محمد الأندلسي الواعظ الضرير رحمه الله، كان من كبار المشايخ، جـمع بـين

---

(1) التكملة(2/ 175).

(2) فهرسة مـا رواه عن شيوخه لابن خير الإشبيلي (ص413).

العلم والورع، وله مصنفات في عدة فنون، وكان له مـجلس وعظ، وقصائد في الزهد، وغير ذلك.

وكان قد صنف قصيدة في فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها منها هذه الأبيات:

مــــا شَـــانُ أُمِّ المـــؤمنين وشَـــاني ... هُـدي المُحِـبُّ لهـا وضَـلَّ الـشَّاني

إنِّي أقـــول مُبَيِّنـــاً عـــن فَـــضْلِها ... ومُتَرجِمـــا عـــن قوْلهـــا بلِـــسَاني

يـــا مُبْغِـــضي لا تَـــأْت قَـــبْرَ محمَّـــدٍ ... فالبَيْـــتُ بيـــتي والمَـــكانُ مَـــكاني

وكان ذلك في زمن أمير الجيوش شاهنشاه بن بدر الجمـالي فوُشي إليـه بـذلك، فـأمر بحمله مسحوبا على وجهه، فقال له بعض جلسائه: هذا رجل ضريـر البـصر، ضـعيف القوى، لا يستطيع النهوض مع كبر سنه، فقـال: يُحمـل إلى الجيـزة ولا يـسكن مـصر، فحُمِلَ إليها.

واتفق في بعض الأيام أن أمير الجيوش ركب يومـا إلى الجيزة، فدخل مـسجدا فوجـد فيه موسى الأندلسي الواعظ المذكور جالسا في مـحرابه، فصلى ركعتين، ثم التفت إليـه وسأله عن حاله، فأخبره بقصته فقال له: تقرأ شيئا من القرآن؟ قال: نعـم. قـال: اقـرأ، فقرأ، فأعجبته قراءته، فبكى بكاء شديدا لحسن صوته، فقال له: أنشدني القصيدة التـي أُخرجت من مصر لأجلها، فأنشده إياها، فأمره بتكرارها، فأعادها، فقال له: يا شـيخ، بالله عليك لا تَدْعُ على السلطان، فإنه مـا علم بحقيقة حالك، وأنـا أحـد غلمــانه، ولا بدّ من ذكرك له، فطَيِّبْ قلبك، واشرح صدرك وادع له، ثـم خـرج مـن عنـده، فتبـادر الناس إليه وقالوا: أتعرف من كان عندك؟ قـال: لا، قـالوا: أمـير الجيـوش، فإيـاك أن تكون تكلمت معه بشيء يؤذيك؟ قال: لا والله، وبقي خائفا، فلمـا وصل أمير الجيوش إلى مصر أمر واليها أن يمضي إليه ويأتي به إلى مصر ويسأله الدعاء، وأرسل إليه بـدنانير

كثيرة وكسوة، فحُمِلَ رضي الله عنه مكرما، ولم يزل يعظ الناس ويتكلم على منبره إلى أن مات رحمه الله تعالى»[1].

ومن شعره ما أورده عنه الحافظ أبو طاهر السلفي في معجم السفر فقال: «حدثني أبو محمد عبد الله بن محمد بن ملوك التنوخي الفليشي بالإسكندرية بعد رجوعه من مكة ـ وفليش قرية من قرى لُرْقَة بشرق الأندلس ـ قال: غاب أبو عمران الفليشي موسى بن محمد بن بهيج الكفيف المربي عن عشائره مدة بالمشرق فعمل بمصر موشحا أوله:

يا منجمينا … هل للغريب سبيلْ
نحو الظاعنينا … فالقلب منه عليلْ
لا يُلْفي مُعِينا … إلا دموعا تسيلْ
ويُجْرِيها هَتُونا … من جفنه ويُدِيلْ

ومنه:

حكى نَوْحَ المستهامِ … مما به من غرامِ
نوحا كنوح الحمامِ … على ذُرَى الآكامِ
غدا يُجْرَى بانسجامِ … دمعاً كصوب الغمامِ
يشكو لكل الأنامِ … ما بالحَشَا من كلامِ[2]

(1) مرشد الزوار إلى قبور الأبرار المسمى الدر المنظم في زيارة الجبل المقطم لموفق الدين بن عثمان(1/ 387ـ389)، وتابعه فيما ذكره ـ مع قليل من الاختصار والتصرف ـ أبو عبد الله محمد بن ناصر الأنصاري المعروف بابن الزيات(ت814هـ) في كتابه الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة(ص236ـ237).

(2) معجم السفر(ص132).

هـ . نصّها:

هذا نص القصيدة كما جاء في نشرة الأستاذ نظام محمد صالح يعقوبي[1]:

مـــا شَـــانُ أُمِّ المـــؤمنين وشَـــاني ... هُـدي المُحِـبُّ لهـا وضَـلَّ الـشَّاني
إنِّي أقـــول مُبَيِّنـــاً عـــن فَـــضْلِها ... ومُتَرجِمـــا عـــن قوْلهـــا بلِـــسَاني
يـــا مُبْغِـــضي لا تَـــأْت قَـــبْرَ محمَّـــدٍ ... فالبَيْـــتُ بيـــتي والمَـــكانُ مَـــكاني
إنِّي خُصِــــصْتُ على نِــــساءِ مُحَمَّــــدٍ ... بِـــصِفاتِ بِـــرٍّ تَحْـــتَهُنَّ مَعـــاني
وَسَـــــبَقْتُهُن إلى الفَـــــضَائِل كُلِّهـــــا ... فالـــسَّبْقُ سَـــبقي والعِنَـــانُ عِنَـــاني
مَـــرِضَ النَّـــبِيُّ وَمـــاتَ بـــين تَـــرَائِبِي ... فـــاليَوْمُ يَـــوْمي والزَّمـــانُ زَمـــاني
زَوْجي رَســـولُ الله لَـــمْ أرَ غَـــيْرَهُ ... اللـــه زَوَّجَنـــي بـــه وحَبَـــاني
وأتـــاهُ جبريـــلُ الأمـــينُ بِـــصُورتي ... فَـــأحَبَّني المُخْتَـــار حِـــينَ رَآني
أنـــا بِكْـــرُه العَـــذْراءُ عِنْـــدي سِرُّهُ ... وضَـــجيعُهُ في مَـــنْزِلي قَمَـــرانِ
وَتَكَلَّـــمَ الله العظـــيمُ بِحُجَّـــتي ... وَبَـــرَاءَتِي في مُحْكَـــمِ القُـــرآنِ
وَالله خَفَّـــرَني وَعَظَّـــمَ حُـــرْمَتِي ... وعلى لِـــسَانِ نَبِيِّـــهِ بَـــرَّانِي
والله في القُـــرآنِ قـــد لَعَـــنَ الذي ... بَعْـــدَ الـــبَرَاءَةِ بـــالقَبيح رَمـــاني
والله وَبَّـــخَ مَـــنْ أرَادَ تَنَقُّـــصي ... إفْـــكاً وسَـــبَّحَ نَفـــسَهُ في شـــاني
إنّي لمُحْـــــصَنَةُ الإزارِ بَرِيئَـــــةٌ ... ودليـــلُ حُـــسْنِ طَهَـــارتي إحْـــصاني
والله أَحْـــصَنَنِي بخـــاتِمِ رُسْـــلِه ... وَأَذَلَّ أَهْـــلَ الإفْـــكِ والبُهتـــانِ
وسَـــمِعْتُ وَحْيَ الله عِنْـــدَ مُحَمَّـــدٍ ... مِـــن جبْرَئيـــلَ ونُـــورُه يَغْـــشاني
أَوْحَى إلَيْـــهِ وَكُنْـــتُ تَحْـــتَ ثِيابِـــهِ ... فَحَنَـــا عليَّ بِثَوْبِـــهِ وخَبَّـــاني

(1) القصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، بعناية نظام يعقوبي (ص42-45).

مَـنْ ذَا يُفَـاخِرُني وينْكِـرُ صُـحْبَتي ... ومُحَمَّــدٌ في حِجْــرِهِ رَبَّــاني؟
وأَخَــذتُ عــن أَبَــوَيَّ ديــنَ مُحَمَّـدٍ ... وَهُمــا على الإِسْــلامِ مُـصْطَحِبَانِ
وأبي أَقــامَ الدِّيــن بَعْــدَ مُحَمَّــدٍ ... فَالنَّـصْلُ نـصْلي والـسِّنَان سِـناني
والفَخْــرُ فَخْــرِي والخِلَافَــةُ في أبي ... حَـسْبِي بِهَـذَا مَفْخَـراً وَكَفَــاني
وأنـا ابْنَـةُ الـصِّدِّيقِ صَاحِبِ أَحْمَـدٍ ... وحَبِيبِــهِ في الـسِّرِّ والإِعــلانِ
نَـصَرَ النـبيَّ بمــالِهِ وفِعــالِه ... وخُرُوجِــهِ مَعَــهُ مــن الأوطــانِ
ثَانيــه في الغــارِ الذي سَـدَّ الكُـوَى ... بِرِدَائِــهِ أَكْــرِم بِــهِ مِــنْ ثــانِ
وَجَفَـا الغِـنى حَـتَّى تَخَلَّـل بالعَبَـا ... زُهــداً وأَذْعَــنَ أَيَّمــا إِذْعَانِ
وتَخَلَّلَــتْ مَعَــهُ مَلائِكَــةُ الـسَّما ... وأَتَتْــهُ بُــشرى اللهِ بالرِّضْــوَانِ
وهــو الذي لَـمْ يَخْـشَ لَوْمَـةَ لائـمٍ ... في قَتْــلِ أَهْــلِ البَـغْيِ والعُـدوانِ
قَتَـلَ الأُلى مَنَعـوا الـزَّكاة بكُفْـرِهِمْ ... وأَذَل أَهْــلَ الكُفــرِ والطُّغيــانِ
سَـبَقَ الـصَّحَابَةَ والقَرَابَـةَ لِلهُـدى ... هــو شَـيْخُهُمُ في الفـضلِ والإِحْـسَانِ
واللهِ مــا اسْـتَبَقُوا لِنَيْـلِ فـضيلةٍ ... مِثْـلَ اسـتباقِ الخيـلِ يـومَ رِهـانِ
إلاَّ وطـــارَ أبي إلى عَلْيَائِهـــا ... فمكانُــه منهــا أَجَــلُّ مــكانِ
وَيْــلٌ لِعَبْــدٍ خــانَ آلَ مُحَمَّــدٍ ... بِعَــداوةِ الأزواجِ والأَخْتــانِ
طُــوبى لِمَــنْ والى جمــاعةَ صَـحْبِهِ ... ويكــونُ مِــن أحْبَابِــهِ الحَـسَنانِ
بــينَ الــصحابةِ والقرابــةِ أُلْفَــةٌ ... لا تــستحيلُ بِنَزْغَــةِ الــشيطانِ
هُــمْ كالأَصــابِعِ في اليــدينِ تواصُــلاً ... هــل يَـسْتَوي كَــفٌّ بغـير بَنَــانِ
حَـصِرَتْ صُـدُورُ الكافـرين بــوالدي ... وقُلــوبُهُمْ مُلِئَــتْ مــن الأضــغانِ
حُــبُّ البَتــولِ وَبَعْلِهــا لــم يَخْتَلِـفْ ... مِــن مِلَّــةِ الإِســلامِ فيــه اثنــانِ
أكْــرم بأربعــةٍ أئمــةِ شَرْعِنــا ... فَهُــمُ لِبيــتِ الديــنِ كالأَرْكَان

نُسِجَتْ مَودَّتُهم سَدًى في لُحْمَةٍ ... فَبِناؤها مِنْ أَثْبَتِ البُنيانِ
اللهُ أَلَّفَ بَيْنَ وُدِّ قُلُوبِهِمْ ... لِيَغِيظَ كُلَّ مُنَافِقٍ طعَّانِ
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمُ صَفَتْ أَخْلاَقُهُمْ ... وخَلَتْ قُلُوبُهُمُ مِنَ الشَّنَآنِ
فَدُخُولُهُم بَيْنَ الأَحِبَّةِ كُلْفَةٌ ... وسِبَابُهُمْ سَبَبٌ إلى الحِرْمانِ
جَمَعَ الإِلهُ المسلمين على أبي ... واستُبدلوا مِنْ خوْفهم بأَمانِ
وإذا أرادَ الله نُصْرَة عَبْدِهِ ... مَنْ ذا يُطيقُ لَهُ على خُذْلانِ
مَن حَبَّني فَلْيَجْتَنِبْ مَنْ سَبَّني ... إنْ كانَ صانَ مَحَبَّتي ورعاني
وإذا مُحِبِّي قَدْ أَلَظَّ بِمُبْغِضي ... فَكِلَاهُما في البُغضِ مُستِويانِ
إني لَطَيِّبَةٌ خُلِقْتُ لطيِّبٍ ... ونِساءُ أَحْمَدَ أطيبُ النِّسْوانِ
إني لأُمُّ المؤمنينَ فَمَنْ أَبَى ... حُبِّي فَسَوْف يَبُوءُ بالخُسْرَانِ
اللهُ حَبَّبَني لِقَلْبِ نَبِيِّه ... وإلى الصراطِ المستقيمِ هداني
واللهُ يُكْرِمُ مَنْ أَرَادَ كَرامتي ... ويُهينُ رَبِّي مَن أرادَ هَواني
واللهَ أَسْأَلُهُ زيادةَ فَضْلِهِ ... وحَمِدْتُهُ شُكراً لِما أوْلاني
يا مَن يَلُوذُ بِأَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ ... يرجو بذلك رحمةَ الرحمانِ
صِلْ أُمَّهاتِ المؤمنينَ ولا تَحُدْ ... عَنَّا فَتُسْلَبْ حُلَّةَ الإِيمانِ
إني لصادِقَةُ المقالِ كريمةٌ ... إِيْ والَّذي ذَلَّتْ لَهُ الثَّقَلانِ
خُذْها إليكَ فإنَّما هي رَوْضَةٌ ... محفوفَةٌ بالرَّوحِ والرَّيحانِ
صَلَّى الإِلهُ على النبيِّ وآلِهِ ... فَبِهِمْ تُشَمُّ أزاهِرُ البُستانِ

و ـ تخميسها المسمى بلوغ السعد والأمنية في مدح سيدتنا أم المؤمنين المبرأة الصديقية، لعبدالحميد بن محمد علي قدس المكي(ت1335هـ):

اطّلع العالم الأديب عبد الحميد بن محمد علي قدس الشافعي المكي(ت1335هـ) على قصيدة الواعظ فأعجب بها وقام بتخميسها ظهر يوم الخميس السابع والعشرين من شهر محرم الحرام من عام1319هـ، وقد نشر ضمن مجموع نادر في مطبعة الترقي في مصر سنة 1319هـ، وفيما يلي نص هذا التخميس:

هذا التخميس النفيس على القصيدة السنية، المقولة على لسان المبرأة الصديقية، سيدتنا أم المؤمنين عائشة المحظية، زوجة وحبيبة خير البرية، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه بكرة وعشية، وهي متضمنة لمدحتها البهية، تقبّل الله تعالى ذلك إنه مبلغ الأمنية، آمين آمين.

قف واستمع قولاً عظيم الشان ... في مدح زوج المصطفى العدنان
إذ قال عنها مثبت البرهان ... (ما شَانُ أُمِّ المؤمنين وشَاني)
(هُدي المُحِبُّ لها وضَلَّ الشَّاني)

فاقت كل النساء بنبلها ... ولدى العلوم بدت معالم
وإذا أردت بيان عزة نيلها ... (إنِّي أقول مُبَيِّناً عن فَضْلِها)
(ومُتَرجِما عن قوْلها بلِسَاني)

يا مدعي حُبِّ المشفع أحمد ... خذ حبّ حِبَّته شفيعك في غد
فإذا أبيتَ أقول قول مسدد ... (يا مُبْغضي لا تَأْت قَبْرَ محمَّدٍ)
(فالبَيْتُ بيتي والمَكانُ مَكاني)

أتظن تحظى مع قلاك بمقصد ... حاشا فأنت إذا بشرٍّ مُغْتَدِ
أو ما ترى ما حزته بتأيُّدِ ... إنِّي خُصِصْتُ على نِساءِ مُحَمَّدٍ
(بِصِفاتِ بِرٍّ تَحْتَهُنَّ مَعاني)[1]

(1) انظر نصّ هذا التخميس كاملا ضمن القصيدة الوضاحية بتحقيق نظام صالح يعقوبي(ص21ـ30).

خاتمة

وفي ختام هذا البحث يمكن القول أن المغاربة والأندلسيين كانوا يتصدون لجميع العقائد المخالفة لعقيدة أهل السنة؛ ويرفضون أن يُمَسَّ جناب الصحابة بسوء، ولذلك نجدهم في مختلف أنماط تصانيفهم وكتاباتهم قد أنزلوا الصحابة الكرام منزلتهم التي نطق بها الكتاب والسنة؛ من وجوب محبتهم وإجلالهم وتبجيلهم وتوقيرهم، والإمساك عما شجر بينهم.

وبالرجوع إلى أشهر منظوماتهم العلمية التي وُلعوا بإنشائها نجدها أيضا تتحدث عن فضائل الصحابة وتنافح عنهم، ولعلّ أقوى منظوماتهم لهجة في بيان منزلة الصحابة ورد الشبهات الموجهة إليهم تلك التي تنتمي إلى القرن الخامس الهجري الذي عرف انتفاضة ظاهرة لعلماء المغرب والأندلس ضد أفكار العبيديين الشيعة التي يُعد الطعن في الصحابة والنيل من مكانتهم أحد أبرز منطلقاتها، وكان اعتمادهم في وأد تلك الأفكار الدخيلة على المجتمع المغربي الأندلسي والقضاء عليها على الحجج الواضحة والبراهين الساطعة من كتاب الله وسنة ورسوله وإجماع الأمة، وهو ما يتجلى في المقاطع التي أوردتها في هذا البحث من منظومات أبي عمرو الداني وابن عمار الكلاعي وأبي محمد القحطاني، ويتضح أيضا في صورة ناصعة من خلال قصيدة أبي عمران الواعظ في مناقب أم المؤمنين عائشة التي خصّصت حيزاً كبيراً من هذا البحث للتعريف بها اعتبارا لأهميتها واشتهارها.

وبالجملة فهذا البحث يكشف عن استعمال علماء المغرب والأندلس للنظم وسيلة لتجلية منزلة الصحابة الكرام والدفاع عنهم كما هو شأنهم في استعمال مختلف أنماط الكتابة في التعبير عن عقائدهم ومواقفهم وآرائهم، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

فهرس المصادر والمراجع

- أصول السنة، لأبي عبد الله محمد بن عبدالله الشهير بابن أبي زمنين، تحقيق: عبد الله البخاري، نشر مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة المنورة، ط1/1415هـ
- إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة، لأبي العباس أحمد بن محمد المقري(ت1041هـ)، نشر دار الفكر ببيروت، بدون تاريخ.
- البداية والنهاية، لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي(ت748هـ)، تحقيق: عبدالله التركي، نشر دار هجر بالجيزة، ط.1/1419هـ - 1998م.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، لعياض بن موسى السبتي(ت544هـ)، تحقيق سعيد أعراب، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 1403هـ
- التكملة لكتاب الصلة، لابن الأبار، تحقيق: د. عبدالسلام الهراس، نشر دار المعرفة بالدار البيضاء، بدون تاريخ.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، لأبي عبدالله محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، لأبي عمرو عثمان ابن سعيد الداني، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، نشر دار ابن الجوزي بالدمام، ط.1/1419هـ - 1998م.
- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أحمد بن عثمان الذهبي(ت748هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة ببيروت، ط.11/1422هـ - 2001م.

- صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، لمحمد بن الحاج الصغير الإفراني، تقديم وتحقيق عبدالمجيد خيالي، نشر مركز التراث الثقافي المغربي بالدار البيضاء، ط.2004/1م.
- فهرسة ما رواه عن شيوخه، لأبي بكر محمد بن خير الإشبيلي(ت575هـ)، منشورات دار الآفاق الجديدة ببيروت عن الأصل المطبوع في مطبعة قومش بسرقسطة سنة 1893م.
- قصيدة الواعظ الأندلسي في مناقب أم المؤمنين الصديقة عائشة رضي الله عنها، نظم أبي عمران موسى بن محمد بن عبدالله الواعظ الأندلسي، تحقيق: الدكتور فهد الرومي، نشر مكتبة التوبة بالرياض، 1418هـ/1998م.
- القصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، للشيخ أبي عمران موسى بن محمد بن عبدالله الأندلسي المعروف بابن بهيج، اعتنى بها نظام محمد صالح يعقوبي، سلسلة: لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام برقم:33، نشر دار البشائر الإسلامية ببيروت، 1423هـ/2002م.
- الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري(ت630هـ)، مراجعة وتصحيح الدكتور محمد يوسف الدقاق، نشر دار الكتب العلمية ببيروت، ط.1407/1هـ-1987م.
- الكواكب السائرة في ترتيب الزيارة، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن ناصر الأنصاري المعروف بابن الزيات(ت814هـ)، نشر دار ومكتبة بيبليون بجبيل لبنان، 2009م.
- مجلة المناهل الصادرة عن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية بالرباط، العدد السادس ـ السنة الثالثة، رجب1396 /يوليو1976م.
- المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت852هـ)، تحقيق: يوسف عبدالرحمن المرعشلي، نشر دار المعرفة ببيروت لبنان، ط.1/ 1415هـ 1994م.

- مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، للإمام العارف موفق الدين بن عثمان، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، نشر الدار المصرية اللبنانية، ط.1/1415هـ - 1995م.
- معجم السفر، للحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السِّلَفِي(ت576هـ)، تحقيق: الدكتور شير محمد زمان، نشر مجمع البحوث الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد باكستان، 1408هـ - 1988م.
- المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني(ت852هـ)، تحقيق: محمد شكور المياديني، نشر مؤسسة الرسالة ببيروت، ط.1/1998م.
- ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، لابن رُشَيْد الفهري السبتي(ت721هـ)، السفر الخامس، تحقيق: محمد الحبيب بلخوجه، نشر دار الغرب الإسلامي ببيروت، ط.1، 1408هـ/1988م.
- منبهة الإمام المقرئ أبي عمرو الداني، دراسة وتحقيق وتعليق: الحسن وكاك، ط.1/1430هـ - 2009م.
- نظم العقدين في مدح سيد الكونين، لابن جابر الأندلسي(ت780هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد فوزي الهيب، نشر دار سعد الدين بدمشق، ط.1/1426هـ 2005م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تأليف أبي العباس أحمد المقري التلمساني(ت1041هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، نشر دار صادر ببيروت، ط.1/1988م.
- نونية القحطاني: أبي محمد عبدالله بن محمد الأندلسي، تصحيح وتعليق: محمد بن أحمد سيد أحمد، نشر مكتبة السوادي للتوزيع بجدة، ط.3/1415هـ - 1995م.
- وصية محمد بن موسى الشهير بابن عمار الكلاعي الميورقي لابنه، تصحيح وتعليق: بدر العمراني، نشر دار الكتب العلمية ببيروت/ 1424هـ - 2003م.

مكانة الصحابي الجليل أبي هريرة عند علماء المغرب والأندلس

د. بدر العمراني

ملخص البحث

لقد حظي الصحابة رضوان الله عليهم بالإجلال والتقدير من لدن المغاربة والأندلسيين منذ أن دخل الإسلام بلادهم وأظل رايتهم، ولا تزال آثارهم شاهدة على ذلك. ومن الصحابة الأجلاّء الذين حظوا بالتعظيم والتوقير عندهم: «الصحابي الحافظ راوية الإسلام أبو هريرة».

ويتجلى ذلك في: الترضي عنه، وكثرة النقل عنه والرواية من طريقه، والاستشهاد بأقواله، والاستئناس بفهومه وتوضيحه، والتبرك بكل الوسائل التي تصل به، مثل التعريف بالرواة عنه، والتسمي بكنيته التي أصبحت علما له، والإشادة بورعه وتقواه، والتأسي بآدابه وأخلاقه.

كل هذا سنبدي معالمه ومظاهره في هذا البحث عبر تمهيد ومبحثين وخاتمة، والمبحثان هما: الأول: موجز سيرته من خلال الاستيعاب لابن عبد البر، والثاني: مظاهر التوقير والتعظيم للصحابي الجليل أبي هريرة « في التراث المغربي الأندلسي.

الباحث في سطور

الدكتور بدر العمراني badreamrani@maktoob.com

- من مواليد سنة 1975م بمدينة طنجة.
- متصرف بنيابة التعليم ـ طنجة.
- دكتوراه من جامعة عبد الملك السعدي ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ تطوان، بعنوان «النصوص الحديثية في التراث الأدبي الأندلسي، كتاب العقد الفريد لابن عبدربه نموذجا: دراسة وتخريج».
- شارك في مجموعة من الندوات العلمية والأمسيات الشعرية.

نشر أعمالا علمية عديدة منها:

✍ الحنين بوضع حديث الأنين للحافظ أحمد ابن الصديق الغماري، دراسة وتحقيق، وبذيله رسالة من جمعي بعنوان: إثبات الصحة والوجود للفظة وبحمده في تسبيح الركوع والسجود.

✍ التبصرة في نقد رسالة ابن أبي زيد القيرواني للحافظ أبي عبد الله ابن الفخار القرطبي. تحقيق وتعليق وتقديم.

✍ درر القلائد وغرر الفوائد، وهي حواشي أبي عبد الله المقري على طرر مختصر ابن الحاجب الفرعي، جمع الفقيه الونشريسي . تحقيق وتعليق.

✍ تحصيل ثلج اليقين بحل معقدات التلقين للفقيه اللغوي أبي الفضل السجلماسي. تصحيح وتعليق.

تمهيد

لقد كان المغاربة بكلتا العدوتين: المغرب والأندلس يُكِنُّون لصحابة رسول الله ﷺ عموما أشد الاحترام والتوقير منذ أن دخل بلادهم الإسلام وأذعنوا بتعاليمه وآدابه، وصاروا عبيداً لله بعد أن كانوا عبيدا للأهواء والشهوات، ولأجل ذلك أظهروا صورا كثيرة من التعظيم والإجلال لكل من يمت بصلة للإسلام ورسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فتجدهم تصاهروا مع حفيد المصطفى ﷺ، وبايعوه على الإمامة والرئاسة بينهم.

واعتنوا بالوفود القادمة من ديار النبوة، وأنزلوهم المكانة اللائقة بهم، بل تبوّءُوا عندهم منصب الريادة والسيادة.

ومنهم من هاجر حتى يتسنى له الاقتباس من أنوار النبوة فيما تبقى عند أصحاب رسول الله ﷺ.

ولشدة تعلقهم بالصحبة وتقديرهم لمكانتها، تكريمهم لوفد رجراجة الذين وفدوا على الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كما يقال، وكتبوا في ذكر مناقبهم رسائل منها المطبوع والمخطوط[1].

ومن الصحابة الكرام الذين حظوا بالإجلال والتعظيم لديهم: الصحابي الحافظ راوية الإسلام **أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه**، حيث نجد آثار ذلك في المكتوب من التراث المغربي والأندلسي، ويتجلى في:

(1) مثل جواب عن مسألة تتعلق بالصحابة الرجراجيين للفقيه محمد بن سعيد المرغيثي (ت 1089هـ). و«السيف المسلول فيمن أنكر على الرجراجيين صحبة الرسول» لعبد الله بن محمد بن البشير المقدم الرجراجي السعيدي البطريطيشي من المتأخرين.

الترضي عنه، وكثرة النقل عنه والرواية من طريقه، والاستشهاد بأقواله، والاستئناس بفهومه وتوضيحه، والتبرك بكل الوسائل التي تصل به، مثل: التعريف بالرواة عنه، والتسمي بكنيته التي أصبحت علما له، والإشادة بورعه وتقواه، والتأسي بآدابه وأخلاقه.

كل هذا وغيره نجده منثورا في طيات تراثنا المغربي والأندلسي. ولكي يبرز ويتبدى عيانا، آثرت جمعه ولَمَّ شعثه في هذا البحث تحت عنوان: «**مكانة الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه عند علماء المغرب والأندلس**» .

وستتضح معالمه ومظاهره في هذا البحث عبر تمهيد ومبحثين وخاتمة، والمبحثان هما:

- الأول: موجز سيرته من خلال الاستيعاب لابن عبد البر.
- والثاني: مظاهر التوقير والتعظيم للصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه في التراث المغربي الأندلسي.

وبالله التوفيق في البدء والتمام.



المبحث الأول: موجز سيرة أبي هريرة من خلال كتاب الاستيعاب[1] للحافظ أبي عمر ابن عبد البر

❁ اسمه ونسبه:

أبو هريرة الدوسي صاحب رسول الله ﷺ، ودوس هو ابن عُدْثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث.

قال خلفية بن خياط: لأبي هريرة هو عمير بن عامر بن عبد ذي الشّرى بن طريف بن عتاب بن أبي صعب بن منبه بن سعد بن ثعلبة بن سُليم بن فَهْم بن غَنْم بن دَوْس.

قال أبو عمر: اختلفوا في اسم أبي هريرة واسم أبيه اختلافاً كثيراً لا يحاط به ولا يضبط في الجاهلية والإسلام.

فقال خليفة: ويقال: اسم أبي هريرة عبد الله بن عامر ويقال: برير بن عشرقة. ويقال: سكين بن دومة. وقال أحمد بن زهير سمعت أبي يقول اسم أبي هريرة عبد الله ابن عبد شمس ويقال: عامر وقال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: اسم أبي هريرة عبدالله بن عبد شمس ويقال: عبد نُهْم بن عامر ويقال: عبد غنم ويقال: سكين. وذكر محمد بن يحيى الذهلي عن أحمد بن حنبل مثله سواء. وقال عباس: سمعت يحيى بن معين يقول اسم أبي هريرة عبد شمس، وقال أبو نعيم: اسم أبي هريرة عبد شمس، وروى سفيان ابن حصين عن الزهري عن المحرر بن أبي هريرة قال: اسم أبي هريرة عبد عمرو بن عبد غنم. وقال أبو حفص الفلاس: أصح شيء عندنا في اسم أبي هريرة عبد عمرو بن عبد غنم. وقال ابن الجارود: اسم أبي هريرة كردوس، وروى الفضل بن موسى السيناني عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة

(1) الاستيعاب في معرفة الأصحاب(ص862-864). رقم: 3183.

عبد شمس من الأزد من دوس. وذكر أبو حاتم الرازي عن الأوسي عن ابن لهيعة قال: اسم أبي هريرة كردوس بن عامر.

وذكر البخاري عن ابن أبي الأسود قال: اسم أبي هريرة عبد شمس. ويقال: عبد نهم أو عبد عمرو.

قال أبو عمر: محال أن يكون اسمه في الإسلام عبد شمس أو عبد عمرو أو عبد غنم أو عبد نهم، وهذا إن كان شيء منه فإنما كان في الجاهلية، وأما في الإسلام فاسمه عبدالله أو عبد الرحمن، والله أعلم، على أنه اختلف في ذلك أيضاً اختلافاً كثيراً.

قال الهيثم بن عدي: كان اسم أبي هريرة في الجاهلية عبد شمس، وفي الإسلام عبد الله وهو من الأزد من دوس.

۞ كنيته وسبب اشتهاره بها:

وروى يونس بن بكير عن ابن إسحاق، قال: حدثني بعض أصحابنا عن أبي هريرة قال: كان اسمي في الجاهلية عبد شمس فسميت في الإسلام عبد الرحمن، وإنما كنيت بأبي هريرة لأني وجدت هرة فجعلتها في كمي فقيل لي: ما هذه؟ قلت: هرة، قيل: فأنت أبو هريرة.

قال أبو عمر: وقد روينا عنه أنه قال: كنت أحمل هرة يوما في كمي فرآني رسول الله ﷺ فقال لي: «ما هذه؟» فقلت: هرة فقال: «يا أبا هريرة». وهذا أشبه عندي أن يكون النبي ﷺ كنّاه بذلك، والله أعلم.

۞ المختار في اسمه:

وروى إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق قال: اسم أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر وعلى هذه اعتمدت طائفة ألفت في الأسماء والكنى.

وذكر البخاري عن إسماعيل بن أبي أويس قال كان اسم أبي هريرة في الجاهلية عبد شمس وفي الإسلام عبد الله.

قال أبو عمر: ويقال أيضاً في اسم أبي هريرة عمرو بن عبد العزى وعمرو بن عبد غنم وعبد الله بن عبد العزى وعبد الرحمن بن عمرو ويزيد ابن عبيد الله، ومثل هذا الاختلاف والاضطراب لا يصح معه شيء يعتمد عليه؛ إلا أن عبد الله أو عبد الرحمن هو الذي سكن إليه القلب في اسمه في الإسلام، والله أعلم، وكنيته أولى به على ما كناه رسول الله ﷺ.

وأما في الجاهلية فرواية الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عنه في عبد شمس صحيحة ويشهد له ما ذكر ابن إسحاق ورواية سفيان بن حصين عن الزهري عن المحرر بن أبي هريرة فصالحة وقد يمكن أن يكون له في الجاهلية اسمان عبد شمس وعبد عمرو.

وأما في الإسلام فعبد الله أو عبد الرحمن. وقال أبو أحمد الحاكم: أصح شيء عندنا في اسم أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر ذكر ذلك في كتابه في الكنى، وقد غلبت عليه كنيته فهو كمن لا اسم له غيرها. وأولى المواضع بذكره الكنى وبالله التوفيق.

❁ إسلامه وصحبته:

أسلم أبو هريرة عام خيبر. وشهدها مع رسول الله ﷺ، ثم لزمه، وواظب عليه رغبة في العلم، راضياً بشبع بطنه، فكانت يده مع يد رسول الله ﷺ، وكان يدور معه حيث دار، وكان من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ، وكان يحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين والأنصار، لاشتغال المهاجرين بالتجارة والأنصار بحوائجهم، وقد شهد له رسول الله ﷺ بأنه حريص على العلم والحديث، وقال له: يا رسول الله إني قد سمعت منك حديثاً كثيراً وأنا أخشى أن أنسى فقال: «ابسط رداءك». قال فبسطته فغرف بيده فيه ثم قال: «ضمه». فضممته فما نسيت شيئاً بعده.

۞ الرواة عنه:

وقال البخاري: روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من بين صاحب وتابع، وممن روى عنه من الصحابة: ابن عباس، وابن عمر، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وواثلة بن الأسقع، وعائشة رضي الله عنهم.

۞ حفظه:

قال أبو عمر: حدثنا أبو شاكر، أخبرنا أبو محمد الأصيلي، أخبرنا أبو علي الصواف ببغداد، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبي قال: حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح قال: كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ ولم يكن من أفضلهم.

۞ ولايته ووفاته:

استعمله عمر بن الخطاب على البحرين، ثم عزله، ثم أراده علي، ولم يزل يسكن المدينة، وبها كانت وفاته. قال خليفة بن خياط: توفي أبو هريرة سنة سبع وخمسين.

وقال الهيثم ابن عدي: توفي أبو هريرة سنة ثمان وخمسين. وقال الواقدي: توفي سنة تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين وكذلك قال ابن نمير إنه توفي سنة تسع وخمسين. وقال غيره: مات بالعقيق وصلى عليه الوليد بن عقبة بن أبي سفيان، وكان أميراً يومئذ على المدينة، ومروان بن الحكم معزول.

المبحث الثاني: مظاهر التوقير والتعظيم للصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه في التراث المغربي الأندلسي.

إن المدونات المغربية والأندلسية لغنية بإيراد اسم الصحابي الجليل أبي هريرة، سواء من جهة النقول والمرويات المتعلقة به، أو من جهة التنويه بمقامه وشأنه، ومن حاول تجميعها حار في تنظيم سياقها، وانفرط من يديه رباطها، لكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، وحسبنا من ذلك التمثيل، لإظهار ما كان يتمتع به هذا الصحابي من توقير وتبجيل:

أولا: توثيقه والاعتداد برواياته:

المعلوم أن المغاربة والأندلسيين قد ساروا في هذا المهيع على سنن السلف الصالح من أهل السنة في اعتبار عدالة الصحابة جميعهم دون استثناء خلافا للشذاذ من متأخري العلماء[1]، وبعض المُحْدَثِين[2] من أهل هذا الزمان، الذين تنكروا لأسلافهم، وساروا في ركب غير ركابهم، ومن الصحابة الذين كانوا من جملة هؤلاء العدول: لأبي هريرة، وللتذكير بهذا نورد أمثلة لذلك:

قال الباجي في كتاب التعديل والتجريح[3]:

وقد روى قتادة ويونس بن عبيد أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة، والذي صح للحسن السماع من أصحاب النبي ﷺ أنس بن مالك وعبد الله بن مغفل وعبدالرحمن بن سمرة وأحمد بن جزء، وأما أحاديث بن سيرين عن أبي هريرة فصحاح كلها؛ سمع منه بالبحرين وبالمدينة على ساكنها السلام، وأحاديث قتادة عن ابن سيرين عن أبي هريرة فيها صحاح من رواية حماد بن زيد وابن عُلية.

---

(1) الذين لم يتورعوا عن لمز وانتقاص بعض الصحابة ممن أصيبوا برشاش الفتنة.

(2) كذاك الذي خرج على الناس بكتاب أسماه: «أكثر أبو هريرة».

(3) التعديل والتجريح (1/ 279).

وقال أيضا في الكتاب نفسه[1]:

قال علي بن المديني: قال ابن عجلان: كان سعيد بن أبي سعيد يسندها عن رجال عن أبي هريرة، فاختلطت عليه فجعلها عن أبي هريرة.

وقال السهيلي في الروض الأُنُف[2] عن ذكر حديث تعلق النبي ﷺ بالكعبة: وَنَظَرَ إلَى الْبَيْتِ فَقَالَ «وَاَللّه إنّك لَأَحَبّ أَرْضِ الله إلَيّ وَإِنّك لَأَحَبّ أَرْضِ الله إلَى الله وَلَوْلَا أَنّ أَهْلَك أَخْرَجُونِي مِنْك مـا خَرَجْت». يَرْوِيهِ الزّهْرِيّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَدِيّ ابْنِ الْحَمْرَاءِ يَرْفَعُهُ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ فِيهِ عَنْ الزّهْرِيّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَهُوَ مِنْ أَصَحّ مـا يُحْتَجّ بِهِ فِي تَفْضِيلِ مَكّةَ عَلَى الْمَدِينَةِ.

إذن أحاديثه صحيحة معتبرة إذا لم يتخلل أسانيدها طعن، وإذا أُنْكرت تكون النكارة من بعض رجال الإسناد، مثال ذلك: ما قال أبو عمر بن عبد البر: ضعف أهل الحديث حديث عمران وأبي هريرة قالوا: لأن حديث أبي هريرة يدور على سليمان بن أرقم وهو متروك الحديث.

وحديث عمران بن الحصين يدور على زهير بن محمد عن أبيه وأبوه مجهول لم يرو عنه غير ابنه، وزهير أيضا عنده مناكير[3].

وقال ابن القطان الفاسي في بيان الوهم والإيهام:

وَفِي التهجير إِلَى الْجُمُعَة ذكر حَدِيثا ثمَّ قَالَ: أَوْس بن خَالِد لَا أعلم روى عَنهُ إِلَّا عَلـيّ ابن زيد بن جدعَان.

---

(1) التعديل والتجريح (3/ 1222).
(2) الروض الأنف (4/ 207-208).
(3) بداية المجتهد (1/ 341).

وَقد كَانَ لَهُ أَن يَقُول فِي هَذَا أَكثر، من هَذَا ؛ فَإِن لَهُ ثَلَاثَة أَحَادِيث عَن أبي هُرَيْرَة مُنكرَة، وَلَيْسَ لَهُ كَبِير شَيْء، بل كَانَ لَهُ أَن لَا يرد هَذِه الْأَحَادِيث الْمُتَقَدّمَة الذّكر كلهَا؛ لِأَنَّهَا فِي التَّرْغِيب، وَلَيْسَت من أَحَادِيث الْأَحْكَام، وَلكنه مَعَ ذَلِك لم يقبلهَا، فَكَانَ ذَلِك مِنْهُ صَوَابا[1].

ومن ذلك الإشادة بورعه وتقواه، مثل صنيع الشاعر ابن سارة الشنتريني (ت517هـ)، عند مدحه القاضي أبي أمية إبراهيم بن عصام (ت 516هـ)، قال مشيدا بصلاحه واستقامته:

قاض تقابلنا حي أبـراده ... بأبي هريرة في التقى ومعاذه[2]

ثانيا: الاعتماد على مروياته والاستشهاد بها:

إذا قلبنا صفحات كتب المغاربة والأندلسيين سنجدها ملأى بـ: الأحاديث المروية من طريق أبي هريرة ﷺ، وفي شتى الفنون:

- **كتب التفسير**، غنية بأحاديثه، مثل ما جاء في «الجامع لأحكام القرآن»: ثبت في الأمهات من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»[3].

- **أما كتب الحديث النبوي فلا تسل**، فقد حكى ابن حزم في رسالته «أسماء الصحابة رواة الحديث» الملحقة بجوامع السيرة: أن بَقي بن مخلد روى له خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثا. ولقبه بصاحب الألوف[4].

---

(1) بيان الوهم والإيهام (4/ 23).
(2) ابن سارة الشنتريني: حياته وشعره (ص93).
(3) تفسير القرطبي (1/ 127).
(4) جوامع السيرة (ص275).

➢ **كتب الفقه:** في معرض الاحتجاج والترجيح، قال ابن رشد الحفيد في بداية المجتهد:

والسبب في اختلافهم في ذلك: اختلافهم في مفهوم الثابت من حديث أبي هريرة أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: إذا استيقظ أحدكم من نومه، فليغسل يده قبل أن يدخلها الإناء، فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده[1].

وقال ابن رشد الجد عند تحرير مسألة فقهية وفق أصول مذهب مالك في البيان والتحصيل: وحديث أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ سلَّم من ركعتين فقام إلى خشبة معروضة في المسجد واتكأ عليها كأنه غضبان ووضع يده اليمنى على يده اليسرى وشبك بين أصابعه» وذكر تمام الحديث. فأما حديث أبي موسى فلا حجة فيه لأن النبي ﷺ إنما فعله للمعنى الذي ذكره على التمثيل والبيان، وأما حديث أبي هريرة فالحجة لمالك فيه قائمة[2].

بل عده ابن حزم من الطبقة الوسطى لمفتي الصحابة مع أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان وأبي سعيد الخدري...[3].

لذلك نجد فقهاء وأئمة المذاهب الفقهية يعتمدون مذهبه في بعض القضايا والمسائل، مثل الإمام أبي حنيفة، في مسألة سؤر الكلب، جاء في بداية المجتهد: وأما أبو حنيفة فقال كما قلنا بنجاسة سؤر الكلب، ولم ير العدد في غسله شرطا في طهارة الإناء الذي ولغ فيه لأنه عارض ذلك عنده القياس في غسل النجاسات، أعني أن المعتبر فيها إنما هو إزالة العين فقط، وهذا على عادته في رد أخبار الآحاد لمكان معارضة الأصول لها.

---

(1) بداية المجتهد وكفاية المقتصد (1/ 9).

(2) البيان والتحصيل (1/ 364).

(3) انظر جوامع السيرة (319).

قال القاضي ابن رشد معلقا: فاستعمل من هذا الحديث[1] بعضا ولم يستعمل بعضا، أعني أنه استعمل منه ما لم تعارضه عنده الأصول، ولم يستعمل ما عارضته منه الأصول وعضد ذلك بأنه مذهب أبي هريرة الذي روى الحديث.

۞ هذا بالإضافة إلى **كتب الأدب**، مثل:

> **كتاب الزهرة لابن داود**، أسند من طريقه فقال: حدَّثنا إسماعيل بن إسحاق قال: حدَّثنا عمرو بن مرزوق قال: أخبرنا شعبة بن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن أصدق بيت قاله الشاعر:

ألا كلُّ شيءٍ ما خَلا الله باطلُ[2]

العقد الفريد، نقل ابن عبد ربه عن شيخه الحافظ محمد بن وَضّاح يرفعه إلى أبي هُريرة رضي الله عنه. قال: دخلِ أعرابيّ المسجد والنبي جالسٌ، فقام يُصلّي، فلما فرغ قال: اللهم ارْحَمني ومحمداً ولا تَرْحَم معنا أحداً، فقال النبيّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: لقد حجّرْت واسعاً يا أعرابيّ. قال: وسمعت أعرابياً وهو يقول في الطواف: اللهم اغفر لأمي؛ فقلتُ له: مالك لا تَذْكر أباك؛ فقال أبي رجلٌ يَحتال لنفسه، وأما أُمي فبائسة ضعيفة[3].

وقال أيضا في معرض الاحتجاج: وذهبوا في تحريم النبيذ إلى حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ، «أنه نهى عن أن ينبذ في الدباء والمزفت»[4].

---

(1) يقصد حديث البخاري بَاب الْمَاءِ الَّذِي يُغْسَلُ بِهِ شَعَرُ الْإِنْسَانِ: «إِذَا شَرِبَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعًا». رقم: 16.

(2) كتاب الزهرة (ص856).

(3) العقد الفريد (4/ 68).

(4) نفسه (8/ 71).

➢ وفي «**المطرب من أشعار أهل المغرب**»: وأصل «اللمم» في اللغة: الهم بالخطيئة من جهة مقاربتها، وحديث النفس بها من غير مواقعتها. ثم احتج الحافظ ابن دحية الكلبي قائلا: ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عباس قال: مـا رأيت شيئاً أشبه باللمم مـمـا قال أبو هريرة: إن النبي ﷺ قال: كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تـمني وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه[1].

➢ وفي **المحاضرات لليوسي**: أشعر بيت قالته العرب، ثم قال: حدثوا في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «أشعر بيت قالته العـرب قول دريد ابن الصمة:

قليل التـشكي للمـصيـبـات ذاكر *** من اليوم أعقاب الأحاديث في غد[2]

وهم لا يكتفون بالنقل وإيراد مروياته، بل يعولون أيضا على:

❁ **إشاراته وتوضيحاته**، مثل مـا جاء في:

➢ **الجامع لأحكام القرآن**، قال القرطبي عند تفسير قولـه تعـالى: (بـاللغو) اللغـو: مصدر لغا يلغو ويلغى، ولغى يلغى لغا إذا أتى بمـا لا يحتاج إليه في الكلام، أو بمـا لا خير فيه، أو بمـا يلغى إثمه، وفى الحديث: «إذا قلت لـصاحبك والامـام يخطـب يـوم الجمعة أنصت فقد لغوت».

ولغة أبى هريرة « فقد لغيت» وقال الشاعر:

وَرُبَّ أَسْرابِ حَجيجٍ كُظَّمِ *** عَنِ اللُّغَا وَرَفَثِ التَّكَلُّمِ[3]

---

(1) المطرب (ص336).
(2) المحاضرات (ص558).
(3) تفسير القرطبي (3/ 99).

➢ **كتاب العقد الفريد** لابن عبد ربه، يقول في باب نصيحة السلطان ولزوم طاعته: قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾.وقال أبو هريرة: لما نزلت هذه الآية أمرنا بطاعة الأئمة. وطاعتهم من طاعة الله، وعصيانهم من عصيان الله[1].

➢ **حكمه المعبرة،** مثل ما جاء في العقد الفريد أيضا، وقال رجل لأبي هُريرة: أُريد أن أطلب العِلْم وأخاف أن أضيِّعه قال: كفاك بترك طَلَب العِلم إضاعةً له[2].

وفيه أيضا: وقيل لأبي هريرة: ما المروءة؟ قال: تقوى الله وتفقد الضيعة[3].

➢ **أدبه،** مثل ماجاء في العقد الفريد والمحاضرات لأبي الحسن اليوسي، باب في ذكر شيء من أخبار الثقلاء: وكان أبو هُرَيرة إِذا استثقَل رجلاً، قال: اللهم اغْفِر له وأرِحْنا منه[4].

وفي «العقد» أيضا: عند باب من أحب الموت ومن كرهه: وقال أبو هُرَيرة: كَرِه الناسُ ثلاثاً وأَحْبَبْتُهنّ: كَرهوا المرَض وأحببتهُ، وكَرهوا الفقرَ وأحببتهُ، وكَرِهوا الموتَ وأحببتهُ[5].

وفي بهجة المجالس لابن عبد البر: قال أبو هريرة: لا خير في فضول الكلام[6].

وفيه أيضا: رأى أبو هريرة رجلا يمشي خلف رجل، فقال: من هذا ؟ فقال: أبي. قال: لا تدعه باسمه ولا تجلس قبله، ولا تمش أمامه[7].

---

(1) العقد الفريد (1/ 11).
(2) نفسه (2/ 80).
(3) نفسه (2/ 184).
(4) العقد الفريد (2/ 153). المحاضرات (ص684).
(5) العقد الفريد (3/ 146).
(6) بهجة المجالس لابن عبد البر (1/ 70).
(7) نفسه (2/ 762).

ثالثا: تتبع الروابط المتصلة به، مثل:

الإشارة إلى من روى عنه، جاء في كل من جذوة المقتبس للحميدي[1] والمعجب لعبد الواحد المراكشي[2] ونفح الطيب للمقري[3]: عند ذكر من دخل الأندلس من التابعين للجهاد والرباط: منهم محمد بن أوس بن ثابت الأنصاري يروي عن أبي هريرة.

وقال المقري في نفح الطيب[4] ومن الداخلين من التابعين فيما ذكر: المغيرة ابن أبي بردة نشيط ابن كنانة العذري. روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، ويروي عنه مالك في موطئه، وذكره البخاري في تاريخه الكبير، وفي كتاب الحافظ ابن بشكوال أنه دخل الأندلس مع موسى بن نصير فكان موسى بن نصير يخرجه على العساكر.

وقال ابن حزم في رسالته «ذكر القراءات المشهورة في الأمصار الآتية مجيء التواتر» الملحقة بجوامع السيرة[5]: ولأهل المدينة: القراءة المعروفة بنافع بن أبي نعيم، مات سنة تسع وستين ومائة. قرأ على يزيد بن القعقاع، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، ومسلم بن جندب الهذلي، ويزيد بن رومان، وشيبة بن نصاح. هؤلاء عن أبي هريرة، وابن عباس، وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي. هؤلاء كلهم عن أبي بن كعب.

التعريف بسبط من أسباطه، قال المقّري في نفح الطيب[6]: من الراحلين من الأندلس إلى المشرق يوسف بن يحيى بن يوسف الأزدي، المعروف بالمغامي من أهل قرطبة، وأصله من طليطلة، وهو من ذرية أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

---

(1) جذوة المقتبس (ص6).
(2) المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص37).
(3) نفح الطيب (3/ 58).
(4) نفسه (3/ 10).
(5) جوامع السيرة (ص269).
(6) نفح الطيب (2/ 520).

رابعا: الاهتمام بكنيته:

ولأجل سعة حفظه واستيعاب روايته، تيمنوا بكنيته وتكنوا بها، بحيث إذا تصفحنا كتب التراجم نجد عددا من الحفاظ والأعلام عرفوا بهذه الكنية واشتهروا بها، مثل:

- عَزير بن مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحمن بن عِيسَى بن عبد الواحِد بن صُبَيْح اللَّخْمِيَ ـ ودَخَل صُبَيْح معَ مُوسى بن نُصَيْر الأنْدَلُس ـ: من أهْل مالَقة؛ يُكَنَّى: أبا هُرَيْرَة. كَان: فَقِيهاً عَالِما مُتَفَنِّناً. سَمِع: من أخْطَل بن رِفْدَة، وعَلاء بن عِيسى، وابن بَدْرُون. ولَقِي بَكْر بن حَماد. وكَان: بَصيراً بالمسائل مُوثَّقاً. ذَكَرهُ ابن حارثٍ. وسَماه ابن سَعْدان من فُقهاء مالَقَة[1].

- أبو هرَيْرة المُدَوَّري: من الرواة عن ابن القاسم[2].

- محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعد الفهري: مرسي أبو عبد الله بن الصيقل ويلقب أبا هريرة لتتبعه الآثار وروايته إياها وعنايته بها؛ روى عن أبي بكر ابن أبي ليلى وأبي الحجاج القضاعي، وأبو طاهر السلفي... وأجازوا له، روى عنه أبو بكر بن سفيان. وكان ذا عناية بالعلم وروايته، وكتب الكثير على ضعف خطه، وجمع فوائد جمة، وصنف في أنواع من علم الحديث وتاريخ رجاله وغيرهم، وقد ضعف، وتوفي بمرسية بعد الخمسين وخمسمائة[3].

والسبب في التكني بها أفصح عنه بعض العلماء، مثل ابن عبد الملك في الذيل والتكملة، قال عند التعريف بابن الصيقل: ويلقب أبا هريرة لتتبعه الآثار وروايته إياها، وعنايته بها.

---

(1) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (1/ 385).

(2) الذيل والتكملة السفر الخامس (ص146).

(3) التكملة رقم: 485. الذيل والتكملة السفر الخامس (ص671ـ672).

وهذا هو المشهور لذلك قال أبو عبد الله المسناوي عند ذكر أبي هريرة ابن الحافظ الذهبي: لعل والده سماه بأبي هريرة لشغفه بعلم الحديث تفاؤلاً لأن يكون في حفظ الحديث والإكثار كأبي هريرة رضي الله عنه. قال الشيخ عبد الحي الكتاني معقبا: «وجدت في ترجمة يحيى بن سيرين من «طبقات ابن سعد» أن سيرين بعث بنيه إلى أبي هريرة، فلما قدموا كان ابنه يحيى أحفظهم فكناه أبا هريرة لحفظه» فهو سلف الحافظ الذهبي في ذلك. مات أبو هريرة عبد الرحمن المذكور سنة 799هـ عن 84 سنة[1].

ومن الطرائف المتعلقة بكنيته، ما وقع لابن مرزوق في صرف أبي هريرة من الناحية الإعرابية، قال المقري أثناء ترجمته: ومن فوائده أنه كان يصرف لفظ أبي هريرة بناء على أن جزء العلم غير علم، وخالفه أهل فاس في ذلك لما بلغهم، ومال الأستاذ الصغير والحافظ القَوْرِي إلى منع الصرف لوجوه ليس لها موضعها، ومنها قول ابن مالك:

وَلِاضْطِرارٍ كَبَنَاتِ الأَوْبَرِ[2]

فإنه مؤذن بأن جزء العلم علم، وقد ألف في المسألة ابن عباس التلمساني تأليفاً سماه: «الاعتراف في ذكر ما للفظ أبي هريرة من الانصراف»[3].

خامسا: الاهتمام بنسبه وقبيلته:

إذ به عرفت واشتهرت، من ذلك ما جاء في العقد لابن عبد ربه:

دَوْس بن عُدْثان بن عبد الله بن زَهْران ومنهم: حُمة بن الحارث بن رافع، كان سَيّد دَوْس في الجاهليّة وكان أسْخَى العَرَب، وهو مُطْعِم الحجّ بمكة. ومنهم: لأبي هُرَيرة صاحب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، واسمه عُمَير بن عامر[4].

---

(1) فهرس الفهارس (1/ 421).
(2) بنات الأوبر: ضرب من الكماة رديء. لسان العرب (5/ 271) مادة: وبر..
(3) نفح الطيب (5/ 432).
(4) العقد الفريد (3/ 336).

خاتمة

بعد جولة أمضيتها أحوم بين جنبات كتب التراث الأندلسي والمغربي، أقلب مدخراته، وأكشف مكنوناته، لا أني ولا أنثني عن المضي قدما من أجل كشف الحقيقة، وبيان ما يتطلبه البحث العلمي من إنصاف في جلائها، خصوصا عندما تعلق الأمر بأحد حماة هذا الدين، راوي حديث الرسول المصطفى الأمين، عليه أزكى الصلاة والتسليم: لأبي هريرة الصادق العدل.

بعد هذه الجولة التي قدمت خلاصتها في هذا العرض، تبينت من خلالها نتائج منها:

- أبو هريرة صاحب رسول الله ﷺ، عدل مصدق، لا تعتريه تهمة أو ريبة. هذا باستقراء كتب المغاربة والأندلسين؛ عدا من لا يعتد بخلافه من شذاذ العصر، أذناب شيعة الزمان، وأفراخ الكائدين والحاقدين من المستشرقين.

- أبو هريرة مذكور في المدونات المغربية الأندلسية في سياق الاهتمام والإشادة والتنويه، لا الغمز والطعن والتشويه.

- أبو هريرة أحد أعلام السنة وحماتها، بحفظه لها والاعتناء بمروياتها.

- أبو هريرة اسم مقرون بالترضي عنه عند الكثير من أعلام الأندلس والمغرب، لا لعنه والانتقاص منه.

فهو على العموم ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه، وهم الذين قال فيهم نجم الأندلس وكوكبها الوقاد على مر الدهور والعصور، أبو محمد ابن حزم رحمه الله كلمته الذهبية في «**الفِصَلِ**»:

«كل ما طال كثرت الحاجة إلى الصحابة فيما عندهم من العلم، فوجدنا حديث عائشة رضي الله عنها ألفي مسند ومائتي مسند وعشرة مسانيد، **وحديث أبي هريرة خمسة آلاف مسند وثلاثماية مسند وأربع وسبعين مسنداً**، ووجدنا مسند ابن عمر وأنس قريباً من مسند عائشة لكل واحد منهما، ووجدنا مسند جابر بن عبد الله وعبد الله بن عباس لكل واحد منهما أزيد من ألف وخمسماية، ووجدنا لابن مسعود ثمان ماية مسند ونيف، ولكل من ذكرنا حاشا أبا هريرة وأنس بن مالك من الفتاوي أكثر من فتاوي علي أو نحوها، فبطل قول هذه الوقاح الجهال، فإن عاندنا معاند في هذا الباب جاهل أو قليل الحيا لاح كذبه وجهله، **فإنا غير مهتمين على حط أحد من الصحابة رضي الله عنهم عن مرتبته، ولا على رفعه فوق مرتبته، لأننا لو انحرفنا عن علي رضي الله عنه ـ ونعوذ بالله من ذلك ـ لذهبنا فيه مذهب الخوارج، وقد نزهنا الله عز وجل عن هذا الضلال في التعصب، ولو غلونا فيه لذهبنا فيه مذهب الشيعة، وقد أعاذنا الله تعالى من هذا الإفك في التعصب، فصار غيرنا من المنحرفين عنه، أو الغالين فيه، هم المتهمون فيه، إما له وإما عليه**»[1].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على النبي الأمين

وعلى آله وأزواجه الطيبين الطاهرين، وصحابته العدول أجمعين.

---

(1) الفصل في الملل والنحل (4/ 214).

فهرس المصادر والمراجع

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف ابن عبد البر النمري القرطبي، تصحيح وتخريج: عادل مرشد. دار الأعلام-عمان. ط1/1423-2002.
- ابن سارة الشنتريني، حياته وشعره. للدكتور حسن الوراكلي. مطبعة النور - تطوان. ط1/1986.
- بداية المجتهد وكفاية المقتصد لأبي الوليد محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي، دار الفكر- بيروت. سنة 1995.
- بهجة المجالس، وأنس المُجالس، وشحذ الذاهن والهاجس، لأبي عمر يوسف ابن عبدالبر النمري، تحقيق: محمد مرسي الخولي. دار الكتب العلمية-بيروت. ط2/1981.
- بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، المعروف بابن القطان. تحقيق: د. الحسين آيت سعيد. دار طيبة – الرياض. ط1/ 1418هـ-1997م.
- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة لأبي الوليد ابن رشد القرطبي، وضمنه المستخرجة من الأسمعة المعروفة بالعُتْبِية لمحمد العتبي القرطبي، تحقيق: د محمد حجي. دار الغرب الإسلامي. ط2/ 1408-1988.
- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لأبي الوليد عبد الله بن محمد ابن الفرضي. تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني. ط2/ 1408-1988.
- التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد سليمان ابن خلف الباجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.
- التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار القضاعي . تحقيق: د عبد السلام الهراس . دار الفكر ـ بيروت. 1995 .
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. دار إحياء التراث العربي-بيروت. سنة: 1405-1985.

- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي . تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني . ط 2 . دار الشعب ـ القاهرة . 1372 .
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الحميدي، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي. نشرة الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة 1966.
- جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لأبي محمد علي ابن حزم القرطبي. تحقيق: إحسان عباس. دار المعارف ـ مصر. ط1900/1م.
- الذيل و التكملة لكتابي الموصول والصلة لابن عبد الملك المراكشي . السفر 5 وبقية 4. تحقيق: د إحسان عباس . دار الثقافة ـ بيروت 1965 .
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي. تحقيق: عبد الرحمن الوكيل. دار الكتب الإسلامية لصاحبها توفيق عفيفي عامر ـ مصر. ط1967/1.
- العقد الفريد لأبي عمر أحمد ابن عبد ربه القرطبي، تحقيق: مفيد محمد قميحة. دار الكتب العلمية. ط1404/1-1983.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد علي بن أحمد ابن حزم القرطبي. تحقيق: د.محمد إبراهيم نصر- د عبد الرحمن عميرة. دار الجيل-بيروت.
- لسان العرب لابن منظور الإفريقي . دار صادر ـ بيروت . بلا تاريخ .
- المطرب من أشعار أهل المغرب لأبي الخطاب عمر ابن دحية الكلبي. تحقيق: إبراهيم الأبياري. د حامد عبد المجيد. د أحمد أحمد بدوي. مراجعة د. طه حسين. دار العلم للجميع- بيروت.
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي، تحقيق: محمد سعيد العريان. نشرة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالجمهورية العربية المتحدة. بلا تاريخ.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقري، تحقيق: إحسان عباس. دار صادر-بيروت. ط1975/1م.

المحور الخامس

موقف مالكية الغرب الإسلامي من الصحابة

مكانة الصحابة في المذهب المالكي:
مالكية الغرب الإسلامي نموذجا

د. محمد التمسماني

ملخص البحث

من المعلوم أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم خير هذه الأمة وأشرفها. أثنى عليهم ربهم وأحسن الثناء، ورفع ذكرهم في التوراة والإنجيل والقرآن، وأثنى الرسول عليهم وشبههم بالنجوم، ونبه بذلك أمته على الاقتداء بهم في أمور دينهم كما يهتدون بالنجوم في ظلمات البر والبحر في شؤون دنياهم.

هذا ـــ وإن الإمام مالكا رحمه الله تعالى ـــ وهو من أعظم أئمة السلف ـــ كان من أول من انتبه إلى أهمية مكانة الصحابة في الملة علما وعملا وتشريعا وتربية، وتميز منهجه رحمه الله تعالى في التعامل مع القضايا الخمس الكبرى المتعلقة بمقامهم بالتأسي والاتباع، والوسطية والاعتدال ـ والقضايا هي: العدالة/الرواية/القدوة/ المفاضلة /الحرمة.

وعرف عنه رحمه الله تعالى حبه الشديد لهم، فكان يرى أفضليتهم على سائر الأمم واستقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة، وجعل للتأسي والاقتداء بسنتهم منزلة الصدارة في منهجه الفقهي الاستنباطي، فأخذ عنهم روايتهم ودرايتهم من غير استثناء ولا محاشاة؛ لأنهم عدول على الإطلاق، وأنهم وسط بإطلاق، وكانت سلسلة رواياته عنهم أقوى الأسانيد وأصح الطرق عند كثير من أهل هذا الشأن، مع كونه رحمه الله معروفاً بالتشدد في الرواية وحسن الاختيار وسلامة الانتقاء. حتى سُمي بعض إسناده عنهم بالسلسلة الذهبية.

كما اشتهر ـ رحمه الله ـ بحرصه على تعرف فتاوى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فكان يترقب مولاه نافعاً في غدواته ليسأله عن أقواله وأحواله وأخباره.

وقد اهتدى المالكية ـ وأهل الغرب الإسلامي منهم على وجه الخصوص ـ على ضوء الاستقراء إلى مواقف إمامهم وآرائه وأحكامه فاهتموا بها كثيراً، واعتنوا بها أيما عناية، حتى طفحت كتبهم ومصنفاتهم بنقلها وحكايتها، والموجود بين أظهرنا حافل بالنصوص والأمثلة والشواهد. وهو ما فصلنا الكلام فيه في ثنايا البحث.

وغير خفي أن الموضوع في مجمله جديد، لم يفرده باحث بالدراسة فيما أعلم على الرغم من أهميته القصوى، الأمر الذي كاد أن يعوقني عن الاستمرار، لكن بعد استخارة المولى عز وجل انشرح له صدري، وعزمت مستعيناً بالله على الكتابة فيه، وصممت على خوض غماره متبعاً فيه الخطة الآتية:

- المقدمة
- التمهيد
- المبحث الأول: موقف الإمام مالك من القضايا الخمس المتعلقة بالصحابة
- المبحث الثاني: نصوص مالكية الغرب الإسلامي في إبراز مكانة الصحابة في المذهب.
- الخاتمة

والحمد لله رب العالمين

الباحث في سطور

الدكتور محمد التمسماني d_temsamani@maktoob.com

- أستاذ التعليم العالي بجامعة القرويين بفاس.
- أستاذ زائر بمؤسسة دار الحديث الحسنية بالرباط.
- دكتوراه الدولة في موضوع «الاجتهاد الذرائعي وأثره في الفقه الإسلامي، المذهب المالكي نموذجا».
- رئيس شعبة الفلسفة والفكر الإسلامي والحضارة بكلية أصول الدين بتطوان وعضو اللجنة العلمية بها.
- منسق ماستر العقيدة والفكر في الغرب الإسلامي بكلية أصول الدين بتطوان جامعة القرويين.
- عضو المجلس العلمي المحلي بمدينة طنجة.

من أبحاثه المنشورة:

- ظاهرة الغلو في الدين في الميزان.
- منهجية الإمام مالك الأصولية الخصائص والآثار.
- المدرسة المالكية الأصولية وإبداع المغاربة فيها.
- الانتصار لأهل المدينة للإمام ابن الفخار المالكي(ت419هـ) دراسة وتحقيق.

مقدمة

الحمد لله الذي اصطفى لنبيه محمد ﷺ الصحابة الكرام خيرة الخلق وصفوتها بعد الأنبياء ففاضت عليهم أنواره وظهرت بركاته وآثاره، وجعلهم شهوداً على الملة وحراساً للدين، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة سيدنا وقدوتنا محمد بن عبدالله، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فمما لا شك فيه أن تنظيم مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث التابع للرابطة المحمدية لهذه الندوة العلمية المباركة في موضوع: «الصحابة الكرام في التراث المغربي الأندلسي» اختيار موفق يكتسي أهمية بالغة وخطورة جسيمة، وخاصة في الوقت الحاضر.

وإنني بهذه المناسبة السعيدة، يطيب لي ويشرفني أن أسهم في هذا اللقاء العلمي الكبير بهذا الموضوع المتواضع الذي أسميته: «مكانة الصحابة في المذهب المالكي ـ مالكية الغرب الإسلامي نموذجاً».

بين يدي الموضوع

من المعلوم أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم خير هذه الأمة وأشرفها. أثنى عليهم ربهم وأحسن الثناء، ورفع ذكرهم في التوراة والإنجيل والقرآن.

وأثنى الرسول عليهم وشبههم بالنجوم، ونبه بذلك أمته على الاقتداء بهم في أمور دينهم كما يهتدون بالنجوم في ظلمات البر والبحر في شؤون دنياهم.

إنهم أبر الأمة قلوباً وأعمقها علما وأقلها تكلفاً، وكيف لا وقد شهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا التفسير والتأويل، جعلهم الله للأمة أعلاما وقدوة، فكانوا عدولها، وأئمة الهدى، وحجج الدين، ونقلة الكتاب وسنة الحبيب المصطفى الأمين.

أجمع السلف على أنهم كلهم عدول مرضيون ثقات أثبات، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله.

هذا ـ وغير خفي أن الموضوع في مجمله جديد، لم يفرده باحث بالدراسة فيما أعلم على الرغم من أهميته القصوى. الأمر الذي كاد أن يعوقني عن الاستمرار. لكن بعد استخارة المولى عز وجل انشرح له صدري، وعزمت مستعيناً بالله على الكتابة فيه.

والبحث يحاول الإجابة باختصار عن أسئلة ثلاثة وهي:

☒ السؤال الأول: لماذا الصحابة ؟ أو بعبارة أوضح: ما المقاصد المرجوة والآثار المترتبة على التعرف عليهم؟

ويمكن تلخيص الجواب في النقاط الآتية:

➢ **أولاً**: امتثالا لأمر الشارع، فبمعرفتهم يكمل الدين، ويتم الفقه عن رب العالمين. وعبارة الإمام ابن عبد البر في توضيح هذا المقصد مشهورة ومعلومة لدينا جميعاً. قال رحمه الله تعالى: «أما بعد، فإن أولى ما نظر فيه الطالب، وعني به العالم ـ بعد كتاب الله عز و جل ـ سنن رسوله ﷺ، فهي المبينة لمراد الله عز وجل من مجملات كتابه، والدالة على حدوده، والمفسرة له، والهادية إلى الصراط المستقيم صراط الله، من اتبعها اهتدى، ومن سلك غير سبيلها ضل وغوى، و ولاه الله ما تولى. ومن أوكد آلات السنن المعينة عليها، والمؤدية إلى حفظها، معرفة الذين نقلوها عن نبيهم ﷺ إلى الناس كافة، وحفظوها عليه، وبلغوها عنه، وهو صحابته الحواريون الذين وعوها وأدوها ناصحين محسنين، حتى كمل بما نقلوه الدين، وثبتت بهم حجة الله تعالى على المسلمين، فهو خير القرون، وخير أمة أخرجت للناس، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم وثناء رسوله عليه السلام، ولا أعدل من ارتضاء الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه. قال الله تعالى ذكره:﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَالذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرِيهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيماهُمْ فِے وُجُوهِهِم مِّنَ اَثَرِ اِلسُّجُودِ﴾ الآية. فهذه صفة من بادر إلى تصديقه والإيمان به و آزره و نصره، (ولصق به) وصحبه، وليس كذلك جميع من رآه ولا جميع من آمن به، وسترى منازلهم من الدين والإيمان، وفضائل ذوي الفضل والتقدم منهم، فالله قد نضل بعض النبيين على بعض، وكذلك سائر المسلمين،

والحمد لله رب العالمين، وقال عز وجل:﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَالأَنصارِ وَالذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ...﴾ الآية[1].

ولذا نص المالكية وغيرهم على أن من شرط الاجتهاد والتوقيع عن الله: العلم بأقوال الصحابة وأفعالهم وسننهم وبيانهم.

> ثانيا: للحاجة الماسة إلى التأسي بهم واقتفاء آثارهم، والمقصود بالتأسي هنا في مفهومه الشامل العام، وبذلك يتحقق إحياء منهجهم الوسطي المحمدي الذي فيه خلاص الأمة. وإنقاذها من هذا الانحراف والضياع الذي جلب عليها الرزايا والمصائب والويلات. ولا شك أن الواسطة الناقلة هم الصحابة الكرام. وصدق الصحابي الجليل عبد الله بن عمر إذ قال: « من كان مستنا فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد كانوا خير هذه الأمة أبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا»[2].

ولا شك أن هذا المنهج رسمه لهم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ.

ويقول سيدنا عبد بن مسعود لإنسان في مدح عصر الصحابة:«إنك في زمان كثير فقهاؤه قليل قراؤه»[3].

---

(1) سورة التوبة: الآية 100.

(2) الحلية: (1/ 305).

(3) وللإمام ابن العربي في المسالك كلام مهم في شرح هذا الأثر. قال رحمه الله تعالى: «إنه لم يرد بذلك أن من يقرأ القرآن كان قليلاً في زمانه، وإنما أراد: أن من يقرأ القرآن فيكون حظه من قراءته دون الفقه فيه قليل؛ لأن ابن مسعود إنما قصد مدح الزمان الذي كان فيه وهو عصر الصحابة وهو القرن الممدوح، فأثنى عليهم لكثرة العلماء والفقهاء. وجل فقه أهل ذلك العصر إنما كان من القرآن والاستنباط الذي قال الله فيهم: «لعلمه الذين يستنبطونه» ولم يكونوا أهل ديوان، ولا صنفوه في القراطيس، وإنما كان علمهم في صدورهم، واستنباطهم في محفوظهم». المسالك: (3/ 225).

ومسألة التأسي بالصحابة قضية مصيرية عليها تبنى الهوية وتربى الأمة يقول الإمـام الشاطبي: «ومتى وجدت التأسي بمن هذا شأنه مفقـوداً في بعـض النـاس، فـاعلم أنـه إنمـا ترك لتأس آخر»[1].

➢ **ثالثاً:** انتهاج سبيل الإمـام مـالك والنسج على منواله، واتباع طريقته التي هي امتداد لطريقة شيوخه من أهل المدينة. يقول الإمـام ابن الفخار في كتابه الانتصار: «فاخترت لنفسي كتابه هذا الذي أدى فيه علم مـا قبله من الرواية، والعمل بدار العمل والسنن، فهو الأصل الذي أذهب إليه، لأنه علم من قبل مـالك رحمه الله، فنسب إلى مـالك لأنه جمعه، فأولئك أتباع الجملة والجمـاعة لا رجلاً منفرداً»[2].

---

(1) الموافقات: (5/ 262) وقال أيضاً: «فكانوا يبحثون عن أفعاله كمـا يبحثون عن أقواله وهذا مـن أشـد المواضع على العالم المنتصب» (5/ 265).

وقال: «فإن علامة صدق القول مطابقة الفعل، بل الصدق في الحقيقة عند العلمـاء ولذلك قـال تعـالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾.....(5/ 268).

(2) الانتصار لأهل المدينة: (ص: 199-200).

⊠السؤال الثاني: لماذا المذهب المالكي؟

لأن الإمام مالكا رحمه الله تعالى ـ وهو من أعظم أئمة السلف ـ كان من أول من انتبه إلى أهمية مكانة الصحابة في الملة علما وعملاً وتشريعاً وتربية، وتميز منهجه رحمه الله تعالى في التعامل مع القضايا الخمس الكبرى المتعلقة بمقامهم بالتأسي والاتباع، والوسطية والاعتدال ـ والقضايا هي:

1. العدالة
2. الرواية
3. القدوة
4. المفاضلة
5. الحرمة

وعرف عنه رحمه الله تعالى حبه الشديد لهم، وتعلقه القوي بمقامهم، فكان يرى أفضليتهم على سائر الأمم واستقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة، جعل للتأسي والاقتداء بسنتهم وعملهم وفعالهم منزلة الصدارة في منهجه الفقهي الاستنباطي.

قال رحمه الله للخليفة أبي جعفر المنصور لما طلب منه أن يلزم الناس بالموطأ: «لا تفعل فإن في كتابي هذا: حديث رسول الله ﷺ، وقول الصحابة، وقول التابعين، ورأياً هو: إجماع أهل المدينة لم أخرج عنهم»[1].

---

(1) انظر: ترتيب المدارك (1/ 72)، وانتصار الفقير السالك (ص: 207).

حتى تـميز المذهب بكثرة الأصول والمصادر الصحابية وتنوعها. فكان مذهبه خصباً من حيث أصول الاستنباط وأدلة الاجتهاد من ذلك[1]:

1. إجـماع الصحابة.
2. سنة الصحابة وفعلهم
3. مذهب الصحابي
4. بيان الصحابة[2].

---

(1) انظر: إحكام الفصول في أحكام الأصول للإمام الباجي: (ص175-176، 360-361، 397407-413) وشرح التنقيح للإمام القرافي: (ص331-332) و (445-446) والمحصول للإمام ابن العربي: (ص123، 1509)، ومفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول للإمام التلمساني: (ص745-750) و (ص 753-756) وتقريب الوصول للإمام ابن جزي: (ص120، 121)، الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة للعلامة حسن بن محمد المشاط: (ص215-217).

(2) وللإمام الإمام الشاطبي كلام في الموضوع نورده لأهميته قال رحمه الله تعالى: «وأما بيان الصحابة فإن أجمعوا على ما بينوه، فلا إشكال في صحته أيضاً، كما أجمعوا على الغسل من التقاء الختانين المبين لقوله تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ﴾ وإن لم يجمعوا عليه فهل يكون بيانهم حجة؟ أم لا؟ هذا فيه نظر وتصيل، ولكنهك يترجح الاعتماد عليهم في البيان من وجهين:
أحدهما: معرفتهم باللسان العربي، فإنهم عرب فصحاء، لم تتغير ألسنتهم، ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم. فهم أعرف في فهم الكتاب والسنة من غيرهم، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان صح اعتماده من هذه الجهة.
والثاني: مباشرتهم للوقائع والنوازل، وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة، فهم أقعد في فهم القرائن الحالية، وأعرف بأسباب التنزيل، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فمتى جاء عنهم تقييد بعض المطلقات، أو تخصيص بعض العمومات فالعمل عليه صواب، وهذا إن لم ينقل عن أحد منهم خلاف في المسألة، فإن خالف بعضهم فالمسألة اجتهادية. مثاله: قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر» فهذا التعجيل يحتمل أن يقصد به إيقاعه قبل الصلاة، ويحتمل أن لا، فكان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان يصليان المغرب قبل أن يفطرا ثم يفطران بعد الصلاة بياناً أن هذا التعجيل لا يلزم أن يكون قبل الصلاة، بل إذا كان بعد الصلاة فهو تعجيل أيضاً، وأن التأخير الذي يفعله أهل المشرق شيء آخر داخل في التعمق المنهي عنه، وكذلك ذكر عن اليهود أنهم يؤخرون الإفطار، فندب المسلمون إلى التعجيل. =

5. عمل أهل المدينة[1].

= وكذلك لما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه» احتمل أن تكون الرؤية مقيدة بالأكثر، وهو أن يرى بعد غروب الشمس، فبين عثمان أن ذلك غير لازم، فرأى الهلال في خلافته قبل الغروب فلم يفطر حتى أمسى وغابت الشمس. وتأمل فعادة مالك بن أنس ـ في موطئه وغيره ـ الإتيان بالآثار عن الصحابة مبيناً بها السنن، وما يعمل به منها وما لا يعمل به، وما يقيد به مطلقاتها، وهو دأبه ومذهبه لما تقدم ذكره، ومما بين كلامهم اللغة أيضاً، كما نقل مالك في دلوك الشمس، وغسق الليل كلامَ ابن عمر وابن عباس. وفي معنى السعي عن عمر بن الخطاب، أعني قوله تعالى ﴿ فَاسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ وفي معنى الإخوة أن السنة قضت أن الإخوة اثنان فصاعداً، كما تبين بكلامهم معاني الكتاب والسنة. لايقال: إن هذا المذهب راجع إلى تقليد الصحابي، وقد عرفت ما فيه من النزاع والخلاف. لأنا نقول: نعم هو تقليد، ولكنه راجع إلى ما لا يمكن الاجتهاد فيه على وجهه إلا لهم كما تقدم من أنهم عرب. وفرق بين ما هو عربي الأصل والنحلة، وبين من تعرب. «غلب التطبع شيمة المطبوع» وأنهم شاهدوا من أسباب التكاليف وقرائن الأحوال على ما هي عليه كالمتعذر، فلا بد من القول بأن فهمهم في الشريعة أتم وأحرى بالتقديم. فإذا جاء في القرآن أو في السنة من بيانهم ما هو موضوع موضع التفسير، بحيث لو فرضنا عدمه لم يمكن تنزيل النص عليه على وجهه، انحتم الحم بإعمال ذلك البيان لما ذكر. ولما جاء في السنة من اتباعهم والجريان على سننهم، كما جاء في قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، وتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ «وغير ذلك من الأحاديث، فإنها عاضدة لهذا المعنى في الجملة. أما إذا علم أن الموضع موضع اجتهاد، لايفتقر إلى ذينك الأمرين، فهم ومن سواهم فيه شرع سواء. كمسألة العول، والوضوء من النوم، وكثير من مسائل الربا التي قتل فيها عمر بن الخطاب: «مات رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أية الربا فدعوا الربا والريبة أو كما قال « فمثل هذه المسائل موضع اجتهاد للجميع لا يختص به الصحابة دون غيرهم من المجتهدين، وفيه خلاف بين العلماء أيضاً. فإن منهم من يجعل قول الصحابي ورأيه حجة يرجع إليها ويعمل عليها من غير نظر، كالأحاديث والاجتهادات النبوية، وهو مذكور في كتب الأصول، فلا يحتاج لذكره هنا». (3/ 338-341).

(1) والمقصود بأهل المدينة الصحابة والتابعون، والسر في أخذ الإمام مالك بإجماع أهل المدينة ليس في خصوصية المكان، ـ مع أن له مكانة خاصة ـ بل في خصوصية المتمكنين بالمكان الذين «لو خرجوا من هذا المكان إلى مكان آخر كان الحكم على حاله نفائس الأصول:(6/ 2823) «لذلك نجد العلماء مطلقا خصوصا أهل الحديث يرجحون الأحاديث الحجازية على العراقية.

ونهج الإمام في ترتيب الأدلة من حيث الاعتماد عليها والأخذ منها، ترتيباً متفرداً متميزاً:

1. القرآن
2. الإجماع
3. الآثار المقرونة بعمل أهل المدينة
4. العمل إذا كان معارضا للآثار
5. خبر الواحد
6. القياس والاعتبار

ولهذا كان التأسي بالسلف من خصائص ومرجحات مذهبه، يقول الإمام أبو محمد الشارمساحي: «الوجه الآخر - مما يوجب ترجيح علم مالك على غيره: أن الصدر الأول من سلف هذه الأمة أقرب إلى متابعة رسول الله ﷺ وأهدى إلى مآخذ الحق من غيرهم، ومذهب الإمام مالك رحمه الله مبني على متابعتهم، فيكون شبهه بهم أقوى وذلك مما يوجب الرجحان، فقد قال مالك رحمه الله: «لم يكن آخر هذه الأمة بأهدى من أولها»[1].

أخذ عنهم روايتهم ودرايتهم من غير استثناء ولا محاشاة، لأنهم عدول على الإطلاق، ولأنهم وسط بإطلاق، وكانت سلسلة رواياته عنهم أقوى الأسانيد وأصح الطرق عند كثير من أهل هذا الشأن، مع كونه رحمه الله معروفاً بالتشدد في الرواية وحسن الاختيار وسلامة الانتقاء. حتى سمي بعض إسناده عنهم بالسلسلة الذهبية.

---

(1) انتصار الفقير السالك (ص243-244) نقلاً عنه.

واشتهر رحمه الله بحرصه على تعرف فتاوى وأقوال وأفعال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فكان يترقب مولاه نافعاً في غدواته ليسأله عن أقواله وأحواله وأخباره.

والسر في ذلك هو: أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه اشتهر بعنايته بفقه الاقتداء وأنه بلغ الغاية في التأسي برسول الله ﷺ [1]. كما استفاضت المنقولات في بيان مواقفه الخالدة في الذب عن حرماتهم، والتصدي بكل صرامة للمبغضين لهم، ويكفي أن نعلم أن فتاواه وأراءه وأحكامه في الدفاع عن أعراضهم ذاع صيتها في الآفاق، واعتمدها أهل السنة في جميع الأعصار.

(1) سنن الصالحين: (ص: 220 وما بعدها).

☒السؤال الثالث: ما هو موقف مالكية الغرب الإسلامي من القضايا الخمس الكبرى المتعلقة بالصحابة رضوان الله تعالى عليهم؟

لقد اهتدى المالكية ـ وأهل الغرب الإسلامي منهم على وجه الخصوص ـ على ضوء الاستقراء إلى مواقف إمامهم وآرائه وأحكامه فاهتموا بها كثيراً، واعتنوا بها أيما عناية، حتى طفحت كتبهم ومصنفاتهم بنقلها وحكايتها. والموجود بين أظهرنا حافل بالنصوص والأمثلة والشواهد. وبين أيدينا ملخص مبرز لمواقفهم وموضح لآرائهم:

أولاً ـ ما يتعلق بالعدالة:

يقول الإمام الباجي رحمه الله تعالى: «فصل ـ الصحابة كلهم عدول بتعديل الله تعالى لهم، فلا يحتاج إلى السؤال عن حالهم، ولا إلى البحث عن عدالتهم»[1].

وهذا أمر أجمع مالكية الغرب الإسلامي على تقريره، ونقله في كتبهم، واستدلوا عليه بأدلة كثيرة.

يقول الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى في بيان ذلك: «ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم وثناء رسوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولا أعدل من ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه»[2].

(1) إحكام الفصول في أحكام الأصول: (ص303).
(2) الاستيعاب: (1/ 1).

ويقول الإمام السنوسي رحمه الله تعالى في العقيدة الكبرى: «والصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول»[1].

بعض الأحكام مستنبطة من كلامهم:

- كل من ثبتت صحبته لا يسأل عن عدالته.

---

(1) العقيدة الكبرى مع شرحها: (ص: 409) وللعلامة المنجور كلام مهم أورده في حواشيه على الكبرى قال رحمه الله تعالى: قوله: «كل من ثبتت صحبته لا يسأل عن عدالته، ولا يتوقف في روايته عرف أو لم يعرف»: يريد، إلا من ثبتت جرحته. فإنه مردود، والعصمة تثبت للأنبياء عليهم السلام. وإنما فارقت الصحابة غيرهم، بأن المجهول الحال منهم، محمول على العدالة.

بخلاف غيرهم. وقد حد رسول الله ﷺ بعض الصحابة في الزنا، وبعضهم في السرقة، وبعضهم في الخمر. وفي غير ذلك. وقد يشعر بهذا، قول المصنف، لا يسأل عن عدالته ولا يتوقف في روايته، عرف أو لم يعرف. أي، عرف بالعدالة أو لم يعرف بعدالة ولا جرحة، ولا بد من هذا القيد أيضاً في قول الأم، كلهم عدول. وقد نبه جلال الدين المحلي على هذا القيد في شرح جمع الجوامع، ونصه: «من طرأ له منهم قادح كسرقة أو زنا، عمل بمقتضاه». قال الإمام أبو عبد الله الأبي في حديث فيقال: «لا تدري ما أحدثوا بعدك». «فإن قلت: هذا الحديث مناف للعدالة فيهم، قلت: ليس بمناف لحمله على المنافقين كما تقدم. والجواب بذلك يتضح على القول بأنه ﷺ كان لا يعرفهم. وأما على القول بأنه كان يعرفهم، فلا تصح المراجعة بقوله: أصحابي، فتكون مراجعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، ليس في المنافقين، بل في الصنف الثاني الذين بدلوا الاستقامة.

ويكون الحكم في العدالة خاصاً بمن عرف بصحبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا لمن رآه ولو لحظة، فإنه صحابي. وقد لا تثبت له العدالة، فقد حد في الزنا و القذف و الخمر.

قوله: «ولا نصيفه»: النصيف لغة، في النصف.

قوله: «وفي المسألة أقوال أخر غير مرضية، ومحلها علم الأصول»: هذه الأقوال، كالقول بأنه يسأل عنهم لغيرهم، إلا من يكون ظاهر العدالة، أو مقطوعها. كالشيخين رضي الله عنهما. والقول بأنهم عدول، إلى حين قتل عثمان رضي الله عنه، فبحث عن عدالتهم بوقوع الفتن بينهم من حينئذ. وكالقول بأنهم عدول، إلا من قاتل علياً رضي الله عنه.

قوله: «والذي عليه الكتاب والسنة، وإجماع من يعتد بإجماعه ما تقدم وهو، أنهم كلهم عدول من غير تفصيل»: أي، بين من عرف بالعدالة، ومن جهل حاله. و بين قتل عثمان وما قبله. وبين من قاتل علياً وبين غيره، لأنهم مجتهدون في قتالهم له، وإن كان هو الإمام الحق. وليس مراده من غير تفصيل بين، من طرأ له قادح، وبين غيره لما قدمنا». حواشي المنجور على كبرى السنوسي:(ص: 362-364).

- من طرأ له منهم قادح كسرقة أو زنا، عمل بمقتضاه ولهذا قالوا: «الصحابة كلهم عدول إلا عند قيام المعارض».

- أنهم متفاوتون في العدالة من يكون ظاهر العدالة، أو مقطوعها وهو من كان ملازما للنبي ﷺ. كالشيخين رضي الله عنهما.

ثانياً ـ ما يتعلق بالرواية:

الرواية فرع من كتاب الأخبار وكتاب الأخبار أصل من أصول الفقه عليه مدار أكثر الأحكام ويرى المالكية أنه:

- لا يتوقف في رواية الصحابي عرف أو لم يعرف.

- وأن الصحابة فارقت غيرهم، بأن المجهول الحال منهم، محمول على العدالة. بمعنى آخر: أن ما ثبت بالإسناد إليهم فهو حجة، ولا تؤثر جهالتهم، لأن المجهول منهم في حكم المعلوم.

- ولا تضر مخالفة مذهبه لروايته.

- ويشترط علمه وفقهه بما روى،لأن غير الفقيه ربما يسوء فهمه فيفهم الحديث على خلاف وضعه.

- ويقبلون المرسل[1].

- وتقدم أخبار نساء النبي ﷺ على أخبار غيرهن[2].

---

(1) تقريب الوصول(ص 112)، ومفتاح الوصول (ص353-354).

(2) إحكام الفصول في أحكام الأصول (ص 646).

- وتقدم رواية الأكبر والأعلم[1].
- ورواية الأكثر صحبة أولى، لأن الأدوم صحبة أعرف بمـا يـدوم مـن الـسنن ومـا لا يدوم[2].
- ونقل الصحابة الذين كانوا لا يفارقونه مقدم على غيرهم عند التعارض[3].
- وعمل أحد الخلفاء بأحد الحديثين كان ترجيحا له[4].
- ورواية الأقرب إلى النبي ﷺ راجحة.
- ورواية الخبر المصاحبة للعمل أرجح وأولى.

ثالثاً ـ فيما يتعلق بالقدوة:

هذا الجانب المتعلق بحياة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لـه أهميـة بالغـة في كـل زمـان، والمذهب المـالكي حاز قصب السبق في إبراز أهمية التأسي والاقتداء بهم، ويعـد ذلك من أجل مـميزاته وخصائصه ومرجحاته.

مـمـا كان له أثر كبير في إغناء المذهب وجعله أقرب إلى الهدي والسنة، ولا أدل عـلى ذلك من كون الإمـام مـالك امتاز بعنايته بآثارهم، ولهذا نجده قد فاق غيره من أرباب المذاهب في موضوع: بيان الهيئات والصفات. وعلى سبيل المثال: حديثـه عن الـصلاة في الموطأ:

---

(1) تقريب الوصول (ص 155) و مفتاح الوصول (ص621-624).
(2) مفتاح الوصول (ص 634-636).
(3) المسالك (2/ 145).
(4) نفسه (3/ 106).

إذ بين رحمه الله تعالى أمرها غاية البيان، وأربى فيه على المصنفين وزاد عليهم بما فيها من الآثار، وكيف نقلها الناس جملة كأبي سعيد وأبي حميد الساعدي وأبي هريرة وغيرهم، ونقلها أيضا جملة من الصحابة مفصلة ومجملة، واجتمع البيان في كل طريق... »[1].

والعناية ببيان الصفة هو منهج الفقهاء المالكية المتقدمين كالإمام ابن أبي زيد في كتابه الرسالة[2].

والخلاصة أن إمام المذهب كان له الفضل في التعريف بسنتهم ووضع القوانين والمناهج المنظمة للتعامل معها، وكيف لا وهو عالم المدينة دار السنة والعمل.

وللإمام في التعامل مع آثارهم وسنتهم تأسياً واقتداء ضوابط، من أهمها:

- مراعاته الظهور والشهرة والاستفاضة (عمل الفقيه أو الخليفة أو الجماعة).
- مراعاته جانب القدوة. فقد تكون عند الإمام حجج ودلائل وقياسات لكنه يتركها ويسوق فعل أحد أئمة السلف لشهرته ورضى الناس به ليقتدوا به.
- مراعاة المداومة والاتصال، قالوا: إطباق أهل المدينة على العمل بموجب أحد الخبرين يجعله أولى من خبر من يخالف عمل أهل المدينة[3].

ومن الآثار الناجمة عن ذلك:

1. ما كان يفعل في زمن عمر بن الخطاب كان كإجماع الصحابة لمشورتهم[4].

---

(1) المسالك: (2/ 348).
(2) ويعتبر ذلك من أهم مميزات طريقة الفقهاء المالكية ومنهجهم في الدرس الفقهي.
(3) إحكام الفصول في أحكام الأصول: (ص: 657).
(4) المسالك (4/ 125).

2. الصحابة إذا اختلفوا لم يكن قول واحد منهم حجة على غيره إلا بدليل يجب التسليم له من الكتاب والسنة[1].

3. إذا خالف الأثر عمل الصحابة قدم العمل[2].

4. عدم إنكارهم دليل على الاعتبار و الثبوت[3].

5. مخالفة بعضهم لما عليه جمهورهم دليل على عدم الاعتبار[4].

6. مداومة الصحابة على أمر حجة في الترجيح[5].

7. الخبر المعتضد بعمل الصحابة أولى من غيره[6].

رابعاً ـ ما يتعلق بالمفاضلة:

وهذه القضية طويلة الذيل متشعبة الأطراف، نختزل الحديث عنها من خلال العناصر الآتية:

---

(1) المسالك (4/ 283-284).

(2) نفسه (5/ 289).

(3) نفسه (5/ 369).

(4) يقول الإمام ابن العربي رحمه الله تعالى: «اتفقت الصحابة رضي الله عنهم على جواز الوضوء بماء البحر، إلا ما رواه عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو كان يقول: هو طبق جهنم، وروي عنه أنه كان يقول: هو ماء سخط وعذاب فلا يتوضأ به. كما نهى النبي عليه السلام عن الوضوء بماء ثمود، وحض على بئر نبي الله صالح التي كانت الناقة تردها.

وهذا ضعيف، فإنه لو كان ماء سخط وعذاب لما أذن النبي ﷺ في ركوبه، وكيف لا يتوضأ به و هو منزل من السماء، مخرج بالقدرة للتهيؤ للمنفعة، وليس فيه أكثر من أنه لا يصلح للشفة، وذلك لا يمنع من جواز الوضوء كالماء الأجاج، وقد ركب الصحابة البحر على زمان رسول الله ﷺ.

(5) المسالك (1/ 376).

(6) المحصول (ص150).

أ-التعريف بالفضائل:

يقول الإمام أبو العباس القرطبي رحمه الله تعالى:

«فاعلم أن الفضائل: جمع فضيلة كرغائب جمع رغيبة، وكبائر جمع كبيرة وهو كثير.

وأصلها: الخصلة الجميلة التي بها يحصل للإنسان شرف وعلو منزلة وقدر، ثم ذلك الشرف، وذلك الفضل إما عند الخلق وإما عند الخالق فأما الأول: فلا يلتفت إليه إن لم يوصل إلى الشرف المعتبر عند الخالق. فإذاً: الشرف المعتبر، والفضل المطلوب على التحقيق، إنما هو الذي هو شرف عند الله تعالى»[1].

ب ـ أساس التفضيل:

يقول الإمام القاضي عياض رحمه الله تعالى: «اعلم أن الفضائل والتفضيل عند العلماء مما لا يدركه القياس، إنما مداره على التوقيف، ومعنى: فلان أفضل من فلان: أي أكثر ثواباً عند الله، وأرفع منزلة لربه، وهذا مما لا يعلم إلا بتوقيف، ولا يستدل عليه بكثرة الطاعات الظاهرة، إذ قد يكون الثواب من الله على اليسير الخفي منها، أكثر من الكثير الظاهر وعلى صحة الإيمان وكثرة الذكر والفكر والخشية، وإن كانت الأعمال الظاهرة فيها مجال لغلبات الظنون بالتفضيل، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾»[2].

ويقول الإمام أبو العباس القرطبي: «وإذا تقرر هذا فإذا قلنا: إن أحداً من الصحابة رضي الله عنهم فاضل، فمعناه أن له منزلة شريفة عند الله تعالى، وهذا لا يتوصل إليه بالعقل قطعاً. فلا بد أن يرجع ذلك إلى النقل، والنقل إنما يتلقى من الرسول ﷺ فإذا

---

(1) المفهم (6/ 237).

(2) إكمال المعلم (7/ 382).

أخبرنا الرسول ﷺ بشيء من ذلك تلقيناه بالقبول، فإن كان قطعياً حصل لنا العلم بذلك، وإن لم يكن قطعياً كان ذلك كسبيل المجتهدات على ما تقدم، وعلى ما ذكرناه في الأصول، وإذا لم يمكن لنا طريق إلى معرفة ذلك إلا بالخبر، فلا يقطع أحد بأن من صدرت منه أفعال دينية وخصال محمودة، بأن ذلك قد بلغه عند الله منزل الفضل والشرف. فإن ذلك أمر غيب، والأعمال بالخواتيم، والخاتمة مجهولة، والوقوف على المجهول مجهول. لكنا إذا رأينا من أعانه الله على الخير، ويسر له أسباب الخير رجونا له حصول تلك المنزلة عند الله تمسكاً بقوله ﷺ: «إذا أراد بعبد خيراً استعمله في الخير، ووفقه لعمل صالح «وبما جاء في الشريعة من ذلك، ومن كان كذلك: فالظن أنه لا يخيب، ولا يقطع على المغيب»[1].

ج - في التفضيل:

يقول الإمام أبو العباس القرطبي مبيناً صعوبة الموضوع: «وهذا الباب بحر لا يدرك قعره، ولا ينزف غمره»[2].

ومهما يكن فإنهم اتفقوا على:

- أن فضل الصحبة لا يعدله شيء، وهذا على التفضيل والخصوص

- وأن اسم الصحبة أشرف الأسماء والألقاب بل اعتبره النبي ﷺ أخص من الأخوة حينما قالت له الصحابة: ألسنا بإخوانك؟ قال لهم: «بل أنتم أصحابي» وقالوا: الأسماء ثلاثة: صحابي، وتابعي، ومؤمن، و لكل اسم مرتبة[3].

(1) المفهم (6/ 237-238).
(2) نفسه (6/ 239).
(3) المسالك: (2/ 102).

واختلفوا في أمور حكوا فيها أكثر من مذهب ورووا أكثر من قول، منها:

المسألة الأولى ـ اختلفوا في المشروعية والجواز:

➢ ذهبت فرقة إلى الإمساك عن هذا، وأنه لا يفضل بعضهم على بعض، وقالت: هو كالأصابع في الكف، فلا ينبغي أن نتعرض للتفضيل بينهم ـ وقال من سوى هؤلاء بالتفضيل.

➢ ثم إن القائلين بالتفضيل اختلفوا اختلافا كثيرا وفي مسائل عدة منها:

المسألة الثانية ـ اختلفوا في التعيين:

«فالخطابية تفضل عمر بن الخطاب، والراوندية تفضل العباس، والشيعة تفضل علياً، وأهل السنة تفضل أبا بكر رضي الله عنهم.

المسألة الثالثة ـ اختلفوا هل الذي يذهبون إليه من مقطوع به أم لا أو بمعنى آخر هل الموضوع اجتهادي أو توقيفي؟

يقول الإمام القاضي عياض في الجواب عن السؤال:«فذهبت طائفة إلى أن المسألة مقطوع بها، وحكى عن أبي الحسن الأشعري ميل إلى هذا، وأن الفضل مرتب في الأربعة على حسب ترتيبهم في الإمامة.

وأما القاضي أبو بكر بن الطيب فإنه يراها مسألة اجتهاد، ولو أهمل أحد العلماء النظر فيها أصلاً حتى لم يعرف فاضلاً من مفضول ما حرج ولا إثم، بخلاف سائر الأصول التي الحق فيها واحد، ويقطع على خطأ المخالف، وهذه لا يقطع فيها على خطأ من خالف من المجتهدين. وفي المدونة: سئل مالك: أي الناس أفضل بعد نبيهم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟ فقال: أبو بكر. ثم قال: أو في ذلك شك؟ فقيل له: فعلي وعثمان؟

قال: مـا أدركنا أحداً مـمن اقتدى به يفضل أحدهمـا على صاحبه، ونـرى الكـف عـن ذلك.

وقول مـالك: «أو في ذلك شك؟» كان يشير به إلى المذهب الذي حكيناه عن القائلين بالقطع، ولكنه أشار إلى التوفيق بين عـلي و عثمـان، و هـذا مـساهمة لمـن حكينـا عـن الوقف (في الكل) وللمرخصة مـالك بهذين.

وقد مـال إلى قريب من هذا أبو المعالي فقال: أبـو بـكر ثـم عـمـر، ويتحالج الطيـور في عثمـان وعلي رضي الله عنهم وهذا اللفظ نحو مـا وقع لمـالك»[1].

ويقول الإمـام أبو العباس القرطبي: «فإذا قلنا إن أحدا من الصحابة رضي الله عنهم فاضـل فمعناه أن له منزلة شريفة عند الله تعالى، وهذا لا يتوصل إليه بالعقل قطعـا فـلا بـد أن يرجع ذلك إلى النقل»[2].

(1) إكمـال المعلم: (7/ 379-380).
(2) المفهم: 6/ 237.

⊠ المسألة الرابعة - واختلفوا هل هو في الظاهر والباطن أم في الظاهر خاصة؟

يقول الإمام القاضي عياض في الجواب عن هذا السؤال الذي أورده:

«وأما الحكم بالتفضيل ظاهراً خاصة أو باطنا وظاهراً، فإن في ذلك قولين للعلماء. والقاضي أبو الطيب نصر كل واحد من المذهبين واحتج له، ولكن تعويله في ظاهر كلامه على أنه حكم بالظاهر لا بالباطن عند الله سبحانه.

وقد يكون من يظهر لنا أنه أفضل من غيره ذلك الغير عند الله أفضل منه، ولذلك وقع الاختلاف بين العلماء في عائشة وفاطمة رضي الله عنهما أيتهما أفضل؟ واحتجت (كل) طائفة بما وقع من التفضيل لمن فضلته في بعض الأحاديث، والمسألة لا تبلغ القطع. وقد وقف الشيخ أبو الحسن الأشعري في هاتين وتردد فيهما.

ولا معنى للتعويل على تعدية عائشة لكونها مع النبي عليه الصلاة والسلام في الجنة في درجته، وكون فاطمة مع علي رضي الله عنهما في درجته، ودرجة النبي ﷺ أعلى من درجة علي، لأن ذلك إنما حصلت عليه لأجل النبي عليه الصلاة والسلام وكون الزوجة تابعة لزوجها لا لأجل نفسها لو انفردت. وكذلك قوله في عائشة رضي الله عنها: «إنها فضلت على النساء كالثريد على الطعام «الحديث كما وقع» لأنه من أخبار الآحاد.

وقد يعارض - أيضا - بما وقع في فاطمة رضي الله عنها وأرضاها من الأحاديث، وقوله عليه الصلاة والسلام لها: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة «الحديث كما وقع.

وأما عثمان رضي الله عنه فخلافته صحيحة وقتلته فسقة ظلمة، بغت هليه أنه حما الحما، وفضل أقاربه في العطاء، وآوى طريد النبي عليه الصلاة والسلام وقد ذكر العلماء المخرج من هذا كله ولو كان مما ينقم به، ولا عذر فيه لم يوجب إراق دمه رضي الله عنه،

وقد وقف المعتزلة فيه و في قتله، (وهذا) من جهلهم بالآثار وقلة رجوعهم إلى الأخبار، وإضرابهم عن تأويلها و اتباع العلماء في مسالكهم فيها.

وكذلك علي رضي الله عنه العقد له وقع بوجه صحيح، والعقد لغيره في أيام خلافته وحياته لا ينعقد ولا يصح، ولو اتفق لمعاوية ـ رحمه الله تعالى ـ العقد في زمنه لم يكن ذلك بعقد يعول عليه حتى يجدد له بعد موته رضي الله عنه ومعاوية من عدول الصحابة وأفاضلهم وما وقع من حروب بينه وبين علي، وما جرى بين الصحابة من الدعاء فعلى التأويل والاجتهاد وكل يعتقد أن ما فعله صواب وسداد»[1].

وقد يختلف مالك و الشافعي وأبو حنيفة في مسائل من الدماء حتى يوجب بعضهم إراقة دم رجل ويحرمه آخر، ولا يستنكر هذا عند المسلمين ولا يستبشع لما كان أصله الاجتهاد وبه يعبد الله تعالى العلماء، وكذلك ما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم في هذه الدماء، ومن حاول بسط طرق اجتهاده فيما وقع لهم طالع ذلك من الكتب المصنفة فيه، فقد أفرد القاضي فيه كتاباً، وذكره في كتبه وغيره من العلماء المصنفين.

د ـ موجبات التفضيل وأسبابه:

منها:

⊛ الإمامة والخلافة:

يقول الإمام ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله تعالى: «وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون الهادون المهديون أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين»[2].

---

(1) إكمال المعلم(7/ 380-381) وهو ما قرره الإمام أبو العباس القرطبي في المفهم (6/ 238).

(2) يقول العلامة الفقيه زروق رحمه الله تعالى في شرح الرسالة: «الرواية هنا (وأفضل أصحابه) وفي رواية (الصحابة الخلفاء) وهم القائمون بأمر الأمة بعد موته عليه السلام وأولهم أبو بكر عبد الله بن عثمان أبو قحافة بويع له يوم وفاته ﷺ بإجماع الصحابة، وإن توقف بعضهم للتروي في النظر، فقد لحق بهم =

قال القاضي عياض: «والمشهور عن مالك وسفيان، وكافة أئمة الحديث والفقهاء، وكثير من المتكلمين ترتيب الأربعة في الفضل حسب ترتيبهم في الخلافة»[1].

وهذا القول يكاد يكون محل إجماع داخل المذهب يدل على ذلك:

صريح أقوالهم وفي مواطن مختلفة:

× قول الإمام ابن أبي زيد القيرواني في المقدمة العقدية لكتابه الرسالة، قال رحمه الله تعالى «وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون الهادون تامهديون أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين».

× والإمام الباجي في كتابه سنن الصالحين[2].

× والسنوسي في العقيدة الكبرى[3].

نعم ـ اختلفت الرواية في المدونة، ففي رواية بعضهم: أبو بكر ثم عمر (ثم عثمان) وقال: أو في ذلك شك؟ و سقط: ثم عثمان من رواية اكثرهم.

= في وقته، فتم الإجماع على تقديمه، وكذلك على تقديم عمر بعده رضي الله عنهما. قال أبو منصور السمعاني: «أجمع أهل السنة على أفضلية أبي بكر على كل الصحابة» قال: «ولا يعتد بخلاف الروافض وغيرهم، ثم لا خلاف أن ليس بعد أبي بكر إلا عمر في الفضل.

والتحقيق: أن الخلفاء الأربع في الفضل على مراتبهم في الخلافة. قال ابن رشد: «و هو المعمول به من قول مالك «وفي المدونة: أنه سئل من خير الناس بعد النبي ﷺ؟ فقال: أبو بكر ثم عمر، قال أو في ذلك شك قيل: فعلي و عثمان قال ما أدركت أحداً يعتد به بفضل أحدهما على صاحبه، ويرى الكف عن ذلك، وعنه: «أدركت أهل العلم ببلدنا لا يفضلون أحدا من الصحابة على أحد، ويقولون: الكل فضلاء» وعليه رواية العطف بالواو في الجميع هنا فهي إذا ثلاثة أقوال كلها لمالك» (1/ 67-68).

(1) إكمال المعلم (7/ 382) وانظر كذلك (7/ 379) منه.

(2) مخطوط خاص.

(3) تقدم النقل عنه .

واختلف في تأويل قوله في الكف عن عثمان و علي، وما تقدم في ذلك قبل، فقيل: هو على ظاهره. وقيل: إنه رجع عنه إلى القول الأول. ويحتمل أن يكون كفه وكف من اقتدى به لما كان شجر في ذلك من الاختلاف و التعصب حتى كان الناس فرقتين، علوية و عثمانية لهذا. وقد قيل: إن سبب قوله بالتفضيل بيهما (لما) طلبته العلوية حتى امتحن بما امتحن به رحمه الله»[1].

ويقول الإمام أبو العباس القرطبي: «وقد اختلف أئمة أهل السنة في علي وعثمان رضي الله عنهما فالجمهور منهم على تقديم عثمان، وقد روي عن مالك: أنه توقف في ذلك، وروي عنه أنه رجع إلى ما عليه الجمهور، وهو الأصح إن شاء الله، والمسألة اجتهادية لا قطعية، ومستندها الكلي: أن هؤلاء الأربعة: هم الذين اختارهم الله تعالى لخلافة نبيه، ولإقامة دينه فمراتبهم عنده بحسب ترتيبهم في الخلافة، إلى ما ينضاف إلى ذلك بما يشهدلك واحدمنهم من شهادات النبي ﷺ له بذلك تأصيلاً وتفصيلاً، على ما يأتي إن شاء الله تعالى»[2]...

⊛ السبق:

يقول الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى في مقدمة الاستيعاب: «بل فضل السابقين منهم و أهل الاختصاص به على من لم ينل منازلهم فقال لهم: لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه. وهذا من معنى قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾. ومحال أن يستوي من قاتله رسول الله ﷺ مع من قاتل عنه. وقال رسول الله ﷺ لبعض من لم يشهد بدرا

(1) إكمال المعلم (7/ 382).
(2) المفهم (6/ 238-239).

ـ وقد رآه يمشي بين يدي أبي بكر ـ تمشي بين يدي من هو خير منك؟ و هذا لأنه قد كان أعلمنا ذلك في الجملة لمن شهد بدراً والحديبية. ولكل طبقة منهم منزلة معروفة وحال موصوفة، وسنذكر في باب كل واحد منهم ما بلغنا من ذلك إن شاء الله تعالى»[1].

وفصل الكلام في الموضوع الإمام ابن العربي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

فقال رحمه الله: «المسألة الأولى: في تحقيق السبق: وهو التقدم في الصفة، أو في الزمان، أو في المكان، فالصفة الإيمان، والزمن لمن حصل في أوان قبل أوان، والمكان من تبوأ دار النصرة، واتخذه بدلا عن موضع الهجرة، وهم على ثماني مراتب:

- الأولى: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسعد، وبلال، وغيرهم. الثانية: دار الندوة.
- الثالثة: مهاجرة أصحاب الحبشة، كعثمان، والزبير .
- الرابعة: أصحاب العقبتين، وهم الأنصار.
- الخامسة: قوم أدركوا النبي ﷺ وهو بقباء قبل أن يدخل المدينة.
- السادسة: من صلى إلى القبلتين.
- السابعة: أهل بدر.

---

(1) الاستيعاب (ص 18) .

➢ الثامنة: أهل الحديبية، وبهم انقطعت الأولية»[1].

وقال أيضاً: «المسألة الخامسة ـ إذا ثبتت هذه المراتب،وبينت الخطط فإن السابق إلى كل خير، والمتقدم إلى الطاعة أفضل المصلي فيها والتالي بها، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ ولكن من سبق أكرم عند الله مرتبة،وأوفى أجراً، ولو لم يكن للسابق من الفضل إلا اقتداء التالي به، واهتداؤه بهديه، فيكون له ثواب عمله في نفسه، ومثل ثواب من اتبعه مقتدياً به... ولذلك قلنا: إن الصلاة في أول الوقت أفضل من تأخيرها عنه، ولا خلاف في المذهب فيه»[2].

وروى الإمام مالك في الموطأ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ، لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة وأصحابه فأخبروه بأن الوبأ وقع بالشام، فقال عمر: ادع المهاجرين الأولين فشاورهم، واختلفوا، ثم دعا المهاجرين الآخرين فاختلفوا، ثم دعا الأنصار فسلكوا سبيلهم. ثم قال: ادعوا لي مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوهم فلم يختلفوا في الرجوع عن الوبإ كبقية أصحاب النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ. الحديث».

يقول الإمام ابن العربي في شرح الحديث من المسالك: «(الفائدة) العاشرة: فيه ترتيب الناس على منازلهم... الحادية عشرة: فيه البداية بالهجرة وهي المنزلة الثالثة في الدين، والرابعة هي النصرة. وتقديمها على النصرة وقد بينا ذلك في كتاب الجهاد في قوله: (لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار) الثانية عشر: فيه تقديمه مشيخة قريش

---

(1) أحكام القرآن (2/ 570).

(2) نفسه (2/ 572-573) وفي المسألة السادسة بين أن أفضل وجوه السبق هو: الصفات.

على من سواهم من الناس، لفضل البيتية، ولحرمة القرابة، وبعد ذلك فلا فضيلة، بال الناس سواء كأسنان المشط، إلا من قدمه العلم والعمل»[1].

× الموت في حياة رسول الله ﷺ:

ذكره الإمام القاضي عياض في الإكمال، قال رحمه الله «و ذهبت طائفة من العلماء إلى أن من مات من الصحابة في حياة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أفضل ممن بقيَ بعده، وهو اختيار أبي عمر ابن عبد البر»[2].

× ضوابط وشروط:

- وجوب اعتقاد فضل جميعهم

التعيين في الفاضل والإطلاق في المفضول. يقول الإمام ابن عبد البر في مقدمة الاستيعاب: «و لم يأت عنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه فضل منهم واحداً على صاحبه بعينه من وجه يصح، ولكنه ذكر من فضائلهم ما يستدل به على مواضعهم ومنازلهم من الفضل والدين والعلم، وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحلم وأكرم معاشرة، وأعلم بمحاسن الأخلاق من أن يواجه فاضلاً منهم بأن غيره أفضل منه، فيجد من ذلك في نفسه»[3].

- أساس التفضيل الخصائص والخصال الحميدة

- لزوم طريق الأدب معهم رضي الله عنهم أجمعين.

---

(1) المسالك (7/ 210-211).
(2) إكمال المعلم (7/ 3829).
(3) الاستيعاب (1/ 18).

☒ خامساً ـ فيما يتعلق بالحرمة:

قد بينا فيما تقدم موقف الإمام في باب اعتقاد حرمتهم، وأنه استفاضت المنقولات عنه في بيان مواقفه الخالدة في الذب عن حرماتهم، والتصدي بكل صرامة للمبغضين لهم.

ومن الأقوال المأثورة عنه رضي الله عنه:

× أخرج أبو نعيم عن عبد الله العنبري قال: «قال مالك بن أنس: من تنقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، أو كان في قلبه عليهم غل، فليس له حق في فيء المسلمين، ثم تلا قوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ حتى أتى قوله ﴿وَالذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِے قُلُوبِنَا غِلّاً..﴾[1] الآية، فمن تنقصهم أو كان في قلبه عليهم غل، فليس له في الفيء حق»[2].

× وأخرج أيضاً عن رجل من ولد الزبير قال: «كنا عند مالك فذكروا رجلا يتنقص أصحاب رسول الله ﷺ، فقرأ مالك هذه الآية: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ﴾ حتى بلغ ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾[3]، قال مالك: «من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته الآية»[4].

× وأورد القاضي عياض عن أشهب بن عبد العزيز قال: «كنا عند مالك إذ وقف عليه رجل من العلويين، وكانوا يقبلون على مجلسه فناداه: يا أبا عبد الله فأشرف له مالك، و لم

---

(1) سورة الحشر: الآية 10.

(2) الحلية (6/ 327).

(3) سورة الفتح: الآية 29.

(4) نفس المصدر السابق.

يكن إذا ناداه أحد يجيبه أكثر من أن يشرف برأسه، فقال له الطالبي: إني أريد أن أجعلك حجة فيما بيني وبين الله، إذا قدمت عليه فسألني قلت له مالك قال لي.

× فقال له: قل

فقال: من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟

×قال: أبو بكر

قال العلوي: ثم من؟

× قال مالك: ثم عمر

قال العلوي: ثم من؟

×قال: الخليفة المقتول ظلما عثمان.

قال العلوي: والله لا أجالسك أبدا.

× قال له مالك: فالخيار إليك»[1].

وقد عقد الإمام القاضي عياض في بيان تعظيم حقوقهم وحرماتهم فصلاً مستقلاً، قال في مطلعه: «فصل ـ ومن توقيره وبره صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم، والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم، والاستغفار لهم، والإمساك عما شجر بينهم، ومعاداة من عاداهم، والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم..»[2].

وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ.

---

(1) ترتيب المدارك (2/ 44-45)
(2) الشفا (2/ 52)

فهرس المصادر والمراجع

- إحكام الفصول في أحكام الأصول للإمام الباجي، تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري، مؤسسة الرسالة.
- أحكام القرآن للإمام ابن العربي، مراجعة وعناية الأستاذ محمد عبد القادرعطا، طبعة/ 1408-1988م، دار الكتب العلمية بيروت.
- الاستيعاب للإمام ابن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها.
- انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك، للإمام الراعي، تحقيق الدكتور محمد أبو الأجفان، الطبعة الأولى دار الغرب الإسلامي.
- الانتصار لأهل المدينة للإمام ابن الفخار، تحقيق الدكتورمحمد التمسماني الإدريسي، الطبعة الأولى/1430-2009م، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث الرابطة المحمدية للعلماء.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للإمام القاضي عياض. من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية الطبعة الثانية/1403-1983م.
- تقريب الوصول إلى علم الأصول للإمام ابن جزي، دراسة وتحقيق الدكتور عبدالله محمد الجبوري، طبعة/1422-2002م دار النفائس الأردن.
- الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة للعلامة حسن المشاط، تحقيق الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان طبعة/1411-1990م، دار الغرب الإسلامي بيروت.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم الأصفهاني المكتبة السلفية.

- شرح التنقيح للإمام القرافي، عناية طه عبد الرؤوف سعد، الطبعة الأولى/1393-1973م، دار الفكر.
- شرح العلامة زروق على الرسالة دار الفكر.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للإمام القاضي عياض، دار الكتب العلمية.
- العقيدة الكبرى مع شرحها للإمام السنوسي، عناية عبد الله بركة، الطبعة الأولى/1406-1977م دار القلم.
- المحصول في أصول الفقه للإمام ابن العربي، عناية حسين علي اليدري، طبعة/1420-1999م دار البيارق.
- المسالك في شرح موطأ مالك للإمام ابن العربي، قرأه وعلق عليه الدكتور محمد ابن الحسين السليماني والدكتورة عائشة بنت الحسين السليماني، الطبعة الأولى 1428-2007م، دار الغرب الإسلامي بيروت.
- مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول للإمام التلمساني، تحقيق الدكتور محمد علي فركوس، طبعة/1419-1998م، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع.
- المنجور وحواشيه على الكبرى، دراسة وتحقيق نورالدين عجرود، رسالة أطروحة مرقونة بمكتبة كلية أصول الدين.
- الموافقات في أصول الشريعة للإمام الشاطبي، مع شرحه للشيخ عبد الله دراز، المكتبة التجارية الكبرى-مصر.

اتباع السنة عند المالكية وموقفهم من منتقصي الصحابة «مالكية الغرب الإسلامي خلال القرنين الثالث والرابع نموذجا»

د. محمد العلمي

ملخص البحث

بحث علمـاء الإسلام في الصحابة من عدة جهات، واختص أهـل كل علـم بـمقالات وقواعد متصلة بالصحابة الكرام حسب أهميتهم فيه، وسنذكر في هـذه الورقـة مواقـف المـالكية في إفريقية من متنقصي الصحابة في القرنين الرابع والخامس، كأنـموذج لإطباق المـالكية على نصرة الصحابة ومحبتهم من جهة، ولتـسننهم واتبـاعهم مـن جهـة أخـرى، وحيث إن محبة الصحابة فرع عن اتباع السنة والجمـاعة، فسنقسم هذه الورقة إلى ثلاث مباحث:

أ- اتباع السنة عند المـالكية.

ب- لـمحة عن نصرة المـالكية للصحابة عمومـا.

ج- مواقف مـالكية القيروان من منتقصي الصحابة، ونصرتهم للصحابة.

الباحث في سطور

الدكتور محمد العلمي Alami1967@gmail.com

من مواليد: 06 يونيو 1967 بالرباط.

- أستاذ الفقه الإسلامي والنظريات الفقهية والسياسة الشرعية، بكلية الحقوق بسلا ـ جامعة محمد الخامس السويسي.
- دكتوراه الدولة في الفقه الإسلامي بدار الحديث الحسنية بالرباط سنة 2001م .
- أستاذ سابق بكلية الشريعة ـ جامعة القرويين بفاس من سنة 1993م إلى سنة 2004م.

أهم مؤلفاته وبحوثه المنشورة:

- مقال: «الوثائق المجموعة لابن فتوح تصدر منسوبة لعبد الملك المراكشي باسم مستعار، رد على د حسين مؤنس».
- المدرسة البغدادية للمذهب المالكي.
- المستوعب في الخلاف العالي عند المالكية، وهو تحت الطبع بمركز الدراسات والأبحاث ـ الرابطة المحمدية.
- «الذب عن مذهب مالك» لابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ)، دراسة وتحقيق في مجلدين، وهو تحت الطبع، وغيرها.

مقدمة

بحث علمـاء الإسلام في الصحابة من عدة جهات، واختص أهل كل علم بمقالات وقواعد متصلة بالصحابة الكرام حسب أهميتهم فيه.

ففي أصول الفقه، تجد الصحابة محلا للنظر في موضعين كبيرين على الخصوص، أولهما: في مباحث السنة، حيث يتعرضون لمعنى الصحابي بقصد تحرير شرط اتصال السند وتمييز متصل الحديث عن مرسله، قال المحلي: «تبحث عن المرسل الذي سقط منه الصحابي، فلا بد من معرفة الصحابي»[1]، وثانيهما: حجية قول الصحابي في الفروع، وهل يعتمد قوله أصلا شرعيا وقاعدة للفتوى، لاختصاصهم بالمعرفة والمعاينة للوحي ولأحوال النبي ﷺ[2].

وفي علوم الحديث يستثني المحدثون الصحابة من «الجرح والتعديل»، لما ثبت لهم في الأصول من القطع بعدالتهم، وينظرون في باقي رجال السند سواهم، وذلك إكراما لمنصبهم وإجلالا لهم عن احتمال الكذب والجرحة المسقطة للعدالة.

كما اعتنوا بتوثيق حياة الصحابة وتتبع دخولهم للأمصار، ومن أخذ عنهم من التابعين، وما رووه من أحاديث وآثار، وتعد معرفة الصحابة فنا أصيلا من علوم الحديث، كما يعد تمييزهم عن سواهم أرقى شكل انتهى إليه هذا العلم بتأليف الحافظ ابن حجر العسقلاني لكتابه الشهير «الإصابة في تمييز الصحابة».

---

(1) شرح المحلي على جمع الجوامع.

(2) لم نذكر هنا ما يرد الصحابة فيه تبعا، أو في صلب الاحتجاج للمسائل، كإجماع الصحابة وسلب العدالة ممن سبهم، ودرجة الحديث الموقوف، واشتراط معرفة سيرهم للمجتهد...

واعتنى رواة الحديث الفقهاء بفتاوى الصحابة وفقههم، وما نقل عنهم من تأويل للنصوص الشرعية، وما اختاروه فيها من معان ووجوه، وما نزعوا به من حجج وتوجيهات، وهذا صنيع المصنفين في الآثار والاختلاف، كابن أبي شيبة (ت235هـ) وعبد الرزاق (ت211هـ) وسعيد بن منصور، ثم محمد بن إبراهيم بن المنذر(ت318هـ) والساجي (ت307هـ) ومحمد بن إسحاق المروزي، وغيرهم.

واهتم الفقهاء بالصحابة من عدة جوانب، ففي كتاب الجامع من مؤلفات الفقه المالكي، يتعرضون إلى تعظيم قدر الصحابة ومحلهم من الدين، ووجوب توقيرهم وتفضيلهم، وحرمة الإساءة إليهم والطعن عليهم.

ويختص النوازليون منهم بالإجابة على ما يجد من واقعات يتعرض فيها بعضهم للصحابة أو يقدح فيهم أو تنتحل نحلة تفضي إلى الانتقاص منهم.

ويهتم علماء السياسة الشرعية بالبحث في الصحابة باعتبار تأسيسهم لأول نظام إسلامي للحكم بعد النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو النظام القدوة لكل الحكومات اللاحقة، وفيه تقررت القواعد الأساسية للحكم الراشد في التاريخ الإسلامي، ولهذا قال الجويني في الغياثي: «لم نجد للمسائل القطعية في الإمامة سوى الإجماع»[1]، وهو يقصد إجماع الصحابة على تولية إمام جامع لكلمة الناس مدبر لشؤونهم.

وأما في علم الكلام والتوحيد، فما كان الصحابة ليدخلوا في مباحث العقيدة وقواعدها، فهم بشر أتباع، منفصلون عن الوحي وعن المباحث النظرية للتوحيد، لولا ما تعرضت له أعراضهم من طعن وإزراء من طرف بعض الطوائف والفرق في عهد الفتنة وما بعدها [بعد مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه].

---

(1) غياث الأمم في التياث الظلم للجويني (ص75).

فقد خصص الشيعة منذ نشأتهم العترة النبوية وذرية سيدنا الحسين بن علي بالمحبة والنصرة والتعصب، وأصابهم في ذلك غلو شديد، حيث أبطل الإمامية منهم عدالة من سواهم ممن خالفهم، بمن فيهم أبو بكر وعمر، وبنوا على فتن الصدر الأول عقائد وعبادات وعواطف جياشة ببغض نفر من كرام الصحابة، فيدعون على بعضهم ويلعنون بعضهم، ويعلون من شأن شانئيهم وقاتليهم.

وفي المقابل عادى النواصب آل البيت رضي الله عنهم، وآذوهم قولا وعملا، وقد كثروا في زمن الأمويين والعباسيين، ثم انقرضوا ولم يقم لهم مذهب.

ويجمع بين مثالب هذين الفريقين الخوارج، الذين ناوأوا الجميع، وناصبوا جل الصحابة العداء[1]، وكفروهم وأخرجوهم من الملة رأسا، وسعوا إلى قتل من قدروا عليه منهم، مصيرا محرفا إلى القاعدة الشهيرة: «لا حكم إلا لله».

ونظرا لما تفضي إليه مقالات هذه الفرق من ثلم في أصل الدين وإبطال للشريعة، ومن فراغ تشريعي عظيم، إذ بدون الصحابة تبقى نصوص الشريعة للمسلمين مجملة غير قابلة للبيان، ونظرا لما في الطعن في الصحابة من إطاحة بالقدوة التي اختصوا بها، حيث سيجد المسلمون أنفسهم أمام إسلام لم يتحقق في واقع ولا دخل في تاريخ، نظرا لهذه العوامل مجتمعة أجمع أهل السنة والجماعة على حماية الدين بحماية نقلته وحملته من الصحابة، ووضع المتكلمون السنة من الأشاعرة والماتريدية وأهل الحديث القواعد الصارمة التي تبوئ للصحابة موقعهم الخطر في العقيدة الإسلامية، وتحمي أعراضهم من طعن الثالبين، وتعلي مقامهم إلى ما هم له أهل من التوقير والتعظيم، وتقرر الأسس الوسط بين الغلو والشطط في حقهم، فلا ينقص من حقهم أو يغض من

(1) أي بعد التحكيم.

جهادهم، ولا تكتب العصمة لهم، وكلُّ ما تركب على بشريتهم أو اجتهاداتهم واختلافاتهم من أحداث يؤمر الناس بالسكوت عنها والتفويض فيها.

وما كان المتكلمون ليدرجوا في العقائد الصحابة الكرام لولا ما تناوشتهم به الفرق الزائغة من طعن وثلب وتجريح.

وسنذكر في هذه الورقة مواقف المالكية في إفريقية من منتقصي الصحابة في القرنين الرابع والخامس، كأنموذج لإطباق المالكية على نصرة الصحابة ومحبتهم من جهة، ولتسننهم واتباعهم من جهة أخرى، وحيث إن محبة الصحابة فرع عن اتباع السنة والجماعة، فسنقسم هذه الورقة إلى ثلاثة مباحث:

أ- اتباع السنة عند المالكية

ب- لمحة عن نصرة المالكية للصحابة عموما

ج - مواقف مالكية القيروان من منتقصي الصحابة، ونصرتهم للصحابة.

المبحث الأول: تفرد المالكية باتباع السنة وسلامة المعتقد أكثر من سائر المذاهب السنية الأخرى

تفرد المذهب المالكي من سائر المذاهب السنية بتطابق الفقه والعقيدة فيه، على أرضية السنة والاتباع ونصرة عقيدة الجماعة، التي عليها جمهور المسلمون وسوادهم الأعظم منذ عهد الصحابة الكرام، ولم يوجد في مذاهب الإسلام وفقهائه من تشدد في حماية السنة ونصرتها ومناوأة الابتداع والنحل الحادثة كالمالكية.

ففي الأمصار التي غلب عليها المذهب المالكي كالمغرب والأندلس وإفريقية، جاهد المالكية قرونا لتصفية جيوب النحل الزائغة التي زاحمت مذهب السنة والجماعة في الغرب الإسلامي.

1 - ففي الأندلس تمسك الناس عامةً وعلماء وأمراء بالسنة ومذهب أهل المدينة منذ أوائل القرن الثاني، وتميز معتقدهم بالتسليم والاتباع وعدم الخوض، ومجانبة التعمق، والتباعد عن الكلام والفلسفات، قال ابن حارث: «أرض الأندلس الجارية على مذهب التقليد والتسليم»[1]، وقال ابن حزم: «وأما علم الكلام فإن بلادنا وإن لم تتجاذب فيها الخصوم، ولا اختلفت فيها النحل، فقل تصرفهم في هذا الباب، فهي على كل حال غير عرية عنه»[2]، بل قال ابن عبد البر: «أهل الكلام أهل بدعة وزيغ، ولا يعدون عند الجميع في طبقات العلماء»[3]، وقال الإمام الذهبي: «وقبل ذلك [قبل النصف الأول من القرن الخامس] كان علماء المغرب لا يدخلون في الكلام، بل

(1) أخبار الفقهاء والمحدثين بالأندلس (ص178).

(2) رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها (ص186).

(3) جامع بيان العلم (ص416).

يتقنون الفقه أو الحديث أو العربية، ولا يخوضون في المعقولات، وعلى ذلك كان الأصيلي وأبو الوليد ابن الفرضي وأبو عمر الطلمنكي ومكي القيسي وأبو عمرو الداني وأبو عمر ابن عبد البر والعلماء»[1].

وإذا كان الأندلسيون المتأخرون منذ القرن الخامس قد رسخوا في علم الكلام مع ابن الحوات (ت405هـ) والباجي (ت474هـ) وابن العربي (ت543هـ) وغيرهم، فإنهم إنما نشروا عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري، ولم يتلبسوا بغيرها، كما أن الباعث على إدخال الكلام والترسم بمسالكه هو التسلل الخفي للاعتزال وبعض مقالات الباطنية إلى الأندلس، ما كان سببا في انتقال علمائها من التسليم إلى الاستدلال على أصول الاعتقادات، ويبين ابن العربي وابن حزم هذا الباعث، فيقول ابن العربي: «قد رحل قوم من الضُّلال كمسلمة بن القاسم ومحمد بن مسرة فجاؤوا بكل مضرة ومعرة، ورحل البلوطي ولقي الجبائي فجاء ببدعة القدرية في الاعتقاد ونحلة الداودية في الأعمال»[2]، ويقول ابن حزم (ت456هـ): «وقد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال، نظار على أصوله، ولهم فيه تواليف منهم خليل بن إسحاق، ويحيى بن السمينة والحاجب موسى بن حدير وأخوه الوزير صاحب المظالم أحمد، وكان داعية إلى الاعتزال لا يستتر بذلك»[3].

وإضافة إلى من أشار إليه ابن العربي وابن حزم يذكر المؤرخون عددا من المتكلمين المعتزلة والباطنية الذين دبت بهم إلى الأندلس أفكار كادت تزل بالناس، لولا أن تداركهم الله بأئمة الأشاعرة الذين ردوا على هؤلاء وأسسوا للعقائد أسسا آمنة من النظر الصحيح.

---

(1) سير أعلام النبلاء (17/ 558).

(2) العواصم من القواصم (ص368).

(3) رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها (ص186)، التكملة لكتاب الصلة (2/ 171، 438).

ومع ذلك فقد بقيت الأندلس على هامش الاشتغال في علم الكلام الأشعري، وتمسك جمهرة فقهاء المالكية بالتسليم وعدم الخوض، وتقرير العقائد بطرق بسيطة للناس، ولم يكونوا يلجؤون إلى الكلام إلا لسد ثغرة الذود عن العقيدة، ويمكن اعتبار المقدمة التي صدر بها ابن رشد الفقيه (ت520هـ) كتاب المقدمات الممهدات مثلا صادقا للطريقة الأندلسية في تبليغ العقيدة للناس، فهي جامعة بين الوضوح والبساطة وعدم الخوض في تفاصيل الكلام ورسومه.

2- أما المغرب الأقصى فقد توزعته الأهواء بعد دخول الإسلام إليه، إذ عمت الصفرية والإباضية في السوس وطنجة وسجلماسة، ثم ظهرت فيه دولة البرغواطيين بتامسنا [بين آسفي وسلا]، وهي دولة قوم متنبئين[1]، جمعوا في عقائدهم بين الوثنية وبعض الأحكام الدينية المحرفة[2].

---

(1) أسسها صالح بن طريف البرغواطي المتنبئ. انظر الاستقصاء (1/ 170).

(2) قال الناصري نقلا عن صاحب القرطاس: «كان الضلال الذي شرع لهم أنهم يقرون بنبوته، وأنهم يصومون شهر رجب، ويأكلون شهر رمضان، وفرض عليهم عشر صلوات: خمسا بالليل وخمسا بالنهار، وأن الأضحية واجبة على كل شخص في الحادي والعشرين من المحرم، وشرع لهم في الوضوء غسل السرة والخاصرتين، وأمرهم أن لا يغتسلوا من جنابة إلا من حرام، وصلاتهم غيماء لا سجود فيها لكنهم يسجدون في آخر ركعة خمس سجدات ويقولون عند تناول الطعام والشراب باسمك يا كساي وزعم أن تفسيره بسم الله وأمرهم أن يخرجوا العشر من جميع الثمار وأباح لهم أن يتزوج الرجل من النساء ما يشاء ولا يتزوج من بنات عمه ويطلقون ويراجعون ألف مرة في اليوم فلا تحرم عليهم المرأة بشيء من ذلك وأمرهم بقتل السارق حيث وجد وزعم أنه لا يطهره من ذنبه إلا السيف وأن الدية تكون من البقر وحرم عليهم رأس كل حيوان والدجاجة مكروه أكلها وقدوتهم في الأوقات الديكة وحرم عليهم ذبحها وأكلها، ومن ذبح ديكا أو أكله أعتق رقبة، وأمرهم أن يلحسوا بصاق ذبحها وأكلها ومن ذبح ديكا أو أكله أعتق رقبة وأمرهم أن يلحسوا بصاق ولاتهم على سبيل التبرك فكان يبصق في أكفهم فيلحسونه ويحملونه إلى مرضاهم يستشفون به ووضع لهم =

وظهر العبيديون الشيعة بالمغرب [بفاس[1] وسجلماسة]، ومنه خرجوا للاستقرار بالمهدية سنة 297هـ.

لكن ظهور دولة الملثمين في القرن الخامس الهجري عجل بنهاية هذه النحل الحادثة، بحيث جعل يحيى بن إبراهيم وعبد الله بن ياسين هدفهما الأول القضاء على البرغواطية وغيرها، فتم للمرابطين ذلك قبل أن يفتحوا الأندلس كما هو معروف، وتأسست بالمرابطين أول دولة في المغرب الأقصى على مذهب مالك وعقيدة السنة الصحيحة.

وظل مالكية المغرب الأقصى ـ طوال تاريخهم ـ متيقظين لكل ما ترمي به الحركة العلمية والسياسية من عقائد طارئة ونحل زائفة، فما إن ينبغ مبتدع أو متنبئ حتى يرمى بسهام النقض وأنصال الرد، صيانة للجماعة وللقواعد التي احتضنت الاستقرار الاجتماعي بالمغرب.

ولهذا السبب جاء في بعض فتاوى القرن الخامس في المعيار المعرب: «وأما ما سماه الناس من علم الكلام، فهذا أيضا يختلف حال الناس فيه، فاليسير منه في معرفة الاعتقادات من تأليف بعض الفقهاء وبعض المتكلمين فيه كفاية، لأن المزيد في هذا

= قرآنا يقرؤونه في صلواتهم ويتلونه في مساجدهم وزعم أنه نزل عليه وأنه وحي من الله تعالى إليه ومن شك في ذلك فهو كافر والقرآن الذي شرع لهم ثمانون سورة سماها لهم بأسماء النبيين وغيرهم منها سورة آدم وسورة نوح وسورة فرعون وسورة موسى وسورة هارون وسورة بني إسرائيل وسورة الأسباط وسورة أيوب وسورة يونس وسورة الجمل وسورة الديك وسورة الحجل وسورة الجراد وسورة هاروت وماروت وسورة إبليس وسورة الحشر وسورة غرائب الدنيا وفيها العلم العظيم بزعمهم حرم فيها وحلل وشرع وفصل وتسمى فيهم بصالح المؤمنين وقال أنا صالح المؤمنين الذي ذكره الله في كتابه الذي أنزله على محمد». الاستقصاء(1/ 171).

(1) يذكر الونشريسي في المعيار أن العبيديين هم أول من نقل الجمعة إلى جامع القرويين.

والاتساع منه إنما يراد في بلد تكثر فيها البدع، أو لمن يرجى أن يكون إماما في هذا العلم، فيرد على أهل البدع، وتختلف البلدان فيه ويختلف الناس فيه .. وهذا إنما يتأكد في بلدان المشرق لكثرة البدع، وأما المغرب فسالم من هذا في هذا الوقت، واليسير منه يكفي إذا وجد من يستمع معه، وقد قل هذا في المغرب وما من كان يتسع معه فيه إلا القليل، فإذا وجد من يتعلم منه فالأمر يختلف .. فرب رجل يقنع بمثل ما ذكر أبو محمد في رسالته النافعة، ورب رجل يصلح له أكثر من ذلك كالتمهيد للقاضي ونحوه»[1].

3- أما إفريقية [أي تونس والقيروان وما يتصل بهما من البلاد] فقد دخلتها مبكرا ثلاث فرق مخالفة لأهل السنة:

> **أولها:** الخوارج، حيث أسس لهم عكرمة البربري بها دارا، قال يحيى بن بكير: «الخوارج الذين بالمغرب عنه أخذوا»[2]، واتخذوا من البربر الذين لم يرسخ فيهم العلم والسنة آنذاك قاعدتهم وأشياعهم.

> **وثانيها:** الاعتزال، الذي دخل القيروان على يد تلاميذ واصل بن عطاء (ت116هـ)، ويحكي القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت415هـ) أن واصلا أرسل «عبد الله بن الحارث إلى المغرب، فأجابه خلق كثير»[3]، كما ينقل الجاحظ في البيان والتبيين ما يفيد هذا عن شاعرهم صفوان الأنصاري الذي يقول في مادح واصل بن عطاء:

---

(1) المعيار (11/ 230).

(2) تهذيب التهذيب (7/ 237). وفيه «قال ابن المديني: إنما لم يذكر مالك بن أنس عكرمة لأن عكرمة كان ينتحل رأي الصفرية».

(3) المنية والأمل (ص25).

له خلف شعب الصين في كل ثغرة إلى سوسها الأقصى وخلف البرابر
رجال دعاة لا يفل عزيمهم تهكم جبار ولا كيد ماكر
وأوتاد أرض الله في كل بلدة وموضع فتياهم وعلم التشاجر[1]

> وثالثها: التشيع، ففي عموم المغرب انتشرت الدعوة إليهم، وكثر الداخل فيها من البربر، حتى أسسوا دولتهم بإفريقية سنة 297هـ، وأطاحوا بدولة بني الأغلب.

والحق الذي لا مرية فيه أن مالكية إفريقية كانوا أكثر الناس ابتلاء في مسائل التوحيد من غيرهم من مالكية الغرب الإسلامي، وخصوصا بين سنتي 297 و367هـ، حيث اشتدت عليهم وطأة العبيديين الفاطمية، الذين بالغوا في اضطهادهم وعدم التسامح الديني معهم.

وتتلخص مواجهة المالكية للفرق الزائغة والمناوئة للسنة بإفريقية في أربعة وجوه، هي: **أولا**: إقامة السنة وإحياء قيم الاتباع، **ثانيا**: مناظرة هذه الفرق والرد العلمي عليها ومغالبتها بالحجج، **ثالثا**: التحذير الاجتماعي منها، وتحصين العامة من غوائلها ومفاتنها، وإقامة الحجة بنصيحة أهلها، أو مناوأتهم ومعاداتهم، ومواجهة جراءتهم، **رابعا**: الانتفاضة المسلحة على العبيديين بالخصوص،، فثاروا عليهم أولا بالتنسيق مع الخوارج، ورجحوا ذلك بأن الخوارج وإن كانوا أهل بدعة فهم مسلمون، بخلاف العبيديين فإن دولتهم دولة مجوس، واشترطوا في تلك الثورة المسلحة التي كانت سنة333هـ على القائد الخارجي مخلد بن كيداد، أن يبايعوه على: «كتاب الله وسنة رسول الله ومذهب مالك»، وبعد هذه الانتفاضة الفاشلة أشعل المالكية الثورة الكبرى سنة 441هـ على العبدين وشردوهم كل ممزق، وطووا بساط حكمهم بإفريقية إلى الأبد، وبأفولهم أفلت كل النحل الحادثة بإفريقية.

---

(1) البيان والتبيين (1/ 25).

فلم يكد ينتصف القرن الخامس حتى تهاوت كواكب كل الفرق وغربت شموسها، واستوى الأمر للسنة والعقيدة الصحيحة، واستقامت حياة أهل المغرب على مذهب أهل السنة والجماعة الأشاعرة.

4- أما مصر فبالرغم من أن الخوارج بها ظهروا[1]، فإنها لم تكن أرض بدعة أول الأمر، لذلك لم تكن لمالكية مصر مواقف شهيرة على أهل البدع، وإنما امتحن كبار المالكية بفتنة خلق القرآن في عهد المامون، وكان ممن حمل إلى بغداد فيها محمد بن عبدالله بن عبد الحكم[2]، واستتر بعضهم خلالها، وكان ممن هرب زيد بن بشير الأزدي(ت242هـ) «كان سبب خروجه من مصر الفرار من المحنة في القرآن»[3].

أما المحنة العقدية العظمى على مالكية مصر فقد بدأت منذ سنة 367هـ، حين دخلها العبيديون واتخذوها دارا لإمارتهم، وقد اضطهدوهم أيما اضطهاد، وكان المالكية بمصر صابرين على الاهتضام، إلى أن أتى الله بصلاح الدين الأيوبي الذي أنهى حكم الفاطميين[4]، وحرر أهل السنة من اضطهادهم.

ويجسد هذا المعنى ما نقله «أبو الطاهر بن عوف الزهري أن الطرطوشي كان نزوله بالإسكندرية، ثم باشر قتلَ الأمير [أي العبيدي] بها علماءَها، فوجد البلد عاطلاً عن العلم، فأقام بها وبث علما جما، وكان يقول: إن سألني الله تعالى عن المقام بالإسكندرية ـ لما كانت عليه في أيام الشيعة العبيدية من ترك إقامة الجمعة ومن غير

---

(1) خروج الخوارج كان من مصر والحجاز والعراق.

(2) ترتيب المدارك (4/ 160).

(3) نفسه (4/ 100).

(4) كان آخر ملوك الفاطميين العاضد الذي توفي سنة 567هـ، وبوفاته أعيدت الخطبة للخليفة العباسي بمصر. تاريخ ابن الأثير (11/ 149).

ذلك من المناكر التي كانت في أيامهم ـ أقول له: وجدت قوماً ضلالاً فكنت سبب هدايتهم»[1].

5- أما في العراق، التي لم تكن دارا خالصة للمالكية، وكانت تعج بأهل الأهواء من كل طيف، فقد دار المالكية مع مذهب أهل السنة والجماعة حيث دار، وكان فقهاؤهم وقضاتهم على منوال مالكية المغرب والأندلس، إلا أنهم اختصوا بالريادة في الذب عن العقيدة السنية في عموم بلاد الإسلام، حيث نسب إلى بعض أعلامهم مذهب أهل الحديث، ووضعوا من القواعد والأوضاع ما أوقف الزحف الفكري للاعتزال والتشيع والفلسفة اليونانية وغيرها، ويعتبر أبو الحسن الأشعري[2] وأبو عبدالله بن مجاهد الطائي وأبو بكر الباقلاني ـ وهم مالكية عراقيون ـ المؤسسين الأوائل لعلم الكلام على مذهب أهل الحديث، قبل أن يأخذ مشعله أئمة الشافعية، كالجويني والغزالي والقشيري ومن بعدهم.

هكذا يتحصل أن كل مدارس المذهب المالكي كانت على طريقة أهل السنة والجماعة، ولا يسعنا هنا بسط الصلة بين الاستقرار الاجتماعي وبين العقيدة السنية، حسبنا التنبيه إلى أن أهل السنة هم أهل الجماعة، فسلامة العقيدة هي أساس الأمن الاجتماعي، ولأمر ما سمى أهل السنة العام الذي بايع فيه الحسن بن علي معاوية رضي الله عنهما وهو عام 41هـ بعام الجماعة، نظرا لما حصل بذلك من اجتماع

---

(1) الديباج (ص373).

(2) الشيخ أبو الحسن الأشعري مالكي حسب القاضي عياض، ولكن ابن السبكي عده في طبقات الشافعية شافعيا، ولكل من الإمامين بعض الأمارات والقرائن على ذلك، قال الحجوي معلقا: «ولا بعد في أن يكون مجتهدا، لا هو شافعي ولا مالكي، لما كان عليه من العلم الواسع والفكر الشاسع، ويبعد أن يكون مثله مقلدا في ذلك العصر!». الفكر السامي ط.المكتبة العصرية (ص460).

للشمل وحقن للدماء وأمن للسبل، ولما حصل للناس من الاستقرار والوحدة في البلاد الإسلامية اجتهد أهل السنة اللاحقون في الحفاظ عليها.

- وقد يتساءل المطلع هنا: هل كان المالكية جميعا على معتقد واحد، ألم يكن فيهم «أهل أهواء»؟

والجواب أن عموم المالكية وجمهرتهم الغالبة هم أهل السنة والجماعة منذ الإمام مالك إلى الآن، وأيما رجل كان على مذهب مالك وانتحل عقيدة الاعتزال أو التشيع كان المالكية يسقطون عنه صفة «المالكية»، فلا يذكر في علمائهم ولا ينقل خلافه في العلم، ولا يترجم في طبقات أئمته، وينادى عليه بالنكير والاستبعاد.

➢ وأقتصر هنا على ذكر **مثالين دالين** على هذا الملحظ العام، **أولهما**: أن ابن حارث الخشني ذكر في تاريخه بعض المالكية القرويين ممن تشرق[1] [أي تشيع]، وهنا تنبيهان:

➢ أولهما: أن بعض من تشرق من المالكية فعل ذلك مخافة القتل، بحيث يبقى مسترا بذلك غير مجاهر، كابن القمودي الذي «اضطر إلى الاعتذار وخاف من سفك دمه»[2]، وكمحمد بن حيان، الذي «كان مدنيا صحب سحنون، فتشرق وكان بذلك

---

(1) يعبر بعض المؤرخين المغاربة كالقاضي عياض وابن حارث الخشني والدباغ وابن ناجي عن التشيع العبيدي «بالتشرق»، ويسمون العبيديين بـ «المشارقة»، وقد عقد ابن حارث فصلا لذكر «من تشرق ممن كان ينسب إلى علم من أهل القيروان» من أخبار علماء إفريقية (ص291)، وفي معالم الإيمان(3/ 22) قال ابن ناجي: «الفرقة المعروفة بإفريقية بالمشارقة»، في حين يطلق بعض المؤرخين المشرقيين على العبيديين لقب «المغاربة»، انظر أمثلة لذلك في سير أعلام النبلاء للذهبي (15/ 56-163-167)،(16/ 181)، ومعجم البلدان لياقوت (4/ 264)،(5/ 228-249) وغيرهما.

(2) أخبار علماء إفريقية (ص280).

مستترا»[1]، وكابن الصباغ، قال عنه ابن حارث: «كان قد تشرق لوجه لا أعلمه، والذي لا أشك فيه أنه كان له عذر»[2].

➢ وثانيهما: أن من كان معتقدا في تشرقه متحمسا لتشيعه كان المالكية يبطلون صلته بمذهبهم، فلا يذكرونه في أئمتهم إلا للتنبيه عليه، كربيع بن سليمان بن سالم[3]، وزرارة بن أحمد الذي كان في مذهب الشيعة من الغالين[4]، ولذلك لا توجد لأحد منهما ترجمة عند عياض في المدارك، ولا عند من بعده من أصحاب التراجم المالكية.

والمثال الثاني: أن أحد المعتزلة ممن ينتحل مذهب مالك بمصر، هو علي بن أحمد بن اسماعيل البغدادي، رد عليه المالكية قبح طريقته، وأطبقوا على إبعاده من مذهب أهل المدينة، قال القاضي عياض: «سكن مصر، وكان ينتحل مذهب مالك بن أنس، ويقول بالاعتزال. وكان داعية في ذلك. وكتب إلى فقهاء القيروان رسالة معروفة، يدعوهم فيها الى الاعتزال، والقول بالقدر، والمخلوق، وغير ذلك من مذاهبهم. ويقبح لهم طريقة متكلمي أهل السنّة، ومذهب الأشعري، ويبدّعه، فجاوبوه ـ فقهاء القيروان ـ وردوا عليه، وجاوبه أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله، عن كتابه برسالة معروفة، ظهر فيها علمه وقوته في الكلام بالرد على أهل الأهواء، ونفى عن مالك وأصحابه جميع ما نسب إليه، وجعل يحتج على نقض قوله في القدر من كلام مالك البديع، في رسالته في القدر، إلى ابن وهب رحمه الله تعالى»[5]، قال عياض معلقا: «وهذا الرجل غير معروف

(1) أخبار علماء افريقية (ص291).

(2) نفسه (ص292).

(3) نفسه (ص292).

(4) نفسه (ص295).

(5) ترتيب المدارك (6/ 196).

في المـالكية، ولا معدود فيهم، وإنمـا تسمى بمذهب مـالك لتنفق بدعته عنـد العامـة. فذكرناه تنبيهاً عليه، لا لنستكثر بمثله. أبعد الله مثله»[1].

والجدير بالذكر أن التزام المـالكية بالسنة والجمـاعة، ونأيهم عن سبل الفـرق، كرامـة خص الله بها أهل المدينة عن غيرهم من المذاهب السنية الأخرى.

فبالرغم من أن مذاهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد وداود مذاهب سنية على العموم، وأصحابها أهل ذب على عقائد أهل الحـديث، فقـد وجـد فيهـا بعـض مـن نـسب إلى الاعتزال أو التشيع أو الغلو في الظواهر.

فقد كان من أئمة الشافعية عدد من كبار المعتزلة منهم: القاضي عبد الجبار بن أحمد أبو الحسن الهمداني (ت415هـ) «كان شافعي المذهب وهو مع ذلك شـيخ الاعتـزال ولـه المصنفات الكثيرة في طريقتهم»[2]، ومنهم تلميذه المعتزلي قـاضي القـضاة أبـو الحـسين البصري (ت428هـ) صاحب كتاب المعتمد في الأصول.

ويوجد في الشافعية عدد مـمن قالوا ببعض مقالات المعتزلة، كالحسن والقبح العقلي، حيث قال به منهم: أبو بكر القفال الشاشي، وأبو بكـر الـصيرفي، وأبـو بكـر الفـارسي، والقاضي أبو حامد، والحليمي، وكوجوب شكر المـنعم عقـلا، حيـث ذهـب إليـه مـن الشافعية: أبو العباس بن القاص، وأبو بكر القفال الشاشي، وأبو عبد الله الزبيري وأبـو الحسين بن القطان، وأبو بكر الصيرفي، وأبو علي بن أبي هريرة[3]، ومنهم علي بن محمـد

---

(1) ترتيب المدارك (6/ 196).

(2) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (1/ 26).

(3) قال الزركشي معلقا: «واعلم أن هؤلاء عدوا هذا إلى غيره، فقالوا: يجـب العمـل بخـبر الواحـد عقـلا، وبالقياس عقلا، ونقل ذلك عن ابن سريـج والقفـال وغيرهمـا، وذكـروا في الاعتـذار عـن مـوافقتهم للمعتزلة وجهين: أحدهمـا: أن ذلك كان في أول أمرهم ثم رجعوا عنه، قال ابن عساكر في تاريخه: كـان القفال في أول أمره مـائلا عن الاعتدال قائلا بالاعتزال، ثم رجع إلى مذهب الأشعـري، الثاني: قال =

أبو الحسن الماوردي، «ذكره ابن الصلاح في طبقاته، واتهمه بالاعتزال في بعض المسائل»[1].

وأما الحنفية فقد كان عدد من أئمتهم معتزلة كبارا، كأبي شمر[2]، وجار الله الزمخشري (ت538هـ) ومحمد بن عبد الرحمن بن صبر أبو بكر الحنفي (ت386هـ) «كان معتزليا مشهورا به رأسا في علم الكلام»[3]، وناصر بن أبي المكارم عبد السيد بن علي أبو الفتح المطرزي برهان الدين (ت610هـ) كان «رأسا في الاعتزال»، وغيرهم.

كما رمي بالاعتزال من أئمتهم كثير، كأبي الحسن أحمد بن زيهراد بن مهران السيرافي(ت344هـ) « الفقيه المتكلم من أصحاب أبي حنيفة .. رمي بالاعتزال»[4]، وأحمد بن محمد بن سعيد، أبو نصر النسفي (ت374هـ) «كان من الفقهاء على مذهب أبي حنيفة، وكان يتهم بمذهب الاعتزال»[5]، والفقيه أبو محمد الحسن بن محمد بن أحمد ابن علي الإستراباذي (ت541هـ)، «كان يرى الاعتزال»[6].

ولم يخل مذهب إمام السنة أحمد بن حنبل من بعض المعتزلة، كأبي الوفاء بن عقيل الحنبلي (ت513هـ)، وكعبد السيد بن علي أبي جعفر المعروف بابن الزيتوني(ت542هـ)

= القاضي أبو بكر في كتابه « التقريب» ..: ولما حكينا هذه المذاهب علم أن هذه الطائفة من أصحابنا كابن سريج كانوا قد برعوا [كذا، والمقصود في الفقه] ولم يكن لهم قدم راسخ في الكلام، وطالعوا على الكبر كتب المعتزلة فاستحسنوا عباراتهم غير عالمين بما يؤدي إليه مقالاتهم من قبح القول» وكثير من أصحاب أبي حنيفة العراقيين البحر المحيط (1/ 183 – 184).

(1) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (1/ 36).

(2) فرق وطبقات المعتزلة (ص66).

(3) تاج التراجم في طبقات الحنفية لابن قطلوبغا (ص21).

(4) الطبقات السنية في تراجم الحنفية للتقي الغزي (ص106).

(5) نفسه (ص136).

(6) نفسه (ص239).

«كان حنبلياً من أصحاب أبي الوفاء بن عقيل.. وكان يذهب إلى الاعتزال «توفي سنة اثنتين وأربعين وخمس مائة»[1].

على أن عددا واسعا من الحنابلة بالغ في الإثبات وأفرط في الظواهر حتى نسب بعضهم إلى البدعة، كأبي يعلى (ت450هـ) وابن الزاغوني وابن حامد، وعليهم ألف شيخهم أبو الفرج بن الجوزي رسالته «دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه»، حيث قال عنهم فيه: «وكلامهم صريح في التشبيه[2]، وقد تبعهم خلق من العوام، وقد نصحت التابع والمتبوع، فقلت لهم: يا أصحابنا، أنتم أصحاب نقل واتباع، وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول: وهو تحت السياط: كيف أقول ما لم يقل؟ فإياكم أن تبتدعوا في مهبه ما ليس منه»[3].

كما في مذهب الظاهر معتزلة، كمنذر بن سعيد البلوطي (ت327هـ)، الذي اعتبره ابن العربي أول من أدخل الاعتزال إلى الأندلس كما سبق.

يتحصل لدينا أن المالكية تفردوا بالصبغة السنية لمذهبهم، وبالحساسية المفرطة تجاه الفرق التي تخالف أهل السنة والجماعة.

---

(1) الوافي بالوفيات (6/ 161).

(2) قريب مما لاحظه ابن الجوزي على بعض أئمة المذهب الحنبلي لاحظه القاضي عياض على أحد المالكية وشنع عليه، قال: «إسحاق بن مسلم أبو ابراهيم .. كان يتكلم في الفقه على مذاهب النظار، وفي الأسماء والصفات على طريق المتكلمين وأهل السنّة. وكان نبيلاً متصرفاً، إلا أن ابن حارث حكى عنه أنه يقول بالجسم ولا كالأجسام، وهذا ـ إن صحّ عنه ـ ينفي كل ما وصف به من فهم ونبل، ويدل على إغراق في الجهل وغباوة تامة وقلة علم» ترتيب المدارك (5/ 336).

(3) دفع شبه التشبيه لابن الجوزي، تحقيق محمد زاهد الكوثري (ص33).

المبحث الثاني: اهتمام المالكية بالصحابة

ليس للمالكية كبير إضافة في موضوع الصحابة عن أئمة المذاهب الأخرى، وعن أهل الحديث الذين يعود لهم الفضل في توثيق حياة الصحابة واستمرار التوقير لهم والتعظيم لشأنهم، فالمالكية وسائر مذاهب الحديث والرأي مسهمون بالنصيب الوافر في هذا الباب.

لكنا هنا سنقف على جانب من حرمة الصحابة ومقدارهم العلي عند المالكية، وعلى العناية بهم والتأليف في فضائلهم، مما يعد جذرا ومستندا لمالكية إفريقية في ذبهم عن الصحابة في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

فأول ما يتعين تقديمه في هذا الباب أن كتب الفقه التي كانوا يؤلفونها للمبتدئين كالرسالة، أو للطلبة والمختصين كجامع ابن يونس والمقدمات لابن رشد ومختصر المدونة لابن أبي زيد والذخيرة للقرافي كانوا يقررون فيها قواعد أساسية يجب أن تلقن للطلبة والعامة والصبيان، وأفردوا لذلك كتاب الجامع في هذه المؤلفات[1]، وضمنوه حقوق الصحابة على المسلمين، والتي تتلخص في ستة قواعد وأحكام: 1- أن خير القرون قرن الصحابة، 2- أن أفضل الصحابة الخلفاء الأربعة، و «مراتب هؤلاء الخلفاء الأربعة في الفضل كمراتبهم في الولاية»[2]، 3- الكف عن التفضيل بينهم، قال

(1) قال القرافي: «هذا الكتاب يختص بمذهب مالك، لا يوجد في تصانيف غيره من المذاهب، وهو من محاسن التصنيف، لأنه تقع فيه مسائل لا يناسب وضعها في ربع من أرباع الفقه، أعني العبادات والمعاملات والأقضية والجنايات، فجعلها المالكية في أواخر تصانيفها، وسموها بالجامع، أي الجامع الأشتات من المسائل التي لا تناسب غيره من الكتب، وهي ثلاثة أجناس، ما يتعلق بالعقيدة وما يتعلق بالأقوال وما يتعلق بالأفعال، وهو الأفعال والتروك بجميع الجوارح». الذخيرة (13/ 231).

(2) المقدمات الممهدات (3/ 391).

القرافي: «ليس هذه التفضيلات مما أوجب الله تعالى على المكلف اكتسابه أو اعتقاده، بل.. متى خطرت بالبال أو تحدث فيها اللسان وجب الإنصاف وتوفيه كل ذي حق حقه»[1]، 4- التفضيل بين الصحابة هو على قدر الأسبقية في الإسلام والهجرة، قال ابن يونس: «وأن المهاجرين أفضل عصره عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن أفضلهم العشرة، وأفضل العشرة الأئمة الأربعة، ثم أهل بدر، والمهاجرون على قدر السبق»[2]، 5- تحريم عرض جميع الصحابة، «وكل من صحبه ولو ساعة، أو رآه ولو مرة، فهو بذلك أفضل من أفضل التابعين»[3]، 6- الكف عن ذكرهم إلا بخير وعن الخوض فيما شجر بينهم والتماس أحسن المخارج لهم، قال في الرسالة: «وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج، ويظن بهم أحسن المذاهب»[4].

- ومن قواعد المذهب في الرواية الفقهية أن كل ما نسب إلى مالك في الصحابة يعرض على أصل مالك فيهم، فما وجدوه حائدا عنها حكموا بضعفه ورده.

فمن ذلك أن المالكية يطعنون في كتاب نسب إلى مالك سمي كتاب السر، قال الأبهري: «ولو سمع مالك إنسانا يتكلم ببعض ما فيه لأوجعه ضربا»[5]، قال ابن زكري مبينا: «وهو كتاب منكر، قال ابن فرحون: وقفت عليه فيه من النقص من الصحابة والقدح في دينهم، خصوصا عثمان رضي الله عنه»[6].

(1) الذخيرة (13/ 233).

(2) نفسه (13/ 233).

(3) كتاب الجامع لابن أبي زيد (ص115).

(4) الرسالة (ص21).

(5) شرح الجامع للأبهري (ص174).

(6) نفسه (ص176)، هامش 1.

ومن ذلك أيضا أنهم طعنوا في نسبة قول لمالك في ابن مسعود، قال الأبهري مستنكرا: «وما رواه عن ابن مسعود، فقد حكي عمن قطع الله لسانه وجدد عذابه عليه، أنه حكى عن مالك أنه قال: علي وابن مسعود رضوان الله عليهما ممن نفته المدينة، ولقد كذب من قال هذا عليه، وكيف يقول ذلك وهو يروي عنهم ويأخذ بقولهم ويتبع آثارهم»[(1)].

➢ ومن مظاهر عناية المالكية بالصحابة التأليف في فضائلهم وأخبارهم، فقد ألف عبد الملك بن حبيب «كتاب فضائل الصحابة»، وألف أحمد بن صالح المصري (ت248هـ) كتابا في الصحابة، وألف عبد الرحمن بن محمد فطيس (ت402هـ) «كتاب المصابيح في فضائل الصحابة مائة جزء»[(2)]، وألف ابن عبد البر كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب، وهو الذي ذيله أبو علي الغساني بوصية مؤلفه له[(3)]، وعليه ألف محمد بن خلف بن سليمان بن فتحون المرسى أبو بكر الأوريولي (ت520هـ) «كتاب الإلحاق على الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر في مجلدين .. وأوهام كتاب الاستيعاب»[(4)]، ولخصه شهاب الدين أحمد بن يوسف بن إبراهيم الأدرعي المالكي، وسماه روضة الأحباب في مختصر الاستيعاب[(5)]، وألف سعيد بن إبراهيم بن عيسى بن داود الحميري أبو عثمان المالقي (ت 709هـ) «كتاباً في الصحابة استدرك فيه على من تقدمه من المصنفين في أخبار الصحابة»[(6)]، وألف القاسم بن محمد بن أحمد بن محمد

---

(1) شرح الجامع للأبهري (ص176).

(2) الصلة (ص98).

(3) قال السهيلي في الروض(3/ 444): عن أبي بكر بن طاهر أن ابن عبد البر «قال لأبي علي أمانة الله في عنقك، متى عثرت على اسم من أسماء الصحابة لم أذكره إلا ألحقته في كتابي الذي في الصحابة».

(4) الصلة (ص178)، هدية العارفين (1/ 488).

(5) كشف الظنون (1/ 81).

(6) الديباج (ص69).

ابن سليمان بن محمد بن سليمان الأنصاري الأوسي (ت642هـ) كتاب «التبين عن مناقب من عرف قبره بقرطبة من الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين في مجلد متوسط، .. و مختصر هذا الكتاب، في كناش لطيف»[1].

➢ ومن مظاهر عناية المالكية بالصحابة استغلال نفوذهم للدفاع عنهم، ومن هذا الباب ما ثبت عن يوسف بن يعقوب الأزدي الحمادي أنه أقنع الخليفة العباسي المعتضد بالعدول عن إصدار مرسوم لإعلان لعن معاوية في المساجد، قال القاضي عياض: «ولما أشار المعتضد بلعن معاوية وآله على من أمره، وكتب في ذلك كتاباً انتخب له من الكتاب الذي كان أنشأه المامون حين عزم على ذلك، فلم يزل القاضي يوسف يتردد، ويسعى في رد ذلك، حتى ترك الأمر بذلك، وانصرف عنه وذكر أبو جعفر الطبري أن يوسف مضى في ذلك إلى المعتضد، وقال له: إني أخاف أن تضطرب العامة عند سماعه، فقال: إن تحركت وضعت سيفي، فقال له: فما تصنع بالطالبيين، وهم في كل ناحية يخرجون، ويميل إليهم الكثير من الناس، وفي هذا الكتاب إطراؤهم، والتفجع لما نيل منهم، ـ أو كيف قال ـ فإذا سمعه الناس، زادوا فيهم تشيعا، وكانوا أثبت حجة، فأمسك المعتضد عما هم به، فعد الناس هذه من مناقب آل حماد، وبخاصة يوسف بن يعقوب، قال فدخل على القاضي يوسف بعض أهل الحديث يشكره، ويقول له: جزاك الله خيرا، فإنكم أهل بيت سنة»[2].

➢ ومن مظاهر ذلك الرد على من ينتقصهم أو يطعن فيهم، وأورد هنا مثالين دالين:

المثال الأول: رد أبي الوليد الباجي في رحلته على بعض من يقع في الصحابة، وتمكنه من التأثير على السلطان وإرجاعه إلى الواجب الحق من نصرة الصحابة، وذلك «في سنة

---

(1) الذيل والتكملة السفر الخامس (2/ 557) [1090].

(2) ترتيب المدارك (4/ 299).

سبع وثلاثين وأربعمائة، ورد مدينة حلب صادرا من العراق، وكان قصده أن ينصرف منها بعد يومين، وقد غلب على أهل البلد ومعظمهم التشيعُ، وناظر بعض علمائها من الشيعة على مذاهب أهل السنة، فأفحمهم، قال أبو الوليد الباجي: ورغب إلي أهل العلم والحال في المقام بها، وقالوا لى: أنت مستقبل الشتاء، وليس بوقت سفر، وأنت تقيم بصور أو غيرها إلى وقت السفر، فاجعل مقامك عندنا، وظهر من قلق المتشيعين فيها ما شاع، وبلغ السيدة بنت ابن رباب وكانت من أهل السنة، وقصدت مجلسي وبلغ الأمر الأمير معز الدولة ثمال أبي علوان بن صالح الكلابي، وهو صاحب حلب في ذلك الوقت، وكان قد أفسد مذهبَه معلمٌ قرأ عليه، فكانت زوجه السيدة بنت ابن رباب أنمري تروم صرفه عن ذلك، فلا تقدر عليه، فوجدت السبيل بي إليه، ورغب في أن يلقاني، فلقيته مرارا، وانصرف عن ذلك الرأي الفاسد على ما أظهر، وكلمت بين يديه المخالفين، وبلغ به الميل إلى ضرب بعض الشيعة المتعصبين وأخرجهم من البلد، وظهرت كلمة السنة، وقعدت لإقراء كتاب البخاري وحضرت السيدة المذكورة قراءة جميعه، وحضر الجم الغفير من الناس بعد منافرتهم لى، وأنسوا بما فيه من فضائل الصحابة، وبقيت عندهم بقية عام سبعة وثلاثين وعام ثمانية وثلاثين، وقد قرأ علي جماعة من أهل تلك الجهة، وفشت فيهم السنة، وكانت الفتوى فيها على مذهب مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ مدة مقامي بها، وبلغ ذلك القاضي أبا جعفر السمناني شيخنا رضي الله عنه فكاتبني يقول لي: استفتحت بلدا ما استفتح القاضي أبو بكر مثله»[1].

والمثال الثاني: تأليف الحافظ أبي الخطاب عمر بن حسن بن دحية (ت633هـ) لكتاب «من ألقم حجرا إذ كذب وفجر وأسقط عدالة من قال من الصحابة: ما له

---

(1) عن دراسة المحقق لكتاب التعديل والتجريح للباجي.

أهجر»، قال في مقدمته: «وهي أكبر متعلق الروافض في ذم الصحابة الكرام، وقولهم فيهم إنهم أطلقوا الهجر.. ومقصد الروافض في هذه المسألة أن يجعلوا الصحابة ظالمين...إلخ»[1].

- ومن مظاهر ذلك الإفتاء في من انتقص الصحابة أوطعن فيهم أو فضل أحدا عليهم، ومما ذكره الونشريسي في المعيار فتوى الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد المومن التازي في من يفضلون المهدي بن تومرت «على أبي بكر وعمر»[2]، قال: «وأما تفضيلهم إياه على الصحابة فكفر صراح، لأنه قد انعقد الإجماع من المسلمين أن أفضل الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر .. فهؤلاء خرقوا الإجماع، ومن خرق الإجماع فهو كافر يستتاب»[3].

وبالجملة فمحبة المالكية للصحابة مما لا يسع المقام البسط فيه، وحسبنا ما ذكرنا للإلماع إلى هذه الحقيقة مدعومة بما يكفي من الشواهد والأدلة.

---

(1) من ألقم الحجر لابن دحية، بتحقيق ذ عبد العزيز فارح (ص69).
(2) المعيار (2/ 455).
(3) نفسه (2/ 456).

المبحث الثالث: مواقف مالكية القيروان من منتقصي الصحابة في القرنين الرابع والخامس

وهي نصوص عن علماء القيروان، تثبت محبتهم للصحابة وتفانيهم في الدفاع عنهم والذب عن أعراضهم، ومعاداة من يمس مقامهم، وقد رتبتها ترتيبا زمنيا لتحسن الإفادة منها، ويتخلص فيها فصول معاناة أئمة القيروان في هذه السبيل.

❁ انتقاد ابن أبي حسان اليحصبي (ت227هـ) للخوض في التفضيل بين الصحابة

روى المالكي في رياض النفوس عن «سليمان بن خلاد قال: قلت لابن أبي حسان: أرأيت هذا الذي يقول الناس في أبي بكر وعمر، يريد التفضيل بينهما، فرفع يده فضربني ضربة واحدة أوجعتني، ثم قال: ليس هذا دين قريش، ولا دين العرب، هذا دين أهل قم، قرية من قرى خراسان. ثم قال: والله ما يخفى علينا نحن من يستحق الولاية بعد والينا ولا من يستحق القضاء بعد قاضينا، فكيف يخفى على أصحاب محمدﷺ من يستحق الأمر بعد نبيهم»[1].

❁ محبة سحنون (ت241هـ) لأبي بكر وعمر

«قيل له: إن يعقوب بن المضا لا يحبك، فقال: الحمد لله الذي لم يجمع حبي وبغض أبي بكر وعمر في قلب واحد»[2].

❁ مناظرة أبي العباس بن طالب (ت297هـ) للقاضي ابن عبدون الحنفي في الوصايا، واستنكاره عليه عدم الاهتداء بالصحابة

«قال له ابن طالب: قد فعله [أي الوصية] النبي ﷺ، ذلك خاص بالنبي ﷺ، قال له: وفعله عمر، فقال له ابن عبدون: إنما تشبه أفعالك بفعل عمر؟ فقال له ابن طالب:

(1) رياض النفوس (1/ 287 – 288).
(2) ترتيب المدارك (4/ 77).

فإذا كان بالنبي لا يُهتدى وبعمر لا يُقتدى وبالأمير لا يُؤتمر فبمن إذن يا هذا؟ فقال إبراهيم [أي ابن الأغلب الأمير]: رجونا بابن عبدون أن يفضح ابن طالب ففضحه ابن طالب»[1].

۞ مناظرات أبي عثمان سعيد بن الحداد (ت302هـ) ذبا عن الصحابة، وإبطاله ما يتمسكه العبيديون في الطعن عليهم

«ووجه إليه مرة عبيد الله [أي الشيعي]، فكر له حديث (من كنت مولاه علي مولاه)، وقال له: ما بال الناس لا يكونون عبيدنا؟ فقال له ابن الحداد: لم يرد ولاية رق، وإنما أراد ولاية الدين، ونزع بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ اَنْ يُّوتِيَهُ اُ۬للَّهُ اُ۬لْكِتَٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوٓءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَاداً لِّي﴾، فصرفه وعهد إليه بكتم المجلس»[2].

➢ «وقال له مرة: أخبرنا الله تعالى أن أصحاب محمد يرتدون بعده، فقال: وأين ذلك؟ فقال: في قوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ اَنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۖ﴾[3]، فقال ابن الحداد: إنما هذا على الاستفهام، كقوله ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ اُ۬لْخَٰلِدُونَ﴾[4]، ومعناه التقرير، ومعنى قوله انقلبتم، أفتنقلبون؟ والاستفهامان إذا جاءا في قصة استغني بأحدهما عن الآخر»[5].

➢ «وقال له أبو عبد الله يوما: هلا كان عندك في قوله تعالى حكاية عن نبيه في قوله لأبي بكر: ﴿لَا تَحْزَنِ اِنَّ اَ۬للَّهَ مَعَنَاۖ﴾[6]، دلالة أن حزنه كان مسخوطا لنهي النبي ﷺ

(1) ترتيب المدارك (4/ 328).
(2) نفسه (5/ 82-83).
(3) سورة آل عمران: الآية 144.
(4) سورة الأنبياء: الآية 34.
(5) ترتيب المدارك (5/ 84).
(6) سورة التوبة: الآية 40.

له عنه، فقال له أبو عثمان: لم يكن إلا تبشيرا، ليأمن على رسول الله ﷺ وعلى نفسه مما كان يحذره من المشركين، إذا لا يعلم أبو بكر الغيب، فكان قول النبي ﷺ له تبشيرا، ولا يكون إلا بوحي، فقال له: وأين نظيره؟ قال: قوله تعالى: ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[1] »[2].

❁ مقتل أبي إسحاق بن البرذون إبراهيم بن محمد الضبي، وأبي بكر بن هذيل دفاعا عن الصحابة والسنة

«ورفعوا عليه [أي بعض الحنفية] لأبي عبد الله الشيعي، وقيل لأخي أبي العباس المخطوم لعنهما الله أنهما يطعنان في دولته، ولا يفضلان عليا، ونمي إليهه أنه قال لبعض أصحابه ـ وقد ناظره في إمامة أبي بكر ـ: كان علي يقيم الحدود بين يديه، فلولا أنه كان إمام هدى مستحقا للتقديم ما حلت له معونته، فحبسهما، ثم أمر عامل القيروان حسن بن أبي خنزير بضرب ابن هذيل خمسمائة سوط، وبضرب رقبة ابن البرذون، فغلط ابن أبي خنزير، فضرب ابن البرذون، وقتل ابن هذيل، ثم تنبه من الغد فقتله .. وقيل إن إبراهيم لما جرد ليقتل، قال له حسن: ترجع عن مذهبك؟ فقال له: أعن الإسلام تستتيبني؟ فقتل، ثم ربطت أجسامهما بالحبال، وجرتهما البغال بالقيروان، وصلبا نحو ثلاثة أيام، ثم أنزلا ودفنا»[3].

❁ انتفاضة المالكية مع أبي يزيد الزناتي الخارجي ضد العبيديين نصرة للصحابة سنة 333هـ.

«كان أهل السنة بالقيروان أيام بني عبيد في حالة شديدة من الاهتضام والتستر، كأنهم ذمة، تجري عليهم في أكثر الأيام محن شديدة.

---

(1) سورة طه: الآية 46.
(2) ترتيب المدارك (5/ 84).
(3) نفسه (5/ 119).

ولما أظهر بنو عبيد أمرهم، ونصبوا حسيناً الأعمى السبّاب ـ لعنه الله تعالى ـ في الأسواق، للسب بأسجاعٍ لُقِّنها، يتوصل منها إلى سب النبي ﷺ، في ألفاظ حفظها، كقوله ـ لعنه الله ـ: العنوا الغار وما حوى، والكساء وما حوى، وغير ذلك. وعلقت رؤوس الحمر والأكباش على أبواب الحوانيت، عليها قراطيس معلقة، مكتوب فيها أسماء الصحابة، اشتد الأمر على أهل السنة، فمن تكلم أو تحرك قتل، ومثّل به، وذلك في أيام الثالث من بني عبيد، وهو اسماعيل الملقب بالمنصور، سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة»[1].

«لما كان في رجب سنة إحدى وثلاثين قام الصبي المكوكب يقذف الصحابة ويطعن على النبي ﷺ وعلقت عظام رؤوس أكباش وحمير وغيرها على أبواب الحوانيت والدروب فإذا عليها قراطيس معلقة فيها أسماء يعنون رؤوس الصحابة رضوان الله عليهم فلما رأى ذلك ربيع لم يسعه التأخر عن الخروج عليهم وكذلك جميع الشيوخ يتناولون أبا إسحاق السبائي وغيره ولما اجتمعوا للخروج عليهم قال ربيع القطان أنا أول من يشرع في هذا الأمر ويخرج فيه ويندب المسلمين ويحضهم عليه وتسارع جميع الفقهاء والعباد لذلك فلما كان بالغد خرج ربيع وجماعة الفقهاء ووجوه التجار إلى المصلى بالسلاح الشاك والعدة العجيبة التي لم ير مثلها وضاق بهم الفضاء وتواعد الناس أن ينظروا في الزاد وآلة السفر إلى يوم السبت وذلك يوم الإثنين وركب بعض الشيوخ من الموضع إلى الجامع بالسلاح وشقوا السماط بالقيروان وزادوا في استنهاض الناس فلما كان يوم الجمعة اجتمعوا في الجامع وركبوا بالسلاح الكامل وعملوا البنود والطبول وأتوا بالبنود فركزوها قبالة المسجد المعروف بالحدادين»[2].

---

(1) ترتيب المدارك (5/ 303).

(2) معالم الإيمان (3/ 38).

«قال أبو الحسن بن سعيد الخراط الفقيه: لما بلغني أن الفقهاء قد تجمعوا في الجامع في تدبير الخروج إلى المهدية في أيام أبي يزيد، بكرت إلى الجامع، فأصبت أبا العرب بن تميم وأبا الفضل الممسي وربيع القطان وأبا إسحاق السبائي ومروان بن نصر وغيرهم جلوسا عند المنبر، فتكلموا في الخروج على بني عبيد، فاختلفوا وتناظروا، حتى قال أبو العرب بن تميم: اسكتوا، فسكت الناس، فقال: حدثني عيسى بن مسكين عن محمد ابن عبد الله الجرجاني بإسناده إلى النبي ﷺ أنه قال: يكون آخر الزمان قوم يقال لهم الرافضة، فإذا أدركتموه فاقتلوهم فإنهم كفار، فلما أتم الحديث كبر الناس، وعلت أصواتهم في الجامع حتى ارتج، ثم خرجوا لقتال بني عبيد .. ولم يتخلف من الفقهاء والصلحاء أحد»[1].

«فركب ربيع فرساً، وعليه درع مصبوغ، وتقلد سيفاً، وحبس رمحاً، قد تعمم بعمامة حمراء، وأبو سعيد ابن أخي هشام يمشي معه، على عنقه السيف مصلتاً، وركب أبو العرب، وتقلد مصحفاً، وركب غيرهما في السلاح الشاك، وشقوا القيروان ينادون بالجهاد، قد شهروا السلاح، وأعلنوا بالتهليل والتكبير، وتلاوة القرآن، والصلاة على النبي ﷺ وعلى آله، والترحم على أصحابه وأزواجه رضي الله تعالى عنهم أجمعين، واستنهضوا الناس للجهاد، ورغبوهم فيه.

فلما كان يوم الجمعة، ركبوا بالسلاح التام، والبنود والطبول، وأتوا حتى ركزوا بنودهم قبالة الجامع، وكانت سبعة بنود:

- بند أحمر للممسي فيه مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، لا حكم إلا لله، وهو خير الحاكمين.

---

(1) معالم الإيمان (3/ 44).

> وبندان أصفران لربيع، في أحدهما: بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفي أحدهما: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾(1)، على يد الشيخ أبي يزيد، اللهم انصر وليك على من سب نبيّك وأصحاب نبيّك.

> وبند أصفر لأبي العرب، مكتوب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَيِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾(2) الآية.

> وبند أخضر لأبي نصرون الزاهد، فيه: لا إله إلا الله ﴿قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾(3).

> وبند أبيض للسبائي، فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، محمد رسول الله، وأبو بكر الصديق، وعمر الفاروق.

> وبند أبيض للعشّاء، وهو أكبرها، فيه مكتوب: لا إله إلا الله، ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾(4) الآية.

وحضرت صلاة الجمعة، فخطب خطيبهم أحمد بن أبي الوليد خطبة بليغة، وحرّض الناس على الجهاد، وسب بني عبيد ولعنهم وأغرى بهم، وتلا: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(5) الآية، وأعلم الناس بالخروج من غدهم، يوم السبت.

فخرج الناس مع أبي يزيد لجهادهم، فرزقوا الظفر بهم، وحصروهم في مدينة المهدية، فلما رأى أبو يزيد [الخارجي] ذلك، ولم يشك في غلبته، أظهر ما أكنّه من الخارجية،

---

(1) سورة الصف: الآية 13.
(2) سورة التوبة: الآية 12.
(3) سورة التوبة: الآية 14.
(4) سورة التوبة: الآية 39.
(5) سورة النساء: الآية 94.

فقال لأصحابه: إذا لقيتم القوم فانكشفوا عن علماء القيروان، حتى يتمكن أعداؤهم منهم، ففعلوا ذلك، فقتل منهم من أراد الله سعادته، ورزقه الشهادة، منهم الممسي، وربيع القطان، ومحمد بن علي البقال، وكان نبيلاً من أهل العلم، في خمسة وثلاثين رجلاً من الفقهاء والصالحين، وذلك في رجب سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، ففارق الناس أبا يزيد، وظهر منه نكران وفسوق واستباحة، ولباس حرير، فانقلب الناس كلهم عليه، وانكسرت شوكته، وظهر إسماعيل فطلبه، وفر أبو يزيد أمامه إلى أن ظفر به إسماعيل [أي الشيعي] فقتله»[1].

«وأظهر أهل القيروان بسبب ظهور أبي يزيد بينهم الترحم على أبي بكر وعمر، ولعنوا من لا يترحم على أصحاب النبي ﷺ. وهدموا بيوت المتقلبين».

⊛ إقراء أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمي (ت333هـ) لكتب الإمامة التي توفي للصحابة حقهم المعنوي

«وهو أحد من خرج لحرب بني عبيد وحصار المهدية»[2]، و«سمع الناس منه كتابي الإمامة لمحمد بن سحنون، فكان يقول: والله لسماع هذين الكتابين عليَّ هنا أفضل من كل ما كتبت»[3].

⊛ عناية أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي (ت356هـ) بنشر فضائل الصحابة رغم التضييق

«كان من المتعبدين المتقدمين في العبادة، موصوفاً بالعقل والعلم، وكان مما شغل به نفسه، ذكر فضل الصحابة والثناء عليهم، لانتشار أمر المشارقة، فما كان أحد يذكر الصحابة إلا في داره، وكان يقول: رأيت عمر بن الخطاب في المنام فأمّنني».

---

(1) ترتيب المدارك (5/ 306 – 307).
(2) ترتيب المدارك (5/ 324).
(3) معالم الإيمان (3/ 45)، ترتيب المدارك (5/ 324).

◈ مناظرة لابن التبان أبي محمد عبد الله بن إسحاق (ت371هـ) مع بعض علماء الشيعة ونصرته في التفضيل ونصرته للصحابة

«.. كان عبد الله المعروف بالمختال صاحب القيروان شدّد في طلب أهل العلم ليشرّقهم، فطلب الشيخ أبا سعيد بن أخي هشام، وأبا محمد بن التبّان، وأبا القاسم بن شبلون، وأبا محمد ابن أبي زيد، وأبا الحسن القابسي، فاجتمعوا في مسجد ابن اللجام واتفقوا على الفرار، فقال لهم ابن التبان: أنا أمضي إليه، وأكفيكم مؤونة الاجتماع به، ويكون كل واحد منكم في داره، ويقال إنهم أرادوا السير إلى عبد الله، فقال لهم: أنا أمضي إليه، أبيع روحي من الله دونكم، لأنكم إن أتي عليكم، وقع على الإسلام وهَن، ويقال إنه قال لعبد الله لما دخل عليه: جئتك عن قوم إيمانهم مثل الجبال، أقلّهم يقيناً أنا، فحدث بعض من حضر قال: كنت مع عبد الله، وقد احتفل مجلسه بأصحابه، وفيهم الداعيان أبو طالب وأبو عبد الله، وقد وجه إلى ابن التبان، فإذا به داخل، وعيناه توقدان كأنهما عينا شجاع، فدخل، وسلَّم، فقال له: أبطأت عنا يا أبا محمد، فقال: في شغلك كنت، كتاب ألفته في فضائل أهل البيت، الساعةَ أتاني به المجلِّد، وأخرجه من كمه ودفعه إليّ، فقال له: يا أبا محمد، ناظر هؤلاء الدعاة، قال: بماذا؟ قال: في فضائل أهل البيت، فقال لهما: ما تحفظان في ذلك؟ فقال له أبو طالب: أنا أحفظ حديثان، ولحَنَ، ثم سأل الآخر فقال له: وأنا أحفظ حديثان، فقال له: فهذان الحديثان اللذان تحفظ أنت، هما الحديثان اللذان يحفظ هذا، قال: نعم، قال له: هما يحفظان حديثان، ونطق بلحنهما، وأنا أحفظ في ذلك تسعين حديثاً، فالأولى بهما الرجوع إلي، ثم قال عبد الله: يا أبا محمد، من أفضل أبو بكر أو عليّ؟ قال: ليس هذا موضعه، قال: لابد، فقال: أبو بكر أفضل من علي، فقال عبد الله: أيكون أبو بكر أفضل من خمسة جبريل عليه السلام سادسهم؟ فقال أبو محمد: أيكون عليّ أفضل من اثنين الله ثالثهما؟ إني أقول لك ما بين اللوحين، وأنت تأتيني بأخبار الآحاد، فضاق عبد الله، وقال: فمن

أفضل عائشة أو فاطمة؟ فقال له: هذا أحد من سؤالك أولا، قال: لابد، قال: عائشة وسائر أزواج النبي ﷺ أفضل من فاطمة، قال: من أين؟ فقال له قال الله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[1]، فيقال: إن بعض الدعاة قال له في هذه المسألة: أيما أفضل، امرأة أبوها رسول الله ﷺ، وأمها خديجة الكبرى، وزوجها علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ، وولداها الحسن والحسين، سيدا شباب أهل الجنة، أو امرأة، أمها أم رومان، وأبوها عبد الله ابن أبي قحافة؟ فقال له أبو محمد: أيهما أفضل عندك، امرأة إذا طلقها زوجها، أو مات تزوجت عشرين زوجاً؟ أو امرأة إذا مات عنها زوجها أو طلقها لم تحل لمسلم؟ فسكت، فيحكى، أن عبد الله قال له: يا أبا محمد أنت شيخ المدنيين، وممن يتزين بك، أدخل العهد وخذ البيعة، فعطف عليه أبو محمد، وقال له: شيخ له ستون سنة، يعرف حلال الله وحرامه، ويرد على اثنين وسبعين فرقة، يقال له هذا؟ لو نُشِرتُ بين اثنين، ما فارقت مذهب مالك. فلم يعارضه، وقال لمن حوله: امضوا معه، فخرجوا ومعهم سيوف مصلتة، فمر بجماعة من الناس ممن أحضر لأخذ الدعوة، فوقف عليهم، وقال: تثبتوا، ليس بينكم وبين الله عزّ وجلّ إلا الإسلام، فإن فارقتموه هلكتم، فترك عبد الله طلب بقية الشيوخ بعد ذلك المجلس»[2]، قال ابن ناجي معلقا: «وما زلت أسمع من شيخنا أبي الفضل البرزلي ينقل غير ما مرة أنه قال لهم: الجواب عن ذلك من عشرة أوجه، أحدها أن عائشة رضي الله عنها مع النبي ﷺ في درجته وفاطمة مع علي بن أبي طالب في درجته، ودرجة علي لا تساوي درجة النبي ﷺ، وأنه سرد عليهم بقية الأجوبة»[3].

---

(1) سورة الأحزاب: الآية 32.

(2) ترتيب المدارك (6/ 253 – 254)، ومعالم الإيمان (3/ 114).

(3) معالم الإيمان (3/ 115).

❁ تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيدي المعروف بالقلانسي (ت 359هـ) للإمامة والرد على الرافضة

«كان رجلاً صالحاً فاضلاً فقيهاً، عالما بالكلام والرد على المخالفين، له في ذلك تواليف حسنة، وله كتاب في الإمامة والرد على الرافضة»[(1)].

❁ اقتصاد ابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ) في الدعاء لعلي رضي الله عنه مخالفة لبني عبيد

ففي (ص: 3 أ) من كتابه الذب هن مذهب مالك ذكر ابن أبي زيد عليا فقال: «عليّ رحمه الله»، وفي (ص: 98أ) ذكره فقال: «وعن عليّ رحمه الله»، فلم يذكر ابن أبي زيد عليا بالترضي واكتفى بالترحم، وهذا خلاف صنيعه مع غيره من الصحابة، حيث يقول في (ص: 114أ) عند ذكر عائشة: «عائشة رضي الله عنها»، وهذا منه تخفيف للغلو في علي الذي كان سائدا في عصره من طرف العبيديين، وإعلاء من شأن عائشة التي يبغضونها.

❁ استدلال خلف بن عمر الشهير بابن أخي هشام (ت371هـ) على كفر من سب عائشة

«وناظره بعض العراقيين، فقال لهم: أنتم تقولون من سبّ عائشة قتل، والله يقول: ﴿وَالذِينَ يَرْمُونَ اَلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَاتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾[(2)] الآية، والرسول إنما جلد أصحاب عائشة، فلم تأخذوا بالقرآن ولا بالسنّة، فقال له أبو سعيد: قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾[(3)]، فضرب قبل البراءة بها في القرآن، وبعد القرآن من سبّها فقد رد القرآن، ومن رد حرفاً منه، فقد كفر بإجماع»[(4)].

---

(1) ترتيب المدارك (6/ 257).

(2) سورة النور: الآية 4.

(3) سورة النور: الآية 26.

(4) ترتيب المدارك (6/ 212)، معالم الإيمان (3/ 128).

❁ محنة أبي إسحاق التونسي (ت450هـ) لتساهله في أمر العبيديين في بعض الفتاوى

«كان الشيخ أبو إسحاق قد امتحن مع فقهاء القيروان محنة عظيمة في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، وذلك أنه استفتي من مدينة من عاداه في مراجعةٍ عَقَدَها وليٌّ من العبيديين، وذلك بعدما جرى عليهم ما جرى بالقيروان، وقيام المسلمين عند ولاية المعزّ بن باديس صاحبها عليهم، وتقتيلهم كل مقتل، وانتصار المعزّ في ذلك، فرد الفقيه أبو إسحاق في بعض جوابه أن هذه الفرقة على ضربين، أحدهما كافر مباح الدم، والضرب الآخر: هم الذين يقولون بتفضيل علي بن أبي طالب على سائر الصحابة، لا يلزمهم [الكفر]، ولا تبطل نكاحاتهم.

وشاعت فتواه، فأنكرها فقهاء إفريقية بالقيروان وغيرها، وكانوا من التشديد على هذه الفئة المارقة وكل من يتعلق بهم حيث كانوا، والعامة أشد من ذلك، لاسيما بظهورهم عليهم، وبغضهم فيهم، وأرسلوا إلى أبي إسحاق في معاودة النظر، وأن يرجع، فأبى إباءً شديداً، فخالف الجميع، واستحقر شأن مخالفته، وانتهت القصة إلى السلطان المعزّ، فجمعهم ببعض الجمع عنده في المقصورة، وناظروه، فأظهر الإنابة إلى قولهم، والرجوع إليهم، ثم خلا بأصحابه، فأنكروا عليه رجوعه عن قولهم، وأنه الحق الذي لا يجب سواه، وكان رأي الفقهاء سد هذا الباب للعامة على هذه الكفرة، وأن بني عبيد زنادقة، وأنّ الداخل في دعوتهم ـ وإن لم يقل بقولهم ـ كافر لتوليه الكفرة، فأظهر أبو إسحاق التمادي على قوله، وإنكار الرجوع عنه، ومشى الناس في هذا بعضهم إلى بعض، وامتزج فيه القيام لله عزّ وجل في ذلك بالشهوة من العصبية للفقهاء في ذلك، وأتتهم مكاتبات علماء الجهات بإنكار ذلك، وأن المفتين بهذه المقالة الخبيثة من المصريين والشاميين قد انتسخوا جوابه، ونهضوا ليفتنوا به الناس، وسرّ به من في قلبه مرض، واحتجّ به، فأطلق الفقهاء الفتيا عليه بمقالته هذه بالتضليل والتبديع، وقال فيها

الشعراء قصائد كثيرة، تضمنت إيذاء أبي إسحاق والتبري منه، وأنشدها الشعراء والطلبة عند الفقهاء غيره، في دورهم وجموعهم، وأطلقوا فيها عليه، وأمر السلطان بسجل [أنشئ] في القصة من التبرؤ من قوله، ونيل فيه منه ما يعظم الله تعالى به أجره، وأمر بقراءته يوم جمعة على المنبر قبل الصلاة، مستهل صفر عام ثمان وثلاثين، ثم أمر السلطان بإحضاره بالمقصورة في ذلك اليوم، إثر الصلاة، وأحضر معه الفقيه أبا القاسم اللبيدي [في] بقية مشيخة الفقهاء وكبيرهم، والفقيه أبا الحسن ابن المغربي، والقاضي أبا بكر بن محمد بن أبي زيد، خاصة من بين سائر الفقهاء.، وكان هذان الفقيهان من أشد الناس، وحكم في المسألة اللبيدي، فحكم بأن يقر بالتوبة على المنبر، بمشهد جميع الناس، وأن يقول: كنت ضالاً فيما رأيته ونطقت به، ثم رجعت عن ذلك إلى مذهب الجماعة، فكانوا على ذلك، وكأنه استعظم الأمر على المنبر، وقال: ها أنا أقول هذا بينكم، فساعدوه، وقنعوا منه بقول ذلك بحضرة السلطان والجماعة، وأن يقوله بمجلسه، ويشيعه عن نفسه، فافترقوا على ذلك.

وحصلت على الشيخ من ذلك غضاضة، فخرج في صبيحة يومه متوجهاً إلى منستير، للرباط مسكناً لقضيته ومنسياً لها.

قال عياض[1]: لا امتراءَ عند منصف أن الحق ما قاله أبو إسحاق، ولا امتراء أن مخالفته أولاً لرأي أصحابه في حسم الباب لمصلحة العامة واللجاج خطأ، وأن رأي الجماعة كان أسدّ للحال، وأولى بعائدة الخير، وفتواه هو أجرى على العلم وطريق الحكم، ومع هذا، فما نقصه هذا عند أهل التحقيق، ولا غضّ من منصبه عند أهل التوفيق»[2].

---

(1) في المطبوعة: ابن عياض.

(2) ترتيب المدارك (8/ 59 – 62)، معالم الإيمان (3/ 220 – 221).

❁ صبر مالكية القيروان على الإيذاء نصرة للسنة والصحابة

قال ابن ناجي: «جزى الله مشيخة القيروان، هذا يموت وهذا يُضرب، وهذا يُسجن، وهم صابرون لا يفرون، ولو فروا لكفرت العامة دفعة واحدة»، «قال أبو الحسن القابسي عن شيوخه الذي أدركهم: إن الذين ماتوا في دار البحر بالمهدية من حين دخول عبيد الله [أي الشيعي] إلى الآن أربعة آلاف رجل في العذاب ما بين عابد وعالم ورجل صالح، ولذلك يقول سهل الوراق:

وأحل في دار البحر في أغلاله ... من كان ذا تقوى وذا صلوات»[1].

❁ ردهم على الشاعر ابن القيني المغربي أبي الحسن علي بن سعيد في هجوه للصحابة

«إليه تنسب القصيدة التي وجدت في دار الداعي يوم انتقالهم إلى قصر المنصور، حين ضاق بهم الأمر وكثر فيهم القتل، أولها: من الخفيف

الجهاد الجهاد قوموا حمية ... قد تمادت في هرها المالكية

وفيها كفر عظيم خارج عن القياس، وسب شنيع في النبي ﷺ، وفي أصحابه وأزواجه رضي الله عنهم، وجاوبه عنها جماعة من شعرائنا .. وخرج مدينة باعايه فيمن خرج من أهل مذهبه سنة تسع وأربع مائة، فقتلوا هنالك»[2].

---

(1) معالم الإيمان (3/ 41).

(2) الوافي بالوفيات (6/ 405).

فهرس المصادر والمراجع

- أخبار الفقهاء والمحدثين بالأندلس، لمحمد بن حارث الخشني (ت361هـ)، طبعة المعهد العلمي للتعاون مع العالم العربي. Conserjo superior de investigaciones cientificas Instituto de cooperacion con el mundo arabe MDRID 1992. MARIA LUISA AVIGA Y .LUIS MOLINA.
- الاستقصاء لأبي العباس الناصري دار الكتاب ـ الدار البيضاء 1997م، الطبعة الأولى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري.
- البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين بن بهادر الزركشي الشافعي (ت794هـ) اعتناء عمر سليمان الأشقر مراجعة عبد الفتاح أبو غدة وعمر سليمان الأشقر ط2/سنة1992م وزارة الأوقاف، طبعة الصفوة الصفاة - الكويت.
- البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون.
- تاج التراجم في طبقات الحنفية لابن قطلوبغا.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرف أعلام مذهب مالك للقاضي عياض، طبعة وزارة الأوقاف المغرب، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي وآخرين، طبعة1/1401.
- التعديل والتجريح لأبي الوليد الباجي، طبعة وزارة الأوقاف بالمغرب.
- التكملة لكتاب الصلة لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، تحقيق ذ إحسان عباس، طبعة دار الثقافة بيروت ط1.
- جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر بن عبد البر النمري، طبعة دار الفكر.
- الجامع في السنن لابن أبي زيد القيرواني، تحقيق محمد أبو الأجفان ـ عثمان بطيخ، طبعة 1402/1 – 1982م مؤسسة الرسالة بيروت ـ المكتبة العتيقة تونس.
- دفع شبه التشبيه لابن الجوزي، تحقيق محمد زاهد الكوثري.

- الديباج لإبراهيم بن فرحون اليعمري (ت 899هـ)، طبعة دار الكتب العلمية ط1/1417.
- الذخيرة لأبي العباس شهاب الدين القرافي (ت684هـ)، تحقيق محمد حجي، طبعة دار الغرب الإسلامي، طبعة 1/1994م.
- الرسالة لأبي محمد بن أبي زيد القيرواني، طبعة 3 وزارة الأوقاف.
- الرسالة لأبي محمد بن أبي زيد القيرواني، طبعة 3 وزارة الأوقاف المملكة المغربية.
- الروض الأنف لأبي القاسم السهيلي (ت582هـ)، طبعة دار الفكر 1409.
- رياض النفوس للمالكي، تحقيق البكوش دار الغرب الإسلامي.
- رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، لابن حزم ضمن رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، طبعة 1/ 1981م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وغيره، طبعة مؤسسة الرسالة.
- شرح كتاب الجامع من مختصر عبد الله بن عبد الحكم لأبي بكر الأبهري (ت375هـ)، تحقيق حميد لحمر، طبعة دار الغرب، طبعة 1/ 1425 - 2004م.
- شرح المحلي على جمع الجوامع بحاشية البناني وتقريرات الشربيني، طبعة دار الفكر 1415.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم لأبي القاسم خلف ابن عبد الملك (ت578هـ) باعتناء السيد عزت العطار الحسيني مكتبة الخانجي ط2/1414 - 1994م.
- الطبقات السنية في تراجم الحنفية للتقي الغزي.
- العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي المعافري (ت543هـ)، تحقيق ذ عمار الطالبي، طبعة مكتبة دار التراث بالقاهرة، طبعة 1 /1417.
- غياث الأمم في التياث الظلم لأبي المعالي الجويني، تح ذ مصطفى حلمي ذ فؤاد عبدالمنعم أحمد، طبعة دار الدعوة، طبعة 1979م.

- الفكر السامي للحجوي، طبعة المكتبة العصرية.
- كشف الظنون لحاجي خليفة.
- معالم الإيمـان في معرفة أهل القيروان للدباغ، طبعة 1320هـ المطبعة الرسمية العربية.
- المعيار المعرب للونشريسي خرجه جماعة من الأساتذة بإشراف د سعيد حـجي، مطبـوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1401 – 1981م، طبعة دار الغرب الإسلامي.
- المقدمات الممهدات لما في رسوم المدونة من أحكام لأبي الوليد بن رشد الفقيـه (ت520هـ)، تحقيق محمد حجي، طبعة 1408/1، طبعة دار الغرب.
- من ألقم الحجر لابن دحية، بتحقيق ذ. عبد العزيز فارح، كتاب دعوة الحق 1423هـ
- المنية والأمل لا المرتضى وفرق وطبقات المعتزلة للقاضي عبـد الجبـار، تحقيـق علي سـامي النشار وعصام الدين محمد علي دار المطبوعات الجامعية بمصر 1972م.
- الوافي بالوفيات للصفدي خليل بن أيبك.

موقف الإمام الشاطبي

من الصحابة الكرام

د. الجيلاني المريني

ملخص البحث

ما أحوج الأمة اليوم إلى أعمال الصحابة، رضوان الله عليهم، لحل مشكلاتها المعقدة، وإيجاد السبل الكفيلة للقضاء على مرحلة الترهل والتدني.

والإمام الشاطبي، رحمه الله، أولى هذا الموضوع أهمية بالغة؛ ذلك أنه اعتبر سنتهم، رضوان الله عليهم، سُنّةً، وإجماعهم أهمّ إجماع هذا مع تعديلهم وتفضيل أعمالهم وترجيحاتهم.

ولم يغب عنه النظر المصلحي عند الصحابة الكرام، وهو إمام المصالح والمقاصد كل ذلك بأسلوب علمي رصين وأدلة شرعية مقنعة غير مسبوقة.

الباحث في سطور

الدكتور الجيلالي المريني Elmrini1@hotmail.com

- أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة محمد بنعبد الله فاس ـ سايس.
- عضو المجلس العلمي المحلي بمولاي يعقوب.
- رئيس وحدة فقه الأموال في المذهب المالكي من خلال تراث الغرب الإسلامي للدكتوراه.

من أعماله المنشورة:

- كتاب القواعد الأصولية عند الإمام ابن قدامة من خلال المغني وتطبيقاتها الفقهية، وهو في أصله دكتوراه الدولة.
- كتاب «القواعد الأصولية عند الإمام الشاطبي من خلال الموافقات»، وهو في أصله دبلوم الدراسات العليا.
- كتاب أمهات قواعد التفسير و فروعها، مطبوع طبعة المجلس العلمي المحلي بفاس.
- بحث بيع المفتاح، وغيرها.

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي مدح صحابة رسوله ﷺ في مواضع من كتابه العزيز، ورفع رسول الله ﷺ من أقدارهم، وجعلهم في الدين أئمة، فكانوا هم القدوة العظمى في أهل الشريعة، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

وبعد، فالحديث عن موقف الإمام الشاطبي رحمه الله الأصولي المالكي النظار من الصحابة يمكن أن أتناوله من خلال:

- تمهيد
- أولا: موقف الإمام الشاطبي من إجماع الصحابة
- ثانيا: الإمام الشاطبي يعتبر سنة الصحابة حجة.
- ثالثا: موقف الإمام الشاطبي من بيان الصحابة.
- رابعا: موقف الإمام الشاطبي من النظر المصلحي عند الصحابة.
- خامسا: الإمام الشاطبي يرجح أقوال الصحابة وأفعالهم وبيانهم لأسباب...
- سادسا: موقف الإمام الشاطبي من فعل الصحابة المستمر.
- سابعا: موقف الإمام الشاطبي من اختلاف الصحابة.
- ثامنا: موقف الإمام الشاطبي من الصحابة وتحقيق مناطاتهم للأحكام.
- خاتمة.

☒ أولا: موقف الإمام الشاطبي في إجماع الصحابة

يرى الإمام الشاطبي أن إجماع الصحابة صحيح، ولا إشكال فيه فقال: «بيان رسول الله ﷺ بيان صحيح لا إشكال في صحته؛ لأنه لذلك بعث، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1] ولا خلاف فيه.

وأما بيان الصحابة فإن أجمعوا على ما بينوه، فلا إشكال في صحته أيضا. كما أجمعوا على الغسل من التقاء الختانين المبين لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ﴾[2].

وإن لم يجمعوا عليه، فهل يكون بيانهم حجة، أم لا؟ هذا فيه نظر وتفصيل»[3].

☒ ثانيا: الإمام الشاطبي يعتبر سنة الصحابة حجة.

يعتبر الإمام الشاطبي سنة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سنة يعمل عليها ويرجع إليها، بدليل:

1- ثناء الله عليهم من غير استثناء ومدحهم بالعدالة وما يرجع إليها.

كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[4].

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[5].

---

(1) سورة النحل: الآية 44.

(2) سورة المائدة: الآية 6.

(3) الموافقات (4/ 127-128).

(4) سورة آل عمران: الآية 110.

(5) سورة البقرة: الآية 143.

ففي الأولى إثبات الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقضي باستقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة، وفي إثبات العدالة مطلقا، وذلك يدل على ما دلت عليه الأولى.

ولا يقال: إن هذا عام في الأمة، فلا نختص بالصحابة دون من بعدهم لأنا نقول:

> **أولا**: ليس كذلك بناء على أنهم المخاطبون على الخصوص، ولا يدخل معهم من بعدهم إلا بقياس وبدليل آخر.

> **وثانيا**: على تسليم التعميم أنهم أول داخل في شمول الخطاب فإنهم أول من تلقى ذلك من الرسول ﷺ وهم المباشرون للوحي.

> **وثالثا**: أنهم أولى بالدخول من غيرهم إذ الأوصاف التي وصفوا بها لم يتصف بها على الكمال إلا هم، فمطابقة الوصف للاتصاف شاهد على أنهم أحق من غيرهم بالمدح.

وأيضا، فإن من بعد الصحابة من أهل السنة عدلوا الصحابة على الإطلاق والعموم، فأخذوا عنهم رواية ودراية، من غير استثناء ولا محاشاة، بخلاف غيرهم، فلم يعتبروا منهم إلا من صحت إمامته وثبتت عدالته وذلك مصدّق لكونهم أحق بذلك المدح من غيرهم فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط - أي عدول - بإطلاق، وإذا كان كذلك فقولهم معتبر، وعملهم مقتدى به. وهكذا سائر الآيات التي جاءت بمدحهم، كقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾. إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾[1] وأشباه ذلك.

---

(1) سورة الحشر: الآيات 8-9.

2- ما جاء في الحديث من الأمر باتباعهم وأن سنتهم في طلب الاتباع كسنة النبيﷺ

كقوله: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»[1].

3- جمهور العلماء قدموا الصحابة عند ترجيح الأقاويل

فقد جعل طائفة قول أبي بكر وعمر حجة ودليلا، وبعضهم عدّ قول الخلفاء الأربعة دليلاً، وبعضهم عدّ قول الصحابة على الإطلاق حجة ودليلا، ولكل من هذه الأقوال متعلق من السنة.

وهذه الآراء وإن ترجح عند العلماء خلافها، ففيها تقوية تضاف إلى أمر كلي هو المعتمد في المسألة، وذلك أن السلف والخلف من التابعين ومن بعدهم يهابون مخالفة الصحابة، ويتكثرون بموافقتهم، وأكثر ما نجد هذا المعنى في علوم الخلاف الدائر بين الأئمة المعتبرين فنجدهم إذا عينوا مذاهبهم قووها بذكر من ذهب إليها من الصحابة. وما ذاك إلا لما اعتقدوا في أنفسهم وفي مخالفهيم من تعظيمهم، وقوة مأخذهم دون غيرهم، وكبر شأنهم في الشريعة وأنهم مما يجب متابعتهم وتقليدهم فضلا عن النظر معهم فيما نظروا فيه، وقد نقل عن الشافعي أن المجتهد قبل أن يجتهد لا يمنع من تقليد الصحابة ويمنع في غيره، وهو المنقول عنه: «كيف أترك الحديث لقول من لو عاصرته لحججته» ولكنه مع ذلك يعرف لهم قدرهم»[2].

---

(1) أخرجه الترمذي كتاب أبواب العلم. باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، وقال: حديث حسن صحيح، وقال البزار: حديث ثابت صحيح.

(2) الموافقات (4/ 446-458).

⊠ ثالثا: موقف الإمام الشاطبي من بيان الصحابة.

يرى الإمام الشاطبي أن بيان الصحابة يترجح الاعتماد عليه من وجهين:

- **أحدهما**: معرفتهم باللسان العربي: فإنهم عرب فصحاء لم تتغير ألسنتهم ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم، فهم أعرف في فهم الكتاب والسنة من غيرهم، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان، صح اعتماده من هذه الجهة.

- **والثاني**: مباشرتهم للوقائع والنوازل، وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة: فهم أقعد في فهم القرائن الحالية، واعرف بأسباب التنزيل، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

فمتى جاء منهم تقييد بعض المُطْلَقات، أو تخصيص بعض العمومات فالعمل عليه صواب، وهذا إن لم ينقل عن أحد منهم خلاف في المسألة فإن خالف بعضهم، فالمسألة اجتهادية.

مثاله: قوله ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»[1] فهذا التعجيل يحتمل أن يقصد به إيقاعه قبل الصلاة، ويحتمل أن لا، فكان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان يصليان المغرب قبل أن يفطرا، ثم يفطران بعد الصلاة، بيانا أن هذا التعجيل لا يلزم أن يكون قبل الصلاة، بل إذا كان بعد الصلاة فهو تعجيل أيضا، وأن التأخير الذي يفعله أهل المشرق شيء آخر داخل في التعمق المنهي عنه، وكذلك ذكر عن اليهود أنهم يؤخرون الإفطار فندب المسلمون إلى التعجيل.

---

(1) أخرجه البخاري: في كتاب الصوم، باب تعجيل الإفطار. ومسلم في كتاب الصيام، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه واستحباب تأخيره، وتعجيل الفطر.

وكذلك لما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه»[1] احتمل أن تكون الرؤية مقيدة بالأكثر وهو أن يرى بعد غروب الشمس، فبين عثمان بن عفان أن ذلك غير لازم، فرأى الهلال في خلافته قبل الغروب، فلم يفطر حتى أمسى وغابت الشمس.

وتأمل، فعادة مالك بن أنس في «موطئه» وغيره الاتيان بالآثار من الصحابة مبينا بها السنن، وما يُعمَل به منها وما لا يُعْمل به، وما يقيد به مطلقاتها، وهو دأبه ومذهبه»[2].

⊠ رابعا: موقف الإمام الشاطبي من النظر المصلحي عند الصحابة رضي الله عنهم

يقول الإمام الشاطبي:

«ويطلق لفظ السنة على ما عمل عليه الصحابة، وُجد ذلك في الكتاب أو السنة أو لم يوجد، لكونه اتباعا لسنة ثبتت عندهم لم تنقل إلينا، أو اجتهادا مجتمعا عليه منهم أو من خلفائهم، فإن إجماعهم إجماع، وعمل خلفائهم راجع أيضا إلى حقيقة الإجماع، من حمل الناس عليه حسبما اقتضاه النظر المصلحي عندهم، فيدخل تحت هذا الإطلاق: المصلحة المرسلة والاستحسان، كما فعلوا في حد الخمر وتضمين الصناع، وجمع المصحف، وحمل الناس على القراءة بحرف واحد من الحروف السبعة، وتدوين الدواوين وما أشبه ذلك»[3].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الصيام باب قول النبي ﷺ: «إذا رأيتم الهلال فصوموا»، ومسلم في صحيحه: كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال.

(2) الموافقات (4/ 127 و131).

(3) نفسه (4/ 290-291-292).

فالإمام الشاطبي رائد المقاصد يستند ويعترف للصحابة بنظرهم المصلحي، ولاسيما المصلحة المرسلة وإدراك ما المصلحة المرسلة، والاستحسان الذي هو تسعة أعشار العلم.

ثم إن هؤلاء الصحابة نذبهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى الدخول في الأسباب المقتضية لمصالح الدنيا، كما أمرهم بالأسباب المقتضية لمصالح الآخرة، ولم يتركهم مع هذه الحالة، فدل ذلك على أن الأفضل ما دلهم عليه»[1].

☒ خامسا: الإمام الشاطبي يرجح أقوال الصحابة وأفعالهم وبيانهم لأسباب...

يقول الشاطبي: «سجود الشكر إن فرضنا ثبوته عن النبي ﷺ، فإنه لم يداوم عليه مع كثرة البشائر التي توالت عليه، والنعم التي أفرغت عليه إفراغا، فلم ينقل عنه مواظبة على ذلك، ولا جاء عن عامة الصحابة منه شيء إلا في النذرة مثل كعب بن مالك، إذ نزلت توبته فكان العمل على وفقه تركا للعمل على وفق العامة منهم.

ومن هذا المكان يتطلع إلى قصد مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جعل العمل مقدما على الأحاديث. إذ كان إنما يراعي كل المراعاة العمل المستمر والأكثر، ويترك ما سوى ذلك وإن جاء فيه أحاديث، وكان ممن أدرك التابعين وراحت أعمالهم، وكان العمل المستمر فيهم مأخوذا عن العمل المستمر في الصحابة ولم يكن مستمرا فيهم إلا وهو مستمر في عمل رسول الله ﷺ أو في قوة المستمر.

وقد قيل لمالك: إن قوما يقولون إن التشهد فرض، فقال: أما كان أحد يعرف التشهد؟ فأشار إلى الإنكار عليه بأن مذهبهم كالمبتدع الذي جاء بخلاف ما عليه من تقدم.

---

(1) الموافقات (1/ 334).

وسأله أبو يوسف عن الآذان، فقال مالك: وما حاجتك إلى ذلك؟ فعجبا من فقيه يسأل عن الآذان، ثم قال له مالك: «وكيف الآذان عندكم؟» فذكر مذهبهم فيه، فقال: «من أين لكم هذا؟» فذكر له أن بلالا لما قدم الشام سألوه أن يؤذن لهم، فأذن لهم كما ذكر عنهم: فقال له مالك: «ما أدري ما آذان يوم؟ وما صلاة يوم؟ هذا مؤذن رسول الله ﷺ وولده من بعده، يؤذنون في حياته وعند قبره، وبحضرة الخلفاء الراشدين بعده».

فأشار مالك إلى ما جرى عليه العمل وثبت مستمرا عند الصحابة وهو أثبت في الاتباع.

وعليه، فإن العمل العام هو المعتمد على أي وجه كان وفي أي محل وقع، ولا يلتفت إلى قلائل ما نقل، ولا نوادر الأفعال إذا عارضها الأمر العام والكثير.

ومنها: أن يكون هذا القليل خاصا بزمانه أو بصاحبه الذي عمل به، أو خاصا بحال من الأحوال، فلا يكون حجة على العمل به في غير ما تقيد به كما قالوا في مسحه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على ناصيته وعلى العمامة في الوضوء إنه كان به مرض.

ومنها أن يكون العمل القليل رأيا لبعض الصحابة لم يتابع عليه، إذ كان في زمانه عليه الصلاة والسلام ولم يعلم به فيجيز أو يمنعه، لأنه من الأمور التعبدية البعيدة عن الاجتهاد.

كما روي عن أبي طلحة قال: «والذي كان من ذلك ما روي عن رفاعة بن رافع، قال: كنت عن يمين عمر بن الخطاب، إذ جاءه رجل، فقال: زيد بن ثابت يفتي الناس في الغسل من الجنابة برأيه، فقال: أعجل به علي، فجاء زيد، فقال عمر: قد بلغ من أمرك أن تفتي الناس بالغسل من الجنابة في مسجد النبي ﷺ برأيك؟ فقال زيد: والله يا أمير المؤمنين ما أفتيت برأيي، ولكني سمعت من أعمامي شيئا فقلت به، فقال: من

أي أعمامك؟ فقال: من أبي بن كعب، وأبي أيوب، ورفاعة بن رافع، فالتفت إلي عمر. فقال: ما يقول هذا الفتى؟ قلت: إنا كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ ثم لا نغتسل، قال: أفسألتم النبي ﷺ عن ذلك؟ فقلت: لا؟ ثم قال في آخر الحديث: «لئن أخبرت بأحد يفعله ثم لا يغتسل لأنهكته عقوبة»[1].

فهذا أيضا من هذا القبيل، والشاهد له أنه لم يعمل به ولا استثمر من عمل الناس على حال، فكفى بمثله حجة على الناس.

ومنها، إمكان أن يكون عمل به قليلا ثم نسخ، فترك العمل به جملة، فلا يكون حجة بإطلاق، فكان الواجب في مثله الوقوف مع الأمر العام.

ومثاله حديث الصيام عن الميت: فإنه لم ينقل استمرار عمل به ولا كثرة، فإن غالب الرواية فيه دائرة على عائشة وابن عباس، وهما أول من خالفاه، فروي عن عائشة أنها سئلت عن امرأة ماتت وعليها صوم فقالت: اطعموا عنها، وعن ابن عباس أنه قال: لا يصوم أحد عن أحد.

قال مالك: «ولم أسمع أن أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ ولا من التابعين بالمدينة امروا أحدا أن يصوم عن أحد ولا يصلي أحد عن أحد، وإنما يفعل ذلك كل أحد عن نفسه فهذه أخبار بترك العمل دائما في معظم الصحابة ومن يليهم وهو الذي عول عليه، المسألة كما أنه عول عليه في جملة عمله»[2].

---

(1) أخرجه الطحاوي في المشكل (2/ 348-349)، وشرح معاني الآثار (1/ 58-59)، وأحمد في المسند(5/ 115)، والطبراني في الكبير(5/ 34-35) سند رجاله رجال الصحيح.

(2) الموافقات (3/ 270-280).

⊠ سادسا: الإمام الشاطبي يرى أن اختلاف الصحابة مشروع.

يقول الإمام الشاطبي: «وجدنا أصحاب رسول الله ﷺ من بعده قد اختلفوا في أحكام الدين ولم يفترقوا ولم يصيروا شيعا، لأنهم لم يفارقوا الدين، وإنما اختلفوا فيما أذن لهم من اجتهاد الرأي، والاستنباط من الكتاب والسنة فيما لم يجدوا فيه نصا، واختلفت في ذلك أقوالهم فصاروا محمودين لأنهم اجتهدوا فيما امروا به، كاختلاف أبي بكر وعمر وعلي وزيد في الجد مع الأم، وقول عمر وعلي في أمهات الأولاد، وخلافهم في الفريضة المشتركة، وخلافهم في الطلاق قبل النكاح، وفي البيوع... وغير ذلك لما اختلفوا فيه، وكانوا مع هذا أهل مودة وتناصح وأخوة الإسلام فيما بينهم قائمة. فلما حدثت الأهواء المردية التي حذر منها رسول الله ﷺ، وظهرت العداوات وتحزّب أهلها فصاروا شيعا، دل على أنه إنما حدث ذلك في المسائل المحدثة التي القاها الشيطان على أفواه أوليائه.

قال: «فكل مسألة حدثت في الإسلام فاختلف الناس فيها، ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة علمنا أنها من مسائل الإسلام، وكل مسألة طرأت فأوجبت العداوة والتنافر والتنابز والقطيعة، علمنا أنها ليست من أمر الدين في شيء، وإنها التي عنى رسول الله ﷺ بتفسير الآية وهي قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً﴾[1].

فيجب على كل ذي دين وعقل أن يجتنبها، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰناً﴾[2] فإذا اختلفوا وتقاطعوا كان ذلك لحدث أحدثوه من اتباع الهدى[3].

(1) سورة الأنعام: الآية 159.
(2) سورة آل عمران: الآية 103.
(3) الموافقات (5/ 160-164).

☒ سابعا: موقف الإمام الشاطبي من اجتهاد الصحابة بالمدرك الشرعي وتحقيق المناط

أ- اجتهاد الصحابة بالمدرك الشرعي

يقول الإمام الشاطبي: ما كان راجعا إلى ما لا يمكن الاجتهاد فيه على وجهه إلا لهم ـ الصحابة الكرامة ـ لما تقدم من أنهم عرب. وفرق بين من هو عربي الأصل والنحلة وبين من تعرب، غلب التطبع شيمة المطبوع.

وأنهم شاهدوا من أسباب التكاليف وقرائن أحوالها ما لم يشاهد من بعدهم، ونقل قرائن الأحوال على ما هي عليه كالمعتذر، فلابد من القول بأن فهمهم في الشريعة أتم وأحرى بالتقديم، فإذا جاء في القرآن أو في السنة من بيانهم ما هو موضوع موضع التفسير بحيث لو فرضنا عدمه لم يمكن تنزيل النص عليه على وجهه. انحتم الحكم بأعمال ذلك البيان لما ذكر، ولما جاء من السنة من اتباعهم والجريان على سنتهم، كما جاء في قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»[1]، وغير ذلك من الأحاديث فإنها عاضدة لهذا المعنى في الجملة[2].

ب- اجتهاد الصحابة وتحقيق المناط

وفيه أمران: 1- ما يصح فيه التقليد، وذلك فيما اجتهد فيه الأولون من تحقيق المناط إذا كان متوجها على الأنواع لا على الأشخاص المعينة، كالمثل في جزاء الصيد،

---

(1) أخرجه الترمذي كتاب أبواب العلم. باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع وقال حديث حسن صحيح.

(2) الموافقات (4/ 132-133-134).

فإن الذي جاء في الشريعة قوله تعالى: ﴿فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾. وهذا ظاهر في اعتبار المثل، إلا أن المثل لابد من تعيين نوعه، وكونه مثلا لهذا النوع المقتول، ككون الكبش مثلا للضبع، والعنز مثلا للغزال، والعناق مثلا للأرنب، والبقرة مثلا للبقرة الوحشية والشاة مثلا للشاة من الظباء، وكذلك الرقبة الواجبة في عتق الكفارات والبلوغ في الغلام والجارية، وما أشبه ذلك، ولكن هذا الاجتهاد في الأنواع لا يغني عن الاجتهاد في الأشخاص المعنية، فلابد من الاجتهاد في كل زمان»[1].

أقول وهذا القسم من الاجتهاد في تحقيق المناط الذي مارسه صلى الله عليه وسلم ونقله وحققه وعايشه، أصحابه ومنه ما حققوه بأنفسهم، فهذه مزية خاصة بهم رضوان الله عليهم.

الأدلة الحديثية التي استدل بها الإمام الشاطبي لتحقيق المناط: قامت على الصحابة الكرام، وبوقائعهم، وبمعاينتهم، وبفهمم، والرسول ﷺ يحقق المناط.

يقول الإمام الشاطبي: ففي الصحيح: أنه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سئل: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله، قال: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قال: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور؟[2].

وسئل عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها» قال: ثم أي: قال: «بر الوالدين»، قال ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»[3].

---

(1) الموافقات (5/ 17).

(2) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل. ومسلم في كتاب الإيمان. باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال.

(3) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير. ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال.

وفي النسائي عن أبي أمامة قال: أتيت النبيﷺ فقلت: مرني بأمر أخذه عنك. قال: عليك بالصوم، فإنه لا مثل له»[1].

وفي الترمذي: ما من شيء أفضل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من خلق حسن»[2].

وفي مسلم: أي المسلمين خير؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»[3].

كل هذا وما لم أذكره مثله يبين أن تحقيق المناطات كانت مع الصحابة، وفيهم، ومعهم، وعلى أعمالهم، ووفق اسئلتهم، ونوازلهم، وقضاياهم.

فهم أحق بالاستفادة منهم في هذا المجال بعد رسول الله ﷺ، والحق أن تحقيقات المناط عند الصحابة نحتاجه اليوم كثيرا لحل مشاكلنا المعقدة فهي شبيهة بوقعهم، حينما فتحوا بلدانا جديدة وواجهوا حضارات مختلفة ومتنوعة، فكيفوا ذلك الواقع لشرع الله، وحققوا مناطه، فسادوا وأفلحوا. وحققوا المصلحة الدنيوية والأخروية.

---

(1) أخرجه النسائي في المجتبى كتاب الصيام، باب ذكر الاختلاف على محمد بن أبي يعقوب، وإسناده صحيح.

(2) أخرجه الترمذي باب ما جاء في حسن الخلق. وإسناده صحيح.

(3) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل.

خاتمة

ما أحوجنا اليوم إلى اجتهادات الصحابة الكرام، للاستفادة منها في هذا الواقع المعقد، لتحقيق المصالح الشرعية التي تحدث عنها الإمام الشاطبي سابقا.

السلام عليكم ورحمة الله

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي(ت279هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون.
- شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي(ت321هـ)، مؤسسة الرسالة- لبنان/ بيروت - 1408هـ- 1987م ، الطبعة الأولى، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
- مسند أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني(ت241هـ)، مؤسسة قرطبة – مصر.
- مسند البزار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار(ت292هـ)، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم – بيروت، المدينة / 1409هـ الطبعة الأولى، تحقيق: د.محفوظ الرحمن زين الله.
- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي(ت256هـ)، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت / 1407هـ1987م، الطبعة الثالثة، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري(ت261هـ)، دار إحياء التراث العربي-بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- المجتبى من السنن، لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي(ت303هـ)، مكتب المطبوعات الإسلامية-حلب/1406هـ- 1986م، الطبعة الثانية، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة.
- المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني(ت360هـ)، مكتبة الزهراء- الموصل /1404هـ- 1983م، الطبعة الثانية، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
- الموافقات في أصول الشريعة للإمام الشاطبي(ت790هـ)، مع شرحه للشيخ عبد الله دراز، المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر.

المملكة المغربية

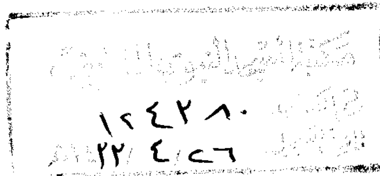


الرابطة المحمدية للعلماء



مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث
سلسلة: ندوات ومحاضرات (3)

الصحابة الكرام في تراث المغاربة والأندلسيين



بحوث الندوة العلمية الدولية التي نظمها مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث
بالرابطة المحمدية للعلماء بمدينة طنجة

يومي الأربعاء والخميس
(25-26 صفر 1431 هـ)
(10-11 فبراير 2010 م)

المجلد الثاني



مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث
الرابطة المحمدية للعلماء
شارع لعلو، لوداية ـ الرباط ـ المغرب.
العنوان البريدي: ص. ب: 1320 البريد المركزي ـ الرباط
البريد الإلكتروني: almarkaz@arrabita.ma
هاتف وفاكس: 537.730.334/ 537.730.334(+212)

سلسلة: ندوات ومحاضرات (3)
الكتاب: الصحابة الكرام في تراث المغاربة والأندلسيين
المؤلف: مجموعة من الأساتذة
تنسيق وتصحيح: د.عبد اللطيف الجيلاني ـ د.عبد القادر سعود ـ ذ.طارق طاطمي
خطوط الغلاف: بلعيد حميدي
الإخراج الفني: نادية بومعيزة.
عدد النسخ: 2000.
الطبعة الأولى: 1431هـ ـ 2010م

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تمثل بالضرورة رأي المركز

الإيداع القانوني: 2010 MO 2817
ردمك: 978 -9954 -542 -06 -4
الطبع والتوزيع: دار الأمان للنشر والتوزيع ـ الرباط
البريد الإلكتروني: Derelamane@menara.ma
هاتف وفاكس: 537200055/ 537723276(00212)

تطلب منشوراتنا خارج المغرب من:

▪ **لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت.**
ص.ب: 14/6366
هاتف وفاكس: 701974/ 300227(009611)

▪ **مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.**
19 شارع عمر لطفي، موازي عباس العقاد ـ مدينة نصر.
هاتف وفاكس: 2741750/ 2741578 (00202)

▪ **المملكة العربية السعودية: مكتبة التدمرية، الرياض.**
ص.ب 26173 ـ الرمز البريدي 11486
هاتف وفاكس: 4924706 / 4937130(00966)

▪ **الجزائر: مكتبة عالم المعرفة، حي الصومام، عمارة 17، المحل 07، باب الزوار.**
هاتف: 21244537(00213)

المحور السادس

جهود علماء الغرب الإسلامي في الدفاع عن الصحابة وتحقيق مواقفهم

منهج علماء الأندلس في الترجمة للصحابة وتحقيق مواقفهم: ابن عبد البر وابن العربي أنموذجين

د. عبد الرحمن بودرع

ملخص البحث

يتعرض هذا العرض لدراسة منهج علماء الأندلس من الفقهاء وأصحاب التراجم، في الترجمة للصحابة الكرام رضي الله عنهم، وتحقيق مواقفهم، وذكر مناقبهم، والعناية بهم.

ويتخذ من كتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر القرطبي(ت463هـ)، وكتاب «العواصم من القواصم» في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبيﷺ، للقاضي أبي بكر ابن العربي (ت543هـ) أنموذجين من نماذج الكتب والمصنفات التي اعتنت بالترجمة للصحابة الكرام، وذكر مناقبهم والذّبّ عنهم، يستحقان أن يدرسا دراسة منهجية دقيقة وواعية لاستنباط صورة عناية التراث الفقهي والعلمي الأندلسي بالصحابة الكرام.

الباحث في سطور

الدكتور عبد الرحمن بودرع Abderrahmane56@gmail.com

من مواليد 03 نونبر 1956م.

- أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة عبد المالك السعدي تطوان.
- دكتوراه الدولة في اللغويات بجامعة محمد الخامس بالرباط، موضوع: «النظر النحوي، أصوله وجوامعه، بحث في ضوابط التأمل اللغوي عند النحاة العرب من خلال كتاب سيبويه».
- شارك في العديد من الندوات العلمية، وله مقالات وأعمال نشرت في مجلات محكمة.

نشر أعمالا علمية عديدة، منها:

- الأساس المعرفي للغويات العربية.
- اللغة وبناء الذات.
- جوامع الكلم في البيان النبوي.
- من ظواهر الأشباه والنظائر بين اللغويات العربية والدرس اللساني المعاصر.
- منهج السياق في فهم النص، وغيرها.

مُقَدِّمَة

أدب التأليف في حَياةِ الصّحابَة والعنايَة بأخبارِهم وسِيَرِهِمْ وذِكْر فضائِلِهم والتّرجمةِ لهُم، يُعدُّ من الآدابِ العاليَة التي اهتمّ بالتأليفِ فيها العُلَماءُ المُسلمونَ على مرّ التّاريخ، في المشرِقِ والمغرب على السّواء... ويُعدّ الاعتناءُ بالتّرجمةِ للصّحابةِ جزءاً هاماً من الاعتناءِ بالتاريخ الإسلاميّ والتراثِ الإسلامي، فتاريخ الصحابَة الكرام هو تاريخ الصّحبَة المُصطفَاة، والنّصرَةِ المُنْتَقاة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

وقد عرفَ العُلَماءُ منذ القَديم خطرَ التأليف في حياة الصّحابَة؛ ومنهم ابنُ الأثير، وابنُ حَجَر العسقلانيّ، وابنُ حبّان البُستي، وأحمدُ بنُ شُعيب النَّسائيّ، وأبو القاسِم الزّمخشريّ، وأبو نُعيْم الأصبهانيّ، والحسَن الصاغانيّ، وابنُ قُدامةَ المقدسيّ الحنبليّ، وابنُ عَساكِر الدّمشقيّ، ومحمّد ابن عليّ الشّوكاني، وتقي الدّين بن تيميّة، وشمس الدّين الذّهبيّ، وجلال الدّين السيوطي، ومحمّد ابن إبراهيمَ الشيبانيّ، وغيْرُهُم كثيرٌ؛ وذلك لأنّ العنايَة بحياة الصّحابَة وسيرِهم وشمائِلِهم جزءٌ من العنايَة بعلوم الأمّة وفقهها وشريعتِها، فالصّحابةُ الكِرامُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم الذين تولّوا نَشْرَ الدّين وحمل الأمانَة وبسْطَها للنّاس كافّةً، وهم الذينَ حفظوا القراءاتِ القرآنية والأحاديثَ النبوية من الضياعِ والتحريف وعبث الأيدي، ففضلُهم بعد الله عزّ وجلّ، ورَسولِه

(1) سورة آل عمران: الآية 110.

ﷺ، لا يُدرِكُـه إلاّ أولو العلم، ولم يتردّدْ العُلَمـاءُ في تحريـر الـصحائفِ وتـصنيف المُـصنّفاتِ والتّراجم لبيانِ فضلِ الصّحابَة على الأمّة(1).

(1) من هذه المُصنّفاتِ، مـا يَلي:
1 - أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير.
2 - الإصابة في تـمييز الصحابة، لابن حَجَر العسقلاني.
3 - اقتباس الأنوار والتمـاس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار، عبد الله اللخمي الرشاطي.
4 - تاريخ الصحابة الذين رُويَ عنهم الأخبار، لابن حبّانَ البُستيّ.
5 - شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ويليه (الأساليب البديعة في فضل الصحابة وإقناع الـشيعة)، يوسف بن إسمـاعيل النبهاني.
6 - فَضائل الصّحابَة، لأحمد بنِ شُعيْب النّسائي.
7 - مختصر كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة، لجار الله أبي القاسِم الزّمخشري.
8 - مُسند الصّحابَة، محمّد بن هارون الروياني، تحقيق: صلاح محمد عويضة.
9 - معرِفَة الصّحابَة، لأبي نُعيم الأصبهانيّ.
10 - نقعة الصديان فيمن في صحبتهم نظر من الصحابة، للحسن الصاغاني.
11 - الاستبصار في نسب الصحابة من الانصار، لابن قُدامة المقدسي الحنبلي.
12 - ترتيب أسمـاء الصحابة الذين أخرج حديثَهم أحمدُ بن حنبل في المسند، لأبي القاسـم بـن عَـساكر الدّمشقي.
13 - الاستبصار في نسب الصحابة من الانصار، للمقدسي.
14 - در السحابة في مناقب القرابة والصحابة، الشوكاني.
15 - فضائل الصحابة، خيثمة الاطرابلسي.
16 -عقيدة السلف بأحوال الصحابة، تقيّ الدّين بن تيمية.
17 - تجريد أسمـاء الصّحابَة، لشمس الدّين الذّهبيّ.
18 -جزء فيه من عاش مـائة وعشرين سنة من الصحابة.
19 -درة السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة، لجلال الدين السيوطي.
20 -مسند نساء الصحابة من جمع الجوامع، للسيوطي، تحقيق خالد شبل.
21 -من عاش مـائة وعشرين سنة من الصحابة، ابن مندة.
22 - نزهة السامعين في رواية الصحابة عن التابعين، لابن حجر العسقلاني.
23 - معجم مـا ألف عن الصحابة وأمهات المؤمنين، محمد بن ابراهيم الشيباني.

وكان لعُلَماءِ الأندلسِ نَصيبٌ عَظيمٌ من المُشارَكة في أدب التّرجَمَةِ للصحابَة وسِيَرِهم وشمائِلِهم وعُرِفوا بإحكامِ المنهج، والتّحقيق في الأخبار والآثار، والتثبّت في الرّوايات، نَذكُرُ منهم:

1- الحافظَ أبا عُمَرَ يوسُفَ بنَ عبد البرّ النّمريَّ الأندلسيَّ القرطبيّ المالكي (المُتوَفّى سنةَ 463هـ)[1]، طَلَبَ العِلْم بَعْد التّسْعِينَ وَثَلاثِ مائة، وَأَدْرَكَ الكِبار، وطالَ عُمُرُه، وَعلا سندُه، وَتَكاثر عَلَيْهِ الطلبَةُ، وَجَمَعَ وَصَنَّفَ وَسارَتْ بتَصانيفه الرُّكبانُ، تَفَقَّهَ عَلَى التُّجِيبِيّ، وَسَمِعَ مِنْ أَحْمَد بن مُطرف، وَأَبي عُمَرَ بن حَزْم المُؤَرِّخ.

قَالَ عنه الحافظُ الحُمَيْدِيُّ: أَبو عُمَرَ فَقيهٌ حافظٌ مُكْثِرٌ، عالِمٌ بالقِراءات وبالخلاف، وبعلوم الحَديث والرِّجال، قَديمُ السَّماع، يَميل في الفِقْه إلى أَقْوال الشَّافِعِيّ. لَزِمَ أَبا عُمَر أَحْمَدَ بنَ عَبْدِ المَلِكِ الفَقيه، وَلَزِمَ أَبا الوَليدِ بن الفَرَضيّ، وَدَأَب فِي طَلَبِ الحَديثِ، وَافْتَنَّ بِهِ، و بَرَعَ.

وقالَ عنه الحافِظُ الذّهبيّ: «وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ما أَخرجتِ الأَنْدَلُس حَافِظاً مِثْل ابْنِ الجَبَّاب، وَابْن عَبْدِ البَرِّ»[2].

وقال الحافظ الذّهبيّ في الترجَمَةِ لَه: «ابْنُ عَبْدِ البَرِّ أبو عمرَ يوسفُ بنُ عَبْدِ الله النَّمَرِيُّ، الإمامُ، العَلاّمَةُ، حافظُ المَغْرِبِ، شَيْخُ الإسلام، أبو عمر يوسف بن عَبْدِالله بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ البَرِّ بنِ عاصِمٍ النَّمَرِيُّ[2]، الأَنْدَلُسيُّ، القُرْطُبِيُّ، المالِكِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الفَائِقَة.

---

(1) سير أعلام النبلاء(18 / 153-158).

(2) سير أعلام النبلاء(15/ 241)، قال ذلِك في التّرجَمَة لابن الجَبّاب الأندلسيّ، الترجمة رقم:95.

طَلَبَ العِلْمَ بَعْد التِّسْعِينَ وَثَلاَثِ مائَة، وَأَدْرَكَ الكِبَار، وَطَالَ عُمُرُهُ، وَعلاَ سندُه، وَتَكَاثر عَلَيْهِ الطلبَةُ، وَجَمَعَ وَصَنَّفَ، وَوثَّق وَضَعَّف، وسارَتْ بتَصَانيفه الرُّكبانُ، وخَضَعَ لعلمه عُلَماء الزَّمان.

تلقّى العلمَ عن شيوخِ عصْرِه سَماعاً ورِوايةً وتحديثاً ومُناوَلَةً[1].

قالَ أَبو القَاسِمِ بنُ بَشْكُوال: ابْنُ عبد البَرِّ إِمامُ عَصْرِهِ، وواحِدُ دَهرِهِ، يُكنى أَبا عُمَر.

رَوَى بقُرْطُبَة عَنْ خَلَف بن القَاسِمِ، وعبد الوارِث بن سُفْيانَ، وَسَعِيد بن نَصْرٍ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ بن عبد المؤمن، وَأَبي مُحَمَّدٍ بن أَسَد، وَجَماعَةٍ يَطولُ ذكرهُم.

وَكَتَبَ إِلَيْهِ مِنَ المَشْرق السَّقَطِيّ، والحَافِظ عَبْدُ الغَنِيِّ، وابْنُ سِيبُخْت، وأَحْمَدُ بنُ نَصْرٍ الدّاوودِيّ، وأبو ذَرٍّ الهَرَوِيّ، وأبو مُحَمَّد بنُ النَّحاسِ.

قالَ أَبو عَلِيٍّ ابنُ سُكَّرَة: سَمِعْتُ أَبا الوَليدِ الباجِي يَقولُ: لَمْ يَكُنْ بِالأَنْدلُسِ مِثْل أَبي عُمَرَ ابنِ عَبْدِ البر فِي الحَديثِ، وَهُوَ أَحْفَظُ أَهْلِ المَغْرب.

وقالَ أبو عَلِيٍّ الغَسّانِيّ: أَلَّف أبو عُمَرَ في (المُوَطَّأ)كتباً مُفيدَة مِنْها: كِتاب (التّمهيد لما في المُوَطَّأ مِنَ المعاني والأسانيد) فرَتّبهُ عَلى أَسماء شُيوخ مالِك، عَلَى حُرُوف المُعْجَم، وَهُوَ كِتابٌ لَمْ يَتَقَدَّمه أَحَدٌ، وكانَ مَعَ تَقَدُّمِهِ فِي علم الأثر وَبَصَرِهِ بِالفِقْه والمعاني لَهُ بسطَةٌ كَبيرَةٌ في علم النسب وَالأَخْبار. قال ابْنُ حَزْمٍ: لاَ أَعْلَمُ فِي الكَلاَم عَلَى فِقه الحَدِيث مِثْلَه فَكَيْفَ أَحْسَن مِنْهُ؟.

---

(1) المناولة: أن يُناولَ الشيخُ الطالبَ كتاباً من سماعه، ويقولَ له: «ارْوِ هذا عني»، أو يملّكه إياه، أو يعيره لينسخَه ثم يعيده إليه، ليأتيه الطالب بكتاب من سماعه فيتأمله، ثم يقول: «ارو عني هذا»، ويسمى هذا «عرض المناولة» (الباعث الحثيث في اختصار عُلوم الحديث، لأبي الفِداء ابن كثير الدّمشقي).

ثُمَّ صَنَعَ كِتَاب(الاسْتذكَار لـمذْهَب عُلَمـاء الأَمصَار فِيمـا تَضَمَّنَهُ المُوَطَّأ مِـنْ معَـانِي الـرّأي والآثـار) شرح فيـه (المُوَطَّـأ) عَـلى وَجهـه، وَجَمـعَ كِتابـاً جَلـيلاً مُفيـداً وهـو (الاستيعاب في أَسْمـاء الصَّحابَة)، وَلَهُ كِتاب (جامِع بيان العِلْم وَفضله، ومـا يَنْبَغي في رِوايَته وحمله) وغَيْر ذَلِكَ مِنْ تَواليفه. وكانَ مُوَفَّقاً في التّأليف، مُعاناً عَلَيْه[1].

2- و مـمن أَلّفَ في تَراجم الصّحابَة أبو عُثمـانَ سعيدُ بنُ إبراهيمَ بنِ عيسى بنِ داودَ الحميريُّ من أهلِ مـالقَةَ (ت709هـ)، كانَ من جلّة العلمـاءِ حافظـاً للفقـه والحـديثِ مُشاركاً في العربيةِ والأدَب صَـدوقاً مُتحرياً حجةً فيمـا ينقُلـه حَسَنَ التعـليم مُـبَرّزاً في مَعرفة طُرُق الحديثِ مُضطلِعاً بالرواية والمسْنِدينَ وأحـوالهم، تفقّـه عـلى أبي محمـد الباهلي في كُتُب الفُروع والأصول والعَربيّة، و رَوى عن أبي عبدِ الله بنِ عيـاش المقـري القُرطبي، وقرأ على أبي بكر بن عبيدةَ وأبي القاسم القبتـوري. روى عنـه الخطيـب أبـو جعفر الطنجالي وأبو محمد الحضرمي وأبو القاسم بن فرتون وغيرهم، وذكَرَ الشيخ أبو عبدالله محمد بن مرزوق أنه صنف كتاباً في الصحابة استدرك فيه عـلى مـن تقدمـه مـن المصنفين في أخبار الصحابة[2].

---

(1) من مؤلفات ابن عبد البر القرطبي:
1- جامع بيان العلم وفضله، مطبوع.
2- الاستذكار (الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلمـاء الأقطار)، مطبوع.
3- الكافي في فقه أهل المدينة، مطبوع.
4- فتح المـالك بترتيب التمهيد لابن عبد البر على موطأ الإمـام مـالك، مطبوع.
5- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مطبوع.
6- الدرر في اختصار المغازي والسير، مطبوع.
7- تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، مطبوع.
8- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، مطبوع.

(2) الديباج المذهب في معرفة أعيان علمـاء المذهب، برهان الدّين بـن فرحـون المـالكي الأندلـسي، تحقيـق مـامون بن محيي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية-بيروت، 1996م.

ومـمن ألّفَ في تراجم الصّحابَةِ، من عُلَماءِ الأندلُس، أيْضاً، عليُّ بنُ أحمدَ بنِ سـعيد ابنِ حَزم الأندلسيُّ الظّاهريُّ[1] المتوفّى سَنَةَ 456هـ، صاحب كتاب «جوامع السيرة»[2]، وأصحاب الفتيا من الصحابة والتابعين[3]، ورسالة أسمـاء الصحابة الرواة ومـا لكـل واحد من العدد[4].

قال ابنُ حزمٍ رحمه الله: «هذا باب من ذكر مـن روى عـن النبـي ﷺ مـن الـصحابة، رضوان الله عليهم، حديثاً فمـا فوقه، مـمن نقل الحديثَ عنهم، على مراتبهم في ذلـك: أصحاب الألوف ومـا زاد منهم، ثم أصحاب الألفين ومـا زاد، ثـم أصـحاب الألـف ومـا زاد، ثم أصحاب المئين وشيء، ثم أصحاب المـائتين وشيء، ثـم أصـحاب المـائة وشيء ثم أصحاب العشرات وشيء، ثم أصحاب العشرين، ثم أصحاب التسعة عشر، ثم أصحاب الثمـانية عشر، ثم أصحاب السبعة عشر، ثم كذلك نقـص واحـد واحـد، إلى أصحاب الأفراد»، فصاحبُ الألوفِ أبـو هريـرة؛ فقـدْ روى خمـسة آلاف حـديث وثلاثمـائة وأربعة وسبعون حديثاً، وأصحابُ الألفين ومـا زاد عنها، عبدُ الله بنُ عمـرَ ابنِ الخطاب؛ فقد روى ألفَيْ حديث وستَّمـائة حديثٍ وثلاثينَ حَديثاً.

ومِنْ سمـات ابن حزم رحمَه الله في كتابـة تاريخـه وسـيره وأخبـار الـصحابة، غَلَبَـة المنهَج التاريخيّ؛ فقد امتازَ ابنُ حزم المؤرخ في طريقته التاريخية بالدّقّةِ في مُعالَجَة النصّ

---

(1) انظـر ترجمتـه في كتـاب جـذوة المقتـبس للحميـدي رقـم(708)، ومطمـح الأنفـس للفـتح بـن خاقان(ص:55)، والذخيرة (1/ 140)، والمغرب رقـم: 253، وتـذكرة الحفـاظ للـذهبي(3/ 341)، ولسان الميزان (4/ 198 – 202)، ويُنظر أيضاً مـا كتبه الأستاذ سعيد الأفغاني رحمه الله في مقدمة كتابـه «ابن حزم ورسالته في المفاضلة بين الصحابة».

(2) جوامع السيرة، لابن حزم، تحقيق: د. إحسان عباس وناصر الدين الأسد، ط. دار المعارف، القاهرة.

(3) حققه سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية–بيروت، 1995م.

(4) حققه سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية–بيروت، 1992م.

المنقول، وفي انتقاءِ الرّواية الصّحيحَة بعدَ الفحص والمقارنة، وبتصحيح الأخطاء الوارِدَة عن إهمالِ التثبُّت.

وعُرف بالضبط الدقيق في كتابةِ التواريخ، فكان يقولُ عنه تلميذُه الحافظُ الحُمَيْديّ كُلّما وَجَدَ روايةَ شيخِهِ تُخالفُ روايةَ غيره: «وأبو محمد أعلم بالتواريخ»(1).

ولابن حزم رسالةٌ في القراءات المشهورة في الأمصار، الآتية مجيء التواتر. وقد اعتمد المحقق في ضبطها وتحقيقها على كتب القراءات، ولَه رِسالَةٌ في أسماء الصحابة رواة الحديث، وما لكل واحد من العدد، ورسالة في تسمية من رُوِيَ عَنهم الفُتْيا من الصحابة و مَن بَعدَهم، على مراتبهم في كثرة الفتيا، وهذه الرسالة تنمية للأصول الأولى التي وضعها ابن سعد في كتاب «الطبقات» عن الصحابة الذين كانوا يُفتون في حياة الرسول ﷺ.

وله رسالَةٌ في «أسماءِ الخلفاء المهدِيّينَ والأئمة أمراءِ المؤمنين»، وحُكمُها كالتي قَبلَها، وهي تُشبه ما أورَدَه ابنُ حبيبٍ في «المُحَبَّر»، وابن قتيبة الدينوري في «المعارف».

3- وممّن ألّفَ في الصحابَة الإمامُ الجياني الأندلسي، لَه كتابُ «ألقاب الصَّحابَة والتابعين»(2)، وهو عبارَةٌ عن معجَمٍ رتّبَ فيه أسماءَ الصّحابَةِ الكِرامِ، فعَقَدَ الكِتابَ كلَّه لِما جاءَ في أسماءِ الصّحابةِ من ألقابٍ، ورتَّبَه ترتيباً أبجدياً.

4-وممّن ألفَ في الصّحابَة واهتمّ بالتّحقيق في بعض مواقِفِهم القاضي أبو بَكْر بنُ العَرَبيّ المَعافِريّ الإشبيلي المَغربيّ (ت543هـ)، صاحب كتاب «قانون التأويل»

(1) انظر مثلاً جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس(ص275).

(2) طبع بالقاهرة بدار دار الفضيلة.

في تفسير القُرآنِ الكَريم، و«أحكام القُرآن»، و«القَبَس في شرحِ موطّأ مالك بنِ أنَس» و«ترتيب المَسالِك في شرح موطّأ مالِك»، و«عارِضة الأحوذي شرح جامع التّرمذي» وكتابه الشّهير «العَواصِم من القَواصِم في تحقيق مواقِف الصَّحابَة بعدَ وفاةِ النبيّ ﷺ»(1).



(1) حققه محبّ الدّين الخَطيب، نشر: الرئاسَة العامّة لإدارات البُحوث العلميّة والإفتاء والدّعوة والإرشاد، الرّياض، 1404هـ/ 1984م، والجديرُ بالذّكرِ أنّ الطّبعَة التي نشرَها الأستاذ محب الدّين الخَطيب ليسَت الكتابَ كلَّه؛ فلَم يَنشُرْ الأستاذ الخَطيب منه إلاّ مبحثاً في (الصّحابَة)، على أنّ النّسخَةَ الكاملَةَ سبقَ أن نَشَرَها الشيخُ عبد الحَميد بن باديس بالجَزائر سنةَ 1347هـ/ 1927م، ثمّ حَقَّقَ الكتابَ كاملاً الدّكتور عَمار الطالبي، ونُشرَ في السبعينيات بمكتبة دار التّراث بالقاهِرَة، ثمّ أعيدَ نشرُه بدار الثقافَة بالدّوحَة سَنَة 1992م.

منهجُ ابنِ عبدِ البرّ في التّرجمةِ للصّحابَةِ الكرام، في كتابِ «الاستيعابِ» والقاضي ابن العربيّ في تحقيق مواقفِ الصّحابَةِ، في كتابِ «العَواصم من القَواصِم»:

سيقفُ هذا البحثُ عندَ عَلَميْن من أعلامِ الأندلُسِ الذينَ عُنوا بالتّرجمةِ للصّحابَة أو التّحقيقِ في بعضِ مواقفِهم وذِكْرِ مناقبِهم والذّبّ عنهُم، أولهُما الحافظُ أبو عُمَر يوسُفُ بنُ عبد البرّ النّمريّ الأندلسيّ القرطبيّ المالكي (المُتوفّى سنةَ 463 هـ)، بوصفِه مترجما للصحابَة الكِرامِ، من خلالِ كتابِه «الاستيعاب»، والثّاني القاضي أبو بَكْر بنُ العَرَبيّ المَعافِريّ الإشبيلي المَغربيّ (ت543هـ)، بوصفِه مُحققاً في بعضِ مواقفِ الصّحابَةِ ودافعاً للشّبُهاتِ التي حاكَها الأعداءُ حولَهُم، وهم خيرُ أمّةٍ أخْرِجَت للنّاسِ، مما يتحقّقُ بِه طهارتُهُم ونزاهتُهم، فهُم الذينَ أدّوا القُرآنَ والسُّنَنَ، فَمَن تعرّضَ لهم بالطّعنِ أو النّقدِ أو التّجريحِ فإنّما يُريدُ أن يُجرِّح شُهودَنا ليُبطِلَ الكتابَ والسّنّةَ، والجرحُ به أولى.

1-منهَج أبي عُمَرَ بنِ عبدِ البرّ النّمري القرطبي في التّرجمَة للصّحابَةِ الكِرام من خلالِ كتابِه «الاستيعاب» :

تُعدّ العنايَة بالصّحابَة والتّرجمةُ لَهم والتأليفُ في أدبِ «مَعْرِفَتِهم» من أوكَد آلاتِ السُّنَن المُعينة عليها والمؤديةِ إلى حفظها، لأنّ معرِفَةَ الصّحابةِ معرفةٌ للذين نقلوا السّنّةَ عن النّبيﷺ إلى الناس كافة وحفظوها عليه وبلّغوها عنه، وهم صحابته وحواريوه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذين وعوها وأدوها ناصحين محسنين حتى أُكْمِلَ بما نقلوه الدّينُ وثبتت بهم حجةُ الله تعالى على المسلمين، فهم خيرُ القرون وخير أمة أخرجت للناس، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عَزَّوَجَلَّ عليهم وثناء رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولا أعدلَ ممن

ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكيةَ أنضلُ من ذلك ولا تَعديلَ أكملُ منه قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾»[1].

هذا وإنّ معرِفَةَ الصّحابَةِ والعلمَ بأحوالِهم وحَياتِهم أمرٌ متعيِّنٌ على العُلَماءِ ليبلّغوه إلى الأمّةِ؛ لأنّ مَن حُكِمَ بقولِه وقُضِيَ بشَهادته فَلا بُدّ مِنْ مَعرفةِ اسمِه ونسبِه وعَدالته، والمَعرفةِ بحالِه.

قد يقولُ القائلُ لقدْ كُفينا البحثَ عن أحوالِ الصّحابَةِ الكِرامِ، لإجماع أهل العلمِ بأنهم كلّهم عدولٌ، ولكنّ ذلِك لا يُسقِطُ وجوبَ الوُقوفِ على أسمائهم والبحثِ عن سِيَرِهم وأحوالِهم ليهتديَ بهديهم مَن بَعْدَهُم، فهم خيرُ مَن سَلكَ سَبيلَ النبيّ ﷺ واقتَدى به، فأقل ما في الأدَب مع رسولِ الله ﷺ معرفةُ المَرْويّ عَنْهُم حديثُ رسولِ الله ﷺ، وقدْ أكّدَ ابنُ عبدِ البرّ رحمَه الله هذا المَعْنى، وبيَّنَ في مُعجَمِه الاستيعاب أنَّ العلمَ بأحوالِ الصّحابَةِ علمٌ جَسيمٌ لا يُعذَر أحدٌ يُنسبُ إلى علم الحديث بجهله، ولا خلافَ بينَ العُلماءِ أنّ الوقوفَ على معرفةِ الأصحاب من أوْكَد علم الخاصة وأرفع علم أهل الخَبَر، و بِه سادَ أهلُ السِّيَر. فالأصحابُ واسطةٌ بين النبيّ وأمّته[2].

لقد اجتهَدَ ابنُ عبدِ البرّ في النّظَرِ في مُصنَّفاتِ مَن كَتَبوا في الصّحابَةِ وتَرْجَموا لَهم، ووَجَدَ أنّ أصحابَها طوَّلوا وأسهَبوا، وأنّ بعضَهُم أتى بما ليسَ عندَ بعضٍ، فَعمدَ إلى جَمع ما تفرّقَ في هذه المُصنَّفاتِ، واختصارِه، وقد اعتمَدَ في منهجِه على انتقاءِ النُّكَت

(1) سورة الفَتْح: الآية 29.

(2) انظُر مقدّمَةَ كتابِ الاستيعاب في معْرِفَةِ الأصحاب، لابن عبد البر النمري القرطبي.

التى هي البُغيةُ من المعرفة بالصّحابَةِ، وذكْرِ عُيونِ فَضائلِ ذي الفضل، فرتّبَهُم بحسَبِ فَضائلِهم وسابِقَةِ بعضِهم على بعضٍ، ومنزلَتِه، وبيّنَ منازلَهُم بياناً موجزاً بليغاً، ليستغنيَ طالبُ العلمِ بذلكَ، ويَكْفِيَه عن قراءةِ التصنيف الطويل.

ومن خَصائصِ منهَجِه في كتابِه: أنَّه جَعَلَه عَلى حُروف المعجم ليَسْهُلَ تناوُلُه عَلى قارئه، وهو وإن جـمَعَ في الاستيعابِ ما تفرَّقَ في كتبِ سيرِ الصّحابَةِ، وأوجَزَ فيما طوَّلوا فيه وأسهَبوا، فإنَّه لا يدَّعي الإحاطةَ بالموضوعِ.

ومِن خَصائصِ مَنهجِه في كتابِه أيضاً: الاعْتِمادُ على الأقوالِ المَشهورَةِ عندَ أهل العلم بالسير وأهل العلم بالأثر والأنساب، بخصوصِ التواريخِ المَعروفَة التى عليها مُعوّلُ العلماء في معرفة تاريخِ الإسلام وسِيَر أهله.

ومن مصادِره التي اعتَمَدَها في التأريخِ للأعلامِ والأحداث؛ تاريخ الواقديّ وتاريخ خليفَة ابنِ خياط وتَواريخ وطَبقات كثيرةٌ، وقد حرصَ على بيانِ الطّرُقِ التي أخذَ منها هذه المصادرَ.

ومن طريقَتِه في عَرْضِ المُترجَمِ لَهُم، تقسيمُه المادّةَ إلى أبوابٍ، كبابِ المُسمَّيْنَ بأبان، وبابِ المسمَّيْن بأزهَر، وباب أغر، وباب أنَس، وباب إياس، ثمّ انتقَلَ إلى بابِ الباءِ، وكلّ مَن يدخلُ تحتَ حرفِ الباء.

أما منهجُ التّرجَمَةِ للأعلام، فيقومُ على ذكْرِ اسمِ الصحابيّ الجليلِ وبيان نسَبِه، ومولدِه وصُحبتِه وما حدَّثَ بِه من أحاديثَ، وما شهدَه من غَزواتٍ، وذكْر منزلَتِه بينَ الصّحابَة، ووَفاتِه.

ولا نبْرَحُ الحديثَ عن منهجِ ابنِ عبدِ البرّ في التّرجَمةِ للصّحابَةِ الكرامِ حتّى نذكُرَ بعضَ الملحوظاتِ التي تتعلّقَ بنقدِ كتابِ الاستيعابِ، منها ما أورَدَه السُّهيْلي

في الرَّوْضِ الأُنُف مِن استدْراكٍ على ابنِ عبدِ البرّ في بعضِ ما أغفلَه، في الحَديثِ عن إسْلام عَبْدِ الله بنِ سَلامٍ، ذَكَرَ قَوْلَ عَمّتِهِ خَالِدَةَ أَهُوَ النَّبِيّ الذي كُنّا نُخْبَرُ أَنّهُ يُبْعَثُ مَعَ نَفَسِ السّاعَةِ وَهَذَا الكَلامُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إنّي لأَجِدُ نَفَسَ السّاعَةِ بَيْنَ كَتِفِي، وهو الحَدِيثُ الذي رواه أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَابْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ، وَجَابِرُ ابنُ سَمُرَةَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ كُلّهمْ عَنْ رَسُولِ الله، خَرّجَ الحديثَ الطّبَرِيّ بِجَمِيعِ أَسَانِيدِه، وذَكَرَ إسْلامَ خالدةَ عمّة ابنِ سلامٍ، وَهِيَ مِما أَغْفَلَهُ أَبُو عُمَرَ فِي كِتابِ الصّحَابَةِ وَقَدْ اسْتَدْرَكْنَاهَا عَلَيْهِ فِي جُمْلَةِ الاسْتِدْراكَاتِ الّتِي أَلْحَقْنَاهَا بِكِتَابِهِ[1].

ومن استدراك أبي علي الغساني على ابن عبد البرّ، قولُ السّهَيْلِيّ: «ذَكَرَ (ابنُ إسحاقَ صاحب السيرَة) رُفَيْدَةَ وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنْ أَسْلَمَ الّذِي كَانَ سَعْدٌ يُمَرّضُ فِي خَيْمَتِهَا، لَمْ يَذْكُرْهَا أَبُو عُمَرَ وَزَادَهَا أَبُو عَلِيّ الْغَسّانِيّ فِي كِتَابِ أَبِي عُمَرَ حَدّثَنِي بِتِلْكَ الزّوَائِدِ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ عَنْهُ وَحَدّثَنِي عَنْهُ أَيْضًا عَنْ أَبِي عُمَرَ أَنّهُ قَالَ لِأَبِي عَلِيّ أَمَانَةُ الله فِي عُنُقِك، مَتَى عَثَرْت عَلَى اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ الصّحَابَةِ لَمْ أَذْكُرْهُ إلا أَلْحَقْته فِي كِتَابِي الّذِي فِي الصّحَابَةِ».

وقد عمل أبو علي بوصية ابن عبد البرّ فذيل عليه ذيلا نقل منه الحافظ ابنُ حَجَر في الإصابة.

- ومما استُدْرِكَ بِه على ابنِ عبد البرّ ما وَضَعه أبو بكر ابن فتحون الأندلسي (ت519هـ)، من استدْراكٍ سَماه «الاستلحاق على كتاب الاستيعاب»، وهو أكبرُ الذيول على الاستيعاب وأوسعها، فقد استدرَكَ على ابن عبد البر حوالي أربعةَ ألفٍ من التّراجِم على شرطِ ابنِ عبد البَرّ وترتيبه ومنهاجِه.

(1) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن السّهيْلِيّ، تحقيق مجدي منصور سيد الشورى.

- وأحمد بن محمد بن ميمون الأشعري: صنف إكمال تذييل ابن فتحون على الاستيعاب، أفاده ابن الزبير في الذيل والتكملة.

- والحافظُ أبو إسحاقَ إبراهيمُ الطليطليُّ القرطبيُّ المَعْروف بابنِ الأمين (ت544هـ): له ذيل سماه (الإعلام بالخيرة الأعلام من أصحاب النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ).

- وابن الدباغ اللخمي الأندلسي (م546هـ): له ذيل على الاستيعاب، وقد نقل منه كثيرا ابن الأثير في أسد الغابة، وكذلك الحافظ في الإصابة.

- وأبو محمد الأشيري الصنهاجي (ت561هـ)، له تعليقات على الاستيعاب، وقد وقعت هذه النسخة لابن الأثير ونقل منها في مواضع في أسد الغابة.

- أبو القاسم ابنُ بَشكُوال القُرطبيّ (ت578هـ): وقع له نسخة من ذيل ابن الأمين الطليطلي السابق، فزاد عليه زوائد: نُشِرت في كتابٍ عنوانُه: «الاستدراك على الاسْتيعاب» لابن الأمين، بروايَة أبي القاسِم ابنِ بَشْكُوال (ت578هـ)[1].

- محمد بن عبد الواحد أبو القاسم الغرناطي الملاَّحي الغافقي (ت619هـ): له ذيل الاستيعاب، ولابن الصَّلاح (ت643هـ) زوائدُ على ذيل ابن الأمين وابن بشكوال[2].

---

(1) درسته وحققته: الأستاذة حَنان الحدّاد، وطبعته ونشرته وزارَة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بالمغرب.

(2) استُفيدَت كثير من المعلومات المتعلّقَة بالذيول والاستدراكات، من مقالَة للباحث أبي إسحاق التطواني، نشرَها في ملتقى أهل الحديث: http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=45073

من المراجعِ التي اهتمّتْ بمنهج ابن عبد البَرّ في دراسة الصّحابَة:

- جهود ابن عبد البر في دراسة الصحابة.
- الحافظ ابن عبد البر ـ حياته ـ آثاره.

2- منهَج القاضي أبي بَكر بنِ العربيّ في تحقيق بعضِ مواقفِ الصّحابَةِ ودفع الشّبُهاتِ التي حاكَها الأعداءُ:

إنّ كتابَ العَواصم من القَواصِم الذي ألفه القاضي ابنُ العربيّ بيانٌ لما كان عليه الصّحابةُ الكِرام من صِفات الكمال، ودحضٌ لما رُموا به من تُهم شنيعة.

ومن خصائص منهجِ صاحبِ الكتابِ في الذّبّ عن الصّحابَةِ الكِرام، اعتمادُه على ما ورَدَ في فَضائلِ الصَّحابة في القرآن الكَريم والسّنّة النبويّةِ، وما وردَ في الثّناءِ عليْهم، وقد قسّم ابنُ العربيّ كتابَه إلى عَواصمَ وقَواصمَ، ابتداءً من قاصمة موت النبيّ ﷺ، التي ورَدَت في حديثِ أنسٍ رضي الله عنه: «ما نَفَضْنا أيدِينا من تُراب قَبرِ رَسول الله ﷺ حتى أنْكَرْنا قلوبَنا». وعلّقَ عليْها ابنُ العربيّ بقولِه: «واضطربت الحال، ثم تدارك الله الإسلام ببيعة أبي بكر، فكان موت النبي ﷺ (قاصمة الظهر) ومصيبة العمر»[1]، فكانَ لا يأتي بقاصِمَةٍ من القَواصِم والأحداثِ الجِسامِ التي حدثَتْ بعْدَ وَفاةِ النبيّ ﷺ، التي أطلَقَ فيها ذوو المَقاصدِ السيئَة ألسنتَهُم بالسوءِ، إلاّ ويُتبِعُها بعاصمةٍ من العَواصمِ التي تَدارَكَ بِها الله عزّ وجلَّ الأمّةَ فلَم ينفَرِطْ عِقْدُها، مثل تَدارُكِ الله الإسلامَ والأنامَ بأبي بَكر الصّدّيق، وصبرِ أبي بَكرٍ في اليومِ الرّهيب، وموقِفه من مانِعي الزَّكاة، وموقِفه في سقيفَةِ بني ساعدَةَ، وتنظيمِه جيشَ الخِلافَةِ، فكان المُصنِّفُ يُسمّي الصّحابَةَ الكِرامَ الذينَ وَقَفوا على دَرْءِ الفِتَنِ والعَمَلِ بوَصايا رَسولِ الله ﷺ، ويردّ مَزاعِم الكائدينَ الذين شاركوا في الجناية على الإسلام، وكانوا طوائفَ: فيهم الغُلاةُ في الدين، الذينَ يُكبرونَ الهنات، ويرتكبونَ في إنكارها الموبقات. وفيهم النّزّاعونَ إلى العَصبياتِ المَقيتَةِ كالعصبيّةِ اليَمَنيّة عَلى شُيوخ الصَّحابة من قريش، ولم تكن لهم في الإسلام سابقة، ولكنّهُم حَسَدوا أهل السابقة من قريش على ما أصابوا من مغانم شرعية جزاء

(1) العَواصِم من القَواصِم (ص37).

جهادهم وفتوحهم، فأرادوا ما لا ينبغي لَهُم بلا سابقة ولا جهاد. وفيهم المَوْتورونَ من حُدود شرعية أقيمت على بعض ذويهم، ممّن تحرّكت الضّغائنُ في قلوبِهم، وفيهم الحَمقى الذين استغل الحاقدونَ ضعفَ قلوبهم فدفعوا بِهم إلى الفتنة والفساد والعقائد الضالة. وفيهم مَن نالَه معْروفُ عثمانَ رضي الله عنه، من قبلُ، فَجَحَدَ المعروفَ وطمع بما لا يستحقه من الرئاسة والتقدم. وفيهم من أصابهم من عثمان تَعزيرٌ شرعيّ طُبِّقَ فيهم على وجه العدْلِ، فأغضبهم التّعزيرُ الشّرعيّ من عُثمانَ. وفيهم المتعجلون بالرياسة قبل أن يتأهلوا لها، فثاروا متعجلين بالأمر قبل إبانه. وبالإجمال، فإن الرحمة التي جبل عليها عثمان وامتلأ بها قلبه أطمعت الكثير فيه، وأرادوا أن يتخذوا من رحمته مطية لأهوائهم.

فكانَ القاضي أبو بَكْرٍ يستعْرِضُ الفِتَنَ وذَوي الفِتَن، ويُبيّنُ مواقفَ الصّحابَةِ الصّحيحَةَ مما أحدَثَه الخَوارِجُ والرّوافضُ والمُغرِضَةُ وذَوو النّفوسِ المَريضَة، وكأنّه دَرَسَ نفسيّاتِ القاصِمينَ من الفَتّانين، والعاصِمينَ من الصّحابَة الكِرام.

من مَلامحِ منهج ابن العربيّ في عرضِ مواقفِ الصّحابَةِ والتّحقيق في مسالِكِهم في التّصدّي للفتنِ، منهَج العرْضِ التّاريخيّ للأحداثِ ومنهَج النّقْدِ للأخبارِ والتّثبُّتِ من صحّةِ الأقوالِ، فقَد سلكَ في بيانِ مواقفِ الصّحابَةِ مسلَك المُحدِّثينَ في جَرْحِ أخبارِ الطّاعِنينَ، فقد كانَ حريصاً على بيانِ مَظاهِرِ التّهافُتِ والكَذِبِ في رِواياتِ الرّواةِ المُتعَدّينَ الذينَ تَعلّقوا برواياتِ الكَذّابينَ المُتّهَمينَ في دينِهم، فقد افتَرَوْا على عُثمانَ رضي الله عنه وهو الخَليفَةُ الرّاشِدِ المُبشّرُ بالجنّةِ، بأنّه جاءَ في ولايته بمظالم ومناكير، منها ضَربُه عَماراً حتّى فتق أمعاءه، وضربُه عبدَ الله بنَ مسعودٍ حتّى كَسَر أضلاعَه ومَنعه عَطاءه، وابْتداعُه في جمع القرآن وتأليفه، وفي حرق المصاحف، ومنها إجْلاؤُه أبا ذرّ إلى الرّبذَة، وإخْراجُه أبا الدّرداءِ من الشّام، ورَدُّه الحَكَمَ بعد أن نفاه رسول الله ﷺ،

وإبطالُه سُنةَ القصر في الصلوات في السفر، وعُلُوّه على درجة رسول الله ﷺ وقد انحط عنها أبو بكر وعمر، وغيابُه يومَ بدرٍ ويومَ بيعةِ الرّضوانِ وانهزامُه يومَ أُحُد...[1].

وبعدَ لأن استعْرَضَ هذه الحكاياتِ والمرويّاتِ التّاريخيّة، ردّ عليْها جُمْلةً بأنّها باطلةٌ سَنَداً ومتْناً، ثـمّ أخـذَ في بيـانِ بُطْلانهـا وتَهافُتِهـا، وشرعَ في نقـضِ التُّهَم واحـدةً تلوَ الأخرى، حيثُ أوردَ من الأخبارِ على لسانِ الصّحابةِ مـا يُبطلُ مقالَةَ الطّاعنينَ وإفْكَهُم ومـا يُثبتُ عَدالَةَ عثْمـانٍ رضي الله عنه مـمـا يشهدُ لَه بِـه الـصّحابَةُ، وقـد ذكـرَ ابـنُ تيميّـةَ في منهاجِ السّنّةِ أنّ عُثمـانَ أفضلُ مِن كلِّ مَن تكلَّم فيه[2]، بـل هـو أفـضلُ مـن كثـيرٍ مـن الصّحابَةِ بمـا ثبتَ من الدّلائلِ؛ فلا يُتّخَذ كَلامُ المَفضولِ قادحاً في الفاضلِ.

فالمنهجُ الصّحيح ألاّ يُبْنى حقٌّ على باطلٍ، ولا يُصدّق مُتَّهَمٌ أو مُتعـصّبٌ أو حاقـدٌ أو كذّابٌ، فَمـا لم يصحّ فيه النّقلُ عن الثّقاتِ ولم يُوثِّقْه أحدٌ من الرُّواةِ التُّقاةِ، فهـو مـردودٌ لا يُبْنى عليْه تاريخٌ صحيحٌ، ولا تُستنبطُ منه سيرةٌ للصّحابَة الكِرام.

ومن منهجِ أبي بكر ابنِ العربيّ في مُعالجَةِ القَواصِمِ بالعَواصمِ اعْتمـادُ مصادرِ التّاريخِ الصّحيحَة كتاريخِ خليفةَ بنِ خيّاطٍ البصريّ، أحد شُـيوخِ البُخـاريّ، وكـانَ صـدوقاً مُستقيمَ الحديث، من أشهرِ رُواةِ السّنّة والتّاريخِ، وأسـدّهم وأوثَقِهـم. ومـن مـصادرِه المُعتَمَدَة كتُبُ صحيحِ الحديث، وسُنَن الدّارقُطنيّ، وغيْرِها مـن كتُـب مُتـونِ الحـديثِ الصّحيح.

وباعتمـادِ كتبِ التّاريخ وكتبِ الصّحاحِ، يكونُ القاضي أبوبكر ابنُ العـربيّ قـد جمَـع بين المنهجِ التّاريخيّ والمنهَج التأصيليّ في بيانِ فضلِ الأصحابِ، وفي ردّ الشّبُهاتِ عنهُم، وهو في الجمعِ بين المنهَجَيْنِ يكونُ قد أسهَمَ بحظٍّ وافرٍ في تثبيتِ أركـانِ هـذه الحـضارَةِ

---

(1) العَواصِم من القَواصِم (ص61-62).

(2) منهاج السّنّة النبويّة، تحقيق عبد الله محمود عُمر.

الإسلاميّةِ، من أن تعصفَ بِها رِياحُ الفتنَةِ، وتحصينِها بما يعصِمُها من قواصِمِ الظَّهرِ[1].

وأما ما أورَدَه العُلَماءُ من أحكامٍ وصفاتٍ ومؤاخذاتٍ على شخصيّة ابنِ العربيّ رحمَه الله، فإنّ ذلك كلّه لا يَرْقى إلى مرتبةِ الطّعْنِ فيه أو الغضّ من شأن منهجِه ومذهبِه في تحقيق مواقفِ الصّحابَة، ومن أولئكَ العُلَماء السيوطيُّ الذي وصفَه بصفة السّطوةِ والشّدّة[2]، ولكنّ هاته الصّفةَ التي تُناسبُ منصبَ القَضاءِ لا تغضّ من شأن العالِمِ المُحقّق الثبْت.

(1) ولقد حاوَلَ بعضُ الدّارسينَ أن يتحدّثَ عما دَعاه بالخِلافاتِ السياسيّةِ بين الأصحابِ الكِرام، في دِراسةٍ اسْتَهْدَفَ منها تجديدَ القول في دراسة الخلافات السياسية بين الصحابة ﷺ، والخروج من دائرة الجدل والمناظرة في قضايا المفاضلة بين الصحابة وفي قضيةِ شرعية خلافة الخلفاء الراشدين، وذهبَ إلى أنّ هذه القضايا استنزفت العقلَ المسلمَ في غير طائل، ودَعا إلى الخُروجِ من تلك الدّائرةِ إلى دائرة التأصيل والتحليل والاعتبار والنّقد، وتحكيمِ مقياسِ الفصلِ بين الشّخصِ والمبدأ، وليست هذه الرسالة سردا للخلافات السياسية بين الصحابة أو خوضا في تفاصيلها، بل هي جملة قواعد منهجية مقترحة للتعاطي مع تلك الخلافات، بما يعين على استخلاص العبرة منها لمستقبل أمة الإسلام وآتي أيامها، وتقومُ الرّسالةُ على فكرةِ الفصلِ بين الشّخصِ والمبدإ... انظُرْ رسالَةَ: الخلافات السياسية بين الصحابة: رسالة في مكانة الأشخاص وقدسية المبادئ.

(2) طبقات الحفاظ للسيوطي(2/ 469).

وفي تفسيرِ القُرطبيّ ردود كثيرة على منهجِ ابن العربيّ وأحكامِه، في مسائلَ فقهيّةٍ كثيرةٍ، وكذا في نيل الأوطار للشّوكاني.

وقد عقَدَ صاحبُ رسالَة «الخلافات السياسيّة بينَ الصّحابَة» فقراتٍ حاولَ أن يُنبّه فيها على ما سماه بالأخطاء العلمية والمنهجية التي وقع فيها ابن العربي في كتاب «العواصم» واتّبعه في أكثرها محققو الكتاب، ومئات الآلاف من طلبة العلم الآخرين، وذلك في سياقِ الموازَنَة بين منهجِ ابنِ تيميّة ومنهجِ ابنِ العربيّ، حتى يتبين القارئُ الفرقَ الهائل بين المنهجَيْن.

وهكذا فقد تعرّضَ هذا البحثُ الموجَزُ لعَلَميْن من أعلامِ الأندلُسِ، الذينَ عُنوا بالتّرجمةِ للصّحابَة وذِكْرِ مناقبِهم، أو التّحقيقِ في بعضِ مواقفِهم والذّبّ عنهُم، ويُعدُّ الحافظُ أبو عُمَرَ يوسُفُ بنُ عبد البرّ النّمريّ الأندلسيّ القرطبيّ المالكي (المُتوَفّى سنةَ 463 هـ)، أنموذَجاً بارزاً في التّرجمةِ للصحابَة الكِرامِ، من خلالِ كتابِه «الاستيعاب»، ونقْلِ أخبارِهم وصُحبتِهم وروايتِهم لآلافِ الأحاديثِ النبويّة التي بُنيَ عليْها التّشريعُ وتأسست عليْها حضارَةُ الأمّة، أما الأنموذَجُ الثّاني فهو القاضي أبو بَكْر ابنُ العَرَبيّ المَعافِريّ الإشبيلي المَغربيّ (ت543هـ)، فقد كانَ مُحققاً في تاريخِ الصّحابَةِ مُبيّناً مَواقفَهُم، دافعاً للشّبُهاتِ التي حاكَها الأعداءُ حولَهُم، وهم خيرُ أمّةٍ أُخْرِجَت للنّاسِ.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله رَبِّ العالَمينَ

فهرس المصادر والمراجع

- ابن حزم ورسالته في المفاضلة بين الصحابة، سعيد الأفغاني، دار الفكر-بيروت.
- الاستيعاب في معْرِفَةِ الأصحاب، لابن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية-بيروت، 2002م.
- أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية-بيروت/ 1992م.
- أصحاب الفتيا من الصحابة والتابعين، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية-بيروت/ 1995م.
- ألقاب الصَّحابَة والتابعين، الإمام الجياني الأندلسي، دار الفضيلة-القاهرة.
- الباعث الحثيث في اختصار عُلوم الحديث، لأبي الفِداء ابن كثير الدّمشقي، دار إحياء التراث العربي-بيروت.
- تذكرة الحفاظ، شمس الدّين الذّهبي، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية-بيروت/1998م
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، للحافظ محمد بن فتوح الحُمَيْديّ، تحقيق محمد ابن تاويت الطنجي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة.
- جهود ابن عبد البر في دراسة الصحابة، د.مجيد خلف منشد، دار ابن حزم، بيروت، 1427هـ/2006م.
- جوامع السيرة، لابن حزم، تحقيق: د. إحسان عباس /ناصر الدين الأسد، ط.دار المعارف، القاهرة.
- الحافظ ابن عبد البر: حياته ـ آثاره، د.محمد بن يعيش، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب، 1410هـ 1990م.

- الخلافات السياسية بين الصحابة: رسالة في مكانة الأشخاص وقدسية المبادئ، ط. مركز الراية بجدة 2004، دار قرطبة بالجزائر 2005م. مركز الناقد بدمشق2007م.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، برهان الدّين ابن فرحون المالكي الأندلسي تحقيق مامون بن محيي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية-بيروت، 1996م.
- الرّوض الأنُف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسِم عبد الرحمن السّهيْليّ، تحقيق مجدي منصور سيد الشوري، دار الكُتُب العلمية، بيروت، 1999م.
- سِيَرُ أعلام النبلاء، للإمام الذّهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة/الشركة المتحدة-بيروت.
- طبقات الحفاظ للسيوطي، دار الكتُب العلميّة، بيروت، 1403هـ.
- العَواصِم من القَواصِم في تحقيق مواقِف الصَّحابَة بعدَ وفاةِ النبيّ ﷺ ، تحقيق محبّ الدّين الخَطيب، نشر: الرئاسَة العامّة لإدارات البُحوث العلميّة والإفتاء والدّعوة والإرشاد، الرّياض، 1404هـ/1984م.
- لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية-بيروت، 1996م.
- مَطمَح الأنفس ومَسرَح التأنس في مُلَح أهل الأندلس، للفتح بن خاقان الإشبيلي، تحقيق: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة/الشركة المتحدة-بيروت.
- منهاج السّنّة النبويّة، لابن تيمية، تحقيق عبد الله محمود عُمر، دار الكتب العلمية - بيروت، 1998م.

مَنْهَجُ الدِّفاعِ عَنِ الصَّحابَةِ الكِرام
بَيْنَ أبي مُحَمَّدِ ابنِ حَزْمٍ وأبي بَكْرِ ابْنِ العَرَبي

د. بنعيسى أحمد بويوزان

مُلَخّصُ البَحْث

حظي الحديث عن صحابة رسول الله ﷺ بقسط وافر في تآليف المغاربة والأندلسيين، حتى إننا لا نكاد نعثر في التراث المغربي والأندلسي على أحد من أهل العلم ممن لم يخصهم، رضي الله عنهم، بالحديث أوالتعبير عن محبتهم والتشبث بمنهجهم شعرا ونثرا.

كما أن للمغاربة والأندلسيين حماس عميق في الذَّبِّ عن الصحابة، والانتصار لهم على أهل البدع والأهواء، ممن تنقصهم، أو حاول النَّيْلَ من مكانتهم التي بوأهم الله جل وعلا إياها، أو ممن طعن فيهم رضوان الله عنهم، ولا شك في أن أبا محمد بن حزم الأندلسي وأبا بكر ابن العربي المعافري، رحمهما الله تعالى، كان لهما القسط الأوفر في ذلك الدفاع، حيث نجد في ما ألفاه في هذا الباب مادة علمية غزيرة جدا، تظهر علو كعب الأندلسيين والمغاربة على السواء، في التصدي لأهل الباطل والغلو في الدين من مختلف الأهواء والمذاهب والنحل، حيث نجدهما رحمهما الله تعالى يقارعون الحجة بالحجة، ويردون على الشبهات والأباطيل التي أثيرت حولهم رضي الله عنهم، ببراهين وأدلة عقلية ونقلية غاية في الدقة والصواب والإفحام.

والمتتبع لما ألفه هذان العلمان من أعلام الأندلس، يجد بأنهما قد صدرا في دفاعهما عن الصحابة رضي الله عنهم عن منهجين دقيقين، قد يتفقان في أحيان كثيرة حول عدة أمور، وقد يختلفان حينا آخر، طبقا لطبيعة كل إمام منهما رحمهما الله تعالى في المحاججة والاستدلال والبرهنة.

الباحث في سطور

الدكتور بنعيسى أحمد بويوزان b-buiauzan@maktoub.com

- من مواليد عام 1964 ببلدة ابن الطيب، بإقليم الناظور.
- أستاذ التعليم العالي بجامعة محمد بن عبد الله فاس.
- دكتوراه الدولة من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بجامعة محمد الأول ـ وجدة بعنوان «الصورة الشعرية ودلالاتها في الشعر الأندلسي على عهد بني الأحمر» عام 2001م، وهي معدة للطبع في جزأين.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- رئيس قسم تحقيق التراث المغربي والأندلسي بمختبر العلاقات المغربية الإيبيرية، بالكلية المتعددة التخصصات، بجامعة محمد بن عبد الله، بفاس.
- شارك في العديد من الملتقيات الوطنية والدولية.
- له دراسات عن الأدب الإسلامي والأدب الأندلسي والأدب المغربي القديم والحديث منشورة في مجلات مغربية وعربية عديدة.

من إنتاجه العلمي المنشور:

- الحركة الثقافية في الريف.
- الحياة السياسية والأدبية في الأندلس في عهد بني الأحمر.
- دراسة بعنوان «من خصائص الشعر الأندلسي في القرن السابع الهجري»، وغير ذلك من الأعمال.

تقديم

بعد انهيار الخلافة الأموية في الأندلس موفَّى القرن الرابع الهجري، سادت البلاد فوضى عارمة في كل مناحي الحياة، سياسيا، واقتصاديا، وعسكريا، واجتماعيا، وعلميا، مما نتج عنه دخول الأندلس في عهد من الانقسام والانشقاق، ظل أثره باديا فيها زمنا غير قصير، حتى آلت إلى ما آلت إليه من سقوط الدولة الإسلامية بها نهائيا أواخر عهد بني الأحمر، رغم محاولات المرابطين، ثم الموحدين من بعدهم، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، بتوحيد الطوائف والدول التي استقل بها أمراؤها عقب سقوط الخلافة الأموية.

ولا شك في أن هذه الداهية التي ألمت بالأندلس، قد حملت معها ـ فيما حملته ـ مذاهب فكرية وعقدية شتى، استغلت الفراغ السياسي الذي انهار بانهيار السلطة المركزية التي كانت في عاصمة الأندلس يومئذ، قرطبة؛ بما كانت تمثله من بهاء الملك وعزة السلطان، ناهيك عن ريادة العلم في العالم الإسلامي كله، فقد كانت دار العلم والعلماء الذين طفقت أسماؤهم ومؤلفاتهم العالم الإسلامي ـ والغربي أيضا من بعد ـ شهرة، بما أوتوه من العلم الراسخ في مختلف الأبواب، العلم الشرعي واللغوي والفكري والأدبي، فيكفي أن قرطبة أنجبت ابن رشد وابن حزم وابن زيدون وابن شهيد، وسواهم كثير جدا ممن عكفت كتب التراجم والتاريخ العام والخاص معا، على سرد تراجم وافية لهم، مما لا يزال مصدرا للباحثين والدارسين إلى اليوم.

لكن، ومنذ الفتنة القرطبية التي ذهبت بريح الخلافة الأموية ـ كما قلنا ـ انفرط عقد حلقات العلم بقرطبة، كما انفرط النظام الفكري للأندلس برمتها، فأصبحت دار الإسلام بالجزيرة مرتعا لمذاهب عقدية وفكرية شتى، استغلت غياب العلم

الشرعي القوي الذي ذوى عوده، وجف معينه، بعدما عصفت الفتنة بالأندلس، فتفرق العلماء في سائر أنحاء الأندلس، ومنهم من غادرها نهائيا إلى مختلف أنحاء البلاد الإسلامية في المغرب والمشرق، مثلما استغلت الفوضى العارمة التي كانت تعيشها العدوة المغربية، التي ظلت تترنح أمدا طويلا بين أهواء الخوارج والشيعة بمختلف طوائفهما، مما كان له أبلغ الأثر على الحياة الفكرية والسياسية بالمغرب الأقصى[1].

وعليه، فإن الفرصة كانت سانحة لتلك الطوائف لتظهر بدعتها في بلاد الأندلس، خاصة وأن الظروف السياسية التي تتبع أهواء الناس، وتنصاع لها لبلوغ المآرب والمراتب، دون النظر أوالتأمل في العواقب، كانت مواتية من جميع نواحيها.

ففي هذه الظروف العصيبة من تاريخ الأندلس، عاش أبو محمد بن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي شاهد بعينيه انهيار قرطبة تحت سنابك الفتنة التي استعر أوارها سنة 399هـ، وكان هو نفسه أحد ضحاياها حيث اكتوى بنارها في ريعان شبابه، فاضطر إلى التغرب في مدن الأندلس وقراها، يجتر ألم الأيام الزاهية التي كان يعيشها في قرطبة في بيت الإمارة، يرتع فيه كيف يشاء؛ كما أنه عايش انتشار الملل والنحل والأهواء في دار العلم، قرطبة التي دخلها علي بن حمود في المحرم من سنة 407هـ / يناير 1016م، حيث أطلق العنان للمبتدعة ليعيثوا فسادا في الحياة الفكرية الأندلسية، ذلك لأنه «فسح المجال لحرية الرأي وتباري المذاهب والنحل، بحيث كان المذهب الذي له السيادة في عهده، هو

---

(1) عقد الدكتور محمود إسماعيل عبد الرازق، بابا قيما للحديث عن الصراع بين الخوارج والشيعة في بلاد المغرب، في كتابه «الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري» (: 209 وما بعدها)، وراجع بشكل خاص الفصل المتعلق بثورات الخوارج الصفرية على الحكم الفاطمي(ص:219 وما بعدها).

مذهب المعتزلة»[1]، حتى إنه قرب إليه شعراء من مختلف المذاهب والنحل، وعلى رأسهم الشاعر عبادة بن ماء السماء الذي كان معروفا بالتشيع[2].

غير أنه، رغم مرارة العيش التي كان يقاسيها ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي خرج من بلده قرطبة هائما على وجهه في بلاد الأندلس تطارده المضايقات والتهديدات حيثما حل وارتحل، بعدما ضاع كل ما كان تحت يده ويد أجداده من جاه ونفوذ وديار، وما إلى ذلك، فإنه ظل ينتصر لعقيدة أهل السنة والجماعة ـ وإن كانت له مشاداة مع بعض فقهاء المالكية ـ ضد المبتدعة، وأهل الملل والنحل الذين ألف أحد أشهر كتبه «الفصل في الملل والأهواء والنحل»[3] لتبيين عقائدهم، وفضح نزعاتهم وأفكارهم التي بنوها على عقائدهم الباطلة، بما آتاه الله تعالى من حفظ لا نظير له، وذهن وقاد أَهَّلَهُ مع لسانه الحاد، لإسكات كثير من رؤوس البدعة في الأندلس، وفي كل مكان ظهر فيه كتابه هذا.

وما إن توفاه الله تعالى إليه عام 456هـ، حتى قيض سبحانه للأندلس من يقوم مقامه لمتابعة الذَّبِّ عن السنة النبوية الشريفة، والتنكيل بالبدعة وأهلها، حيث ولد أبوبكر ابن العربي المعافري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإشبيلية عام 468هـ، بعد اثنتي عشرة سنة من وفاة ابن حزم؛ ولا يقل عصر ابن العربي فتنة في الأندلس عن عصر ابن حزم، وإن كان الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين، قد تمكن من جمع شتات ملوك الطوائف، وبسط نفوذ السلطان المغربي على الأندلس، ثم تابعه الموحدون من بعده على هذا الدرب، إلى أن انقرضت دولتهم من الأندلس بهزيمتهم في معركة العقاب سنة 612هـ، لتدخل الجزيرة

---

(1) راجع بتفصيل كتاب «دولة الأدارسة، ملوك تلمسان وفاس وقرطبة» لإسماعيل العربي(ص236 وما بعدها).

(2) نفسه(ص237).

(3) حققه أحمد السيد سيد أحمد علي، المكتبة التوفيقية، القاهرة ـ بدون تاريخ.

مرة أخرى في أتون الفتن المتواصلة، إلى أن انقاد ما تبقى منها لمحمد ابن الأحمر حوالي 630هـ.

فأبو بكر ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يعي وعيا جيدا مدى خطورة الطوائف المبتدعة، وأثرها السيئ على الحياة الفكرية في الأندلس والمغرب معا، فألف كتابه الشهير «العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ»[1] الذي بلغ فيه الغاية في الدفاع عن صحابة رسول الله ﷺ، ورضي عنهم.

وعليه، فإننا أمام نموذجين فريدين في الدفاع عن الصحابة الكرام في الغرب الإسلامي الذي درج علماؤه وعامته على السواء، على صيانة أعراض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، والدفاع عنهم قولا وعملا، إذ يكفي أن الإمام القاضي عياض اليحصبي السبتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قد عقد بابا خاصا للحديث عن حكم التنقص من الصحابة رضي الله عنهم، أوسب أحد منهم رضي الله عنهم، فقال رحمه الله: «من شتم أحداً من أصحاب النبي ﷺ: أبا بكر، أو عمر، أو عثمان، أو معاوية، أو عمرو بن العاص، فإن قال: كانوا على ضلال وكفر قُتل، وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالاً شديداً. وقال ابن حبيب: من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أُدِّب أدباً شديداً، ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد، ويكرر ضربه، ويطال سجنه حتى يموت، ولا يبلغ به القتل إلا في سب النبي ﷺ. وقال سحنون: من كفر أحداً من أصحاب النبي ﷺ: علياً، أو عثمان، أو غيرهما - يوجع ضرباً . وحكى أبو محمد ابن أبي يزيد، عن سحنون: من قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي: إنهم كانوا على ضلالة وكفر قُتِل. ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل ذلك نكل النكال

(1) حققه وعلق حواشيه محب الدين الخطيب، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة.

الشديد. وروي عن مالك: من سب أبا بكر جلد، ومن سب عائشة قتل. قيل له: لم؟ قال: من رماها فقد خالف القرآن.

وقال ابن شعبان عنه: لأن الله يقول: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، فمن عاد لمثله فقد كفر. وحكى أبوالحسن الصقلي أن القاضي أبا بكر بن الطيب قال: إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسبه إليه المشركون سبح نفسه لنفسه، كقوله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ﴾... في آي كثيرة. وذكر تعالى ما نسبه المنافقون إلى عائشة فقال: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ ـ سبح نفسه في تبرئتها من السوء، كما سبح نفسه في تبرئته من السوء. وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة. ومعنى هذا، والله أعلم، أن الله، لما عظم سبها كما عظم سبه، وكن سبها سباً لنبيه، وقرن سب نبيه وأذاه بأذاه تعالى، وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه كذلك كما قدمناه»(1).

لذلك، فإننا سنرى بأن كُلاً من ابن حزم وابن العربي المعافري رحمهما الله، قد أجاد في الدفاع عن صحابة رسول الله ﷺ ورضي عنهم، وإن سلكا منهجين مختلفين في هذا الدفاع، إلا أنهما منهجان متكاملان أشد التكامل، فطبيعة ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ المائلة إلى الجدال والحجاج، طغت على منهجه، بينما طبيعة ابن العربي الجانحة إلى الروح العلمية الهادئة العميقة، فإنه آثر توثيق الروايات والأخبار والأحاديث توثيقا علميا قبل النظر فيها ومناقشتها.

---

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (2 / 1108 ـ 1110).

وأشير منذ البداية إلى أن رغبة كل عالم من هذين العالمين الجليلين في الاستقصاء والمناقشة وسد المنافذ ـ مهما تكن دقيقة ـ على أهل البدع والأهواء، يجعل الاستشهاد بنص من نصوصهما أمرا يوقع الباحث في حرج كبير، لأن الاقتصار على جزء من النص المستشهد به دون بقيته، لا يفي بالغرض مطلقا، لأن الصورة لا تكتمل إلا بإيراد النص المستشهد به على قضية من القضايا كاملا، فيكون النص آنئذ طويلا بعض الشيء، على النحو الذي سيأتي مفصلا إن شاء الله جل وعلا.

ولا أُخْفي في هذا التقديم من هذا البحث، المتواضع أنني رأيت بأن أبدأ بعرض منهج أبي بكر ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، رغم تأخره زمنيا عن ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما فعلت ذلك إلا لأنني أرى ـ والله أعلم ـ أن منهج ابن العربي أكثر تكاملا وتناسقا، ولا أشك في أنه قد استفاد من ابن حزم، فعزم على إيلاء منهجه من العناية ما فات ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أولا: منهج أبي بكر ابن العربي:

1 ـ توثيق الروايات والأخبار:

فمن الواضح أن أبا بكر ابن العربي المعافري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كان يصدر في كتابه «العواصم من القواصم»، عن منهج واضح جدا سار عليه من بداية الكتاب إلى نهايته، لكن الذي يلزم الوقوف عنده قبل عرض تفاصيل هذا المنهج ـ وإن كان هذا في حد ذاته من صميم المنهج الذي اتبعه ـ لأهميته البالغة، هو ذلك الإلحاح الشديد من أبي بكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ضرورة توثيق المادة التاريخية التي صيغت وقيلت في الأحداث التي شهدها الصدر الأول من تاريخ الإسلام، لذلك، فإنه كان شديد الاهتمام بتحري دقة وصحة الأخبار المروية، حتى وإن ناقش أقوال وأوهام خصوم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ثم بعد ذلك يعمد إلى نسف تلك المرويات ومحتوياتها من الأباطيل والافتراءات.

ولعل الإلمام بكل ما تطرق إليه في كتابه هذا غير ممكن، فإنه يكفينا ضرب بعض الأمثلة التي تعكس بوضوح الخطوات المنهجية التي اتبعها رحمه الله في كل ما ذهب إليه في دفاعه وذبه عن صحابة رسول الله ﷺ، بتوثيق المادة المروية توثيقا علميا أفحم الخصوم وأبطل افتراءاتهم، من ذلك مثلا، قوله في خروج عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا إلى البصرة: «فإن قيل: لم خرجت عائشة؟ وقد قال لهن في حجة الوداع «هذه ثم ظهور الحصر». قلنا: حدَّث حدثين امرأة، فإن أبت فأربعة. يا عقول النسوان ألم أعهد إليكم ألا ترووا أحاديث البهتان، وقدمنا لكم على صحة خروج عائشة البرهان، فلم تقولون ما لا تعلمون؟ وتكررون ما وقع الانفصال عنه كأنكم لا تفهمون؟ ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

وأما الذي ذكرتم من الشهادة على ماء الحوأب، فقد بؤتم في ذكرها بأعظم حوب. ما كان قط شيء مما ذكرتم، ولا قال النبي ذلك الحديث، ولا جرى ذلك الكلام،

ولا شهد أحد بشهادتهم، وقد كتبت شهاداتكم بهذا الباطل وسوف تسألون»[1]، حيث نلاحظ رده لهذا الحديث، وعدم تسليمه بصحته البتة، ومع ذلك فقد بنى عليه خصوم صحابة رسول الله ﷺ، وخصوم أزواجه الطاهرات ما شاؤوا من الأباطيل والافتراءات، حتى خلص أبو بكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى قوله: «وذكروا في تفاصيل ذلك كلمات آلت إلى استفعال رسائل واستخراج أقوال، وإنشاء أشعار، وضرب أمثال تخرج عن سيرة السلف، يقرها الخلْف وينبذها الخلَف»[2].

وقد ظل ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ متمسكا بضرورة التأكد من صحة الخبر المروي فيما نسب إلى الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في كل أطوار كتابه، وجعله شرطا أساسيا في منهجه، حتى قال رحمه الله: «وما وقع من روايات في كتب التاريخ ـ عدا ما ذكرنا ـ فلا تلتفتوا إلى حرف منها، فإنها كلها باطلة»[3].

وهذا التحقق من الخبر المروي مما تناقلته ألسنة الرواة حتى شاعت بين الناس، واعتقد كثير منهم بأنها أخبار صحيحة، جعل ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعيد النظر بدقة فهمه وسعة علمه في قضية التحكيم، وما تناقلته كتب الإخباريين مما جرى خلالها بين أبي موسى الأشعري وعمروبن العاص رضي الله عنهما، وقد اعتمد في إعادة النظر هذه رحمه الله على رواية المحدثين لهذه القضية وليس على رواية الإخباريين، وهو في هذا شديد الحذر والتحري في التمسك بالصواب، ثم إنه في ذلك كله بارع في سوق الحجج والتنسيق بينها، فتبدو متماسكة من كل جوانبها، يقول رحمه الله: «وقد تحكم الناس في التحكيم فقالوا فيه مالا يرضاه الله، وإذا لحظتموه بعين المروءة ـ دون الديانة ـ رأيتم

---

(1) العواصم من القواصم(ص 109 ـ 110).
(2) نفسه (ص112).
(3) نفسه (ص117).

أنها سخافة حمل على سطرها في الكتب في الأكثر عدم الدين، وفي الأقل جهل متين، والذي يصح من ذلك، ما روى الأئمة كخليفة بن خياط والدارقطني، أنه لما خرجت الطائفة العراقية مائة ألف والشامية في سبعين ألفاً ونزلوا على الفرات بصفين، اقتتلوا في أول يوم ـ وهو الثلاثاء ـ على الماء فغلب أهل العراق عليه.

ثم التقوا يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة [سبع وثلاثين] ويوم الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت، ورفعت المصاحف من أهل الشام، ودعوا إلى الصلح، وتفرقوا على أن تجعل كل طائفة أمرها إلى رجل حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعويين بالحق، فكان من جهة علي أبوموسى، ومن جهة معاوية عمروبن العاص.

وكان أبو موسى رجلاً ثقفاً فقيهاً عالماً حسبما بيناه في كتاب «سراج المريدين»، أرسله النبي ﷺ إلى اليمن مع معاذ، وقدمه عمر وأثنى عليه بالفهم. وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة أنه كان أبله ضعيف الرأي مخدوعاً في القول، وأن ابن العاص كان ذا دهاءٍ وأرب حتى ضربت الأمثال بدهائه تأكيداً لما أرادت من الفساد، اتبع في ذلك بعض الجهال بعضاً وصنفوا فيه حكايات، وغيره من الصحابة كان أحدق منه وأدهى، وإنما بنوا على أن عمرو لما غدر أبا موسى في قصة التحكيم صار له الذكر في الدهاء والمكر، وقالوا: إنهما لما اجتمع بأذرح من دومة الجندل، وتفاوضا، اتفقا على أن يخلعا الرجلين. فقال عمرو لأبي موسى: اسبق بالقول، فتقدم فقال: إني نظرت فخلعت علياً عن الأمر، وينظر المسلمون لأنفسهم، كما خلعت سيفي هذا من عنقي ـ أو من عاتقي ـ وأخرجه من عنقه فوضعه في الأرض. وقام عمرو فوضع سيفه في الأرض وقال: إني نظرت فأثبت معاوية في الأمر كما أثبت سيفي هذا في عاتقي، وتقلده، فأنكر أبوموسى، فقال عمرو: كذلك اتفقنا، وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف.

☒ **عاصمة**

قال القاضي أبو بكر: هذا كله كذب صراح ما جرى منه حرف قط. وإنما هو شيء أخبر عنه المبتدعة، ووضعته التاريخية للملوك، فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع، وإنما الذي روى الأئمة الثقات الأثبات، أنهما لما اجتمعا للنظر في الأمر ـ في عصبة كريمة من الناس منهم ابن عمر ونحوه ـ عزل عمرو معاوية.

ذكر الدارقطني بسنده إلى حضين بن المنذر: لما عزل عمرو معاوية جاء [أي حضين ابن المنذر] فضرب فسطاطه قريباً من فسطاط معاوية، فبلغ نبأه معاوية، فأرسل إليه فقال: إنه بلغني عن هذا [أي عن عمرو] كذا وكذا، فاذهب فانظر ما هذا الذي بلغني عنه، فأتيته فقلت: أخبرني عن الأمر الذي وليت أنت وأبو موسى كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس في ذلك ما قالوا، والله ما كان الأمر على ما قالوا، ولكن قلت لأبي موسى: ما ترى في هذا الأمر؟ قال أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ. قلت: فأين تجعلني أنا ومعاوية؟ فقال: إن يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما، قال: فكانت هي التي قتل معاوية منها نفسه»[1]، ثم ختم كلامه هذا بقوله: «فهذا كان بدء الحديث ومنتهاه، فأعرضوا عن الغاوين، وازجروا العاوين، وعرجوا عن سبيل الناكثين، إلى سنن المهتدين؛ وأمسكوا الألسنة عن السابقين إلى الدين، وإياكم أن تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب رسول الله ﷺ، فقد هلك من كان أصحاب النبي ﷺ خصمه. ودعوا ما مضى، فقد قضى الله فيه ما قضى، وخذوا لأنفسكم الجد فيما

---

(1) العواصم من القواصم (ص117 – 121).

يلزمكم اعتقاداً وعملاً، ولا تسترسلوا بألسنتكم فيما لا يعينكم مع كل ناعق اتخذ الدين هملاً، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً»[1].

حيث يظهر بوضوح أن أبا بكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يلتفت مطلقا إلى روايات الإخباريين، وإنما اعتمد على روايات المحدثين الذين اتصل سندهم بمن شهد الواقعة، وعاش الأحداث كما رآها وسمعها، وأكثر من ذلك، أنه رحمه الله يحلل النقول التي قيلت في أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فيدحضها من أساسها، إذ ليس صحيحا ما قيل فيه رضي الله عنه من أنه كان ـ كما ذكر ذلك خصومه ـ وقد شرف بتكليف رسول الله ﷺ إياه مع معاذ بن جبل رضي الله عنه بمهمة إلى اليمن، كما أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو من هو في اختيار ولاته وأمرائه، أثنى عليه بالذكاء والفهم والفقه.

وكل هذا جعل أبا بكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصرح بأنه لا يثق فيما يروى إلا إذا ثبت بطرق صحيحة لا مرية فيها، لأنه، ومنذ الصفحات الأولى من كتابه هذا، يؤكد على أن الحديث عن صحابة رسول الله ﷺ، وبشكل خاص عن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وهم الذين حملوا لواء مسؤولية الأمة بعد رسول الله ﷺ، ليس حديثا عاديا، ولا كلاما عابرا عن أناس عاديين، يسارع المرء فيه إلى قبول كل ما يروى عنهم دون توثيق ولا تثبت، خاصة وأن الزمن الذي وقعت فيه هذه الأحداث، هو زمن فتنة امتحن فيها المسلمون امتحانا عسيرا، ترتبت عنه تداعيات ظلت حاضرة وفاعلة، في الوقت نفسه، في واقع الأمة الإسلامية أمدا طويلا، لذلك نراه يفصح عن طريقته في التعامل مع كل المرويات عن هذه الفترة من تاريخ الأمة الإسلامية بقوله، وهو يتحدث عن قضية تسميم الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «قلنا: هذا محال من وجهين: أحدهما أنه ما كان ليتقى من الحسن بأساً وقد سلم الأمر؛ الثاني أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله

---

(1) العواصم من القواصم (ص122).

فكيف تحملونه ـ بغير بينة ـ على أحد من خلقه في زمان متباعد لم نثق فيه بنقل ناقل، بين أيدي قوم ذوي أهواء، وفي حال فتنة وعصبية، ينسب كل واحد إلى صاحبه ما لا ينبغي، فلا يقبل منها إلا الصافي، ولا يسمع فيها إلا من العدل المصمم»[1]، بل إنه رحمه الله قد حذر صراحة من أسماء بعض المؤرخين بأعيانهم، ودعا الناس إلى عدم الأخذ بمروياتهم، لكونها لا تتوفر فيها شروط الصدق لا عقلا ولا نقلا، من ذلك مثلا قوله: «قال القاضي أبوبكر: والناس إذا لم يجدوا عيباً لأحد، وغلبهم الحسد عليه، وعداوتهم، له أحدثوا له عيوباً؛ فاقبلوا الوصية، ولا تلتفتوا إلا إلى ما صح من الأخبار، واجتنبوا ـ كما ذكرت لكم ـ أهل التواريخ، فإنهم ذكروا عن السلف أخباراً صحيحة يسيرة ليتوسلوا بذلك إلى رواية الأباطيل، فيقذفوا ـ كما قدمنا ـ في قلوب الناس ما لا يرضاه الله تعالى، وليحتقروا السلف ويهونوا الدين، وهوأعز من ذلك، وهم أكرم منا، فرضي الله عن جميعهم.

ومن نظر إلى أفعال الصحابة، تبين منها بطلان هذه الهتوك التي يختلقها أهل التواريخ فيدسونها في قلوب الضعفاء، وهذا زياد لما أحس المنية استخلف سمرة بن جندب من كبار الصحابة، فقبل خلافته وكيف يظن به ـ على منزلته ـ أنه يقبل ولاية ظالم لغير رشدة، وهو على ما هو عليه من الصحبة، وذلك من غير إكراه ولا تقية؟ إن هذا لهو الدليل المبين، فمع من تحبون أن تكونوا: مع سمرة بن جندب، أومع المسعودي والمبرد وابن قتيبة ونظرائهم، وهذا غاية في البيان»[2]؛ وفي المقابل نراه يزكي بعض المؤرخين

---

(1) العواصم من القواصم (ص143 ـ 144).

(2) نفسه(ص164)، وقد قال المحقق رحمه الله في الهامش رقم 2 من هذه الصفحة تعليقا على قول ابن العربي:«حكم القاضي أبو بكر على ابن قتيبة هذا الحكم القاسي، وهو يظن أن كتاب (الإمامة والسياسة) من تأليفه كما سيأتي، وكتاب (الإمامة والسياسة) ذكرت فيه أمور وقعت بعد موت ابن قتيبة، فدل ذلك على أنه مدسوس عليه من خبيث صاحب هوى، ولو وقف المؤلف على هذه الحقيقة لوضع الجاحظ ومن هم دون الجاحظ في موضع ابن قتيبة».

ويدعو إلى الأخذ بما رووه في كتبهم، كما فعل مع الطبري حيث قال فيه: «إنما ذكرت لكم هذا لتحترزوا من الخلق، وخاصة من المفسرين، والمؤرخين، وأهل الآداب، بأنهم أهل جهالة بحرمات الدين، أوعلى بدعة مصرين، فلا تبالوا بما رووا، ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث، ولا تسمعوا لمؤرخ كلاما إلا للطبري، وغير ذلك هو الموت الأحمر، والداء الأكبر؛ فإن ينشؤون أحاديث فيها استحقار الصحابة والسلف، والاستخفاف بهم، واختراع الاسترسال في الأقوال والأفعال عنهم، وخروج مقاصدهم عن الدين إلى الدنيا، وعن الحق إلى الهوى؛ فإن قاطعتم أهل الباطل واقتصرتم على رواية العدول، سلمتم من هذه الحبائل؛ ولو تطووا كشحاً على هذه الغوائل؛ ومن أشد شيء على الناس جاهل عاقل، أو مبتدع محتال؛ فأما الجاهل فهو ابن قتيبة، فلم يبق ولم يذر للصحابة رسما في كتاب (الإمامة والسياسة) إن صح عنه جميع ما فيه، وكالمبرد في كتابه الأدبي؛ وأين عقله من عقل ثعلب الإمام المتقدم في أماليه، فإنه ساقها بطريقة أدبية سالمة من الطعن على أفاضل الأمة.

وأما المبتدع المحتال فالمسعودي، فإنه يأتي منه متاخمة الإلحاد فيما روى من ذلك، وأما البلاغة فلا شك فيه، فإذا صنتم أسماعكم وأبصاركم عن مطالعة الباطل، ولم تسمعوا في خليفة مما ينسب إليه ما لا يليق، ويذكر [عنه] ما لا يجوز نقله، كنتم على منهج السلف سائرين، وعن سبيل الباطل ناكبين»[1].

فمن الواضح إذن، أن أبا بكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يجعل تحري الصدق والدقة في الرواية في المقام الأول، لأن مناقشة محتوى الخبر يقتضي ضرورة تبيُّن صحة الرواية، خاصة إذا تعلق الأمر بأفضل قرون هذه الأمة الإسلامية، وأفاضلها الذين عاشوا نزول الوحي على رسول الله ﷺ، ونالوا شرف صحبته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتحملوا معه ما تحملوه من الأذى

---

(1) العواصم من القواصم (ص166 ـ 167).

والضنك من أجل تثبيت قواعد الدين وأسس الدولة الإسلامية، كما أنهم هم الذين تحملوا من بعده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسؤولية حمل رسالة الإسلام إلى الآفاق، وكافة بقاع الأرض، وعليه فليس الحديث عنهم حديثا عاديا رتيبا تقبل فيه أقوال الرواة والإخباريين دون تثبت ولا توثيق؛ ولا شك في أن ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ نجده هنا سالكا مسلك المحدثين في رواية الخبر، كما صرح بذلك بنفسه في كلامه أعلاه، فهو يطمئن إلى مروياتهم دون سواهم، خاصة وأنه هو نفسه محدث حمل راية الحديث النبوي الشريف في الغرب الإسلامي على عهده، بعد أن طاف في بلاد المشرق الإسلامي يأخذ الحديث النبوي الشريف عن شيوخه للفوز بالسند العالي، وقد حصل له ذلك[1].

وعليه، فإن توثيق الخبر والتأكد من صحته سندا ومتنا، ظل في المقام الأول من اهتمام أبي بكر بن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ، لأن الحديث عن مقام الصحابة رضوان الله عليهم يقتضي ذلك، ويفرضه على كل من يتصدى للحديث عنهم رضي الله عنهم أجمعين.

2 ـ أسس منهج أبي بكر بن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ:

بعد مبحث توثيق الخبر والتأكد من صحته، نجد أن ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ، قد التزم بمنهج واضح منذ بداية كتابه العواصم من القواصم، وسار عليه حتى نهايته، مستعينا بمخزونه العلمي والمعرفي الهائل، بحيث إننا نجده يوظف كل ما تختزنه ذاكرته من العلوم الإسلامية، كالحديث والفقه وعلومهما، إضافة إلى اللغة العربية التي تبحر فيها إلى أبعد الحدود.

---

(1) راجع ما قلناه في هذا الشأن في بحثنا الذي عنوانه: «فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجريين»، وقد نشر في الجزء التاسع من أبحاث الندوة الدولية بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام 1426 بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، في الفترة مابين 13 ـ 15 شعبان 1426هـ/ 17ـ 19 شتنبر 2005، (ص 233 وما بعدها).

وعليه فإن منهج ابن العربي في الدفاع عن صحابة رسول الله ﷺ، مبني على الأسس التالية:

أ ـ عرض أقوال الخصوم وحججهم:

وهنا نجد أبا بكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ يلتزم بالمنهج العلمي في التعامل مع المادة التي يناقشها، حتى يكون المتلقي على بينة مما يقوله المؤلف في رده على أوهام وأباطيل خصوم صحابة رسول الله ﷺ، لذلك فهو يعمد أولا وقبل كل شيء إلى إيراد أقوال أولئك الخصوم، كما هي ثابتة في كتبهم ومصادرهم؛ من ذلك مثلا مناقشته الواسعة والعميقة لما قيل في الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، حيث يورد بتفصيل ما قاله فيه خصومه على الشكل التالي: «قالوا متعدين، متعلقين برواية كذابين: جاء عثمان في ولايته بمظالم ومناكير، منها:

1. ضربه لعمار حتى فتق أمعاءه.
2. ولابن مسعود حتى كسر أضلاعه ومنعه عطاءه.
3. وابتدع في جمع القرآن وتأليفه، وفي حرق المصاحف.
4. وحمى الحمى.
5. وأجلى أبا ذر إلى الربذة.
6. وأخرج من الشام أبا الدرداء.
7. ورد الحكم بعد أن نفاه رسول الله ﷺ.
8. وأبطل سنة القصر في الصلوات في السفر.
9. وولى معاوية، [وعبد الله بن عامر بن كريز] ومروان، وولى الوليد بن عقبة وهو فاسق ليس من أهل الولاية.

10. وأعطى، مروان خمس إفريقية.

11. وكان عمر يضرب بالدرة وضرب هوبالعصا.

12. وعلا على درجة رسول الله ﷺ وقد انحط عنها أبو بكر وعمر.

13. ولم يحضر بدراً، وانهزم يوم أحد، وغاب عن بيعة الرضوان.

14. ولم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان (الذي أعطى السكين إلى أبي لؤلؤة، وحرضه على عمر حتى قتله).

15. وكتب مع عبده على جمله كتاباً إلى ابن أبي سرح في قتل من ذكر فيه»[1].

وبعد أن أورد أقوالهم كما هي مرتبة وواضحة، عمد إلى مناقشتها واحدة واحدة من كل جوانبها، ولا يخفى ما ذهب إليه منذ البداية من عدم صحة ما روي في هذه التهم، وما أقحمه فيها خصوم صحابة رسول الله ﷺ، وليس فقط خصوم الخليفة عثمان رضي الله عنهم أجمعين، لهذا نجده عندما انتقل إلى الرد على هذه التهم ونقضها، صدَّر ردوده بقوله: «هذا كله باطل سنداً ومتناً»[2].

ب ـ مناقشة التهم والرد عليها:

فكما أنه نبه على كذب ما قيل في عثمان رضي الله عنه قبل إيراد تلك التهم مرتبة على النحوأعلاه، نبه أيضا على كذب هذه التهم وبطلانها قبل أن يبدأ في الرد عليها، ومع ذلك، فإن وعيه بالمسؤولية العلمية، حمله على إيراد هذه التهم على باطلها، ثم بدأ في مناقشتها والرد عليها بما يقتضيه المقام، إلا أن الملاحظ، أن ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يسارع

(1) العواصم من القواصم (ص48 ـ 49).
(2) نفسه (ص49).

إلى إصدار الحكم على تهمة ما قبل الخوض في مناقشتها وتبرير الحكم الذي أصدره عليها، لأنه ـ كما أعتقد ـ واثق من حجته، ومطمئن إلى صحة ما يذهب إليه، فقال رحمه الله ـ وأراني مضطرا إلى الاستشهاد بكلامه هذا على طوله ـ: «أما قولهم «جاء عثمان بمظالم ومناكير» فباطل».

1ـ 2 ـ وأما ضربه لابن مسعود ومنعه عطاءه فزور، وضربه لعمار إفك مثله، ولو فتق أمعاءه ما عاش أبداً، وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغي أن يشتغل بها لأنها مبنية على باطل، ولا يبنى حق على باطل، ولا نذهب الزمان في مماشاة الجهال، فإن ذلك لا آخر له.

3ـ وأما جمع القرآن، فتلك حسنته العظمى، وخصلته الكبرى، وإن كان وجدها كاملة، لكنه أظهرها ورد الناس إليها، وحسم مادة الخلاف فيها، وكان نفوذ وعد الله بحفظ القرآن على يديه حسبما بيناه في كتب القرآن وغيرها.

روى الأئمة بأجمعهم أن زيداً بن ثابت قال: أرسل إلي أبوبكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: «إن عمر أتانا فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تجمع القرآن؛ قلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر». قال زيد: قال أبو بكر: «إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ؛ فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمروني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر:«هذا والله خير». فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت القرآن

أجـمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخـر سـورة التوبـة مـع خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غـيره ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنَ أَنفُسِكُمْ ﴾ حتى خاتـمة براءة».

فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر، حتى قدم حذيفة بن اليمـان على عثمـان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية مع أهل العراق فحدثه حذيفة عن اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمـان: يـا أمـير المؤمنين، أدرك هذه الأمـة قبـل أن يختلفـوا في الكتـاب اخـتلاف اليهـود والنـصارى: فـأرسل عثمـان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثـم نردهـا إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمـان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسـعيد ابن العاص، وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمـان للرهط القرشيين الثلاثة: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء مـن القـرآن فـاكتبوه بلسان قريش، فإنمـا نزل بلسانهم» ففعلوا.

حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمـان الصحف إلى حفصة، وأرسـل إلى كل أفق بمصحف مـمـا نسخوا، وأمر بمـا سواه من القرآن في كل صحيفة ومـصحف أن يحرق.

قال ابن شهاب: «وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت أنـه سـمع زيـد بـن ثابـت قـال: «فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجـدناها مـع خزيمـة الأنـصاري ﴿ مِّنَ ٱلْمُومِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ فألحقناها في سورتها من المصحف».

وأمـا مـا روى أنه حرقها أو خرقها ـ بالحاء المهملة أو الخاء المعجمة وكلاهمـا جـائز ـ إذا كان في بقائها فساد، أو كان فيها مـا ليس من القرآن، أو مـا نسخ منـه، أو عـلى غـير

نظمه، فقد سلّم في ذلك الصحابة كلهم: إلا أنه روي عن ابن مسعود أنه خطب بالكوفة فقال: «أما بعد، فإن الله قال ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَاتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وإني غالٌّ مصحفي، فمن استطاع منكم أن يغل مصحفه فليفعل». وأراد ابن مسعود أن يؤخذ بمصحفه، وأن يثبت ما يعلم فيه، فلما لم يفعل ذلك، قال له ما قال، فأكرهه عثمان على رفع مصحفه، ومحا رسومه لم تثبت له قراءة أبداً، ونصر الله عثمان والحق بمحوها من الأرض.

4ـ وأما الحمى، فكان قديما، فيقال إن عثمان زاد فيه لما زادت الرعية وإذا جاز أصله للحاجة جازت الزيادة لزيادة الحاجة.

5ـ وأما نفيه أبا ذر إلى الربذة فلم يفعل، كان أبو ذر زاهداً، وكان يقرع عمال عثمان، ويتلو عليهم ﴿وَالذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]، ويراهم يتسعون في المراكب والملابس حين وجدوا، فينكر ذلك عليهم، ويريد تفريق جميع ذلك من بين أيديهم، وهو غير لازم. قال ابن عمر وغيره من الصحابة: إن ما أديت زكاته فليس بكنز، فوقع بين أبي ذر ومعاوية كلام بالشام، فخرج إلى المدينة، فاجتمع إليه الناس، فجعل يسلك تلك الطرق، فقال له عثمان: «لو اعتزلت». معناه أنك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس، فإن للخلطة شروطاً وللعزلة مثلها، ومن كان على طريقة أبي ذر فحاله يقتضي أن ينفرد بنفسه، أو يخالط ويسلم لكل أحد حاله مما ليس بحرام في الشريعة، فخرج إلى الربذة زاهداً فاضلاً، وترك جلة فضلاء، وكل على خير وبركة وفضل، وحال أبي ذر أفضل، ولا تمكن لجميع الخلق، فلو كانوا عليها لهلكوا، فسبحان مرتب المنازل.

---

(1) سورة التوبة: الآية 34.

ومن العجب أن يؤخذ عليه في أمر فعله عمر، فقد روي أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه سجن ابن مسعود في نفر من الصحابة بالمدينة حين استشهد، فأطلقهم عثمان، وكان سجنهم، لأن القوم أكثروا الحديث عن رسول الله ﷺ.

ووقع بين أبي ذر ومعاوية كلام، وكان أبوذر يطلق من الكلام ما لم يكن في زمان عمر، فأعلم معاوية بذلك عثمان، وخشي من العامة أن تثور منهم فتنة، فإن أبا ذر كان يحملهم على التزهد وأمور لا يحتملها الناس كلهم، وإنما هي مخصوصة ببعضهم، فكتب إليه عثمان ـ كما قدمنا ـ أن يقدم المدينة، فلما قدم اجتمع إليه الناس، فقال لعثمان: أريد الربذة. فقال له: افعل. فاعتزل. ولم يكن يصلح له إلا ذلك لطريقته.

6- ووقع بين أبي الدرداء ومعاوية كلام وكان أبو الدرداء زاهداً فاضلاً قاضياً لهم، فلما اشتد في الحق، وأخرج طريقة عمر في قوم لم يحتملوها عزلوه، فخرج إلى المدينة.

وهذه كلها مصالح لا تقدح في الدين، ولا تؤثر في منزلة أحد من المسلمين بحال وأبوالدرداء وأبوذر بريئان من عاب، وعثمان بريء أعظم براءة وأكثر نزاهة، فمن روى أنه نفى وروى سبباً فهو كله باطل.

7ـ وأما رد الحكم فلم يصح.

وقال علماؤنا في جوابه: قد كان أذن له رسول الله ﷺ. وقال [أي عثمان] لأبي بكر وعمر، فقالا له: إن كان معك شهيد رددناه، فلما ولي قضى بعلمه في رده، وما كان عثمان ليصل مهجور رسول الله ﷺ ولوكان أباه، ولا لينقض حكمه.

8ـ وأما ترك القصر فاجتهاد، إذ سمع أن الناس افتتنوا بالقصر، وفعلوا ذلك في منازلهم، فرأى أن السنة ربما أدت إلى إسقاط الفريضة، فتركها مصلحة خوف

الذريعة، مع أن جماعة من العلماء: قالوا إن المسافر مخيّر بين القصر والإتمام، واختلف في ذلك الصحابة.

9ـ وأما معاوية فعمر ولاّه، وجمع له الشامات كلها، وأقره عثمان بل إنما ولاّه أبوبكر الصديق ﷺ، لأنه ولى أخاه يزيد، واستخلفه يزيد، فأقره عمر لتعلقه بولاية أبي بكر لأجل استخلاف واليه له، فتعلق عثمان بعمر وأقره؛ فانظروا إلى هذه السلسلة ما أوثق عراها ولن يأتي أحد مثلها أبداً بعدها.

10 ـ وأما عبد الله بن [عامر بن] كريز فولاّه ـ كما قال ـ لأنه كريم العمات والخالات.

11 ـ وأما تولية الوليد بن عقبة فإن الناس ـ على فساد النيات ـ أسرعوا إلى السيئات قبل الحسنات. فذكر الإفترائيون أنه إنما ولاه للمعنى الذي تكلم به، قال عثمان ما وليت الوليد لأنه أخي، وإنما وليته لأنه ابن أم حكيم البيضاء عمة رسول الله ﷺ وتوأمة أبيه. وسيأتي بيانه إن شاء الله؛ والولاية اجتهاد، وقد عزل عمر سعد بن أبي وقاص وقدم أقل منه درجة.

12ـ وأما قول القائلين في مروان والوليد فشديد عليهم وحكمهم عليهما بالفسق فسق، منهم:

مروان رجل عدل، من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين أما الصحابة فإن سهل بن سعد الساعدي روى عنه، وأما التابعون فأصحابه في السن وإن كان جازهم باسم الصحبة في أحد القولين، وأما فقهاء الأمصار فكلهم على تعظيمه واعتبار خلافته والتلفت إلى فتواه والانقياد إلى روايته، وأما السفهاء من المؤرخين والأدباء فيقولون على أقدارهم.

وأما الوليد فقد روى بعض المفسرين أن الله سماه فاسقا في قوله ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَاۢ بِجَهَٰلَةٍ﴾[1] فإنها - في قولهم - نزلت فيه، أرسله النبي ﷺ إلى بني المصطلق فأخبر عنهم أنهم ارتدوا، فأرسل رسول الله ﷺ إليهم خالد ابن الوليد فتثبت في أمرهم، فبين بطلان قوله، وقد اختلف فيه، فقيل نزلت في ذلك، وقيل في علي والوليد في قصة أخرى، وقيل إن الوليد سيق يوم الفتح في جملة الصبيان إلى رسول الله ﷺ فمسح رؤوسهم وبرَّك عليهم، إلا هو، فقال إنه كان على رأسي خلوق فامتنع ﷺ من مسّه؛ فمن يكون في مثل هذه السن يرسل مصدقا؟! وبهذا الاختلاف يسقط العلماء الأحاديث القوية وكيف يفسق رجل يتمثل هذا الكلام؟ فكيف برجل من أصحاب محمد ﷺ ؟!

وأما حده في الخمر، فقد حد عمر قدامة بن مظعون على الخمر وهوأمير وعزله، ثم قيل إنه صالحه؛ وليست الذنوب مسقطة للعدالة، إذا وقعت منها التوبة؛ وقد قيل لعثمان إنك وليت الوليد لأنه أخوك لأمك أروى بنت كريز ابن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس؛ فقال بل لأنه ابن عمة رسول الله ﷺ أم حكيم البيضاء جدة عثمان وجدة الوليد لأمهما أروى المذكورة أم حكيم، توأمة عبد الله أبي رسول الله ﷺ، وأي حرج على المرء أن يولي أخاه أو قريبه؟

13- وأما إعطاؤه خمس أفريقية لواحد فلم يصح، على أنه قد ذهب مالك وجماعة إلى أن الإمام يرى في الخمس، وينفذ فيه ما أداه إليه اجتهاده، وأن إعطاءه لواحد جائز، وقد بينا ذلك في مواضعه.

وأما قولهم إنه ضرب بالعصا، فما سمعته ممن أطاع أو عصى، وإنما هو باطل يحكى، وزور يُنْثَى، فيا لله وللنهي.

---

(1) سورة الحجرات: الآية 6.

15 ـ وأما علوه على درجة رسول الله، فما سمعته ممن فيه تقية، وإنما هي إشاعة منكر، ليروى ويذكر، فيتغير قلب من يتغير، قال علماؤنا: ولو صح ذلك فما في هذا ما يحل دمه، ولا يخلو أن يكون ذلك حقاً فلم ينكره الصحابة عليه، إذ رأوا جوازه ابتداء أو لسبب اقتضى ذلك؛ وإن كان لم يكن فقد انقطع الكلام.

16 ـ وأما انهزامه يوم حنين، وفراره يوم أحد، ومغيبه عن بدر وبيعة الرضوان، فقد بين عبد الله بن عمر وجه الحكم في شأن البيعة وبدر وأحد. وأما يوم حنين فلم يبق إلا نفر يسير مع رسول الله. ولكن لم يجر في الأمر تفسير من بقي معه إلا العباس وابناه عبدالله وقثم، فناهيك بهذا الاختلاف، وهو أمر قد اشترك فيه الصحابة، وقد عفا الله ورسوله، فلا يحل ذكر ما أسقطه الله ورسوله والمؤمنون، أخرج البخاري: جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان، فذكر عن محاسن عمله وقال: لعل ذلك يسوؤك؟ قال: نعم. قال: فأرغم الله بأنفك! ثم سأله عن علي، فذكر محاسن عمله وقال: وهو ذاك بيته أوسط بيوت النبي. ثم قال: لعل ذلك يسوؤك؟ قال: أجل. قال «بني الإسلام على خمس» زيادة فيه للبخاري في علي وعثمان. وقد أخرج البخاري أيضاً من حديث عثمان بن عبد الله ابن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر يريد حج البيت، فرأى قوما جلوساً، فقال: من هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء قريش. قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر. قال: يا ابن عمر، إني سائلك عن شيء فحدثني عنه. هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم. فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد: قال؟ نعم. قال: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال: الله أكبر! قال ابن عمر، تعال أبين لك. أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له. وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله، وكانت مريضة فقال له رسول الله، إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه.

وأمـا تغيبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمـان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله عثمـان، وكانت بيعة الرضوان بعدمـا ذهب عثمـان إلى مكـة، فقـال رسول الله بيده اليمنى: «هذه يد عثمـان» فضرب بها على يده فقـال: «هـذه لعثمـــان». ثم قال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك.

وأمـا امتناعه عن قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان فإن ذلك باطل. فـإن كان لم يفعل فالصحابة متوافرون، والأمر في أوله، وقد قيل: إن الهرمزان سعى في قتل عمر، وحـمل الخنجر وظهر تحت ثيابه، وكان قتل عبيد الله له وعثمـان لم يَـلِ بعـد، ولعل عثمـان كان لا يرى على عبيد الله حقاً، لمـا ثبت عنده من حال الهرمزان وفعله، وأيضاً فإن أحداً لم يقم بطلبه. وكيف يصح مع هذه الاحتمــالات كلهـا أن ينظـر في أمر لم يصح؟.

وأمـا تعلقهم بأن الكتاب وجد مع راكب، أو مع غلامه ـ ولم يقل أحد قط إنـه كـان غلامه ـ إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح يأمره بقتل حامليه، فقد قال لهم عثمـان: إمـا أن تقيموا شاهدين على ذلك، وإلا فيميني أني مـا كتبت ولا أمرت. وقـد يكتـب عـلى لسان الرجل، ويضرب على خطه، وينقش على خاتـمه.

فقالوا لتسلم لنا مروان. فقال: لا أفعل. ولو سلمه لكان ظالمـا، وإنمـا علـيهم أن يطلبوا حقهم عنده على مروان وسواه، فمـا ثبت كان هو منفذه وآخذه، والممكن لمـن يأخذه بالحق، ومع سابقته وفضيلته ومكانـتـه لم يثبت عليه مــا يوجـب فـضلاً عـن قتله.

وأمثل مـا روي في قصته أنه ـ بالقضاء السابق ـ تألب عليه قـوم لأحقـاد اعتقـدوها: مـمن طلب أمراً فلم يصل إليه، وحسد حسادة أظهر داءها، وحـمله على ذلك قلة دين

وضعف يقين وإيثار العاجلة على الآجلة. وإذا نظرت إليهم دَلَّكَ صريح ذكرهم على دناءة قلوبهم وبطلان أمرهم»[1].

ولعل المتمعن في كل هذه الردود التي رد بها ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على خصوم عثمان رضي الله عنه، قد يظهر له بوضوح أنه تعامل معها تعامل القاضي الذي احتكم إليه فريقان، ينتظران منه إصدار حكم في هذه النازلة أوتلك، بحيث نراه في هذا كله يعتمد على ما يلي:

أ ـ اعتماده روايةَ المحدثين:

وهذا يجلي بوضوح في كل هذه الردود، وبخاصة في قضية عثمان رضي الله عنه، وقد انتصر له رحمه الله، في كل ما فعله، بل إن ما فعله مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في مسألة جمع المصحف الشريف، كان صوابا ومصلحة تحتاج إليها الأمة للاجتماع على مصحف واحد، جمعه كبار قراء الصحابة رضي الله عنهم، وعرض على من كان حيا من كبار صحابة الرسول ﷺ، فأقروه بلا خلاف، حتى إنه ختم مناقشته بقوله: «ونصر الله عثمان والحق بمحوها من الأرض»[2].

ب ـ أدلة فقهية:

وحين تثبت صحة الحادثة التي اتخذها الحاقدون على الصحابة رضي الله عنهم مطية لاتهامهم والقدح فيهم رضي الله عنهم، فإن ابن العربي يعمد إلى مناقشتها مناقشة علمية فقهية عميقة، يخلص من خلالها إلى تبرئة عثمان رضي الله عنه، وتبرئة حتى الصحابة الكرام الذين اختلفوا معه في قضية ما؛ من ذلك مثلا:

(1) العواصم من القواصم (ص 49 ـ 79).
(2) نفسه (ص 54).

➢ مناقشته لقضية أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، والذي كان يقرع عمال عثمان رضي الله عنه، ويرى بأن لهم كنوزا لم تكن لمن كان قبلهم من صحابة رسول الله ﷺ، فقد علل ذلك ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بما صح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، وغيره من الصحابة الكرام، بأن المال إذا أديت زكاته فليس بكنز، ثم إنه رحمه الله اعتذر لأبي ذر رضي الله عنه على ما كان يقوله، كما قدر، في الوقت نفسه، موقف عثمان رضي الله عنه تجاهه، فأما أبوذر رضي الله عنه فكان يحمل الناس على الزهد، وعلى أمور لا يحتملها كل الناس، وإنما هي مخصوصة ببعضهم دون غيرهم، وهذا أمر محمود ولكن لا طاقة لعامة الناس به، ولا حتى لبعض خاصتهم، ثم خلص رحمه الله بعد ذلك كله إلى تبرئة ذمم صحابة رسول الله ﷺ، بدل ضرب بعضهم ببعض، فقال: «وهذه كلها مصالح لا تقدح في الدين، ولا تؤثر في منزلة أحد من المسلمين بحال، وأبو الدرداء وأبوذر بريئان من عَابٍ، وعثمان بريء أعظم براءة وأكثر نزاهة، فمن روى أنه نفى وروى سبباً فهو كله باطل»[1].

➢ ومنها أيضا مناقشته الفقهية رحمه الله لقضية زيادة عثمان رضي الله عنه في الحمى، فقال: «وأما الحمى، فكان قديما، فيقال إن عثمان زاد فيه لما زادت الرعية وإذا جاز أصله للحاجة جازت الزيادة لزيادة الحاجة»[2]، وكذلك مناقشته رحمه الله لما أثير عن ترك عثمان رضي الله عنه القصر في الصلاة الرباعية في المشاعر، فقد اعتذر رحمه الله لعمل عثمان رضي الله عنه، خاصة وأنه رضي الله عنه قد علل فعله ذلك بما كان قد شاع بين بعض الناس بالاقتصار على ركعتين بدل أربعة، حتى في غير السفر، فقام بما قام به رضي الله عنه سدا للذرائع، وخوفا على الفريضة.

---

(1) العواصم من القواصم (ص58).
(2) نفسه (ص55).

➢ تأصيل عمل عثمان رضي الله عنه بعمل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: وهذا أيضا من أقوى الحجج التي اعتمد عليها أبوبكر رحمه الله لدحض افتراءات الحاقدين على عثمان وعلى كافة الصحابة رضي الله عنهم، ويتضح هذا في قضية تولية عثمان لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما على الشام، فرأى رحمه الله أن مؤاخذة عثمان رضي الله عنه على هذا، أمر في غاية الغرابة، إذ كيف يعاب على عثمان أمر فعله قبله أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فقد كان معاوية على الشامات كلها على عهد عمر، بل إن أبا بكر رضي الله عنهم أجمعين كان قد ولاه عليها من قبل؛ وعليه، فإذا كان عملٌ ما قد سبق إليه أبوبكر وبعده عمر رضي الله عنهما، فهو سنَّة، وعمل عثمان رضي الله عنه إنما هو اتباع للخليفتين الراشدين، ولا مسوغ أبدا للطعن فيه أو الزراية به رضي الله عنه، وهو التعليل نفسه الذي علل به أبو بكر رحمه الله عمل عثمان مع أبي ذر رضي الله عنه، فقال: «ومن العجب أن يؤخذ عليه في أمر فعله عمر، فقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سجن ابن مسعود في نفر من الصحابة بالمدينة حين استشهد، فأطلقهم عثمان، وكان سجنهم، لأن القوم أكثروا الحديث عن رسول الله ﷺ»(1).

⊠ بعض الأدلة العقلية:

فكما أن ابن العربي رحمه الله ناقش تهم الحاقدين على الصحابة رضي الله عنهم من جميع جوانبها، فإنه رحمه الله لا يترك حجة نقلية أو عقلية، إلا وتسلح بها لتبرئة ذمة الصحابة رضي الله عنهم، وهذا واضح في كل مناقشاته، لكنه أحيانا يفرد الحجة العقلية للرد على أباطيل الخصوم، من ذلك مثلا، قوله في قضية ضرب عثمان بن عفان لعمار بن

---

(1) العواصم من القواصم (ص57).

ياسر رضي الله عنهما، فقال: «وضربه لعمار إفك مثله، ولو فتق أمعاءه ما عاش أبداً»[1].

وبعد كل هذه المناقشة بالدلائل النقلية والعقلية، وقبل ذلك وبعده، بتحريه الدقة والصحة في الخبر المروي في كل نازلة على حدة، خلص، رحمه الله، إلى إصدار حكم واضح على عثمان رضي الله عنه، وعلى باقي صحابة رسول الله ﷺ، فقال في ثقة القاضي الواثق من صحة حكمه، ومن قوة حجته: «وقد انتدبت المَرَدَةُ والجَهَلَة إلى أن يقولوا: إن كل فاضل من الصحابة كان عليه مشاغباً مؤلباً، وبما جرى عليه راضياً. واخترعوا كتاباً فيه فصاحة وأمثال كتب عثمان به مستصرخاً إلى علي؛ وذلك كله مصنوع ليوغروا قلوب المسلمين على السلف الماضين والخلفاء الراشدين؛ قال القاضي أبوبكر: فالذي ينخل من ذلك أن عثمان مظلوم، محجوج بغير حجة، وأن الصحابة براء من دمه بأجمعهم، لأنهم أتوا إرادته وسلموا له راية في إسلام نفسه»[2].

وعلى هذا المنهج سار، رحمه الله، في مناقشة ونسف كل التهم التي حاول خصوم الصحابة رضي الله عنهم إلصاقها بهم كذبا وزورا؛ لكن الملاحظ أن أبا بكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبخاصة في مسألة خلافة عثمان رضي الله عنه، وما تلا ذلك من الفتن، أنه حرص حرصا شديدا على توثيق الروايات وتحري صحتها سندا ومتنا، حتى إنه رحمه الله انتهى إلى رفض أكثر ما روي في الموضوع، وهو في هذا لا يجارى بقوة حجته، ودقة نظره، خاصة وأنه يستحضر محفوظه الهائل من الأخبار والمرويات، فضلا عن الحديث النبوي الشريف، وأخبار سيرته ﷺ، فنراه يقارن بين كل ما روي في الموضوع الواحد، قبل أن

(1) العواصم من القواصم (ص50).

(2) نفسه (ص96ـ97).

يستقر رأيه على ما يقبله المنهج العلمي الدقيق، وحسبنا من ذلك مثل واحد، وهو المتعلق بخروج عائشة رضي الله عنها ومن معها من كبار الصحابة رضي الله عنهم إلى البصرة، حيث يقول رحمه الله: «أما خروجهم إلى البصرة، فصحيح لا إشكال فيه.

ولكن لأي شيء خرجوا؟ لم يصح فيه نقل، ولا يوثق فيه بأحد لأن الثقة لم ينقله، وكلام المتعصب لا يسمع، وقد دخل على المتعصب من يريد الطعن في الإسلام واستنقاص الصحابة.

- فيحتمل أنهم خرجوا خلعاً لعلي لأمر ظهر لهم، وهو أنهم بايعوا لتسكين الثائرة، وقاموا يطلبون الحق.

- ويحتمل أنهم خرجوا ليتمكنوا من قتلة عثمان.

- ويمكن أنهم خرجوا في جمع طوائف المسلمين، وضم نشرهم، وردهم إلى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا، وهذا هو الصحيح، لا شيء سواه، وبذلك وردت صحاح الأخبار.

فأما الأقسام الأولى فكلها باطلة وضعيفة:

- أما بيعتهم كرهاً فباطل قد بيناه.

- وأما خلعهم فباطل، لأن الخلع لا يكون إلا بنظر من الجميع، فيمكن أن يولى واحد أو اثنان، ولا يكون الخلع إلا بعد الإثبات والبيان. وأما خروجهم في أمر قتلة عثمان فيضعف، لأن الأصل قبله تأليف الكلمة، ويمكن أن يجتمع الأمران.

ويروي أن في تغيبهم قطع الشغب بين الناس. فخرج طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم فيرعوا حرمة نبيهم، واحتجوا عليها

بقوله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1]. وقد خرج النبي ﷺ في الصلح وأرسل فيه، فرجت المثوبة، واغتنمت القصة، وخرجت حتى بلغت الأقضية مقاديرها.

وأحس بهم أهل البصرة، فحرض من كان بها من المتألبين على عثمان الناس، وقالوا: اخرجوا إليهم حتى تروا ما جاءوا إليه، فبعث عثمان بن حنيف حكيم بن جبلة، فلقي طلحة والزبير بالزابوقة، فقتل حكيم؛ ولو خرج مسلما مستسلما لا مدافعا لما أصابه شيء؛ وأي خير كان له في المدافعة، وعن أي شيء كان يدافع؟ وهم ما جاءوا مقاتلين ولا ولاة، وإنما جاءوا ساعين في الصلح، راغبين في تأليف الكلمة، فمن خرج إليهم ودافعهم وقاتلهم دافعوا عن مقصدهم، كما يفعل في سائر الأسفار والمقاصد؛ فلما وصلوا إلى البصرة، تلقاهم الناس بأعلى المربد مجتمعين، حتى لو رمي حجر ما وقع إلا على رأس إنسان. فتكلم طلحة (وتكلم الزبير) وتكلمت عائشة رضي الله عنهم.

وكثر اللغط، وطلحة يقول «أنصتوا!» فجعلوا يركبونه ولا يتصنتون، فقال «أُف، أُف. فراش نار، وذباب طمع». وانقلبوا على غير بيان.

وانحدروا إلى بني نهد، فرماهم الناس بالحجارة حتى نزلوا الجبل.

والتقى طلحة والزبير وعثمان بن حنيف ـ عامل علي على البصرة ـ وكتبوا بينهم أن يكفوا عن القتال، ولعثمان دار الإمارة والمسجد وبيت المال، وأن ينزل طلحة والزبير من البصرة حيث شاءا، ولا يعرض بعضهم لبعض حتى يقدم علي. وروي أن حكيم بن جبلة عارضهم حينئذ، فقتل بعد الصلح.

(1) سورة النساء: الآية 113.

وقدم على البصرة، وتدانوا ليتراءوا، فلم يتركهم أصحاب الأهواء وبادروا بإراقة الدماء. واشتجر الحرب، وكثرت الغوغاء على البوغاء، كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا يقف الحال على بيان، ويخفى قتلة عثمان؛ وإن واحداً في الجيش يفسد تدبيره، فكيف بألف!.

وقد روي أن مروان لما وقعت عينه في الاصطفاف على طلحة قال: لا نطلب أثراً بعد عين، ورماه بسهم فقتله. ومن يعلم هذا إلا علام الغيوب، ولم ينقله ثبت.

وقد روى [أنه] أصابه سهم بأمر مروان، لا أنه رماه.

وقد خرج كعب بن سور بمصحف منشور بيده يناشد الناس أن يريقوا دماءهم، فأصابه سهم غربٍ فقتله، ولعل طلحة مثله، ومعلوم أنه عند الفتنة وفي ملحمة القتال، يتمكن أولو الإحن والحقود، من حل العرى ونقض العهود؛ وكانت آجالا حضرت، ومواعيد انتجزت. فإن قيل: لم خرجت عائشة رضي الله عنها وقد قال صلى الله عليه وسلم لهن في حجة الوداع «هذه ثم ظهور الحصر». قلنا: حدث حديثين امرأة، فإن أبت فأربعة، يا عقول النسوان، ألم أعهد إليكم ألا ترووا أحاديث البهتان، وقدمنا لكم على صحة خروج عائشة البرهان، فلم تقولون ما لا تعلمون؟ وتكررون ما وقع الانفصال عنه كأنكم لا تفهمون؟ ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.

وأما الذي ذكرتم من الشهادة على ماء الحوأب، فقد بؤتم في ذكرها بأعظم حوب. ما كان قط شيء كما ذكرتم، ولا قال النبي ﷺ ذلك الحديث، ولا جرى ذلك الكلام، ولا شهد أحد بشهادتهم، وقد كتب شهاداتكم بهذا الباطل وسوف تسألون»[1].

(1) العواصم من القواصم (ص 103 ـ 110).

فمن الواضح من خلال هذا النص الطويل، أن أبا بكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لا يقف عند حدود الحدث أو الخبر المروي، وإنما يتساءل عن الدوافع التي كانت من وراء وقوعه، لأنه يعلم جيد أن الملفقين والأفَّاكين ـ كما نص على ذلك من قبل ـ يوردون جزءا يسيرا من الرواية الصحيحة، ثم يشرعون في التلبيس على المتلقي، بما يجيدون تنميقه من الأكاذيب والأباطيل المختلفة، للتشغيب على الصحابة رضي الله عنهم.

لكنه رحمه الله يعمد إلى تعليل الحدث وتبرير ملابسات وقوعه، حتى يكشف الغطاء للمتلقي، فيطلعه على حقيقة ما جرى، وذلك بالمقارنة بين الروايات، واختياره لأصحها وأثبتها، لتناسق أجزائها، وتناسبها أيضا مع مقام الصحابة رضي الله عنهم، هذا فضلا عن صحة سندها الذي اعتمده الثقاة؛ ولا شك في أن هذا المنهج الذي اعتمده ابن العربي، منهج علمي دقيق، أفحم به الناقمين على صحابة رسول الله ﷺ، والحاقدين على مقامهم الذي بوأهم الله جلّ وعلا إياه فضلا منه سبحانه ومنة.

إضافة إلى هذا، نجد أن أبا بكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يعمد كثيرا إلى المناقشة الفقهية الرصينة والعلمية التي تمكن من ناصيتها أيما تمكن، والتي تكشف الستار عن كثير من خلط وأوهام الناقمين على الصحابة الكرام، وحسبنا من ذلك مثل واحد، وهوحديثه عن الحرب التي دارت رحاها بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، حيث قال رحمه الله: «أما وجود الحرب بينهم فمعلوم قطعاً، وأما كونه بهذا السبب فمعلوم كذلك قطعاً، وأما الصواب فيه فمع علي، لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، وتهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه أن يخرج عليه، بل يطلب [الحق] عنده، فإن ظهر له قضاء وإلا سكت وصبر، فكم من حق يحكم الله فيه، وإن لم يكن له دين فحينئذ يخرج عليه، فيقوم له عذر في الدنيا؛ ولئن اتهم علي بقتل عثمان فليس في المدينة أحد من أصحاب النبي ﷺ إلا وهو متهم به، أو قل معلوم قطعاً أنه قتله، لأن ألف رجل جاءوا لقتل عثمان لا يغلبون أربعين ألفاً.

وهبك أن علياً وطلحة والزبير تضافروا على قتل عثمان، فباقي الصحابة من المهاجرين والأنصار ومن اعتد فيهم وضوى إليهم، ماذا صنعوا بالقعود عن نصرته؟

ولا يخلو أن يكون لأنهم رأوا أولئك طلبوا حقاً وفعلوا حقاً، فهذه شهادة قائمة على عثمان فلا كلام لأهل الشام، وإن كانوا قعدوا عنه استهزاء بالدين، وأنهم لم يكن لهم رأى في الحال، ولا مبالاة عندهم بالإسلام ولا فيما يجرى فيه من اختلال، فهي ردة ليست معصية؛ لأن التهاون بحدود الدين وإسلام حرمات الشريعة للتضييع كفر، وإن كانوا قعدوا لأنهم لم يروا أو يتعدوا حد عثمان وإشارته فأي ذنب لهم فيه؟ وأي حجة لمروان ـ وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين وابن عمر وأعيان العشرة معه في داره، يدخلون إليه ويخرجون عنه في الشكة والسلاح ـ والطالبون ينظرون؟ ولوكان لهم بهم قوة، أو أووا إلى ركن شديد، لما مكنوا أحداً أن يراه منهم ولا يداخله، وإنما كانوا نظارة، فلو قام في وجوههم الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن الزبير ما جسروا، ولو قتلوهم ما بقي على الأرض منهم حي.

ولكن عثمان سلم نفسه، فترك ورأيه. وهي مسألة اجتهاد كما قدمنا.

وأي كلام كان يكون لعلي ـ لما تمت له البيعة ـ لو حضر عنده ولي عثمان وقال له: إن الخليفة قد تمالأ عليه ألف نسمة حتى قتلوه، وهم معلومون. ماذا كان يقول إلا: اثبت، وخذ، وفي يوم كان يثبت، إلا أن يثبتوا هم أن عثمان كان مستحقاً للقتل.

وبالله لتعلمن يا معشر المسلمين أنه ما كان يثبت على عثمان ظلم أبداً، وكان يكون الوقت أمكن للطالب، وأرفق في الحال، أيسر وصولاً إلى المطلوب.

والذي يكشف الغطاء في ذلك، أن معاوية لما صار إليه الأمر، لم يمكنه أن يقتل من قتلة عثمان أحداً إلا بحكم، إلا من قتل في حرب بتأويل، أودس عليه فيما يقال.

حتى انتهى الأمر إلى زمن الحجاج، وهم يقتلون بالتهمة لا بالحقيقة. فتبين لكم أنهم ما كانوا في ملكهم يفعلون ما أصبحوا له يطلبون.

والذي تثلج به صدوركم أن النبي ﷺ، ذكر في الفتن وأشار وبين وأنذر بالخوارج وقال: «تَقْتُلُهُمْ أَدْنَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ»، فبين أن كل طائفة [منهما] تتعلق بالحق، ولكن طائفة علي أدنى إليه. وقال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُومِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَيٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1]، فلم يخرجهم عن «الإيمان» بالبغي بالتأويل، ولا سلبهم اسم «الإخوة» بقوله بعده ﴿إِنَّمَا ٱلْمُومِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[2]، وقال ﷺ في عمار: «تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ».

وقال في الحسن: «اِبْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المسلِمينَ»، فحسُن له خلعه نفسه وإصلاحه.

وكذلك يروى أنه أذن ـ في الرؤيا ـ لعثمان في أن يستسلم ويفطر عنده الليلة.

فهذه كلها أمور جرت على رسم النزاع، ولم تخرج عن طريق من طرق الفقه، ولا عدت سبيل الاجتهاد الذي يؤجر فيه المصيب عشرة والمخطئ أجراً واحداً، وما وقع من روايات في كتب التاريخ ـ عدا ما ذكرنا ـ فلا تلتفتوا إلى حرف منها، فإنها كلها باطلة»[3].

---

(1) سورة الحجرات: الآية 9.

(2) سورة الحجرات: الآية 10.

(3) العواصم من القواصم (ص112 ـ 117).

فالظاهر كما قلنا، أن أبا بكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لا يترك حجة نقلية أو عقلية أو فقهية، إلا وأتى بها لتبرئة كل صحابة رسول الله ﷺ من التهم الباطلة المنسوبة إليهم؛ فعنده رحمه الله، كل الصحابة رضي الله عنهم جميعا، أبرياء وعلى صواب، وإن اختلفوا فيما بينهم، فغاية ما هنالك، إنه وعد رباني إلهي وقع بينهم، قضى فيه سبحانه بما قضى، فلا معقب لحكمه، لكن، ينبغي عدم الخوض فيما وقع، ما دام رب العزة سبحانه قد اصطفاهم لصحبة نبيه، ونصرته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السراء والضراء، فينبغي التأدب معهم، والتماس العذر لهم فيما وقع بينهم، ففي كلٍّ منهم رضوان الله عليهم خير.

وهذا هو الهدف الأكبر الذي كان يحوم حوله ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويبدو، والله أعلم، أنه قد وفق في ذلك أيما توفيق، ولعله قد بلغ الذروة في ذلك حين تحدث بتفصيل بارع عند حديثه عن تولي أبي بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة بعد وفاة النبي ﷺ، وإرجاف المرجفين في ذلك، فذهبوا مذاهب شتى في اختلاق الأكاذيب والأباطيل، فخلص رحمه الله من ذلك إلى قوله: «وهذه الأحاديث جبال في البيان، وجبال في السبب إلى الحق لمن وفقه الله. ولو لم يكن معكم - أيها السنية - إلا قوله تعالى ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾[1]، فجعلها في نصيف، وجعل أبا بكر في نصيف آخر وقام مع جميع الصحابة. وإذا تبصرتم هذه الحقائق فليس يخفى منها حال الخلفاء في خلالهم وولايتهم وترتيبهم خصوصاً وعموما. وقد قال الله تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا

(1) سورة التوبة: الآية 40.

يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ﴾[1]، وإذا لم ينفذ هذا الوعد في الخلفاء فلمن ينفذ؟ وإذا لم يكن فيهم فبمن يكون؟ والدليل عليه انعقاد الإجماع، أنه لم يتقدمهم في الفضيلة أحد إلى يومنا هذا، ومن بعدهم مختلف فيه، وأولئك مقطوع بهم، متيقن إمامتهم، ثابت نفوذُ وعد الله لهم، فإنهم ذبوا عن حوزة المسلمين، وقاموا بسياسة الدين؛ قال علماؤنا: ومن بعدهم تبع لهم من الأئمة الذين هم أركان الملة، ودعائم الشريعة، الناصحون لعباد الله، الهادون من استرشد إلى الله، فأما من كان من الولاة الظلمة فضرره مقصور على الدنيا وأحكامها»[2].

وأعتقد ـ والله أعلم ـ أن هذه القولة، بمثابة زبدة المخاض التي أسفر عنها كتاب«العواصم من القواصم»، دفاعا عن صحابة رسول الله ﷺ، ورضي سبحانه عليهم، ضد أهل الأهواء والبدع والملل والنحل، تثبيتا للسنة، ولدعائم الشريعة المحمدية التي حمل لواءها أهل السنة والجماعة في كل عصر ومصر.

(1) سورة النور: الآية 55.

(2) العواصم من القواصم (ص129).

ثانيا: منهج أبي محمد بن حزم:

1 ـ الحجاج بدل توثيق الرواية:

أما أبو محمد ابن حزم، فإنه قد نهج نهجا آخر مغايرا ـ من بعض الوجوه ـ لما نهجه أبوبكر ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. فإذا كنا قد رأينا بأن توثيق الرواية والتأكد من صحتها، هو العمود الفقري الذي بنى عليه ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، منهجه في الدفاع عن صحابة رسول الله ﷺ، فإن ابن حزم من قبله، قد عني بالحِجَاج، وقرع الحجة بالحجة، بدلا من العناية بتوثيق النصوص والتأكد من صحة الخبر المروي متنا وسندا، وقد علل نهجه هذا بكون أهل البدع والأهواء ممن حقد على صحابة رسول الله ﷺ، لا يؤمنون أصلا بمرويات أهل السنة والجماعة، كما أن أهل السنة والجماعة بدورهم لا يؤمنون بمرويات المبتدعة، وبطرقهم في إيرادها، فقال رحمه الله: «لا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا، فهم لا يصدقونها، ولا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم، فنحن لا نصدقها، وإنما يجب أن يحتج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذي تقوم عليه الحجة به، سواء صدقه المحتج أولم يصدقه، لأن من صدق بشيء لزمه القول به، أوبما يوجبه العلم الضروري، فيصير حينئذ مكابرا منقطعا، إن ثبت على ما كان عليه، إلا أن بعض ما يشغبون به، أحاديث صحاح نوافقهم على صحتها، منها قول رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: ((أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي))»[1]، وهذا في غاية الأهمية لإدراك المنهج الذي اتبعه ابن حزم في المنافحة والدفاع عن الصحابة رضي الله عنهم، لكنه مع ذلك نجده كثيرا ما يشير إلى اعتماد المبتدعة في تنقصهم من الصحابة رضوان الله عليهم على أحاديث مكذوبة وموضوعة، سعيا منه رحمه الله إلى إثبات الطرق المكذوبة التي سلكها هؤلاء المبتدعة في افتراء التُّهم والأكاذيب على

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل (3/ 13).

الصحابة رضي الله عنهم، يقول في هذا الصدد رحمه الله: «قال أبو محمد: وعمدة هذه الطوائف كلها في الاحتجاج أحاديث موضوعة مكذوبة لا يعجز عن توليد مثلها من لا دين له ولا حياء»[1].

وعليه فإنه رحمه الله جعل أولى أولياته في دفاعه عن الصحابة رضي الله عنهم، هو الحجاج، والحرص الشديد إلى حدِّ المبالغة أحيانا على التنقيب والتفتيش في الحجة الواحدة، بحيث إنه رحمه الله لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وعرج عليها إمعانا منه، على ما يبدو، في النكاية بالحاقدين على الصحابة رضي الله عنهم، وسعيا منه إلى إفحامهم وإسكاتهم بدحض مفترياتهم وحججهم الواهية، حتى إننا نجده رحمه الله يفترض افتراضات متعددة في الدليل الواحد، ربما لم تكن تخطر حتى على بال أولئك الحاقدين على الصحابة رضي الله عنهم، فيعمد إلى مناقشة وافية، يُضَيِّقُ فيها الخناق على خصومه إلى أبعد الحدود.

2 ـ أسس منهج ابن حزم في الدفاع عن الصحابة رضي الله عنهم.

أ ـ عرض أدلة الخصوم والرد عليها بِـ:

❁ أولا: الحجج العقلية:

تماما كما فعل ابن العربي المعافري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، نجد أن ابن حزم يعمد إلى إيراد حجج المبتدعة، كما هي ثابتة في كتبهم، ثم يشرع في الرد عليها، غير أن الملاحظ، هو أن أبا بكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من قبل، أكثر بسطا في إيراد حجج الحاقدين على الصحابة رضي الله عنهم، ثم إنه يوردها مُمَيَّزَةً ومرتبة في صدر الكلام، كما رأينا؛ بينما نجد ابن حزم يوردها مقتضبة داخل كلامه رحمه الله، ثم يشرع في بسط القول فيها بسطا وافيا، مع احتماله

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل (3/ 13).

كل الاحتمالات كما قلنا، من ذلك مثلا قوله في الحديث النبوي الشريف الصحيح الذي طالما اعتمد عليه المبتدعة في التشغيب على أهل السنة والجماعة، في مسألة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ، وهو قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث النبوي الشريف السابق ذكره لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي»، حيث قال رحمه الله: «قال أبو محمد: وهذا لا يوجب له فضلاً على من سواه، ولا استحقاق الإمامة بعده عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لأن هارون لم يل أمر بني إسرائيل بعد موسى عليهما السلام، وإنما ولي الأمر بعد موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يوشع بن نون، فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام، كما ولي الأمر بعد رسول الله ﷺ صاحبه، في الغار الذي سافر معه إلى المدينة.

وإذا لم يكن علي نبياً كما كان هارون نبياً، ولا كان هارون خليفة بعد موت موسى على بني إسرائيل، فصح أن كونه رضي الله عنه من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى، إنما هو في القرابة فقط، وأيضاً فإنما قال له رسول الله ﷺ هذا القول إذ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك، فقال المنافقون استقله فخلفه، فلحق علي برسول الله ﷺ، فشكا ذلك إليه فقال له رسول الله ﷺ حينئذ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى»، يريد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أنه استخلفه على المدينة مختاراً لاستخلافه كما استخلف موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أيضاً مختاراً لاستخلافه، ثم قد استخلف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قبل تبوك وبعد تبوك على المدينة في أسفاره رجالاً سوى علي رضي الله عنه، فصح أن هذا الاستخلاف لا يوجب لعلي فضلاً على غيره، ولا ولاية الأمر بعده، كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين»[1].

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل (3/ 13-14).

فنلاحظ أنه رحمه الله، يقلب هذا الحديث النبوي الشريف على جميع وجوهه، ليرد افتراءات المبتدعة، ولا يترك لهم أي مجال للمناورة أوالتأويل، وهو كما هو واضح كُفْءٌ لا يجارى، بما آتاه الله تعالى من ذكاء حاد وفهم ثاقب، وهو ما يظهر في كافة المواطن التي رد بها على مختلف طوائف المبتدعة مما يشق تتبعه كله وإيراده ها هنا، لكن حسبنا من ذلك، تفصيلُهُ البارع في أحقية أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الخلافة من غيره بعد وفاة النبي ﷺ، حيث قال في قوله جل وعلا: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾، فقال رحمه الله: «فهذا نص ما قلنا، وإبطال اتباع أحد دون رسول الله ﷺ، وإنما الحاجة إلى فرض الإمامة لينفذ الإمام عهود الله تعالى الواردة إلينا على من عنده فقط، لا لأن يأتي الناس ما لا يشاؤونه في معرفته من الدين الذي أتاهم به رسول الله ﷺ؛ ووجدنا عليا رضي الله عنه إذ دعي إلى التحاكم إلى القرآن أجاب، وأخبر بأن التحاكم إلى القرآن حق، فإن كان علي أصاب في ذلك فهو قولنا، وإن كان أجاب إلى الباطل فهذه غير صفته رضي الله عنه، ولوكان التحاكم إلى القرآن لا يجوز بحضرة الإمام؛ لقال علي حينئذ: كيف تطلبون تحكيم القرآن، وأنا الإمام المبلغ عن رسول الله ﷺ؟ فإن قالوا: إذ مات رسول الله ﷺ فلا بد من إمام يبلغ الدين، قلنا هذا باطل ودعوى بلا برهان، وقول لا دليل على صحته، وإنما الذي يحتاج إليه أهل الأرض من رسول الله ﷺ بيانه وتبليغه فقط، سواء في ذلك من كان بحضرته، ومن غاب عنه، ومن جاء بعده، إذ ليس في شخصه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إذا لم يتكلم بيان عن شيء من الدين، فالمراد منه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كلام باق أبداً مبلغ إلى كل من في الأرض، وأيضاً فلو كان ما قالوا من الحاجة إلى إمام موجود أبداً، لا نقض ذلك عليهم بمن كان غائباً عن حضرة الإمام في أقطار الأرض، إذ لا سبيل إلى أن يشاهد الإمام جميع أهل الأرض الذين في المشرق والمغرب من فقير وضعيف

وامرأة ومريض ومشغول بمعاشه الذي يضيع إن أغفله، فلا بد من التبليغ عن الإمام، فالتبليغ عن رسول الله ﷺ أولى بالاتباع من التبليغ عمن هودونه، وهذا ما لا انفكاك لهم منه.

قال أبو محمد: لاسيما وجميع أئمتهم الذين يدعون بعد علي والحسن والحسين رضي الله عنهم، ما أمَّروا قط في غير منازل سكناهم، ولا حكموا على قرية فما فوقها بحكم، فما الحاجة إليهم؟ لاسيما مذ مائة عام وثمانين عاما فإنهم يدعون إماما ضالةً لم يخلق كعنقاء مغرب، وهم أولو فحش ووقاحة وبهتان ودعوى كاذبة، لا يعجز عن مثلها أحد، وأيضاً فإن الإمام المعصوم لا يعرف أنه معصوم إلا بمعجزة ظاهرة عليه، أو بنص ينقله من يوجب نقله العلم، عن النبي ﷺ، على كل إمام بعينه، واسمه ونسبه، وإلا فهي دعوى لا يعجز عن مثلها أحد لنفسه، أو لمن شاء؛ ولقد يلزم كل ذي عقل سليم أن يرغب بنفسه عن اعتقاد هذا الجهل الغث البارد السخيف الذي ترتفع عقول الصبيان عنه، وما توفيقنا إلا بالله عز وجل»[1].

وهنا نلاحظ أنه رحمه الله يعتمد أكثر على الحجج العقلية، وعن فهمه الوقَّاد في استنطاق النصوص، والغوص على معانيها التي يجيد البحث عنها واستثمارها الاستثمار الجيد في المناقشة والبرهنة والاستدلال، وهو ما جعله حقا يفحم خصومه، خاصة وأنه رحمه الله، كما هو بيّن في مختلف مؤلفاته، ومنها كتابه هذا «الفَصْل» يجمع بين الفهم العميق للنصوص، وبين حدة لسانه التي تشق له الطريق شقا للنكاية بخصومه وخصوم الصحابة رضي الله عنهم، كما هو واضح.

---

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل (3/ 14_15).

ولا شك في أن ابن حزم في منهجه الحجاجي هذا قد بلغ المدى، وهو يناقش أحقية أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الخلافة، حين رد جميع مزاعم الحاقدين على الصحابة رضي الله عنهم بأسلوب غاية في الدقة في البرهان والمناقشة، كما أنه غاية في الحدة والتهجم على المبتدعة، وكأنه رحمه الله يبدو واثقا جدا من حججه وأدلته، فجمع بين السخرية اللاذعة من عقول المبتدعة، وقوة الحجة ونصاعة البرهان، يقول ـ وأجدني مرة أخرى مضطرا إلى إيراد كلامه على طوله، إذ يصعب الانتقاء منه ـ رحمه الله: «وبرهان آخر ضروري، وهو أن رسول الله ﷺ مات وجمهور الصحابة رضي الله عنهم ـ حاشا من كان منهم في النواحي يعلم الناس الدين ـ فما منهم أحد أشار إلى علي بكلمة يذكر فيها أن رسول الله ﷺ نص عليه، ولا ادعى ذلك علي قط، لا في ذلك الوقت ولا بعده، ولا ادعاه له أحد في ذلك الوقت، ولا بعده؛ ومن المحال الممتنع الذي لا يمكن البتة ولا يجوز، اتفاق أكثر من عشرين ألف إنسان متنابذي الهمم، والنيات، والأنساب، أكثرهم موتور من صاحبه في الدماء من الجاهلية، على طي عهد عهده رسول الله ﷺ إليهم، وما وجدنا قط رواية عن أحد في النص المدعى، إلا رواية واهية عن مجهولين إلى مجهول، يكنى أبا الحمراء، لا يعرف من هو في الخلق، ووجدنا علياً رضي الله عنه، قد توقف عن البيعة لأبي بكر ستة أشهر، فما أكرهه أبو بكر على البيعة حتى بايع طائعاً، مراجعاً غير مكره؛ فكيف حل لعلي رضي الله عنه عند هؤلاء النوكى أن يبايع رجلاً إما كافراً، وإما فاسقاً جاحداً لنص رسول الله ﷺ، ويعينه على أمره ويجالسه في مجالسه، ويواليه إلى أن مات؟ ثم بايع بعده عمر بن الخطاب مبادراً غير متردد ساعة فما فوقها، غير مكره، بل طائعاً، وصحبه وأعانه على أمره، وأنكحه من ابنته فاطمة رضي الله عنها، ثم قبل إدخاله في الشورى أحد ستة رجال، فكيف حل لعلي عند هؤلاء الجهال أن يشارك بنفسه في شورى ضالة، وكفر، ويغر الأمة هذا الغرور؟ وهذا الأمر

أدى أبا كامل إلى تكفير علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، لأنه في زعمه أعان الكفار على كفرهم، وأيدهم على كتمان الديانة، وعلى ما لا يتم الدين إلا به.

قال أبو محمد: ولا يجوز أن يظن بعلي رضي الله عنه أنه أمسك عن ذكر النص عليه خوف الموت، وهو الأسد شجاعة، قد عرض نفسه للموت بين يدي رسول الله ﷺ مرات؛ ثم يوم الجمل، وصفين، فما الذي جبنه بين هاتين الحالتين؟ وما الذي ألف بين بصائر الناس على كتمان حق علي، ومنعه ما هوأحق به مذ مات رسول الله ﷺ إلى أن قتل عثمان رضي الله عنه؟ ثم ما الذي جلى بصائرهم في عونه إذ دعا إلى نفسه، فقامت معه طوائف من المسلمين عظيمة، وبذلوا دماءهم دونه، ورأوه حينئذ صاحب الأمر، والأولى بالحق ممن نازعه، فما الذي منعه ومنعهم من الكلام وإظهار النص الذي يدعيه الكذابون إذ مات عمر رضي الله عنه، وبقي الناس بلا رأس ثلاثة أيام أو يوم السقيفة؟ وأظرف من هذا كله، بقاؤه ممسكاً عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه ستة أشهر، فما سألها ولا أجبر عليها ولا كلفها، وهو متصرف بينهم في أموره، فلولا أنه رأى الحق فيها، واستدرك أمره، فبايع طالباً حظ نفسه في دينه راجعاً إلى الحق لما بايع.

فإن قالت الروافض: إنه بعد ستة أشهر رأى الرجوع إلى الباطل: فهذا هو الباطل حقاً لا ما فعل علي رضي الله عنه، ثم ولي علي رضي الله عنه فما غير حكماً من أحكام أبي بكر وعمر وعثمان، ولا أبطل عهداً من عهودهم، ولو كان ذلك عنده باطلاً، لما كان في سعة من أن يمضي الباطل وينفذه، وقد ارتفعت التقية عنه، وأيضاً فقد نازع الأنصار رضي الله عنهم أبا بكر رضي الله عنه، ودعوا إلى بيعة سعد بن عبادة رضي الله عنه، ودعا المهاجرون إلى بيعة أبي بكر رضي الله عن جميعهم، وقعد علي رضي الله عنه في بيته لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ليس معه أحد غير الزبير بن العوام، ثم استبان الحق للزبير رضي الله عنه، فبايع سريعاً، وبقي علي وحده لا يرقب عليه، ولا يمنع من لقاء الناس، ولا يمنع أحد من لقائه، فلا يخلو رجوع

الأنصار كلهم إلى بيعة أبي بكر، من أن يكون عن غلبة، أو عن ظهور حقه إليهم، فأوجب ذلك الانقياد لبيعته، أو فعلوا ذلك مطارفة لغير معنى، ولا سبيل إلى قسم رابع بوجه من الوجوه.

فإن قالوا بايعوه بغلبة كذبوا، لأنه لم يكن هنالك قتال ولا تضارب ولا سباب ولا تهديد، ولا وقت طويل ينفع للوعيد ولا سلاح مأخوذ؛ ومحال أن يترك أزيد من ألفي فارس أمجاد أبطال، كلهم عشيرة واحدة، قد ظهر من شجاعتهم ما لا مرمى وراءه، وهو أنهم بقوا ثمانية أعوام متصلة محاربين لجميع العرب في أقطار بلادهم، موطنين على الموت، متعرضين مع ذلك لحرب قيصر والروم بمؤتة وغيرها، ولكسرى والفرس تنصرهم من يخاطبهم، يدعو لهم، ويدعوه إلى اتباعه، وأن يكون كأحد من بين يديه، هذه صفة الأنصار التي لا ينكرها إلا رقيع مجاهر بالكذب، فمن المحال الممتنع أن يرهبوا أبا بكر ورجلين أتيا معه فقط، لا يرجع إلى عشيرة كثيرة، ولا إلى أموال، ولا إلى عصبة ولا مال، فرجعوا إليه وهو عندهم مبطل، وبايعوه بلا تردد ولا تطويل، وكذلك يبطل أن يرجعوا عن قولهم، وما كانوا قد رأوه من أن الحق حقهم، وعن بيعة ابن عمهم مطارفة بلا خوف يضطرهم إلى ذلك دون طمع يتعجلونه من مال أوجاه، بل فيما فيه ترك العز والدنيا والرياسة، وتسليم كل ذلك إلى رجل أجنبي، لا عشيرة له، ولا منعة، ولا حاجب، ولا حرس على بابه، ولا قصر ممتنع فيه، ولا موالي، ولا مال؛ فأين كان علي؟ وهو الذي لا نظير له في الشجاعة، ومعه جماعة من بني هاشم، وبني المطلب، من قتل هذا الشيخ الذي لا دافع دونه، لو كان عنده ظالما، وعن منعه وزجره؟ بل قد علم والله علي رضي الله عنه، أن أبا بكر رضي الله عنه على الحق، وأن من خالفه على الباطل، فأذعن للحق بعد أن عرضت له فيه كبوة كذلك الأنصار رضي الله عنهم؛ وإذ قد بطل كل هذا، فلم يبق إلا أن علياً والأنصار رضي الله عنهم، إنما رجعوا إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه،

لبرهان حق صح عندهم عن النبيﷺ، لا لاجتهاد كاجتهادهم، ولا لظن كظنونهم، فإذ قد بطل أن يكون الأمر في الأنصار، وزالت الرياسة عنهم، فما الذي حملهم كلهم أولهم عن آخرهم على أن يتفقوا على جحد نص النبيﷺ على إمامة علي، ومن المحال أن تتفق آراؤهم كلهم على معونة من ظلمهم وغصبهم حقهم، إلا أن تدعي الروافض أنهم كلهم اتفق لهم نسيان ذلك العهد، فهذه أعجوبة من المحال، غير ممكنة، ثم لوأمكنت، لجاز لكل أحد أن يدعي فيما شاء من المحال أنه قد كان، وأن الناس كلهم نسوه، وفي هذا إبطال الحقائق كلها؛ وأيضاً، فإن كان جميع أصحاب رسول الله ﷺ اتفقوا على جحد ذلك النص وكتمانه، أواتفقت طبائعهم كلهم على نسيانه، فمن أين وقع إلى الروافض أمره؟ ومن بلغه إليهم؟ وكل هذا هوس ومحال، فبطل أمر النص على علي رضي الله عنه بيقين لا إشكال فيه، والحمد لله رب العالمين»[1].

وهنا يظهر بوضوح أنه، رحمه الله، يعتمد اعتمادا كليا على فهمه الخاص للنصوص، واستنطاقها من الداخل، ثم على حدة ذكائه في التعاطي للبراهين التي يناقشها، ويدير الكلام حولها، وحتى حين حديثه عن الوثيقة أو العهد المحتمل الذي يقول المبتدعة ظلما وعدوانا، بأن النبي ﷺ قد عهد به إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإنه يناقشه مناقشة عقلية عميقة، لا مجال للشك في صلابة حججها، ودقة براهينها، حتى إنه رحمه الله يعمد كثيرا إلى استغلال تناقضات المبتدعة وتهافتهم، لينسف بها آراءهم، وهو في هذا ـ كما هو واضح ـ بارع لا يجارى.

---

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل (3/ 15ـ18).

❁ ثانيا- الحجج النقلية:

أما إذا نظرنا في الحجج النقلية التي استند إليها ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دفاعه هذا، فهي كثيرة جدا، فإننا نجده رحمه الله يجيد إجادة بالغة في استغلال النصوص، وفي استنباط أسرارها، وقد ساعده على ذلك حسه اللغوي الرهيف الذي بلغ به المدى في تلمس المعاني الدقيقة التي يحتوي عليها ما يستشهد به من آية كريمة أو حديث نبوي الشريف ـ وهما عمدته رحمه الله في الاستدلال والبرهنة ـ، من ذلك مثلا، عرضه المفصل حين تحدث في مسألة الإمامة بعد وفاة النبي ﷺ، حيث نجده يوصد كل الأبواب في وجوه المبتدعة، ولا يترك لهم أي مجال للرد أو المناورة في هذا الفصل بالذات، وكأنه رحمه الله يتمم به ما كان قد بدأه في الرد عليهم في ادعائهم الباطل بعدم أحقية أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة بعد وفاة النبي ﷺ، فقال رحمه الله: «قال أبو محمد: قد اختلف الناس في هذا فقالت طائفة إن النبي ﷺ لم يستخلف أحداً، ثم اختلفوا، فقال بعضهم: لكن لما استخلف أبا بكر رضي الله عنه على الصلاة كان ذلك دليلاً على أنه أولاهم بالإمامة والخلافة على الأمور، وقال بعضهم: لا، ولكن كان أبينهم فضلاً، فقدموه لذلك، وقالت طائفة: بل نص رسول الله ﷺ على استخلاف أبي بكر بعده على أمور الناس نصاً جلياً.

قال أبو محمد: وبهذا نقول لبراهين **أحدها**: إطباق الناس كلهم وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾، فقد أشفق هؤلاء الذين شهد الله لهم بالصدق، وجميع إخوانهم من الأنصار رضي الله عنهم، على أن يسموه خليفة رسول الله ﷺ، ومعنى الخليفة في اللغة، هو الذي يستخلفه المرء، لا الذي يخلفه دون أن يستخلفه هو، لا يجوز غير هذه البتة في

اللغة بلا خلاف، تقول استخلف فلان فلاناً، يستخلفه فهو خليفته ومستخلفه، فإن قام مكانه دون أن يستخلفه هو، لم يقل إلا خلف فلان فلاناً، يخلفه فهو خالف، ومحال أن يعنوا بذلك الاستخلاف على الصلاة لوجهين ضروريين: أحدهما، أنه لم يستحق أبو بكر رضي الله عنه هذا الاسم على الإطلاق في حياة رسول الله ﷺ، وهو حينئذ خليفته على الصلاة، فصح يقيناً أن خلافته المسمى هو بها، هي غير خلافته على الصلاة.

والثاني: أن كل من استخلفه رسول الله ﷺ في حياته، كعلي في غزوة تبوك، وابن أم مكتوم في غزوة الخندق، وعثمان بن عفان في غزوة ذات الرقاع، وسائر من استخلفه على البلاد باليمن والبحرين والطائف وغيرها، لم يستحق أحد منهم قط بلا خلاف من أحد من الأمة أن يسمى خليفة رسول الله ﷺ على الإطلاق؛ فصح يقيناً بالضرورة التي لا محيد عنها، أنها للخلافة بعده على أمته، ومن الممتنع أن يجمعوا على ذلك وهو عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يستخلفه نصاً، ولو لم يكن هاهنا إلا استخلافه إياه على الصلاة، ما كان أبوبكر أولى بهذه التسمية من غيره ممن ذكرنا، وهذا برهان ضروري نعارض به جميع الخصوم، وأيضاً فإن الرواية قد صحت بأن امرأة قالت: يا رسول الله، أرأيت إن رجعت ولم أجدك؟ كأنها تريد الموت؛ قال: «فأت أبا بكر»، وهذا نص جلي على استخلاف أبي بكر؛ وأيضاً فإن الخبر قد جاء من الطرق الثابتة أن رسول الله ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها في مرضه الذي توفي فيه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: لقد هممت أن أبعث إلى أبيك وأخيك فأكتب كتاباً وأعهد عهداً، لكيلا يقول قائل أنا أحق، أو يتمنى متمن، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»، وروي أيضاً «ويأبى الله والنبيون إلا أبا بكر»، وهذا نص جلي على استخلافه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أبا بكر على ولاية الأمة بعده.

قال أبو محمد: ولو أننا نستجيز التدليس، والأمر الذي لوظفر به خصومنا طاروا به فرحاً، أو أبلسوا أسفاً، لاحتججنا في ذلك بما روي: «اقتدوا باللَّذَيْن من بعدي، أبي بكر وعمر».

قال أبو محمد: ولكنه لم يصح ويعيذنا الله من الاحتجاج بما لا يصح.

قال أبومحمد: واحتج من قال: لم يستخلف رسول الله ﷺ بالخبر المأثور عن عبد الله ابن عمر عن أبيه أنه قال: إن أستخلفْ، فقد استخلف من هو خير مني، يعني أبا بكر، وإن لا أستخلف، فلم يستخلف من هو خير مني، يعني رسول الله ﷺ، وبما روي عن عائشة رضي الله عنها، إذ سئلت: من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلف؟ فمن المحال أن يعارض إجماع من الصحابة الذي ذكرنا، والأثران الصحيحان المسندان إلى رسول الله ﷺ من لفظه، بمثل هذين الأثرين الموقوفين على عمر وعائشة رضي الله عنهما، مما لا يقوم به حجة مما له وجه ظاهر، من أن هذا الأثر خفي على عمر رضي الله عنه، كما خفي عليه كثير من أمر رسول الله ﷺ، كالاستئذان وغيره، أو أنه أراد استخلافاً بعهد مكتوب، ونحن نقر أن استخلاف أبي بكر لم يكن بكتاب مكتوب، وأما الخبر في ذلك عن عائشة، فكذلك نصاً، وقد يخرج كلامها على سؤال سائل، وإنما الحجة في روايتها لا في قولها.

وأما من ادعى أنه إنما قدم قياساً على تقديمه إلى الصلاة، فباطل بيقين، لأنه ليس كل من استحق الإمامة في الصلاة، يستحق الإمامة في الخلافة، إذ قد يستحق الإمامة في الصلاة أقرأ القوم، وإن كان أعجمياً أو عربياً، ولا يستحق الخلافة إلا قرشي، فكيف والقياس كله باطل؟

قال أبو محمد: في نص القرآن دليل على صحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وعلى وجوب الطاعة لهم، وهو أن الله تعالى قال مخاطباً لنبيه ﷺ

في الأعراب ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا﴾، وكان نزول سورة براءة التي فيها هذا الحكم، بعد غزوة تبوك بلا شك التي تخلف فيها الثلاثة المعذورون الذين تاب الله عليهم في سورة براءة، ولم يغز عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد غزوة تبوك إلى أن مات صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال تعالى أيضاً ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾، فبين أن العرب لا يغزون مع رسول الله ﷺ أبدا، ثم عطف سبحانه وتعالى عليهم إثر منعه إياهم من الغزو مع رسول الله ﷺ، وغلق لهم باب التوبة فقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، فأخبر تعالى أنهم سيدعوهم غير النبي ﷺ إلى قوم يقاتلونهم أو يسلمون، ووعدهم على طاعة من دعاهم إلى ذلك بجزيل الأجر العظيم، وتوعدهم على عصيان الداعي لهم إلى ذلك العذاب الأليم.

قال أبو محمد: وما دعا أولئك الأعراب أحد بعد رسول الله ﷺ إلى قوم يقاتلونهم أو يسلمون، إلا أبو بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، فإن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دعاهم إلى قتال مرتدي العرب، بني حنيفة وأصحاب الأسود، وسجاح، وطليحة، والروم، والفرس، وغيرهم، ودعاهم عمر إلى قتال الروم، والفرس، وعثمان دعاهم إلى قتال الروم، والفرس، والترك، فوجبت طاعة أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم بنص القرآن الذي لا يحتمل تأويلاً، وإذ قد وجبت طاعتهم فرضاً، فقد صحت إمامتهم وخلافتهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، وليس هذا بموجب تقليدهم في غير ما أمر الله تعالى بطاعتهم فيه،

لأن الله تعالى لم يأمر بذلك إلا في دعائهم إلى قتال هؤلاء القوم، وفيما يجب الطاعة فيه للأئمة جملة وبالله تعالى التوفيق.

وأما ما أفتوا به باجتهادهم، فما أوجبوا هم قط اتباع أقوالهم فيه، فكيف أن يوجب ذلك غيرهم؟ وبالله تعالى التوفيق.

وأيضاً، فإن هذا إجماع الأئمة كلهم، إذ ليس أحد من أهل العلم إلا وقد خالف بعض فتاوى هؤلاء الأئمة الثلاثة رضي الله عنهم، فصح ما ذكرنا والحمد لله رب العالمين»[1]، وغني عن البيان، أن ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قد سلك في هذا النص ما سلكه في النصوص التي استشهد بها من قبل، من إعمال لفهمه لكتاب الله تعالى، وما استنبطه من آياته الكريمة.

☒ **دفاع ابن حزم عن نساء رسول الله ﷺ:**

إضافة إلى هذا نجده رحمه الله قد بلغ الغاية في الدفاع بالأدلة النقلية والعقلية معا، عن نساء النبي ﷺ، خاصة وأن المبتدعة قد بالغوا في الطعن فيهن، وفي النيل منهن رضي الله عنهن، فعقد لهن فصلا خاصا، للدفاع عنهن رضي الله عنهن، فقال رحمه الله وقد أجاد: «فإذْ قد صح ما ذكرنا قبل يقيناً بلا خلاف من أحد في شيء منه، فبيقين ندري أنه لا تعظيم يستحقه أحد من الناس في الدنيا، بإيجاب الله تعالى ذلك علينا، بعد التعظيم الواجب علينا للأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، أوجب ولا أوكد مما ألزمنا الله تعالى من التعظيم الواجب علينا لنساء النبي ﷺ بقول الله تعالى ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ﴾، فأوجب الله لهن حكم الأمومة على كل مسلم، هذا سوى حق إعظامهن بالصحبة مع رسول الله ﷺ، فلهن رضي الله تعالى عنهن مع ذلك

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل (3/ 28 ـ 31).

حق الصحبة له، كسائر الصحابة، إلا أن لهن من الاختصاص في الصحبة ووكيد الملازمة له عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولطيف المنزلة عنده عَلَيْهِ السَّلَامُ، والقرب منه، والحظوة لديه، ما ليس لأحد من الصحابة رضي الله عنهم، فهن أعلى درجة في الصحبة من جميع الصحابة، ثم فضلن سائر الصحابة بحق زائد، وهو حق الأمومة الواجبة لهن كلهن بنص القرآن، فوجدنا الحق الذي به استحق الصحابة الفضل، قد شاركنهم فيه، وفضلنهم فيه أيضاً، ثم فضلنهم بحق زائد وهو حق الأمومة، ثم وجدناهن لا عمل من الصلاة، والصدقة، والصيام، والحج، وحضور الجهاد، يسبق فيه صاحب من الصحابة رضي الله عنهم، إلا ولهن في ذلك مثل ما لغيرهن من الصحابة، فقد كن يجهدن أنفسهن، في ضيق عيشهن، على الكد في العمل بالصدقة، والعتق، ويشهدن الجهاد معه عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي هذا كفاية بينة في أنهن أفضل من كل صاحب، ثم لا شك عند كل مسلم، وبشهادة نص القرآن، إذ خيرهن الله عز وجل بين الدنيا وبين الدار الآخرة والله ورسوله، فاخترن الله تعالى ورسوله ﷺ والدار الآخرة، فهن أزواجه في الآخرة بيقين، فإذ هن كذلك، فهن معه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلا شك في درجة واحدة في الجنة، في قصوره، وعلى سرره، إذ لا يمكن البتة أن يحال بينه وبينهن في الجنة، ولا أن ينحط عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى درجة يسفل فيها عن أحد من الصحابة، هذا ما لا يظنه مسلم، فإذ لا شك في حصولهن على هذه المنزلة، فبالنص والإجماع، علمنا أنهن لم يؤتين ذلك اختصاصاً مجرداً دون عمل، بل باستحقاقهن لذلك باختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة، إذ أمره الله عز وجل أن يخيرهن، فاخترن الله عز وجل ونبيه ﷺ، وهو أفضل الناس، ثم قد حصل لهن أفضل الأعمال في جميع الوجوه السبعة التي قدمنا آنفاً، والتي لا يكون التفاضل إلا بها في الأعمال خاصة، ثم قد حصل لهن على ذلك أوكد التعظيم في الدنيا، ثم قد حصل لهن أرفع الدرجات في الآخرة، فلا وجه من وجوه الفضل، إلا لهن فيه أعلى الحظوظ كلها بلا شك، ومارية أم إبراهيم داخلة معهن في ذلك، لأنها معه عَلَيْهِ السَّلَامُ في الجنة، ومع ابنها

منه بلا شك، فإذ قد ثبت كل ذلك على رغم الآبي، فقد وجب ضرورة أن يشهد لهن كلهن بأنهن أفضل من جميع الخلق كله، بعد الملائكة والنبيين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

وكيف ومعنا نص من النبي ﷺ، كما حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي، ثنا محمد بن أحمد بن مفرج، ثنا محمد بن أيوب الرقى الصموت، ثنا أحمد بن عمرو ابن عبد الخالق البزاز، ثنا أحمد بن عمر، وحدثنا المعتمر بن سليمان التيمي، ثنا حميد الطويل، عن أنس بن مالك قال: «قيل يا رسول الله، من أحب الناس إليك؟ قال: «عائشة»؛ قيل: ومن الرجال؟ قال: «فأبوها إذن» ».

حدثنا عبد الله بن يوسف بن نامي، قال حدثنا أحمد بن فتح، حدثنا عبد الوهاب بن قيس، حدثنا أحمد بن محمد الأشقر، حدثنا أحمد بن علي القلانسي، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا يحيى بن يحيى بن خالد بن عبد الله، هو الطحان، عن خالد الحذاء، عن أبي عثمان النهدي، قال: «أخبرني عمروبن العاص أن رسول الله ﷺ بعثه إلى جيش ذات السلاسل، قال فأتيته، فقلت: أي الناس أحب إليك؟ فقال «عائشة»؛ قلت: من الرجال قال: «أبوها»؛ قلت: ثم من؟ قال: «عمر»، فعد رجالاً.

فهذان عدلان: أنس، وعمر، ويشهدان أن رسول الله ﷺ أخبر بأن عائشة أحب الناس إليه ثم أبوها، وقد قال الله عز وجل عنه عليه السلام ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾، فصح أن كلامه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنها أحب الناس إليه وحي أوحاه الله تعالى إليه ليكون كذلك، ويخبر بذلك لا عن هوى له، ومن ظن ذلك فقد كذب الله تعالى، لكن لاستحقاقها لذلك الفضل في الدين، والتقدم فيه على جميع الناس الموجب لأن يحبها رسول الله ﷺ أكثر من محبته لجميع الناس؛ فقد فضلها رسول الله ﷺ على أبيها، وعلى عمر، وعلى علي وفاطمة، تفضيلاً ظاهراً بلا شك.

فإن قال قائل: نقل أن إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين، لكونه مع أبيه عليه السلام في الجنة في درجة واحدة، قلنا له وبالله تعالى التوفيق: إن إبراهيم ابن رسول الله ﷺ لم يستحق تلك المنزلة بعمل كان منه، وإنما هو اختصاص مجرد، وإنما تقع المفاضلة بين الفاضلين إذا كان فضلهما واحداً، من وجه واحد، فتفاضلا فيه، وأما إن كان الفضل من وجهين اثنين، فلا سبيل إلى المفاضلة بينهما، لأن معنى قول القائل: أي هذين أفضل؟ إنما هو: أي هذين أكثر أوصافاً في الباب الذي اشتركا فيه؟ ألا ترى أنه لا يقال: أيهما أفضل: رمضان أو ناقة صالح؟ ولا أيهما أفضل: الكعبة أو الصلاة؟ بل نقول: أيهما أفضل مكة أو المدينة؟ وأيهما أفضل: رمضان أو ذو الحجة؟ وأيهما أفضل: الزكاة أم الصلاة؟ وأيهما أفضل: ناقة صالح أو ناقة غيره من الأنبياء؟ فقد صح أن التفاضل إنما يكون في وجه اشترك فيه المسؤول عنهما، فسبق أحدهما فيه، فاستحق أن يكون أفضل، وفضل إبراهيم ليس على عمل أصلاً، وإنما هو اختصاص مجرد، وإكرام لأبيه صلى الله عليه وسلم وأما نساؤه عليه السلام، فكونهن وكون سائر أصحابه عليهم السلام في الجنة، إنما هو جزاء لهن ولهم على أعمالهن وأعمالهم، قال الله بعد ذكر الصحابة رضي الله عنهم ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، وقال بعد ذكر الصحابة ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾، وقال تعالى مخاطباً لنسائه عليه السلام ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحاً نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾، وهذا نص قولنا ولله الحمد، وقال تعالى ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقال تعالى ﴿غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾، وقال تعالى ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٨ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٣٩ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾.

فإن قال قائل: فكيف تقولون في قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «لن يدخل الجنة أحد بعمله، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»، قلنا: نعم، هذا حق موافق للآيات المذكورة، وهكذا نقول، إنه لو عمل الإنسان دهره كله، ما استحق على الله تعالى شيئاً، لأنه لا يجب على الله تعالى شيء، إذ لا موجب للأشياء الواجبة غيره تعالى، لأنه المبتدي لكل ما في العالم، والخالق له، فلولا أن الله تعالى رحم عباده، فحكم بأن طاعتهم له يعطيهم بها الجنة، لما وجب ذلك عليه، فصح أنه لا يدخل أحد الجنة بعمله مجرداً دون رحمة الله تعالى؛ لكن يدخلها برحمة الله تعالى التي جعل بها الجنة جزاء على أعمالهم التي أطاعوه بها، فاتفقت الآيات مع هذا الحديث، والحمد لله رب العالمين»[1]، ومرة أخرى، نجد ابن حزم يعتمد على فهمه لكتاب الله، وعلى ذوقه الخاص في استنباط أحكامه التي يبني عليها حججه وبراهينه، والتي تبدو قوية من جميع جوانبها، في الدفاع عن أمهات المؤمنين، نساءِ النبي ﷺ.

---

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل (3/ 40ـ44).

خاتمة

بهذا، يظهر لنا بوضوح بأن منهجي ابن العربي وابن حزم رحمهما الله تعالى، منهجان متكاملان، رغم الاختلاف الذي يبدو بينهما، ففي الوقت الذي نرى فيه ابن العربي يدقق في الروايات والأخبار متنا وسندا، على منهج المحدثين، نرى أن ابن حزم يميل إلى الجدال وتحليل الشاهد، ومناقشته من جميع جوانبه، دون التركيز أحيانا على مدى صحة الخبر أوالحديث إلا لماما، كما هو بيِّن في هذا الشاهد الأخير الذي أوردناه له، ذلك لأنه ـ كما رأينا ـ قد أشار في بداية حديثه، إلى عدم جدوى البحث في صحة الأحاديث والمرويات، لأن المبتدعة أصلا لا يؤمنون برواياتنا، كما أننا أيضا لا نؤمن برواياتهم، وبالتالي، فإن الفيصل هو قرع الحجة بالحجة، والبرهان بالبرهان، حتى يستسلم الخصم رغما عن أنفه، وهو بذلك يركز تركيزا شديدا على مناقشة مضمون الشاهد، وتحليله من الداخل من جميع جوانبه، بينما نجد ابن العربي هو أيضا يحلل الشاهد ويناقشه من جميع جوانبه، وإن لم يبلغ مبلغ ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الافتراض والاحتمال، إلا أنه ركز تركيزا واضحا على ما هوخارج النص، أي على روايته وسنده والمصادر التي روته.

وكلاهما، على أي حال، نجم ثاقب في منهجه ورؤيته، لأن الهدف الأساس الذي ألفا من أجله كتابيهما، هو نصرة السنة النبوية الشريفة، والدفاع عن صحابة رسول الله ﷺ، ورضي عنهم، ضد الحاقدين ومن تبعهم من المبتدعة، حتى تكون كلمة الله جل وعلا وهديُ نبيه محمد ﷺ، هي العليا إلى يوم الدين.

فهرس المصادر والمراجع

- الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، الدكتور محمود إسماعيل عبد الرازق، دار الثقافة، الطبعة الثانية، 1406هـ/1985م.
- دولة الأدارسة، ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، طبعة 1403هـ/ 1983م.
- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، حققه وعلق على حواشيه محب الدين الخطيب، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية 1424هـ/ 2002م.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبومحمد بن حزم، تحقيق أحمد السيد سيد أحمد علي، المكتبة التوفيقية، القاهرة ـ بدون تاريخ.
- فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجريين، للدكتور بنعيسى أحمد بويوزان، بحث نشر في الجزء التاسع من أبحاث الندوة الدولية بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام 1426 بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، في الفترة ما بين 13 ـ 15 شعبان 1426هـ/17 ـ 19 شتنبر 2005.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، حققه علي محمد البجاوي وصدر عن دار الكتاب العربي ـ بيروت، طبعة محرم 1398هـ ـ ديسمبر 1977م.

موقف علماء الغرب الإسلامي
من منتقصي الصحابة رضي الله عنهم

د. عبد الله البخاري

ملخص البحث

مضت سنة الله بإرسال الرسل مبشرين ومنذرين كلما ظهر الفساد، وانطمست أنوار الرسالات الربانية، فكانت البعثة المحمدية لخاتم المرسلين وخيرة خلق الله أجمعين من هذا الباب.

ولأن الرسالة كبيرة والأمانة ثقيلة، اختار الله له أصحاباً وحواريين من بين الخليقة، والله أعلم حيث يجعل رسالته، فرباهم إمام المربين تربية أصبحوا معها يُقدِّمون خدمة الرسول والرسالة على أنفسهم والناس أجمعين.

ولما انتشر نور الإسلام بدأ الكيد له من قبل من سقطت عروشهم، وذهبت ممالكهم، فسلكوا كل مسلك للنيل منه ومن أتباعه، فكان مما أوحت به إليهم شياطينهم من الجن والإنس: تقمص الإسلام ثم هدمه من داخله، وذلك بالطعن في الحلقة الأولى من حلقات الاتصال بين الأمة الإسلامية ونبيها الخاتم، وهي حلقة تمثل جيلاً إذا أُسقطت عدالته سقط الدين كله، وهذا هو هدفهم المنشود.

وهو ما أشار إليه الإمام أبو زرعة الرازي رحمه الله حيث يقول: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله د فاعلم أنه زنديق، لأن الرسول د عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة».

ولخطورة هذا الكيد كان المسلمون له بالمرصاد منذ البداية؛ فحاربوا هذا الفكر الدخيل، وجعلوا ذلك من أولوياتهم حتى أدخلوه في جملة عقائدهم إذ الأمر خطير.

وكان ممن أسهموا في محاربة هذا الفكر الدخيل علماء الغرب الإسلامي الذين حماهم الله ـ بسبب تمسكهم بالمذهب المالكي الخالي من البدع والأهواء ـ من هذا الفكر العقيم، فكانت لهم مواقف مشرقة في الدفاع عن مكانة الصحابة والرد على منتقصيهم؛ مما لو جمع لكان في مجلد نفيس، وهو ما يهدف هذا البحث إلى بيانه.

الباحث في سطور

الدكتور عبد الله البخاري Alboukhari-1380@hotmail.com

- من مواليد عام 1960 بمدينة أسفي.
- أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر أكادير.
- دكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام 1998م.
- عضو مجموعة البحث في الدراسات الفقهية بكلية الآداب ـ أكادير.
- شارك في ندوات وملتقيات وأيام دراسية وثقافية وطنية ودولية عديدة.

من إنتاجه العلمي:

- جهود أبي الثناء محمود بن عبد الله الألوسي في الرد على الرافضة.
- الإيمان بين الزيادة والنقصان.
- الشيعة وبعض معتقداتها.
- كتاب بيان الخلاف والتشهير والاستحسان مما أغفله مورد الظمآن، لابن القاضي الفاسي(ت1082هـ)، تقديم وتحقيق.
- كتاب: صبّ العذاب على من سبّ الأصحاب، للعلامة أبي المعالي الألوسي، دراسة وتحقيق، وغيرها.

مُقدِّمة

مضت سنة الله بإرسال الرسل مبشرين ومنذرين، وذلك كلما ظهر الفساد وانطمست أنوار دعوة الأنبياء والمرسلين، حتى جاء وقت البعثة المحمدية لخاتم المرسلين وخيرة خلق الله أجمعين، محمد بن عبد الله الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، ولما كانت الرسالة كبيرة، والأمانة ثقيلة، اختار الله له أصحاباً وحواريين، يقولون بالحق وبه يعدلون، اصطفاهم من بين مخلوقاته، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فرباهم إمام المربين تربية أصبحوا معها يُقَدِّمون خدمة الرسول ﷺ والرسالة على أنفسهم والناس أجمعين.

ولما انتشر نور الإسلام، بدأ الكيد له ممن سقطت عروشهم، وذهبت ممالكهم وتواريخهم، فسلكوا كل مسلك للنيل منه ومن أتباعه، فكان مما أوحت به إليهم شياطينهم من الجن والإنس، أن يتقمصوا الإسلام ثم يهدمونه من داخله، وذلك بالطعن في الحلقة الأولى من حلقات أصحابه وأتباعه، وهي حلقة الاتصال بين الأمة الإسلامية ونبيها الخاتم، قال ابن عبد البر: «وما أظن أهل دين من الأديان إلا وعلماؤه معتنون بمعرفة أصحاب أنبيائهم؛ لأنهم الواسطة بين النبي وبين أمته»(1)، وهذه الواسطة تمثل جيلاً إذا سقطت عدالته سقط الدين كله، وهذا هو هدفهم المنشود، ومن أجل ذلك اشتغلوا بسب الصحابة والطعن فيهم باختلاق الأكاذيب والافتراءات عليهم حتى يشوهوا سمعتهم ويتوصلوا بذلك إلى أمرين:

---

(1) الاستيعاب المطبوع مع الاصابة (1/ 8ـ 9).

ـ **الأمر الأول**: الطعن في الرسول ﷺ لأنه هو الذي رباهم، وكثيراً ما يعير الشيخ أو الأب بالتلاميذ أو بالأبناء، فيقال: لو كان الشيخ أو الأب صالحاً لكان أبناؤه صالحين

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه ❊❊❊ فإن القرين بالمقارن يقتدي[1]

وهذا ما أشار إليه الإمام مالك في شأن من يسبون الصحابة، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء لو كان رجلاً صالحا لكان أصحابه صالحين»[2].

ـ **الأمر الثاني**: إسقاط عدالة الصحابة ورد شهادتهم، وهذا أمر إن نجحوا فيه أبطلوا الدين من أساسه؛ لأن الصحابة هم الذين نقلوا إلينا هذا الدين الحق، وهذا ما أشار إليه الإمام أبو زرعة الرازي رحمه الله بقوله: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرجوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة»[3]، ولذلك قال الإمام أحمد رحمه الله: «إذا رأيت رجلا يذكر أحدا من الصحابة بسوء فاتهمه على

---

(1) البيت لطرفة بن العبد البكري. انظر ديوانه (ص28). وجمهرة أشعار العرب للقرشي (ص210). وشرح القصائد العشر للتبريزي (ص124). وفيه قال إنه لعدي ابن زيد. وفي الآداب الشرعية لابن مفلح (3/ 538). نسبه لعدي ابن ثابت لكنه بلفظ:

عن المرء لا تسأل واسأل عن قرينه ❊❊❊ فكل قرين بالمقارن يقتدي

وكذلك في الصارم المسلول لابن تيمية (ص580).

(2) الصارم المسلول (ص580).

(3) الكفاية للخطيب البغدادي (ص97).

الإسلام»[1]، وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا يتتبع هفوات أصحاب الرسول ﷺ وزللهم ويحفظ عليهم ما يكون منهم في حال الغضب والموجدة إلا مفتون القلب في دينه»[2]، وقال أيضا: «فمن سبهم وأبغضهم وحمل ما كان من تأويلهم وحروبهم على غير الجميل الحسن، فهو العادل عن أمر الله تعالى وتأديبه ووصيته فيهم، لا يبسط لسانه فيهم إلا من سوء طويته في النبي ﷺ وصحابته والإسلام والمسلمين»[3]، ولخطورة هذا الكيد كان المسلمون له بالمرصاد منذ بدايته فحاربوا هذا الفكر الدخيل، وجعلوا ذلك من أولوياتهم حتى جعلوا ذلك في جملة عقائدهم إذ الأمر خطير.

وكان ممن أسهم في محاربة هذا الفكر الدخيل علماء الغرب الإسلامي الذين حماهم الله - بسبب تمسكهم بالمذهب المالكي الخالي من البدع والأهواء - من هذا الفكر العقيم فكانت لهم مواقف مشرفة في الدفاع عن مكانة الصحابة وإحلالهم المنزلة اللائقة بهم، والرد على منتقصيهم، مما لو جمع لكان في مجلد نفيس؛ ولذلك فإني إن شاء الله سأحاول جمع بعض هذه المواقف المشرفة لعلماء الغرب الإسلامي، وأنظمها تحت عنوان:

«موقف علماء الغرب الإسلامي من منتقصي الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ»

وهو داخل تحت محور: ردود علماء المغرب والأندلس على منتقصي الصحابة، وسيشتمل هذا العرض على: مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة.

---

(1) البداية والنهاية: (8/ 142).

(2) كتاب الإمامة والرد على الرافضة (ص 344).

(3) نفسه (ص376).

- المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وخطورة إهماله.
- المبحث الأول: عقيدة أهل السنة في الصحابة عند علماء الغرب الإسلامي.
- المبحث الثاني: موقف علماء الغرب الإسلامي من منتقصي الصحابة عموما.
- المبحث الثالث: موقف علماء الغرب الإسلامي من منتقصي بعض الصحابة خصوصاً.
- الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة عند علماء الغرب الإسلامي

كل من كتب في العقيدة من علماء الغرب الإسلامي فإنه ينصُّ على ما يجب على المسلم أن يعتقده في شأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وما ذلك إلا لأن فساد الاعتقاد في الصحابة يترتب عليه فساد الدين كله ونقض أصوله.

وإذا دُرس تاريخ الصحابة بمعزل عن المنهج القرآني النبوي، وبمعزل عن العقيدة الصحيحة في الصحابة، فإنه سيكون تاريخا مشوها، ومن هنا أصبحت النظرة إلى الصحابة نظرة عقدية؛ وأصبح شأن الصحابة يشكل جزءا من عقيدة المسلمين، فأجمع المسلمون على أن العقيدة الصحيحة في الصحابة هي:

أن كل الذين صحبوا رسول الله ﷺ وماتوا على الإيمان عدول، تجب محبتهم و البراءة من أعدائهم، ويجب نشر محاسنهم، والإمساك عما شجر بينهم، لأن ذلك كان عن اجتهاد وحسن نية في فعل الأفضل، فالمصيب منهم له أجران، والمخطئ له أجر واحد، وأن أفضلهم الخلفاء الأربعة، وترتيبهم في الأفضلية كترتيبهم في الخلافة، ثم باقي العشرة، ثم أهل بدر، ثم أحد، ثم بيعة الرضوان، ثم سائر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ وأنهم كلهم من أهل الجنة بدليل قوله تعالى:﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[1] فالحسنى: هي الجنة، وبهذه الآية استدل ابن حزم[2] وابن تيمية[3] وابن حجر الهيتمي[4] بأن الصحابة كلهم من أهل الجنة، وأنه لا يمكن أن يأتي أحد من هذه الأمة يَفْضُلُهم، فمنزلتهم لا

---

(1) سورة الحديد: الآية 10.
(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل (4/ 148).
(3) الصارم المسلول (ص572).
(4) الصواعق المحرقة (ص609).

تدرك بكثرة الطاعات والعبادات، لأنهم اختصوا بأمور اختارهم الله إليها لا توجد عند من جاء بعدهم، والأمر كما قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ «ركعة من نبي أو ركعة مع نبي، أو صدقة من نبي، أو صدقة مع نبي، أو ذكر منه أو ذكر معه، وسائر أعمال البر منه أو معه، فقليل ذلك منه أفضل من كثير الأعمال بعده ويبن ذلك قوله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾[1]، وقوله ﷺ: «لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[2].

وقال ابن عمر: «لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل عمره»[3]، وجمهور العلماء على أن الصحبة لا يعدلها عمل، قال الإمام أحمد: «فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه ولو لقوا الله بجميع الأعمال»[4].

وقال النووي رحمه الله: «وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل، ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»[5].

وهذا العقيدة في الصحابة بأدلتها لا تتعارض مع حديث أبي ثعلبة: «تأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين، قيل: منهم أو منا يا رسول الله؟ قال:«بل منكم»[6].

---

(1) سورة الحديد: الآية 10.

(2) صحيح البخاري، كتاب:62 باب:5 رقم: (3673) بلفظ «لا تسبوا أصحابي...».

(3) سنن ابن ماجة (1/ 57) برقم 162، والسنة لابن أبي عاصم برقم 1006، وحسنه الألباني كما في صحيح ابن ماجة برقم: 133.

(4) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (1/ 160).

(5) صحيح مسلم بشرح النووي(16/ 93).

(6) أبو داود (رقم 4341) وابن ماجه رقم (4014)، وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة رقم:494.

لأن هذا الخبر وإن كان من حيث الثبوت لا يقارن بالأخبار السابقة، إلا أن العلماء جمعوا بينه وبينها من عدة وجوه، منها:

➢ أن هذا الحديث لا يدل على الأفضلية المطلقة لمجرد زيادة الأجر على بعض الأعمال.

➢ ومنها: أن المفضول قد توجد فيه مزايا وفضائل ليست عند الفاضل، ولكن من حيث مجموع الخصال لا يساوي الفاضل.

➢ ومنها: أن الأفضلية بينهما إنما هي باعتبار ما يمكن أن يجتمعا فيه، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلاً، أما ما اختص به الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من مشاهدة الرسول ﷺ والعبادة معه والجهاد، فأمر لا يدرك، «إذ لا يسع أحد أن يأتي من الأعمال وإن جلت بما يقارب ذلك فضلاً عن أن يماثله، ومن ثم سئل عبد الله بن المبارك، وناهيك به جلالة وعلما: أيما أفضل: معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: الغبار الذي دخل أنف فرس معاوية مع رسول الله ﷺ خير من عمر بن عبد العزيز كذا وكذا مرة»[1]، ولذلك قال ابن حزم: وإنما تقع المفاضلة بين الفاضلين إذا كان فضلهما واحداً من وجه واحد فتفاضلا فيه، وأما إذا كان الفضل من وجهين اثنين فلا سبيل إلى المفاضلة بينهما، لأن معنى قول القائل: «أي هذين أفضل؟ إنما هو أي هذين أكثر أوصافاً في الباب الذي اشتركا فيه، ألا ترى أنه لا يقال: أيهما أفضل؛ رمضان أو ناقة صالح، ولا أيهما أفضل؛ الكعبة أو الصلاة، بل نقول: أيهما أفضل؛ مكة أو المدينة، وأيهما أفضل؛ رمضان أو ذو الحجة... فقد صح أن التفاضل إنما يكون في وجه اشترك فيه المسئول عنهما، فسبق أحدهما فيه»[2].

---

(1) الصواعق المحرقة (2/ 612-614).

(2) الفصل (4/ 191)، وانظر فتح الباري (7/ 9).

ثم إن الخلاف بين الجمهور في هذه القضية لا يشمل كبار الصحابة، كالعشرة وأهل بدر وأحد وبيعة الرضوان[1].

فهذه العقيدة في الصحابة هي التي نصَّ عليها علماء الغرب الإسلامي في كتبهم، ومن هؤلاء العلماء: مالك الصغير: الإمام أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني النفزي الأندلسي (ت386هـ)، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون: أبوبكر وعمر وعثمان ثم علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وأن لا يذكر أحد من صحابة رسول الله ﷺ إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج، ويظن بهم أحسن الظن»[2].

ومنهم أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين (ت399هـ) قال:«ومن قول أهل السنة أن يعتقد المرء المحبة لأصحاب النبي ﷺ، وأن ينشر محاسنهم وفضائلهم، ويمسك عن الخوض فيما دار بينهم، وقد أثنى الله عَزَّوَجَلَّ في غير موضع من كتابه ثناء أوجب التشريف إليهم بمحبتهم، والدعاء لهم، فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَالذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿...أَجْرا عَظِيماً﴾[3]، وقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ اِلْمُهَٰجِرِينَ اَلذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيٰرِهِمْ ... فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[4]، ثم ذكر مجموعة من الأحاديث منها: عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «دعوا

---

(1) الصواعق المحرقة (1/ 614)، وفتح الباري (1/ 9)، واعتقاد أهل السنة في الصحابة لمحمد الوهيبي(ص21ـ 23).

(2) متن الرسالة بشرح عبد المجيد الأزهري (ص 20).

(3) سورة الفتح: الآية 29.

(4) سورة الحشر: الآيتين 8 و9.

لي أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق كل يوم مثل أحد لم يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[1]، وقال: «ومن قول أهل السنة: أن أفضل هذه الأمة بعد نبينا ﷺ أبوبكر وعمر، وأفضل الناس بعدهما عثمان وعلي»[2].

ومنهم أبو عمرو الداني(ت444هـ) قال: «ومن قولهم (أهل السنة) أن يحسن القول في السادات الكرام، أصحاب محمد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأن تذكر فضائلهم وتنشر محاسنهم، ويمسك عما سوى ذلك مما شجر بينهم، لقوله ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»[3]، يعني إذا ذكروا بغير الجميل، ولقوله ﷺ: «الله الله في أصحابي»[4]، ويجب أن يلتمس لهم أحسن المخارج، وأجمل المذاهب لمكانهم من الإسلام، وموضعهم من الدين والإيمان، وأنهم أهل الرأي والاجتهاد، وأنصح الناس للعباد...»[5].

وقال:«ومن قولهم: إن أفضل الصحابة رضوان الله عليهم: المهاجرون معه والذابون عنه، كما قال سبحانه:﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾[6]، ثم الأنصار، ثم التابعون لهم بإحسان، وقال عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾[7]، وأفضل المهاجرين: العشرة

(1) رواه البخاري رقم: 3673، ومسلم رقم: 2541، بنحو هذا اللفظ.

(2) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص263ـ 270).

(3) أبو نعيم في الحلية 1/ 108، وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة برقم 34، وتمامه:«وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا».

(4) الترمذي رقم: (3862) وأحمد في المسند (4/ 87)، وابن أبي عاصم رقم: 992، وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان 2284، لكن ضعفه الألباني في الضعيفة (2901).

(5) الرسالة الوافية (ص132).

(6) سورة الحديد: الآية 10.

(7) سورة التوبة: الآية 100.

المعدون للجنة، وهم: أبوبكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة، وأفضل هؤلاء العشرة الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي»[(1)].

وقال في المنبهة:

وحب أصحاب النبي فرض ... ومدحهم تزلُّف وقرض
وأفضل الصحابة الصديق ... وبعده المهذب الفاروق
وبعده عثمان ذو النورين ... وبعده علي أبو السبطين
وبعد هؤلاء باقي العشرة ... الأتقياء المرتضين البررة
أهلُ الخشوع والتقى والخوف ... طلحةُ والزبيرُ وابن عوف
ثمت سعد بعدهم وعامر ... ثم سعيد بن نفيل العاشر
وسائر الصحب فهم أبرار ... منتخبون سادة أخيار[(2)]

ومنهم الإمام ابن عبد البر النمري (ت463هـ) في مقدمة كتابه الاستيعاب[(3)]، فقد تحدث بتفصيل عن عقيدة أهل السنة في الصحابة.

ونقل الإمام القرطبي رحمه الله (ت671هـ) عن البغدادي التميمي مستشهداً بكلامه قوله: «أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة، ثم الستة الباقون، إلى تمام العشرة، ثم البدريون، ثم أصحاب أحد، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية»[(4)].

---

(1) الرسالة الوافية (ص132ـ 133).
(2) منبهة الإمام الداني (2 / 557ـ 558).
(3) الاستيعاب المطبوع مع الإصابة (1/ 3ـ 9).
(4) الجامع لأحكام القرآن (8 / 236).

وقال أيضاً: «فالصحابة كلهم عدول أولياء الله تعالى وأصفياؤه وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله، هذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أهل هذه الأمة».

وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم[1].

وقال: لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به[2].

ومنهم أبو عمران الواعظ الأندلسي، قال في قصيدته المشهورة:

بين الصحابة والقرابة ألفة	لا تستحيل بنزغة الشيطان
هموا كالأصابع في اليدين تواصلاً	هل يستوي كف بغير بنان
حب البتول وبعلها لم يختلف	من ملة الإسلام فيه اثنان
نسجت مودتهم سدا في لحمة	فبناؤها من أثبت البنيان
الله ألف بين ود قلوبهم	ليغيظ كل منافق طعان
رحماء بينهم صفت أخلاقهم	وخلت قلوبهم من الشنآن
فدخولهم بين الأحبة كلفة	وسبابهم سبب إلى الحرمان[3]

ومنهم الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (ت456هـ)، قال رحمه الله: «فإن الكلمة في أول الإسلام والثمرة والصبر حينئذ وركعة في ذلك الوقت تعدل اجتهاد الأزمان الطوال، وجهادها، وبذل الأموال الجسام بعد ذلك، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «دعوا لي أصحابي فلو كان لأحدكم مثل أحد ذهبا، فأنفقه ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[4].

(1) الجامع لأحكام القرآن (16/ 296- 299).
(2) نفسه (16 / 323).
(3) الرحلة العياشية (2/ 169).
(4) صحيح البخاري، كتاب:62 باب:5 رقم: (3673) بلفظ «لا تسبوا أصحابي...».

فكان نصف مد شعير أو تمر في ذلك الوقت أفضل من جبل أحد ذهبا ننفقه نحن في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ بعد ذلك، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾[1].

وقال أبو محمد: «هذا في الصحابة فيما بينهم، فكيف بمن بعدهم معهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين»[2].

وقال: «ونقول: ففضل المهاجرين الأولين بعد عمر بن الخطاب قطعا إلا أننا لا نقطع بفضل أحد منهم على صاحبه ... فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى تمام بيعة الرضوان، فإننا نقطع على غيب قلوبهم وأنهم كلهم مؤمنون صالحون ماتوا كلهم على الإيمان والهدى والبر، كلهم من أهل الجنة لا يلج أحد منهم النار ألبته، لقول الله تعالى:﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[3]. وكقوله عز وجل:﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾[4].

قال أبو محمد:«فمن أخبرنا أن الله عز وجل أنه علم ما في قلوبهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأنزل السكينة عليهم، فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم، ولا الشك فيهم ألبتة، ولقول الرسول ﷺ:«لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل الأحمر»[5]،

---

(1) سورة الحديد: الآية 10.

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل(4/ 185).

(3) سورة الواقعة: الآية 10.

(4) سورة الفتح: الآية 18.

(5) تداخل هنا حديثان: ـ الأول:«لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها». مسلم: كتاب فضائل الصحابة (ح2 رقم: 2496). =

ولإخباره عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه لا يدخل النار أحد شهد بدراً[1]. ثم نقطع على أن كل من صحب رسول ﷺ بنية صادقة ولو ساعة فإنه من أهل الجنة لا يدخل النار للتعذيب إلا أنهم لا يلحقون بمن أسلم قبل الفتح، وذلك لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[2]»[3].

ومنهم العلامة أحمد بن محمد البرنسي التازي الفاسي المعروف بزروق (ت899هـ)، شارح متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني فقد نقل عن أبي القاسم الحكيم أنه قال: «اليهود والنصارى أحسن حالاً من الروافض وإن كانوا مسلمين؛ لأنه لو قيل ليهودي: من أفضل الناس؟ قال: موسى، فإذا قيل من أفضل الناس بعده؟ قال: نقباؤه، ولو قيل للنصراني: من أفضل الناس؟ قال: عيسى، فإذا قيل له: من بعده في الفضل؟ قال: حواريوه، ولو قيل لرافضي: من أفضل الناس؟ قال: محمد ﷺ، فإذا قيل له: من شر الناس بعد موته؟ قال: أصحابه، فقبح الله رأيهم فيما أتوا من ذلك.

فالواجب ذكرهم بكل جميل، والإمساك عن كل ما يؤدي لخلافه، وما وقع بين علي ومعاوية فعن اجتهاد، ولكل أجر بما وقع منه، ومذهب أهل السنة أن الصحابة كلهم عدول»[4].

= الثاني: «من يصعد الثنية، ثنية المرار فإنه يحط عنه ما يحط عن بني إسرائيل، قال: فكان أول من صعدها خيلنا خيل بني الخزرج، ثم تتام الناس، فقال رسول الله ﷺ: «وكلكم مغفوراً له إلا صاحب الجمل الأحمر، فأتيناه فقلنا له تعالى يستغفر لك رسول الله ﷺ، فقال: «والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي «صاحبكم». مسلم: كتاب صفات المنافقين ح رقم: 2880.

قال القاضي عياض: قيل: هذا الرجل هو الجد بن قيس المنافق. شرح النووي على مسلم (17/ 127).

(1) السنة لابن أبي عاصم (رقم 860و861) ومسلم (رقم 2195) وأحمد (3/ 396).

(2) سورة الحديد: الآية 10.

(3) الفصل (4/ 225).

(4) شرح زروق على الرسالة (1/ 85ـ 86).

المبحث الثاني: موقف علماء الغرب الإسلامي من منتقصي الصحابة عموما.

قال ابن أبي زيد القيرواني(ت386هـ): «وقال مالك: ومن شتم أحداً من أصحاب النبي ﷺ؛ أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص، فأما إن قال إنهم على ضلال وكفر فإنه يقتل، ولو شتمهم بغير ذلك من مشاتمة الناس فلينكل نكالاً شديداً، وإن قال: إن جبريل أخطأ الوحي استتيب، فإن تاب وإلا قتل». وفي كتاب ابن سحنون: قال سحنون: «وكتب إلي بعض أصحابنا: ومن كفَّر أحداً من الصحابة كفَّر علياً أو عثمان أو غيره من الصحابة فأوجعه جلداً»[1].

قال القاضي عياض (ت544هـ):«قال مالك رحمه الله: من شتم النبي ﷺ قتل، ومن شتم أصحابه أدب»، ونقل قول مالك السابق.

وقال ابن حبيب:«من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أدّب أدباً شديداً، ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد، ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت، ولا يُبْلَغ به القتل إلا في سب النبي ﷺ»[2].

ونقل القاضي عياض عن مالك قوله: «من انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فليس له في هذا الفيء حق، قد قسم الله الفيء في ثلاثة أصناف، فقال:﴿لِلْفُقَرَآءِ أَلْمُهَٰجِرِينَ...﴾ الآية، ثم قال:﴿وَالذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَالِايمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ...﴾ الآية، وهؤلاء هم الأنصار، ثم قال:﴿ وَالذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا أَلذِينَ سَبَقُونَا بِالِايمَٰنِ﴾[3] الآية. فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين»[4].

---

(1) النوادر والزيادات (14/ 531).

(2) الشفا (2/ 308- 309) ونقله عنه ابن فرحون في التبصرة (2/ 282).

(3) الآيات 8- 10 من سورة الحشر.

(4) الشفا (2/ 310).

وقال القحطاني (ت380هـ) في نونيته:

إن الـروافض شر مـن وطـئ الحصى ... مـن كل إنـس نـاطق أو جـان

مـدحوا النـبي وخوّنـوا أصـحابه ... ورمـوهمُ بـالظلم والعـدوان

حَبـوا قرابتـه وسَـبوا صـحبه ... جـدلان عنـد الله منتقـصان

فكأنمـا آل النـبي وصـحبه ... روحٌ يـضُم جميعَهمـا جـسدان

لا تـركنن إلى الـروافض إنهـم ... شـتموا الـصحابة دون مـا برهـان

لعنـوا كمـا بغـضوا صـحابة أحمـد ... ووداهـم فـرض على الانـسان[1]

وقال محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي المـالكي (ت620هـ):

وفرقـة معروفـة بالرافـضة ... صنف من الـشيعة حيرى خائـضة

قـوم تـبرؤا مـن الـصحابة ... وأوسـعوا في الـسب والمعابـة

وكفـروا هنـاك بعـض الـسلف ... وطعنـوا في فـضلهم والـشرف

وربمـا مـالوا للاعـتزال ... في بعـض مـا لهـم مـن الأقـوال

في صـفة الإيمـان والتفـسيق ... وزيغهـم فيـه عـن التحقيـق

وإنمـا سـموا بـذاك قـيلا ... لـسبب كان له الـسبيلا

قـالوا لزيـد بـن عليْ بـن الحـسين ... نجـل علي المعـتلي عـن كل شـين

اشـتم أبـابكر وأيـضاً عمـرا ... فلـم يطعهـم حـين جاءوا نكـراً

فرفـضوه فـلذاك نـسبوا ... رافـضة ثـم اسـتمرَّ اللقـب[2]

(1) نونية القحطاني (ص21 و24).

(2) الدرة السنية في مقتضى المعالم السنية ورقة 14.

وفي أصول السنة لابن أبي زمنين(ت399هـ) بسنده إلى أيوب السختياني:«ومن ينتقص أحداً منهم (الصحابة) أو بغضه لشيء كان منه فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح، والخوف عليه أن لا يرفع له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعاً ويكون قلبه لهم سليما»، ثم ساق سنده إلى مالك رحمه الله أنه قال:«ليس لمن انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ في الفيء حق»[1].

وقال الإمام أبو محمد علي بن حزم(ت456هـ): «لقد خاب وخسر من رد قول ربه عز وجل أنه رضي عن المبايعين تحت الشجرة وعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم، وقد علم كل أحد له أدنى علم أن أبابكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعمار، والمغيرة ابن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من أهل هذه الصفة.

والخوارج، والروافض، قد انتظمت الطائفتان الملعونتان البراءة منهم، خلافا لله عز وجل، وعناداً له، ونعوذ بالله من الخذلان»[2].

وقال:«فإن الشيعة يفضلون أنفسهم، وهم شر خلق الله عز وجل على أبي بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعائشة، وجميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حاشا عليا، والحسن، والحسين، وعمار بن ياسر.

والخوارج يفضلون أنفسهم ـ وهم شر خلق الله عز وجل وكلاب النار ـ على عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، ولقد خاب من خالف كلام الله تعالى وقضاء رسول الله ﷺ[3].

---

(1) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص268ـ 269).
(2) الفصل (4/ 226).
(3) نفسه (4/ 186).

أما الإمام أبوبكر ابن العربي فإن له صولات وجولات مع من ينتقص الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، خاصة الشيعة، فهو لا يستغرب من انتقاص الرافضة للصحابة وتكفيرهم إياهم؛ وذلك لأنهم قالوا أكثر من ذلك؛ فقد اتهموا رسول الله ﷺ بأنه لم يقم بواجب تبليغ الرسالة كما ينبغي، وكان مداريا للصحابة فلم يستطع تبليغهم كل ما أمر بتبليغه لهم.

فقال رحمه الله:«ولا تستغربوا هذا من قولهم، فإنهم يقولون إن النبي ﷺ كان مداريا لهم ومعنياً بهم على نفاق وتقية[1]. وأين أنت من قول النبي ﷺ حين سمع قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مروا عمر فليصل بالناس: «إنكن لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس[2]»[3].

ثم حذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الخوض مع الخائضين في الصحابة بالباطل، ودعا إلى الإمساك عما شجر بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وترك أمرهم إلى الله علام الغيوب فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأعرضوا عن الغاوين وازجروا العاوين، وعرجوا عن سبيل الناكثين، إلى سنن المهتدين، وأمسكوا الألسنة عن السابقين إلى الدين، وإياكم أن تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب رسول الله ﷺ، فقد هلك من كان أصحاب النبي ﷺ

---

(1) قال تعالى:﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾، فهذه العقيدة الفاسدة التي قال بها قدماء الشيعة، يعتقدها الشيعة المعاصرون، وعلى رأسهم إمامهم الخميني، فقد قال في كتابه كشف الأسرار.(ص150و155): (وهكذا يتضح من مجموع هذه الأدلة، ونقل الأحاديث بأن النبي ﷺ كان متهيبا من الناس بشأن الدعوة إلى الإمامة) ثم قال بعد صفحات خمس: (وواضح بأن النبيﷺ لو كان قد بلغ بأمر الإمامة طبقا لما أمر به الله وبدل المساعي في هذا المجال لما نشبت في البلدان الإسلامية كل هذه الاختلافات والمشاحنات والمعارك، ولما ظهرت ثمت خلافات في أصول الدين وفروعه).

(2) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب 39 ح رقم: 664.

(3) العواصم (ص196).

خصمه، ودعوا ما مضى، فقد قضى الله فيه ما قضى، وخذوا لأنفسكم الجد فيما يلزمكم اعتقادا وعملا، ولا تسترسلوا بألسنتكم فيما لا يعنيكم مع كل ناعق اتخذ الدين هملا، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً»(1).

وقال أيضاً في شأن الأخبار التي يتداولها الناس عن الصحابة الكرام: «وخذوا لأنفسكم بالأرجح في طلب السلامة، والخلاص بين الصحابة والتابعين، فلا تكونوا ولم تشاهدوهم ـ وقد عصمكم الله من فتنهم ـ ممن دخل بلسانه في دمائهم، فيلغ فيها ولوغ الكلب بقية الدم على الأرض بعد رفع الفريسة بلحمها، لم يلحق الكلب منها إلا بقية دم سقط على الأرض»(2).

وقال: «ومن نظر إلى أفعال الصحابة تبين منها بطلان هذه الهتوك التي يختلقها أهل التواريخ فيدسونها في قلوب الضعفاء»(3)، «والناس إذا لم يجدوا عيبا لأحد وغلبهم الحس عليه وعداوتهم له أحدثوا له عيوبا، فاقبلوا الوصية، ولا تلتفتوا إلا إلى ما صح من الأخبار، واجتنبوا أهل التواريخ فإنهم ذكروا عن السلف أخبارا صحيحة يسيرة ليتوسلوا بذلك إلى رواية الأباطيل فيقذفوا في قلوب الناس ما لا يرضاه الله تعالى وليحتقروا السلف ويهونوا الدين، وهو أعز من ذلك، وهم أكرم منا فرضي الله عن جميعهم»(4).

كما حذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كتاب المسعودي ووصفه بأنه مبتدع محتال، و«الإمامة والسياسة» المنسوب لابن قتيبة، وحاشاه أن يقول مثل ما فيه، ووصف صاحب الكتاب بأنه جاهل عاقل وأشد شيء على الناس هذان الصنفان، وكذلك حذر من

---

(1) العواصم (ص183ـ 184).
(2) نفسه (ص 227).
(3) نفسه (ص248).
(4) نفسه (ص248).

كتاب المبرد، وكتب الأدب بصفة عامة التي لا تتحرى الصدق في الأخبار، وكذلك بعض كتب التفسير التي على هذا المنوال، ووصف من هذه صفته في نقل الأخبار: «بأنهم أهل جهالة بحرمات الدين، أو على بدعة مُصِرين، فلا تبالوا بما رووا، ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث، ولا تسمعوا لمؤرخ كلاما إلا للطبري، وغيرُ ذلك هو الموتُ الأحمر، والداء الأكبر، فإنهم ينشئون أحاديث فيها استحقار الصحابة والسلف... فإذا قاطعتم أهل الباطل واقتصرتم على رواية العدول، سلمتم من هذه الحبائل... فإذا صنتم أسماعكم وأبصاركم عن مطالعة الباطل، ولم تسمعوا في خليفة ممن ينسب إليه ما لا يليق ويذكر عنه ما لا يجوز نقله، كنتم على منهج السلف سائرين، وعلى سبيل الباطل ناكبين»(1).

وقال القرطبي: «روى أبو عروة الزبير من ولد الزبير: كنا عند مالك بن أنس فذكروا رجلا ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَالذِينَ مَعَهُۥ﴾ إلى أن بلغ ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ فقال مالك: «من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية»، ثم علق القرطبي رحمه الله على قول مالك هذا بقوله: «قلت لقد أحسن مالك في مقالته، وأصاب في تأويله، فمن نقص واحدا منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَالذِينَ مَعَهُۥ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾(2)، وقال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُومِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾(3) إلى غير ذلك من الآي التي تضمنت الثناء عليهم والشهادة لهم بالصدق والفلاح»(4).

---

(1) العواصم (ص251-252).

(2) سورة الفتح: الآية 29.

(3) سورة الفتح: الآية 18.

(4) الجامع لأحكام القرآن (16/ 296).

المبحث الثالث: موقف علماء الغرب الإسلامي من منتقصي بعض الصحابة خصوصاً.

☒ **الخلفاء الأربعة:**

بعد أن ساق الإمام ابن العربي جملة من الأحاديث مستدلاً بها على أحقية أبي بكر في الخلافة، قال: «وهذه الأحاديث جبال في البيان، وجبال في السبب إلى الحق لمن وفقه الله...»، ثم قال رحمه الله: «وإذا تبصرتم هذه الحقائق فليس يخفى منها حال الخلفاء في خلالهم وولايتهم وترتيبهم خصوصا وعموما وقد قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾[1]. وإذا لم ينفذ هذا الوعد في الخلفاء فلمن ينفذ؟ وإذا لم يكن فيهم ففيمن يكون؟ والدليل عليه انعقاد الإجماع أنه لم يتقدمهم في الفضيلة أحد إلى يومنا هذا»[2].

وفي رده على الذين يتهمون الصحابة بأنهم لم يعملوا بوصية الرسول ﷺ لعلي بالخلافة، قال: «لو كان هناك نص على أبي بكر أو على علي، لم يكن بد من احتجاج علي به أو يحتج له به غيره من المهاجرين والأنصار، فأما حديث «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي»[3]، فلا حجة فيه لأنه إنما استخلفه في حياته على المدينة كما استخلف موسى هارون في حياته ـ عند سفره للمناجاة ـ على

---

(1) سورة النور: الآية 55.

(2) العواصم (ص 194).

(3) صحيح البخاري، كتاب 64. باب:79. حديث 4416. وفي الأصل عند ابن العربي قال: «فأما حديث غدير خم» ولعله سبق قلم، إذ الشرح كان للحديث الذي أثبت.

بني إسرائيل، وقد اتفق الكل من إخوانهم اليهود على أن موسى مات بعد هارون فأين الخلافة؟

وأما قولهم: «اللهم وال من والاه»[1] فكلام صحيح ودعوة مجابة، وما يعلم أحد عاداه إلا الرافضة فإنهم أنزلوه في غير منزلته، ونسبوا إليه ما لا يليق بدرجته، والزيادة في الحد نقصان من المحدود ولو تعدى عليه أبو بكر ما كان المتعدي وحده بل جميع الصحابة»[2].

⊠ الرد على منتقصي الخلفاء الثلاثة:

بعد أن حكى تحت ما يسميه ابن العربي قاصمة أن منتقصي الصحابة يزعمون أن أبابكر وعمر وعثمان ومن كان معهم من الصحابة اتفقوا على نزع الخلافة من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبذلك فسق الجميع أو كفروا[3]، وحكى كلاما شنيعاً عن أهل البدع في الصحابة. ونحن إذ نستغفر الله من حكاية هذا الكذب والافتراء، ننقل كلام القاضي أبي بكر في إبطاله.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «يكفيك من شر سماعه، فكيف التململ به...ما رضيت النصارى واليهود في أصحاب موسى وعيسى ما رضيت الروافض في أصحاب محمد ﷺ حين حملوا عليهم بأنهم اتفقوا على الكفر والباطل، فما يرجى من هؤلاء وما يستبقى منهم. وقد اجتمعت الأمة على أن النبي ﷺ ما نص على أحد يكون من بعده[4]، كيف

---

(1) جزء من حديث: «من كنت مولاه فعلي مولاه...» رواه ابن ماجة (1/ 43)، وعبد الرزاق في المصنف (11/ 225)، وأحمد في مسنده (1/ 84 و118) وغيرهم.

(2) العواصم (ص 195-196).

(3) نفسه (ص 186).

(4) نفسه (ص189).

وقد قال العباس بن عبد المطلب لعلي ابن أبي طالب قبل وفاة الرسول ﷺ بأيام: «اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فنسأله فيمن يكون هذا الأمر بعده، فإن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمنا فأوصى بنا، فقال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ»[1].

قال ابن العربي:«وهذا يبطل قول مدعي الإشارة باستخلاف علي، فكيف أن يدعى فيه نص»[2].

وقال القرطبي: قال بعض العلماء:«من أنكر أن يكون عمر أو عثمان أو أحد من الصحابة صاحب رسول الله ﷺ فهو كذاب مبتدع، ومن أنكر أن يكون أبوبكر رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ فهو كافر؛ لأنه رد نص القرآن»[3]، وفي الصفحة نفسها نقل عن ابن العربي قوله: قالت الإمامية قبحها الله: حزن أبي بكر في الغار دليل على جهله ونقصه[4].

أبو بكر الصديق

قال أبو محمد علي بن حزم:«ومن فضائل أبي بكر المشهورة قوله عز وجل: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[5].

(1) صحيح البخاري، كتاب المغازي. باب:83 ح. رقم:4447. وكتاب الاستئذان، باب 29. رقم: 6266.
(2) العواصم: (ص 190).
(3) الجامع لأحكام القرآن (8 / 146).
(4) أحكام القرآن (2 / 953). وانظر الجامع لأحكام القرآن (8 / 146).
(5) سورة التوبة: الآية 40.

فهذه فضيلة منقولة بنقل الكافة لا خلاف بين أحد في أنه أبوبكر فأوجب الله تعالى له فضيلة المشاركة في إخراجه مع رسول الله ﷺ في أنه خصه باسم الصحبة له، وبأنه ثانيه في الغار، وأعظم من ذلك كله أن الله معهما، وهذا ما لا يلحقه فيه أحد.

قال أبو محمد: فاعترض في هذا بعض أهل القِحة فقال: قد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا﴾[1].

قال: وقد حزن أبو بكر فنهاه رسول الله ﷺ عن ذلك فلو كان حزنه رضا لله عز وجل لما نهاه رسول الله ﷺ.

قال أبو محمد: وهذه مجاهرة بالباطل أما قوله في الآية ﴿لِصَاحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ قد أخبر الله تعالى بأن أحدهما مؤمن والآخر كافر، وبأنهما مختلفان، فإنما سماه صاحبه في المحاورة والمجالسة فقط[2].

كما قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[3]. فلم يجعله أخاهم في الدين وإنما في الدار والنسب، فليس هكذا قوله تعالى ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، بل جعله صاحبه في الدين والهجرة، وفي الإخراج وفي الغار، وفي نصرة الله تعالى لهما وإخافة الكفار لهما، وفي كونه تعالى معهما، فهذه الصحبة غاية الفضل وتلك الأخرى غاية النقص بنص القرآن.

وأما حزن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقبل أن ينهاه عنه رسول الله ﷺ كان غاية الرضا لله؛ لأنه كان إشفاقا على رسول الله ﷺ، ولذلك كان الله معه وهو تعالى لا يكون مع العصاة بل عليهم.

---

(1) سورة الكهف: الآية 34.
(2) الفصل (4/ 220).
(3) سورة الأعراف: الآية 85.

وما حزن أبو بكر قط بعد أن نهاه رسول الله ﷺ عن الحزن ولو كان لهؤلاء الأرذال حياء أو علم لم يأتوا بمثل هذا؛ إذ لو كان حزن أبي بكر عيبا عليه لكان ذلك على محمد وموسى رسول الله عيبا»[1]، إذ قال الله له: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾[2] وقال: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾[3] وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[4]، وقال: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾[5]. فالله أخبرنا أنه يعلم أن رسول الله ﷺ يحزنه الذي يقولون، ونهاه الله عَزَّوَجَلَّ عن ذلك نصاً،فيلزمهم في حزن رسول الله ﷺ الذي نهاه الله تعالى عنه كالذي أرادوا في حزن أبي بكر سواء بسواء[6].

ويمكن أن يكون أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يحزن يومئذ ولكن نهاه عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يكون منه حزن كما قال الله تعالى لنبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[7]، فنهاه عن أن يطيعهم ولم تكن منه طاعة لهم، وهذا إنما يعترض به أهل الجهل والسخافة، ونعوذ بالله من الضلال.

قال أبو محمد:«واعترض بعض الجهال ببعثة رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلف أبي بكر في الحج ليبلغ أهل الموسم سورة براءة، وقراءتها عليهم»[8].

---

(1) الفصل (4/ 220ـ 221).

(2) سورة لقمان: الآية 23.

(3) سورة النحل الآية 127.

(4) سورة يونس الآية 65.

(5) سورة الأنعام الآية 33.

(6) الفصل (4/ 220ـ 222).

(7) سورة الإنسان: الآية 24.

(8) الفصل (4/ 222).

قال أبو محمد: وهذا من أعظم فضائل أبي بكر لأنه كان أميرا على علي ابن أبي طالب وغيره من أهل الموسم، لا يدفعون إلا بدفعه ولا يقفون إلا بوقوفه ولا يصلون إلا بصلاته، وينصتون إذا خطب وعلي في الجملة كذلك، وسورة براءة وقع فيها فضل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وذكره في أمر الغار، وخروجه مع النبي ﷺ وكون الله تعالى معهما، فقراءة علي لها أبلغ في إعلان فضل أبي بكر على علي، وعلى سواه، وحجة لأبي بكر قاطعة وبالله التوفيق...

وما يعترض إمامة أبي بكر إلا زَارٍ على رسول الله ﷺ، رادٍ لأمره في تقديمه أبابكر إلى الصلاة بأهل الإسلام، مريد لإزالته عن مقام أقامه فيه رسول الله ﷺ[1].

هذا بعض ردود ابن حزم على الطاعنين في أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد رأيت قوتها.

▣ الدفاع عن أبي بكر بالنصوص التي تشير إلى خلافته:

وأما الإمام أبو بكر بن العربي فقد سلك مسلكاً آخر في رده على المطاعن التي وجهها أعداء الصحابة لأبي بكر، بحيث ركز على النصوص التي تثبت خلافته، وبين أنها جبال في الدلالة على المقصود، ثم عقب بعد ذلك على بعض الشبه المتهالكة التي تمسك بها بعض من لا حياء عندهم وأبطلها من أساسها الذي بني على شفا جرف هار، وهذه هي النصوص:

جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت له فإذا لم أجدك ـ كأنها تعني الموت ـ فقال تجدين أبا بكر[2].

---

(1) الفصل (4/ 222ـ 223).

(2) صحيح البخاري، كتاب 62.ب:5.حديث 3659.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي مرتين»[1]، وقوله: «لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي»[2]، وقوله: «بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه، ثم استحالت غربا فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن»[3]، وفي رواية لمسلم[4] «فجاءني أبوبكر فأخذ الدلو من يدي ليروحني فنزع دلوين».

قال العلماء في قوله: «ليروحني» إشارة إلى نيابة أبوبكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وخلافته من بعده، وراحته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوفاته من نصب الدنيا ومشاقّها، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مستريح ومستراح منه»[5] و«الدنيا سجن المؤمن»[6] و«لا كرب على أبيك بعد اليوم»[7].

وقد ثبت أن النبي ﷺ صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فرجف بهم فقال: اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان[8].

(1) صحيح البخاري، كتاب 62.ب:5.(ح رقم: 3661).
(2) صحيح البخاري، كتاب 62.ب:5.(ح رقم: 3654).
(3) صحيح البخاري، كتاب 62.ب:5.(ح رقم: 3664).
(4) حديث رقم 2392.
(5) مالك في الموطأ. كتاب الجنائز. باب 16. (ح رقم:571). صحيح البخاري، كتاب الرقاق. باب 42. (ح رقم:6512). مسلم كتاب المساجد. باب 46. (ح رقم: 656).
(6) صحيح مسلم، كتاب الزهد. باب 1 (ح رقم:2956).
(7) ابن ماجة. كتاب الجنائز. باب 65 (ح رقم: 1629). وصحيح البخاري، كتاب المغازي. باب 84 (ح رقم:4462) بلفظ: «ليس على أبيك كرب بعد هذا اليوم».
(8) صحيح البخاري، كتاب 62.ب: 5.(ح رقم: 3675).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه (الذي مات فيه): «ادعوا لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابا فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»(1).

وصح أن النبي ﷺ قال ذات يوم «من رأى منكم رؤيا؟ فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزانا نزل من السماء فوزنت أنت وأبا بكر فرجحت، ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان فرأينا الكراهية في وجه رسول الله ﷺ»(2) (3).

بعد ذكره لهذه الأحاديث قال رحمه الله: «وهذه الأحاديث جبال في البيان، وجبال في السبب إلى الحق لمن وفقه الله، ولو لم يكن معكم أيها السنية إلا قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾(4). فجعل الأمة في نصيف وجعل أبا بكر في نصيف آخر وقام معه جميع الصحابة»(5)، وقال في كتابه أحكام القرآن عند تفسيره لهذه الآية مستقبحا مقالة الرافضة في أبي بكر: «قالت الإمامية قبحها الله: حزن أبي بكر في الغار مع كونه مع النبي ﷺ دليل على جهله ونقصه وضعف قلبه وحيرته. ثم قال:

أجاب على هذا علماؤنا بثلاثة أجوبة:

---

(1) صحيح مسلم حديث رقم: 2387.

(2) سنن أبي داوود. كتاب السنة. باب:9.حديث 4634. وهو صحيح.

(3) العواصم (ص 190- 193).

(4) سورة التوبة: الآية 40.

(5) العواصم (ص193).

> **الأول**: أن قوله لا تحزن ليس بموجب بظاهره وجود الحزن، إنما يقتضي منه منعه في المستقبل، فلعل النبي ﷺ قال له ذلك زيادة في طمانينة قلبه، فإن الصديق قال للنبيﷺ لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال له لا تحزن إن الله معنا، لتطمئن نفسه.

> **الثاني**: أن الصديق لا ينقصه إضافة الحزن إليه كما لم تنقص إبراهيم حين قيل عنه ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾[1]، ولم ينقص موسى قوله عنه ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾[2].

> **الثالث**: أن حزن الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يكن لشك وحيرة، وإنما كان خوفا على النبيﷺ من أن يصله ضرر، ولم يكن النبي ﷺ معصوما من الضرر، فكيف يكون الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضعيف القلب وهو لم يستخف حين مات النبي ﷺ بل ظهر وقام المقام المحمود - الذي تقدم ذكرنا له - بقوة يقين ووفور علم، وثبوت جأش، وفصلٍ للخطبة التي تعي المحتالين»[3].

قال القرطبي: «قال بعض العلماء في قوله تعالى﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ ما يدل على أن الخليفة بعد النبيﷺ أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأن الخليفة لا يكون أبدا إلا ثانياً»[4].

وقال أيضا:«وقد جاء في السنة أحاديث صحيحة يدل ظاهرها على أنه الخليفة بعده، وقد انعقد الإجماع على ذلك ولم يبق منهم مخالف، والقادح في خلافته مقطوع

---

(1) سورة هود: الآية 69.

(2) سورة طه: الآية 66.

(3) أحكام القران لابن العربي (2/ 953).

(4) الجامع لأحكام القرآن (8/ 147).

بخطئه وتفسيقه، وهل يكفر أم لا؛ يختلف فيه، والأظهر تكفيره»، والذي يقطع به من الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة ويجب أن تؤمن به القلوب والأفئدة فضل الصديق على جميع الصحابة، ولا مبالاة بأقوال أهل الشيع ولا أهل البدع فإنهم بين مكفَّر تضرب رقبته، وبين مبتدع مفسّق لا تقبل كلمته[1].

▣ عمر بن الخطاب:

قال المنتقصون للصحابة: ثم خلفه في التعدي عمر يقصدون أن أبا بكر اعتدى في الخلافة، واغتصبها من علي وتبعه عمر، قال ابن العربي رحمه الله: «لقد اقتحموا عظيما وافتروا كبيرا وما جعلها عمر شورى إلا اقتداء بالنبي ﷺ وبأبي بكر، إذ قال: إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني، وإن لم أستخلف فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف[2]، فما رد هذه الكلمات أحد وقال: أجعلها شورى في النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض[3]، وقد رضي الله عن أكثر منهم ولكنهم كانوا خيار الرضا وشهد لهم بالأهلية للخلافة[4].

وتقدير عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعلي يتنافى مع ما يزعمه الرافضة من أنه اعتدى عليه.

قال ابن العربي:«وقُتل عثمان فلم يبق في الأرض أحق بها من عليّ، فجاءته على قدر في وقتها ومحلها و بين الله على يديه من الأحكام والعلوم ما شاء الله أن يبين، وقد قال عمر: لولا علي لهلك عمر»[5].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (8 / 148).

(2) صحيح مسلم، كتاب 33. ب:2. حديث 11ـ 1823.

(3) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبيﷺ. باب 8. ح رقم:3700.

(4) العواصم (ص196).

(5) نفسه (ص197).

▣ عثمان بن عفان:

قال أبو محمد: «والذي يقع في نفوسنا دون أن نقطع به ولا نخطئ من خالفنا في ذلك هو أن عثمان أفضل من علي، والله أعلم، لأن فضائلهما تتقاوم في الأكثر فكان عثمان أقرأ، وكان علي أكثر فتيا ورواية. ولعلي أيضا حظ قوي في القراءة ولعثمان أيضا حظ قوي في الفتيا والرواية، ولعلي مقامات عظيمه في الجهاد بنفسه ولعثمان مثل ذلك بماله، ثم انفرد عثمان بأن رسول الله ﷺ بايع ليساره المقدسة عن يمين عثمان في بيعة الرضوان، وله هجرتان، وسابقة قديمة، وصهر مكرم محمود، ولم يحضر بدرا فألحقه الله تعالى فيهم بأجره التام وسهمه، فألحقه بمن حضرها فهو معدود فيهم، ثم كانت له فتوحات في الإسلام عظيمة لم تكن لعلي، وسيرة في الإسلام هادية، ولم يتسبب بسفك دم مسلم، وجاءت فيه آثار صحاح، وأن الملائكة تستحي منه»[1].

وقال **الإمام ابن العربي** رحمه الله ما ملخصه: «عندما جعل عمر الأمر شورى بين ستة منهم عبد الرحمن ابن عوف فأخرج ابن عوف نفسه وقدم عثمان فكان عثمان عند الظن به ما خالف عهدا ولا نكث عقدا و لا اقتحم مكرها ولا خالف سنة[2]، ولما صحت إمامته قتل مظلوما ليقضي الله أمرا كان مفعولا[3]، والذين قاموا عليه كانوا أهل أغراض سوء حيل بينهم وبينها[4]، فلم يأت عثمان منكراً لا في أول الأمر ولا في آخره ولا جاء الصحابة بمنكر، وكل ما سمعت من خبر باطل إياك أن تلتفت إليه[5].

(1) الفصل (4/ 224).

(2) انظر: العواصم من القواصم (ص64).

(3) نفسه (ص67).

(4) نفسه (ص68).

(5) نفسه (ص71).

وقال أيضاً: قالوا متعدين، متعلقين برواية كذابين: جاء عثمان في ولايته بمظالم ومناكير منها: ثم ساق جملة من الأكاذيب والترهات المنحرفة والمؤولة عن وجهها الصحيح ثم كر عليها بالرد والتفنيد وسلك في ذلك منهجين منهج الاختصار ومنهج التفصيل، فقال في المنهج الأول: هذا كله باطل سندا ومتنا أما قولهم جاء عثمان بمظالم ومناكر فباطل[1]. ويعيب ابن العربي عن الذين يشتغلون بالاعتذار عن عثمان وغيره دون أن ينتبهوا إلى أن هذه الاتهامات مكذوبة. فقال عن اتهام أعداء الصحابة لعثمان بضرب عمار وابن مسعود، قال: وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغي أن تشتغل بها لأنها مبنية على باطل، ولا يبنى حق عن باطل، ولا ينبغي مجاراة الجهال لأن ذلك لا آخر له[2].

ثم يبين مدى الحقد الذي وصل عند بعض الناس إلى قلب الحقائق وجعل الحسنات سيئات، فقال عن اتهامهم لعثمان بأنه ابتدع جمع القرآن:«تلك حسنته العظمى وخصلته الكبرى، حسم مادة الخلاف وتحقق وعد الله على يديه»[3].

وقال عن اتهامهم لعثمان بأنه حمى الحمى بأن الحمى كان من عهد رسول الله ﷺ لأموال الصدقة وعثمان زاد فيه فقط عندما زادت الرعية وإذا جاز الأصل للحاجة إليه جازت الزيادة لزيادة الحاجة إليه[4].

وقال عن الاتهام بأن عثمان نفى أبا ذر إلى الربذة بأن ذلك لم يحدث وإنما أبو ذر هو الذي اختار تلك العزلة فوافقه عثمان وأكرمه وجهزه بما فيه راحته، ومعلوم أن

---

(1) العواصم (ص74).

(2) نفسه (ص77).

(3) نفسه (ص77).

(4) نفسه (ص83).

في هذه العزلة تحقيقا لإعجاز خبري أخبر عنه النبي ﷺ في قوله: «يرحم الله أبا ذر يعيش وحده ويموت وحده ويحشر وحده»[1]، وفيها أيضا تنفيذ لأمر رسول الله ﷺ الذي قال له «إذا بلغ البناء سلعا فاخرج منها»[2] وبين ابن العربي أن أبا ذر كان يذهب إلى عدم كنز المال حتى ولو أديت زكاته أخذا من قوله تعالى: ﴿وَالذِينَ يَكْنِزُونَ أَلذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3]، وهو مذهب خالف به جمهور الصحابة وبعض الأحاديث النبوية، وكان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لا يكتفي بالعمل به في نفسه وإنما يريد فرضه على الناس، ثم قال في نهاية رده: «وحال أبي ذر أفضل، ولا تمكن لجميع الخلق، فلو كانوا عليها لهلكوا، فسبحان مرتب المنازل»[4].

وعن الحكم ابن أبي العاص قال ابن العربي ما ملخصه: إنه لم يصح أن عثمان خالف فيه شرع الله، كيف «وقد كان أذن له فيه رسول الله ﷺ »[5].

قلت: يؤيد هذا ما قاله ابن تيمية رحمه الله: «وقد طعن كثير من أهل العلم في نفيه، وقالوا هو ذهب باختياره، ... والمعلوم من فضائل عثمان، ومحبة النبي ﷺ له، وثنائه عليه، وتخصيصه بابنتيه، وشهادته له بالجنة، وإرساله إلى مكة، ومبايعته له عنه لما أرسله إلى مكة، وتقديم الصحابة له باختيارهم في الخلافة، وشهادة عمر وغيره له بأن رسول الله ﷺ مات وهو عنه راض، وأمثال ذلك مما يوجب العلم القطعي بأنه من كبار أولياء الله المتقين، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، فلا يدفع هذا بنقل لا

(1) الإصابة (4 / 65).

(2) السنة للخلال (1/ 107) ح رقم:50، المستدرك للحاكم (3/ 344) ح رقم: 5468 (صححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(3) سورة التوبة: الآية 34.

(4) العواصم (ص85).

(5) نفسه (ص88).

يثبت إسناده ولا يعرف كيف وقع ويجعل لعثمان ذنب بأمر لا يعرف حقيقته، بل مثل هذا مثل الذين يعارضون المحكم والمتشابه، وهذا من فعل الذين في قلوبهم زيغ الذين يبتغون الفتنة»[1].

وأما ترك القصر فاجتهاد اجتهده خوفاً من أن تؤدى السنة إلى إسقاط الفريضة، وهي مسألة خلافية لا يجوز الإنكار على المخالف فيها[2].

وعن تولية عثمان لمعاوية ابن أبي سفيان بين أن أول من ولى معاوية هو عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجمع له الشامات كلها، بل إنما ولاه أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لأنه ولى أخاه يزيداً واستخلفه يزيد، فأقره عمر[3] وهكذا غيره من الولاة الذين ولاهم: كعبد الله بن عامر بن كريز، والوليد بن عقبة، فإنه اجتهد في اختيارهم، والولاية اجتهاد يراعي فيه الخليفة المصلحة العامة للأمة، أو أي شيء آخر قد يتصون عليه كما قال عثمان عن عبد الله بن عامر «إنه كريم العمات والخالات»[4]، وقال عن الوليد (إنما وليته لأنه ابن أم حكيم البيضاء عمة رسول الله ﷺ وتوأمة أبيه)[5]، وعن إعطاء عثمان خمس إفريقية لشخص واحد قال: هذا لم يصح، ونقل عن مالك رحمه الله أن الإمام يرى رأيه في الخمس...وأن إعطاءه لواحد جائز[6].

قال محب الدين الخطيب: «والذي صح هو إعطاؤه خمس الخمس لعبد الله ابن أبي سرح جزاء جهاده المشكور ثم عاد فاسترده منه»[7].

---

(1) منهاج السنة (6/ 268).
(2) العواصم (ص90).
(3) نفسه (ص91).
(4) نفسه (ص94).
(5) نفسه (ص95).
(6) نفسه (ص109).
(7) العواصم (ص109) حاشية:1.وانظر تاريخ الطبري حوادث سنة 27هـ.

وقال عن اتهامهم له بأنه ضرب بالعصا، فما سمعته ممن أطاع أو عصا، وإنما هو باطل يحكى وزور ينثى[1]، فيالله وللنهي[2].

وعن اتهامهم له بعلوه على درجة الرسول ﷺ قال:«فما سمعته ممن فيه تقية وإنما هو إشاعة منكر، ليروى ويذكر، فيتغير قلب من يتغير، ولو صح ذلك فما في هذا ما يحل دمه، ولا يخلوا أن يكون ذلك حقاً فلم تنكره الصحابة عليه إذ رأت جوازه ابتداءً أو لسبب اقتضى ذلك»[3].

قلت: في عهد النبي ﷺ اشترى عثمان مساحة من الأرض وسع بها المسجد النبوي، ثم وسعه بعد ذلك عمر ابن الخطاب، وفي عهد عثمان ابن عفان عندما ازداد عدد سكان المدينة وسع المسجد مرة أخرى، ومن المعلوم المسلم به أنه كلما ازدادت المساحة وكثر العدد احتاج الإمام إلى أن يَظهر أكثر في الخطبة ليراه الجميع ويستمعوا إليه جيدا فما العيب إن زاد عثمان درجة في المنبر ودرجتين ليساعد المصلين على الاستفادة منه أكثر.

وأما اتهام عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنه انهزم يوم حنين، وفر يوم أحد، وتغيب عن بدر، وبيعة الرضوان. رد عنه ابن العربي: بأن يوم حنين لم يذكر فيها من فر ومن بقي على التحديد، حتى قيل إنه لم يبق معه إلا العباس وابنه عبد الله وقثم، وعليه: فإن عثمان لم ينفرد بهذا وإنما شاركه جل الصحابة فلم الإنكار على عثمان دون من سواه.

وأما يوم أحد وبدر فإنه دافع بما دافع به عبد الله ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما جاءه ذلك المصري، وقال له: يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني عنه، هل تعلم أن عثمان

---

(1) أي يداع ويظهر وينشر.

(2) العواصم (ص 111).

(3) نفسه (ص111).

فر يوم أحد؟ قال نعم، فقال هل تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال نعم، قال الرجل هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال نعم، قال: الله أكبر، قال ابن عمر: تعال أبيّن لك، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ: إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «هذه يد عثمان» فضرب بها على يده فقال: «هذه لعثمان» ثم قال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك[1].

فانظر رحمك الله إلى أهل الأهواء والأغراض الدنيئة، كيف يحرفون الكلم عن مواضعه، ويخرجون المعاني عن مقاصدها، وانظر ماذا تفعل الدعاية الكاذبة والمغرضة في البسطاء وعوام الناس، وانظر أيضا إلى دور العلماء الربانيين في كشف الحقائق وتجلية الغوامض، وذلك بنفي تحريف الغالين وانتحال المبطلين عن هذا الدين، وهذا يميز ما قام به عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.

وعن اتهام عثمان بأنه لم يقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان يقول ابن العربي: «إن ذلك باطل».

قلت: روى الطبري في تاريخه حوادث سنة 24هـ أن القماديان بن الهرمزان لما قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب الهرمزان وولي عثمان، قال: «دعاني (أي عثمان) فأمكنني منه، ثم قال: يابني هذا قاتل أبيك، وأنت أولى به منا فاذهب فاقتله، فخرجت

(1) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة باب:7، حديث 3699. وانظر العواصم (ص112- 114).

به وما في الأرض أحد إلا معي؛ إلا أنهم يطلبون إلي فيه، فقلت لهم: إلي قتله؟ قالوا: نعم ـ وسبوا عبيد الله ـ فقلت: أَفَلَكُم أن تمنعوه؟ قالوا: لا، وسبوه، فتركته لله ولهم، فاحتملوني؛ فوالله ما بلغت المنزل إلا على رؤوس الرجال وأكفهم»[1]، وقد وقف عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا الموقف مع عبيد الله بن عمر مع أن الهرمزان سعى إلى قتل عمر وحمل الخنجر وظهر تحت ثيابه.

وأما قضية الكتاب الذي زوروه واتهموا به عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أرسله إلى عامله بمصر يأمره فيه بقتل حامله فقد رد عليه بقول عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لهم: «إما أن تقيموا شاهدين على ذلك، وإلا فيميني أني ما كتبت و لا أمرت، و قد يكتب على لسان الرجل، ويضرب على خطه، وينقش على خاتمه، ثم بين ابن العربي أن هؤلاء الحاقدين طلبوا من عثمان أن يسلمهم مروان فقال: لا أفعل، قال ابن العربي:«ولو سلمه لكان ظالما، وإنما عليهم أن يطلبوا حقهم عنده على مروان وسواه، فما ثبت كان هو منفذه»[2].

▣ علي بن أبي طالب:

قال ابن العربي: في دفاعه عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فإن قيل فقد قال طلحة:«بايعت واللج في قَفَيَّ» قلنا: اخترع هذا الحديث من أراد أن يجعل في (القفا) لغة (قفيَّ) كما يجعل في (الهوى) (هَوَيَّ)، وتلك لغة هذيل لا قريش، فكانت كذبة لم تدبر.

وأما قولهم: (يد شلاء) لو صح فلا متعلق لهم فيه، فإن يداً شُلّت في وقاية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يتم لها كل أمر، ويتوقى بها من كل مكروه، وقد تم الأمر

(1) تاريخ الأمم والملوك (2 / 590).

(2) العواصم من القواصم (ص118 ـ 119).

على وجهه، ونفذ القدر بعد ذلك على حكمه، وجَهِلَ المبتدعُ ذلك فاخترع ما هو حجة عليه»[1].

وقال: «فإن قيل: بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان، قلنا هذا لا يصح في شرط البيعة، وإنما يبايعونه على الحكم بالحق، وهو أن يحضر الطالب للدم، ويحضر المطلوب، وتقع الدعوى، ويكون الجواب، وتقوم البينة، ويقع الحكم. فأما على الهجم عليه بما كان من قول مطلق، أو فعل غير محقق، أو سماع كلام، فليس ذلك في دين الإسلام»[2].

ومن خلال هذه النصوص يتبين لنا جهل هذا الكذاب الأشر، الذي وضع هذه الأخبار، فهو يجهل اللغة والتاريخ وجهاد المجاهدين المنافحين عن الرسول ﷺ كطلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويجهل أصول الحكم والتقاضي في استرجاع الحقوق.

▣ ثبوت خلافة علي وأنه أولى الطائفتين بالحق.

جاء ابن العربي بحديث: «تقتل عماراً الفئة الباغية»[3] وحديث الخوارج: «يخرجون على حين فرقة من الناس»[4]، وكان الذي قتلهم علي بن أبي طالب، فتقرر عند علماء المسلمين؛ وثبت بدليل الدين أن علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إماما، وأن كل من خرج عليه باغ، وأن قتاله واجب حتى يفيء إلى الحق، وينقاد إلى الصلح... وكان علي أحق بها وأهلها، فقبلها حوطة على الأمة أن تسفك دماؤها بالتهارج والباطل، وينخرق أمرها إلى ما لا يتحصل، وربما تغير الدين، وانقض عمود الإسلام؛ فلما بويع له طلب أهل الشام

---

(1) العواصم من القواصم (ص 149).

(2) نفسه (ص 150).

(3) صحيح البخاري، كتاب 8 باب 63 5ح رقم: 447. ومسلم (ح رقم: 2915).

(4) صحيح البخاري، كتاب 61. باب 25. (ح رقم: 3611). ومسلم (ح رقم: 1064).

في شرط البيعة التمكين من قتلة عثمان وأخذ القود منهم، فقال لهم علي: ادخلوا في البيعة، واطلبوا الحق تصلوا إليه، فقالوا: لا تستحق بيعة وقتلة عثمان معك نراهم صباحا ومساء، فكان علي في ذلك أسدّ رأيا، وأصوب قولا؛ لأنه رأى أن ينتظر بهم حتى يستتب له الأمر ويستوثق «ويقع الطلب من الأولياء في مجلس الحكم، فيجري القضاء بالحق»[1].

▣ أهل صفين:

بعد عرضه لادعاءات الفريقين أشار إلى أن أعداء الصحابة من الشيعة وغيرهم انتحلوا حكايات لا أصل لها، وأنشأوا أشعاراً لا نهاية لها؛ لكي يشوهوا سيرة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقال: «وذكروا في تفاصيل ذلك كلمات آلت إلى استفعال رسائل، واستخراج أقوال، وإنشاء أشعار، وضرب أمثال، تخرج عن سيرة السلف، يقرها الخلف وينبذها السلف»[2].

وفي تجليته لحادثة صفين وتبيين ما فيها من الهزيل والسمين نجده يقرر الحقائق التاريخية الصحيحة كما هي، ويعلن موقفه منها، وبيان الطائفة المحقة من غيرها دون الخدش أو التجريح لأي منهما أصابوا أم أخطأوا في اجتهادهم، مستنداً في ذلك كله إلى القضاء الشرعي، والأخبار النبوية المستقبلية التي أشارت إلى أولى الطائفتين بالحق، وأما استناده إلى القضاء الشرعي فقال بعد أن أقر بوجودها وأسبابها: «وأما الصواب فيه فمع علي؛ لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، وتهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه أن يخرج عليه، بل يطلب الحق عنده، فإن ظهر له قضاء وإلا سكت وصبر»[3].

---

(1) أحكام القران (4/ 1718).

(2) العواصم من القواصم (ص 167).

(3) نفسه (ص167).

فمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يطالب بقتلة عثمان، وعلي بن أبي طالب يقول: «إن ذلك لا يمكن لأمرين:

- الأول: أنهم كانت لهم شوكة وقوة لما تولى علي الخلافة.

- الثاني: أنهم غير معروفين بأعيانهم، ولمعرفتهم لا بد من القضاء الشرعي الذي يفصل في مثل هذه الأمور، «والذي يكشف الغطاء في ذلك أن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما صار إليه الأمر لم يمكنه أن يقتل من قتلة عثمان أحداً إلا بحكم»[1].

وأما استناده إلى أحاديث الفتن فقال في شأنها: «والذي تثلج به صدوركم أن النبي ﷺ ذكر في الفتن وأشار وبين وأنذر بالخوارج، وقال: «تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق»[2]، فبين أن كل طائفة منهما تتعلق بالحق، ولكن طائفة علي أدنى إليه، وقال في عمار: «تقتله الفئة الباغية»[3]، وقال في الحسن: «ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[4] فحسن له خلعه نفسه وإصلاحه» وكذلك يروى أنه أذن في الرؤيا لعثمان في أن يستسلم ويفطر عنده الليلة»[5]، ثم قال ابن العربي محذراً من الروايات التاريخية المكذوبة: «وما وقع من روايات في كتب التاريخ عدا ما ذكرنا فلا تلتفتوا إلى حرف منها فإنها كلها باطلة»[6].

---

(1) العواصم من القواصم (ص171).

(2) صحيح مسلم. كتاب الزكاة. باب 47. ح رقم: 1065.

(3) تقدم تخريجه.

(4) صحيح البخاري، كتاب 62. باب 22. ح رقم: 3646.

(5) العواصم من القواصم (ص 174).

(6) نفسه (ص 174).

الدفاع عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

قال القاضي عياض رحمه الله: «وروي عن مالك: من سب عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قتل، قيل له: لم، قال: من رماها فقد خالف القران، وقال ابن شعبان عنه: لأن الله يقول: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]، فمن عاد لمثله فقد كفر»[2].

«وشتم رجل عائشة بالكوفة فقُدِّم إلى موسى بن عيسى العباسي فقال: من حضر هذا، فقال ابن أبي ليلى: أنا، فجلد ثمانين وحلق رأسه وأسلمه للحجامين»[3].

وقال القحطاني في نونيته:

أكرم بعائشة الرضى من حرة ... بكر مطهرةِ الإزارِ حَصَان
هي زوجُ خيرِ الأنبياء وبكرُه ... وَعَرُوسه من جملة النسوان
هي عِرْسُه هي أنسه هي إلفه ... هي حبُّه صدقاً بلا أدهان
أو ليس والدها يصافي بعلها ... وهما بروح الله مؤتلفان[4]

وقال: أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الله الواعظ الأندلسي في فضل أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

يا مُبْغضي لا تأْت قَبْرَ محمَّدٍ ... فالبَيْتُ بيتي والمَكانُ مَكاني
والله في القُرآنِ قد لَعَنَ الذي ... بَعْدَ البَرَاءَةِ بالقَبيح رَماني
والله وَبَّخَ مَنْ أرَادَ تَنَقُّصي ... إفْكاً وسَبَّحَ شأنه في شاني

(1) سورة النور: الآية 17.
(2) الشفا (2/ 309).
(3) الشفا (2/ 310).
(4) نونية القحطاني (ص 22).

وَيْلٌ لِعَبْدٍ خَانَ آلَ مُحَمَّدٍ ... بِعَدَاوةِ الأزواجِ والأَخْتَانِ
مَن حَبَّني فَلْيَجْتَنِبْ مَنْ سَبَّني ... إنْ كانَ صانَ مَحَبَّتي ورعاني
وإذا مُحِبِّي قَدْ أَلَظَّ بِمُبْغِضي ... فَكِلَاهما في البُغضِ مُستويانِ
إني لَطَيِّبَةٌ خُلِقْتُ لطيِّبٍ ... ونِساءُ أَحْمَدَ أطيبُ النِّسْوانِ
إني لأُمُّ المؤمنينَ فَمَنْ أَبَى ... حُبِّي فَسَوْف يَبُوءُ بالخُسْرَانِ
اللهُ حَبَّبَني لِقَلْبِ نَبِيِّه ... وإلى الصراطِ المستقيمِ هداني[1]

وفي دفاع ابن العربي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: بين أن الذين ينتقصون منها أو ينكرون عليها أموراً إنما هم يكذبون ويفترون، ولا يسمعون ولا يعقلون، وإذا فُهِّمُوا لا يفهمون، فهم كالصم البكم الذين لا يعقلون، قال رحمه الله: «فإن قيل لم خرجت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (أي إلى البصرة) وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهن في حجة الوداع: «هذه ثم ظهور الحصر»[2]، قلنا: «حدث حديثين امرأة، فإن أبت فأربعة»[3] يا عقول النسوان، ألم أعهد إليكم ألا ترووا أحاديث البهتان، وقدمنا لكم على صحة خروج عائشة البرهان[4]، فلم تقولون ما لا تعلمون، وتكررون ما وقع الانفصال عنه كأنكم لا تفهمون ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[5]»[6].

(1) الرحلة العياشية (2/ 168ـ 169).
(2) في مسند أحمد (2/ 446) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ لما حج بنسائه قال: «إنما هي هذه الحجة ثم الزمن ظهور الحصر» والحصر: جمع حصير أي إلْزَمْنَ المنازل.
(3) مثل يضرب في سوء السمع والإجابة، وهو في الأمثال للميداني (1/ 342) رقم 1021، لكنه بلفظ: فإن لم تفهم فأربعة.
(4) سبق أن بين أن المقصد من خروجها إخماد الفتن والصلح بين الناس، وقد اجتهدت في ذلك هي ومن معها من كبار الصحابة كطلحة والزبير رضي الله عن الجميع.
(5) سورة الأنفال: الآية 22.
(6) العواصم من القواصم (ص 164).

وأما الذين ذكرتم من الشهادة على ماء الحوأب فقد بؤتم في ذكرها بأعظم حُوبٍ ما كان قط شيءٌ مما ذكرتم، ولا قال النبي ﷺ ذلك الحديث، ولا جرى ذلك الكلام، ولا شهد أحد بشهادتهم، وقد كتبت شهاداتكم بهذا الباطل وسوف تسألون»[1].

وقال في كتابه أحكام القران:«قال هشام بن عمار: سمعت مالكاً يقول: من سب أبا بكر وعمر أدب، ومن سب عائشة قتل؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَداً اِن كُنتُم مُّومِنِينَ﴾[2] فمن سب عائشة فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن قتل، وقال: «إن أهل الإفك رموا عائشة المطهرة بالفاحشة فبرأها الله، فكل من سبها مما براها الله منه فهو مكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر، فهذا طريق قول مالك وهي سبيل لائحة (ظاهرة) لأهل البصائر، ولو أن رجلاً سب عائشة بغير ما برأها الله منه لكان جزاؤه الأدب»[3].

أبو موسى الأشعري:

قال ابن العربي رحمه الله في تبرئة أبي موسى الأشعري مما نسب إليه من ضعف في الرأي وعدم الفطنة، قال:(وكان أبو موسى الأشعري رجلا تقيا ثقفا فقيها عالما... أرسله النبي ﷺ إلى اليمن مع معاذ وقدمه عمر وأثنى عليه بالفهم)[4]، ثم قال نافيا زعم بعض المؤرخين الكذابين بأن أبا موسى كان أبله، وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة أنه كان أبله ضعيف الرأي مخذوعاً في القول وأن ابن العاص كان ذا دهاء

(1) العواصم من القواصم (ص 164).
(2) سورة النور: الآية 17.
(3) أحكام القرآن لابن العربي (3/ 1356).
(4) العواصم (ص 177).

وأرب[1]، يضرب به الأمثال وكل ذلك كذب يتبع فيه بعض الجهال بعضا، وصنفوا فيه حكايات، وإنما بنوا على ذلك ما اختلقوه من أن عمراً غدر بأبي موسى الأشعري فثبت معاوية بعد ما خلع أبا موسى عليا.

قال القاضي أبو بكر ابن العربي: «هذا كله كذب صراح ما جرى منه حرف قط، وإنما هو شيء أخبر عنه المبتدعة، ووضعته التاريخية للملوك فتوارثه أهل المجانة والمجاهرة بمعاصي الله والبدع، وإنما الذي روى الأئمة الثقات الأثبات أن الحكمين اتفقا على عزل علي ومعاوية رضي الله عن الجميع، ورد أمر الخلافة إلى كبار أهل الصحابة وأعيانهم الذين توفي الرسول ﷺ وهو عنهم راض، ثم أورد خبرا يدل على ورع عمرو بن العاص ومحاسبته لنفسه مما يتنافى مع ما ينسب إليه من حيلة ومكر حاشاه من ذلك»[2].

◙ قضية التحكيم:

رد الإمام ابن العربي رحمه الله عن كل ما حاكه الأفاكون ونسجوه من حكايات حول قضية التحكيم التي كانت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما بعد وقعة صفين، والتي كان فيها من جهة علي أبو موسى الأشعري، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص رضي الله عن الجميع. فقال رحمه الله: «وقد تحكم الناس في التحكيم فقالوا فيه ما لا يرضاه الله، وإذا لحظتموه بعين المروءة ـ دون الديانة ـ رأيتم أنها سخافة حمل على سطرها في الكتب في الأكثر عدم الدين، وفي الأقل جهل متين[3].

---

(1) العواصم (ص177).

(2) نفسه (ص180ـ 183).

(3) نفسه (ص176).

▣ الأسرار والحكم في الفتن التي وقعت:

قال ابن العربي: «وظهر من فقهه (أي علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وعلمه في قتال أهل القبلة من استدعائهم ومناظرتهم وترك مبادرتهم، والتقدم إليهم قبل نصب الحرب معهم وندائه: لا تبدأ الحرب ولا يتبع مولّ، ولا يجهز على جريح، ولا تهاج امرأة ولا نغنم لهم مالا وأمره بقبول شهادتهم والصلاة خلفهم، حتى قال أهل العلم: لولا ما جرى ما عرفنا قتال أهل البغي»[1].

▣ الحسن ابن علي:

قال ابن العربي: ثم قتل علي، قالت الرافضة: فعهد إلى الحسن، فسلمها الحسن إلى معاوية، فقيل له (مسِّود وجوه المؤمنين) وفسقته جماعة من الرافضة وكفرته طائفة لأجل ذلك[2]، رد هذا الإدعاء بقوله: «أما قول الرافضة أنه عهد إلى الحسن فباطل، ما عهد إلى أحد، ولكن البيعة للحسن منعقدة، وهو أحق من معاوية ومن كثير من غيره، وكان خروجه لمثل ما خرج إليه أبوه من دعاء الفئة الباغية إلى الانقياد إلى الحق والدخول في الطاعة فآلت الوساطة[3] إلى أن تخلي عن الأمر صيانة لحقن دماء الأمة وتصديقا لقول نبي الملحمة، حيث قال على المنبر:(ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)[4]»[5].

وعمل الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمقتضى حاله فإنه صالح حين استشْرَى الأمر عليه، وكان ذلك بأسباب سماوية، ومقادير أزلية، ومواعد من الصادق صادقة، منها ما رأى من

---

(1) العواصم(ص197ـ 198).

(2) نفسه (ص201).

(3) صحيح البخاري، كتاب 9. حديث 2704.

(4) صحيح البخاري: كتاب 62. ب22.ح رقم: 3646.

(5) العواصم (ص202ـ 203).

تشتت آراء من معه، ومنها أنه طُعن حين خرج إلى معاوية فسقط عن فرسه وداوى جرحه حتى برأ، فعلم أن عنده من ينافق عليه ولا يأمنه على نفسه. ومنها أنه رأى الخوارج أحاطوا بأطرافه، وعلم أنه إن اشتغل بحرب معاوية استولى الخوارج على البلاد، وإن اشتغل بالخوارج استولى عليه معاوية، ومنها أنه تذكر وعد جده الصادق عند كل أحد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله:«إن ابني هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» فنفذ الوعد الصادق في هذا الحديث وفي قوله: الخلافة ثلاثون سنة ثم تعود ملكا، فكانت لأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وللحسن منها ثمانية أشهر، لا تزيد يوما ولا تنقص يوما، فسبحان المحيط لا رب غيره[1].

معاوية:

قال ابن العربي: فإن قيل: ألم يكن في الصحابة أقعد بالأمر من معاوية؟ قلنا: كثير، ولكن معاوية اجتمعت فيه خصال؛ وهي أن عمر جمع له الشامات كلها، وأفرده بها، لما رأى من حسن سيرته وقيامه بحماية البيضة وسد الثغور، وإصلاح الجند والظهور على العدو، وسياسة الخلق، وقد شهد له في صحيح الحديث بالفقه[2]»[3].

وقال أيضاً: «ولو اقتضت الحال النظر في الأمور لكانَ والله أعلم رأي آخر للجمهور، ولكن انعقدت البيعة لمعاوية بالصفة التي شاءها الله على الوجه الذي وعد به رسول الله ﷺ مادحا له، راضيا عنه، راجيا هدنة الحال فيه، لقول النبي ﷺ:«ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[4].

---

(1) أحكام القرآن (4 / 1719 - 1720).

(2) صحيح البخاري، كتاب 62 باب: 28. حديث رقم: 3764 و3765.

(3) العواصم (ص208).

(4) نفسه (ص213). والحديث تقدم.

وقال: «فإن قيل قد دس على الحسن من سمه، قلنا: هذا محال من وجهين: أنه ما كان ليتقي من الحسن بأسا وقد سلم الأمر. الثاني: أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله، فكيف تحملونه بغير بينة على أحد من خلقه في زمان متباعد لم نثق فيه بنقل ناقل، بين أيدي قوم ذوي أهواء، وفي حال فتنة وعصبية، ينسب كل واحد إلى صاحبه ما لا ينبغي»[1].

هذا ما تيسر جمعه وترتيبه وتوثيقه، وهو قليل من كثير، فقد ضربنا صفحاً عن نصوص وردود كثيرة؛ لأن المقام لا يحتمل التطويل، وفيما ذكر غنية وكفاية، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به عامة المسلمين.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه أجمعين.

(1) العواصم (ص215ـ 216).

خاتمة

من خلال التأمل في موضوع الندوة والتطواف في المصادر المغربية والأندلسية، تبين لي ما يلي:

1. أهمية الندوة، والتوفيق الرباني الذي وفق إليه من فكر فيها.
2. أهمية البحث والدراسة في المحاور التي تطرقت إليها الندوة.
3. الحاجة الملحة للتعريف بجهود المغاربة والأندلسيين في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة عموما، والعقيدة في الصحابة خصوصاً.
4. توجيه الأنظار إلى التراث المغربي في موضوع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.
5. نظراً لما يتعرض له الشباب المغربي من غزو فكري دخيل سقط بسببه ضحايا كثر، فإن موضوع الندوة يعتبر من مواضيع الساعة.
6. تفاوت جهود العلماء في الدفاع عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، إذ يأتي الإمام ابن العربي المعافري في المقدمة.
7. جهود علماء المغرب في الموضوع كثيرة لا يمكن حصرها في هذه العجالة.
8. صراع الحق مع الباطل في موضوع الصحابة قديم جداً بدأ من القرن الأول.
9. خطورة الجهل بعقيدة أهل السنة في الصحابة.
10. قوة العارضة وبلاغة العبارة والحجة عند كثير من المغاربة والأندلسيين.
11. لأهمية كثير من النصوص المنقولة عن علماء الغرب الإسلامي وقوتها، ربما أدى تحليلها أو تلخيصها إلى ضعفها.

12. ضعف شبه المبطلين وتفاهتها يمثل له بما قالوه من باطل في حق أبي بكر الصديق ومرافقته للرسول ﷺ في الهجرة.

13. يلزم من القول بعدم عدالة الصحابة والانتقاص من قدرهم لوازم خطيرة تؤدي إلى نسف الإسلام بكامله، نجملها فيما يلي:

1. الشك في القرآن الذي نقل إلينا بواسطة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد وصل التهور والنفاق والحقد ببعض الطوائف أنهم اتهموا كبار الصحابة بتحريفه والنقص منه.

2. الشك في الأحاديث التي نقلت إلينا بواسطتهم.

3. تكذيب ورد الآيات الواردة في تزكيتهم والثناء عليهم والترضي عنهم، مثل قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾[1]، فهؤلاء أهل بيعة الرضوان وعددهم أربعمائة وألف، وفي مقدمتهم الخلفاء الأربعة كلهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وزكى بواطنهم بقوله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، والرضى منه سبحانه لا يقع إلا عن من علم أنه سيموت على الإسلام ومن رضي عنه لا يمكن أن يسخط عنه أبداً؛ لأنه العليم الخبير الذي يعلم عواقب الأمور وخواتمها.

4. نسبة الجهل إلى الله تعالى لأنه - في زعم الطاعنين في الصحابة - رضي عن أناس ارتدوا أو فسقوا وكأنه لا يعلم بما يختم لهم.

5. نسبة الجهل إلى الرسول ﷺ بالناس، ومن يصلح لحمل الأمانة والقيادة ومن لا يصلح، إذ من سمع الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان سيتساءل كيف يكون هؤلاء مطعون في دينهم والرسول ﷺ يقربهم منه ويدنيهم حتى كان أبو بكر وعمر

(1) سورة الفتح: الآية 18.

بمثابة السمع والبصر منه الذين لا يستغني عنهما الإنسان ويعطي ابنتيه زينب وأم كلثوم لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

6. يلزم منه فشل الرسول ﷺ في التربية وهو أستاذ الدنيا ومعلمها على الإطلاق فتصير كل الجهود التي بذلها في تربيتهم وتهيئتهم لحمل الرسالة هباء منثوراً.

7. تكذيب الرسول ﷺ في شهادته لكثير منهم بالجنة كالعشرة المبشرين وغيرهم، وأهل بيعة الرضوان الذين قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحدٌ الذين بايعوا تحتها»[1].

8. الشعور باليأس والإحباط من إصلاح البشرية وعدم الثقة في المنهج النبوي وقدرته على التربية، وربما قال البعض لو كان صادقا في نبوته لكانت تعاليمه ذات تأثير.

9. كيف يكون رحمة للعالمين ولم يثبت على دينه إلا عدد قليل أربعة أو ستة كما تزعم بعض الطوائف المحسوبة على الإسلام، إلى غير ذلك من لوازم انتقاص الصحابة و الحط من قدرهم والطعن فيهم.

فهذه المخاطر وغيرها هي التي جعلت أئمة الإسلام والمسلمين ينطلقون في أي حديث عن الصحابة من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تشكل منهجا سليما للبحث في تاريخ الصحابة.

---

(1) صحيح مسلم. حديث 2496.

فهرس المصادر والمراجع

- أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي. تحقيق علي محمد البجاوي. دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت لبنان.
- الآداب الشرعية للإمام الفقيه المحدث أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي المتوفى سنة 763هـ تحقيق وتقديم: شعيب الأرناؤوط ـ عمر القيام. مؤسسة الرسالة.
- الاستيعاب لابن عبد البر. مطبوع بحاشية الإصابة.
- اعتقاد أهل السنة في الصحابة. د. محمد الوهيبي. توزيع وزارة الشؤون الإسلامية بالسعودية. الطبعة الثالثة 1428هـ
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي بيروت.
- أصول السنة لابن أبي زمنين (ت399هـ) تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله بن محمد البخاري. مكتبة الغرباء الأثرية.1415هـ
- الإمامة والرد على الرافضة، لأبي نعيم الأصفهاني، تحقيق وتقديم الدكتور علي ناصر فقيهي، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، ط1، 1407هـ 1987م.
- تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. دار الفكر العربي بيروت.
- تبصرة الحكام في مناهج الأقضية وأصول الحكام لابن فرحون. 1986م.
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تصحيح: أحمد عبد العليم البردوني. الطبعة الثانية.
- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي. شرحه وضبطه وقدم له: الأستاذ علي فاعور. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.1986م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم الأصفهاني (ت430هـ). دار الفكر. بيروت. لبنان.

- الدرة السنية في مقتضى المعالم السنية للأزدي. نسخة خطية.
- الرحلة العياشية لأبي سالم العياشي وضع فهارسها: محمد حجي. 1977م.
- الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني.دار ابن الجوزي.
- السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني ـ المكتبة السلفية- الكويت. والمكتبة الإسلامية – الأردن، الطبعة الأولى 1403هـ 1983م.
- سنن الترمذي بإشراف عزت عبيد الدعاس، المكتبة الإسلامية ـ استانبول ـ تركيا.
- سنن أبي داود، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، استانبول تركيا.
- سنن ابن ماجة. ترقيم: فؤاد عبد الباقي. المكتبة الإسلامية ـ استانبول ـ تركيا.
- السنة لأبي بكر الخلال. تحقيق: د.عطية الزهراني، دار الراية ـ الرياض ـ الطبعة الثانية. 1415هـ/ 1994م.
- السنة لابن أبي عاصم. تخريج: الشيخ الألباني. طبعة المكتب الإسلامي. الطبعة الثانية 1413هـ/1993م.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، تحقيق: د.أحمد سعد حمدان. دار طيبة للنشر والتوزيع.
- شرح زروق على الرسالة. تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 2006م/1427هـ
- شرح القصائد العشر للإمام الخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي (ت502هـ). ضبطه وصححه الأستاذ: عبد السلام الحوفي. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.1987م
- شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض. دار الفكر. بيروت. لبنان.
- الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ، لشيخ الإسلام ابن تيمية (661ـ 728هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. عالم الكتب 1983م.

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثالثة سنة 1418هـ/1997م.
- صحيح ابن ماجة للشيخ الألباني. إشراف: زهير الشاويش. مكتبة التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض، الطبعة الثالثة: 1408هـ/ 1988م.
- صحيح مسلم، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبولـ تركيا.
- الصواعق المحرقة، لابن حجر الهيثمي. تحقيق: عبد الله التركي وكامل محمد الخراط. مؤسسة الرسالة.
- صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبولـ تركيا.
- العواصم من القواصم. لأبي بكر بن العربي. تحقيق: محب الدين الخطيب. المكتبة العصرية . صيدا.1424هـ/2004م.
- فتح الباري لابن حجر العسقلاني. ترتيب: فؤاد عبد الباقي. مراجعة: محب الدين الخطيب. المكتبة السلفية ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة 1407هـ
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، تحقيق: د.محمد إبراهيم نصير، ود.عبد الرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، الرياض ط1: 1402هـ/1982م.
- كشف الأسرار للخميني، تقديم: د.محمد أحمد الخطيب. دار عمار للنشر والتوزيع، عمان. الأردن. ط1. 1408هـ/1988م.
- الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، مراجعة: عبد الحليم محمد عبدالحليم، وعبد الرحمن حسن محمود، نشر دار الكتب الحديثة القاهرة، مطبعة دار التراث العربي ط2.
- متن الرسالة بشرح عبد المجيد الأزهري. دار العلم للجميع.
- مجمع الأمثال للميداني. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي ودار صادر بيروت.

- المستدرك على الصحيحين للحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، توزيع: مكتبة الباز، ط: دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى: 1411هـ/ 1990م.
- منبهة الإمام أبي عمرو الداني. تحقيق الشيخ الدكتور: لحسن وجاج، الطبعة الأولى/1430هـ موافق: 2009م.
- منهاج السنة لابن تيمية تحقيق: محمد سالم رشاد، طبع ونشر جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، ط1، 1406هـ/1986م.
- الموطأ للإمام مالك. ترقيم: فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء الكتب العربية.
- النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني. دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى/1999م. تحقيق: جماعة من العلماء.
- نونية القحطاني لأبي محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني رحمه الله تعالى. تصحيح وتعليق: محمد بن أحمد سيد أحمد. مكتبة السوداي للتوزيع. 1988م.

إسهام علماء المغرب والأندلس في تحقيق مواقف الصحابة في الأحداث الكبرى

د. محمد ناصيري

ملخص البحث

➢ سيعرض البحث:

تميز علماء المغرب والأندلس في اختيار الموضوعات المفصلية التي تعكس مقام الصحابة العلي عندهم، واختيار المنهج الذي يحقق هذا الغرض ويقف مانعا من تحريف التاريخ، وتشويه المواقف.

ويدلل البحث على أوليتهم في تلك الموضوعات والمناهج، باضطرار من يأتي بعدهم إليهم في ذلك، مسنيرا بعرض نماذج من هذه المؤلفات وما تمتاز به عن غيرها.

➢ ويعرض:

خلاصات من هذه المؤلفات مما حققته:

تجيب عن حاجات واقعنا الفكري والسياسي مما يعكس أهمية التعرف على مواقف الصحابة ومكانتهم في حياة المسلمين.

الباحث في سطور

الدكتور محمد ناصيري naciri-mohamed@hotmail.com

- من مواليد 06 مـاي 1970م بمدينة الريصاني إقليم الرشيدية.
- أستاذ التعليم العالي الحديث وعلومه بمؤسسة دار الحديث الحسنية بالرباط.
- دكتوراه في علوم الحديث بجامعة محمد الأول وجدة سنة 2000م، بعنوان: «منهج الحافظ ابن حجر في تأويل مختلف الحديث وأثره في نقد الحديث».
- له مشاركات في العديد من الندوات الوطنية.

من إنتاجه العلمي:

- تحقيق مشترك لأصول اللامشي أبي المحامد الحنفي.
- تحقيق الحديقة في مصطلح الحديث لابن مرزوق ـ لم يكتمل ـ.
- تحقيق الروضة في مصطلح الحديث لابن مرزوق ـ لم يكتمل ـ.

مقدمة

لمواقف الصحابة أثر كبير في كثير من النظريات التي حكمت مسار الأمة السياسي وميزته في الجانب الفكري.

وأهم الأحداث التي اعتبرت فيها مواقف الصحابة مرجعا للنظريات السياسية والفكرية، حدث السقيفة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وتنصيب عمر رضي الله عنه لمجلس الشورى عند وفاته، ومقتل عثمان، وأحداث معركة الجمل، ووقعة صفين، وتولية معاوية يزيدا ابنه وليا للعهد، ومقتل الحسين بن علي.

وجمهور علماء المغرب والأندلس الذين تمكنت منهم العقيدة السنية التي من مبادئها أن لجميع الصحابة فضلا، وحرمة، وأن ماشجر بينهم محمول على التأويل الشرعي، سلكوا في تقرير ذلك منهجا علميا يهدف إلى تحقيق مواقفهم، لا يلزم عنه العصمة، ويدفع عنهم التهمة العرية عن البينة.

ولمعرفة أهمية مواقف الصحابة نستعرض نماذج من أثرها في التشريع والشريعة، ونستعرض نماذج من المؤلفات الأندلسية والمغربية التي تعرضت لمواقف الصحابة خاصة، مع استعراض لمنهجها في ذلك.

كل هذا في أربعة مطالب وخاتمة

- المطلب الأول: أثر مواقف الصحابة في التشريع والشريعة
- المطلب الثاني: مميزات التصنيف في الصحابة في المغرب والأندلس
- المطلب الثالث: الدواعي المنهجية لتحقيق مواقف الصحابة عندهم
- المطلب الرابع: معالم المنهجية التي اعتمدوها في تحقيق المواقف.

المطلب الأول: أثر مواقف الصحابة في التشريع والشريعة

تعتبر مواقف الصحابة ومذاهبهم من أهم أسس عقائد الفرق الكلامية، والسياسية؛ وإن ظاهر الاختلاف بين هذه الفرق والأحزاب يعود إلى تأويل مواقف الصحابة في الأحداث الكبرى التي عرفتها الأمة الإسلامية في عهد هم.

فقد اعتمدت الشيعة على تأويل موقف علي رضي الله عنه عندما تأخر عن بيعة أبي بكر، بكونه كان يرى نفسه أحق بالخلافة من أبي بكر، وحشرت لتأييد هذا التأويل عددا من الروايات المرفوعة والموقوفة، ورتبت على ذلك الطعن في الخلفاء قبله.

وتأولت خروج عائشة رضي الله عنها ومن معها إلى البصرة، خلعا لبيعة علي، واعتبرت اقتتالهم حرصا على قتل بعضهم بعضا، ورتبت على ذلك إسقاط عدالتهم، والطعن فيهم: قال ابن حزم: «وقال هشام بن الحكم كيف يحسن الظن بالصحابة أن لا يكتموا النص على علي وهم قد اقتتلوا وقتل بعضهم بعضا فهل يحسن بهم الظن في هذا»[1].

وتأول النواصب مطالبة علي رضي الله عنه تقديم مبايعته على الاقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، تأييدا للقتلة...

ولما كان منصب الخليفة، أو الإمام، أهم ركائز نظام الحكم في الإسلام، إذ بدونه لا ينفذ تشريع، ولا يثبت حق، ولا يقام حد، فقد اختلفت نظريات الفرق والأحزاب حول صفات الإمام وطريقة تعيينه، اعتبارا لتأويل كل فرقة لمواقف الصحابة في الأحداث المتعلقة بتنصيب الخليفة.

---

(1) الفصل في الملل والنحل لابن حزم (3/ 20).

فمن ذهب إلى تعدد الخلفاء في زمن واحد، تأول كلام الحباب الأنصاري يوم السقيفة «منا أمير ومنكم أمير» بأنه تجويز لذلك[1]، وتأولوا خلاف معاوية وعلي رضي الله عنهما بأنه تنازع بينهما على الخلافة، كل واحد يدعو لنفسه[2].

ومن ذهب إلى أن الخليفة لا يكون إلا قرشيا تأول كلام أبي بكر يوم السقيفة للأنصار حينما ذكر لهم أن النبيﷺ قال إن هذا الأمر في قريش، ولم ينكروه[3].

ومن ذهب إلى أن الخليفة يجب أن يكون عليا وذريته، تأول تأخر علي رضي الله عنه في مبايعة أبي بكر بكونه كان يعلم بأن هذا الأمر فيه وفي عقبه تعيينا.

ومن ذهب إلى أن الخليفة يكون من كل الناس ولا يشترط لذلك وصف قلبي أو قرابة، تأول مواقف الصحابة في صفين فكفروا بذلك التأويل من كفروا وفسقوا من فسقوا.

وفي طريقة عقد الإمامة من ذهب إلى تعيين الخليفة القائم لمجلس ينتخب الإمام من قبله، تأول فعل عمر رضي الله عنه قال ابن حزم: «وأما قول الجبائي فإنه تعلق فيه بفعل عمر رضي الله عنه في الشورى إذ قلدها ستة رجال وأمرهم أن يختاروا واحدا منهم فصار الاختيار منهم بخمسة فقط»[4].

ومن قال عقد الإمامة يصح بوجوه أولها وأفضلها وأصحها أن يعهد الإمام الميت إلى إنسان يختاره إماما بعد موته، وسواء فعل ذلك في صحته أو في مرضه أو عند

(1) الفصل في الملل والنحل (3/ 5-6).
(2) نفسه (3/ 5-6).
(3) نفسه (3/ 6).
(4) نفسه (3/ 96).

موته؛ تأول فعل النبي ﷺ وفعل أبي بكر في تعيين عمر، وفعل سليمان بن عبد الملك بعمر بن عبد العزيز(1).

وإذا كان جيل الصحابة هو الجيل الأول الذي تلقي رسالات القرآن غضة طرية، وعايش الرسول الكريم الذي رباهم على ماجاءت به رسالات القرآن من قيم وأحكام، فإن مواقف هذا الجيل تعتبر معيارا لاختبار مدى التغيير الذي أحدثته هذه الرسالات في نفس من آمنوا بها، وفي تصوراتهم، وسلوكهم، وما يمكن أن تحدثه في كل زمان.

فقد اهتم دارسو الإسلام من غير المسلمين، وتلامذتهم، اهتماما بالغا بتأويل مواقف الصحابة وتفسيرها بما يصورهم أحزابا تتصارع حول الملك، والاستئثار بالثروة، والسيادة، وافتقادهم لأي أثر للقيم والمبادئ التي يشتمل عليها القرآن، كل ذلك ليصح لهم أن يقولوا بأن هذه الشريعة التي لم تحدث تغييرا في حياة صاحبها وأتباعه الذين صاحبوه، فإنه لا أمل فيها بعدهم. إلا أنه لم تخل الدنيا من المنصفين منهم الذين يزنون في أبحاثهم بميزان العدل.

على أن ما تأول به المستشرقون ومن سلك مسلكهم مواقف الصحابة، مما هو طعن في تدينهم، أو سلوك لسبل الحيل والاستبداد لتحقيق الأغراض الدنيوية الخاصة، ليس جديدا من القول، بل انتزعوه من سياقه في ردود أهل السنة على من تبرأ من الصحابة أو بعضهم من الفرق(2).

إن هذه المكانة التي تتبوأها مواقف الصحابة في التشريع وأسسه، وفي تقييم الشريعة بأكملها، من حيث ثبوتها؛ لأن الصحابة هم نقلتها، ومن حيث ثمرات مبادئها؛ لأن

(1) الفصل في الملل والنحل (3/ 97).

(2) انظر ردود أبي نعيم الأصبهاني على الفرق في كتاب الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم الأصبهاني.

الصحابة هم النسخة الأصلية لهذه الثمرات، تستدعي تحقيقا موضوعيا لمواقف الصحابة في الأحداث الكبرى التي كانت لها انعكاسات على الرسالة والتشريع.

ولقد كان لعلماء المغرب والأندلس إسهام ونبوغ في هذا الشأن، على الرغم من أن هذين البلدين لم يعرفا تجاذبا بين الفرق في القضايا الكلامية التي من أهم مباحثها مبحث الإمامة، وأكثر مسائله ترتكز على مواقف الصحابة، وهي المدخل إلى طعن من طعن من الفرق في الصحابة.

يقول ابن حزم عن الأندلس وحظها من علم الكلام: «وأما علم الكلام فإن بلادنا وإن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم، ولا اختلفت فيها النحل، فقلَّ لذلك تصرفهم في هذا الباب، فهي على كل حال غير عرية عنه»[1] وذكر مما ألف في علم الكلام كتابه الفصل في الملل والنحل، الذي ضمنه مباحث نفيسة في تحقيق مواقف الصحابة.

(1) رسائل ابن حزم (2 / 186).

المطلب الثاني: مميزات التصنيف في الصحابة في المغرب والأندلس

لقد تميز التأليف في الصحابة عند الأندلسيين، بالمميزات التي ذكر ابن حزم للتأليف الجيد ومنها السبق في الموضوع أو إتمام النقص أو تصحيح الخطأ أو الاختصار، أو جمع المتفرق أو ترتيب المختلط.

ونجد ميزة جمع المتفرق، الأهم، والأكثر، إذ جعلت علماء الأندلس سباقين في ميدان التأليف في كثير من الفنون والعلوم، ومن أهمها الحديث وعلومه.

ومنها جمع الأصول الستة لرزين في كتابه «التجريد في الجمع بين الصحاح»، ومصنف بقي، والجمع بين الصحيحين للحميدي، والأحكام الكبرى لابن الخرط، ثم نسج على منوال هؤلاء علماء المشرق، إلا ما كان سبق به الجوزقي، وابن عساكر وهكذا نجد في موضوع الصحابة:

* مصنف بقي بن مخلد الحاوي لفتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم، قال عنه ابن حزم: «الذي أربى فيه على مصنف أبي بكر ابن أبي شيبة ومصنف عبد الرزاق بن همام ومصنف سعيد بن منصور وغيرها»(1).

فكان هذا الكتاب معلنا بأهمية فقه الصحابة في التنظير الفقهي، وتأسيس أصول الاجتهاد والنظر. وميزته في هذا المقام أنه اعتبر الصحابة جميعهم ذوي حرمة، وأهل فضل.

* وجاء كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر ابن عبد البر، فعمد إلى جمع ما تفرق في موضوع معرفة الصحابة، وذكر نبذا من سيرهم ليحسن الاقتداء بهم، ويبرهن على عدالتهم اعتبارا لحالهم.

---

(1) سير أعلام النبلاء (10/ 622)، والرسائل لابن حزم (2/ 179).

يقول ابن حزم عنه «كتابه في الصحابة سماه كتاب الاستيعاب في أسماء المذكورين في الروايات والسير والمصنفات من الصحابة رضي الله عنهم والتعريف بهم وتلخيص أحوالهم ومنازلهم وعيون أخبارهم ... ليس لأحد من المتقدمين مثله، على كثرة ما صنفوا في ذلك»[1].

فقد تميز الكتاب بالاستيعاب حسب الاطلاع والتلخيص. ولتحقيق هذه الغاية فقد أوصى أبو عمر تلميذه أبا علي الجياني بإدخال ما بلغه من الصحابة فجعله ورشا مفتوحا لتحقيق موسوعته المرغوبة.

لكن فاته أمر ذو بال وهو تحقيق مواقف الصحابة في الأحداث الكبرى التي أوردها في تراجمهم.

فقد ذكر أخبارا وتأول مواقف تحتاج إلى تمحيص، خصوصا أنه أعلن في مقدمة كتابه عدالة الصحابة جميعهم مذهبا مجمعا عليه من أهل السنة.

ومن هذه التأويلات التي احتاجت إلى تحقيق ما قاله عن أبي موسى الأشعري «وكان منحرفا عن علي لأنه عزله ولم يستعمله»[2] فتعليل الانحراف بالانتقام يحتاج إلى تقصي الحقيقة في الموقف.

ومع ذلك لم يخل الكتاب من تحقيقات[3]، ولهذا التقصير في تحقيق كل ما ينقل، انتقد من انتقد من العلماء ما أورده ابن عبد البر في كتابه من أخبار فيما شجر بين الصحابة كما هو معلوم.

(1) رسائل ابن حزم (2/ 180).
(2) الاستيعاب (2/ 68).
(3) انظر الاستيعاب (1/ 344) فقد رد حديث صح إسناده بعلة الوهم والغلط فيه وهو حديث ابن عمر «كنا نقول على عهد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت فلا نفاضل» قال أبو عمر أنكره ابن معين، وذكر ما يؤيد هذا.

× ثم جاء أبو محمد الرعيني توفي سنة 632هـ فوضع كتابا ظن أنه يلبي رغبة أبي عمر سماه: «الجامع لما في المصنفات الجوامع من أسماء الصحابة الكرام، أولي الفضائل والأحلام»(1).

فصارت ميزة جمع المتفرق وتلخيص المطول، ونقده، ميزة لهذه المؤلفات.

هذا فيما يتعلق بإحصاء عدد الصحابة وجمع أخبارهم، ومعرفة أحوالهم، أما ما يتعلق بتحقيق مواقفهم في الأحداث الكبرى فنجد من أوائل الكتب عند علماء المغرب والأندلس(2):

❁ كتاب الفصل في الملل والنحل لأبي محمد ابن حزم، الذي جعله في نقد الملل والنحل القائمة، وهو أول كتاب تناول الفرق بالبحث والنقد بالأندلس(3)، وتميز بالجمع والتلخيص، وخصص لموضوع الصحابة في كتابه حيزا كبيرا، بين إفراد بالبحث، أو مناقشة لمذاهب الفرق المعتمدة على تأويل مواقف الصحابة.

ويتميز هذا الكتاب بكونه اعتمد على الطبقة الأولى من كتب أهل الفرق(4) لاستقصاء تأويلاتهم لمواقف الصحابة، وسلك مسلكا وسطا في الدراسة يقول عنه رحمه الله:

---

(1) وضع له الباحث ياسر الشعيري دراسة نفيسة قدمت إلى دار الحديث الحسنية في إطار دبلوم الدراسات العليا المعمقة، وهو بصدد تحقيق الكتاب في أطروحة دكتوراة.

(2) وهذا الكتاب أيضا معاصر لأهم المؤلفات في موضوع تحقيق مواقف الصحابة، ككتاب معرفة الصحابة لأبي نعيم، والفرق بين الفرق للبغدادي...

(3) انظر مقال د. محمد مكي: تاريخ الشيعة بالأندلس (ص131). ولو أن ابن عبد ربه في العقد الفريد قد سبق بذكر بعض الفرق وخص الشيعة بنقد شديد لكنه يقصر بكثير عن الفصل؛ لأن الأخير كتاب متخصص في الموضوع أما العقد الفريد فهو كتاب أدب، وهو من النوع الذي حذر منه ابن العربي.

(4) انظر الفصل في الملل (3/ 11) قال ابن حزم: «وذكر هشام بن الحكم الرافضي في كتابه المعروف بالميزان وهو أعلم الناس به لأنه جارهم بالكوفة وجارهم في المذهب» فهو يعتمد على كتب الفرق مباشرة.

«واقتصرنا على البراهين المنتخبة من المقدمات الصحاح الراجعة إلى شهادة الحس وبديهة العقل لها بالصحة»[1].

وبهذا المنهج المصرح به خرج من إشكال الرواية الذي قال عنه: «قال أبو محمد لا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا فهم لا يصدقونا ولا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم فنحن لا نصدقها وإنما يجب أن يحتج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذي تقام عليه الحجة به سواء صدقه المحتج أو لم يصدقه لأن من صدق بشيء يلزمه القول به أو بما يوجبه العلم الضروري فيصير الخصم يومئذ مكابرا منقطعا إن ثبت على ما كان عليه»[2].

وإن كان هذا الأمر قد فطن إليه أبو نعيم في كتابه "الإمامة والرد على الرافضة"[3].

ولتشابه الأسلوب في المناقشة يشبه أن يكون كتاب أبي نعيم من مصادره.

× ومنها كتاب العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي الذي خصص ثلث الكتاب لتحقيق مواقف الصحابة في الأحداث الكبرى.

ويتميز بكونه أول كتاب سلك نقدا داخليا للنص التاريخي فيما يتعلق بأخبار الصحابة.

---

(1) قال هذا الكلام في رسالة فضل أهل الأندلس، وعلق د.إحسان عباس بأنه يقصد المحلى والسياق يبعده، وفي الفصل ما يدل على أنه يقصد الفصل انظر (4/ 113) حيث يقول: «قال أبو محمد ولم يحتج عليهم بالأحاديث؛ لأنهم لا يصدقون أحاديثنا ولا نصدق أحاديثهم إنما اقتصرنا على البراهين الضرورية بنقل الكواف» بل مقدمة الفصل تنبئ بذلك.

(2) الفصل في الملل والنحل (3/ 12).

(3) الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم الأصبهاني (ص241-242).

فإذا كان ابن حزم أعرض عن الروايات في تفسير الأحداث، فإن ابن العربي عمد إلى نقدها وتمييز ما يصح منها وما لا يصح، كما وظف النظريات الفقهية في تفسير مواقف الصحابة، كما سيأتي.

* ومنها كتاب أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهلي صفين لأبي الخطاب عمر، الذي سلك أسلوبا آخر في الدفاع عن الصحابة وذلك بإحصاء عدد الصحابة الذين حضروا صفين.

ويذكر محققه ميزة أخرى للكتاب وهي المقارنة التي عقدها بين معاوية وعلي رضي الله عنهما، ليرجح أحقية علي بالخلافة[1].

لكن هذا الأمر انبنى على تأويل لموقف معاوية مقتضاه أنه نازع عليا في الخلافة، وهو ما رده ابن حزم وابن العربي كما سيأتي.

ولقد تأسست الدولة في الأندلس على مذهب مالك، وبويع للأئمة لا على الأسس الكلامية، فاستقر الوضع على العقيدة الأولى التي كان مقتضاها عدالة الصحابة كلهم، فلم تبن الخلافة على أساس الطعن في موقف أي منهم.

لكن الصلة بين الشرق والغرب كانت وثيقة والرحلة مستمرة، تنتقل الكتب عبرها بلا انقطاع، بل يتبارى الأمراء في جلب أكبر أعدادها، وأحدثها، فانتقلت بهذا كله الإشكالات العلمية، والمنهجية المتعلقة بمواقف الصحابة.

كما أن رؤساء بعض الفرق حاولت استغلال الوضع بهذه الجهة فلم تألوا جهدا في بث أفكارها سرا، لتوجد لنفسها موطئ قدم تتوسع به، ومنها محاولات الفاطميين.

---

(1) أعلام النصر المبين (ص15).

يقول د. محمد مكي أن الأندلس لم تخل من هذه الفرق ويستدل بما تضمنه العقد الفريد من أخبار الشيعة، ومحاولات الفاطميين التغلغل في الأندلس عن طريق الجواسيس، ويؤكد د. مكي أن ابن حزم بما أبدى من دقائق مذهبهم يدل على معرفته بهم معرفة تؤكد ظهورهم واشتهار أمرهم(1).

إلا أن هذا الرأي الذي ساق له من الشواهد ما يؤكده، يشكل عليه ما ذكره ابن حزم من أن الفرق لم يكن بينها تجاذب، أما معرفته الدقيقة بالفرق فيرجح أن ابن حزم توفر له من الكتب المصادر في رأي الفرق ما جعله يحقق مواقفهم، ويتحرى قبل عرضها ونقدها؛ وشواهد هذا الأمر كثيرة فهو يعتمد على رؤوس الشيعة مثلا عندما يعتمد على كتب هشام بن الحكم الرافضي الكوفي.

× أما بالمغرب الأقصى فقد جاء كتاب «تحقيق مواقف الصحابة في الفتن الكبرى من خلال روايات الطبري» للدكتور محمد أمحزون، ويتميز هذا الكتاب بكونه أدى دينا عل الأمة نبه عنه الإمام ابن العربي حينما أحال من أراد أن يتعرف على مواقف الصحابة على الطبري في تاريخه، وروايات المحدثين.

ومعلوم أن تاريخ الطبري وضعه صاحبه بمنهج خاص، إذا أسقط من الاعتبار فلن يفلح من رجع إليه، ولذلك كان مرتع كل طاعن في تاريخ الإسلام.

فجاء كتاب الأستاذ أمحزون ليقدم دراسة منهجية في تحقيق مواقف الصحابة في الفتن التي وقعت من روايات الطبري، تعتبر منهج الإمام الطبري في التأليف، وتتوسل بأسس النقد التاريخي العلمي الذي أشار إليه ابن خلدون في مقدمته، وما وصل إليه الفكر البشري من قواعد ومناهج.

---

(1) انظر مقال: تاريخ الشيعة بالأندلس (ص131).

المطلب الثالث: الدواعي المنهجية لتحقيق مواقف الصحابة عندهم

إن مـا يدعو إلى تحقيق مواقف الصحابة منهجيا هو شرط العدالـة أحـد أهـم أركـان منهج نقد الأخبار، كما أن لمنهج فهمهـم المكانـة الهامـة في صـياغة أصـول النظـر في الخطاب الإلهي والنبوي، وكذلك مواقفهم[1]، خصوصا أن المواقف جـاءت في ظـرف اشتد فيه الاشتباه على الناظر لأنها قضايا لا سابق لها.

فديننا نقل إلينا بواسطة الصحابة، وقبول خبرهم بمعايير النقد، لايستقيم إلا بظهـور عدالتهم، وهذا مـا يدعو منهجيا إلى البداءة بإثبات عدالتهم.

ومع أن عدالتهم دلت عليها نصوص الكتاب والـسنة، وإجمـاع أئمـة أهـل الـسنة، وفرغ من هذا الأمر المحدثون في نقدهم، وجعلوا عدالة الصحابة من المسلمـات، فـإن مـا نقل عن الصحابة من أخبار ووقائع وأحداث يشوش على القارئ غير المتخـصص، ويجعله أمـام تناقضات وإشكالات تستدعي الدراسة العلمية والتأويل الصحيح لمعرفة حقيقة مـا وقع، هل هو أمر راجع إلى الدين، أم هـذه الخلافـات والاقتتـال راجعـة إلى طلب الدنيا، والأهواء، وبالتالي هو طعن في العدالة؟، ولقد وجد في تـاريخ الأمـة مـن طعن في عدالة الصحابة بمـا وقع بينهم من اقتتال[2].

فهذه الوقائع قائمة لكن مـا تفسيرها؟.

وعليه فإن منهج النقد الحديثي الذي وضع للمسلم وغيره، يستدعي تحقيـق مواقـف الصحابة، وتحليلها وتعليلها، وفق منهج علمي قائم على البرهان والواقع، ليصح قبول

---

(1) أشار إلى هذا ابن حزم في الفصل حينمـا قسم طرق اختيار الإمـام وذكر منها المفاضلة الفصل (3/ 90).
أمـا ابن العربي فقد جعل الاختلاف في مواقف الصحابة هو أصل مـا وقع من قواصم. انظر العواصـم من القواصم (ص275).

(2) الفصل (3/ 20) قال ابن حزم: «قال هشام بن الحكم: كيف يحسن الظن بالصحابة أن لا يكتموا الـنص علي وهم قد اقتتلوا، وقتل بعضهم بعضا، فهل يحسن بهم الظن في هذا؟».

نتائجه، إذ من أركانه ومسلمـاته عدالة الصحابة، التي ترتب عنها كثـير مـن القواعـد، منها قبول مرسل الصحابي، ومبهم الصحابة.

وحتى لو سلمت العدالة، فإن التنظير لأصول الفهم والاجتهاد، يعتمـد عـلى مـنهج فهم الصحابة لأن الله تعـالى خـصهم بخـصائص لا تتـوفر في غـيرهم، فقـد شـاهدوا التنزيل، وعرفوا الأسباب وحضروا المشاهد، وهم أهل اللسان الذي نـزل بـه القـرآن، ولسلامتهم من كثير مـمـا يرد على غـيرهم مـمـا يـؤثر عـلى الفهـم، فهـذا يـستدعي منهجيا أن نتعرف على حقيقة مواقفهم ووجوه تأويلهم، وكيف اجتهادهم وتنزيلهم.

ولئن كان العلمـاء يوم قوة دولة الإسلام متجاوزين لهذه المقدمـات، واعتمـدوا فقـه الصحابة كل واحد يتأول من فقههم مـا يتناسب مع المنهج الذي أسـسه، فـإن زمـاننا يستدعي هذه الوقفات لتعميق الفهم لهـذه المواقـف والأفقـاه، للاهتـداء بهـا، وإقامـة الحجة على الشاكين والمنكرين. ومقارعة أصحاب الأهواء والمغرضين.

وهذه الدواعي نجدها واضحة في كتابي ابن حزم، وابـن العـربي، ونجـدها أيـضا في كتاب أمـحزون.

أمـا كون الصحابة نقلة الوحي، وجرحهم بمـا وقـع بيـنهم يقـصد منـه الجـارحون الطعن في روايتهم ومنه الطعن في صـحة الرسـالة، والتـسبب إلى الاسـتهانة بمبادئهـا، وأحكامها، فقد أشار إليه ابن العربي مرارا في عواصمه، وكذا صدر به أمحزون كتابـه في تحقيق المواقف، جاعلين ذلك مـمـا يضطر إلى تحقيق مواقف الصحابة.

وأمـا كون فقه الصحابة ومنهجهم في الاجتهاد، ومواقفهم، مـن أهـم أسـس مـنهج النظر في الوحيين، والاجتهاد، فقد أشار إليه ابن حـزم مـرارا في الفـصل عنـد مناقـشة نظريات الفرق السياسية والعقدية، وجعله أيضا من أهم الـدواعي إلى تحقيـق مواقـف الصحابة، ومرامي فقههم فيمـا نزل بالأمة حينها.

المطلب الرابع: الوسائل المنهجية التي اعتمدوها في تحقيق المواقف

نقتصر في هذا المطلب على ثلاثة كتب نفيسة في الموضوع، كتاب الفصل لابن حزم، وكتاب العواصم لابن العربي، وكتاب تحقيق مواقف الصحابة لأمحزون، وكلها اهتمت بمواقف الصحابة تحقيقا.

يشترك ابن حزم وابن العربي في علمهم الغزير بعلم الحديث، والرواية، وبكونهما فقيهين مجتهدين، مع ما يلزم عن هذه الصفات من معرفة بالتاريخ وتحقيق أحداثه. وهذه الصفة الأخيرة وهي المعرفة بعلم التاريخ يشترك فيها معهم الدكتور أمحزون، مع معرفته النسبية بالفقه ودوره في أحداث التاريخ.

ودفعا لتهمة العاطفة والذاتية، فقد عرض كل واحد من الثلاثة المنهج[1] الذي سيسلكه في التحقيق.

ونجد من الوسائل التي اعتمدت عند الثلاثة:

- أولا: العدالة ثبتت باليقين، ولا تزول إلا بيقين.
- ثانيا: تحليل المواقف بناء على ميزان الشريعة.
- ثالثا: البراهين تقام بناء على الواقع، والحس، ومقتضيات العقل الصريح.
- رابعا: عدم تفسير الأحداث بما ورد من الأحاديث في الفتن، إلا ما تأيد بشواهد الحس.

---

(1) أما ابن حزم فقد ذكرنا خلاصة منهجه، وأما ابن العربي فقد ذكر في ثنايا عواصمه أنه لا يعتمد إلا على المحدثين فيما ينقل لأنهم أهل النقد، والنقد عندهم مبني على أصول، أهمها تجنب رواية أهل البدع والأهواء، وعدم مناقضة الواقع والمتواتر من التاريخ وهو ما سنراه في أمثلة، أما أمحزون فقد عقد بابا لقضايا المنهج في مبحث خاص سماه منهج فقه تاريخ الصحابة (ص91).

أولا: العدالة ثبتت باليقين، ولا تزول إلا بيقين

لقد صدر كل مؤلف بحثه بالآيات والأحاديث المتواترة الدالة على عدالة الصحابة كلهم، وعطف بإجماع أهل السنة على ذلك[1]، وميزة هذا الإجماع أنه ليس بين المجمعين من يطعن في أحد من الصحابة، أما المخالفين فإنه إن ترضوا على بعض تسخطوا على البعض الآخر أو توقفوا، وهو ما يلحق بهم التهمة.

إن أهمية الإجماع على دلالة النص هو تحصيل اليقين، وهذا اليقين هو ما يجعل الشبه التي وإن اجتمعت لا تحدث يقينا يقاوم اليقين السابق.

ولم يكن عندهم أن ثبوت عدالتهم يلزم عنها العصمة، فإنه لم يقل بهذا أحد منهم، فهم وسط لا إفراط بجعلهم معصومين، ولا تفريط حيث سبهم ولعنهم.

ثانيا: تحليل المواقف بناء على ميزان الشريعة

تعتبر هذه الوسيلة الأهم في تحليل مواقف الصحابة وتعليلها، وهذه نماذج من الكتب السالفة الذكر:

الفصل:

لقد اعتبر ابن حزم ما حدث بعد وفاة رسول الله ﷺ يوم السقيفة بين الأنصار والمهاجرين مناقشة فقهية في موضوع الإمامة، قدم فيها اجتهادان، اجتهاد مبني على النظر المصلحي، مقتضاه ألا تبقى الأمة بدون إمام، وأن الأنصار هم أهل الدار، والأكثر وهم أهل الحماية.

---

(1) انظر الفصل (3/ 32) وما بعدها، والعواصم (ص279) وفيه نص على حرمة الصحابة، وتحقيق مواقف الصحاب (ص92) وما بعدها.

واجتهاد انبنى على النص على أن الإمامة في قريش، وأن الأنصار هم الوزراء، فأذعن الأنصار للنص[1].

واستدل على أن الأمر كان اجتهادا تبين فيه وجه الصواب وتبين للأنصار خطأ اجتهادهم، بأدلة محسوسة وواقعية؛ ومنها:

أنهم كانوا يشكلون أغلبية أهل المدينة وهم أهل الدار، ولا شيء يمنعهم من انتزاع الرئاسة، لو كانوا يسعون إليها من باب الدنيا لا من باب الدين.

وأنهم ما كانوا ليتركوا اجتهادهم لاجتهاد غيرهم لولا أنهم تبين لهم خطأهم.

يقول رحمه الله: «ومما يدل على صحة ذلك إذعان الأنصار رضي الله عنهم يوم السقيفة وهم أهل الدار والمنعة والعدد والسابقة في الإسلام رضي الله عنهم ومن المحال أن يتركوا اجتهادهم لاجتهاد غيرهم لولا قيام الحجة عليهم بنص رسول الله ﷺ على أن الحق لغيرهم في ذلك»[2].

وواضح هنا أنه يفسر اختلاف مواقفهم تفسير اختلاف الفقهاء في موضوعات الفقه كما هو معلوم؛ وقد صرح بأن هذا هو اللائق بما شجر بينهم، وقارنه باختلاف الفقهاء قال رحمه الله تعالى: «ولا عجب أعجب ممن يجيز الاجتهاد في الدماء وفي الفروج والأنساب والأموال والشرائع التي يدان الله بها من تحريم و إيجاب ويعذر المخطئين في ذلك ويرى ذلك مباحا لليث والبتي وأبي حنيفة والثوري ومالك والشافعي وأحمد وداود وإسحاق وأبي ثور وغيرهم كزفر وأبي يوسف ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد وابن القاسم وأشهب وابن الماجشون والمزني وغيرهم؛

---

(1) الفصل في الملل والنحل (3/ 5).

(2) نفسه (3 / 7) وانظر (ص16) مزيدا من البراهين الواقعية على هذا التفسير.

فواحد من هؤلاء يبيح دم هذا الإنسان وآخر منهم يحرمه، كمن حارب ولم يقتل، أو عمل عمل قوم لوط، وغير هذا كثير، وواحد منهم يبيح هذا الفرج وآخر منهم يحرمه، كبكرا نكحها أبوها وهي بالغة عاقلة بغير إذنها ولا رضاها، وغير هذا كثير، وكذلك في الشرائع والأوامر والأنساب، وهكذا فعلت المعتزلة بشيوخهم كواصل وعمرو وسائر شيوخهم وفقهائهم، وهكذا فعلت الخوارج بفقهائهم ومفتيهم، ثم يضيقون ذلك على من له الصحبة والفضل والعلم والتقدم والاجتهاد كمعاوية وعمرو ومن معهما من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وإنما اجتهدوا في مسائل دماء كالتي اجتهد فيها المفتون، وفي المفتين من يرى قتل الساحر وفيهم من لا يراه... »[1].

وبهذا الدليل فسر موقف علي رضي الله عنه في محاربة أهل صفين، وأنه اجتهد في حق وجب له فحارب باعتباره إماما من امتنع من أدائه.

ومما لا شك فيه أن الخطاب هنا موجه للفرق من أهل قبلتنا، وما كان يخاطب غير المسلمين.

كما فسر تأخر من تأخر في مبايعة علي، بأنه رأي فقهي مقتضاه عدم تقلد البيعة حال الفرقة والاختلاف بين من يدعي الأحقية بالإمامة.

قال رحمه الله تعالى: «عدوا على سعد بن أبي وقاص وابن عمر وأسامة بن زيد مولى رسول الله ﷺ ورافع بن خديج الأنصاري ومحمد بن مسلمة الأنصاري وزيد بن ثابت الأنصاري وأبي هريرة وأبي الدرداء وجماعة غير هؤلاء من المهاجرين لم يبايعوا عليا إذ ولي الخلافة ثم بايعوا معاوية ويزيد ابنه من أدركه وادعوا أن تلك الأحقاد حملتهم على ذلك»[2].

---

(1) الفصل في الملل (3/ 85).

(2) نفسه (3/ 18).

هذه الأحقاد فسرها بما كان يقع من قتل في الغزوات أيام رسول الله ﷺ، ويؤخذ هذا من قوله: «فإن قال قائل أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان قد قتل الأقارب بين يدي رسول الله ﷺ فتولد له بذلك حقد في قلوب جماعة من الصحابة ولذلك انحرفوا عنه»[1].

فأجاب رحمه الله عن هذا التأويل الذي يعطي انطباعا أن الصحابة راجعوا تاريخ إسلامهم ووجدوا أنفسهم شاركوا في معارك قضت على أقربائهم، فأصبحوا ينتقمون ممن باشر ذلك القتل، قال: «وليت شعري أي حماسة وأي كلمة حسنة كانت بين علي وبين هؤلاء أو أحد منهم وإنما كان هؤلاء ومن جرى مجراهم لا يرون بيعة في فرقة فلما اتفق المسلمون على ما اتفقوا عليه كائنا من كان دخلوا في الجماعة وهكذا فعل من أدرك من هؤلاء ابن الزبير رضي الله عنه ومروان فإنهم قعدوا عنهما فلما انفرد عبدالملك ابن مروان بايعه من أدركه منهم لا رضى عنه ولا عداوة لابن زبير ولا تفصيلا لعبدالملك على ابن الزبير لكن لما ذكرنا»[2].

وبخصوص موقف علي من قتلة عثمان رضي الله عنهما، وموقف معاوية، فقد فسره بأن معاوية طالب القود باعتباره الأحق في أهله بذلك، واجتهد فأخطأ، وفسر موقف علي بأنه كان لا يقدر على ذلك، ولو بايع معاوية لتقوى به وأنفذ الحكم، واعتبر قتال معاوية بناء على اجتهاده أنه قاتل لحق وجب له، وعلي قاتل لحق وجب له، رضي الله عنهم، ومع ذلك فقد رجح لو أن عليا لم يقاتل كما فعل ابنه الحسن رضي الله عنه[3].

ولست هنا معنيا لأستشف النزعة الأموية في تحليل ابن حزم، فإني لا أرى إلا تخمينات، بعدما أقر بخطإ معاوية رضي الله عنه.

---

(1) الفصل في الملل (3/ 18).
(2) نفسه (3/ 18).
(3) نفسه (3/ 87-88).

وهذه نماذج فقط، يظهر من خلالها حضور التفسير الفقهي لمواقف الصحابة، أي اعتبار هذه المواقف نابعة من الدين سواء صح التنزيل أو لم يصح، وهو أمر يبعد النزعة الدنيوية، أو المصلحية الضيقة.

☒ كتاب العواصم

مقتل عثمان: لقد قتل عثمان والصحابة متوافرون بالمدينة لم يمنعوه هكذا صورة الأحداث، وإن كانت الروايات ثبتت بوجود صحابة كثر ببيته قبل مقتله.

ويرى ابن العربي أن توافر الصحابة بالمدينة حين قتل عثمان لا يلزم عنه أنهم رضوا بذلك، أو سعوا فيه، ويرى أن الروايات الواردة عن عثمان أنه منعهم من حمل السيف لمقاتلة الثوار، وحمايته، يعضضها بأن هذا مذهبا فقهيا، وفيه وصية رسول الله ﷺ: حيث قال في الفتنة كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل[1].

وكأنه استحضر قول من يقول كيف يصح هذا في الأذهان، أن يكون الإنسان على شفير الموت ولا يستنجد؟.

وبناء على هذا التحليل فإن الصحابة برءاء من قتله، وكانوا في مواقفهم حينها تحت طاعته.

إن هذا التحليل يؤكد أثر الدين في الأحداث، لا من جهة التعصب للمذاهب، ولكن من حيث الاستجابة لمقتضيات الشريعة والاجتهاد فيها.

فإن المذموم في تأثير الدين في الأحداث، هو اتخاذ المواقف بناء على عقائد لا برهان عليها من شريعة صحيحة، بل أحقاد بصبغة دينية، والأساس في هذا الجهل، والإحداث في الدين.

---

(1) العواصم من القواصم (ص297).

☒ موقف علي ومعاوية في الحرب التي دارت بينهما

وفي تفسير امتناع علي من إقامة الحد على القتلة بأنه متهم بالقتل أيضا، وأن معاوية امتنع من البيعة لأن عليا عنده متهم، أجاب ابن العربي بتفسير فقهي لما وقع قال: «وأما الصواب فيه فمع علي لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم وتهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه أن يخرج عليه بل يطلب الحق عنده فإن ظهر له قضاء والا سكت وصبر فكم من حق يحكم الله فيه وإن لم يكن له دين فحينئذ يخرج عليه فيقوم له عذر في الدنيا»[1].

فاستحضر أحكام التقاضي وهو القاضي الفهم رحمه الله تعالى، وكذلك أجاب عمن قال عن مبايعة طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم أنهم بايعوه على ان يقتل قتلة عثمان، ولذلك خرجوا إلى البصرة، فقال: «قلنا هذا لا يصح في شرط البيعة وإنما يبايعونه على الحكم بالحق وهو أن يحضر الطالب للدم ويحضر المطلوب وتقع الدعوى ويكون الجواب وتقوم البينة ويقع الحكم فأما على الهجم عليه بما كان من قول مطلق او فعل غير محقق أو سماع كلام فليس ذلك في دين الاسلام»[2].

وهذا منه جواب شرعي، منبني على أحكام البيعة والتقاضي.

وقال عن موقف من تخلف عن علي رضي الله عنه من الصحابة منهم سعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة وابن عمر واسامة بن زيد وسواهم من نظرائهم:

«قلنا أما بيعته فلم يتخلف عنها وأما نصرته فتخلف عنها قوم منهم من ذكرتم لأنها كانت مسألة اجتهاد فاجتهد كل واحد وأعمل نظره وأصاب قدره»[3].

(1) العواصم من القواصم (ص306).
(2) نفسه (ص300).
(3) نفسه (ص300).

وهنا يظهر اختلاف واضح بين تحقيق ابن حزم وتحقيق ابن العربي، فابن حزم يرى أن المذكورين من الصحابة تخلفوا لأنهم لا يرون البيعة في الفرقة، وابن العربي يرى أن هؤلاء بايعوا، لكنهم لم ينصروه، لأن الخروج للنصرة كانت مسألة اجتهاد، وإعمال النظر.

ولم يأت ابن العربي بما يدل من الأخبار على أنهم بايعوا، وباعتبار الأصل وهو البيعة يمكن قبول مذهب ابن العربي في التحقيق، وباعتبار وجود من لم يبايع في تلك الفتن يمكن اعتبار مذهب ابن حزم، والأمر يتوقف على الرواية الصحيحة، وسنراها مع أمحزون.

⊠ موقف أم المؤمنين عائشة، وطلحة ومن معها

يرى ابن العربي أن عائشة رضي الله عنها ومن معها لم يخرجوا خلعا لبيعة، لأن الخلع حكم سياسي شرعي لا يكون إلا بالنظر، ويحتاج إلى إثبات وبيان أسباب الخلع[1].

ثم قال: بل خرجوا لجمع الشمل، وإن ما وقع كان بسبب أهل الفتنة من قتلة عثمان الذين شعروا بأن الائتلاف سيؤدي إلى إقامة الحد، فأحدثوا القتل في صفي الفريقين، وجعل كل فريق يدافع عن نفسه فنشبت المعركة[2].

ووجه التفسير أن ابن العربي جعل ما وقع من كل فريق دفاعا مشروعا.

وإذا كان ابن عبد البر رأى أن طلحة بايع مكرها، أكرهه الأشتر، ولذلك خرج على علي لما أتيحت له الفرصة، فإن ابن العربي وابن حزم لا يريان ذلك، بل رده ابن العربي بحجاج فقهي كما مر، ورده ابن حزم بجزمه أنه خرج مع من معه للإصلاح، وأنه لم يبايع بعد مع من قال إنهم لا يرون بيعة في فرقة[3].

---

(1) العواصم (ص302).
(2) نفسه، ونفسه عند ابن حزم في الفصل.
(3) نفسه (3/ 83).

أمـا ابن العربي فقد استعمل النقـد الـداخلي للـنص الـذي ورد فيـه أن طلحـة بـايع مكرها، بل اعتبر مبايعته اختيارا، وأمـا ابن حزم فكمـا سلف لم ير أنه بايع بعد.

فهذه ثلاثة تحقيقات لموقف واحد، فمـا وجه الصواب؟.

⊠ تحقيق مواقف الصحابة لأمحزون

> أمـا أمـحزون الذي اعتمد الروايات من خلال الطبري، فيرى أن طلحة ومن معـه يوم الجمل كانوا قد بايعوا مختارين، وأحال على ابن أبي شيبة في المصنف.

وقد عمد إلى روايات الطبري التي رآها تستقيم مـع التفـسيرات التـي تعتمـد تنزيـل مواقف الصحابة على أنها اجتهادات تحكمه الرؤية الـشرعية، وكـذلك فعـل قبلـه ابـن خلدون حيث حكم العادات وطبائع العمران[1].

> واستعمـال التفسير الفهي لمواقف الصحابة أصل عند أمحزون كمـا يظهر في تحقيـق التهم الموجهة لعثمـان رضي الله عنه[2].

وقد ناقش مـا يخالفه مـا يراه صوابا من الروايات كمـا في أخبار بيعة علي[3].

> ثالثا: البراهين تقام بناء على الواقع، والحس، ومقتضيات العقل الصريح، ومنـاهج النقد الحديثي.

لقد عمد ابن حزم إلى البرهنة على مـايذهب إليه من تحقيقات بشواهد الحس والواقع كمـا مر في الرد على من قال باغتصاب أبي بكر للخلافة والتحايل على الأنصار، وكـذا في الرد على من قال إن عليا قاتل معاوية على البيعة له، واحتج بتركه من لم يبايع بالمدينة من الصحابة، وهو في الأمر الأول من البيعة.

---

(1) المقدمة (ص207-208).

(2) تحقيق المواقف (ص258-259).

(3) نفسه (ص418) ومـا بعدها.

أمـا ابن العربي فإنه ينتقد الروايات التي تدعي ذلك ويراها باطلة ويـسرد الأحـداث وفق الروايات المتفقة مع كون الصحابة مجتهدين، والاخـتلاف مـن شـأن الاجتهـاد في القضايا المشتبهة.

ويضاف إلى منهجه اعتمـاد منهج الجرح والتعديل عند المحدثين خصوصا في تعـديل يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم.

فيمـا نجد أمحزون يستقصي الروايـات ويدرسـها دراسـة ظـاهرة وفـق مـنهج النقـد الحديثي.

➢ رابعا: عدم تفسير الأحداث بمـا ورد من الأحاديث في الفـتن، إلا مـا تأيـد بـشواهد الحس.

لقد كان توظيف النصوص الحديثية الواردة في الفتن بشكل مستفيض عند أمحزون بل عقد بابا في الفتنة، كأنه الإطار الذي ستتحدد به التحقيقات.

فأمحزون يرى أن هذه الأحاديث تمثل معالم الرؤيـة، التـي اقترحهـا لدراسـة التـاريخ الإسلامي، وعرض أدلته في ربع الكتاب تقريبا إذا اعتبرنا مـاكتبه عـن مـنهج الطـبري جزءا من ذلك.

فيمـا لم يستعمل هذا المنهج ابن العربي إلا في تفسير مقتل عثمـان، وفي خلافة أبي بكر وفي قليل من الأحداث.

أمـا ابن حزم فإنه بين سبب امتناعه من تفسير الأحداث بناء على أحاديث الفتن، لأنه يراها غير مقبولة لدى المخـالف، وهكـذا عـدل إلى مـنهج آخـر وهـو شـواهد الحـس والواقع والعقل.

خاتمة

لقد جاءت هذه المؤلفات أعمالا متكاملة تعكس نسقية، تاريخية، ومنهجية.

- أما النسقية التاريخية فإن الأندلس لم تكن بلد رواية فدخلت كتب بقي فصار التنظير ضروريا، وأصبح العلم بالصحابة ضروريا، بحكم منهج النقد الحديثي، ثم جاء أبو عمر ابن عبد البر فجمع أخبار الصحابة، ثم جاءت هذه الكتب لتحقيق ما نقل من أخبارهم.

- أم النسقية المنهجية فإن ما نقله ابن عبد البر من أخبار الصحابة، صارت الحاجة ماسة إلى تحقيقه، وهكذا كان عمل ابن حزم عملا رائدا لأنه خرج من إعمال الروايات غير المقبولة عند الأطراف.

وقدم رؤية بليغة خصوصا في أصول التنظير السياسي، والعقدي.

لكن ابن العربي الذي أفزعه ما رأى من استهتار المشارقة بأحكام الشرع والترخص بما يروون عن الصحابة والخلفاء مما لا يصح، من كتب الأدب والإخباريين غير الثقات، وغير المعروفين بعلم الحديث، فجاء كتابه حلقة متممة يقدم رؤية في النقد التاريخي لما نقل عن الصدر الأول من أخبار تتناقض، في القضايا الفقهية والأخلاقية، وكذا ما يضعف حرمة الصحابة وجلالتهم.

فوجه عنايته إلى نوع المصادر التي يجب أن تعتمد في مثل هذه الموضوعات، وعين كتب المحدثين، وخص من أهل الأدب كتب ثعلب، ومن المؤرخين كتب الطبري، أما أمحزون فكتابه جاء خطابا لغير المسلمين من الباحثين المستشرقين، وتلامذتهم، وليزداد

الذين آمنوا إيمانا. فقدم رؤية الباحث المؤرخ، واستجاب لرغبة ابن العربي فقدم خدمة لروايات الطبري.

إنها أعمال متكاملة منهجيا، إن عمل ابن حزم وابن العربي خطاب للذات، فهو تأصيل منهجي للتشريع، أما عمل أمحزون فهو خطاب للآخر فهو دفاع عن الشريعة.

ولئن أعرض ابن حزم عن تفسير الأحداث بأحاديث الفتن، وكذا ابن العربي أحيانا، فإن أمحزون وظف ذلك بناء على منطق يقتضي العمل بمسلمة أثر الدين والتدين في أحداث التاريخ الإسلامي، وتاريخ الإسلام خاصة.



فهرس المصادر والمراجع

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المكتبة الإلكترونية المكتبة الشاملة الإصدار الثالث.
- أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين، عمر بن دحية الكلبي، أبو الخطاب، ت:محمد أمحزون، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1/سنة1998م.
- الإمامة والرد على الرافضة، أبو نعيم الأصبهاني، تعلي بن محمد الفقيهي، ط.مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1 /سنة 1987م.
- تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، محمد أمحزون، ط. دار السلام، القاهرة، ط2/سنة 2007م.
- دراسة عن الجامع لما في المصنفات، الباحث ياسر الشعيري، بحث مرقون بدار الحديث الحسنية.
- رسائل ابن حزم، ت: إحسان عباس، المكتبة الإلكترونية الشاملة الإصدار الثالث.
- سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، ت.محب الدين العمروي، ط. دار الفكر بيروت، ط1 /سنة 1997م.
- العواصم من القواصم، أبو بكر بن العربي، ت د.عمار الطالب، ط. مكتبة دار التراث، القاهرة، ط1/ سنة 1997م.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي ابن حزم، ط. دار الكتب العلمية بيروت ط2/سنة 1999م.
- الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي أبو منصور، ط. دار الآفاق الجديدة ـ بيروت. ط2/ سنة 1977م.
- مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية عدد 2 سنة 1954م.
- مقدمة ابن خلدون تحقيق علي عبد الواحد وافي ط.دار النهضة، مصر ط3/سنة1981م.

المحور السابع

التأليف في الصحـابة لدى علمـاء الغرب الإسلامي

من تآليف المغاربة والأندلسيين
في الصحابة الكرام

د. عبد الهادي احسيسن

ملخص البحث

إن الصحابة الكرام هم الصفوة المختارة من هاته الأمة الموحدية لمؤازرة نبيه سيدنا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فهم أول من آمنوا به وصدقوه، وبلغوا دعوة الله إلى جميع الناس، في مشارق الأرض ومغاربها، وأصبحوا وكأنما خلقوا من جديد، لا شأن لهم إلا مرضاة الله ورسوله.. رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه..

قال أحد العلماء لو لم يكن لرسول الله ﷺ معجزة إلا أصحابه لكفى في إثبات نبوته، وكفاهم تقديرا وتعظيما يقول فيهم رسول الله ﷺ: «لاتسبوا أصحابه فوالذي نفسه بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

لهذا خصهم علماء الإسلام، ومنهم علماء المغرب والأندلس بتآليف عديدة، فسجلوا فضائلهم ومآثرهم، وترجموا لغير واحد من كبارهم التراجم المطولة المفيدة.

وقد أثنى الله عليهم في كتابه العزيز ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَالذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ... ﴾ الآية.

الباحث في سطور

الدكتور عبد الهادي احسيسن

- من مواليد عام 1934م بـمدينة تطوان.
- أستاذ جامعي بكلية أصول الدين تطوان.
- دكتـوراه الدولـة بمؤسـسة دار الحـديث الحـسنية عام 2008م، في موضـوع: «الدراسات الحديثية في العصر المريني».
- عضو الرابطة المحمدية للعلمـاء.
- له العديد من الإجازات العلمية من شـيوخ أكـابر، وله مـشاركات في ملتقيـات وندوات وطنية.

من إنتاجه العلمي:

✍ النهضة الحديثية في عهد المنصور الموحدي.

❁ مدلول الصحابة في اصطلاح علماء الحديث

الصحابي: هو من لقي النبيﷺ، ومات على الإسلام، ذكرا أو أنثى، وهناك تعريف آخر: هو من طالت صحبته، وكثرت مجالسته، وروى عن النبي الحديث. يقول الحافظ ابن حجر: وأهم ما وقف عليه من ذلك، أن الصحابي هو من لقي النبيﷺ مومناً به، ومات على الإسلام، فيدخل في من لقيه، ومن طالت مجالسته أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز ومن رآه رؤية ولم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى.

وهذا التعريف مبني على القول المختار عند المحدثين، كالبخاري وشيخ الإسلام أحمد ابن حنبل ومن تبعه[1].

وقيل إنه من يكون صحابي، هو من أقام مع النبيﷺ سنة أو سنتين، وغزا معه غزوة أو غزوتين، وهذا ما يقول به سعيد بن المسيب وهو مذهب علماء أصول الفقه، الذين يشترطون كثرة الصحبة للرسول، واستمرار اللقاء به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بخلاف من وفد عليه وانصرف عنه من غير مصاحبة، ولا متابعة، فلا ينصرف عليه اسم الصحابي، لأن المكانة الفقهية تحتاج إلى صحبة النبي ﷺ، مدة زمنية لتحقيق غاية التحصيل.

ثم إن هذا القول، هو خلاف ما اتفق عليه الجمهور من المحدثين، لأنهم اتفقوا على عدد من الصحابة، لم يجتمعوا بالنبي بعد لقائه الأول، إلا في حجة الوداع[2].

---

(1) الإيضاح في تاريخ الحديث وعلم الاصطلاح لسعد يس (ص61).

(2) الإصابة في تمييز الصحابة(1/ 6) تحقيق البجاوي.

إن الحافظ ابن عبد البر، فرَّق بين الرؤيا قبل التمييز وبعد التمييز، فقبل التمييز أثبت صفة الصحبة لرؤية النبي ﷺ، كشرف منزلة النبي الأكرم، فهو صحابي لهاته الحيثية، ولكن لم يثبت له حق الرواية، لأنه دون سن التمييز قبيل وفاة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وتعد روايته كرواية التابعين، وأما من رآه بعد سن التمييز، فلا يختلفون في صحة روايته وحقيقة صحبته.

وهناك من العلماء من يشترط الصحبة العرفية.

عن أنس بن مالك، عندما سئل عمن بقي من أصحاب رسول الله ﷺ، لأنه كان من أواخر الصحابة الذين ماتوا، فأجاب بأنه بقي ناس من الأعراب، قد رأوه، أما من صحبه فلا، حدث بهذا الإمام مسلم[1].

وبماذا يُعرف الصحابي؟ إما بالتواتر كالخلفاء الراشدين الأربعة، وباقي الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، والعبادلة الأربعة. وإما بالشهرة كأبي هريرة، وإما بإخبار بعض الصحابة، أن هذا فلاناً صحابي بعد ثبوت عدالته[2].

ولعلو مكانة الصحابة رضوان الله عليهم، جعل الإمام البخاري في صحيحه عنوانا كبيراً خاصاً بهم، كباقي فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ومن صحبه أو رآه من المسلمين، فهو من أصحابه. وأتى بأحاديث ثلاثة، أحدها مروي عن عمران بن حصين، قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» الحديث[3].

ثم يأتي الإمام البخاري بباب مناقب المهاجرين. وفضلهم، منهم أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة التميمي.

---

(1) انظر ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ(ص 286).

(2) نفسه (ص286).

(3) فتح الباري (7/ 3).

وقول الله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾[1].

والمراد بالمهاجرين، ما عدا الأنصار، ومن أسلم يوم الفتح، والأنصار، هم الأوس والخزرج، وحلفاؤهم ومواليهم. إذاً هؤلاء الأصناف الثلاثة هم الصحابة[2].

۞ طبقات الصحابة:

هم على درجات، باعتبار سبقهم إلى الإسلام، أو الهجرة، أو شهود المشاهدات. وقد اختلف العلماء في ذلك، الحاكم في علوم الحديث، قسّمهم إلى اثنتي عشرة طبقة، وذكرهم، وأما ابن سعد فجعلهم خمس طبقات[3].

وأجمع أهل السنة، على أن أفضل الصحابة بعد النبي ﷺ هم الخلفاء الأربعة كترتيبهم في الخلافة، وبهذا قال كذلك أئمة المذاهب[4].

۞ الصحابة المكثرون في الرواية هم سبعة:

1. أبو هريرة وهو أكثرهم، لملازمته لرسول الله ﷺ، روى خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وسبعين حديثاً.
2. ثم عبد الله بن عمرو بن العاص، روى ألفين وثلاثمائة وثلاثين حديثاً.
3. ثم أنس بن مالك، خادم رسول الله ﷺ، روى ألفين ومائتين وستة وثمانين حديثاً.

---

(1) سورة الحشر: الآية 8.
(2) فتح الباري(7/ 3).
(3) نفسه.
(4) نفسه.

4. ثم سيدتنا عائشة أم المومنين روت ألفين ومـائتين وعشرة حديثاً.

5. ثم عبد الله بن عباس، ابن عم النبي ﷺ حبر الأمة، روى ألفا وستمـائة وستين حديثاً.

6. ثم جابر، روى ألفا وخمسمـائة وأربعين حديثاً.

7. ثم أبو سعيد الخدري، روى ألفا ومـائة وسبعين حـديثا، وقـد جمعـوا في هـاذين البيتين:

سبع من الـصحب فـوق الألــف قـد نقلـــوا ... من الحديث عـن المختــار خـير مـضـــر

أبــو هريـــرة ســـعد جابــــر أنــــــس ... صديقة وابن عباس كـذاك ابن عمـــر[1]

❁ **الصحابة المعروفون بالإفتاء:**

الخلفاء الأربعة الراشدون، ثم العبادلة الأربعة: عبد الله ابن عمر، وعبد الله بن عمرو ابن العاص، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير.

أمـا عبد الله بن مسعود فلا يعد مـنهم لأنـه أكـبرهم سـناً ومـات قـبلهم، رحـم الله الجميع.

أمـا عدد الصحابة على التحقيق فمتعذر، بسبب الهجرة والممـات والـصغر، ولكـن على الإجـمـال، يقول أهل الـسيرة: الـصحابة والـصحابيات الـذين حـجـــوا مـع رسول الله ﷺ حجة الوداع، أربعون ألفاً، وإن عـدداً كبـيراً لم يحـضروا معـه في هاتـه الحجة لأسباب. يقول الحافظ العراقي: مـات رسول الله ﷺ عن مـائة ألف صـحابي وأربعة عشر ألفا من الصحابة، مـمن روى عنه، وسمعوا منه، ومـن رآه؛ لأنـه خطـب في حجة الوداع، فسمع كل من حضر[2].

---

(1) الإيضاح في تاريخ الحديث وعلوم الاصطلاح (ص 15).

(2) نفسه (ص 15).

❁ عدالة الصحابة:

كل المسلمين متفقون على عدالة الصحابة.

حكى الحافظ ابن عبد البر الأندلسي إجماع أهل الحق من المسلمين، وهم أهل السنة والجماعة، على أن الصحابة كلهم عدول.

يقول الله تبارك وتعالى منوها بصحابة رسول الله ﷺ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ اخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُومِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

ولقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمُۥٓ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداًۗ﴾[2].

❁ مجالس الرسول العلمية للصحابة:

كانت هاته المجالس مجالس فائدة وتربية، وقد خصص الرسول الأكرم أوقاتاً معينة لتعليم الصحابة والصحابيات الذين كانوا يحرصون كل الحرص على الحضور ليتلقوا عن رسول الله ﷺ ما يمليه عليهم، وكانوا يتذاكرون فيما بينهم ما يسمعون عن الرسول إذا ما خرجوا من عنده.

يقول أنس بن مالك كنا نكون عند النبي ﷺ، فإذا قمنا تذاكرنا فيما بيننا حتى نحفظ[3].

جاءت نسوة فقلن يا رسول الله! ما نقدر عليك في مجلسك من الرجال، فاجعل لنا يوما نأتيك فيه، قال لهن، موعدكن ببيت فلان، وأتاهن عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في ذلك اليوم

(1) سورة آل عمران: الآية 110.

(2) سورة البقرة: الآية 142.

(3) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع(1/ 236).

المحدد لهن. قالت سيدتنا عائشة: نِعْم النساء، نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين.

هكذا أقبل رسول الله ﷺ على تبليغ دعوة الإسلام، وعلى تعليم المسلمين والمسلمات على حد سواء.

وبهذا عرفت المرأة المسلمة طريق الهدي النبوي والنور المحمدي إلى الحياة الكريمة، التي هيأتها لها الشريعة الإسلامية السمحاء، فأصبحت مثال المرأة المسلمة الصالحة، التي أعطتها الهناء والعيش الرغيد.

وهكذا ساهم المسلمون الأولون رجالاً ونساء، في الحياة العامة الكريمة، وفي الحضارة الإسلامية البناءة والإنسانية، في وقت كانت المرأة تُحتقر وتستغل ولم يكن لها حق، حتى جاء الإسلام ورفع شأنها ومكانتها، وسواها مع الرجل في حقوقها.

وجملة القول: إن الصحابة الكرام، هم خير الأمة الإسلامية وصفوتها، الذين آمنوا بالله وبرسوله حق الإيمان، وصدّقوا بكل ما جاء في دين الله، وهم الذين عناهم الله عز وجل بقوله: ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَوٰةِ﴾[1].

أعطى هؤلاء الصحابة الكرام في سبيل رسالة الإسلام الغالي والنفيس، فتحملوا الشدائد والأهوال وخاضوا الحروب تلو الحروب، حتى انتصر بهم دين الإسلام، في مشارق الأرض ومغاربها، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

أصبحوا بعد رسول الله ﷺ الأوفياء المخلصين الأمناء لدعوة الإسلام، فبلّغوها للناس كافة، عربا وعجما، لا يصدهم عنها حاجز، حتى انتصر بهم الإسلام، فاهتدى بهم جم غفير من الناس، وأسعدوهم بدين الله الحق، كما سعدوا هم به من قبل.

---

(1) سورة النور: الآية 37.

وهؤلاء الصحابة الكرام، نوّه الله بهم في كتابه العزيز﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَالذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرِيهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنَ اَثَرِ اِلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي اِلتَّوْرِيٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي اِلِانجِيلِ كَزَرْعٍ اَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوِيٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾[1].

وقال في حقهم رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[2].

وقد وصفهم الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، وهو منهم فقال: من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب رسول الله محمد ﷺ، فإنهم كانوا أبر هاته الأمة قلوبا وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هدياً وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم[3].

ثم يقول عنهم حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد البر: إنما وضع الله عز وجل أصحاب رسول ﷺ الموضع الذي وضعهم فيه، بثنائه عليهم من العدالة والدين والإمامة لتقوم الحجة على أهل الملة، بما أدوه عن نبيه من فريضة وسنة، فنعم العون كانوا له على الدين في تبليغهم عنه إلى من بعدهم من المسلمين[4] رضي الله عنهم أجمعين.

---

(1) سورة الفتح: الآية 29.

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، حديث رقم (2540).

(3) حياة الصحابة (1 / 10).

(4) الاستيعاب في معرفة الأصحاب(1/ 15).

يقول أحد العلماء لو لم يكن لرسول الله ﷺ معجزة إلا أصحابه لكفى في إثبات نبوّته، وكفاهم تقديراً وتعظيما[1].

وهذا كله تقدير وتعظيم وتنوير بسلفنا الصالح صحابة رسول الله ﷺ، حتى نقتدي بهم في حياتنا وسلوكنا، وهم خير قدوة للناس أجمعين رضي الله عنهم.

وها هي رابطتنا المحمدية للعلماء، وعلى رأسها الأمانة العامة ستعقد بحول الله، ندوة علمية دولية بمدينة طنجة، تحت عنوان: «الصحابة الكرام، في التراث المغربي الأندلسي» في شهر فبراير القادم، متمنياً لها التوفيق والنجاح الكامل بحول الله تعالى.

وهنا يتبادر سؤال، هل الصحابة الكرام، دخلوا المغرب الأقصى والأندلس أم لا؟

أخرج الحاكم عن سليمان بن يسار قال: غزونا افريقية مع ابن خديج، ومعنا بشر كثير من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم[2].

أما المغرب الأقصى فلم يثبت أن دخله أحد من الصحابة، والمعروف أن الذي دخله فاتحاً عقبة بن نافع التابعي إذ كان واليا من قبل عمرو بن العاص الذي حكم بمصر.

أما الأندلس، فهي كذلك لم يدخلها الصحابة، إلا ما يقال عن دخول الصحابي المنيذر الإفريقي، وقد خصص الناصري في الاستقصا فصلا عنوانه: «ذكر من دخل المغرب من الصحابة» يعني بالمغرب، المغرب العربي وأوصل عدد الصحابة الذين دخلوا المغرب ثمانية وثلاثين(38) صحابياً.

قال: ومنهم المنيذر الاسلمى، قال ابن يونس له صحبة، وكان بإفريقية، وقال عنه عبد الملك بن حبيب، لم يدخل الأندلس من الصحابة إلا المنيذر الإفريقي[3].

---

(1) التراتيب الإدارية (1/ 3).
(2) الاستقصا للناصري (1/ 68 ـ 69).
(3) نفسه (1/ 68).

أما المقري صاحب كتاب نفح الطيب فيقول: اعلم أن الداخلين للأندلس من المشرق كثيرون، لا تحصى الأعيان منهم، فضلا عن غيرهم، إلى أن يقول: فمن الداخلين المنيذر الذي يقال إنه صحابي رأى رسول الله ﷺ.

قال ابن الآبار في كتابه «التكملة»: المنيذر الإفريقي له صحبة، وسكن افريقية، ودخل الأندلس فيمن يذكره أحد غيره. روى عنه أبو عبد الرحمن الحبلي الذي كان عاملا على افريقية من قبل الخليفة الأموي الصالح عمر بن عبد العزيز.

وذكر الحجاري أن المنيذر هو من الصحابة، ودخل الأندلس مع موسى بن نصير غازيا. ويقال له المُنيذر بالتّصغير، لكونه من أحداث الصحابة[1].

كما أن هذا المنيذر، ذكره كذلك الحافظ ابن عبد البر الأندلسي في كتابه الاستيعاب قال: المنذر الإفريقي، ويقال فيه المنيذر، كان يسكن افريقية، وكان صحابياً لرسول الله ﷺ، سمعه يقول: من قال رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا. أدخله الله الجنة.

ـ ولم يقل عنه ابن عبد البر أنه دخل إلى الأندلس.

يقول المقري: وأنكر غير واحد دخول أحد من الصحابة إلى الأندلس.

لقد عرف التاريخ الإسلامي عدداً كبيرا من العلماء الأفذاذ بمن فيهم علماء الغرب الإسلامي، الذين كانوا بناة للحضارة الإنسانية، على مر العصور ولما كان المغرب والأندلس قطرين هامين، من الوطن الإسلامي الكبير، الذي ترامت أطرافه، وامتدت شرقا وغربا، شمالا وجنوباً، في ذلك العصر الزاهر، زمن الدولة الإسلامية العظمى، وحيث كانت الثقافة هي البناء الفكري والحضاري للإنسانية عامة.

---

(1) نفح الطيب (3/ 5)، وانظر (1/ 249).

فإن العطاء الجزيل، الذي أسهم به علماء المغرب والأندلس في المجالات العلمية العامة والخاصة، تجلى في اهتمامهم بالصحابة الكرام، الذين كانوا أمناء أوفياء، لرسالة رسول الله ﷺ في حياته وبعد مماته، فحملوا ذلك المشعل الوهاج إلى العالم، فاهتدى بهم خلق وفير، وعلى يدهم أخرجهم الله عز وجل من الظلمات إلى النور.

لذا خصهم علماء الإسلام، قديما وحديثا، بمن فيهم علماء المغرب بالتآليف عنهم، والتعرف عليهم والتعريف بهم وبرسالتهم الإسلامية السامية ليبقوا هداة مهتدين، وحتى يستفيد منهم الأجيال الصاعدة، ذلك ما جعلني أساهم بقدر الإمكان في الكتابة عنهم، تحت هذا العنوان:

«مؤلفات المغاربة والأندلسيين في الصحابة».

اخترت هؤلاء العلماء، الأعلام المغاربة الأربع، الذين ألفوا في الصحابة الكرام، ورتّبتهم حسب ميلادهم:

1 ـ بقي بن مخلد العالم المحدث السلفي الكبير الرباني، صاحب الأسانيد والمسندات.

2 ـ أبو عمر يوسف بن عبد البر العالم الموسوعي، حافظ المغرب.

3 ـ علي بن حزم، العالم العصامي الظاهري، صاحب التآليف العديدة المتنوعة.

4 ـ ابن سبع السبتي العالم الفقيد الكبير المغمور.

➢ ولنتكلم عن الأول، من هو **بقي بن مخلد**؟

هو أبو عبد الرحمن بقي، وجده يزيد هو أول الداخلين إلى الأندلس، ولد بقرطبة في شهر رمضان سنة 201هـ وتوفي 276هـ فهو من أسرة عادية وبسيطة هو الذي أعطاها شهرة كبيرة لم تشهر إلا بعطائه وعلمه، وكان علما وعطاء داخل الأندلس وخارجها.

حفظ القرآن الكريم، وتعلم المبادئ الأولية، ثم قصد العلماء الكبار ببلده قرطبة وما أكثرهم، منهم يحي الليثي صاحب الإمام مالك، ومحمد بن عيسى الأعشى، وعبد الملك بن حبيب السلمي (ت238هـ) الفقيه الكبير المالكي، وغيرهم.

وبعدما استفاد منهم، واستوى عوده، ارتحل إلى المشرق، كعادة طلاب علم قرطبة للأخذ عن علمائه وأئمته الكبار، يقول تلميذه الحميدي: كانت لشيخي، بقي بن مخلد رحلتان إلى المشرق، استغرقت أولاهما عشرين عاما، وفي الثانية خمسة عشر سنة، وكان جوالا يطوف على أهل الحديث والرواية، فإذا وصل وقت الحج، أتى إلى مكة يحج ويتصل بشيوخ العلم، هكذا كان يعمل كل عام في رحلتيه جميعا.

كان رحمه الله تعالى، يعتني بالحديث النبوي الشريف، وكذلك بأثر السلف، لهذا كان غرضه الأكيد جمع الأحاديث، وآثار السلف الصالح.

❁ شيوخه:

الشيوخ الذين تلقى عنهم العلم في رحلتيه، يصل عددهم إلى مائتين وأربع وثلاثين شيخا (234) منهم الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولشغف بقي بن مخلد بطلب العلم واتصال برجاله، عمل حيلة محبوكة ليتصل بالإمام ابن حنبل الذي وجده محبوسا آنذاك في منزله ببغداد أيام المحنة..

فهي من أغرب القصص الواقعية في طلب العلم، إذ انتحل شخصية المتسول المسكين للأخذ عنه، فهي طريفة وظريفة ومشجعة لطلب العلم من أجل ابتغاء العلم...

❁ تآليفه:

هي عديدة وهامة في بابها، يقول الحافظ ابن حزم: ومنها في الحديث مصنفه الكبير الذي رتبه على أسماء الصحابة، رضي الله تعالى عنهم. روى فيه عن ألف وثلاثمائة

صاحب ونيف، ثم رتب كل حديث على أسماء الفقه وأبواب الأحكام، فهو مصنف ومسند، وما أعلم هاته الرتبة لأحد قبله، مع ثقته وضبطه وإتقانه واحتفائه بالحديث وجودة شيوخه.

يقول ابن حزم: ومن مصنفاته كذلك، مصنف في فضل الصحابة والتابعين ومن دونهم الذي أربى فيه على مصنف أبي شبية، ومصنف عبد الرزاق، ومصنف ابن سعيد وغيرها.

انتظم فيه علم عظيم، فصارت تآليف هذا الإمام الفاضل، قواعد الإسلام لا نظير لها فهو لم يكن يقلد أحداً، وكان ذا خصة من شيخه الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا العالم الرباني المحدث الكبير بقي بن مخلد هو أول من نشر الحديث النبوي ببلاد الأندلس، وكذلك تلميذه ابن وضاح. وبهما انتشر الحديث النبوي وعلومه بالأندلس، رحمهما الله رحمة واسعة.

ومن العلماء الأندلسيين الذين ألفوا في الصحابة:

➢ **أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي.**

ولد في شهر ربيع الثاني سنة 363هـ، ينحدر من أسرة عربية عالمة، استقرت في مدينة قرطبة، عاصمة الخلافة الإسلامية الأندلسية، والتي نزل بها عدد من التابعين وغيرهم، فعظم قدرها ومكانتها، وقصدها العلماء والفقهاء والأدباء من كل جهة من المغرب ومن غيره من الجهات، لمكانتها السياسية والعلمية والإجتماعية.

وقد امتاز الأندلسيون عموما، والقرطبيون خصوصا بالحرص الشديد على طلب العلم والمعرفة، وكان لهم شغف كبير باقتناء الكتب.

ومن ثم انتشرت المكتبات العلمية وتعممت في سائر الأوساط الأندلسية المثقفة، وفي هذا الجو العلمي الرفيع نشأ ابن عبد البر، وفيه تعلم وتثقف.

أخذ عن كبار العلماء الفقه والحديث وعلومه، منهم خلف بن القاسم، وعبدالوارث، وعبد المومن الذي درس على علماء الشرف وغيرهم، فالإنسان ابن بيئته.

أتقن العلوم التي درسها وتقدم فيها تقدما كبيراً، وبرع فيها براعة فاق من تقدمه من علماء الأندلس، حتى أحرز على لقب علمي كبير «حافظ المغرب».

وهو لم يغادر وطنه الأندلس، كباقي العلماء الأندلسيين الآخرين، وإنما اكتفى بالرحلة داخل وطنه[1].

له طلبة عديدون درسوا عليه وأخذوا عنه العلم، منهم أبو عبد الله الحميدي الحافظ الثبت(ت 488هـ)، وأبو علي الغساني المحدث الكبير، وغيرهما كثير.

❁ **تآليفه:**

هي عديدة ومتنوعة في جل العلوم، وأهم مؤلفاته في الحديث كتابه التمهيد على شرح كتاب الموطأ للإمام مالك وقد رتبه حسب حروف المعجم، على أسماء شيوخ الإمام مالك، وقد أمضى في تأليفه ثلاثين عاما وبلغ باعتزازه به أن نظم ذلك في أبياتاً شعرية يقول فيها:

سمير فؤادي في ثلاثين حجة … وصاقل ذهني والمفرج عن همي
بسطت لهم فيه كلام نبيهم … لما فيه معانيه من الفقه والعلم
وفيه من الآداب ما يهتدى به … إلى البر والتقوى وينأى عن الظلم

---

(1) نفح الطيب (3/ 5).

أجل فهو كله علم، وموسوعة حديتية قل نظيرها، وقد نوه به العلماء قديما وحديثاً منهم صفيهُ الإمام ابن حزم فقال فيه: لم أر مثله فكيف أحسن منه[1] وكتاب التمهيد طبعته مشكورة وزارة الأوقاف المغربية في أربعة وعشرين جزءاً، بتحقيق عدد من علماء المغرب وقد أمضى في تحقيقه سنوات عديدة أستاذنا الفقيه البحاثة سيدي سعيد أعراب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكنا ندرس به بدار الحديث الحسنية بالرباط. إن هذا الكتاب يجب أن يدرس بالجامعات لطلاب العلم.

ومن تآليف ابن عبد الهامة والمفيدة، كتابه في الصحابة سماه «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» في أربع مجلدات، فهو من أوائل ما صنف في بابه من المؤلفات الأندلسية التي وصلتنا، ولم يشتهر من كتب الصحابة التي ألفها الأندلسيون، مثل ما اشتهر كتاب «الاستيعاب»؛ لأن الكثير من المؤلفات الأندلسية التي سبقته توجد اليوم في حكم المفقود.

امتاز هذا الكتاب عن غيره في التفصيل من الجانب الحديثي والتاريخي، وتراجمهُ تتفاوت بين الطول والقصر، فهو يبسط القول في تراجم الصحابة المشهورين الذين كان لهم الأثر الكبير في الأحداث كالخلفاء الأربعة وغيرهم من الصحابة كعمرو بن العاص ومعاوية والحسن والحسين.

غير أنه لم يطلعنا على عدد الصحابة الذين تكلم عنهم، يقول الحافظ بن فتحون الاريولي الأندلس (ت517هـ) إن ابن عبد البر ذكر في كتابه من الصحابة ثلاثة آلاف وخمسمئة ممن ذكره باسمه أو كنيته[2].

---

(1) نفح الطيب(3/ 170).

(2) ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ (ص301).

ومن العلمـاء الأندلسيين، الذين ألفو في الصحابة الكرام:

< الحافظ ابن حزم الظاهري

هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلـف، وخلـف هذا هو الجد السادس، الـداخل إلى الأنـدلس، والـذي استقر أولاً في إحـدى قـرى إشبيلية، ثم بعد ذلك انتقلت أسرته إلى قرطبة، عاصمة الخلافة الإسلامية الأندلسية.

ولد ابن حزم بقرطبة سنة 384هـ، وبها نشأ وتربى وتعلم، يقول الفتح بن خاقان: بنو حزم، أسرة علم وأدب، ومجد وحسب، تـولى الـوزارة عـدد مـنهم، والـده، تولاهـا للحاجب المنصور ابن عامر، ثم لابنه المظفر من بعده، وابن حزم نفسه تولى الوزارة، ثم خرج منها، فنالوا جاهاً عظيمـا، وأموالاً كثيرة، وأملاكاً واسعة.

في هذا الوسط الرفيع تربى ونشأ وتعلم ابن حزم، تحيط به العنايـة مـن كـل صـوب، يتقلب بين أحضان المربيات المثقفات، اللائى علمنه المبادئ الأولية، مـن كتابـة وقـراءة وخط. يقول: «لقد شاهدت النساء، وعلمتُ من أسرارهن، مـا لا يكاد يعلمه غـيري، لأني ربيـت في حجـورهن، ونـشأت بـين أيـديهن، ولم أعـرف غـيرهن، ولا جالـست الرجال، إلا وأنا في حد الشباب، وهن علمنني القـرآن، وروننـي كثـيرا مـن الـشعر، تدريبي في الخط»(1).

ولمـا وصل إلى سن الشباب، اختار له والده خيرة العلمـاء والفقهـاء الكبـار، ليـتعلم عليهم، ويأخذ عنهم، منهم: أبو الخيار مسعود بـن سليمــان، وأبـو الحـسين الفـاسي، العالم الصالح الذي اهتم به ابن حزم غاية الاهتمـام، فاستفاد منه الشيء الكثير، وبقـي ابن حزم دائمـا يذكره بالتعظيم والتقدير، ويقول عنه، هو الذي قادني إلى الخير، ودرس على باقي العلمـاء الآخرين الكبار.

---

(1) طوق الحمـامة (ص166).

إن ابن حزم قد أتاه الله من الصفات ما مكنته من فتح نور العلم والمعرفة والاستضاءة، ذلك فضل الله يوتيه من يشاء من عباده.

لم يعرف التاريخ عالما قبل ابن حزم جمع بين صنوف العلوم المختلفة والمعتددة، من أدب وعقيدة وتاريخ وفقه وحديث وسير وأصول ومنطق، حتى في الحب تناوله في كتابه «طوق الحمامة في الألفة والآلاف» وغيرها. يقول عنه ابن حيان: كان أبو محمد، جماعا للعلم من حديث وفقه وغيرهما، وما يتعلق بأذيال الأدب، مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة، من المنطق والفلسفة وله في بعض تلك الفنون كتب كثيرة[1].

والذي يهم موضوعي من تآليفه الكثيرة، تأليفه في الصحابة الكرام. إذ وجدت له كتابين مطبوعين متداولين.

الأول: أسماء الصحابة الرواة، وما لكل واحد من العدد[2].

أما الكتاب **الثاني**: هو رسالة في المفاضلة بين الصحابة.

يقول ابن حزم، عن كتابه أسماء الصحابة: «أنه سيذكر فيه من روى عن النبي ﷺ حديثا فما فوق، ممن نقل إلينا الحديث عنهم على مراتبهم، في ذلك أصحاب الألوف ومنهم، أصحاب الألفين، ثم أصحاب الألف، فما دون ذلك، إلى حديث واحد».

وعدد الصحابة بين الرجال والنساء الموجودين في كتابه ألف وثمانية عشر (1018).

(1) ابن حزم للشيخ أبي زهرة (ص31).

(2) حققه كسروي حسن، طبعة بيروت 1969م.

ومن المعلوم أن العدد الأكبر من الصحابة، لم يصل أحاديثهم المروية، عن رسول الله ﷺ.

ذكر الحاكم (ت505هـ) أن الصحابة الذين رووا الأحاديث أربعة آلاف حديثا، غير أن الحافظ الذهبي يقول إن عدد الصحابة الذين رووا نحو ألف وخمسمائة صحابي، لا يبلغون ألفين أبدا.

أما الكتاب الثاني في المفاضلة بين الصحابة، فابن حزم يستعرض فيه أقوال الفرق من شيعة وغيرهم، وأقوال العلماء، فيمن هو أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ يقول ابن حزم: قال داود الفقيه رضي الله عنه: أفضل الناس بعد الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أصحاب رسول الله ﷺ، وأفضل الصحابة الأولون من المهاجرين، ثم الأولون من الأنصار، ثم من تبعهم منهم، ولا أقطع على أحد منهم بعينه أفضل من الآخرين من طبقته. وهناك من العلماء كابن البر النمري، يقول بهذا القول، وهو معتقده.

ويرى ابن حزم كذلك، أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أمهات المومنين أزواجه، والذي يليهن: أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب[1].

وذلك أن الله تعالى اختصّهن بأن جعلهن من بين نساء العالمين، فهن جوار رسول الله ﷺ، وهن فوق ذلك القانتات العابدات الصالحات، ليس لأحد عمل أكثر من عملهن، فاجتمع لهن السبب بالعمل الصالح، مع الاختصاص الإلهي، والتفضيل الرباني.

وينتهي الأمر بالمفاضلة بكلام محكم، في عدم فضل القرابة، لأن الدين الإسلامي لم يجعل أحدا من باقي الناس كيفما كان شأنهم له فضلا لمحض قرابته.

---

(1) كتاب أسماء الصحابة الرواة (ص37).

لا فرق بين عربي ولا عجمي ولا حاكم ولا محكوم ولا أبيض على أسود، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1].

وهنا نورد تعليق الأستاذ سعيد الأفغاني بقوله: وأنت خبير أن هذا الموضوع، هو الذي أظهر المذاهب السياسية في صدر الإسلام ـ وبعده ـ وهو الذي فرق الفرق، وخلف لنا البلاء الأطول، مما دسّه المفرطون والدُّخلاء، والطوائل والنيات الفاسدة، فجعلوه من الدين، وما هو من الدين، وما هو إلا خطط سياسية مستترة، الدين منها برئ[2].

هذا هو ابن حزم العالم الكبير العصامي ذو التآليف العديدة والمتنوعة ابتلي من حساده بأصناف البلاء من نفي وسجن ومقاطعة حتى أحرقوا كتبه بأمر ابن عباد.

وها هو يحيي من جديد، فتطبع كتبه وتنشر في جميع العالم، وتترجم إلى اللغات الحية وتناقش كتبه وأفكاره في الجامعات العالمية. رحمه الله برحمته الواسعة.

ومن العلماء المغاربة، الذين ألفوا في الصحابة:

< أبو الربيع سليمان ابن سبع العجيسي السبتي ويلقب بالخطيب.

ولد بمدينة سبتة، وبها نشأ وتربى وتعلم، وبها توفي. ولا يعرف عن حياته وأسرته وشيوخه شيء. حتى المصادر والمراجع لم تذكره، كباقي العلماء المغاربة المغمورين، قال عنه بلديه محمد الأنصاري السبتي: قبر الشيخ الفقيه، الخطيب المحدث الحافظ، سليمان ابن سبع العجيسى، مؤلف «شفاء الصدور»، وقبره بصحن جامع التباني حيث تقام الجمعة. وربما كان خطيبا للجمعة هناك.

---

(1) سورة الحجرات: الآية 13.

(2) رسالة المفاضلة (ص10).

هاته الأوصاف تجعله من ضمن العلماء المغاربة الكبار، ويدل على هذا أن المراجع المشرقية التي تنقل عنه تنعته بالشيخ الإمام الخطيب، ولا تذكر اسمه إلا مقرونا بالتجلة والتقدير.

يقول محقق الكتاب، عبد الوهاب بن منصور: كتاب في فضل النبي ﷺ، وفضل صحابته. يقال: إنه أقدم مؤلف مغربي معروف لحد الآن، يوجد الجزء الثاني بالخزانة الملكية تحت رقم 5733[1].

ترك ابن سبع مؤلفات عديدة، أشهرها «شفاء الصدور في أعلام نبوة الرسول وخصائصه».

وهو موسوعة علمية في الحديث والفقه والسير والأدب، مكث في جمعه وتأليفه ما يقرب من ثلاثين سنة، ويقع في خمسة عشر مجلداً، وكل مجلد منه يضم أجزاء عديدة، ويوجد منه أجزاء في الخزانتين، الملكية والعامة بالرباط.

يبتدئ الباب الثاني بكتاب الصحابة، وهو جزء خاص بهم، ويضم باب فضل الصحابة المهاجرين، تحدث فيه عن مناقب الصحابة الخلفاء الأربعة، ثم باقي الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، ثم سيدتنا فاطمة الزهراء، وعن ولديها الحسن والحسين، ثم أمهات المومنين زوجات النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا هو الجانب الذي يهم بحثي.

❁مقارنة بين «شفاء الصدور» لابن سبع، وبين كتاب «الشفا» للقاضي عياض.

يظهر من كتاب ابن سبع «شفاء الصدور» أنه أوسع كتاب في باب السيرة النبوية بمدلولها الواسع، إذ تطرق لسيرة رسول الله ﷺ، وللصحابة الكرام، إذ جعل لهم جزءا من كتابه هذا خاصا بالصحابة.

---

(1) الخزانة الملكيــة.

فهو يعد من أوائل الكتب التي ألفها العلماء المغاربة.

أما كتاب القاضي عياض، فلم يصل إلى ذلك الحجم الكبير، اذ اكتفى هو بسيرة رسول الله ﷺ. أما الصحابة الكرام فلم يخصص لهم بابا ولا فصلا، وهو في نفس الوقت تأثر به شكلا وموضوعا، وكان من أهم مراجعه[1].

كما استفاد منه آخرون، منهم: أبو العباس أحمد العزفي السبتي في كتابه «الدر المنظم في المولد النبوي المعظم» وصاحب كتاب «المواهب اللدنية في الشمائل النبوية»، لشهاب الدين القسطلاني وغيرهما.

هذا هو ابن سبع العالم السبتي الكبير، الذي أفنى عمره في العطاء العلمي، وكفاه فخرا أن ترك لنا تلك الذخيرة الواسعة، في سيرة رسول الله ﷺ، وفي فضائل صحابة الكرام. وفي باقي العلوم الأخرى، فقد عاش أواخر القرن الخامس الهجري، أي في العصر المرابطي. رحم الله علماءنا، وجزاهم الله على ما قدموا لأمتهم.

كل ما أتمنى من طلابنا الجامعين، وباقي الدارسين والباحثين، أن يخرجوا هذا التراث العلمي الكبير، من الخزائن العلمية ليستفيد منها الناس، وأن يبحثوا عن هؤلاء العلماء الكبار المغمورين.

وفقنا الله جميعا للعمل الصالح وأعاننا عليه بفضله ومنه إنه تعالى سميع الدعاء.

(1) تكلم عن ابن سبع وتآليفه أستاذنا سعيد أعراب رحمه الله في مجلة «دعوة الحق» التي تصدرها وزارة الأوقاف بالرباط.

فهرس المصادر والمراجع

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري، دار النشر: دار الكتاب- الدار البيضاء- 1418هـ/1997م ، تحقيق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، دار النشر: دار الجيل -بيروت/1412هـ الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي(ت852هـ)، دار النشر: دار الجيل-بيروت- 1412هـ/1992م، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي.
- الإيضاح في تاريخ الحديث وعلم الاصطلاح لسعدي ياسين، نشر المكتب الإسلامي: دمشق- بيروت، طبعة/ 1401هـ
- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدراية، الشيخ عبد الحي الكتاني، دار النشر: دار الكتاب العربي- بيروت.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، دار النشر: مكتبة المعارف- الرياض/1403هـ تحقيق: د. محمود الطحان.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، دار النشر: مكتبة المعارف- الرياض/ 1403هـ تحقيق: د. محمود الطحان.
- الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير، اليمامة- بيروت/ 1407هـ-1987م، الطبعة الثالثة، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا.

- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- طوق الحمامة في الألفة والألاف، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار النشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت / لبنان - 1987م، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. إحسان عباس.
- ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ، تأليف ليث سعود جاسم، دار الوفاء للطباعة والنشر، طبعة/1988م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة-بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري التلمساني، دار النشر: دار صادر- بيروت/1388هـ، تحقيق: د. إحسان عباس.

الإمـام الرعيني الأندلسي وكتابه:
«الجامع لما في المصنفات الجوامع من أسماء الصحابة الأعلام أولي الفضائل والأحلام»
ومنهجه في الجمع والتدوين

د.أحمد الخياطي

مُلَخّصُ البَحْث

خلاصة تخطيط الموضوع:

أ- مقدمة موجزة حول تعريف «الصحابي»، ومكانة الصحابة رضوان الله عليهم في الكتاب والسنة.

ب- اهتمام علماء الإسلام شرقا وغربا؛ بتتبع أحوال الصحابة، واستقصاء أعمالهم، وتدوين أخبارهم.

ج- بعض من انتدب نفسه لهذه المهمة، من علماء المغرب والأندلس، كبقي ابن مخلد، وابن عبد البر، وابن فتحون، والغافقي الغرناطي، وأبي المطرف القرطبي، وأبي زيد الأنصاري الدباغ، والرُّشاطي، وعبد الحق الإشبيلي، وغيرهم.

د- ومن هؤلاء الأعلام: الإمام الرعيني؛ أبو موسى عيسى بن سليمان الرندي المالقي:(موضوع البحث).

1. التعريف بالإمام الرعيني
2. التعريف بكتابه «الجامع»
3. منهجه في الجمع والنقد والتدوين
4. نماذج تطبيقية من عمله في الكتاب.

هـ - خاتمة (تلخيص محتوى الكتاب).

الباحث في سطور

الدكتور أحمد الخياطي Ahmed_elhkayatti@hotmail.com

- من مواليد عام 1937 بقبيلة بني جميل ـ إقليم الحسيمة.
- أستاذ التعليم العالي بكلية أصول الدين بتطوان جامعة القرويين.
- دكتوراه الدولة، بمؤسسة دار الحديث الحسنية، عام 1997م، بعنوان: «شواهد التفسير عند ابن عباس في مسائل ابن الأزرق».
- عضو الرابطة المحمدية للعلماء.

من أعماله العلمية المنشورة:

- كتاب فضائل القرآن ومعالمه وآدابه لأبي عبيد القاسم بن سلاَّم دراسة وتحقيق، وهو في أصله بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا.
- له العديد من المقالات العلمية، والقصائد الشعرية منشورة ببعض المجلات المُحَكَّمة.

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الخلق، خاتم الأنبياء والمرسلين. وعلى آله الغر الميامين، من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وعلى صحابته الكرام البررة، الذين قبلوا الحق، ودافعوا عنه، ونشروه، لما انبلج الصبح، وظهر نور الإسلام، وانمحت ظلمات الشرك والجهالة والأوهام، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ﴾[1].

لقد تسابقوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لاعتناق الإسلام؛ زرافات ووحدانا، وأحبوا الرسول ﷺ، وما جاء به من خير عميم وفضل عظيم ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2]، وبفضل إخلاصهم، وصبرهم، وتضحياتهم الجسيمة، بالأنفس، والأهل، والأموال، كتب الله النصر للإسلام، حتى أظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

هؤلاء هم أصحاب رسول الله ﷺ، الذين نبتت محبتهم في قلوب المؤمنين، وازدادوا إكبارا وإجلالا لهم عبر الأحقاب والسنين، فمن هو الصحابي؟.

اختلف العلماء في تعريف «الصحابي» على عدة أقوال يضيق المجال عن ذكرها الآن، وقد لخص البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ القضية في ترجمة (باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومن صحب النبي ﷺ، أو رآه من المسلمين، فهو من أصحابه)[3]، وفصل

---

(1) سورة الأنفال: الآية 4.

(2) سورة الأعراف: الآية 157.

(3) صحيح البخاري: (2/ 288).

الحافظ ابن حجر المسألة وزادها توضيحا؛ حيث قال: «وأصح ما وقفت عليه من ذلك: أن الصحابي من لقي النبي ﷺ، مؤمنا به، ومات على الإسلام؛ فيدخل فيمن لقيه: من طالت مجالسته له، أو قصرت، ومن روى عنه، أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية، ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض؛ كالعمى.

ويخرج بقيد الإيمان، من لقيه كافرا، ولو أسلم بعد ذلك، إذا لم يجتمع به مرة أخرى.

وقولنا: «به» يخرج من لقيه مؤمنا بغيره؛ كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة، وهل يدخل من لقيه منهم، وآمن بأنه سيبعث، أولا يدخل؟ محل احتمال؛ ومن هؤلاء: بحيرا الراهب ونظراؤه.

«ويدخل في قولنا: «مؤمنا به»: كل مكلف من الجن والإنس؛ فحينئذ يتعين ذكر من حفظ ذكره من الجن الذين آمنوا به، بالشرط المذكور...»[1].

أما عن مكانة الصحابة، رضي الله عليهم، فقد تكفلت كثير من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية ببيان فضلهم، وعلو درجاتهم، وما لهم من مزية السبق للإسلام، والوقوف بجانب الرسول ﷺ، في السراء والضراء، والتفاني في نشر عقيدة الإسلام وشريعته، وأخلاقه...

قال الله عز وجل في شأن النبي ﷺ، وصاحبه أبي بكر رضي الله عنه، في رحلة الهجرة المباركة: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...﴾[2].

---

(1) الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر:(7/ 1).
(2) سورة التوبة: الآية 40.

ففي هذه الآية تصريح بالصحبة لأبي بكر رضي الله عنه، وإبراز لمكانة سبقه للإسلام، وتضحيته بجانب الرسول ﷺ، وهو تكريم خاص.

روى البخاري في صحيحه، في (باب مناقب المهاجرين) «عن أنس، عن أبي بكر رضي الله عنه، قال: قلت للنبي ﷺ، وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه، لأبصرنا. فقال: ما ظنك يا أبا بكر باثنين، الله ثالثهما»[1].

ثم يأتي التكريم العام لجميع الصحابة، رضوان الله عليهم؛ حيث نالوا شرف المعية (معية الخير والبركة)؛ قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰناً سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[2].

وفاز صحابة رسول الله ﷺ، برضى الله ومحبته في مواقف كثيرة متنوعة: مواقف المبايعة والسمع والطاعة، ومواقف القتال والدفاع عن الإسلام، ومواقف التعاطف والمودة والرحمة والإيثار، ومواقف أخرى كثيرة، تكفل القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وكتب السيرة النبوية العطرة بعرض صفحاتها المشرقة:

قال الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً...﴾[3].

---

(1) صحيح البخاري: (2/288).
(2) سورة الفتح: الآية 29.
(3) سورة الفتح: الآية 18.

وقال: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصارِ وَالذِينَ إتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداًۖ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1].

وقال: ﴿وَالذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُوثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۖ وَمَنْ يُّوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2].

وقد امتن الله عز وجل على هذا الرعيل الأول من حملة الإسلام؛ جماعة الصحابة الكرام، بالمحبة والتآلف فيما بينهم؛ لأنهم قادة الأمة بجانب الرسول ﷺ، وعليهم سيقع عبء نشر العقيدة الصحيحة، وحمل رسالة الإسلام، لأبناء البشرية كلها، وفي مختلف أرجاء الدنيا. قال الله عز وجل، مخاطبا نبيه ﷺ، في شأن الصحابة والمؤمنين عامة: ﴿هُوَ ٱلذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِالْمُومِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۖ لَوَ اَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3].

وقال: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰناً...﴾[4].

---

(1) سورة التوبة: الآية 100.

(2) سورة الحشر: الآية 9.

(3) سورة الأنفال: الآية 62، 63.

(4) سورة آل عمران: الآية 103.

وروى الإمام مسلم في صحيحه، في (باب مؤاخاة النبيﷺ، بين أصحابه) عن أنس قال: «قد حالف رسول الله ﷺ، بين قريش، والأنصار في داره التي بالمدينة»[1].

وكتب السنة النبوية طافحة بالحديث عن صحابة رسول الله ﷺ، والإيصاء بوجوب احترامهم وتقديرهم، وبيان مكانتهم العالية عند الله، وعند رسول الله ﷺ، وعند المؤمنين أجمعين، إلا من انحرف عن القصد وضل الطريق الحق! طريق الهداية الربانية!.

وفضائل الصحابة ومناقبهم رضوان الله عليهم، كثيرة، مستفيضة تزخر بها كتب الصحابة وكتب السيرة، وكتب التراجم، وهي ثلاثة أقسام فيما يبدو لي:

- منها ما يخص كل صحابي على حدة، بإبراز فضائله، ومؤهلاته.
- ومنها ما يتعلق بالأوصاف العامة المشتركة بين الصحابة رضوان الله عليهم.
- ومنها ما يتعلق بفئة معينة، أو بلدة، أو قبيلة، أو إقليم...

فمن نماذج القسم الأول: (ولا أحتاج لعرض تفاصيلها):

مناقب أمهات المؤمنين، رضي الله عنهن، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبي موسى الأشعري، وزيد بن ثابت، وابن عباس، وحذيفة ابن اليمان، وعمار بن ياسر، وأبي عبيدة بن الجراح، وطلحة، والزبير، وحمزة، والعباس...، وغيرهم كثير، رضوان الله عليهم.

---

(1) صحيح مسلم: (7/ 183).

۞ ومن نماذج القسم الثاني:

قوله ﷺ: «آية الإيمان: حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار». رواه البخاري ومسلم، عن أنس، عن النبي ﷺ[1].

وفي رواية أخرى للبخاري في(باب حب الأنصار) عن البراء بن عازب رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ، أو قال: قال النبي ﷺ: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»[2].

وقوله ﷺ: «قريش، والأنصار، وجهينة، ومزينة، وأسلم، وأشجع، وغفار موالي؛ ليس لهم مولى دون الله ورسوله «رواه البخاري ومسلم، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ[3].

وفي صحيح مسلم: (باب وصية النبي ﷺ، بأهل مصر)؛ قال أبو ذر: قال رسول الله ﷺ: إنكم ستفتحون أرضا، يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرا، فإن لهم ذمة ورحما، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة، فاخرج منها. قال: فمر بربيعة وعبد الرحمن ابني شرحبيل بن حسنة، يتنازعان في موضع لبنة، فخرج منها»[4].

---

(1) زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، لمحمد حبيب الله الشنقيطي (1/ 126).

(2) صحيح البخاري (2 / 310).

(3) زاد المسلم(1/ 267).

(4) صحيح مسلم (190/ 7).

ومن نماذج القسم الثالث:

عن ابن مسعود ﷺ، قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الناس خير؟ قال: قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم... أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في (باب فضل الصحابة، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)[1].

وأخرج مسلم أيضا في: (باب تحريم سب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ). «عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: لا تسبوا أصحابي... فو الذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا، ما أدرك مد أحدهم، ولا نصيفه»[2]. وأخرجه أيضا الإمام أحمد ومسلم، عن أبي سعيد الخدري[3].

وعن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ، قال: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. قال عمران: لا أدري ذكر اثنتين، أو ثلاثا بعد قرنه، ثم يجيء قوم يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون، ولا يستشهدون، وينذرون، ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن». رواه البخاري ومسلم، عن عمران بن حصين، عن رسول الله ﷺ[4].

وفي رواية أخرى، للبخاري ومسلم؛ عن ابن مسعود عن النبي ﷺ «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم... »[5].

وفي رواية أخرى عن عمران بن حصين بلفظ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[6].

---

(1) صحيح مسلم (184/ 7)، وزاد المسلم (1/ 183).
(2) صحيح مسلم (188/ 7).
(3) البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف (304/ 3).
(4) زاد المسلم (1/ 183).
(5) نفسه (1/184).
(6) صحيح البخاري (2/287).

وفي رواية عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...»[1].

هؤلاء هم صحابة رسول الله ﷺ؛ عيون الأمة، وقدوة كافة المسلمين إلى انقراض الدنيا، فجزاهم الله عنا خير الجزاء بما صبروا، وبما عملوا، وبما بثوا من عقيدة وشريعة وأخلاق، وبما حملوا لنا عن رسول الله ﷺ، من قرآن كريم، وسنة طاهرة، ولولاهم لما وصلت إلينا نفحات هذه الرحمة الربانية، ولا نقطع سلك التواصل الذي يربط بين ماضي الأمة، وبين حاضرها.

وهنا نردد مع الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله؛ في قصيدته: (حرز الأماني...):

جزى الله بالخيرات عنا أئمة ... لنا نقلوا القرآن عذبا وسلسلا[2].

ومن هنا كان الواجب على علماء الإسلام، وحماة الشريعة أن يخلدوا ذكرى هؤلاء الصحابة الكرام بتسجيل أسمائهم، وتدوين أخبارهم وأحوالهم كلها؛ فهيأ الله لذلك العمل الجليل نبغاء ومفكرين في كثير من أنحاء الدنيا؛ شرقا، وغربا، وحفاظا وعلماء أجلة، وكان في طليعتهم من العلماء المشارقة: الأئمة الأعلام: الإمام البخاري، والإمام أبو القاسم البغوي، والإمام خليفة بن خياط، والإمام محمد بن سعد صاحب الطبقات، والإمام يعقوب بن سفيان، والإمام ابن أبي خيثمة، والإمام أبو بكر بن أبي داود، والإمام عبدان: عبد الله بن محمد المروزي، والإمام مطين[3]، والإمام علي بن السكن، والإمام أبو حفص ابن شاهين، والإمام أبو منصور الماوردي، والإمام أبو حاتم ابن حبان، والإمام الطبراني، والإمام أبو عبد الله بن منده، والإمام أبو نعيم الأصبهاني، والإمام أبو موسى المديني.

---

(1) صحيح البخاري(2 /288).

(2) إبراز المعاني: (ص23).

(3) مطين؛ هو الحافظ أبو جعفر محمد بن عبد الله الكوفي؛ (ت297هـ)؛ (طبقات الحفاظ للسيوطي288).

وفي القرن السابع الهجري نجد الإمام عز الدين ابن الأثير جمع حصيلة من سبقه من هؤلاء وغيرهم؛ ممن لا يمكن إحصاؤهم، والإحاطة بأعمالهم، فألف كتابه الحافل الشهير (أسد الغابة في معرفة الصحابة)، المشتمل على 7554 علما.

ولئن كان قد لوحظ عليه عدم تنبهه إلى أوهام من سبقه، وخلطه من ليس صحابيا بهم. فعذره الذي يشفع له، هو أنه تابع لمن قبله، وكثرة ما اجتمع لديه من أسماء الصحابة الذين أوصل عددهم إلى 7554، مما قد يحتاج معه إلى وقت طويل للمقارنة والتدقيق والتمحيص، ويرحم الله الشيخ خليل المالكي (ت776هـ)، حيث يقول في نهاية مقدمة (المختصر): «فقلما يخلص مصنف من الهفوات أو ينجو مؤلف من العثرات»[1]، ثم جرد هذا الكتاب الضخم الإمام الذهبي، وصحح كثيرا من الأوهام، وأضاف كثيرا من أسماء الصحابة[2].

وفي خاتمة المطاف جاء الحافظ ابن حجر، من أشهر تلامذة الإمام الذهبي، فألف كتابه الحافل، والذي ميز فيه الصحابة من غيرهم، وسماه: (الإصابة في تمييز الصحابة)، فأبدع وأجاد وأفاد! رحمهم الله أجمعين، وبارك فيمن اقتدى بهم وتبعهم إلى يوم الدين[3].

---

(1) مقدمة مختصر الشيخ خليل (ص3) طبعة حجرية، بفاس 1322هـ.

(2) انظر تجريد أسماء الصحابة؛ في جزءين. مطبوع.

(3) انظر في أسماء هؤلاء الحفاظ الأعلام كتب هذا الشأن، مثل: وفيات الأعيان؛ لابن خلكان، وسير أعلام النبلاء، وتذكرة الحفاظ، وطبقات الحفاظ؛ للسيوطي، وطبقات علماء الحديث، والرسالة المستطرفة، وفهرس الفهارس والأثبات، والنجوم الزاهرة، وحسن المحاضرة، وغيرها كثير، وتاريخ بغداد، وتاريخ إربل، وتاريخ دمشق؛ لابن عساكر، وتاريخ أصبهان؛ لأبي نعيم، وتاريخ جرجان؛ للسهمي، وذيل تاريخ بغداد؛ لابن النجار، وذيل آخر للدبيثي، وتوضيح المشتبه، لابن ناصر الدين الدمشقي، وكتب الحافظ ابن حجر، والأنساب للسمعاني، وتهذيب الأنساب، لابن الأثير، واللباب؛ للسيوطي، وديوان الإسلام؛ لابن الغزي...

ورغم المجهود الكبير الذي قدمه الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإنه يعترف بأنه لم يستطع أن يحصل إلا على أقل من العشر من أسامي الصحابة الرواة، رضوان الله عليهم، حيث يقول: «فجمعت كتابا كبيرا في ذلك، ميزت فيه الصحابة عن غيرهم، ومع ذلك، فلم يحصل لنا من ذلك جميعا الوقوف على العشر من أسامي الصحابة، بالنسبة إلى ما جاء عن أبي زرعة الرازي، قال: توفي النبيﷺ، ومن رآه، وسمع عنه زيادة على مائة ألف إنسان؛ من رجل، وامرأة، كلهم قد روى عنه سماعا، أو رؤية...»[1].

ومن العلماء المغاربة؛

➢ **الأئمة:** الحافظ ابن عبد البر القرطبي، والحافظ أبو بكر ابن فتحون، والحافظ سليمان بن موسى الكلاعي، وله ثلاثة كتب في الصحابة[2]، والحافظ الرشاطي صاحب: (اقتباس الأنوار...) الذي اختصره محمد بن عبد الرحمن الغساني الغرناطي[3]، والقاضي عتيق بن أحمد الغساني الغرناطي[4]، والقاضي ابن عسكر المالقي؛ محمد بن علي (له كتابان في الصحابة)[5]، والإمام ابن بشكوال؛ أبو القاسم خلف بن عبد الملك، له: (غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة)[6]، والإمام ابن حزم علي بن أحمد، له: (أسماء الصحابة الرواة، وما لكل واحد من العدد)[7]، وله: (أصحاب الفتيا من الصحابة والتابعين)[8]، والحافظ ابن

---

(1) مقدمة الإصابة (1/ 3).

(2) الإحاطة(4/ 309295 –).

(3) نفسه (3/ 175).

(4) نفسه (4 / 80-82).

(5) نفسه (175-172/ 2).

(6) الكتاب مطبوع.

(7) الكتاب مطبوع.

(8) الكتاب مطبوع.

سيد الناس: محمد بن محمد اليعمري الإشبيلي له (تحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة)[1] والإمام الحافظ النقاد أبو موسى عيسى ابن سليمان الرعيني الرندي المالقي، الذي سنقف معه طويلا، ومع كتابه: (الجامع لما في المصنفات الجوامع...)[2]، والعلامة: أبو العرب، له (طبقات علماء إفريقيا)[3]. ذكر جماعة من الصحابة من (ص11 ـ 26). والإمام الحافظ عبد الحق الإشبيلي، له مختصر كتاب الرشاطي[4]، والإمام أبو علي الغساني له مختصر (الرشاطي)[5]، والإمام الحافظ بقي بن مخلد القرطبي، والإمام الغافقي الغرناطي، الملاحي: محمد بن عبد الواحد، والإمام أبو المطرف القرطبي عبد الرحمن بن محمد بن فطيس[6]، والإمام أبو زيد عبد الرحمن الدباغ، له (معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان)، خصص لأسماء الصحابة الذين دخلوا القيروان، في الجزء الأول من (ص71 إلى 179)[7]. والعلامة: عبد الرحمن ابن العراقي الفاسي، له (مختصر الصحابة)[8].

والشيخ محمد أبو راس بن أحمد الناصر، له (الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة)[9].

---

(1) النجوم الزاهرة (9 / 303).

(2) مخطوط، مبتور الأول والوسط.

(3) مطبوع.

(4) عنوان الدراية(42)، ونشر المثاني (1/ 52).

(5) أسد الغابة (1/ 10).

(6) قضاة الأندلس(87 ـ 88).

(7) الكتاب مطبوع.

(8) انظر فهرس الفهارس:(824).

(9) انظر (تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان)، لمحمد بن صالح الكناني القيرواني (ص297).

➢ **ومن هؤلاء العلماء الأعلام**، في الجناح الغربي للعالم الإسلامي، الذين ألفوا كليا، أو جزئيا في موضوع الصحابة، رضوان الله عليهم: الإمام الرعيني.

فمن هو هذا الإمام الذي لمع في الأندلس نجمه، وأضاء في سماء المشرق فكره وفهمه، وبخسه كثير من العلماء المترجمين حقه، ولم ينل منهم حظه ومستحقه؟!.

إنه العلامة الحافظ المتقن أبو موسى عيسى بن سليمان بن عبد الله بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد الرعيني الأندلسي[1].

هكذا جاء اسمه ـ رحمه الله ـ بخطه، في سماع «جزء جمع طرق حديث: (من كذب علي متعمدا...) للطبراني 17 شوال سنة 618 هـ، بسفح جبل قاسيون، بخط أبي محمد الرعيني».

وكنيته: أبو موسى، وأبو محمد، ولقب في المشرق بلقب: «رشيد الدين»، وكان يعرف به هناك[2].

وولد الحافظ الرعيني سنة؛ إحدى وثمانين وخمسمائة بقرية: «يلمالتين» من قرى منطقة (بشتغير). أصله من «رندة»، واستوطن: «مالقة»، وأخذ عن مشايخ الأندلس، وسبتة، ورحل إلى المشرق في مطلع القرن 7هـ، وبقي هناك ـ بعد أن حج ـ رحالة متجولا، آخذا عن كبار شيوخ العصر، في الحجاز، والعراق، والشام، بمدلوله التاريخي الواسع، ولاسيما بدمشق، حيث أكثر من المشيخة والرواية، وبمصر أيضا.

---

(1) نفح الطيب: (2/ 380).

(2) ذكره صاحب «تاريخ إربل»: شرف الدين أبو البركات المستوفى، المبارك بن أحمد بن أبي البركات اللخمي الإربلي، وزير إربل وقاضيها ومؤرخها ولد سنة 564هـ وتوفي بالموصل سنة 637هـ، ذكره بلقب: «رشيد الدين»، وكان يعرف به. انظر نفح الطيب (2/ 380)، والذيل والتكملة/ السفر 5، القسم (2 / 495).

ثم رجع إلى المغرب أواخر سنة إحدى وثلاثين وستمائة، فتولى الإمامة بمسجد «مالقة»، و بها توفي سنة 632هـ[1]، وله إحدى وخمسون سنة. قال ابن عبد الملك متحسرا على فقدانه: «ولم يطل الإمتاع به»! [2]؛ بعد أن تعرض، في أثناء عودته إلى الأندلس بأسر العدو، فذهب منه أكثر ما جلب[3].

۞ نسبته:

فهو «**الرعيني**»؛ نسبة إلى أصله العربي: «رعين» إحدى القبائل اليمنية المعروفة، ولذلك اقتصر الحافظ ابن حجر على قوله: «رعين»: ظاهر[4].

وقال ابن الأثير: «الرعيني، هذه النسبة إلى ذي رعين، وهو من أقيال اليمن، نزل جماعة منهم مصر». وهو **الرندي**، بضم الراء وسكون النون، نسبة إلى «رندة»؛ إحدى المدن الأندلسية القديمة، وهي حصن حصين بين إشبيلية، ومالقة، في جنوبي إسبانيا، بها آثار إسلامية رائعة[5].

وهو **المالقي**: نسبة إلى «مالقة»، ضبطها ياقوت الحموي، بفتح اللام والقاف، وهي إحدى المدن الأندلسية القديمة على البحر المتوسط، أسسها الفنيقيون، وكانت الميناء الرئيسي لمملكة (غرناطة) العربية الإسلامية، إلى أن أسقطها الإسبان، و بها أطلال القصر العربي[6].

---

(1) نفح الطيب (2/ 380)، سير أعلام النبلاء:(22/ 23 ـ 24)، صلة الصلة/ القسم (4/ 55).

(2) الذيل والتكملة: السفر 5/ القسم (2/ 496).

(3) نفس المرجعين؛ بالهامش (1) أعلاه.

(4) انظر تبصير المنتبه بتحرير المشتبه (4/ 1338)، للحافظ ابن حجر، ومعجم البلدان: «رعن» (3/ 52)، اللباب في تهذيب الأنساب:(2/ 31).

(5) معجم البلدان (رند) (3/ 73)، الموسوعة العربية (1/ 881).

(6) الموسوعة العربية (2/ 1742)، معجم البلدان (مالقة) (5/ 43).

والإمـام الرعيني، أغفل كثير من العلمـاء ترجمته، ولا ندري السر في ذلك، رغم أنـه عاش في المغرب، والمشرق معا، وتجـول في كثـير مـن أقطـار العـالم الإسـلامي، وأخـذ وأعطى فنونا من العلم، عن طريق التلمذة، والمشيخة، وأجاز، واستجاز.

كمـا أن كتبه لم ينتشر ذكرها، وحتى إذا كان معجمه قد ذكر باسمه، فإن كتابه الآخـر العظيم الشأن ذا القيمة العلمية الكبيرة المسمى: (الجامع لما في المصنفات الجوامـع...) الذي نحن بصدد الحديث عنه، لم يشتهر اسمه، ولم يذكر عند معظم مترجميه، إلا بكـون صاحبه: الإمـام الرعيني، له معجـم، وكتـاب في الـصحابة. هكـذا بـدون وصـف أو تعيين!.

ولا بأس أن نذكر ـ هنا ـ بعض من ترجمه، أو نص عـلى كتبـه؛ كالإمــام الـذهبي[1]، وابن ناصر الدين الدمشقي[2]، وابن عبـد الملـك المراكـشي[3]، والمقـري التلمـساني[4]، وابــن الأبــار القــضاعي البلنــسي[5]، وابــن عــبد الهــادي الدمــشقي[6]، والإمــام السيوطي[7]، وأبي جعفر بن الزبير الغرناطي[8]، وابن الأزرق الغـرناطـي[9]، والكتـاني

(1) تذكرة الحفاظ (4/ 1457)، سير أعلام النبلاء:(22/ 23).

(2) توضيح المشتبه (4/ 128)، وذكره أيضا ـ مؤرخا وفاته برمز أعداد الحروف، إذ قال في: «بديعـة البيـان» (من بحر الرجز) :

(ثم أبو موسى، الرعيني: عيسى ﷺ خير له بضبطه النفيسا).(أي سنة 632 ه).

(3) الذيل والتكملة، السفر 5/ القسم 2/ 495).

(4) نفح الطيب (2/ 380).

(5) التكملة لكتاب الصلة: (4/ 15).

(6) طبقات علمـاء الحديث (4/ 242-244).

(7) طبقات الحفاظ: (506).

(8) صلة الصلة/ القسم (4/ 55).

(9) روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام (1/ 243).

عبد الحي[1]، وعمر رضا كحالة[2]، وخير الدين الزركلي[3]، وإسماعيل باشا البغدادي[4]، والتجيبي[5]، وابن العماد الحنبلي[6].

والأمر العجيب، والغريب، والمحير حقا، هو إغفال الحافظ ابن حجر ترجمة هذا الإمام الحافظ الكبير «الرعيني» فما هو السبب؟ !.

منذ مدة طويلة، وأنا أبحث عن جواب مقنع لهذا السؤال، مع نفسي، وفي مطالعاتي، وفي المذاكرة مع كثير من أهل العلم، فلم أظفر بما يشفي ويكفي !. هل كان الحافظ ابن حجر ـ وهو من هو، ومن أهل هذا الشأن ـ لا يعرف الإمام الرعيني، ولا يسمع به، ولا بمؤلفاته، وخاصة كتابه (الجامع لما في المصنفات الجوامع...)، وكيف يترجم للرعيني شيخ الحافظ ابن حجر: الإمام الذهبي في كثير من كتبه، وكذلك يترجم له تلميذ ابن حجر: الإمام السيوطي، ولا يعرف الحافظ ابن حجر كل هذا؟ !.

نعم قد يعذر الحافظ ابن حجر في هذا لو كان الرعيني معاصرا له، وافترضنا أن المعاصرة قد تكون حجابا ـ لسبب أو لآخر ـ بين الأقران، ولكن هذا غير موجود! وينزه الحافظ ابن حجر عن هذا الظن.

وقد يعذر أيضا في ذلك لو عاش الرعيني في الأندلس، فقط، ولم ينتشر خبره،ولا خبر كتابه، ولكن الرعيني عاش في المشرق متنقلا بين الحجاز، والعراق، ومصر، والشام لمدة 23 سنة، وتلقى كثيرا من العلوم عن شيوخ الإسكندرية التي كانت آنذاك

---

(1) فهرس الفهارس (2/ 614، 805 ـ 806).
(2) معجم المؤلفين: (8/ 25).
(3) الأعلام:(5/ 287).
(4) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: (2/ 307، 509)، هدية العارفين (1/ 809).
(5) برنامج التجيبي. انظر هامش (ص66، 108).
(6) شذرات الذهب:(5/ 156).

تشهد حركة علمية نشيطة، وتعج بالطلاب الوافدين عليها من مختلف الأرجاء، وألف كتابه في الصحابة (الجامع...) بدمشق التي طال مكثه فيها مدة اثنتي عشرة سنة.

وأيضا فإن الرعيني (ت632 هـ) عاصر ابن الأثير صاحب (أسد الغابة...) المتوفى سنة 630 هـ. فكيف يعتمد الحافظ ابن حجر كتاب هذا، ولا يعتمد كتاب ذاك، بل، ولا يتحدث عنه، ولا عن صاحبه، ولا يترجم له إطلاقا فيما قرأت؟!

وبعد هذه النبذة عن حياة الإمام الرعيني، وعن مراجع ترجمته، نقف مع أهم أثر من آثاره العلمية، والذي احتفظت الأيام والسنون ببعض ما تبقى منه، وهو كتابه:

(الجامع لما في المصنفات الجوامع، من أسماء الصحابة الأعلام أولي الفضائل والأحلام).

لقد ذكرت ـ فيما سبق ـ طائفة من الأعلام الذين ترجموا للإمام الرعيني، ولم يصفوا كتابه إلا بكونه «كتابا في الصحابة»، دون ذكر اسم الكتاب، وغالبا ما يقرنون به كتابه الآخر «المعجم»، ولم يسم الكتاب باسمه إلا النادر منهم؛ كالإمام ابن الأزرق؛ أبي عبد الله محمد بن علي الحميري، الأصبحي الغرناطي المتوفى سنة 896هـ؛ حيث سمى الكتاب باسمه، من أوله إلى كلمة «الصحابة»، ونقل عنه، من خط مؤلفه(1).

وجاء على الورقة الأولى من المخطوط الذي بين أيدينا: «كتاب الجامع لما في المصنفات الجوامع، من أسماء الصحابة الأعلام؛ أولي الفضائل والأحلام، مبتدئا بأسماء المحمدين، تعظيما لعلم خير النبيئين، صلى الله عليه وعلى آله المرضيين، وصحابته المهديين».

(1) روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام (1/ 243).

ثم كتب في نهاية المخطوط ما يلي: «آخر كتاب الجامع لما في المصنفات الجوامع، من أسماء الصحابة الأعلام، أولي الفضائل والأحلام، رضي الله عنهم، وفرغ من ترتيبه عبيد ربه الفقير إليه، الغني به: عيسى بن سليمان بن عبد الله بن عبد الملك بن عبد الله ابن محمد الرعيني الأندلسي المالقي، عفا الله عنه، وعن والديه، وعن جميع المسلمين، ونفعه به، وكل من رآه، أو طالعه، أو نظر فيه بمنه ورحمته، وذلك في سلخ سنة ثمان وعشرين وستمائة بمنزله بدمشق... »[1].

فهذا هو الفيصل في تحقيق اسم الكتاب، وصحة نسبته إلى الإمام الرعيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هذا وإن محتوى الكتاب يعبر عنه عنوانه أصدق تعبير؛ والحصيلة، هي: أن الإمام الرعيني قد جمع في كتابه «الجامع..» ما تفرق في غيره من أمهات كتب الصحابة، وزاد عليها ما حصل عليه من قراءاته، ومرويات شيوخه، وما أضفى عليها من تأملاته واجتهاداته، ومن حسه النقدي، وخبرته الطويلة...

ومخطوط كتاب «الجامع...» للرعيني، من ضمن مخطوطات الخزانة الحسنية بالرباط، وهي النسخة الوحيدة، وقد حصلت على مصورتها منذ مدة، وكنت عقدت العزم على تحقيقها، رغم ما يعتريها من نقص، في أولها، ووسطها، ورغم ما فيها من بياض بعض الصفحات، أو محوها، نظرا لقيمة الكتاب العلمية، والمنهجية، غير أني فوجئت بتسجيل طالب بدار الحديث الحسنية رسالته في موضوع: «الإمام الرعيني»، فتوقفت عن مواصلة العمل، إفساحا لرغبة الطالب المذكور[2].

---

(1) مخطوط «الجامع...»، ورقة: 639.

(2) هو الأستاذ محمد ياسر الشعيري، ويشهد الله أنه بذل مجهودا كبيرا، وأن عمله كان جيدا للغاية، نفع الله به، وكثر أمثاله.

جزأ المؤلف كتابه إلى ثمانية وعشرين جزءا، والجزء عنده في معنى «الكراسة» وخط الكتاب، من أوله إلى آخره: خط مغربي، دقيق جميل، إلا أن أسماء التراجم كتبت بخط غليظ؛ لفتا لنظر القارئ، وإسعافا على الاطلاع والتيسير. وزودت طرر كثير من الصفحات بهوامش مفيدة، قد تكون سقطت أحيانا من نص الكتاب، وتكون أحيانا أخرى عبارات عن تعليقات حول مضمون النص، أو توضيح إشكال...

وهذه المخطوطة كانت بفاس عند أبي العلاء العراقي الفاسي، وباعها بعض أبنائه، وتقع في 314 ورقة؛ 640 وجها، وناسخها هو: عبد الله بن يوسف الحاج الرهوني، من خط المؤلف (الرعيني)؛ وذلك سنة 1088هـ.

ومما يجدر ذكره أن كلا من الإمامين: ابن رشيد السبتي، وابن الأزرق الغرناطي، قد اطلعا على المخطوطة الأم. فأين ذهبت؟ وهل من سبيل إلى العثور عليها، وإخراجها من بين رفوف وركام المخطوطات؟ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾[1].

هذا عن الوصف الخارجي للمخطوطة، أما عن منهج الرعيني - رحمه الله - في الاستقراء والجمع، والنقد، والتدوين؛ فقد ضاعف جهده، وأفرغ كل طاقاته في تتبع المصنفات الجوامع الأولى، وسبر أغوارها، واستقصاء أخبارها، وتمحيص رواياتها، ناقدا، موجها، مصوبا ما قد يبدو له أنه من قبيل الأخطاء، أو الأوهام..

وهكذا عمد الإمام الرعيني إلى تلك المصنفات الجوامع؛ التي رتب معظمها أصحابها على الحروف، وقسموها إلى أربعة أقسام:

- القسم الأول: أسماء الرجال.

(1) سورة الإسراء: الآية 51.

- القسم الثاني: كنى الرجال.
- القسم الثالث: أسماء النساء.
- القسم الرابع: كنى النساء.
- ومنهم من يضيف قسما خامسا للمبهمات.

فأخذ من تلك المصنفات الجوامع، ومحص الروايات، واستعمل الميزان النقدي، ويتجلى ذلك في تعامله مع مصادره التي نقل عنها، في كتابه (الجامع)، وهي كثيرة، يرمز إليها برموز الحروف. والرموز عنده نوعان: رموز يشير بها لأسماء المؤلفين، ورموز يشير بها لأسماء المؤلفات، وكل مؤلف يختار رموزه التي يعبر بها عن مقصوده؛ ويشرحها في مقدمة كتابه؛ كاختيارهم ـ مثلا ـ حرف (خ) للبخاري، وحرف (م) لمسلم، وحرف (د) لأبي داود، وحرف (ت) للترمذي، وحرف (ن) للنسائي، وهكذا.

ولو لم تضع مقدمة كتاب الرعيني: (الجامع...)؛ لتبين لنا ـ دون عناء كبير ـ مقصوده من تلك الرموز كلها، وما أكثرها في كتابه ! حيث يضعها فوق الاسم المترجم، وأحيانا تحته، وأحيانا هما معا، وأحيانا يدرجها داخل النص. ولكل حالة من هذه الحالات الأربع دلالة خاصة على مراد المؤلف منها.

وقد خصص المؤلف رموزا يرمز بها **لتلك المصنفات الجوامع** التي نقل عنها، مثل: «خ» للبخاري. «ند» لابن منده. «نع» لأبي نعيم. «بغ » للبغوي. «كن» لابن السكن. «قا» لابن قانع. «قط» للدارقطني. «بر» لابن عبد البر. «كو» لابن ماكولا. «فت» لابن فتحون، «طل» للطليطلي. «بش» لابن بشكوال. «مو» لأبي موسى. وهكذا...

والمصنفات الجوامع التي بنى الرعيني كتابه (الجامع) عليها، هي الآتية:

- التاريخ الكبير، للإمام البخاري (ت256هـ) وهو مرتب على الحروف.

- معجم الصحابة، لأبي القاسم البغوي (ت317هـ).
- الحروف في أسماء الصحابة، لابن السكن (ت 353هـ).
- المعجم الكبير، للطبراني (ت 360 هـ).
- معرفة الصحابة، لابن منده (ت 395هـ).
- معرفة الصحابة، لأبي نعيم الأصبهاني (ت 430 هـ).
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر القرطبي (ت 463 هـ).
- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف في الأسماء والكنى والأنساب، لابن ماكولا (ت475هـ).
- الاستلحاق على كتاب الاستيعاب، لابن فتحون الأوريولي (ت 520 هـ).
- الإعلام بالخيرة الأعلام من أصحاب النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لابن الأمين الطليطلي (ت544هـ).
- الزيادات على الإعلام بالخيرة الأعلام، لابن بشكوال (ت 578 هـ).
- المستفاد بالنظر والكتابة من زيادة معرفة الصحابة، لأبي موسى المديني (ت581هـ).

والإمام الرعيني لم يكن مقيدا في تراجمه بما في «المصنفات الجوامع»، وإنما يستعمل كل ما يعينه على الترجمة، سواء كان من المتأخرين ـ بالنسبة له ـ كالحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق»، أو كان من المتقدمين كأبي جعفر ابن حبيب(ت245هـ) في كتابه الشهير: «المحبر». ولله عاقبة الأمور.

وحرر بطنجة في: 20 صفر الخير1431 هـ/5 فبراير2010 م

بقلم: د.أحمد بن عبد الواحد الخياطي.

فهرس المصادر والمراجع

- المصحف الشريف
- إبراز المعاني من حرز الأماني. لأبي شامة، ط. الحلبية ـ القاهرة ـ 1402هـ1981م.
- الإحاطة في أخبار غرناطة. لسان الدين ابن الخطيب، طبعة 1973/2، بالقاهرة.
- الإستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (بهامشه الإصابة)
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، طبعة دار الفكر ـ بدون تاريخ.
- أسماء الصحابة الرواة، لابن حزم، طبعة 1، دار الكتب العلمية/بيروت. 1992.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، طبعة بعة جديدة بالأوفست عن طبعة 1.
- أصحاب الفتيا من الصحابة من الصحابة والتابعين.. لابن حزم، طبعة 1 دار الكتب العلمية، بيروت 1995.
- الأعلام للزركلي، طبعة 3 بيروت 1969.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل باشا البغدادي. مكتبة المثنى، بدون تاريخ.
- برنامج التجيبي السبتي، طبعة ليبيا 1981.
- البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، لابن حمزة الحسيني، طبعة 1. المكتبة العلمية. بيروت 1980.
- تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار، لابن حزم، طبعة1969/ 1. بيروت.
- تاريخ قضاة الأندلس، للنباهي، طبعة : المكتب التجاري/بيروت. بدون تاريخ.
- التاريخ الكبير للبخاري، طبعة دار الكتب العلمية/بيروت، بدون تاريخ.
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، لابن حجر، طبعة /الدار المصرية للتأليف، بدون تاريخ.
- تجريد أسماء الصحابة، للذهبي، طبعة دار المعرفة/بيروت ـ بدون تاريخ.

- تذكرة الحفاظ، للذهبي، ط. دار إحياء التراث العربي/بيروت. بدون تاريخ.
- التكملة لكتاب الصلة، لابن الأبار، طبعة دار المعرفة، المغرب، بدون تاريخ.
- تكميل العلماء، للكناني القيرواني، طبعة المكتبة العتيقة بتونس، طبعة 1970/1.
- توضيح المشتبه، لابن ناصر الدين الدمشقي، طبعة 1، مؤسسة الرسالة. بيروت 1993.
- الجامع الصحيح، للإمام البخاري ط. الحلبية، مصر، بدون تاريخ.
- الجامع الصحيح، للإمام مسلم، طبعة دار الفكر، بدون تاريخ.
- الجامع للرعيني صاحب «الجامع... »؛ موضوع هذا البحث.
- حسن المحاضرة للسيوطي، للسيوطي، طبعة 1، مصر1967.
- ديوان الإسلام، لابن الغزي، طبعة 1. دار الكتب العلمية، بيروت 1990.
- الذيل والتكملة، لابن عبد الملك المراكشي، طبعة دار الثقافة/بيروت، بدون تاريخ.
- الرسالة المستطرفة لمشهور كتب السنة المشرفة، لمحمد بن جعفر الكتاني.
- روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، لابن الأزرق، طبعة 1، المدينة المنورة: 1999.
- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، للشنقيطي، طبعة إحياء دار التراث العربي. بيروت، بدون تاريخ.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، مؤسسة الرسالة طبعة 1/بيروت 1985.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، طبعة بيروت. بدون تاريخ.
- صلة الصلة، لابن الزبير، طبعة وزارة الأوقاف المغربية 1994.
- طبقات الحفاظ، للسيوطي، طبعة1، مكتبة وهبة 1973.
- طبقات علماء إفريقيا، لأبي العرب، طبعة دار الكتاب اللبناني، بيروت. بدون تاريخ.
- طبقات علماء الحديث، لابن عبد الهادي، طبعة 1، مؤسسة الرسالة، بيروت1989.
- عنوان الدراية، للغبريني، طبعة 1/بيروت 1969.

- غوامض الأسمـاء المبهمة، لابن بشكوال، طبعة 1. عالم الكتب، بيروت1987م.
- فهرس الفهارس والأثبات، لعبد الحي الكتاني، طبعة دار الغرب الإسلامي، بـيروت. بـدون تاريخ.
- اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير، طبعة : دار صادر. بيروت. بدون تاريخ.
- مختصر الشيخ خليل، طبعة 1/ الحجرية بفاس 1322هـ
- معالم الإيمـان في معرفة أهل القيروان، طبعة 2، المكتبة العتيقة. تونس 1993.
- معجم البلدان ط. دار صادر، بيروت 1957.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبـد البـاقي. مطـابع الـشعب بمـصر، بدون تاريخ.
- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، طبعة المثنى. بيروت 1957.
- معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني، طبعة1998، الرياض.
- الموسوعة العربية، طبعة 1959.
- نشر المثاني، للقادري، طبعة دار المغرب للتأليف. الرباط، 1977.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري. ط. دار صادر 1968.

حضور الصّحابة في التّراث الأندلسي
كتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»
لابن عبد البَر نموذجا

د. الصّادق كرشيد

مُلَخّصُ البَحْث

من المعلوم أن حضور الصحابة في تراث المغرب والأندلس عموما كان حضورا مميزا بفضل ما بذلوه من جهود في نشر الإسلام، وتحقيق الوئام بين ساكني تلك المناطق، مما مكنهم من أن يحظوا بالكثير من مظاهر التقدير والعناية كما يتجلى ذلك في عديد من المجالات.

ويمكن اعتبار موسوعة «الاستيعاب في أسماء الأصحاب» للفقيه الحافظ الإمام يوسف بن عبد الله بن عبد البر النّمري، أحد أبرز وجوه ذلك الاهتمام من طرف الأندلسيين مما شجعنا على اختياره كنموذج سنحاول من خلاله تشخيص منهج أحد أعلام الأندلس في التعريف بصحابة رسول الله ﷺ، والذَّبّ عنهم، وما حققه من إضافات منهجية ومعرفية، وإشعاع داخل الأندلس وخارجها.

وهكذا فإن هذه المحاولة تتنزل في إطار ما يبذل من جهود من أجل رد الاعتبار لصحابة رسول الله ﷺ في ظل ما يواجهه الإسلام اليوم من حملات تشويه طالت مختلف رموزه ومرتكزاته، وفي سباق التأسيس لخطاب ديني مختلف يجذّر قيم الاعتزاز بصحابة رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، والذود عنهم، وفق ما يتناسب مع خصوصية سياقاتنا المحلية والإقليمية والدولية.

الباحث في سطور

الدكتور الصّادق كُرشيد korchids@ yahoo.fr

- أستاذ التعليم العالي بجامعة الزيتونة بتونس.
- أستاذ الحديث والسّيرة بالمعهد العالي لأصول الدّين.
- رئيس وحدة بحث «الحديث والسّيرة» بجامعة الزّيتونة.
- دكتوراه الدولة في علوم الحديث.
- شارك في العديد من المؤتمرات العلميّة الوطنيّة والدّوليّة، ونشر له عشرات الأبحاث في مجلات علمية محكمة.

من أعماله المنشورة:

- كتاب عناية الجاحظ بالقرآن والسنة.
- كتاب أبو داود السجستاني ومنهجه في علم الحديث.
- كتاب المرجع في المعجزات والتّبوءات.
- كتاب ضوابط الاحتجاج بالحديث النبوي.

مُقدِّمة

من المعلوم أنّ حضور الصّحابة الكرام ـ رضوان الله عنهم ـ في تّراث بلاد المغرب والأندلس عموما كان حضورا مميّزا بفضل ما بذلوه من جهود في نشر الإسلام، وحقّقوه من وئام بين متساكني الأقاليم المفتوحة، مشرقا ومغربا، مما جعلهم يُحظوْن على مرّ القُرون بالكثير من مظاهر التقدير والعناية.

ويمكن اعتبار «الاستيعاب في أسماء الأصحاب» للفقيه الحافظ الإمام يوسف بن عبد الله بن عبد البَر النّمري، أحد أبرز مظاهر ذلك الاهتمام من طرف علماء الأندلس، الأمر الذي شجّعنا على اختياره كنموذج سنحاول من خلاله تشخيص منهج مصنِّفه في التّعريف بالصّحابة الكرام، وذَوْدِه عنهم، وما كانت لابن عبد البر من إضافات، وتحقّق له بفضل ذلك من إشعاع داخل الأندلس وخارجها.

تتنزّل هذه المحاولة في إطار ما يُبذل من جهود من أجل ردِّ الاعتبار لصحابة رسول الله ﷺ في ظلّ ما يواجهه الإسلام اليوم من حملات تشويه طالت مختلف مُرتكزاته ورُموزه، وفي سياق التأسيس لخطاب دينيّ مختلف يجذّر قيم الاعتزاز والاقتداء بذلك الجيل والذّود عنه، وفق ما يتناسب مع خصوصيّة سياقاتنا المحليّة والإقليميّة والدّوليّة.

❁ الحياة الفكريّة بالأندلس في القرنين الرّابع والخامس للهجرة:

تميّزت أغلب الفترة التي عاشها أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البَرّ النّمري القُرطبي بالاستقرار السّياسي، والعطاء المعرفي بالرّغم ما شهدته الأندلس من سنة 399هـ و إلى 422هـ من قلاقل[1]. وما كانت الأندلس لتشتهر بكلّ تلك الحركة الفكريّة لولا ما تميزت به من حريّة فكريّة، وما كان يلقاه رجال الفكر من احترام، ويُحظوْن به من تشجيع من طرف أمراء البلاد الذين كانوا يتنافسون في استقطاب العلماء وكسْب ودّهم. وهو ما جعل مختلف الفئات الاجتماعيّة تقبل على طلب العلم، ودفع بالعديد من العلماء من مختلف المذاهب إلى شدّ الرّحال إليها والإقامة بها[2].

في هذا المناخ الفكري وُلد أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البَرّ النّمري(368 ـ 463 هـ/ 978 ـ 1070م)، وترعرع وسط عائلة من عائلات قُرطبة ذات الأصول العربيّة، المعروفة بعطائها العلمي، بدءا بجدّه العابِد الزّاهد محمد بن عبد البَرّ بن عاصم النّمري[3]، وانتهاء بوالده العالِم المرجع عبد الله بن محمد بن عبد البَرّ، أحد أهل الحلّ والعَقد أيام الخليفة الحكم بن عبد الرحمن، الملقّب بالمستنصر[4]، وهو ما يسّر لأبي عمر منذ وقت مبكّر ملاقاة كبار السّاسة وفحول العلماء.

---

(1) وهي المرحلة المسماة بـ «الفتنة القُرطبية».

(2) من بين العلماء الذين رحلوا إلى الأندلس، واستقروا بها إلى أن توفاهم الله ﷻ: عبد الله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي (392هـ/ 1001م)، ومحمد بن أحمد الفارسي القيرواني(ت359هـ/ 969م)، ومحمد ابن العباس بن يحي الحلبي (376هـ/ 986م)، ومحمد بن أحمد بن حامد المصري(385هـ/ 995م)، وغيرهم كثير.

(3) تكملة الصّلة (1/ 371).

(4) جذْوَة المقْتبس في تاريخ ولاة الأندلس(7/ 399).

تتلمذ أبو عمر على نُخبة متميّزة من أساطين الفِكر في عصره، تجاوز عددهم المائة عالِمٍ، مما يؤكّد ازدهار عصره بالعِلم والعُلماء، نذكر منهم على سيل المثال لا الحصر أشهر الذين تأثّر بهم، وكان لهم الفضل في نحت شخصيّته العلميّة:

➢ خلف بن القاسم بن سهل الأزدي، أبو القاسم، المعروف بابن الدبّاغ (ت393هـ/ 1002م) الرّحالة المشهور، صاحب المكتبة الثّرية، والمصنّفات المتميّزة.كان ابن عبدالبَر كثير الملازمة له، قال أبو عمر عنه: كان شيْخا فاضلا، مُحدّثا، مُكثرا، حافظا، وكان من أعلم النّاس برجال الحديث، وأكتبهم له، وأجمعهم لذلك، وللتّواريخ، وللتّفاسير، وهو محدّث الأندلس في وقته[1].

➢ عبد الوارث بن سفيان بن جبرون، أبو القاسم (ت395 هـ/ 1004م)، صاحب الأسانيد العالية بفضل ملازمته لكبار العلماء، وفي مقدّمتهم قاسم بن أصبغ. وهو من أوائل الشّيوخ الذين تتلمذ عليهم ابن عبد البر، فضلا عن كونه قرين والده[2].

➢ أبو عمر أحمد بن عبد الله الباجي(ت396هـ/ 1005م)، أحد الذين أكثر ابن عبد البَر من الأخذ عنهم. قال ابن عبد البَر مشيداً بشيخه: كان أبو عمر الباجي إمام عصره، وفقيه زمانه، جَمَع الحديث، والرّأي، والبيت الحسن، والهُدى والفَضل، ولم أر بقُرطبة ولا بغيرها من كُور الأندلس رجلا يُقاس به في علمه بأصول الدّين وفروعه، كان يُذاكر بالفقه، ويُذاكر بالحديث والرّجال»[3].

➢ عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، المشهور بابن الفرضي(ت403هـ/ 1012م) من كبار أعلام قُرطبة، الرّحالة في طلب العلم مَشْرقا

(1) جذوة المقْتبس (7/ 326).

(2) الصّلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدّثيهم وفقهائهم وأدبائهم(3/ 382).

(3) جذوة المقْتبس(1/ 202ـ 203).

ومَغرِبا، صاحب ابن عبد البَر، ونظيره في الطّلب والأخْذ عن عُلماء كُثر، كما أكّد ذلك ابن عبد البَر: كان صاحبي ونظيري، أخذتُ معه عن أكثر شيوخه، وأدرك من الشّيوخ ما لم أدرك أنا، صَحِبتُهُ قديما وحديثا»[1].

➤ أحمد بن عبد الملك بن هاشم الإشبيلي، المعروف بابن المكّوى(ت410هـ/ 1011م)، شيخ فقهاء قُرطبة، وكبير مُفتيها، العالِم المعتدِل المستنير، المعروف لدى العامّة والخاصّة بنزاهته، وعدم مُداهنته[2]، لازمه ابن عبد البَر طويلا، وكان كثير الرّجوع إليه، والثّناء عليه.

❁ كتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»:

ترك ابن عبد البَر مكتبة غنيّة بفضل ما صنّفه من مؤلّفات تجاوز عددها الخمسين مُصنّفا، غطّت جلّ العلوم الإسلاميّة، وفي مقدّمتها علوم الحديث رواية ودراية، مؤلفات تسابق طلبة العلم في روايتها، ونَسْخها، وشرحها، والتّذييل عليها، بسبب غَزارة مادّتها العلميّة وثَرائها، إلى جانب براعة صاحبها في التّأليف كما شهد له بذلك ابن حزم: ولصاحبنا ابن عبد البَر المذكور كُتُب لا مثيل لها... منها كتابه في الصّحابة سماه الاستيعاب في أسماء المذكُورين في الرّوايات والسّير والمصنّفات من الصّحابة رضي الله عنهم، والتّعريف بهم، وتلخيص أحوالهم ومنازلهم وعيون أخبارهم على حروف المعجم، اثنا عشر جزءا، ليس لأحد من المتقدّمين مثله، على كثرة ما صنّفوا في ذلك»[3].

---

(1) الصّلة (5/ 259).

(2) الصّلة (11/ 53).

(3) نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب (2/ 180).

ويُعتبر كتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» من أمّهات كُتب التّراجم، وأصلا من أصول التّاريخ الإسلامي، ومن ثمّة لَبِنة من لبِنات مكتبة ابن عبد البر التي وإن نالت حظّا من اهتمام العلماء والمحقّقين شرحا، وتعليقا، واختصارا، فإنّ كتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» مازال ـ فيما أعلم ـ لم يحظ بما يليق به من التّحقيق العلمي الرّصين، والدّراسات العلميّة المعمّقة، مع احترامنا لكلّ ما تيسّر لنا الإطّلاع عليه في غير ما نحن بصدد الحديث عنه من جهود في التّعريف بابن عبد البَر وآثاره ومواقفه.

أ ـ موضوع الكتاب:

ضم «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» بتحقيق محمد علي البجاوي 4225 ترجمة، كان ابن عبد البَر قد خصّ بها جمهرة من الصّحابة والتّابعين كما نصّ على ذلك في مقدّمة «ديوانه» ـ والتّسمية له ـ حيث قال: لم أقتصر في هذا الكتاب على ذِكْر من صحّت صُحبته ومجالسته حتى ذكرنا من لقي النّبي ﷺ ولو لُقْية واحدة، مؤمنا به، أو رآه رؤية، أو سمع منه لفظة فأدّاها عنه، واتّصل ذلك بنا على حسب روايتنا. وكذلك ذكرنا من وُلد على عهده ﷺ من أبويْن مُسلميْن، فدعا له، أو نظر إليه، وبارك عليه، ونحو هذا، ومن كان مؤمنا به قد أدّى الصّدقة إليه، ولم يردّ عليه. وبهذا كلّه يُستكمل القرْن الذي أشار عليه رسول الله ﷺ على ما قاله عبد الله بن أبي أوفى صاحب رسول الله ﷺ[1].

(1) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (1/ 24).

ب ـ دوافع التّأليف:

افتتح ابن عبد البَر كتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» على عادة الأندلسيين بمقدّمة كان من بين ما اشتملت عليه دوافع تأليفه لكتاب «الاستيعاب»، والتي يمكن أن تُلخّص في الآتي:

➢ التّعريف بالصحابة الكرام ـ رضوان الله عنهم ـ باعتبار ذلك من وجهة نظره مما لا غِنى عنه بالنّسبة إلى كلّ مُسلم، قال أبو عمر: ومعلوم أنّ من حُكُم بقوله، وقُضي بشهادته، فلا بُدّ من معرفة اسمه، ونسبه، وعدالته، والمعرفة بحاله[1].

➢ استعراض ما غَفَل عن ذكره السّابقون من مصادر قد تُمكِّن الباحث أكثر من التعرّف على ذلك الجيل، والتّعريف به، قال أبو عُمر: وهم [المصنفون في الصّحابة] مع ذلك قد أضْربُوا عن التّنبيه على عيون أخبارهم التي يُوقف بها على مراتبهم[2].

➢ جمع المتفرّق من أخبار صحابة رسول الله ـ رضوان الله عنهم ـ وعرضه بطريقة محبّبة للنّفس، مشجّعة على البحث، قال أبو عمر: ورأيت كلّ واحد منهم [من سبقه بالتأليف] قد وصل إليه من ذلك شيء ليس عند صاحبه، فرأيتُ أن أجمع ذلك، وأختصره، وأقرّبه على من أراده، وأعتمد في ذلك على النّكت التي هي البُّغية من المعرفة بهم، وأشير إلى ذلك بألطف ما يمكن، وأذكر عيون فضائل ذي الفضل منهم، وسابقته، ومنزلته، وأبيّن مراتبهم بأوجز ما تيسّر وأبلغه، ليستغنى اللّبيب بذلك، ويكفيه عن قراءة التّصنيف الطّويل فيه[3].

---

(1) الاستيعاب (1/ 19).

(2) نفسه (1/ 20).

(3) نفسه (1/ 20).

➢ التّمييز بين من أخذ مباشرة عن رسول الله ﷺ وبين غيره، لما في المعرفة بذلك والإلمام به من أهميّة بالنّسبة إلى طالب علم الحديث رواية ودراية، قال أبو عمر: وأقلّ ما في ذلك معرفة المُرسَل من المُسنَد، وهو علم جسيم لا يُعذر أحد يُنسب إلى علم الحديث بجهله»[1].

كلّ ذلك من أجل مزيد التّعريف بالصّحابة الكرام، وشحذ الهمم على الإقتداء بهم كما نصّ على ذلك «فواجب الوقوف على أسمائهم، والبحث عن سيرتهم، وأحوالهم، ليُهتدى بهديهم، فهم خير من سلك سبيله، واقتدي به»[2]، مع اجتناب التّطويل، قال أبو عمر: وقد جمع قومٌ من العلماء في ذلك كُتُبًا صنّفوها، ونظرتُ إلى كثير بما صنّفوه في ذلك، وتأمّلتُ ما ألّفوه، فرأيتهم ـ رحمة الله عليهم ـ قد طوّلوا في بعض ذلك، وأكثرُوا من تكرار الرّفع في الأنساب، ومخارج الرّوايات، وهذا ـ وإن كان له وجه ـ فهو تطويل على من أحبّ عِلْم ما يُعتمد عليه من أسمائهم ومعرفتهم[3]، آملا رَحِمَهُ ٱللَّهُ من وراء كلّ هذا الجهد تحقيق الإضافة النّوعيّة، والإشعاع المنشود، والفوز بمزيد من الأجر والثّواب، قال أبو عمر: وأرجو أن يكون كتابي هذا أكبر كُتبهم تَسمِية، وأعظمها فائدة...رجاء ثواب الله ﷻ، وإلى الله أرغب في سلامة النّية، وحسن العون على ما يرضاه فإن ذلك به لا شريك له»[4].

وللعلم فإنّ ابن عبد البَر قد قدّم لكتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» بكتاب «الإنباه على قبائل الرّواة» الذي أتى فيه على أنساب القبائل من الرّواة من قريش

(1) الاستيعاب (1/ 19).
(2) نفسه (1/ 19).
(3) نفسه (1/ 19).
(4) نفسه (1/ 20).

والأنصار وسائر العرب، جاعلا منه مَدخلا لكتاب «الاستيعاب» درءا للرّفع في الأنساب، وسبيلا للاختصار والتّقريب، قال أبو عمر: أما بعد فإني ذكرتُ في كتابي هذا أمّهات القبائل التي روت عن رسول الله ﷺ، وقرّبت ذلك، واختصرته، وبيّنته، وجعلته دليلا على أصول الأنْساب، ومَدْخلا إلى كتابي في الصّحابة، ليكون عَوْنا للنّاظرين فيه، ومنبّها على ما يحتاج إليه من معرفة الأنساب، فإنّه عِلْم لا يليق جهله بذوي الهمم والآداب لما فيه من صلة الأرحام، والوقوف على ما ندب إليه النبيﷺ [1].

ولكي يتحقّق الانتفاع بـ«الاستيعاب» أكثر، فقد أسرع ابن عبد البر حال الانتهاء من تصنيفه إلى تعزيزه بكتاب آخر عَنْون له بـ«الاستغناء في أسماء المشهورين من حملة العلم بالكُنى»[2]، مضمنا إيّاه من عُرف من الصّحابة بكُنْيَته، واشتهر بها، ولم يُوقف على اسمه، أو عُرف اسمه على اختلاف فيه، مكتفيا فيه بذكر أسماء المعروفين منهم، مجرّدا إيّاه من كلّ ما تعلّق بهم من أخبار، لأنّه قد أتى على كلّ ذلك في «الاستيعاب»، كما استعرض فيه التّابعين، ومَن بعدهم ممّن اشتهر بكُنْيَته أو عُرف بكُنْيَته ممن وُقف له على اسم، ولكنّه لم يُعرف به، وإنّما عُرف، واشتهر بكُنْيَته، مختتما إياه بذكر المشهورين بالكُنَى ممّن لم يُذكر له اسم سوى كُنْيَتَه. وهو ما يؤكّد مجدّدا تمام إلمام ابن عبد البّر بعلم الرّجال من الصّحابة والتّابعين، وحرصه على جعل مصنّفاته في متناول أكثر عدد ممكن من القرّاء.

(1) القصد والأمم في التّعريف بأصول أنساب العرب والعجم(ص 34).

(2) الاستغناء في أسماء المشهورين من حملة العلم بالكُنَى، تحقيق عبد الله مرحول السّوالمة.

ج ـ الخطّة المعتمدة في «الاستيعاب» :

لم يفت ابن عبد البَـر في مقدّمة كتابه إبراز كيفيّة ترتيب مـادّته حيث قال «ونبدأ بذكر رسول الله ﷺ، ونقتصر من خبره، وسيرته على النّكت التي يجب الوقـوف عليهـا، ولا يليق بذي علم جهلها، وتحسن المذاكرة بها لتتمّ الفائدة للعالِمِ الرّاغِب، والمتعلّم الطّالب في التّعرّف بالمصحوب والصّاحب، مـختصرا ذلك أيضا، مُوعبـا، مُغنيـا، عمـا سـواه كافيا، ثمّ نُتبعه ذِكْر الصّحابة بابا بابا على حُـروف المعجم على مـا شرطنا مـن التّقـصي والاستيعاب، مع الاختصار وترك التّطويل والإكثـار»[1]، مـذكّرا بنوعيـة ومنزلـة مـا اعتمده من مـادّة علميّة، قال أبو عمر: واعتمدتُ في هذا الكتاب على الأقوال المشهورة عند أهل العلم بالسّير، وأهل العلم بالأثر والأنساب، وعـلى التّـواريخ المعروفـة التـي عوّل عليها العُلمـاء في معرفة أيام الإسلام وسِير أهله»[2]، معرّفا وبشكل موجز بطُرق روايته عمن أخذ عنهم، أو روى لهم[3]، منبّها إلى تعـدّد مـصادره وتنوّعهـا «وفي كتـابي هذا من غير هذه الكُتب من منثور الرّوايات، والفوائد، والمعلّقات عن الـشّيوخ مـا لا يخفى على متأمّل ذي عناية، والحمد لله»[4].

۞ من ملامح منهج ابن عبد البَر في «الاستيعاب» :

المنْهج لـغـة مشتّق من نَهَجَ، والنّهْجُ هـو الطّريـق والـسّبيل، ونهـج الأمـر أوْضَـحه، والجمع نُهْجٌ ومناهِج، وتبعا لذلك فإنّ المـنهج في اللّغـة هـو الطّريـق الواضـح المتّبـع، والخطّة المرسومة للسّير عليها.

---

(1) الاستيعاب (1/ 25).

(2) نفسه (1/ 20).

(3) نفسه (1/ 20 ـ 24).

(4) نفسه (1/ 24).

أما اصطلاحا فقد عرّفه البعض بأنّه «الطّريق المؤدِّي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامّة، تُعين على سير العقل، وتحدّد عملياته الفكريّة، حتى يصل إلى نتيجة معلومة»[1]، في حين يرى آخرون بأنّه «فنّ التنّظيم السّليم لسلسلة من الأفكار من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون جاهلين بها، أو البرهنة للآخرين حين نكون عارفين بها»[2].

والمتأمل في كتاب «الاستيعاب» يلاحظ أنّ صاحبه قد أشار منذ البداية إلى الكيفيّة التي سينظم وفقها مادّته، وكيفيّة عرضها، والغاية المرجوّة منها، وما سيحكم كلّ ذلك من ضوابط، وهو ما سنحاول تلمّسه من خلال جولة قصيرة في ثنايا «الاستيعاب في معرفة الأصحاب».

1 ـ تراجم «الاستيعاب»:

ذكر ابن عبد البَر في ديوانه ثلاثة آلاف وخمسمائة ترجمة، وفقا لما ذكره ابن فتحون الأندلسي (ت 517هـ/ 1123م)[3]، مسمّيا إياه «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» معتقدا «أنّه استوعب ما في كُتب مَنْ قبله»[4]. وقد رتّبها على حروف المعجم وفق نظام أهل المغرب والأندلس في ترتيب الحروف الهجائيّة[5]، إلا أنّ علي البجاوي، محقّق «الاستيعاب»[6] أعاد ترتيبها على حروف المُعجم وفق نظام أهل المشرق بقصد تيسير الاستفادة منه أكثر، وهو التّرتيب المعتمد في عملنا هذا.

---

(1) مناهج البحث العلمي (ص5).

(2) منهجيّة البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، سلسلة «دعوة الحقّ»، ع183، س 16.

(3) الرّسالة المُستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرّفة (ص 203).

(4) الإصابة في تمييز الصّحابة (1/ 4).

(5) تُرتّب حروف المعجم عند أهل الأندلس والمغرب وفق الآتي: أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و لا ي.

(6) مكتبة نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، (د.ط.ت).

جاءت تراجم «الاستيعاب» في أحجام مختلفة، متفاوتة طولا وقصرا، حيث كان الطويل منها يغطي المشاهير من الصّحابة الكرام مثل أبي بكر[1]، وعمر[2]، وعثمان[3]، وعلي[4]، والحسن[5]، والحسين[6]، وأم المؤمنين عائشة[7] ـ رضوان الله عنهم ـ.

بل هناك من الصّحابة الكرام من ترجم لهم ابن عبد البَر في مناسبتين كما هو الحال بالنسبة إلى الصّحابي الجليل جنُدَب بن جنَادة، أبو ذرّ الغفاري[8]، مع اختلاف في المضمون، قال أبو عمر في كتاب الكُنى من كتاب الاستيعاب أثناء ترجمته لأبي ذر رضي الله عنه ثانية «وقد تقدّم في باب جُندب من خبره ما لم يقع هنا»[9].

ويبدو أنّ السّبب في ذلك، فضلا عن المكانة العالية التي كان يتمتّع بها أصحاب تلك التّراجم، أنّ ابن عبد البر سلك مسلكا جديدا في ديوانه حيث لم يكتف كسابقيه بإيراد نسب المترجم له، والاكتفاء بذكر نماذج من مروياته عن رسول الله ﷺ فحسب، بل تجاوز ذلك إلى استعراض كلّ ما يمكن أن يبرز منزلته، ويشجّع على مزيد الاقتداء به.

يتجلى ذلك من خلال بيان ابن عبد البر لكيفيّة إسلام المترجم له، وما قدّمه من تضحيات في سبيل نُصرة الإسلام، مذكّرا بما وقع فيه من زلاّت دون الانتقاص من

---

(1) انظر: الاستيعاب (3/ 963 ـ 978).
(2) نفسه (4/ 1144 ـ 1159).
(3) نفسه (3/ 1037 ـ 1053).
(4) نفسه (3/ 1089 ـ 1133).
(5) نفسه (1/ 383 ـ 392).
(6) نفسه (1/ 392 ـ 399).
(7) نفسه (4/ 1881 ـ 1885).
(8) نفسه (1/ 252 ـ 256).
(9) نفسه (4/ 1652 ـ 1656).

منزلة أحد أو التشكيك في عدالته. يقول ابن الأثير الجزري (ت630هـ/ 1232م): ورأيت ابن مندة وأبا نعيم قد أكثرا من الأحاديث والكلام عليها، وذكرا عللها، ولم يكثرا من ذكر نسب الشّخص، ولا ذكر شيء من أخباره وأحواله، وما يُعرف به. ورأيت أبا عمر قد استقصى ذكر الأنساب، وأحوال الشّخص، ومناقِبه، وكلّ ما يُعرف به، حتى أنّه يقول: هو ابن أخي فلان، وابن عم فلان، وصاحب الحادثة الفلانيّة، وكأن هذا هو المطلوب من التّعريف، أما ذكر الأحاديث وعللها وطرقها فهو بكتب الحديث أشبه»[1].

إلا أنّ ابن عبد البَر وكما توسّع في بعض التّراجم فقد كان جدّ مختصر في بعضها الآخر كما هو الحال بالنسبة إلى أُسَيْد بن ثعلبة الأنصاري ﷺ حيث قال بشأنه: «شهد بدرا، وشهد صفين مع علي بن أبي طالب ﷺ»[2]، وحيّان بن الأبجر ﷺ له صُحبة، يُعدّ في الكُوفيين، شهد مع علي صفين»[3]، مكتفيا بالنسبة إلى آخرين بأقلّ من ذلك بكثير، قال أبو عمر: أشيم الضِّبابي ﷺ مات في حياة النبي ﷺ»[4]، وثابت بن واثلة ﷺ قتل يوم خيبر شهيدا، رحمه الله»[5].

والأرجح أنّ ذلك يعود إلى شُحّ الأخبار بسبب عدم شُهرة المترجَم له، وقلّة مشاركته، لا تقصيرا من ابن عبد البر كما قد يتوهّم البعض، يضاف إلى ذلك التزامه بالإحالة إلى بقية كتبه وفي مقدّمتها كتاب الكُنى من «الاستيعاب» بالنسبة إلى من غلبت

---

(1) أُسْد الغابة في معرفة الصّحابة (1/ 357).
(2) الاستيعاب (1/ 94).
(3) نفسه (1/ 317).
(4) نفسه (1/ 138).
(5) نفسه (1/ 207).

عليهم كُناهم، قال أبو عمر أثناء ترجمته لحبّة بن بعكك، أبو السّنابل القُرَشي العامري ﷺ: «وهو مشهور بكنيته.... وقد ذكرناه في الكُنى بأتم من ذكرنا له ههنا»[1]، وقال في ترجمته لحذيفة بن أسيد، أبو سُريحة الغِفاري ﷺ «وقد ذكرناه في الكُنى بأكثر من ذكره هنا لأنّه ممّن غلبت عليه كُنْيَتُه»[2].

وبقطع النّظر عن طول التّراجم وقِصرها فإنّ ابن عبد البر لم يكن مجرّد ناقل لما سمعه من شيوخه أو عثر عنه في مصنّفات السّابقين، بل كان على امتداد صفحات «الاستيعاب» مستعينا بكلّ ما يمكن أن يُساعده على بلوغ الحقيقة حيث كان يقف موقف النّاقد من كلّ ما يتلقاه، يستخلص النتائج، معبّرا عن مواقفه بكلّ جرأة ووضوح، مستدّلا لما اختاره بأقوى ما توفّر لديه من براهين.

ومن محاسن «الاستيعاب» أنّ صاحبه غالبا ما كان يختتم التّراجم الواردة تحت كلّ حرف هجائي بباب خاص بالأسماء والكنى والألقاب التي لا يوجد في الرواة من يحملها إلا واحد فقط، وهو نوع مليحٌ عزيزٌ، فائدته حصر هذه النوعيّة من الأسماء إذ بمجرّد ذكرها يَعرف الباحث الرّاوي المقصود، لعدم وجود من يشاركه في اسمه أو كُنيته، أو لقبه، وضبط ما تدعو إليه الحاجة مخافة التّصحيف والتّحريف[3].

2 ـ إثبات الصّحبة:

انطلاقا مما توصّل إليه السّابقون، وبالاعتماد على ثراء مخزونه في علم الرّحال، وما اكتسبه من ملكة نقديّة فقد تصدّر ابن عبد البَر إلى إثبات الصّحبة لعدد ممّن ترجم لهم، ويمكن تقسيمهم إلى مجموعتين:

---

(1) الاستيعاب (1/ 318).

(2) نفسه (1/ 336).

(3) انظر: منهج النقد في علوم الحديث (ص 179).

> **المجموعة الأولى**: المغمورون كما هو الحال بالنّسبة إلى الأسود بن عوف حيث أكّد بأنّ له صُحبة[1]، وكذلك إياس بن عبْد المُزَني الذي أكّد أبو عمر أنّه يعدّ في الحجازيين، وقد روى عن النبي ﷺ: لا تبيعوا الماء[2]، إلا أنّ عبد البر لا يحفظ له غير هذا الحديث[3]. ولتأكيد موقفه كثيرا ما يعمد ابن عبد البر إلى إثبات الصُّحبة لأبي المترجم له كما هو الحال بالنسبة إلى بشير بن عَقْربة الجُهني، قال أبو عمر: له صُحبة، ولأبيه عَقْربة صُحبة، أستشهد أبوه مع النبي ﷺ[4]، وحَبّان - بفتح الحاء - ابن منقذ بن عمرو الأنصاري المازني من بني مازن بن النجّار، له صُحبة... مات في خلافة عثمان رضي الله عنه، له ولأبيه منقذ صُحبة[5]، مشيرا بالمناسبة إلى من تشرّف من هذا المجموعة بالرّواية عنه ﷺ إلى جانب صُحبته له ﷺ كما هو الحال بالنّسبة إلى جَبْر بن عَتيك، قال أبوعمر: له صُحبة ورواية[6]، وحابس بن دُغُنَّة الكلبي له رواية وصُحبة[7]، مُنبّها بالمناسبة إلى من لم يتشرّفوا بالرّواية عنه ﷺ بالرّغم من صُحبتهم له ﷺ كما هو الحال بالنّسبة إلى بشير بن جابر بن غراب، قال أبو عمر: له صُحبة، وليس له رواية»[8]. وهي إشارات لطيفة من ابن عبد البرّ، تكتسي أهمية كبيرة في إثبات اتصال الحديث من عدمه.

---

(1) الاستيعاب (1/ 87).
(2) أخرجه الدارمي، السنن، كتاب البيوع، باب النهي عن بيع الماء، ح 2498.
(3) الاستيعاب (1/ 127).
(4) نفسه (1/ 175).
(5) نفسه (1/ 318).
(6) نفسه (1/ 231).
(7) نفسه (1/ 279).
(8) نفسه (1/ 177).

< **المجموعة الثانية:** من توقّف بعض المتقدّمين في إثبات صُحبتهم لرسول الله ﷺ كما هو الحال بالنّسبة إلى حكيم بن معاوية النميري، قال أبو عمر: قال البخاري في صُحبته نظر، قال أبوعمر معقّبا: كلّ من جمع في الصّحابة ذكَره فيهم، وله أحاديث منها أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: لا شُؤْم، وقد يكون اليُمْن في الدّار، والمرأة، والفرس[1]. وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: حكيم بن مُعاوية النميري: له صُحبة، روى عنه ابن أخيه معاوية بن حكيم، وقتادة من رواية سعيد بن بشير عنه[2]، والحكم بن سُفيان الثقفي...يقال إنّه لم يسمع من النبي ﷺ، وسماعه منه عندي صحيح لأنّه نقله الثقات، منهم الثوري، ولم يخالفه مَنْ هو في الحفظ والإتقان مثله[3].

لقد كان ابن عبد البر كثير الاعتماد على نفسه فيما ذهب إليه، إلاّ أنّ ذلك لا ينفي أحيانا استنجاده بآخرين، مثال ذلك قوله: قال الدّارقطني: جبل بن جوّال الثعلبي له صُحبة[4]، وجبارة بن زُرارة البلوي له صُحبة، وليست له رواية، هكذا قال علي بن عمر الدّارقطني: جبارة بكسر الجيم[5]، وبشر بن عاصم الثقفي: ذكر ابن أبي حاتم قال: بشر ابن عاصم له صُحبة، روى عنه أبو وائل شقيق بن سلمة، سمعت أبي يقول ذلك[6].

---

(1) أخرجه الترمذي، السنن، كتاب الأدب، باب ما جاء في الشؤم، ح 2750.

(2) الاستيعاب(1/ 364).

(3) نفسه (1/ 361).

(4) نفسه (1/ 271).

(5) نفسه (1/ 278).

(6) نفسه (1/ 172).

غير أنّ كلّ ذلك لم يمنعه من التمسّك برأيه، والدّفاع عنه، كما فعل في ترجمته لأيمن ابن عبيد الحبشي، قال أبو عمر: قال الدّارقطني: قد روى أيمن بن خريم عن النّبي ﷺ وأما أنا فما وجدت له رواية إلا عن أبيه وعمّه[1].

3ـ نفي الصّحبة:

بقدر ما أثبت ابن عبد البر الصُّحبة للبعض فقد نفاها عن البعض الآخر كما هو الحال بالنسبة لأسامة بن خرَيم، قال أبو عمر: لا تصِحُّ له صُحبة[2]، وأما أبو رُهم السمعي، فلا يصح ذكره في الصّحابة لأنه لم يدرك النبي ﷺ، ولكنّه من كبار التّابعين[3]، وحميد بن مَنْهب بن حارثة الطائي: لا تَصِحُّ له صُحبة، وإنما سماعه من علي رضي الله عنه، وعثمان رضي الله عنه، لا أعرف له غير ذلك، وقد ذكره في الصّحابة قومٌ، ولا يصِحُّ، والله أعلم[4]، موضحا ما قد يترتّب عن ذلك، شاهد ذلك ما جاء في ترجمته لأمية بن خالد، قال أبو عمر: روى عن النبي ﷺ أنه كان يستفتحُ بصعاليك المهاجرين، لا تصحّ له عندي صُحْبتَه، فالحديث مُرْسَل»[5].

ولئن سعى ابن عبد البَر إلى تعزيز مواقفه بما توصّل إليه السّابقون كما هو الحال بالنّسبة إلى حوط بن عبد العزَّى، قال أبو عمر: قال أبو حاتم الرازي: لا تصِحُّ له صُحْبة[6]، فإنّ فصله في بعض المسائل قد غاب أحيانا، كما هو الحال بالنسبة إلى أسلم ابن بُجْرة الأنصاري، قال أبو عمر: لا يصِحُّ عندي نسب أسلم بن بُجْرة هذا،

(1) الاستيعاب (1/ 130).
(2) نفسه (1/ 78).
(3) نفسه (4/ 1659).
(4) نفسه (1/ 378)، (4/ 1688).
(5) نفسه (1/ 107).
(6) نفسه (1/ 407).

وفي صُحبته نظر[1]، علمـا أنّ جهود ابن عبد البر لم تتوقف عند هذا الحدّ بل تـجاوزته إلى البحث عن مدى تحقّق إسلام المترجم له، كمـا هو الحال بالنسبة إلى بُجير بـن أُوس ابن حارثة بن لام الطائي، حيث ذكر أنّ في إسلامه نظر[2].

ومـمـا تجدر الإشارة إليه أنّ ابن عبد البر بقدر مـا استعان بآراء السّابقين فإنّه كان في مناسبات أخرى من أوائل الرّافضين لها بالرّغم مـا لأصحابها من مكانة علميّة، قال أبو عمر «حكيم، أبو معاوية بن حكيم، ذكـره ابـن أبي خيثمـة في الـصّحابة، وهـو عنـدي غلط، وخطأ بيّن، ولا يُعرف هـذا الرّجـل في الـصّحابة، ولم يـذكره أحـد غـيره فيمـا علمت، والحديث الذي ذكره له حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه، وجدّه معاوية ابن حيدة »[3] و «حارثة بن عدّي بن أمية بن الضبيب، ذكره بعضهم في الصّحابة، وهو مـجهول لا يُعرف، وقد ذكره البُخاري وأبو حاتم»[4].

لقد حرص ابن عبد البر، كمـا مرّ بنا، على الاستدلال بأقوى البراهين لمـا وقع عليه اختياره، ولذلك اشتد استغرابه مـمـا وقعت فيه بعض المرجعيات من أخطـاء رغـم وضوح الدّليل، قال أبو عمر معلّقا: ذكرنا الأحنف بن قيْس في كتابنا هذا على شرطنا أن نذكر كلّ من كان مُسْلمـا على عهد رسـول الله ﷺ في حياتـه، ولم نـذكر أكـثم بـن صيفى لأنّه لم يصح إسلامُه في حياة رسول الله ﷺ ، وقد ذكره أبو علي بن السكن في كتاب الصّحابة فلم يصنَعْ شيئا، والحديث الذي ذكره له في ذلك، هو أن قال: لمـا بلغ أكـثَمَ بـن صـيفى مـخرجُ رسـول الله ﷺ فـأراد أن يأتيـه فـأبى قومـه أن

(1) الاستيعاب (1/ 86).
(2) نفسه (1/ 148).
(3) نفسه (1/ 364).
(4) نفسه (1/ 310).

يدعوه.....الحديث، قال أبو عمر: وليس في هذا الخبر شيء يدلُّ على إسلامه، بل فيه بيان واضح أنّه إذ أتاه الرّجلان اللذان بعثهما إلى النبي ﷺ، وأخبراه بما قال، لم يلبث أن مات، ومثل هذا لا يجوز إدخاله في الصّحابة وبالله التوفيق[1].

4ـ تصويب ما لحق أسماء المترجم لهم من تصحيف أو تحريف:

يراد بالتّصحيف لغة تغيير اللفظ حتى يتغيّر المعنى المراد، وأصله الخطأ. وهو في اصطلاح المحدّثين «تغيير في نقط الحروف أو حركاتها مع بقاء صورة الخط»[2]، أما التّحريف فيراد به «العدول بالشيء عن جهته، وحرّف الكلام تحريفا عدل به عن جهته، وهو قد يكون بالزّيادة فيه، والنّقص منه، وقد يكون بتبديل بعض كلماته، وقد يكون بجعله على غير المراد منه، فالتّحريف أعم من التّصحيف»[3]، هذا وكما يقع التّصحيف في المتن فقد يقع في السّند، وهذا الأخير من أشدّ أنواع التّصحيف كما نبّه إلى ذلك علي بن المديني.

ومن ينظر في «الاستيعاب» يلاحظ أنّ ابن عبد البر قد أولى هذه المسألة كبير عنايته حيث قام بتصويب الكثير مما لحق أسماء المترجم لهم من تصحيف أو تحريف، مشيرا إلى ما وقع من اختلاف بين العلماء في ذلك[4]، وهو ما يؤكّد تضلّعه باللغة، ومعرفته باختلاف اللهجات والرّوايات، قال أبو عمر بعد أن ترجم لأقرم بن زيد الخزاعي، وتأكيده بأنّ له صُحبة ورواية: وقال بعضهم أرقم الخزاعي، ولا يصِحُّ، والصّواب أقرم إنْ شاء الله[5]، وأبو الأسود سنْدر، ويقال عبد الله بن سنْدر، ولا يصحُّ،

---

(1) الاستيعاب (1/ 145 ـ 147)، (4/ 1730).

(2) تصحيفات المحدّثين (1/ 39).

(3) نفسه (1/ 39).

(4) انظر: الاستيعاب (4/ 1644).

(5) نفسه (1/ 140).

وإنّما هو ابن سنْدر، له صُحبة، وحديثه عند أهل مصر مرفوعا[1]، وقال معلّقا على ما أوره البخاري بشأن أبي فروة حُدير السلمي: ووقع في كتاب البخاري في هذا الخبر عن بشير مولى معاوية: سمع عشرة من أصحاب النبي ﷺ أحدهم فروة في رؤية الهلال، وهذا خطأ وتصحيف ليس فيه إشكال، والصّواب ما كتبناه، وبالله توفيقنا[2]، مكتفيا في أكثر من مناسبة بذكر ما توصّل إليه غيره كما هو الحال في ترجمته لأبي سويد، قال أبو عمر: وقال أبو الحسن علي بن عمر الدّارقطني في المؤتلف والمختلف له: أبو سَويّة الأنصاري، روى عن النبي ﷺ، ومن قال أبو سويد فقد صحّف[3]، وقال في ترجمته لبهيّة بنت بُسر المعروفة بالصماء: ذكر الدّارقطني أن الصماء بنت بسر أخت عبد الله ابن بسر، اسمها بهيمة بزيادة ميم[4]، مذكّرا بما وقع فيه السّابقون من سهو، مثال ذلك ما ذكره أثناء ترجمته للحارث بن ابن البَرْصَاء، قال أبو عمر: قال العقيلي: الحارث بن مالك بن البرصاء القرشي العامري، وهذا وهم من العقيلي، ومن كلّ من قاله، والصّحيح ما ذكرناه[5]. هذا ومن المعلوم أنّ التّصحيف والتّحريف لم يقف عند الأفراد بل وكذلك الجماعات كما نصّ على ذلك ابن عبد البر، متوليا تصويب الخطأ[6].

إلا أنّ هذه الصّرامة في التّوثيق قد غابت عن ابن عبد البر أحيانا باعتماده صيغ التّمريض، قال أبو عمر: حُصَين، ويُقال حِصّن، والأكثر حُصين بن ربيعة

(1) الاستيعاب (4/ 1597).

(2) نفسه (4/ 1728).

(3) نفسه (4/ 1686).

(4) نفسه (4/ 1797).

(5) أي الحارث بن مالك بن قيس بن عوذ بن بني ليث بن بكر، الاستيعاب(1/ 290).

(6) كقوله مثلا «وقد غلطت طائفة ألفت في الصّحابة في.... وهذا غلط فاحش»، الاستيعاب (4/ 1622، 1626).

الأحمسي، أبو أرطأة. يقال حُصين بن ربيعة بن عامر بن الأزور... وقد قيل في إسم أبي أرطأة هذا ربيعة بن حُصين، والصّواب حُصين بن ربيعة، والله أعلم[1]، وأذينة العبدي، قال أبو عمر: اختلف فيه، فقيل أذينة بن مسلم العبدي من بني عبد القيس من ربيعة، وقيل أذينة بن الحارث بن يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر ابن عبد مناة بن كنانة، والأول أصحُّ[2].

وبالرّغم من عدم التزام ابن عبد البر أحيانا بتوثيق مادّته فإنّ جمعها من بطون المصنّفات، وما يستوجبه الوصول إلى الحقيقة من مقارنة، وتحليل، وترجيح، واستدلال، كان من أهم المعالم المميّزة لمنهجه على امتداد ديوانه، مثال ذلك جاء في ترجمته للبَرَاء بن عازب بن حارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث ابن الخزرج الأنصاري الحارثي الخزرجي، قال أبو عمر: يُكنى أبا عُمارة، وقيل أبا الطُّفَيْل، وقيل يُكنى أبا عمرو، وقيل أبو عمر، والأشهر أبو عمارة، وهو أصَحُّ إن شاء الله تعالى[3]، ومثاله أيضا ما جاء في ترجمته لحذيفة بن اليمان، قال أبو عمر: ومات حذيفة سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان في أول خلافة علي، وقيل: توفي سنة خمس وثلاثين، والأول أصَحُّ، وكان موته بعد أن أتى نعي عثمان إلى الكوفة، ولم يُدرك الجمل[4]. ولعل أكثر مسألة استوقفت ابن عبد البر طويلا دون أن يخرج من الخوض فيها بنتيجة واضحة كانت الاختلاف الحاصل في اسم أبي هريرة رضي الله عنه في الجاهلية والإسلام[5].

---

(1) الاستيعاب(1/ 354).

(2) نفسه (1/ 136).

(3) نفسه (1/ 155).

(4) نفسه (1/ 335).

(5) نفسه (4/ 1768 ـ 1771).

5 ـ التّعريف بمن اشتهروا بكُناهم من الصَّحابة والتَّابعين: احتلّ هذا المبحث عناية خاصّة من لَدُن ابن عبد البر حيث أفرده بكتاب مستقلٍّ ضمن «الاستيعاب»، مصدّرا إيّاه بمقدّمة جليلة، كان من بين ما جاء فيها «هذا كتاب ذكرتُ فيه من عُرف من الصَّحابة الكرام بكُنْيته، واشتهر بها، ولم يُوقف على اسمه، أو وُقف على اسمه، ولكن غَلبت عليه كُنيته، فلم يُعرف إلا بكُنيَته، ممن اختُلف في اسمه، أو اتُّفق عليه. وجعلتُه كتابا مُفردا، وصلتُ به كتابي في الصَّحابة، إذ هو جزءٌ منه، وآخر أبوابه، وخاتمة فائدته، وجريتُ فيه على شرط الإيجاز والاختصار، ومُجانبة التّطويل والتّكرار، على حسب ما شرطنا في سائر الكتاب، والله عزّ وجلّ الموفّق للصّواب، وجعلتُه أيضا على حروف المعجم ليكون أقرب على من أراد حفظه وعلمه»[1].

ولئن انصبَّ اهتمام ابن عبد البر على التّعريف بمن اشتهروا بكُناهم فإنّ ذلك لم يمنعه من تصويب بعض الأخطاء، ولو كان مصدرها كبار المحدّثين، مع شيء من التّهكم غير المقصود لأن ذلك ليس من أخلاق ابن عبد البر، شاهد ذلك: وقال يحي بن معين: اسم أبي أحمد بن جحش عبد الله بن جحش بن قيس، فلم يصنع شيئا، والصّحيح ما ذكرناه عبد بن جحش[2]، وهو نفس الموقف الذي اتخذه من علي بن المديني[3] وغيره، محتجًّا لرأيه بما رآه مناسبا.

6ـ الحكم على مرويات المترجم لهم تصحيحا وتضعيفا: لقد تجشّم ابن عبد البر على امتداد ديوانه التّذكير بنماذج من مروايات الكثير ممن ترجم لهم، إلا أنّ اهتمامه انصبّ أكثر على فريقين:

---

(1) الاستيعاب (4/ 1591).

(2) نفسه (4/ 1593).

(3) نفسه (4/ 1704).

أ ـ التعريف بمرويات المقّلين من الرّواية:

مثال ذلك حبيش بن خالد بن ربيعة، يكنى أبا صخر، وهو صاحب حديث أمّ معبد الخزاعيّة، قال أبو عمر: لا أعلم له حديثا غيره[1]، والحارث بن عمرو السهمي، ويقال الباهلي له حديث واحد فيه طول[2]، مذكّرا في أكثر من مناسبة بمن روى عن المترجم له، قال أبو عمر: الحكم بن حزن الكلْفي له حديث واحد، ليس له غيره، رواه عنه زُريق الثقفي الطائفي[3]، وحذْيم بن عمرو السّعدي التّميمي، روى حديثا واحدا، روى عنه زياد بن حذيم، ذكره أبو حاتم الرازي[4]، ورجاء الغنوية، امرأة من الصّحابة سكنت البصرة، ولها حديث واحد، روى عنها محمد بن سيرين[5]، وجُرموز الهُجيمي له حديث واحد، مخرجه عن أهل البصرة[6].

هذا وقد يسترسل ابن عبد البر في التفصيل أحيانا وفق ما سنّه من شروط، شاهد ذلك إيراده لمرويات أبي أمامة بن ثعلبة الحارثي الأنصاري، قال أبو عمر: له عن النبيﷺ ثلاثة أحاديث: أحدها من اقتطع مال امرئ مسلم بيمينه[7]، والثاني البذاذة من الإيمان[8]، والثالث أنّ النبي ﷺ صلّى على أمّه[9] بعد أن دُفنت[10]، أما أبو سعيد ابن المعلى فلا يُعرف في الصّحابة إلا بحديثين، وذكرهما[11].

---

(1) الاستيعاب(1/ 406).
(2) نفسه (1/ 294).
(3) نفسه (1/ 361).
(4) نفسه (1/ 336).
(5) نفسه (4/ 1838).
(6) نفسه (1/ 274).
(7) أخرجه الدارمي، السنن، كتاب البيوع، باب فيمن قطع مال امرئ مسلم بيمينه، ح 2490.
(8) أخرجه أحمد، المسند، باقي مسند الأنصار، ح 21289.
(9) إي أم أبي أمامة بن ثعلبة.
(10) الاستيعاب (4/ 1601)، و الحديث على ما يبدو أخرجه النسائي من طريق آخر، السّنن، كتاب الجنائز، باب الصّلاة على الجنازة بالليل، ح 1943.
(11) الاستيعاب (4/ 1670 ـ 1671).

ب ـ الحكم على الحديث تصحيحا وتضعيفا:

لم يكتف ابن عبد البر بالكشف العددي عن مرويات المترجم لهم، بل كثيرا ما كان يتصدّر لبيان درجة بعض تلك المرويات من حيث الصّحة والضَّعف وذلك من خلال:

❁ نقد ابن عبد البر للأسانيد:

لا عجب أن نجد للنّقد الخارجي للحديث حضورا في «الاستيعاب» وصاحبه كان يلقّب في زمانه بـ«بُخاري المغرب» لمعرفته الواسعة والدّقيقة بعلوم الحديث رواية ودراية، ويكفيه فخرا في ذلك تصنيفه لكتاب «التّمهيد» الذي كثيرا ما أحال إليه في «الاستيعاب»[1].

لقد بذل ابن عبد البر جهوداً كثيرة في تتبّع الأسانيد كما استعمل للتعبير عن رأيه أكثر من مصطلح مثل «إسناده حسن»[2]، و«ليس هذا الإسناد بالقوي»[3]، و«ليس إسناده بالقائم»[4]، و«في إسناده شيخ مجهول لا يُعرف»[5]، متجشّما التّفصيل الدّقيق في أكثر من مناسبة كما هو الحال عند ترجمته للحارث بن قيس بن عميرَة الأسَدي حيث قال: ليس له إلا حديث واحد، ولم يأت من وجه صحيح[6]، و أبو شيخ المحاربي، له حديث واحد عند أهل الكوفة، وليس إسناده بشيء، ولا يصحّ[7]، أما حُفَيْنَة النهدي فإنّ حديثه عند أبي بكر الدّهري عن الثّوري، لم يرو عنه غيره، ولا يحتجُّ

(1) الاستيعاب(4/ 1601، 1703).
(2) نفسه (1/ 170).
(3) نفسه (1/ 187).
(4) نفسه (1/ 273).
(5) نفسه (1/ 170).
(6) نفسه (1/ 300).
(7) نفسه (1/ 1691).

به لضَعْف الدّهري[1]، وكذلك الحال بالنسبة إلى حنْطب بن الحارث بن عبيد بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي، فهو ولئن كان من مُسْلِمة الفتح فإن له حديثا واحدا بإسناد واحد، وهو إسناد ضعيف بسبب وجود المغيرة بن عبد الرحمن، لأن المغيرة ابن عبد الرحمن ضعيف. ودرءا لكل لَبْس، يؤكّد ابن عبد البر أنّ المراد بعبد الرحمن ابن المغيرة إنما هو الحزامي، وليس المخزومي الفقيه، صاحب الرأي، فذلك ثقةٌ في الحديث حسنُ الرأْي[2]، أما حديث أسلم بن بُجرة الأنصاري في بني قريضة أن رسول الله ﷺ ضرب عُنقَ من أنبت الشَّعْر منهم، ومن لم ينبت جعله في غنائم المسلمين، فإسناده ضعيف، لأنّه يدور على إسحاق بن أبي فروة، كما أن نسب أسلم بن بُجْرة غير صحيح، بل في صحبته نظر[3]، وإبراهيم الطّائفي، والد عطاء بن إبراهيم، روى عنه ابنه عطاء عن النبي ﷺ... ولم يرو عنه غير ابنه عطاء، وإسنادُ حديثه ليس بالقائم، ولا مما يُحتجُّ به، ولا يصِحُّ عندي ذكره في الصّحابة، وحديثه مُرْسَل عندي، والله أعلم[4]، وهي إشارات لطيفة، و في منتهى الأهميّة حديثيا تكشف عن مدى دراية ابن عبد البر بفقه الحديث سندا و متنا.

لقد حرص ابن عبد البر في مناسبات متعدّدة على بيان وجه الصّواب دون الاكتفاء بتشخيص الخطأ كما هو الحال في حديث بهز بن حكيم بن معاوية، فبعد أن ذكر الحديث بإسناد ضعيف قال: والصّواب في هذا الحديث ما أخبرنا به يَعيش بن سعيد الورّاق، وعبد الوارث بن سفيان قالا: حدثنا قاسم بن أصبع، قال حدثنا أحمد بن محمد البِرْتي القاضي، قال حدثنا أبو معمر المقعَد، قال حدثنا عبد الوارث بن سعيد، قال

---

(1) الاستيعاب(1/ 274 ـ 275).

(2) نفسه (1/ 401).

(3) نفسه (1/ 85 ـ 86).

(4) نفسه (1/ 61)، (4/ 1686 ـ1687).

حدثنا بهز بن حكيم بن معاوية بن حَيدَة القشيري، قال حدثنا أبي عن جدّه، قال: أتيتُ رسول الله ﷺ فقلت: يا رسولَ الله ما أتيتك حتى حلفتُ أكثر من عدد الأنامل ـ وطبّق بين كفّيْه إحداهما على الأخرى ـ ألاّ آتيك، ولا آتي دينك، فقد أتيك... الحديث. قال أبوعمر: هذا هو الحديث الصّحيح بالإسناد الثّابت المعروف، وإنما هو لمعاوية بن حَيدة لا لحكيم أبي معاوية، سئل يحي بن معين عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه، فقال: إسنادٌ صحيح، وجدّه معاوية بن حَيدة، قال أبوعمر: ومن دون بهز بن حكيم في هذا الإسناد ثقات، فإنه حديث[1]، مذكّرا أحيانا أخرى بإجماع العلماء فيما يتعلّق ببعض المسائل إيثارا للاختصار.

❁ نقد ابن عبد البر للمتون:

وكما سخّر ابن عبد البر جهوده لنقد الأسانيد فإنّه لم يدّخر جَهدا ـ كما مرّ بنا ـ في تحديد موقفه من متون بعض الأحاديث كلّما استدعت الضرورة ذلك، كقوله: هذا حديث صحيح في أن الشّهيد لا يُغسل، وقد تقدّم أنّه لم يُصَل عليه، وثابت بن وديعة روى عنه البرّاء بن عازب حديثه في الضبّ، يختلفون فيه اختلافا كثيرا، وأما حديثه في الحُمر الأهليّة يوم خيْبر فصحيح[2].

إلا أن حالات الاهتمام بالمتن كانت عدديا أقل بكثير من تلك المتعلقة بالسّند، وذلك لقلّة ما أورد ابن عبد البر من متون في «الاستيعاب» مقارنة بالأسانيد، هذا فضلا عن أن الخلل في الأسانيد بطبعه أكثر بكثير منه في المتون. وعموما فليس من الغريب أن يكون مستوى حضور النّقد للحديث سندا ومتنا، والحكم عليه تصحيحا

(1) الاستيعاب (1/ 364ـ 366)، (4/ 1681).

(2) نفسه (1/ 206).

وتضعيفا في هذا المستوى من الشمول والعمق والصراحة في «الاستيعاب» لأن مؤلِفه أقدم على تأليفه بوصفه محدّثا قبل أن يكون مؤرّخا.

7 ـ الاستشهاد بالشعر:

باعتبار الشّعر ديوان العرب، وهو إحدى الوسائل التي تم استثمارها في تسجيل الأحداث، والتعريف بالرّموز، وقد كان ابن عبد البر أحد أولئك الذين استرسلوا في الاستشهاد بالشعر لإثبات رأي أو نفيه، مثال ذلك قوله: كان أبو الطفيل[1] شاعرا محسنا، وهو القائل لما بلغ من العُمر عِتِيا:

أيدعونني شيْخا وقد عِشْتُ حِقْبَة ... وهنّ من الأزواج نحوي نوازع
وما شاب رأسي من سنين تتابعت ... عليّ، ولكن شيّبتْني الوقائع[2]

وكان من بين ما استحضره ابن عبد البر من نظم أبي محجن في الخمر قوله:

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة ... تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفني بالفلاة فإنني ... أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها[3]

ولعل أكثر من توسّع في إيرد مقاطع طويلة من شعرها كانت الخنساء بنت عمرو بن الشريد، التي أكثر من الثناء عليها، مؤكّدا أنه لم توجد امرأة قط قبلها ولا بعدها أشعر منها. وكان من بين ما استحضره من شعرها قولها وهي ترثي أحد أبنائها:

أعينيّ جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندى

---

(1) عامر بن واثلة الكناني، صحابي جليل، ولد يوم أُحُد، وأدرك من حياة الرّسول ﷺ ثماني سنين.

(2) الاستيعاب (4/ 1697).

(3) نفسه (4/ 1749).

ألا تبكيــان الجــريء الجميــل   ألا تبكيــان الفــتى الــسيدا
طــويل العمــاد عظــيم الرمــا   د ســاد عــشيرته أمــردا[1]

وكأني به يريد بذلك إبراز الحدّ الذي وصلت إليه مشاركة المرأة في نشر الدّعوة المحمديّة، وصدّ العدوان عنها، وفي كتاب النّساء من «الاستيعاب» أكثر من شاهد على ذلك. لقد كان ابن عبد البر يهدف من وراء استرساله في تحلية ديوانه بالشّعر، بالإضافة إلى ما سبق ذكره، الإشارة وبكلّ لطف إلى ما للشعر من أهميّة في نُصرة الرِّسالة المحمديِّة، والتّعريف بالقيم الإسلاميِّة، خير دليل على ذلك استنجاده ﷺ في أكثر من مناسبة بأفضل أصحابه نَظْما للشّعر لتعزيز مواقفه، من ذلك أمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوضع مِنْبر في المسجد لحسّان بن ثابت رضي الله عنه يقوم عليه، معرّفا بالإسلام، ومنافحا عنه[2]، ودخوله ﷺ مكّة في عُمرة القضاء، وعبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بين يده يمشي، وهو يقول:

خَلُّوا بني الكُفَّار عن سبيله   اليوم نَضرِبْكُم على تنزيله
ضَرْبا يُزيل الهَامَ عن مَقيله   ويُذهِلُ الخَليل عن خليله[3]

فقال له عمر رضي الله عنه : يا ابن رواحة بين يدي رسول الله، وفي حرم الله تقول الشِّعر، فقال له رسول الله ﷺ : خَلِّ عنه يا عمر فَلَهِي أَسْرَعُ فيهم من نَضْحِ النَّبْلِ[4].

---

(1) الاستيعاب (1/ 1827).
(2) انظر: الترمذي، السنن، كتاب الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر.
(3) بحر الرجز.
(4) انظر: الترمذي، السنن، كتاب الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر.

۞ الدّفاع عن الصّحابة والتّابعين

كان من بين أهداف ابن عبد البر تبعا لما جاء في مقدّمة «الاستيعاب» مزيد التّعريف بالصّحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وتعزيز الاقتداء بهم، ولذلك كان لا بدّ من تصويب ما ورد في حقّ بعضهم من أخطاء، وردّ ما أثير حولهم من شُبهات، وهو ما فعله ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ مع حسّان بن ثابت رضي الله عنه، مكذّبا بالحُجَج القاطعة ما اتُّهِم به من جُبن مُفرط، قال أبو عمر: وقال أكثر أهل الأخبار والسّير: إنّ حسّانا من أجبن النّاس، وذكروا من جُبْنه أشياء مُسْتشنَعة أوردوها عن الزّبير أنّه حكاها عنه، كرهتُ ذكرها لنكارتها...وقيل إنما أصابه ذلك الجُبن منذ ضربه صفوان بن المعطَّل بالسّيف[1]. وبناء على ذلك زعموا أنه رضي الله عنه لم يحضر ولو مشهدا واحدا مع رسول الله ﷺ[2]، متّهمين إيّاه بالخوض في الإفك على عائشة رضي الله عنها ممّا تسبب في تعرّضه للجلد[3].

كما ردّ ابن عبد البر ما زعمه بعضهم في حقّ عثمان بن عفان رضي الله عنه، من أنه تخلّف عن غزوة بَدْر مفضّلا البقاء مع زوجته رقيّة بنت رسول الله ـ رضي الله عنهما ـ، مؤكّدا أنّ تغيّبه رضي الله عنه إنما كان بأمر من رسول الله ﷺ بسبب مرضها رضي الله عنها ـ لا غير[4].

وقال أبو عمر مدافعا عن المهلّب بن أبي صفرة بعد أن عرّف به: المهلّب بن أبي صفرة من التّابعين، له رواية عن النبي ﷺ مُرسَلة، وهو ثقة، ليس به بأس. وأما من عابه بالكذب فلا وجه له، لأنّ صاحب الحرب يحتاج إلى المعاريض والحيلة، فمن لم يعرفها

---

(1) الاستيعاب (1/ 348).
(2) نفسه (1/ 348).
(3) نفسه (1/ 347)، (4/ 1884).
(4) نفسه (1/ 1842).

عدّها كذِبا. وكان شجاعا ذا رأي في الحرب، خطيبا، وهو الذي حمى البصرة من الأزارقة الخوارج والصُّفريّة بعد أن أجلى أكثر أهلها عنها[1].

إلا أن تصدّر ابن عبد البر للدّفاع عن الصّحابة لم يمنعه من تأكيد ما وقع فيه بعضهم من زلاّت كما هو الحال مع أبي محجن الثقفي، الصّحابي الجليل، قال أبو عمر: وكان أبو مِحْجَن هذا من الشّجعان الأبطال في الجاهليّة والإسلام، من أولي البأس والنّجدة، ومن الفرسان البُهم، وكان شاعرا مطبوعا كريما، إلا أنه كان منهمكا في الشّراب، ولا يكاد يُقلع عنه، ولا يُردعه حدّ ولا لوم لائم، وكان أبو بكر يستعين به، وجَلَدَه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الخمر مرارا[2].

❁ **مصادر «الاستيعاب»**

من المعلوم أن التّصنيف في تراجم الصّحابة قد ظهر ـ على الأرجح ـ منذ أوائل القرن الثّالث الهجري بـ «كتاب الصّحابة» لأبي عبيْدة معمر بن المثنى (ت208هـ/ 823م)[3]، ثم تلته مجموعة ضخمة من المصنّفات، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- معرفة من نزل من الصّحابة سائر البلدان لعلي بن المديني(ت245هـ/ 859م)[4].
- الصّحابة لأبي حاتم محمد بن إدريس الرّازي (ت277هـ/ 987م)[5].
- مُعجم الصّحابة لأبي الحسين عبد الباقي بن قانع (ت351هـ/ 962 م)[6].

---

(1) الاستيعاب (4/ 1692 ـ 1693).

(2) نفسه (4/ 1746).

(3) معرفة الصّحابة (1/ 6).

(4) الرّسالة المستطرفة (ص95).

(5) معرفة الصّحابة عند المحدّثين(ص88).

(6) تح صلاح بن سالم المصراتي. مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنوّرة، ط1، 1418هـ.

➢ الصّحابة لأبي حاتم محمد بن أحمد بن حِبّان البستي (ت354هـ/ 965 م)[1]

➢ المعجم الكبير لأبي القاسم سليمـان بن أحمد الطبراني(ت360هـ/ 970م)[2]

➢ كتاب المعروفين بالكُنى من الصّحابة والتّابعين وسائر المحدّثين لخلف بن قاسم بن سهل المعروف بابن الدّباغ الأندلسي(ت393 هـ/ 1002م)[3] .

والغالب على الظنّ أنّ ابن عبد البر قد اطلع عـلى أغلـب هـذه المـصنّفات إن لم يكـن جميعها بحكم كثرة استقصائه عن كلّ مصدر متضمّن لمـادّة بحثه. لقد كان ابن عبد البَر في منتهى الحرص على توثيق مـادّته بدءا بالإحالة إلى «الاستيعاب» نفسه، مثـال ذلـك قوله أثناء تعرّضه للمختلف فيهن من زوجاته ﷺ: وأمـا اللـواتي اختلـف فـيهن ممـن ابتنى بها وفارقها أو عقد عليها، ولم يدخل بها، أو خطبها ولم يتم لـه العقـد منهـا، فقـد اختلف فيهن، وفي أسباب فراقهن اختلافا كثيرا يوجب التّوقف عن القطع بالصّحة في واحدة منهن، وقد ذكرنا جميعهن كلّ واحدة منهن في بابها من كتاب النّـساء مـن كتابنـا هذا، والحمد الله وحده[4]. هذا إلى جانب إحالاته المتكرّرة إلى بقيّة مؤلّفاته مثل «كتـاب الإنباه على القبائل والرّواة»[5]، وكتاب «التّمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»[6]، وكتاب « الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلمـاء الأقطار فيمـا تضمّنه الموطـأ مـن معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيـجاز والاختصار»[7].

(1) تحقيق بوران الضناوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1/ 1408هـ، تحت عنوان «تاريخ الصّحابة الذين روي عنهم الأخبار».

(2) تح حمدي عبد المجيد السلفي، نشر وزارة الأوقاف، العراق، ط1/ 1398هـ-1978م.

(3) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس(1/ 272).

(4) الاستيعاب (1/ 46)، وكذلك مـا ورد بشأن أبنائه ﷺ، الاستيعاب(1/ 50 ـ 51).

(5) انظر: الاستيعاب (1/ 25، 26، 27)، (4/ 1602، 1619).

(6) نفسه (1/ 40)، (4/ 1601، 1703، 1807، 1816).

(7) نفسه (4/ 1621).

لقد استعان ابن عبد البر في «الاستيعاب»، فضلا عما سبق ذكره، بمصادر عديدة ومتنوّعة، مستثمرا إياها الاستثمار الجيّد، بدءا بطبقات محمد بن عمر الواقدي(ت209هـ/ 824 م)[1]، وطبقات محمد بن سعد (ت230هـ/ 941م)[2]، وتاريخ خليفة بن خياط(ت 240هـ/ 951م)[3]، وتأريخ الصّحابة، والتّاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل البخاري(ت 256هـ/ 869م)[4]، والتّاريخ الكبير لزهير بن حرب ابن أبي خيثمة (ت279هـ/ 892م)[5]، وتاريخ محمد بن جرير الطبري (ت310هـ/ 922م)[6]، والكُنى و الأسماء لأبي بشر محمد بن أحمد الدُّولابي (ت310هـ/ 922م)[7]، ومُعجم الصّحابة لأبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي(ت317هـ/ 929م)[8]، وكتاب الصّحابة لمحمد بن عمرو بن موسى العقيلي(ت322هـ/ 934م)[9]، ومعجم الصّحابة، وكتاب الحروف في الصّحابة لسعيد ابن عثمان بن السكن(ت335هـ/ 946م)[10].

وبقد ما أصرّ ابن عبد البر في الكثير من المناسبات على التّذكير بأسماء مصادره فقد اكتفى في مناسبات أخرى بنقل الخبر عن المؤلِّف مباشرة دون تحديد الكتاب المعتمد، مثال ذلك قوله عند ترجمته لجابر بن سُليم: ويُقال سليم بن جابر، والأكثر جابر بن

(1) الاستيعاب (1/ 117، 311).
(2) نفسه (1/ 117).
(3) نفسه (4/ 1705).
(4) نفسه (1/ 119، 4/ 1641).
(5) نفسه (4/ 1819، 1875).
(6) نفسه (1/ 227).
(7) نفسه (4/ 1615، 1616).
(8) نفسه (1/ 1620).
(9) نفسه (1/ 1616).
(10) نفسه (4/ 1873).

سليم، أبو جُري التميمي الهُجيمي... قال البخاري: أصحّ شيء عندنا في اسم أبي جُري الهُجيني جابر ين سُليم»[1]، مشيرا إلى تقصيره، قال أبو عمر: ولم يذكر البخاري جبّار ابن سلمى، ولا جبّار بن صخرة[2].

لقد تمكّن ابن عبد البر بفضل درايته الواسعة بعلم الرّجال من أن يوثّق مادّته، مقارنا ومرجّحا بين الأقوال، بانتقائه المحكم للمصادر الأوْلى بالاعتماد، شاهد ذلك على سبيل المثال لا الحصر تقديمه موسى بن عقبة، وابن إسحاق على الواقدي لأنهما أكثر توثيقا عند أهل الحديث وعموم المؤرخين، وهو ما أضفى على مادّة كتابه مزيد الاحترام، وبوأ ابن عبد البر لأن يُصبح بحقّ حافظ الأندلس في زمانه.

❁ «الاستيعاب» في الميزان

يندرج كتاب «الاستيعاب» في إطار إسهام الأندلسيين في المكتبة التّاريخية، وقد استطاع ابن عبد البر أن يصنع من هذا «الدّيوان» مصدرا بقي ذكره على كلّ لسان، محقّقا من وراء ذلك إشعاعا علميّا على مرّ القرون وامتداد العصور بالرّغم من عدم مغادرة ابن عبد البر بلاد الأندلس. ويعود تحقيق «الاستيعاب» لكلّ ذلك التألق والإشعاع لأكثر من سبب:

- المنزلة العلميّة التي احتلّها «الاستيعاب» منذ وقت مبكّر كما يتجلى ذلك من خلال الإشادة به من كلّ مطّلع عليه من داخل الأندلس وخارجها.

- ما احتوى عليه «الاستيعاب» من مادّة تاريخيّة وحديثيّة، وما اشتمل عليه من إضافات مقارنة بما سبقه من أعمال.

---

(1) الاستيعاب (1/ 255).

(2) نفسه (1/ 230).

➢ ما كان لطلبة ابن عبد البر من جهود في التّعريف بـ «ديوان» شيخهم، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: أبو محمد علي بن حمد بن حزم (ت456 هـ/ 1063م) صاحب المذهب الظاهري، وصديق ابن عبد البر وتلميذه، الذي كان كثير الرّواية عنه، والإشادة به، ومحمد بن أبي نصر الأزدي المشهور بالحميدي(ت491هـ/ 1097م) أحد أعلام الأندلس بعلم الحديث رواية ودراية[1]، والحسين بن محمد بن أحمد الغساني الجياني (ت498هـ/ 1056م) رئيس المحدّثين بقُرطبة في زمانه[2]. وعبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن (520 هـ/ 1126م) صديق الغساني وصِنوه في التّلقي عن ابن عبد البر[3].

➢ تصدّر «الاستيعاب» لفترة طويلة قائمة المصادر في علم الرّجال، حيث نجد له حضورا مكثّفا في خيرة ما ألّف من أعمال في الفترات اللاحقة مثل «جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، وأسماء رواة الحديث، والأدب، وذوي النباهة والشّعر، لعبدالله بن فتحون الحميدي (ت 488هـ/ 1059م)، و«ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك» للقاضي عياض بن أحمد اليحصُبي(ت544هـ/ 1149م)، و«فهرسة محمد بن خير الإشبيلي(ت575هـ/ 1161م)، و«أسد الغابة في معرفة الصّحابة» لابن الأثير الجزري(ت630هـ/ 1332م) الذي قال مثمّنا جهود ابن عبد البر: ورأيت أبا عمر قد استقصى ذكر الأنساب وأحوال الشّخص ومناقبه وكلّ ما يعرفه به حتى أنّه يقول هذا هو ابن أخي فلان، وابن عم فلان، وصاحب الحادثة الفلانية، وكان هذا هو المطلوب من التعريف، وأما ذكر الأحاديث

---

(1) تذكرة الحفّاظ (4/ 1219).

(2) الصلة (ص142 ـ 143).

(3) نفسه (ص349).

وعللها وطرقها فهو بكُتب الحديث أشبهه»[1]، دون أن ننسى كتاب «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني(ت852هـ/ 1460م) الذي نقل عن «الاستيعاب» زهاء ألف وثمانمائة ترجمة، كما استعان به في أكثر من أربعمائة موضعا في كتابه «تهذيب التهذيب».

وككلّ إنتاج بشري فإنّ كتاب «الاستيعاب» ظهر وهو يشكو بعض العيوب، وفي مقدّمتها عدم اشتماله لكلّ الصّحابة، وهو ما تفطّن إليه ابن عبد البر مبكّرا، مما جعله يوصي تلميذه الغساني قائلا: «أمانة الله في عنقك، متى عثرت على اسم من أسماء الصّحابة لم أذكره إلا ألحقته في كتابي في الصّحابة»[2]. أما غير ذلك من العيوب، أو مما اعتبره البعض في عداد العيوب فيمكن تلخيصه في الآتي:

- تضمّن «الاستيعاب» بعض الأخطاء التّاريخيّة، وهذا لعمري جدّ طبيعيّ باعتبار «الاستيعاب» خلاصة جهد بشري، إلاّ أنّ ما يجب التّنبيه إليه أنّ ما وقع فيه ابن عبدالبر من زلاّت ليست بالكثيرة، ولا بالخطيرة، هذا فضلا عن أنّ الكثير منها لا تُعدُّ أخطاء بالنّسبة إلى من اطلع على ما ورد في مقدّمة «الاستيعاب»، من ذلك زعم بعضهم إيراد ابن عبد البر لغير الصّحابة، وكأني بهم لم يفقهوا ما جاء في المقدّمة من أنّه سيذكر كلّ من أدرك النّبي ﷺ بمولده، وهو ما أعاد التّذكير به في أكثر من مناسبة[3].

(1) أسد الغابة (1/ 11).

(2) الروض الأنف في تفسير سيرة ابن هشام (6/ 334).

(3) مثال ذلك ما قاله إثر ترجمته لأسعد بن سهل بن حنيف الأنصاري، أبو أمامة: هو أحد الجلّة من العلماء من كبار التّابعين بالمدينة، ولم يسمع من النبي ﷺ شيئا، ولا صُحبة، وإنما ذكرناه لإدراكه النبي ﷺ بمولده، وهو شرطنا. الاستيعاب (1/ 82).

وعموما فقد تصدّر علماء جهابذة لذلك، منبّهين إلى ما ورد في «الاستعاب» من أخطاء، وذلك من خلال ما ألّفوه من مصنّفات جليلة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: « ذيْل على الاستيعاب» لابن عبد البر لأبي علي الغسّاني(ت498هـ/ 1104م)[1]، و«ذيل كتاب الاستيعاب» لأبي بكر محمد بن محمد ابن خلف المعروف بابن فتحون الأريوالي الأندلسي(ت519 هـ/ 1125م)[2]، و«التّنبيه على أوهام ابن عبد البر» لنفس المؤلف[3]، و«الاستدراك على الاستيعاب» لإبراهيم بن يحي الطليطلي القرطبي، المعروف بابن الأمين(ت544هـ/ 1149م)[4]، و«الاستدراك على الاستيعاب» ليوسف بن عبد العزيز اللّخمي المعروف بابن الدّباغ الأندلسي(ت546هـ/ 1151م)[5]، و«الرّد على ابن عبد البر والتّنبيه على أغلاط» لعقيل بن عطيّة القضاعي المراكشي(ت608 هـ/ 1211م)[6]، و «إكمال التّذييل لأبي بكر بن فتحون على كتاب الاستيعاب» لأبي العباس أحمد بن محمد بن ميمون المالقي المعروف بابن السكان[7]، و«استدراك على الاستيعاب لمحمد بن عبد الواحد بن إبراهيم الغافقي الغرناطي(ت619هـ/ 1222م)[8]، و«ميدان السّابقين وحلبة الصّادقين المصدّقين في عرض كتاب الاستيعاب» لسليمان بن موسى بن سالم الكلاعي

(1) تذكرة الحفاظ (4/ 1234).

(2) الصّلة (ص577).

(3) نفسه (ص577).

(4) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص213).

(5) طبقات الحفّاظ (ص47).

(6) الحلل السّندسية في الأخبار التونسيّة (2/ 28).

(7) نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج (ص90 ـ 91).

(8) طبقات الحفاظ، تحقيق علي محمد عمر (ص497).

الأندلسي(ت643هـ/ 1265م)[1]. هذا إلى جانب ما استدركه ابن الأثير الجزري(ت680هـ/ 1281م) في كتابه «أُسْد الغابة في معرفة الصّحابة»، وابن حجر العسقلاني(ت 852 هـ/ 1448م) في كتابه «الإصابة في معرفة الصّحابة».

> استطراد ابن عبد البر في ذكر ما حصل بين المسلمين من فتن[2]، وكثرة توسّعه في الجوانب التّاريخيّة بالإضافة إلى نقله عن المؤرّخين، وهو ما نبّه إليه ابن الصّلاح: ومن أجلّها وأكثرها فوائد كتاب «الاستيعاب» لابن عبد البر، لولا ما شانه به من إيراده كثيرا مما شجر بين الصّحابة، وحكايته عن الإخباريين لا المحدّثين، وغالب على الإخباريين الإكثار من التّخليط فيما يروونه»[3].

إلاّ أن ذلك لا يعتبر عيبا في نظرنا لأنّ الرّجل كان يُريد مساعدة غيره على تمييز الطيّب من الخبيث مما يدور على السنة النّاس من أخبار حول الصَّحابة الكرام رضي الله عنهم والبحث لها عما يؤيدها من حيث القبول أو الرّفض، بعيدا عن القراءات المتسرّعة، والاستنتاجات المسقطة. وهو ما نحن في أشدّ الحاجة إليه اليوم، لأنّ الكثير مما ورد من أخبار عن ذلك الجيل كانت مُصطنعة، أفلح أعداء الأمّة قديما في حبكها، وها قد هبّ أنصارهم اليوم يُحيونها، وما تسلّل إلى بعض المقرّرات والمناهج الدّراسية، وبعض الكتب والموسوعات، وعبر أعمدة بعض الصّحف والمجلات وغيرها من وسائل الإعلام المسموعة والمرئية بالإضافة إلى العدد المتزايد من مواقع الانترنت بأكثر من لغة لخير دليل على ذلك؟

---

(1) الدّيباج المذهّب في معرفة أعيان المذهب (ص122).

(2) الشّاهد في ذلك ما ذكره بشأن بُسر بن أرطأة بن أبي أرطأة القرشي، وما ارتكبه من فضائع في حق من تشيعوا لعلي رضي الله عنه. الاستيعاب(1/ 157- 166، 366، 369، 383، 595)، وكذلك ما أورده بشأن أبي الغادية الجهني، الذي كان يتباهى بقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه، الاستيعاب(4/ 1725).

(3) علوم الحديث (ص292).

۞ كيف السّبيل للتّعريف بالصّحابة والتّشجيع على الاقتداء بهم؟

لقد قدّم لنا ابن عبد البر في «الاستيعاب» مادّة غنيّة بلُغة سهلة وأسلوب سلس، كانت محلّ اهتمام جُلّ الباحثين قديما وحديثا، استطاع أن يحقّق بفضلها نسبة عالية مما كان يتطلّع إليه، حيث عرّف بمن هم أحقّ بالتّعريف، مُشيدا بمناقبهم، متحفّظا عما وقع فيه بعضهم من زلاّت، دون المسّ بعدالتهم، ولا النّيل من منزلتهم، منبّها بذلك إلى ما لهم من حقوق على إخوتهم في الدّين، فماذا عسانا فاعلين في ظل ما نعيشه من تحوّلات داخلية ومتغيّرات عالمية؟

إن التعريف بالصّحابة الكرام في الحال والمآل يستدعي الكثير من اليقظة والخبرة والجُرأة لمراجعة ما كُتب، ومتابعة ما يصدُر بين الحين والآخر من غثّ وسمين، لتثمين السويّ لكي يعرفه الناس، وفضح الزّائف، والردّ عنه لكي يحْذروه.

وباعتبار العصر عصر رَقْمنة، وتعلّم وتعليم عن بُعد، فقد عُدْت إلى شبكة الانترنت، وأبحرت فيها لساعات طوال علّني أعثر عن مدوّنة تعرّف بالصّحابة الكرام، تعريفا علميّا دقيقا فلم أعثُر عن شيء ترتاح إليه النّفس، ويطمئن به القلب، اللّهم بعض الأعمال المتواضعة، الواقع أغلبها تحت وطأة الضّغوطات الطائفية والمذهبيّة الضيّقة، بل وللأسف الشّديد فإنّ بعض المواقع قد تضمنت من المواقف ما وصل بأصحابها إلى حدّ تقديس الصّحابة الكرام كلاًّ أو بعضا، في إطار مواجهتها لمواقع أخرى بلغ المكر بأصحابها إلى حدّ رفع العدالة عن الصحابة الكرام، بل إن ما يشكوه بعض المدوّنين من جهل بغيض وحقد دفين وصل بهم الأمر إلى حدّ المسّ بأعراض نفر من الصّحابة الكرام.

إن ما يلحق رموز الأمة اليوم من صنوف الإساءة والتشويه ليستدعي من المشرفين على المجال الدّيني والعاملين فيه الكثير من العمل المنهج الدءوب باعتماد مختلف وسائل التواصل الممكنة للحدّ من هذه المواقف المتشنجة، والحملات المغرضة، درءا لكل ما من شأنه إحداث المزيد من التشرذم والكراهية والحقد.

خاتمة

لقد أردنا من خلال هذا التّقديم الاعتراف بالفضل لعَلَم من أعلام المغرب والأندلس تقديرا لما بذله من جهود في خدمة الإسلام من خلال تصنيفه لعمل موسوعي، خصّه للتعريف بالصّحابة الكرام تديّنا وعلما وتضحية، اعتقادا منه أن لا سبيل لتحقيق الالتزام بالإسلام عقيدة وممارسة إلا بوجود القدوة الصالحة، وفي مقدّمتها، بعد رسول الله ﷺ، جيل الصّحابة الكرام.

كما سعينا من خلال هذا العمل إلى التأكيد على أن «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ما كان له أن يحدث كل تلك الحركة العلمية، ويحقّق كل ذلك الإشعاع لولا موسوعيّة ابن عبد البر وتواضعه، وما التزم به من أمانة علميّة في النّقل وموضوعية في التّحليل والاستنتاج والاستدلال، مما جعل منه ولفترة طويلة خير معين على تغطية ما حصل من نقص، ووضع حدّ لما جدّ من اختلافات، فضلا عن كونه أحد الشواهد على ما بلغته الحركة الفكرية في الأندلس من نُضج وإشعاع.

وعموما فإن ما بلغه العالم اليوم من تقدّم رهيب في وسائل الاتصال والمعلوماتية ليستوجب من المسلمين أفرادا وجماعات العمل على استثمار تلك المكاسب الاستثمار الأمثل لما يخدمهم حاضرا ومستقبلا بدءا بالتعرّف عن رموزهم، والتّعريف بهم، والذبّ عنهم. ولقد سبق لنا في ندوة دولية أقامتها المنظمة الإسلامية للتّربية والثقافة والعلوم أن اقترحنا إقامة جامعة افتراضيّة إسلاميّة مستقلّة تُديرها نُخبة من كبار العلماء والخبراء من مختلف التخصّصات والطوائف الإسلامية، يوكل أمر تمويلها والإشراف عليها إلى المنظمة المذكورة مع الاستئناس بآراء كبار المرجعيات

الدّينية والفكريّة من أبناء الأمة. وأجدني اليوم في حاجة لإعادة طرح هذا المقترح لما قد يحقّقه من مردود إيجابي. ولعل تحقيق موسوعة «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» التّحقيق اللائق به، والتّقديم له بدراسة علميّة متخصّصة، وترجمته لأكثر اللغات انتشارا في العالم، وجعله في المتناول ورقيا ورقميا يكون أول لبنة من لبنات ذلك المشروع المنشود، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

والسلام عليكم ورحمة الله

فهرس المصادر والمراجع

- ابن الأبار محمد بن عبد الله القضاعي، تكملة الصّلة، دار الكتاب العربي للطّباعة والنّشر، القاهرة، ط1، 1967م.
- ابن الأثير علي بن محمد الشيباني، أُسْد الغابة في معرفة الصّحابة، نشر دار الفكر، بيروت، (د.ط.ت).
- الأصبهاني أبو نعيم، معرفة الصّحابة، تح محمد راضي عثمان، مكتبة الدار بالمدينة المنوّرة، 1408هـ.
- الباتلي أحمد، معرفة الصّحابة عند المحدّثين، كتبة الرّشيد، الرّياض، ط1/1426هـ، 2005م.
- بدوي عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، 1962.
- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك، الصّلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدّثيهم وفقهائهم وأدبائهم، الدار المغربية للتأليف و الترجمة، مصر، (د.ط)، 1966م.
- التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، منشورات كلية الدعوة بطرابلس، ط.1/1989م.
- التلمساني أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب، تح إحسان رشيد عبّاس، نشر دار صادر بيروت، (د.ط)، 1388هـ/1968م.
- ابن حجر أحمد بن علي بن محمّد العسقلاني، الإصابة في تميز الصّحابة، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ط. ت).
- حلمي عبد المنعم، منهجيّة البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، سلسلة "دعوة الحقّ"، ع 183، س 16، مكة المكرّمة، 1418هـ.
- الحميدي محمد بن أبي نصر، جذْوَة المقْتبس في تاريخ ولاة الأندلس، تح إبراهيم الأبياري، نشر دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 2، 1410هـ/ 1989م.
- الذّهبي محمد بن أحمد، تذكرة الحفّاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط.ت).

- السراج محمد بن محمد الأندلسي، الحلل السّندسية في الأخبار التونسيّة، تح الحبيب الهيلة، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.
- السهيلي عبد الله بن عبد الرحمن، الروض الأنف في تفسير سيرة ابن هشام، تح عبدالرحمن الوكيل، نشر دار الكتب الحديثة، القاهرة، (د.ط.ت).
- السّيوطي جلال الدين، طبقات الحفّاظ، تح علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1339/1هـ- 1973م.
- ابن الصلاح أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، علوم الحديث، تح: سرح نور الدّين عتر، دار الفكر، سوريا، ط 3، 1404هـ/1984م.
- الضبي أحمد بن يحي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح إبراهيم الأبياري، نشر دار الكتاب المعري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1410هـ/ 1989م.
- الظاهري أبو محمد علي بن محمد بن أحمد، رسائل ابن حزم الأندلسي، تح إحسان رشيد عباس، مطبعة الهنا، مصر، (د.ط.ت).
- ابن عبد البَر أبو عمر يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطّباعة والنّشر، القاهرة، (د.ط.ت).
- ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله، القصد والأمم في التّعريف بأصول أنساب العرب والعجم، طبعة السّعادة، ط1350/1هـ
- ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله، الاستغناء في أسماء المشهورين من حملة العلم بالكُنَى، تح عبد الله مرحول السّوالمة، دار ابن تيميّة للنّشر.
- عتر نور الدّين، منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر، دمشق، ط3، 1401هـ/1981م.
- العسكري الحسن بن عبدالله، تصحيفات المحدّثين، تح محمود أحمد ميرة، نشر المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ط1، 1402هـ/1982م.
- ابن فرحون إبراهيم بن علي، الدّيباج المذهّب في معرفة أعيان المذهب، دار الكتب العلميّة، بيروت (د.ط.ت).
- الكتاني محمّد بن جعفر، الرّسالة المُستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرّفة، دار قهرمان للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول، تركيا، (د.ط)، 1986.

«مؤلفات علماء الغرب الإسلامي في الصحابة الكرام»

-ثبت بيبليوغرافي-

ذ.طارق طاطمي

مُلَخّصُ البَحْث

اجتهد علماؤنا في وضع تصانيف جليلة تعرّف بالصحابة رضي الله عنهم، بذكر سيرهم وأحوالهم ومناقبهم ومختلف مناحي حياتهم، حتى كثُرت المصنفات في هذا الباب وتعددت بشكل تعذّر معهُ جمعها وعدّها، وقد كان السبق في ذلك لعلمائنا المشارقة؛ إذ هم العمدة وعليهم المعوّل، وإلى جانب هذا السبق المشرقي ساهم علماؤنا في الغرب الإسلامي بحظ وافر من التصنيف في موضوع الصحابة، عبّروا من خلاله عن حبّهم لرسول الله ﷺ وآله وأزواجه وذرّيته وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، وعن تمسّكهم بعقيدة أهل السنة والجماعة ونبذ كلّ ما خالفها في الأصول. ويأتي هذا البحث في سياق إبراز وبيان الجهود العلمية التي بذلها علماؤنا بالغرب الإسلامي، من خلال ثبت بيبليوغرافي، حاولت فيه استقراء وتتبّع جميع ما وضعوه حول موضوع الصحابة إلى يومنا هذا، حسب ما تيسّر لي الوقوف عليه من المظان، والدواوين، وكتب التراجم، والفهارس، والبرامج، وكتب التاريخ والأدب، والأبحاث التي أُلِّفَت في الموضوع، وغير ذلك من المصادر التي حوت تأليفاً في موضوع البحث.

الباحث في سطور

الأستاذ طارق طاطمي tatmi2@hotmail.com

- من مواليد عام 1980م بأولاد التايمة ـ إقليم تارودانت.
- باحث بمركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث ـ الرابطة المحمدية للعلماء بالرباط.
- دبلوم الدراسات العليا بجامعة ابن زهر أكادير للآداب، تحقيق ودراسة كتاب: «نفائس الدرر من أخبار سيد البشر»، لأبي سرحان جَمُّوع السجلماسي الفاسي(ت1119هـ)، والكتاب مطبوع.

- يقوم بإعداد أطروحة الدكتوراه، في دراسة وتحقيق كتاب:«تلقيح العقول في فضائل الرسولﷺ» لأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد التميمي البصري.
- دراسة وتحقيق كتاب «مرشدة الصبيان ومبصرة لمن أرادها من الإخوان» لأبي سرحان جَمُّوع السجلماسي(ت1119هـ)، وطبع بمركز الدراسات والأبحاث بالرابطة المحمدية ـ الرباط عام 2009م.
- دراسة وتحقيق ـ بالاشتراك ـ كتاب «منظوم الدرر في شرح كتاب المختصر» لأبي بكر ابن الفخار الجُذَامي(ت723هـ)، وهو قيد الطبع بمركز الدراسات والأبحاث.
- الاشتراك في تحقيق ومراجعة مجموعة من الأعمال العلمية بمركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث.
- شارك في تنظيم ندوات وملتقيات علمية.

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، ويوجب رضاه ويقتضي المزيد من فضله وآلائه، سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدّك ولا إله غيرك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده الكريم ورسوله الأمين ونبيّه الذي لا يضيم، اللهم صلّ وسلّم عليه وعلى آله وأزواجه وذريته صلاة وسلاما دائمين ما تعاقب الليل والنهار، وعلى كافة أصحابه الأخيار، المهتدين بهديه، والموفّين بعهده، اختارهم الله على جميع الورى والخليقة، ورفع بهم المنازل وشرّف بهم القبائل، وفضّلهم على جميع أتباع المرسلين والنبيين، وصلّ اللهم وسلّم على التابعين لهم، وتابعيهم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فلا يخفى على كل ذي لبّ أن العلوم تشرف بشرف موضوعها، ولا جرم أن من أشرف العلوم علم الحديث النبوي الشريف، ومن أجلّ معارفه تمييز الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فإليهم المآل فيما حفظوا ورووا عن النبي ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات وأقضية وأحكام، ولا يصح الخبر منها إلا إذا اتّصل إسناده برواية العدل الضابط عن مثله إلى الصحابي يرفعه إلى رسول الله ﷺ، كما أن معرفة الصحابة وثيقة الصلة بعلم السيرة النبوية إن لم نقل أن معرفتهم مدار هذا العلم ومحوره؛ إذ هم رجال عصر المبعث، وشهود أحداثه، وجنود مغازيه، وقادة سراياه، ومدار وقائعه، وإليهم المرجع في تدوين أحداث السيرة النبوية، وفي سرد الدلائل، والشمائل، والفضائل، وما إلى ذلك مما شهده عصر النبوة.

ولا شك أن من آكد المهمات على كل مسلم التأسّي بصحابة رسول الله ﷺ، إذ أجمع علماء الأمة على وجوب توقيرهم ومحبّتهم والاعتراف بعدالتهم، والتأسي والاقتداء بهم، والدفاع عنهم وحسن الثناء عليهم، ومما يؤكد هذا المعنى قول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم متأسّياً فليتأسّ بأصحاب محمد ﷺ فإنّهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلّها تكلّفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوما اختارهم الله لصُحبة نبيه وإقامة دينه، فاعْرِفوا لهم فضلهم، واتّبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[1].

وعليهم يصدق قول الشاعر:

فَمَا العِزُّ لِلْإِسْلَامِ إِلَّا بِظِلِّهِمُ   وَمَا المَجْدُ إِلَّا مَا بَنَوْهُ فَشَيَّدُوا

وقد عُرف الصحابة رضوان الله عليهم بأشخاصهم في عهد الصحابة والتابعين، وتميّزوا في المرويات الموثقة من كتب الصحاح والسنن والمسانيد والموطآت والمعاجم، وفي كتب السيرة والمغازي والفتوح، وكتب الطبقات والأنساب والتاريخ، وغيرها، لكن كانت الحاجة ماسّة إلى تجريدهم في مصنفات جامعة تقف على أسمائهم، وتميّزهم، وتسرد آثارهم، وتُعَرّف بسيرهم وأحوالهم.

وسعياً لهذا الفضل اجتهد جمع من الحفاظ في إفرادهم بتصنيف، فأول من عُرف من أهل العلم بذلك أبو عبد الله البخاري الجُعفي(ت256هـ)، ثم ابن الربيع الجِيزي(ت270هـ)، وعبد الله بن محمد المروزي المعروف بعَبْدَان(ت293هـ)، ومُطَيَّن أبو جعفر الحضرمي(ت297هـ)، وعَبدان أبو محمد الأهوازي(ت306هـ)، وابن الجارود النيسابوري(ت307هـ)، وأبو بكر ابن أبي داود(ت316هـ)، وأبو القاسم

(1) جامع بيان العلم وفضله:(2/ 97).

البغوي(ت317هـ)، وأبو الحسين ابن قانع(ت351هـ)، وأبو علي ابن السَّكن(ت353هـ)، وأبو أحمد العسكري(ت382هـ)، وأبو حفص ابن شاهين(ت385هـ)، وأبو منصور البَاوَرْدي، وأبو عبد الله ابن منده(ت395هـ)، وأبو نعيم الأصبهاني(ت430هـ)، وأبو العباس المستغفري(ت432هـ)، وغيرهم من الأئمة الأعلام الذين يتعذر حصرهم.

وجاء بعد هؤلاء جمع آخر من الحفاظ، استفادوا مما صُنِّف قبلهم ونهلوا من معينهم، فوضعوا تصانيف حافلة، بذلوا فيها الجَهد لاستيعاب أسماء الصحابة رضوان الله عليهم، فكان على رأسهم حافظ الأندلس والمغرب أبو عمر ابن عبد البرّ النمري القرطبي(ت463هـ)، وسمّى كتابه «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لظنّه أنه استوعب ما في كتب من قبله، ومع ذلك فقد فاته شيء كثير، وصنّف بعد ابن عبد البر خلائق كُثر، كان أبرزهم عز الدين أبي الحسن ابن الأثير(ت630هـ) في كتابه: «أسد الغابة في معرفة الصحابة»، ورضي الدين أبي الفضائل الصّاغاني(ت650هـ)، وشمس الدين أبي عبد الله الذهبي(ت748هـ)، إلى أن جاء شيخ الإسلام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل ابن حجر العسقلاني(ت852هـ) فصنّف كتابه الفريد: «الإصابة في تمييز الصحابة»، فجمع فيه ووعى ما فات السابقين من تراجم وصنفها وقسَّمها، حيث لم يدع مجالا للتذييل أو الاستدراك على كتابه، وكُلّ من جاء بعده عيّال عليه في هذا الباب.

وعموما فإن المصنّفين في حياة الصحابة وسِيَرِهم وأحوالهم وتاريخهم كثيرة أعدادهم، يعسر علينا جمعهم وعدّهم، وقد كان السّبق في هذا الباب لعلمائنا المشارقة؛ إذ هم العُمدة وعليهم المُعوّل، وإلى جانب هذا السّبق والإسهام المشرقي، نجد نظيراً له عند علمائنا بالغرب الإسلامي مغاربة كانوا أو أندلسيين، عبّروا من خلاله عن حبّهم

لرسول الله ﷺ وآله وأزواجه وذريته وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، وعن تمسّكهم بعقيدة أهل السنة والجماعة ونبذ كلّ ما خالفها في الأصول.

وقد تميّزت الإسهامات المغربية الأندلسية في هذا الموضوع بالكثرة والتنوع، كانت بداياتها الأولى بأرض الفردوس المفقود، بلاد الأندلس الحبيبة، مهد العلم والعلماء؛ فأسهم أبناؤها النُّجَبَاء البررة بإنتاج غزير، بدءاً مع عبد الملك بن حبيب القرطبي(ت238هـ)، وبقيّ بن مخلد(ت276هـ)، وابن فُطَيْس القرطبي(ت402هـ)، وابن الصفّار القرطبي(ت429هـ)، وأبي عمرو الدّاني(ت444هـ)، وأبي محمد ابن حزم الظاهري(ت456هـ)، وغيرهم من الأئمة الأعلام.

لكن يبقى أبرز من شهّر بلاد الأندلس والغرب الإسلامي عموما في موضوع الصحابة: الإمام الحافظ المحدث الحجة أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ النمري القرطبي(ت463هـ)، من خلال كتابه الحافل: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، وضمّ هذا السّفر الجليل أزيد من 3500 ترجمة لصحابة رسول الله ﷺ، ويختلف العدد بين الزيادة والنقصان الناجم عن الاختلاف بين النسخ الخطية للاستيعاب، ويُعدّ الكتاب ذا قيمة شرعية وتاريخية وفكرية كبيرة؛ إذ هو من أوائل المؤلفات التي تناولت تاريخ الصحابة بإطار تاريخي وفكري مميز، والذي يزيد هذا توكيداً ما حظي به من عبارات الثناء في زمن ابن عبد البر وبعده، وفي هذه العبارات تقييم حقيقي ووصف دقيق للكتاب، منها قول الإمام الحافظ ابن حزم الأندلسي(ت456هـ):«ليس لأحد من المتقدمين مثله، على كثرة ما صَنَّفُوا في ذلك»[1]، وقول الإمام الضبّي:«رأيت أهل المشرق يستحسنون الاستيعاب جدّاً، ويقدمونه على

(1) رسالة في فضل الأندلس:(3/ 170) ضمن نفح الطيب.

ما أُلّف في بابه»[1]، وغير ذلك من العبارات التي تُقَيِّم الكتاب، وفيها مَعَانٍ لها دلالتها.

ثم جاء بعد ابن عبد البرّ أئمة أعلام كُثر إلى يومنا هذا، فمِن مستدرك على كتابه، ومن مختصر له، ومن مؤلف لكتاب مستقلّ، ما تحصّل بمجموعه تراث أندلسي مغربي في علم معرفة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فاق الثلاثمائة مَصَنَّف، ينضاف إلى إسهامات إخوانهم المشارقة لبناء الصّرح الإسلامي التّليد المجيد.

ويأتي هذا البحث في سياق بيان وإبراز الجهود العلمية التي بذلها علماؤنا بالغرب الإسلامي، من خلال ثبت بيبليوغرافي، حاولت فيه بجهدي المُقلّ استقراء وتتبّع جميع ما ألفوه حول موضوع الصحابة منذ بداية التأليف إلى يومنا هذا، حسب ما تيسّر لي الوقوف عليه من المظان، والدواوين، وكتب التراجم، والفهارس، والبرامج، وكتب التاريخ والأدب، والأبحاث التي أُلِّفَت في الموضوع، وغير ذلك من المصادر التي حوت تأليفاً في موضوع البحث.

فجاءت الأعمال العلمية في موضوع الصحابة متعددة متنوعة، فاقت الثلاثمائة مصنف، ما بين تآليف مفردة، وشروح، واختصارات، واستدراكات، وأجزاء، وغير ذلك، ويمكن إجمال الأعمال التي صنفت في الصحابة وفق التقسيم الآتي:

1. **مصنفات مفردة في حياة الصحابة، وذكر أحوالهم وسيرهم وما إلى ذلك،** وتحت هذا الصنف يندرج كتاب معجم الصحابة للقرشي، وكتاب الاستيعاب لأبي عمر ابن عبد البر واستدراكاته ومختصراته، مثل: استدراك أبي علي الغسّاني، واستدراك أبي بكر ابن مُفَوَّز المعافري، واستدراك أبي عبد الله ابن فَتْحُون الأُورْيُولي، وإكماله لأبي

---

(1) بغية الملتمس(ص490).

العباس ابن السَّكَّان المالقي، واستدراك أبي إسحاق ابن الأمين، وزيادات أبي القاسم ابن بشْكُوَال عليه، واستدراك أبي الوليد ابن الدّبّاغ، واستدراك أبي محمد الأشيري، واستدراك أبي القاسم السُّهيلي المالَقي، واستدراك أبي القاسم المَلَّاحي الغافقي، واختصار الاستيعاب لأبي العباس ابن سُمَيرة الفهري، واختصاره لأبي علي الوَرْيَاغلي، وكتاب تراجم الصحابة لأبي مروان ابن حيان الأموي، وكتاب الجامع لما في المصنَّفات الجوامع من أسماء الصحابة الأعلام أولي الفضل والأحلام لأبي موسى الرُّعَيني الرُّنْدِي، وكتاب ميدان السابقين وحلبة الصَّادِقِين المصَدِّقِين في ذكر الصحابة الأكرمين ومن في عِدَادهم بإدراك العهد الكريم من أكابر التابعين رضي الله عنهم أجمعين لأبي الربيع الكَلَاعي البَلَنسي، وإكماله لأبي العباس ابن السَّكَّان المالقي، وغيرها من المصادر التي أفردت الصحابة بالتصنيف.

2. **مصنفات في التعقيب على بعض المصادر التي ترجمت للصحابة وبيان أوهامها،** مثل كتاب الإعلام والتعريف بما لابن قانع في معجمه من الأوهام والتصحيف لابن فتحون الأوريولي، وكتاب الأوهام الواقعة في الاستيعاب له أيضاً.

3. **مصنفات في فضائل الصحابة وقريش عموما، أو طائفة من الصحابة كالمهاجرين والأنصار، أو في فضل صحابي مخصوص،** وأمثلة هذا الصنف كثيرة، منها كتابي فضائل الصحابة ومصابيح الهدى لأبي مروان ابن حبيب السُّلَمي، وكتاب فضائل الصحابة لبقي بن مخلد القرطبي، وكتاب فضائل قريش لأبي محمد ابن أصبَغ البَيَّاني القرطبي، وكتاب المصابيح في فضائل الصحابة والتابعين لأبي المُطَرِّف ابن فُطَيس الغافقي، وكتاب فضائل الأنصار لأبي الوليد ابن الصفّار القرطبي، ورسالة أبي محمد ابن حزم في المفاضلة بين الصحابة، وكتاب فضائل عليّ لابن عبد البر، وكتاب فضائل الصحابة لأبي محمد الشَّقْرَاطيسي التَّوْزَرِي، ومقالة في فضل عائشة لأبي الحسن

ابن القطان الفاسي، وكتاب نُزْهَة الأبصار في فضائل الأنصار لأبي بكر ابن الفراء الغَسَّاني، وكتاب جلاء الأفكار في مناقب الأنصار لأبي زيد الدبّاغ، وكتاب تحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة لأبي الفتح ابن سيد الناس اليعمري، وكتاب الإصابة في فضل النبي والصحابة لابن أبي البركات العربي المرداسي، وكتاب تحفة الأخيار في فضائل الأنصار لنور الدين ابن حسين الأنصاري ، وغير ذلك من التصانيف.

4. **مصنفات في ذكر مناقب الصحابة وكراماتهم ومدحهم والدفاع عنهم** وما أشبه ذلك، ومثاله: القصيدة الوضَّاحِيَّة في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لأبي عمران ابن بهيج الأندلسي الواعظ، وكتاب ظَلُّ الغمامة وطوق الحمامة في مناقب من خصَّه رسول الله ﷺ من صحابته بالكرامة، وكتاب مِعراج المناقب ومنهاج الحسن الثاقب في نَسب رسول الله ﷺ وما انتظم به من مناقب أصحابه رضوان الله عليهم، وكتاب مناقب العشرة وعمي رسول الله ﷺ ، جميعهم من تأليف ذي الوزارتين أبي عبد الله ابن أبي الخصال الغَافِقِي، وكتاب مناقب السبطين الحسن والحسين لأبي عبد الله التجيبي، وكتاب التحقيق في مناقب أبي بكر الصديق لأبي الخطاب ابن دحية السبتي، وكتاب التبيين عن مناقب من عرف قبره بقرطبة من الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين لأبي القاسم ابن الطَّيْلَسَان الأنصاري، وكتاب نزهة الناظر في مناقب عمار ابن ياسر لابن عسكر المالقي، وكتاب السِّلك المثنى النظام بما للصحابة الكرام على جميعهم الرضوان والسلام من الكرامات والمكرمات العظام لأبي محمد ابن القطان الفاسي، وكتاب المقامات العلية في كرامات الصحابة الجلية لأبي الفتح ابن سيد الناس اليعمري، وكتاب تحفة الصديق في براءة الصديق لأبي عبد الله الأوسي البلنسي، وغيرها.

5. **مصنفات في نسب الصحابة وقريش**، ومن أمثلتها: كتاب أخبار قريش وأخبارها وأنسابها لعبد الملك بن حبيب السلمي، وكتاب الإنباه على قبائل الرواة لأبي عمر ابن عبد البر النمري، وكتاب اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصَّحابة ورواة الآثار لأبي محمد الرُّشاطي الأورِيُولي، واختصاره لأبي محمد ابن خرَّاط الأزدي الإشبيلي، واختصاره لأبي عبد الله المُرسي الأنصاري، وكذا اختصاره لأبي عبد الله الغسَّاني الغرناطي، واختصاره لأبي الحسن علي بن أحمد الحريشي، وكتاب حديقة الأنوار في تذييل اقتباس الأنوار والتماس الأزهار لأبي محمد الحريري اللخمي الحرار، وكتاب الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة لأبي عبد الله التلمساني البُرّي، وغيرها.

مصنفات في الصحابة القراء، أو الصحابة المفتين وفتاواهم، أو شعراء الصحابة، أو شعر صحابي مخصوص، ومن أمثلتها: كتاب في فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم لبقي بن مخلد القرطبي، وكتاب طبقات القراء والمقرئين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين، لأبي عمرو الداني ابن الصيرفي، وكتاب أصحاب الفتيا من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتوى لأبي محمد ابن حزم، وكتاب آثار السحابة في شعراء الصحابة لأبي عمرو ابن عُرَيْبَة القيسي، وكتاب مِنَح المدائح أو شعراء الصحابة ممن مدح الرسول ﷺ أو رثاه لأبي الفتح ابن سيد الناس اليعمري، وغير ذلك.

6. **مصنفات وأبحاث أُفرِدت لذكر الخلفاء الراشدين وفضائلهم، أو وقع ذكرهم ضمن كتب التاريخ والسير**، فمنها: أرجوزة تاريخية في ذكر الخلفاء لأبي عمر ابن عبد ربه القرطبي الأديب، وكتاب أسماء الخلفاء المهديين والأئمة أمراء المؤمنين لأبي محمد ابن حزم، وكتاب في سير الخلفاء الثلاثة وغزواتهم لأبي القاسم ابن حُبيش

الأنصاري، وكتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء لأبي مروان ابن الكردبوس التَوْزَرِي، وكتاب فضائل الخلفاء الأربعة لأبي القاسم المَلَّاحي الغرناطي، وكتاب الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء لأبي الرَّبيع الكلاعي البلَنسي، وكتاب العُمْدَة في النبي ﷺ والخلفاء بعده لأبي عبد الله التلمساني البُرّي، وكتاب مورد الصفا في سيرة النبي عليه السلام والخلفا لأبي محمد العلوي السجلماسي الضرير، وغيرها.

7. **مصنفات مفردة في أهل بدر ومدحهم والتوسل بهم**، وقد اكتفيت في هذا الصنف بذكر الثابت منها، وتغاضيت عن إدراج مجهولة النسبة إلا ما القليل منها لكثرتها، ومن أبرز الأمثلة على هذا النوع: كتاب أسماء الصحابة البدريين لأبي عبد الله الجزولي الشاذلي السملالي، وكتاب إشراق البدر في عدد أهل بدر لأبي العباس البوسعيدي الهشتوكي، ونظم في التوسل بأهل بدر لعبد الله العياشي الزياني، وكتاب هالة البدر في نظم أسماء أهل بدر لأبي سالم العيّاشي، وغير ذلك.

8. **مصنفات في أهل البيت وأزواج النبي ﷺ وأولاده، وذكر فضائلهم، ومناقبهم، ونسبهم، والتوسل بهم ومدحهم**،ويندرج تحت هذا الصنف تآليف عديدة، من أهمها: كتاب فضائل أهل البيت لأبي محمد ابن التبّان، وكتاب اللمعة في ذكر أزواج النبي ﷺ وأولاده السبعة لأبي عبد الله التجيبي التميمي الفاسي، وكتاب مناقب أهل البيت لمحيي الدين ابن عربي الحاتمي الطائي، ومنظومة في التوسل بأزواج النبي ﷺ لأبي عبدالله محمد ابن العابد الأنصاري الفاسي، وكتاب روضة الأزهار في نسب آل بيت النبي محمد المختار وصحابته السراة الأطهار لأبي زيد القيرواني الدباغ، وكتاب نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام لأبي عبد الله ابن أبي غالب السَّكَّاك المكناسي، وكتاب كنز الأسرار ومعدن الأنوار في آل بيت النبي

المختار لأبي العباس التلمساني المقَّرِي، وكتاب وصلة الزلفى تقرباً بآل المصطفى لأبي العباس البوسعيدي الهشتوكي، وقصيدة رائية في مدح أهل البيت لأبي حامد العربي الفهري القصري، وكتاب جوهرة العقول في ذكر آل الرسول لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، وغيرها.

9. **مصنفات تناولت موضوع الفتنة بين الصحابة، وذكر بعض حروبهم، أو الحديث عن مقتل صحابي مخصوص ومراثيه**، ومن أبرز أمثلة هذا الصنف العواصم من القواصم، وشرح حديث الإفك كلاهما لأبي بكر ابن العربي المعافري، وأرجوزة في قصة مقتل الحسين رضي الله عنه لأبي عمران ابن المناصف الأزدي، وكتاب أعلام النصر المبين في التفاضل بين أهل صفين لأبي الخطاب ابن دحية السبتي، وكتاب معدن اللجين في مراثي الحسين لأبي عبد الله ابن الأبار القضاعي، وكتاب التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان بن عفان لأبي عبد الله محمد بن يحيى المالقي، وغير ذلك من التآليف.

10. **مصنفات أخرى متعددة، بعضها تناول كنى الصحابة، أو الإخوة من الصحابة، أو إسلام الصحابة**، وغير ذلك، منها كتاب كنى الصحابة، وكتاب أسماء المعروفين بالكنى من الصحابة والتابعين وسائر المحدثين كلاهما لأبي الوليد ابن الدَّبَّاغ، وكتاب الإخوة من المحدثين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين لأبي المطرف ابن فُطَيْس الغافقي، وتأليف مختصر في إسلام الصحابة لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، وكتاب المعجم فيمن وافقت كُنيته كُنية زوجه من الصحابة لأبي الربيع الكلاعي البلنسي، وغيرها.

ولا يخفى على المشتغلين في البحث البيبليوغرافي ما يتطلبه هذا العمل العلمي من عناء شديد في البحث، وما يفرضه من تدقيق وتحقيق؛ فضبط الأعلام ووفياتهم،

وإثبات نسبة العمل لهم، يحتاج الرجوع إلى المصادر التي ترجمتهم وغيرها، تجنباً للوهم والاختلاط، فقد يكون العمل واحدا ويصير متعدداً، أو العكس، مثل كتاب المسند لبقي بن مخلد، فهو كتاب واحد، لكن وُجِد من نسبه له، ونسبه لعبد الله بن يونس القبري، ولابن حزم، مع أن أعمالهم لا تعدو كونها روايةً أو ترتيباً لمسند بقي بن مخلد، لذلك وجب على الباحث في هذا النمط من البحث العلمي التحري والتثبت الشديدين.

وقد يسر الله جمع هذا البحث البيبليوغرافي وترتيبه وتدوينه، متبعاً فيه الخطة الآتية:

> حاولت جاهداً أن أذكر جميع الأعمال والأبحاث العلمية المغربية والأندلسية الموضوعة على الصحابة رضوان الله عليهم، وأرتبها ترتيبا زمنياً على طريقة الحوليات عند المؤرخين، أما الأعمال العارية من ذكر مؤلفيها، أو تلك التي لم أستطع تعيين وفيات مصنفيها أرجأت ذكرها في آخر البحث، ثم أرفقتها بملحق يضم مجمل ما ألف في الموضوع من رسائل وأطاريح وبحوث.

> وأعني بالأعمال المغربية والأندلسية: الآثار التي وضعها علماء الأندلس، والمغرب الأقصى، وإفريقية، وبلاد شنقيط؛ إذ شكّلوا عبر الأزمنة المتعاقبة وحدة في الجغرافيا، والحضارة، والتاريخ المشترك.

> ونظراً لتشعب موضوع البحث، كان لزاما علي أن أُدرِج العديد من التصانيف التي لم يتيسر لي الوقوف عليها، ويغلب على الظن أنها تناولت الصحابة بالذكر مثل كُتُب الأنساب، أما التآليف التي ذكرت الصحابة تبعاً لا قصداً من قبيل كتب التراجم والتاريخ والسير فقد غفلتُ عن ذكرها، وبخصوص الأطاريح والرسائل والأبحاث التي وضعتها في آخر البحث لم أتبع فيها سبيل الاستقراء، وإنما كان ذلك بحسب ما تيسر لي من وقت ومصادر.

➢ والتزمت في هذا البحث بذكر كل عمل، ونَقْل عنوانه عن أصح وأقدم المصادر، وأحيانا أذكر مصدرين أو ثلاثة إن وَجَدت اختلافاً في ضبط اسم الكتاب، وأذكر العناصر المهمة في ترجمة المؤلف من ذكر اسمه واسم أبيه وجده وكنيته ولقبه وسَنة وفاته إن وجدت، دون الإحالة على مصادر ترجمته خشية إثقال الهوامش.

➢ كما حرصت كل الحرص في هذا العمل البيبليوغرافي على ذكر جميع ما وقفت عليه من نسخ مخطوطة للأعمال التي لم تطبع أو تحقق بعد، مع ذكر محلّ وجودها، وما وقفت عليه أذكر أوّله وآخره، وأحياناً أُقدِّم خلاصة عنه أو أنقل أقوال أهل العلم في التعريف به أو تقريظه إن وجدت، أما عن الكتب المطبوعة والمحققة فألتزم بذكر أهم بياناتها، من محقق وتاريخ التسجيل أو المناقشة، وتاريخ الطبع ومحله.

والله المسئول أن يحظى هذا العمل العلمي المتواضع بالقبول والنفع، وأن أكون قد وُفّقت فيه إلى ما قصدت من خدمة تراثنا الإسلامي التليد، والتعريف بنفائسه وذخائره، ولا أدعي الكمال في بحثي، بقدر ما فسحت فيه مجالا لزيادة مستزيد.

والله يعلم ما أخذه مني هذا البحث من جهد ووقت، فأسأله تعالى شأنه أن يتقبّله، ويوفّقنا ويرشدنا لطاعته والقرب إليه.

وفيما يأتي قائمة بيبليوغرافية بالأعمال الموضوعة على الصحابة، مرتبة على وفيات المصنفين:

1. **فضائل الصحابة:** لأبي مروان عبد الملك بن حبيب السلمي البيري القرطبي (ت238هـ)[1].

---

(1) تاريخ علماء الأندلس: (1/ 270).

2. **مصابيح الهدى**: لعبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ)[1]، ذكر فيه الصحابة والتابعين.

3. **كتاب أخيار قريش وأخبارها وأنسابها**: لعبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ)[2].

4. **كتاب الأرحام التي بين رسول الله ﷺ وبين أصحابه سوى العصبة**: لعبد الملك ابن حبيب السلمي(ت238هـ)[3].

5. **عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث**: لأبي عبد الرحمن بقيٌّ بن مخلد ابن يزيد القرطبي(ت276هـ)، وهو عبارة عن مقدمة مسند بقي بن مخلد، طبع في المدينة المنورة عام 1404هـ/ 1984م، بتحقيق د. أكرم العمري، وقد طبع أول مرة بترتيب ابن حزم بتحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد، نشرته دار المعارف عام 1950م ضمن كتاب جوامع السيرة لابن حزم، ثم طبع مفرداً ببيروت عن دار الكتب العلمية بتحقيق سيد كسروي حسن سنة 1412هـ/ 1992م.

6. **فضائل الصحابة**: لأبي عبد الرحمن بقيٌّ بن مخلد بن يزيد القرطبي(ت276هـ)[4].

7. **كتاب في فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم**: لأبي عبد الرحمن بقي بن مخلد ابن يزيد القرطبي(276هـ)[5].

---

(1) تاريخ علماء الأندلس:(1/ 270)، ترتيب المدارك:(4/ 127).
(2) ترتيب المدارك:(4/ 128).
(3) السيرة النبوية في الغرب الإسلامي:(ص130).
(4) الاستيعاب:(1/ 161)، شجرة النور الزكية:(1/ 481).
(5) الأعلام:(2/ 60).

8. **أرجوزة تاريخية في ذكر الخلفاء**: لأبي عمر أحمد بن محمد ابن عبد ربه القرطبي الأديب(ت328هـ)، ذكر فيها أخبار الخلفاء، وجعل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه رابعهم، ولم يذكر علياً رضي الله عنه فيهم، ثم وصل ذلك بذكر الخلفاء من بني مروان إلى عبدالرحمن بن محمد، وذكر ابن الأبار أن القاضي منذر بن سعيد لما اطلع على هذه القصيدة كتب بهامشها أبياتا أنشد فيها:

أوما عَليٌّ لَا بَرَحتَ مُلعنا ... يا ابن الخبيثة عِندكُم بإمام

ربُّ الكسَاء وخَيرُ آلِ مُحَمد ... دَانِي الوَلاء مقدّم الإسلام[1]

9. **فضائل قريش**: لأبي محمد قاسم بن محمد بن يوسف بن ناصح ابن أصبغ القرطبي المعروف بالبيَّاني(ت340هـ)[2].

10. **فضائل أهل البيت**: لأبي محمد عبد الله بن إسحاق المعروف بابن التبّان(ت371هـ)[3].

11. **أسماء المعروفين بالكنى من الصحابة والتابعين وسائر المحدثين**: لأبي الوليد خلف بن قاسم بن الدَّبَّاغ القرطبي(ت393هـ)[4].

12. **كنى الصحابة**: لأبي الوليد خلف بن قاسم بن الدباغ القرطبي(ت393هـ)[5].

---

(1) التكملة لكتاب الصلة:(1/ 239).

(2) ترتيب المدارك:(5/ 182).

(3) نفسه:(6/ 253).

(4) جذوة المقتبس:(197).

(5) نفسه:(210).

13. **معجم الصحابة:** لحسين بن عبد الله القرشي الأندلسي(توفي بعد400هـ)، في ثلاثين جزءاً[1].

14. **الإخوة من المحدثين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين:** لأبي المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى ابن فُطَيْس الغافقي القرطبي(ت402هـ)[2]، قال ابن بشكوال: في أربعين جزءاً.

15. **المصابيح في فضائل الصحابة والتابعين:** لأبي المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى ابن فُطَيْس الغافقي القرطبي(ت402هـ)[3]، يقع في مائة جزء.

16. **فضائل الأنصار:** لأبي الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث بن الصفار الأنصاري القرطبي(ت429هـ)[4].

17. **تأليف مختصر في إسلام الصحابة:** لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش القيسي الأندلسي(ت437هـ)[5].

18. **طبقات القراء والمقرئين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين إلى عصر مؤلفه وجامعه على حروف المعجم:** لأبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان المقرئ الداني، المعروف بابن الصيرفي(ت444هـ)[6]، قال عنه ابن الجزري:«في أربعة أسفار، عظيم في بابه، لعلي أظفر بجميعه»[7].

---

(1) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون:(2/ 509).

(2) الصلة لابن بشكوال:(1/ 311).

(3) نفسه:(1/ 311).

(4) ترتيب المدارك:(8/ 19).

(5) إنباه الرواة:(3/ 319).

(6) فهرسة ابن خير:(72).

(7) غاية النهاية:(1/ 505).

19. **رسالة في المفاضلة بين الصحابة: لأبي محمد** علي بن أحمد بن حزم الظاهري القرطبي(ت456هـ)، طبعت بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني، الطبعة الثانية سنة1389هـ/ 1969م.

20. **أسماء الخلفاء المهديين والأئمة أمراء المؤمنين**: لأبي محمد ابن حزم(ت456هـ)، طبعته دار إحياء السنة في باكستان دون تاريخ، ملحق بجوامع السيرة، بتحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد، ومراجعة أحمد شاكر.

21. **أصحاب الفتيا من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتوى**: لأبي محمد ابن حزم(ت456هـ)[1]، وذكر فيها أسماء المفتين من الصحابة دون تعريفهم ولا ذكر طبقاتهم، وهم في ترتيبه ثلاث درجات: المكثرون وعددهم سبعة، ذكرهم في أول القائمة، قدم عائشة، ثم علي بن أبي طالب، يليهم ابن عمر، فعبدالله بن عباس، والمتوسطون: وعددهم ثلاثة عشر، ويمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم جزء صغير، والباقي منهم مُقلّون في الفتيا، لا يروى عن الواحد منهم إلا المسألة والمسألتان، والزيادة اليسيرة على ذلك، وجميع من ذكر في الرسالة مائة واثنان وأربعون رجلا، وعشرون امرأة من الصحابة. طبع عن دار الكتب العلمية ببيروت عام 1995م، بتحقيق سيد كسروي حسن، ويتكون من (296 صفحة).

22. **نقط العروس في تواريخ الخلفاء**: لأبي محمد ابن حزم(ت456هـ)[2]، بدأ الكتاب بذكر أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقسمه إلى أبواب، منها: «أول الأسماء التي وقعت على الخلفاء رضي الله عنهم»، و«من ولي العهد وتسمى أو لم يتسمَّ ولم يتم له أمر، ومن قام بطلب الخلافة وتسمى بها ولم يتم أمره وقد سمّي أو لم يسمَّ»، و«من طلب الخلافة

(1) الإحكام لابن حزم:(5/ 87).
(2) الذخيرة:(1/ 433)، نفح الطيب:(3/ 182).

وتسمى بها ولم يتم أمره من قريش» وغيرها. والكتاب مطبوع، نشرته المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، عام 1987م، بتحقيق د. إحسان عباس في حدود (116 صفحة).

23. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ النَّمْرِي القرطبي (ت463هـ)، يعد الكتاب أصلا من أصول معرفة الصحابة والتاريخ الإسلامي عامة، وعليه كان المعول في التأليف في موضوع الصحابة، ضَمّنه ابن عبدالبر أزيد من 3500 ترجمة على اختلاف في النسخ الخطية للاستيعاب بسبب عبث النساخ، ومما يشهد لمكانته قول الإمام ابن حزم الظاهري فيه وهو يصف تصانيف الإمام ابن عبد البرّ: «ومنها كتابه في الصحابة سماه كتاب الاستيعاب في أسماء المذكورين في الروايات والسير والمصنفات من الصحابة رضي الله عنهم، والتعريف بهم، وتلخيص أحوالهم ومنازلهم، وعيون أخبارهم على حروف المعجم اثنا عشر جزءاً، ليس لأحد من المتقدمين مثله على كثرة ما صنفوا في كتب الصحابة»[1]، وقال الضبّي أيضاً: «رأيت أهل المشرق يستحسنون الاستيعاب جدّاً، ويقدمونه على ما أُلِّف في بابه»[2]، ومع ذلك فالكتاب لم يسلم من انتقادات وتعقيبات، منها قول الإمام ابن الصلاح: «وقد شان ابن عبد البرّ كتابه بذكر ما شجر بين الصحابة، مما تلقاه من كتب الإخباريين وغيرهم»[3]، إلا أن ابن عبد البر قد دافع عن منهجه هذا بقوله عمن سلفه من الكُتّاب في الصحابة: «قد أضربوا عن التنبيه على عيون أخبار الصحابة التي يوقف بها على مراتبهم»، وقد طبع الكتاب أول مرة في الهند بحيدرآباد عام 1318هـ، ثم تكررت طبعاته بعد ذلك.

---

(1) رسالة في فضل الأندلس: (3/ 170) ضمن نفح الطيب.
(2) بغية الملتمس: (490).
(3) الباعث الحثيث: (2/ 492-493).

24. **أسمـاء المعروفين بالكنى من حملة العلم ومبلغيـه ورواتـه وناقليـه مـمن اشـتهر بكنيته ولم يذكر في أكثر أسانيد الأحاديـث مـمن لم يـصحب النبـي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولم يـره ولا كان مسلمـا في حياته**: لأبي عمر ابن عبد البر النمري(ت463هـ)[1]، منه نسخة خطية في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم(143ق)، ونسخة في مكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم (7445 تاريخ).

25. **الإنباه على قبائل الرواة**: لأبي عمـر ابـن عبـد الـبر النمـري(ت463هـ)[2]، طبـع بالقاهرة عام 1350هـ مع كتابه:«القصد والأمم في أنساب العرب والعجم»، قـال عنـه ابن عبد البر: «أمـا بعد، فإني ذكـرت في كتـابي هـذا أمـهات القبائـل التـي روت عـن رسول الله ﷺ، وقربت ذلك واختصرته وبينته، وجعلته دليلا عـلى أصـول الأنـساب، ومدخلا إلى كتابي في الصحابة، ليكون عوناً للناظرين فيه ومنبها على مـا يـحتاج إليـه من معرفة الأنساب، فإنه علم لا يليق جهله بذوي الهمم والآداب، لمـا فيـه مـن صـلة الأرحام...». وقد وطبع أيضا بتحقيق إبراهيم الأبياري عن دار الكتاب العربي بلبنـان عام 1405هـ/ 1985م، في حدود (140 صفحة).

26. **فضائل علي بن أبي طالب**: لأبي عمر ابن عبد البر النمري(ت463هـ)[3].

27. **أسمـاء ساداتنا أهـل بـدر**: لأبي عمـر يوسـف بـن عبـد الله ابـن عبـد الـبر النمري(ت463هـ)، منه نسخة خطية في متحف الجزائر تحت رقم(R.334-77) تضم (14 ورقة) نسخت بخط مغربي عام 1201هـ[4].

---

(1) ترتيب المدارك:(8/ 129-130).

(2) نفسه:(8/ 129).

(3) منهاج السنة:(8/ 195) وكلامه محتمل وليس نصا في ذلك.

(4) الفهرس الشامل ـ السيرة ـ: (1/ 30).

28. **فضائل الصحابة**: لأبي محمد عبد الله بن يحيى بن علي الشَّقْرَاطسي التَوْزَرِي(ت466هـ)، نقل عنه ابن الشاط كثيراً في صلة السّمط، وكان عنده بخطه، لكن لم يعيّن اسمه بالتحديد[1].

29. **تراجم الصحابة**: لأبي مروان حيَّان بن خلف بن حيَّان الأموي القرطبي(ت469هـ)[2]، الجزء الثالث منه مخطوط بمصر.

30. **القصيدة الوضَّاحِيَّة في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها**: لأبي عمران موسى ابن محمد بن عبد الله الأندلسي الواعظ المعروف بابن بهيج (كان حياً سنة 496هـ)، طبعت عن دار البشائر الإسلامية في لبنان، سنة 1423هـ/ 2002م، بعناية محمد صالح يعقوبي، وهي قصيدة من أروع الشعر وأبدعه في مناقب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، اشتملت على ذكر فضائلها، وفضائل والدها أبي بكر الصديق، ومجادلة الخصوم المبغضين لها المتقولين عليها، ومحاجتهم بالدليل من الكتاب والسنة، وجاءت في 56 بيتاً، مطلعها:

مَا شَانُ أُمِّ المؤمنين وشَاني ... هدي المُحِبُّ لها وضَلَّ الشَّاني
إنِّي أقول مُبَيِّناً عن فَضْلِها ... ومُتَرجِماً عن قوْلها بلِسَاني

وختمها بقوله:

خُذْها إليكَ فإنَّما هي رَوْضَةٌ ... محفوفَةٌ بالرَّوح والرَّيحانِ
صَلَّى الإلهُ على النبيِّ وآلِهِ ... فَبِهِمْ تُشَمُّ أزاهِرُ البُستانِ

---

(1) كتاب العُمر:(3/ 207).

(2) الأعلام:(2/ 328).

31. **الاستدراك على الاستيعاب لابن عبد البرّ:** لأبي علي الحسين بن محمد بن أحمد الغَسّاني القرطبي الجَيَّاني(ت498هـ)[1]، أنجزه تلبية لرغبة شيخه ابن عبد البر، الذي أوصاه أن يُلحِق بالاستيعاب كل ما فاته بقوله:«أمانةُ الله في عنُقِك، متى عثرت على اسم من أسماء الصحابة لم أذكره إلا ألحقته في كتابي الذي في الصحابة»[2]، وقد نقل ابن حجر تراجم بسيطة عن هذا الاستدراك في كتابه الإصابة، لم تتجاوز 22 ترجمة، وبأكثر من صيغة، مرة يسميها استدراكات، وذيل، وأحيانا أخرى أوهام[3].

32. **كتاب ما يأتلف خطه ويختلف لفظه من أسماء الرواه وكناهم وأنسابهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن ذكر في الصحيحين: لأبي علي الغسّاني** الجيّاني(ت498هـ)، قال الزركلي:«رأيته مستعاراً في خزانة الرباط، صفحاته 404، وخطه مغربي حسن، والنسخة بالية رممت»[4].

33. **الاستدراك على الاستيعاب لابن عبد البر:** لأبي بكر محمد بن حيدرة بن مفوز المعافري الشاطبي(ت505هـ)[5].

34. **الإعلام والتعريف بما لابن قانع في معجمه من الأوهام والتصحيف:** لأبي عبدالله محمد بن خلف بن فَتْحُون الأورِيُولي(ت519هـ)[6]، ونقل ابن حجر في لسان الميزان عن ابن فتحون في ذيله على الاستعياب، قوله:«لم أر أحداً ممن ينسب إلى الحفظ أكثر أوهاما منه ـ يعني ابن قانع ـ ولا أظلم أسانيد ولا أنكر متوناً، وعلى ذلك فقد

---

(1) تذكرة الحفاظ:(4/ 1234).

(2) الروض الأنف:(3/ 283).

(3) الإصابة:(6/ 73)، (7/ 118).

(4) الأعلام:(2/ 255).

(5) أسد الغابة:(1/ 279)، شرح الزرقاني على الموطأ:(4/ 200).

(6) الصلة لابن بشكوال:(2/ 577)، ولسان الميزان:(3/ 383).

روى عنه الجلة ووصفوه بالحفظ، منهم أبو الحسن الدارقطني فمن دونه، قال: وكنت سألت الفقيه أبا يعلى ـ يعني الصدفي ـ في قراءة معجمه عليه، فقال لي: فيه أوهام كثيرة فإن تفرغتَ إلى التنبيه عليها فافعل، قال: فخرَّجت ذلك، وسميته: «الإعلام والتعريف بما لابن قانع في معجمه من الأوهام والتصحيف»(1).

35. **الاستلحاق على الاستيعاب لابن عبد البرّ**: لأبي عبد الله محمد بن خلف بن فتْحُون الأُورِيُولي(ت519هـ)(2)، قال عنه ابن بشكوال: «في سفرين، وهو كتاب حسن حفيل»، استدرك فيه على ابن عبد البر نفس العدد المذكور في الاستيعاب، أي ما يقارب (3500 ترجمة)، مما يدل على سعة المادة التي كتبها ابن فتحون وأهميتها حتى قصده الطلبة للأخذ عنه.

36. **الأوهام الواقعة في الاستيعاب لابن عبد البرّ**: لمحمد بن خلف بن فتْحُون الأُورِيُولي(ت519هـ)(3).

37. **أرجوزة في الزهد وذكر النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم**: لأبي الفضل جعفر بن محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي القيرواني(ت534هـ)(4).

38. **ظَلُّ الغمامة وطوق الحمامة في مناقب من خصَّه رسول الله ﷺ من صحابته بالكرامة**: لأبي عبد الله محمد بن مسعود بن فرج ابن أبي الخصال الغافقي الشَقُوري

(1) لسان الميزان:(3/ 383).

(2) الصلة:(2/ 577)، والغنية:(81) وقال فيه عياض:«وأجازني كتابيه المؤلفين على كتاب الصحابة لأبي عمر بن عبد البر: كتاب التنبيه، وكتاب الذيل».

(3) المعجم في أصحاب الصفدي:(100)، والغنية:(81).

(4) فهرسة ابن خير:(423).

الشهير بذي الوزارتين(ت540هـ)[1]، منه نسخة خطية بالخزانة الحسنية تحت رقم(10904)، وحققه الأستاذ عبد الله كنون ولم ينشر.

39. **معراج المناقب ومنهاج الحسن الثاقب في نسب رسول الله ﷺ وما انتظم به من مناقب أصحابه رضوان الله عليهم**: لابن أبي الخصال الغافقي(ت540هـ)[2]، وتسمى:«القصيدة المديدة البائية»، نظم فيها نسب النبي ﷺ إلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذكر جملة من معجزاته، ومناقب صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في 366 بيتاً، قال عنها الكلاعي:«قصيدة فريدة مفيدة»، وذكر في الاكتفا قرابة 123 بيتاً من القصيدة، مطلعها:

إليك فهمي والفؤاد بيثرب ... وإن عاقني عن مطلع الوحي مغربي
أعلل بالآمال نفسا أغرها ... بتقديم غاياتي وتأخير مذهبي
وديني على الأيام زورة أحمد ... فهل ينقضي ديني ويقرب مطلبي
وهل أردن فضل الرسول بطيبة ... فيا برد أحشائي ويا طيب مشربي
وهل فضلت من مركب العمر ... فضلة تبلغني أم لا بلاغ لمركب
ألا ليت زادي شربة من مياهها ... وهل مثلها ريا لغلة مذنب
ويا ليتني فيها إلى الله صائر ... وقلبي عن الإيمان غير مقلب[3]

وقد حقق الكتاب عبد الله كنون ولم ينشره، وحُقّق كذلك في جامعة القرويين بفاس، وطبعت القصيدة ضمن رسائل ابن أبي الخصال عن دار الفكر المعاصر عام 1987م، بتحقيق محمد رضوان الداية.

---

(1) فهرسة ابن خير:(386)، ومعجم المؤلفين المعاصرين:(404).
(2) فهرسة ابن خير:(420).
(3) الاكتفا:(1/ 32).

40. **مناقب العشرة وعمي رسول الله ﷺ**: لابن أبي الخصال الغافقي(ت540هـ)[1]، منه نسخة في مكتبة الأسكوريال بإسبانيا (404/ 1).

41. **تعقيب على اقتباس الأنوار للرشاطي**: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبدالرحمن الإشبيلي الغرناطي الشهير بابن عطية(ت541هـ)، قال عنه ابن الأبار:«تعقب فيه مواضع من كتاب الرشاطي، وعابه بأشياء أوردها في تضاعيفه، لم يخل فيها من تحامل وتعسف، كان تَرْكُها أولى به، وقد وقفت عليه بخطه وكتبه، وسماع أبي خالد بن رفاعة له ثابت على ظهره»[2]، وقد ردّ الرشاطي وانتصر لنفسه على تعقيب ابن عطية في كتاب سماه:«إظهار فساد الاعتقاد ببيان سوء الانتقاد».

42. **اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصَّحابة ورواة الآثار**: لأبي محمد عبد الله بن علي اللخمي الرُّشاطي الأورِيُولي(ت542هـ)[3]، كتاب حافل، كبير الحجم، من أحسن ما صُنّف في بابه، منه قطعة في دار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم(11514)، ومصورة عنها بمكتبة المعهد بالكويت رقم(243)، وقطعة أخرى في الأحمدية بتونس رقم(1668) من (118 ورقة)، ومنه أكثر المجلد الخامس وبعض الرابع في خزانة القرويين بفاس تحت رقم (40/ 3031)، وقد طبع جزء صغير من الكتاب في دار الكتب العلمية سنة 1420هـ، بتحقيق محمد سالم هاشم، ويليه اختصار اقتباس الأنوار للإشبيلي، في (128صفحة)، وقد اشتغلت على الكتاب الطالبة أنيسة

(1) الأعلام:(7/ 96).

(2) المعجم لابن الأبار:(238).

(3) بغية الملتمس:(55)، وشجرة النور الزكية:(1/ 135) وسماه:«اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في مناقب الصَّحابة والرُّواة الأخيار»، وفي معجم الصفدي:«اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أسماء الصحابة ورواة الآثار»، وفي تذكرة الحفاظ للذهبي:«اقتباس الأنوار والتماس الآثار في رواة الآثار».

الغازي في أطروحة الدكتوراه بمؤسسة دار الحديث الحسنية بالرباط: دراسة وتحقيق، بإشراف د. محمد الراوندي، ونوقش يوم 5 مارس 1987م، والملاحظ على نقولات ابن حجر من هذا الكتاب، أن الرُّشَاطي كان قد تتبع النقص الحاصل في تراجم الاستيعاب، وكذا استدراكات ابن فتحون على ما فاته من التراجم، فأضافها لكتابه هذا، وتتبع بعض الأسماء وضبطها مقارنة بما وردت في الاستيعاب، والذي يدل على هذا أنه تكرر عند ابن حجر مرات عدة قول الرشاطي: «لم يذكره أبو عمر ولا ابن فتحون»[1].

43. **العواصم من القواصم**: لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي(ت543هـ)[2]، وهو كتاب عظيم الشهرة واسع الرواج، نشر أول مرة في الجزائر بمدينة قسنطينة عام 1347-1348هـ بتحقيق الشيخ عبد الحميد بن باديس، ثم نَشَر الشيخ محب الدين الخطيب المبحث الخاص بتحقيق الخلاف بين الصحابة بالقاهرة عام 1371هـ، إلى أن نهض بنشره كاملاً د. عمار الطالبي بالجزائر سنة1974هـ في جزئين.

44. **شرح حديث الإفك**: لأبي بكر ابن العربي المعافري(ت543هـ)، وهو جزء مفرد **شرح** فيه حديث **الإفك**، وعن ذلك يقول: «هي نازلة عظيمة ومصيبة شنيعة، شاء الله كونها لتهلك بها أمة، وتعصم بها أمة، وتظهر الدفائن، ويكشف النفاق، وقد بيّناها في جزء مفرد»[3].

45. **كتاب أوهام الصحابة**: لأبي بكر ابن العربي المعافري(ت543هـ)[4].

(1) انظر في الإصابة على سبيل المثال:(1/ 49)، (1/ 103)، (2/ 462)، (3/ 9)، (3/ 325)، وغيرها.
(2) المسالك:(7/ 293)، مقدمة قانون التأويل:(117-119).
(3) عارضة الأحوذي:(12/ 47).
(4) نفسه:(1/ 215).

46. **السيف المسلول فيمن سبّ أصحاب الرسول ﷺ**: لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت544هـ)[1]، تفرَّد في نسبة هذا العمل للقاضي عياض حاجي خليفة في كشف الظنون والبغدادي في هدية العارفين، وهو تفرد لا يسلّم لهما؛ إذ الأمر يحتاج تتبث، وغالب الظن أنه قطعة من الشفا ملفقة.

47. **الإعلام بالخيرة الأعلام من أصحاب النبيّ عليه السلام**: لأبي إسحاق إبراهيم ابن يحيى القرطبي الطليطلي المعروف بابن الأمين (ت544هـ)[2]، وهو من الكتب المهمة التي استدركت على الاستيعاب لابن عبد البر، فسدّت جزءا من الثغرات الحاصلة فيه، رتّبه ابن الأمين على حروف المعجم في أربعة أقسام: أسماء الصحابة الرجال وكناهم، ثم أسماء الصحابيات وكناهن، وتوجد منه نسخة ممزوجة باستدراكات ابن بشكُوال، في دار الكتب التيمورية بالقاهرة رقم (890 تاريخ) ضمن مجموع في (176 صفحة)، ويحتفظ مركز الملك فيصل في الرياض بمصورة منها عن جامعة الكويت، تحت رقم (242ب)، ونسخة أخرى بمعهد المخطوطات العربية في ميكروفيلم رقم (312/ 379) عليها هوامش للحافظ ابن سيد الناس اليعمري، وأصلها مصور عن مكتبة سبحان الله بجامعة عليكرة رقم (3023) وتضم (105 ورقات)، والكتاب طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المملكة المغربية بتحقيق ذ. حنان الحدّاد، عام 1429هـ/ 2008م، وهو في أصله أطروحة دكتوراه تقدمت بها الطالبة إلى كلية الآداب بتطوان، ونوقشت يوم 27 ماي 2003م.

---

(1) كشف الظنون: (2/ 1018)، هدية العارفين: (1/ 805). ويوجد كتاب في خزانة شهيد علي باشا بإستانبول تحت رقم (538) بعنوان: «منهج الصواب في فضل الرسول والأصحاب» منسوب للقاضي عياض، وقد أفادني شيخنا الدكتور عبد اللطيف الجيلاني حفظه الله أنه وقف على الكتاب المذكور، فوجده قطعة ملفقة من كتاب الشفا.

(2) المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي: (64).

48. **الاستدراك على الاستيعاب لابن عبد البرّ**: لأبي الوليد يوسف بن عبد العزيز ابن الدَّبَّاغ اللخمي القرطبي(ت546هـ)[1]، وكان ابن الدباغ من المهتمين بكتاب الاستيعاب، فكتب عنه استدراكات انتفع بها ابن الأثير وحررها في كتابه أسد الغابة في أكثر من تسعين موضعاً، وبلغت عند ابن حجر في الإصابة بضع وأربعين[2].

49. **الاستدراك على الاستيعاب لابن عبد البر**: لأبي محمد عبد الله بن محمد بن عبدالله الصنهاجي المعروف بالأَشِيرِي(ت561هـ)[3]، وكان لهذا الاستدراك الأثر البين في سد الثغرات الحاصلة في الاستيعاب، ويظهر أن ابن الأثير كان أول المنتفعين به، إذ بلغت النقول عنه في أسد الغابة ما يفوق 25 نقلاً، ولم تتجاوز عند ابن حجر العشرة.

50. **الزيادات على كتاب الاستدراك على ابن عبد البرّ في كتابه الاستيعاب لابن الأمين**: لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشْكُوال القرطبي(ت578هـ)[4]، توجد منه نسخة في الخزانة التيمورية بالقاهرة، ضمن مجموع رقمه (89 تاريخ) وتقع في (29ورقة)، وهي تشتمل على الأصل المستدرك والزيادات معاً، وقد استهلت بالإسناد التالي: «قال الشيخ الإمام الحافظ تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان عرف بابن الصلاح رحمة الله عليه، أخبرني الشيخ الحافظ أبو الخطّاب عمر بن حسن بن علي الأندلسي في إذنه وإجازته، عن أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال بن يوسف بن داحة الأنصاري القرطبي كتابة، قال:

(1) أسد الغابة:(1/ 66).

(2) انظر الإصابة:(1/ 147)، (1/ 323)، (3/ 137)، (3/ 286)، (4/ 480)، وغيرها.

(3) أسد الغابة:(1/ 162).

(4) الإصابة:(6/ 557).

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن إبراهيم ابن سعيد الطليطلي ثم القرطبي المعروف بابن الأمين، قال...»، وسجل على طرة الكتاب عقب اسم المؤلف ابن الأمين ما لفظه: «رواية الحافظ أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود المعروف بابن بَشْكُوال القرطبي عنه، وزاد فيه زيادات كثيرة»، والكتاب مرتب على حروف المعجم المشرقية، وجُعل فيه كل حرف باباً، وبعد تمام القسم الأول المشتمل على الأسماء، شرع في باب الكنى مرتبة على حروف الهجاء أيضا، ويتلوه كتاب النساء مبتدأ بالأسماء ثم الكنى مع ترتيبهما على حروف الهجاء أيضا، وعقب كنى النساء سُجلت الجملة الآتية: «آخر استدراك ابن الأمين على أبي عُمر بزيادات خلف بن بشكوال»، وزيادات ابن بشكوال كثيرة، يتجاوز عددها المائة، وهي مدمجة مع استدراك ابن الأمين من مقدمة الكتاب إلى آخره، لكنها متميزة بذكر اسم ابن بشكوال عند كل زيادة، كأن يذكر عقب الترجمة عبارة: (قاله خلف)، أو (قاله خلف بن بشكوال)، وقد ختمت النسخة التيمورية بزيادات أخرى لابن بشكوال منفصلة، تقع في ورقة ونصف الورقة، وتشتمل على تسمية رجال من الصحابة لم يذكرهم ابن عبد البر في الاستيعاب، واستهلت هذه الزيادات المنفصلة بالعنوان التالي: «وقال خلف: تسمية من قدم على النبي ﷺ من بني عبس»، وكتب في آخرها: «آخر زيادات خلف، وكمل الكتاب، والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى»، و منه نسخة أخرى في المكتبة الظاهرية برقم(7831 تاريخ)، ونسخة في الخزانة السليمانية بتركيا رقم(319)، كتب نحو سنة 700هـ من 203أ إلى 214ب.

51. **الاختلاف في اسم أبي هريرة:** لأبي القاسم خلف ابن بشكوال(ت578هـ)، وهو في جزء[1].

---

(1) الجواهر والدرر للسخاوي:(3/ 1254).

52. **اختصار اقتباس الأنوار للرُّشَاطيّ**: لأبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن خرَّاط الأزدي الإشبيلي المعروف بابن الخرّاط(ت581هـ)[1]، قال الغبريني:«هو أحسن من الأصل»، منه نسخة في المكتبة الأزهرية بالقاهرة تحت رقم(302664) تضم (209 ورقة) في جزئين: الأول ناقص من أوله، ويبدأ بترجمة البابلتي، وينتهي بترجمة الليني، وهي نسخة كتبت بخط مغربي جيد، في 80 ورقة، والجزء الثاني: يبدأ بحرف الميم، وأوله ترجمة المازني في 125 ورقة، ومنه مصورة عن نسخة الأزهرية في مكتبه المصغرات الفيلمية بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة تحت رقم(207)، ونسخة في معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية برقم(1692)، ومنه مصورة في الخزانة العامة بالرباط في جزءين مبتور الأول والوسط.

53. **الاستدراك على الاستيعاب**: لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي المالقي الضرير(ت581هـ)، لم يذكره من ترجموا له، لكن يستفاد من جملة استدراكات له على ابن عبد البر أن له كتاباً في الموضوع، منها قوله في الروض الأنف:«خالدة بنت الحارث قد ذكر إسلامها، وهي مما أغفله أبو عمر في كتاب الصحابة، وقد استدركناها عليه في جملة الاستدراكات التي ألحقناها بكتابه»[2]، هذا بالإضافة إلى نقول أهل العلم عنه، مثل الذهبي وابن حجر.

54. **الإشارة إلى سيرة المصطفى وآثار من بعده من الخلفاء**: لأبي القاسم السهيلي المالقي(ت581هـ)، عزاه إليه بروكلمان، وذهب إلى أنه اختصار لكتابه:«الروض الأنف»، وأن منه نسخة خطية في مكتبة ميونيخ بألمانيا[3].

---

(1) عنوان الدراية:(42).

(2) الروض الأنف:(4/ 408).

(3) تاريخ الأدب العربي:(3/ 13).

55. **كتاب في سير الخلفاء الثلاثة وغزواتهم: لأبي القاسم** عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري الأندلسي المعروف بابن حَبِيش(ت584هـ)[1].

56. **الاكتفاء في أخبار الخلفاء:** لأبي مروان عبد الملك بن أبي القاسم محمد ابن الكردَبُوس التَوْزَرِي التونسي(توفي بعد 591هـ)[2]، وهو تاريخ جامع لحوادث الإسلام، من حياة النبي ﷺ إلى أيّام المكتفي بالله العباسي المتولي سنة 560هـ، في جزء واحد كان بخط مؤلفه عند ابن الشباط التوزري، أوله:«وبعد، فهذا كتاب مبارك أثبت فيه ذكر النبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، صلاة دائمة الاتصال بغير انقطاع ولا انفصال، وأتلوه بذكر أصحابه البررة الكرام، الخلفاء الأربعة الأعلام، وأُتبِعهم بذكر من ولي أمر المسلمين من الخلفاء الأمويين والعباسيين جيلا بعد جيل، وقرنا بعد قرن إلى حيث انتهى بنا التأليف». وتوجد نسخ كثيرة منه في المكتبات، منها نسخة في دار الكتب الوطنية بتونس رقم (13412)، ونسخة أخرى بنفس الدار تحت رقم(16035) (أحمدية 4813)، ونسخة في مكتبة حسن حسني عبد الوهاب بتونس رقم(18593)، ونسخة في مكتبة محمد الشاذلي النيفر برقم(755)، ومنها فيلم بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم (900 تاريخ)، ونسخة أخرى في مكتبة الشيخ محمد الميداني الشريف شيخ الزاوية القادرية بتوزر، ونسخة أخرى في الخزانة العامة بالرباط رقم(2338ك)، ونسخة في مكتبة وحيد باشا بتركيا رقم(1182) من (226 ورقة) كتبت سنة 871هـ، ونسخة في خزانة بوردور بتركيا رقم(2009)، من (235 ورقة)، ونسخة في خزانة أحمد ثالث بتركيا رقم(2972) في (157 ورقة)، ونسخة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم(1/ 5668)، ونسخة في المكتبة الوطنية بمدريد رقم(139)،

---

(1) صلة الصلة:(3/ 197).

(2) كشف الظنون:(1/ 293)

ونسختان في مكتبة الأكاديمية التاريخية بمدريد رقم(56 و56أ)، وقد نشر ذ. دوزي من الكتاب بعض النصوص المتعلقة بتاريخ الأندلس، مع ترجمة فرنسية في كتابه:«مباحث حول التاريخ والثقافة في الأندلس»، ثم نشر ذ. أحمد مختار العبادي النصوص المتعلقة بالأندلس، وأضاف لها نصا من «صلة السمط» لابن الشباط في صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد[1]، وطبع الكتاب مؤخراً بتحقيق ودراسة د. عبد القادر بوباية، عن دار الكتب العلمية عام 2009م، في مجلدين من 960 صفحة.

57. **اختصار الاستيعاب لابن عبد البر**: لأبي العباس أحمد بن محمد بن سميرة الفِهري الإشبيلي(توفي بعد600هـ)[2].

58. **اللمعة في ذكر أزواج النبي ﷺ وأولاده السبعة: لأبي عبد الله** محمد بن قاسم بن عبد الرحمن التجيبي التميمي الفاسي(ت604هـ)[3].

59. **مناقب السبطين الحسن والحسين: لأبي عبد الله** محمد بن عبد الرحمن بن علي التجيبي اللقنتي(ت610هـ)[4].

60. **اختصار اقتباس الأنوار للرشاطي**: لأبي عبد الله محمد بن علي الأنصاري المُرسي الأندلسي(ت617هـ)[5]، وهو اختصار مفيد على ترتيب الأنساب للسمعاني، وقف عليه ابن الأبار.

---

(1) كتاب العمر:(3/ 440-441).

(2) الذيل والتكملة:(1/ 390).

(3) نفسه:(8/ 356).

(4) التكملة:(2/ 103).

(5) التكملة:(2/ 604)، الذيل والتكملة:(6/ 492).

61. **الاستدراك على الاستيعاب لابن عبد البرّ**: لأبي القاسم محمد بن عبد الواحد ابن إبراهيم الملّاحي الغافقي الغرناطي(ت619هـ)[1].

62. **فضائل الخلفاء الأربعة**: لأبي القاسم محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم الملّاحي الغرناطي(ت619هـ)، ذكره بهذا الاسم الرعيني، وعند ابن الأبار وابن عبد الملك باسم: «**مجلس في فضائل أبي بكر الصديق**»[2]، فلعلهما اطلعا على مجلس واحد من الكتاب فأثبتاه.

63. **اختصار اقتباس الأنوار للرشاطي: لأبي عبد الله** محمد بن عبد الرحمن بن عبدالسلام الغسّاني الغرناطي(ت619هـ)[3]، وصف ابن عبد الملك اختصاره بالحسن، ونقل عنه[4].

64. **أرجوزة في قصة مقتل الحسين**ﷺ **: لأبي** عمران موسى بن عيسى بن محمد الأزدي القرطبي المعروف بابن المناصف(ت627هـ)[5]، نظمها باقتراح من الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن زكرياء الدرعي المالكي الكفيف، ومما نظمه فيها قوله:

وترى نعامته أكنّت فرخه ... وذبابه نساء مداه يصير
وتكلف الصردان منه لسانه ... ولحره في الأذن منه ظهور
وحداته قد أشرفت وفراشة ... وبشعر صلصله تراه يشير

(1) التكملة:(2/ 609)، الذيل والتكملة:(6/ 413).
(2) برنامج شيوخ الرعيني:(64)، التكملة:(2/ 609)، الذيل والتكملة:(6/ 413).
(3) الإحاطة في أخبار غرناطة:(3/ 175).
(4) الذيل والتكملة:(6/ 348).
(5) نفسه:(8/ 382-283).

65. **مقالة في فضل عائشة**: لأبي الحسن علي بن محمد ابن القطان الكتامي الفاسي(ت628هـ)[1].

66. **الجامع لما في المصنَّفات الجوامع من أسماء الصحابة الأعلام أولي الفضل والأحلام**: لأبي موسى عيسى بن سليمان بن عبد الله الرُّعيني المالقي يعرف بالرُّنْدِي(ت632هـ)[2]، منه نسخة بخط المؤلف تحتفظ بها الخزانة الحسنية تحت رقم(6908) في (323 ورقة) منسوخة عام 628هـ، بخط مغربي جميل كثير الخروم منقول عن خط ابن رشيد، بدأه مؤلفه بقسم المحمدين، وهي مبتورة الأول، تبتدئ باسم: محمد بن ثابت بن قيس، وقد حُقّق الكتاب في خمسة رسائل علمية في كلية الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كما سجله الطالب: أحمد حركات بكلية الآداب ظهر المهراز بفاس يومه 18 يونيو عام 1998م، في إطار الإعداد لأطروحة الدكتوراه.

67. **أعلام النصر المبين في التفاضل بين أهل صفين**: لأبي الخطاب عمر بن حسن بن دحية السبتي(ت633هـ)[3]، حققه محمد أمحزون، ونشرته دار الغرب الإسلامي سنة1998م في (194ص).

68. **التحقيق في مناقب أبي بكر الصديق**: لأبي الخطاب ابن دحية السبتي(ت633هـ)[4].

---

(1) بيان الوهم والإيهام:(1/ 153).

(2) صلة الصلة:(4/ 55).

(3) نهاية السول لابن دحية:(503)، الذيل والتكملة:(8/ 219).

(4) هدية العارفين:(2/ 786)، والنبوغ المغربي:(1/ 170)، ومقدمة الآيات البينات:(90).

69. **من ألقم الحجر إذ كذب وفجر وأسقط عدالة من قال من الصحابة ما له: أهجر؟**: لأبي الخطاب ابن دحية السبتي(ت633هـ)[1]، حققه د.عبد العزيز فارح، ونشرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

70. **مناقب أبي بكر الصديق** رضي الله عنه: لأبي الخطاب ابن دحية السبتي(ت633هـ)[2].

71. **النبراس في ذكر خلفاء بني العباس**: لأبي الخطاب ابن دحية السبتي(ت633هـ)، ذكره في كتابه «العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور»، وذكر فيه مناقب العباسيين بدءا بعبد الله بن عباس رضي الله عنه، وحققه قديما عباس العزاوي، صدر في بغداد في طبعته الأولى عام 1366هـ، الموافق لـ 1946م.

72. **ميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين في ذكر الصحابة الأكرمين ومن في عدادهم بإدراك العهد الكريم من أكابر التابعين رضي الله عنهم أجمعين**: لأبي الرَّبيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي البلَنسي(ت634هـ)[3]، قال عنه ابن عبدالملك: «لم يكمله، وقال ـ المؤلف ـ: مشى منه مقدار ثلثيه، وإن أذن الله في تمامه فسيكون أكبر من كتاب أبي عمر في الصحابة، يزيد عليه في الحجم نحو الربع، وفي عداد الصحابة من الزيادة نحو مما ذكره».

73. **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء**: لأبي الرَّبيع الكلاعي البلَنسي(ت634هـ)[4]، اعتمد في جمع مادته على كتاب شيخه ابن حبيش، والكتاب مطبوع متداول، من طبعاته: عالم الكتب ـ بيروت، سنة 1417هـ،

---

(1) تراجم مغربية من مصادر مشرقية:(79).

(2) هدية العارفين:(1/ 786)، النبوغ المغربي:(1/ 160).

(3) الذيل والتكملة:(4/ 86)، فهرس الفهارس:(1/ 488).

(4) صلة الصلة:(3/ 197).

في 4 أجزاء، بتحقيق د. محمد كمال الدين عز الدين علي، وقد حققه الطالب محمد الخمليشي في إطار نيل دبلوم الدراسات العليا بمؤسسة دار الحديث الحسنية بالرباط، بإشراف د. محمد يسف، ونوقش يوم 17 يناير عام 1989م.

74. **الأربعون عن أربعين شيخاً لأربعين من الصحابة**: لأبي الربيع الكلاعي البلنسي(ت634هـ)[1].

75. **المعجم فيمن وافقت كُنيته كُنية زوجه من الصحابة**: لأبي الربيع الكلاعي البلنسي(ت634هـ)[2].

76. **التعريف بأسماء الصحابة المخرج حديثهم في الجامع للبخاري والمسند الصحيح لمسلم بن الحجاج**: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن محمد ابن خلفون الأزدي الأَوْنَبِي الإشبيلي(ت636هـ)، في سفر[3].

77. **نزهة الناظر في مناقب عمار بن ياسر**: لمحمد بن علي ابن عسكر الغساني المالقي(ت636هـ)[4].

78. **مناقب أهل البيت**: محي الدين محمد بن علي بن عربي الحاتمي الطائي(ت638هـ)، منه نسخة خطية في جامع الزيتونة بتونس تحت رقم(5653).

79. **التبيين عن مناقب من عرف قبره بقرطبة من الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين**: لأبي القاسم القاسم بن محمد بن أحمد بن محمد ابن الطيلسان

(1) الإحاطة في أخبار غرناطة:(4/ 296).
(2) الذيل والتكملة:(4/ 86).
(3) برنامج الرعيني:(54-55).
(4) أعلام مالقة:(176)، والتكملة:(2/ 140).

الأنصاري(ت642هـ)[1]، ذكر ابن عبد الملك أنه في مجلد متوسط، وسماه ابن الأبار: «كتاب في أخبار الصالحين من أهل الأندلس وقبورهم»[2]، وتعقبه ابن عبدالملك: أنه ليس كذلك.

80. **مختصر التبيين عن مناقب من عرف قبره بقرطبة من الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين**: لأبي القاسم ابن الطيلسان(ت642هـ)، وقف عليه ابن عبدالملك بخطه، وقال: إنه في كناش لطيف[3].

81. **حديقة الأنوار في تذييل اقتباس الأنوار والتماس الأزهار للرُّشاطي**: لأبي محمد عبد الله بن قاسم بن عبد الله الحريري اللخمي الإشبيلي الشهير بالحرار(ت646هـ)[4].

82. **قصيدة في ذكر النبيﷺ وأصحابه**: لأبي يعقوب الغماري(توفي في حدود 650هـ)[5].

83. **السلك المثنى النظام بما للصحابة الكرام على جميعهم الرضوان والسلام من الكرامات والمكرمات العظام**: لأبي محمد حسن بن علي بن محمد ابن القطان الكتامي الفاسي(توفي بعد 650هـ)، ألفه عن أمر الإمام المرتضى أبي حفص عمر بن الأمير الطاهر أبي إبراهيم بن الخليفة الهمام، ورتبه على مقدمتين وثلاثة كتب تشتمل على نُبَذ من فضائل الصحابة ولُمَع من معالهم، منه نسخة بخزانة القرويين تحت رقم (243)

---

(1) الذيل والتكملة:(5/ 566).

(2) التكملة لكتاب الصلة:(4/ 76).

(3) الذيل والتكملة:(5/ 566).

(4) التكملة:(2/ 298)، الإحاطة:(1/ 87).

(5) صلة الصلة:(القسم المفقود: رقم 222).

في سفر متوسط بخط مغربي واضح مبتور الأول والأخير، مجموع أوراقه 117 ويبتدئ بقوله: «الإمام المؤمن بالله تعالى المرتضي لأمره أمير المؤمنين أبا حفص بن سيدنا»، وينتهي إلى ذكر كرامات سيدنا علي وعِلمه رضي الله عنه بأنه سيقتل[1]، ومنه نسخة أخرى بالخزانة الحسنية تحت رقم(223) تقع في (156 ورقة).

84. **درر السمط في خبر السبط**: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي المعروف بابن الأبار(ت658هـ)[2]، وهو في ذكر أخبار الحسين رضي الله عنه، طبعته دار الغرب الإسلامي عام 1407هـ/ 1987م بتحقيق د. عز الدين عمر موسى، وطبع غير مرة، وقد شنّع عليه الإمام الذهبي، وقال: «فيه تشيع ظاهر لوصفه علياً بالوصي، ونيله من معاوية وآله»[3].

85. **نظم الفرائد الغرر في سلك فصول الدرر**: لأبي عبد الله ابن الأبار القضاعي(ت658هـ)[4]، وضعه شرحاً لكتابه «درر السمط في خبر السبط».

86. **معدن اللجين في مراثي الحسين**: لأبي عبد الله ابن الأبار القضاعي(ت658هـ)، قال عنه الغبريني: «ولو لم يكن له إلا كتاب اللجين في مراثي الحسين لكفاه في ارتفاع درجته وعُلُوّ منصبه وسمو رتبته، فكيف لا وله تصانيف دونه»[5].

87. **آثار السحابة في شعراء الصحابة**: لأبي عمرو عثمان بن عتيق بن عثمان القيسي المعروف بابن عُرَيْبَة(ت659هـ)[6].

---

(1) فهرس مخطوطات خزانة القرويين:(1/ 257).

(2) برنامج التجيبي:(259).

(3) سير أعلام النبلاء:(23/ 338).

(4) هدية العارفين:(5/ 392).

(5) عنوان الدراية:(312).

(6) رحلة التجاني:(302).

88. **منظومة في التوسل بأزواج النبي ﷺ**: لأبي عبد الله محمد بن علي بن العابد الأنصاري الفاسي الغرناطي(ت662هـ)، منها نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم12245.

89. **مختصر في شرح خطبة عائشة أم المؤمنين**: لأبي إسحاق إبراهيم بن يحيى بن مهدي ابن أبي بكر المكناسي التلمساني الأندلسي(ت666هـ)، منه نسخة خطية في مكتبة كوبريلي بإستانبول تحت رقم[1600/ 3] من خمس ورقات، نسخت سنة651هـ بخط علي بن محمد ابن وضاح[1].

90. **تخميس قصيدة معراج المناقب ومنهاج الحسن الثاقب**: لأبي بكر محمد بن الحسن بن يوسف ابن حبيش اللخمي(توفي بعد 679هـ)[2].

91. **الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة**: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد الله الأنصاري التلمساني الشهير بالبُرّي(ت681هـ)[3]، نشر الأستاذ محمد التونجي جزءاً منه في دمشق سنة 1982م، وطبعته دار الرفاعي بالرياض عام1404هـ/ 1983م بتحقيق وتعليق ذ. أحمد العوفي في حدود (340صفحة)، يبتدئ الكتاب بذكر نسب النبيﷺ، وينتهي بذكر الستة الباقية من العشرة وآخرهم أبو عبيدة عامر بن الجراح.

92. **العُمْـدَة في النبي ﷺ والخلفاء بعده**: لأبي عبد الله التلمساني البُرّي(ت681هـ)[4]، ذكر ابن عبد الملك أنه وقف على نسختين من هذا الكتاب، إحداهما أكبر من الأخرى، نقلهما من خطه، يقول في الصغرى:

---

(1) الفهرس الشامل ـ قسم السيرة ـ:(2/ 849-850).

(2) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق:(121).

(3) صلة الصلة:(3/ 42)، والذيل والتكملة:(8/ 280).

(4) الذيل والتكملة:(8/ 280-281).

هـــــذا كتــــاب العمــــــدة للذكـــــر خـــــير عـــــدة
مـــــــشرف في ملــــــــئ مـــــؤنس في وحـــــــدة

وفي الأخرى يقول:

الحمـــــــد لله على عونــــــه في وضـــع هـــذا الجــامع المختــصر
مــــا أعظـــم النفـــع بـــه لامـــرئ على اطـــلاع لـــيس فيـــه قـــصر

93. **إكمال تذييل الاستيعاب لابن فَتْحُون**: لأبي العباس أحمد بن محمد بن ميمون ابن السَّكَّان الأشعري المالقي (توفي بعد682هـ)[1]، اعتنى به اعتناء تاما ولم يكمله.

94. **إكمال كتاب ميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين للكلاعي**: لأبي العباس ابن السكان المالقي(توفي بعد682هـ)[2].

95. **نزهة الأبصار في فضائل الأنصار**: لأبي بكر عتيق بن أحمد بن محمد بن الفراء الغساني الغرناطي(ت698هـ)[3]، الكتاب مقسم إلى خمسة أبواب: الأول: في ذكر نسب الأنصار، والثاني: في ثناء الله تعالى عليهم، والثالث: في ثناء رسول الله ﷺ عليهم، والرابع: في مناقب آحاد منهم رضي الله عنهم، والخامس: في فضل المدينة المنورة بلدهم. وقد حققه ذ. عبد الرزاق بن محمد مرزوق في رسالة لنيل شهادة دبلوم الدراسات العليا بكلية الآداب بالرباط عام 1999م، ونشرته أضواء السلف بالرياض عام 1425هـ/ 2004م، في مجلد من (ص384).

---

(1) رحلة العبدري:(544)، الذيل والتكملة:(2/ 1/ 521).

(2) رحلة ابن رشيد:(2/ 411).

(3) الإحاطة:(4/ 81)، الذيل والتكملة:(5/ 117) وفيهما باسم:«نزهة الأبصار في نسب الأنصار».

96. **جلاء الأفكار في مناقب الأنصار**: لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن علي الأنصاري القيرواني الشهير بالدبّاغ(ت699هـ)، ختمه بقصيدة يقول فيها:

كتبت جلا الأفكار في فضل معشر   بهم عز دين الله في الشرق والغرب

الآهي فحقق للأسيدي ما رجا   بتأليفه واغفر لنا سائر الذنب[1]

97. **مناهج أهل الدين وطرائق أئمة المتقين في ذكر من كان بالقيروان من الصحابة والتابعين ومشاهير العلماء الراسخين**: لأبي زيد القيرواني الدبَّاغ(ت699هـ)[2]، وقد يكون الكتاب النشرة الأولى من تأليفه المسمى:«**معالم الإيمان وروضة الرضوان في مناقب المشهورين من صلحان القيروان**».

98. **روضة الأزهار في نسب آل بيت النبي محمد المختار وصحابته السراة الأطهار، مثل سيدنا أبي بكر، وسيدنا عمر، وسيدنا عثمان، وسيدنا علي وغيرهم من الأحبة الأبرار**: لأبي زيد القيرواني الدباغ(ت699هـ)[3].

99. **كتاب في الصحابة**: لأبي عثمان سعيد بن إبراهيم بن عيسى بن داود الحميري المالقي المعروف بابن عيسى(ت709هـ)، قال ابن فرحون: رأيت بخط الشيخ أبي عبدالله محمد بن مرزوق، إنه صنف كتاباً في الصحابة استدرك فيه على من تقدمه من المصنفين في أخبار الصحابة[4].

100. **أنوار أولي الألباب باختصار الاستيعاب لابن عبد البر**: لأبي علي عمر بن علي ابن يوسف ابن الزَّهراء الورْيَاغلي الفاسي(توفي بعد 710هـ)، منه نسخة بالخزانة العامة

---

(1) معالم الإيمان:(4/ 89).

(2) برنامج الوادي آشي:(529).

(3) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات:(1/ 383).

(4) الديباج المذهب:(124).

بالرباط رقم (2324)، ومنه نسخة بالمكتبة الوطنية بمدريد (الجزء الثاني مبتور الأول) برقم(211) مجموع أوراقها(179)[1]، وفيها أن عدد من ذكر (3431) صحابياً، وقد سجل الكتاب بمؤسسة دار الحديث الحسنية في إطار نيل أطروحة الدكتوراه.

101. **منح المدائح أو شعراء الصحابة ممن مدح الرسول ﷺ أو رثاه**: فتح الدين أبي الفتح محمد بن محمد بن محمد اليعمري الربعي الشهير بابن سيد الناس(ت734هـ)[2]، الكتاب قصيدة ميمية متضمنة لأسماء جماعة من الصحابة ممن مدح النبي ﷺ أو رثاه، طبع عن دار الفكر بدمشق عام 1407هـ/ 1987م، بتحقيق عفت وصال حمزة.

102. **المقامات العلية في كرامات الصحابة الجلية**: لابن سيد الناس اليعمري(ت734هـ)[3]، طبع في دمشق عن دار الملاح، بتحقيق عفت وصال حمزة سنة1986م.

103. **تحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة**: لأبي الفتح ابن سيد الناس اليعمري(ت734هـ)[4].

104. **الأربعون حديثاً عن أربعين امرأة من الصحابيات**: أحمد بن أبي القاسم بن وداعة النِّفْزي الرُّنْدي(ت738هـ)[5].

105. **التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان بن عفان**: لأبي عبد الله محمد بن يحيى ابن محمد الأشعري المالقي(ت741هـ)[6]، طبع الكتاب في بيروت عن دار الثقافة

(1) الفهرس الشامل ـ الحديث وعلومه ـ: (1/ 259-260).
(2) الوافي بالوفيات:(1/ 221).
(3) نفسه:(1/ 221).
(4) نفسه:(1/ 221).
(5) الديباج المذهب في أعيان المذهب:(42).
(6) إيضاح المكنون:(3/ 322).

سنة1964م، في (278 صفحة)، ثم طبع بتحقيق د. محمود يوسف زايد عن دار الثقافة في قطر عام 1405هـ في (240 صفحة)، وطبعته كذلك دار الآفاق العربية بتحقيق الدكتور حلمي فرحات أحمد عام 2002م/ 1423هـ في (556 صفحة)، وطبع أيضاً عن دار الكتب العلمية ببيروت عام 2003م، في (216 صفحة)، بتحقيق: أحمد فريد المزيدي وأحمد حجازي.

106. **الوفيات:** لأبي العباس أحمد بن حسين بن علي ابن الخطيب القسنطيني الشهير بابن قنفذ(ت810هـ)[1]، والكتاب معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمفسرين والمؤلفين من عام 11هـ إلى 807هـ، استهلّه بوفاة النبي ﷺ وختمه بوفاة أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المراكشي الضرير، وقد طبع كاملا بتحقيق عادل نويهض عن المكتبة الجزائرية بالجزائر، ثم نشرته دار الآفاق الجديدة ببيروت سنة1403هـ.

107. **نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام:** لأبي عبد الله محمد بن أبي غالب بن أحمد السكاك المكناسي(ت818هـ)[2]، ألفه عام814هـ، يوجد منه نسخ مختلفة بين كبير ووسط وصغير؛ طبع الصغير منه على الحجر بفاس سنة 1316هـ في نحو الملزمتين، ويوجد الوسط بالخزانة الفاسية، أما الكبير فيوجد عند بعض المستشرقين بالرباط في مجلد وسط[3]، ومنه نسخة في مؤسسة علال الفاسي بالرباط تحت رقم(778ع) مجموع أوراقه 37، ونسختين في الخزانة العامة بالرباط، الأولى برقم(772د) في 65 ورقة، نسخت عام 1139هـ، والثانية برقم(1484د) ضمن مجموع من الورقة 219 إلى 223.

---

(1) نفح الطيب:(5/ 197).

(2) درة الحجال:(2/ 284).

(3) معجم المطبوعات العربية:(1/ 199).

108. **تحفة روضة الأزهار في آل محمد المختار**: لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد ابن أبي زيد القيرواني(توفي في حدود 850هـ)، منه نسخة ضمن مجموع في المكتبة الوطنية بباريس رقم(1871)، ونسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم(5020)، مجموع أوراقها (55)، ونسخة أخرى في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم(1499 د) من (21ورقة) بخط مغربي جيد مبتور الآخر، أولها:«الحمد لله الذي كرّم بني آدم وفضّلهم على كثير ممن خلق تفضيلا...لما رأيت حب آل بيت النبي الكريم...حرّكني باعث الحب أن أجمع لهم تأليفاً بالتعريف، وأُعلي مقامهم بالتعظيم والتشريف، فاعتمدت في ذلك على كتاب يسمى «بروضة الأزهار في التعريف بآل بيت النبي محمد المختار»،وآخرها:«ذكر شرفاء بني ليث وبني خريف وبني جرمون، وفي الزاوية وفي ناحية سبتة، وهم من أحفاد الشيخ أبو الفضل أحمد بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن محمد بن مولانا عبد السلام ابن مشيش الحسني»، وقسم الكتاب إلى خمسة أقسام، الأول: في عدد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ونسب سيدنا محمد ﷺ ونسب الصحابة العشرة رضوان الله عليهم، والثاني: في تعريف ذرية سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنه، والثالث: في تعريف ذرية سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنه ،كان يشبه جده ﷺ من السرة إلى الصدر، والرابع: في تعريف آل سيدنا عثمان بن عفان، وآل جعفر بن أبي طالب، وآل عقيل بن أبي طالب، وآل عباس بن عبد المطلب، وآل عمر ابن الخطاب، وآل أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، وهذا الذي صدر به الشيخ رحمه الله تعالى، والخامس: في الحكاية الدالة على أهل البيت وتعظيمهم وتوقيرهم واحترامهم والبرور بهم، ومن أحبهم وأكرمهم كان الله له.

109. **الفصول المهمة في معرفة الأئمة وفضلهم ومعرفة أولادهم ونسلهم**: لنور الدين علي بن محمد بن أحمد المالكي الصفاقسي المكي الشهير بابن

الصبّاغ(ت855هـ)[1]، الكتاب في ذكر الأئمة الإثني عشر، أولهم الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه، وآخرهم المهدى المنتظر، وعقد لكل منهم فصلاً، وفي الأئمة الثلاثة الأول فصول أيضا، وقد نَسَب بعضهم المُصَنّف في ذلك إلى الترفض. طبع في بيروت عن دار الأضواء عام 1409هـ/ 1988م.

110. **أسماء الصحابة البدريين**: لأبي عبد الله محمد بن سليمان بن داود الجزولي الشاذلي السملالي(ت870هـ)، منه نسخة خطية في خزانة الظاهرية بدمشق تحت رقم (8050)، وتضم (31 ورقة)، نسخه أحمد السكري المصري عام 1178هـ، ونسخة أخرى في خزانة لاله لي بإستانبول تحت رقم (1543) بخط النسخ[2].

111. **الإصابة في فضل النبي والصحابة**: عبد اللطيف بن أبي البركات محمد بن أبي الطاهر بن أحمد المرداسي المشهور بالعربي (توفي بعد 915هـ)[3].

112. **تحفة الأخيار في فضائل الأنصار**: نور الدين ابن حسين الأنصاري(توفي بعد 998هـ)[4]، منه نسخة في المكتبة الوطنية بتونس رقم(18507)، ونسخة في مكتبة حسن حسني عبد الوهاب بتونس، ونسخة في معهد المخطوطات بالكويت رقم(185)، ونسخة أخرى في معهد المخطوطات بالقاهرة رقم(978).

113. **شرح قصيدة في التوسل بأهل بدر وغيرهم من الصحابة والأصفياء وذكر فضائلهم ومناقبهم**: عيسى بن موسى بن أبي بكر التجاني الزنداجي(توفي في حدود 1000هـ)، منه نسخة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم(1863د)، ونسخة أخرى في

---

(1) نزهة المجالس:(2/ 418)، كشف الظنون:(2/ 1271).

(2) الفهرس الشامل ـ السيرة ـ:(1/ 30-31).

(3) كتاب العمر:(1/ 344).

(4) الأعلام:(8/ 52).

مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود برقم(165-4)، من(14 ورقة)، فرغ منه جامعه سنة(991هـ)، أوله:

لما عجزت في بلاد الجور عن أخذ ثأري ولدي بالفور

وآخره:«ثم يخطو إلى جهة العراق أحد عشر خطوة ويذكر اسم الشيخ تقضى حاجته إن شاء الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد...وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين».

114. **سحر العيون فيما قيل في آل بيت الرسول المطهرين الفروع والأصول**: لأبي عبد الله محمد بن يوسف السائح(توفي أواخر ق 10هـ، أو أوائل 11هـ)[1].

115. **شرح درر السمط في أخبار السبط**: سعيد بن مسعود الماغوسي الصنهاجي المراكشي المعروف بأبي جمعة(توفي بعد 1016هـ)[2]، شرح فيه كتاب درر السمط لابن الأبار القضاعي، بأمر من المنصور السعدي أحمد بن محمد(ت1012هـ).

116. **كنز الأسرار ومعدن الأنوار في آل بيت النبي المختار**: لأبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد التلمساني المقري(ت1041هـ)، الكتاب تأليف في أنساب آل البيت النبوي، بدءاً من أول المخلوقات من آدم وأعقابه والقبائل التي تفرعت عنه في المشرق والمغرب، وصولا إلى الرسول محمد ﷺ، كما تحدث عن الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين بالمشرق، وعن الأدارسة والمرابطين والموحدين بالمغرب، مستعرضا أنساب الشرفاء بكل من المشرق والمغرب، يوجد منه نسخة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم(784 د)، ونسخة في خزانة ابن يوسف تحت رقم(8) بخط مغربي[3]، ومنه خمسة

---

(1) دليل مؤرخ المغرب:(رقم 412).

(2) درة الحجال:(3/ 304).

(3) فهرس مخطوطات ابن يوسف:(155).

نسخ خطية في الخزانة الحسنية بأسماء مختلفة، الأولى برقم(1220) باسم:«**زهرة الأخبار في كنز الأسرار ومعدن الأنوار في آل بيت النبي المختار**»، والثانية برقم (11328) باسم:«**الروض المعطار وكتاب الأنوار في نسب آل النبي المختار**»، والثالثة برقم(2231) باسم:«**كتاب الأنوار وكنز الأسرار في نسب آل بيت النبي المختار**»، والرابعة والخامسة تحت رقمي(875، 6637) باسم:«**كنوز الأسرار ومعادن الأنوار في نسب بعض آل النبي المختار**». وقد طبع عن المطبعة الجديدة بفاس عام1349هـ/ 1930م، في حدود (150صفحة)، منه نسختين بالخزانة العامة تحت رقم(C 347)، و(C 11595)، ونسخة بالخزانة الحسنية رقم(3173 ز).

117. **وصلة الزلفى تقرباً بآل المصطفى: لأبي العباس أحمد بن علي البوسعيدي** الصنهاجي الهشتوكي(ت1046هـ)[1]، ألفه إجابة لسؤال رفعه إليه أبو الحسن علي بن الحسن بن علي ابن رحمون العلمي الحسني، توجد منه خمسة نسخ خطية في الخزانة الحسنية برقم(494، 2411، 3727، 9019، 12520)، ونسخة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم(186ك)، ضمن مجموع من الصفحة 159 إلى 383، وبنفس الخزانة توجد قطعة من الكتاب تحت رقم 2173د، من (4ورقات)، وقد سجل الكتاب في أطروحة الدكتوراه بكلية الآداب ابن زهر بأكادير عام 2006م[2].

118. **إشراق البدر في عدد أهل بدر**: لأبي العباس البوسعيدي(ت1046هـ)[3]، ذكر فيه أسماء الصحابة الذين شهدوا بدراً، ورتبهم على حروف المعجم، أوله:«بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، والحمد لله وكفى، وصلى الله وسلم على مولانا المصطفى وعلى عباده الذين اصطفى،

---

(1) فهرس الفهارس:(1/ 249).

(2) يشتغل على تحقيقه أخونا الأستاذ الفاضل بوشعيب شبون وفقه الله لكل خير.

(3) صفوة من انتشر:(140).

هذه أسماء سادانا أهل بدر من صحابة المصطفى ﷺ وشرف وكرم على ما احتوى عليه استيعاب الإمام الحافظ أبي عمر ابن عبد البر رحمه الله تعالى ورضي عنه، ممن حضره أو ذكر الاختلاف في شهوده...»، وآخره «كمل المقصود من هذا الجامع المبارك نفعنا الله بمحبتهم وأحيانا على ملّتهم، وحشرنا في زمرتهم بجاه مولانا محمد المصطفى رسول الله الملك الحق الصمد الأعلى ﷺ وعلى آله ورضوانه على كافة صحابته المهاجرين والأنصار، وسلام على جميع الأنبياء والمرسلين، ويعم جميع الأخيار، والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». وتوجد من الكتاب سبع نسخ خطية بالخزانة الحسنية تحت رقم (315، 598، 1247، 1521، 8159، 8580، 9020)، ونسختين في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم(487د)، ورقم(2623د)، ونسخة بالخزانة الحبسية لنظارة زرهون رقم(87)، ونسخة في مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود برقم(154-1) من (6 ورقات)، ونسخة في خزانة وزان تضم ورقة واحدة برقم(45)[1]، ونسخة أخرى بخزانة عبد الله كنون ضمن مجموع رقم(10476/ 4)، ونسختين في دار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم(2578) من (96 ورقة)، ورقم(18557) من (37 ورقة)، كلاهما بخط مغربي.

119. **التعريف بالعشرة الكرام والأزواج الطاهرة**: لأبي العباس البوسعيدي(ت1046هـ)[2].

120. **قصيدة رائية في مدح أهل البيت**: لأبي حامد محمد العربي بن يوسف بن محمد الفهري القصري الفاسي(ت1052هـ)، منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(14102)، ونسخة بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود رقم(349-8) من (3 ورقات).

---

(1) فهرس مخطوطات وزان:(1/ 208).

(2) الأعلام للمراكشي:(2/ 111)، وفهرس الفهارس:(1/ 249)، والأعلام:(1/ 181).

121. **رسالة في عدالة الصحابة**: لأبي مهدي عيسى بن عبد الرحمن الرجراجي السكتاني المراكشي(ت1062هـ)، وهي عبارة عن رسالة صغيرة، تناول فيها المؤلف حقيقة الصحابي ومفهوم العدالة، تحتفظ بها الخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع نوازلي يحمل رقم (84ق).

122. **نظم في التوسل بأهل بدر**: لعبد الله بن محمد بن أحمد العياشي الزياني(ت1073هـ)[1]، منه نسخة في مؤسسة علال الفاسي بالرباط تحت رقم(203ع)، من(11 ورقة) ضمن مجموع، نسخت عام 1109هـ، أولها:

بالحمد لله مجيب الداع وصلاته على المطاع[2]

123. **نزول الرحمة وسبب نيل الاصطفا بذكر مآثر الخلفاء والصحابة وأهل البيت وأمة المصطفى**: لأحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر السكوني الفجيجي(كان حيّاً سنة 1081هـ)[3]، منه نسخة تامة من 127 ورقة بخزانة وزان تحت رقم 376[4].

124. **كتاب في إثبات صحبة رجال رجراجة**: محمد بن سعيد المَرغيتي السوسي(ت1089هـ)[5]، منه نسخة تامة من 3 ورقات بخزانة وزان تحت رقم423[6]، وقد نشر ضمن كتاب السيف المسلول فيمن أنكر على الرجراجيين صحبة الرسول (من: ص21 إلى: ص24).

---

(1) معجم طبقات المؤلفين:(2/ 197).

(2) الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي:(4/ 118).

(3) واحة فكيك:(150).

(4) فهرس مخطوطات وزان:(2/ 565).

(5) معجم طبقات المؤلفين:(2/ 310).

(6) فهرس مخطوطات وزان:(3/ 725).

125. **إظهار المنّة على المُبَشَّرين بالجنة: لأبي سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر** العيَّاشي(ت1090هـ)[1]، جمع مادة هذا الكتاب من مؤلفات الحديث والسيرة، ورتبه على مقدمة وسبعة أبواب وخاتمة، وذكر في الباب الأول كل ما يتعلق بشخصية الرسول ﷺ وأهل بيته، ألفه عام 1088هـ، وتوجد منه نسختين بالخزانة الحمزية، الأولى تحت رقم(411)، ضمن مجموع من (176ورقة)، والثانية برقم(586) ضمن مجموع من 32 ورقة، ونسخة أخرى بخط المؤلف ضمن مكتبة عبد الحي الكتاني، ونسخة في بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود تحت رقم(353) يضم(97 ورقة)، أوله: «بسم الله الرحمن الرحيم...يقول بالله أستعين وهو القوي المعين...أما بعد فإن من المعلوم المشهور على الألسنة حتى كاد أن يكون من القضايا التي هي بنفسها بينة، أن العشرة من أصحاب المصطفى ﷺ...بشرهم رسول الله ﷺ بدخول الجنة...فأردت أن أجمع من ذلك ما انتهى إليه علم القاصر... سميته إظهار المنة على المبشرين بالجنة، ورتبته على مقدمة وستة أبواب وخاتمة»، وآخره: «وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الجنة حرام على الأنبياء حتى أدخلها وحرام على الأمم حتى تدخل أمتي، وفي فضائل هذه الأمة من الآيات والأحاديث والأخبار الواردة في الكتب السالفة ما يطول تتبعه، وقصدنا الاختصار، والله الولي وهو حسبنا ونعم الوكيل. انتهى».

126. **هالة البدر في نظم أسماء أهل بدر**: لأبي سالم العيّاشي(ت1090هـ)[2]، منه ستة نسخ خطية بالخزانة الحسنية، تحت رقم(52، 598، 11982، 12302، 12402، 13406)، وذكر في فهرس الخزانة باسم: «**هالة البدر في التوسل بأهل بدر**»، ومنه نسخة غير تامة بالخزانة الحمزية رقم(291) ضمن مجموع تضم (4ورقات)، وعدد أبياتها: (194)، أولها:

---

(1) فهرس الفهارس:(2/ 834).

(2) مقدمة اقتفاء الأثر:(67).

الله أحمـــد مـــصليا على محمـــد مـــسلما محـــسبلا
ومرضـــيا على أصـــحابه وآله الأبـــرار مـــع أحبابـــه

وآخرها:

وطهـــر القلـــب مـــن الأنـــداس كي لا يكـــون راكنـــا للنـــاس
واجعـــل بأوصـــافك لي تعلقـــا مـــن بعـــده تكـــون لي تخلقـــا

127. **جوهرة العقول في ذكر آل الرسول**: لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي(ت1096هـ)[1]، منه نسخة خطية في مكتبة تلمسان بالجزائر رقم(39)، ونسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم (4020).

128. **الأبصار في الاختصاص بالشرفاء الأخيار**: لأبي زيد عبد الرحمن الفاسي(ت1096هـ)[2]، ذكر في مقدمته: أنه بعد أن لقي شيخه عبد القادر بن محمد الفاسي أذن له في وضع كتاب في محبة الرسول وآله، وأنه ابتدأ كتاباً سماه: «**جوهرة العقول في ذكر آل الرسول**»، فلما عرضه على شيخه أمره أن يترك هذا ويؤلف كتاباً في الأشراف، فألف الإثمد المذكور، ومنه نسخة خطية في الخزانة الحسنية بالرباط رقم(13942)، ونسختين في مؤسسة علال الفاسي بالرباط، الأولى تحت رقم(702ع) من (32ورقة)، والثانية تحت رقم(749ع) ضمن مجموع من (10ورقات).

129. **أرجوزة في التوسل بأهل بدر**: لأبي زيد عبد الرحمن الفاسي(ت1096هـ)، منه ثلاث نسخ خطية بالخزانة الحسنية تحت رقم(52، 12302، 12402).

---

(1) هدية العارفين:(5/ 550).

(2) دليل مؤرخ المغرب:(1/ 71).

130. **تاريخ وفيات بعض الصحابة والعلماء**: المؤلف مجهول من تلاميذ عبد القادر الفاسي، تاريخ تأليف الكتاب رمضان عام 1097هـ، منه نسخة خطية بمؤسسة علال الفاسي تحت رقم(215ع)، ضمن مجموع من (9ورقات)، مبتورة الأول، تبتدئ من سنة73هـ بذكر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وتنتهي في سنة 1090هـ، والنسخة منقولة من خط الشيخ محمد المعطي بن محمد صالح الشرقي، ومنسوخة في جمادى الثانية عام 1294هـ.

131. **رسالة في تبرئة الصحابِيَيْن من النفاق**: لأبي علي الحسن بن مسعود اليوسي(ت1102هـ)، طبعت ضمن رسائل اليوسي بالرباط عام 1981م.

132. **شفاء العلة وانقشاع السحابة عن حكم السكران أول الملة وتنزيه الصحابة**: لأبي عيسى محمد المهدي بن أحمد بن علي بن أبي المحاسن الفاسي الفهري(ت1109هـ)[1]، منه ثلاث نسخ خطية بالخزانة الحسنية تحت رقم(6532، 13749، 14073).

133. **إسفار البدر عن رجال أهل بدر**: لأبي عيسى محمد المهدي بن أحمد بن علي بن أبي المحاسن الفاسي الفهري(ت1109هـ)، وهي أرجوزة في ذكر أهل بدر، منها نسخة خطية في دار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم(18557) من (9 ورقات).

134. **رجاء الإجابة بالبدْريِّين من الصحابة**: لأبي محمد عبد السلام بن الطيب بن محمد القادري الحسني الفاسي(ت1110هـ)[2]، والكتاب عبارة عن منظومة تقع في 249 بيتاً، وهي في التوسل بالصحابة الذين حضروا غزوة بدر، توجد منه نسختان بالخزانة الصبيحية بسلا: الأولى تحت رقم (305/ 7)، وتضم 7 ورقات بخط مغربي

---

(1) معجم طبقات المؤلفين:(2/ 372).

(2) الإكليل والتاج:(428).

مدموج كثيراً، والثانية برقم (379/ 3)، من (8 أوراق) بخط مغربي مبسوط جميل ملون ومشكول[1]، ومنه ستة نسخ بالخزانة الحسنية تحت رقم(52، 11954، 12302، 12402، 12467، 13638)، ونسخة بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود رقم(332-6) من(3 ورقات)، أوله:«بسم الله الرحمن الرحيم...رجاء الإجابة بالبدريين من الصحابة، نظم العلامة...عبد السلام بن الطيب القادري الحسني..

الحمد لله الذي أقاما ... بنصر أهل بدر الإسلاما
وقد عز لهم وجاها ... ومذهبا في الدين لا يضاهى

وآخره:

واجعل أخير قولنا التوحيد ... والحمد لله ولا مزيد
ثم الصلاة و السلام الأنفع ... على الذي في الخلق طرا
يشفع محمد أفضل خلق الله ... والآل والصحب بلا تناهي انتهت

135. **شرح الصدر بأهل بدر**: لأبي محمد عبد السلام بن الطيب القادري(ت1110هـ)[2]، منه نسخة كتبت من خط المؤلف بالخزانة الصبيحية بسلا رقم (379/ 2)، وتضم 6 أوراق، بخط مغربي مبسوط وجميل ملون مشكول[3]، ونسخة في خزانة ابن سودة بتازة رقم(84).

---

(1) فهرس الخزانة الصبيحية:(260-261) رقم(540-541).
(2) فهرس الفهارس:(1/ 189).
(3) فهرس الخزانة الصبيحية:(423-423) رقم(908).

136. **نيل القربات بأهل العقبات**: لأبي محمد عبد السلام بن الطيب القادري(ت1110هـ)[1]، وهي أرجوزة من 76 بيتاً في التوسل بالصحابة الذين حضروا بيعة العقبة، منه أربعة نسخ بالخزانة الحسنية تحت رقم(52، 7248، 12467، 13938)، ونسخة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم(487د/ 8) ضمن مجموع من (119 إلى 122)، ونسخة أخرى في الخزانة الصبيحية برقم(379/ 4).

137. **عقد اللآل ووسيلة السؤال بما له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الآل**: لأبي محمد عبدالسلام بن الطيب القادري(ت1110هـ)[2]، والكتاب منظومة في التوسل بآل البيت تتكون من 54 بيتاً، توجد منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(52)، ونسخة في الخزانة العامة برقم(2007د/ 3) ضمن مجموع، من الصفحة 53 إلى 56، ونسخة أخرى بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود تحت رقم(349-5) من (3 ورقات)، أوله:

إليك فؤادي رهط آل محمد — إليهم صبا قلبي وفيهم توددي
قرابة خير العالمين ومن هم — وسيلتنا العظمى لدا كل مقصد

وآخره:

وصل وسلم يا مهيمن دائما — على المصطفى في كل وقت مجرد
وجملة آل البيت و الصحب كلهم — وتاليهم من عارف ومزهد

138. **ذخيرة الاكتساب فيمن يدخل الجنة بغير حساب**: لأبي محمد عبد السلام بن الطيب القادري(ت1110هـ)[3]، وهو منظومة في 40 بيتاً، توجد منه نسخة مخطوطة

---

(1) الإكليل والتاج:(428).
(2) نفسه:(428).
(3) معجم طبقات المؤلفين:(2/ 176).

بالخزانة الصبيحية تحت رقم(379/ 5)، ونسخة بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود برقم(349-3) من ورقتين.

139. **أرجوزة في نشأة النبي ﷺ وأزواجه وعشيرته**: لأبي محمد عبد السلام بن الطيب القادري(ت1110هـ)، منها نسخة في الخزانة بالرباط تحت رقم(497 د) ضمن مجموع من (87 إلى 88).

140. **نظم في التوسل بالصحابة**: لمحمد بن عبد القادر الفهري الفاسي(ت1116هـ)[1].

141. **نصرة العترة الطاهرة من أبناء علي وفاطمة الزهراء**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد ابن علي الكتاني(ت1125هـ)، فرغ منه سنة 1104هـ، يقع في نحو الخمسة كراريس، وموجود عند بعض الكتانيين بفاس، أوله:«الحمد لله الذي من على الشرفاء بوجود العلماء». الخ[2].

142. **التفكر والاعتبار في تاريخ المصطفى وبعض أصحابه الأخيار ومن اتبعهم من العلماء والسادات الصوفية الأبرار**: لأبي العباس أحمد بن محمد بن عطية الحارثي الزناتي الأندلسي السلوي الفاسي(ت1129هـ)[3]، منه نسخة في الخزانة الأحمدية بفاس.

143. **الأنجم الزاهرة في الذرية الطاهرة**: لأبي عبد الله محمد التهامي بن محمد بن أحمد ابن رحمون الحسني العلمي(توفي بعد 1130هـ)[4]، منه نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم(1484د).

---

(1) معجم طبقات المؤلفين:(2/ 328).

(2) منطق الأواني:(128-129)، دليل مؤرخ المغرب:(رقم 388).

(3) سلوة الأنفاس:(1/ 209)، الأعلام:(1/ 241).

(4) دليل مؤرخ المغرب:(رقم 193).

144. **نظم فيمن هاجر إلى الحبشة من الصحابة**: لأحمد بن عبد القادر القادري الفاسي(ت1133هـ)[1]، وهي منظومة رجزية من 89 بيتاً، منه نسخة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم(2839د).

145. **اختصار الإصابة لابن حجر**: لمحمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي المعروف بالصغير(ت1134هـ)[2]، لم يتمه، بلغ فيه إلى حرف العين.

146. **رسالة في الحسين السبط وزوجته وأولاده**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد ابن أبي بكر المسناوي الدلائي(ت1136هـ)[3]، منه نسخة خطية في الخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع تحت رقم(270 ك).

147. **الثمار المهتصرة في مناقب العشرة**: لأبي العباس أحمد بن قاسم بن أبي عبد الله التميمي البوني الجزائري(ت1139هـ)[4].

148. **طَلُّ السَّحَابة في الصحابة**: لأبي العباس أحمد بن قاسم البوني الجزائري(ت1139هـ)[5]، لم يتمه.

149. **اختصار الإصابة لابن حجر**: لأبي الحسن علي بن أحمد الحريشي الفاسي(ت1143هـ)[6]، يوجد من الكتاب نسختان في الخزانة العامة بالرباط، الأولى: برقم(1496 ك) من (177 ورقة)، في مجلد كبير مبتور الأول، أوله:«هذا لجميع ما في الاستيعاب ممن ذكر فيه بإسم، أو كنية ثلاثة آلاف وخمسمائة، وذكر أنه استدرك عليه

(1) التقاط الدرر:(320)، معجم طبقات المؤلفين:(2/ 68).

(2) طبقات الحضيكي:(2/ 360)، معجم المطبوعات المغربية:(269).

(3) الأعلام:(6/ 13).

(4) فهرس الفهارس:(1/ 237).

(5) نفسه:(1/ 237).

(6) نفسه:(1/ 343).

على شرطه قريبا ممن ذكر...»، وآخره:«انتهى الجزء الأول بحمد الله وحسن عونه، يتلوه إن شاء الله باب عك، علك، ذو، مما اعتنى بتأليفه وجمعه الشيخ الإمام خاتمة المحدثين الأعلام أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الحريشي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفع بعلومه آمين»، والثانية بخط المؤلف تحت رقم(1197) من (13 ورقة)، مصورا على الميكروفيلم، وهو من معروضات جائزة الحسن الثاني للمخطوطات لسنة 1984م بفاس، أوله:«وعن ابن عباس قال: أم سلمة، أم أبي بكر، وأم عثمان، وأم طلحة، وأم الزبير، وأم عبد الرحمن بن عوف...حرف الدال المهملة: أم الدرداح: امرأة أبي الدرداح...»، وآخره:«...القسم الرابع: أم يحيى استدركها أبو موسى...وبالله التوفيق آخر كتاب النساء من الإصابة، وبالنسخة المنقول فيها بالنص، وهو آخر ما وجدته بخط شيخ الإسلام حافظ العصر أبي الفضل بن حجر العسقلاني، أمير المؤمنين في الحديث، مصنف الكتاب تمده الله بالرحمة والرضوان...قال كاتبه ومختصره الفقير لرحمة ربه الوجل من سوء كسبه: علي بن أحمد بن محمد الحريشي وقاه الله تعالى بمنه وفضله سوء ما يختشي».

150. **مختصر أنساب الرشاطي**: لأبي الحسن علي بن أحمد الحريشي(ت1143هـ)، منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم(7165ح)، مرتب على حروف المعجم وفق الترتيب المغربي، وهو أتم المختصرات الموجودة وليس من أوفاها؛ إذ يوجد في أوله وآخره ما لا يوجد في مختصر الإشبيلي مثلا.

151. **عوارف المنة فيمن شهد له بالجنة**: لأحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني(ت1146هـ)[1]، وهو منظومة رجزية في التوسل بأسماء الصحابة المبشرين بالجنة.

---

(1) معجم طبقات المؤلفين:(2/ 76)، التقاط الدرر:(360).

152. **الكواكب الدرية والمواهب الصمدية في مدح النبي وآله وصحبه وسائر الأمة المحمدية:** لأبي حامد محمد العربي بن محمد بن عبد الرحمن الوهاصي المكناسي المعروف ببصري(ت1148هـ)[1]، منه نسختين بالخزانة الحسنية تحت رقم(11286، 11564).

153. **قصيدة في مدح آل البيت:** لأبي محمد عبد المجيد بن علي بن محمد المنالي الحسني الفاسي الشهير بالزبادي(ت1163هـ)، هي قصيدة من 46 بيتاً، امتدح فيها آل البيت النبوي وخصوصاً فاطمة الزهراءرضي الله عنها، ألفها عام 1143هـ، منها نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم (14102)، ونسخة أخرى في مؤسسة علال الفاسي بالرباط تحت رقم(189ع) من ورقتين ضمن مجموع، أولها:

بـــآل البيـــت تنـــشرحُ الـــصُّدُور   وتـــزدانُ المحافـــلُ والـــصُّدور[2]

154. **تحفة الظرفاء في جمع ما في الكلاعي من الرسائل النبوية والصحابة الخلفاء:** لأبي عبد الله محمد بن محمد بن الحسن اليحمدي الفحصي(توفي بعد 1170هـ)[3]، منه نسخة بخط المؤلف في الخزانة العامة بالرباط (الكتاني) تحت رقم(416ك) نسخت عام1164هـ، ونسخة تامة من (233 ورقة) بخزانة وزان تحت رقم (48)[4]، ونسخة بالخزانة الحسنية رقم(9758)، ونسخة أخرى في الخزانة الصبيحية بسلا تحت رقم(26) من (221 ورقة)، وقد حقق الكتاب الطالب المدني الصالحي في إطار نيل دبلوم الدراسات العليا بمؤسسة دار الحديث الحسنية بالرباط، بإشراف د. محمد يسف، ونوقش يوم 7 يوليوز عام 1988م.

---

(1) إتحاف أعلام الناس:(5/ 426).
(2) الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي:(1/ 62).
(3) معجم طبقات المؤلفين:(2/ 265)، الأعلام:(7/ 67).
(4) فهرس مخطوطات وزان:(1/ 271).

155. **شرح الصدر في التوسل بأهل بدر**: لأبي العباس أحمد بن عبد العزيز بن رشيد الهلالي السجلماسي (ت1175هـ)، توجد منه نسختان بالخزانة الحسنية تحت رقم (12245، 12286)، ونسخة في الخزانة العامة بالرباط رقم (492 د) ضمن مجموع من الصفحة 188 إلى 191.

156. **قصيدة ميمية في رثاء عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: لأبي العباس الهلالي السجلماسي (ت1175هـ)، منها نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم (12740).

157. **شرح إحياء الميت بفضائل أهل البيت للسيوطي**: لأبي العلاء إدريس بن محمد العراقي الفاسي (ت1183هـ)[1]، منه نسخة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (1373د)، وقرظ الشرح جماعة منهم: أحمد بن سليمان، ومحمد ميارة، وابن زكري، وأحمد ابن مبارك، وغيرهم.

158. **درة المفاخر بسيد الأولين والأواخر وغرر آل بيته المشاهر**: لمحمد بن الطيب القادري (ت1187هـ)[2].

159. **قصيدة في مدح آل البيت**: لأبي حفص عمر بن عبد الله بن عمر الفاسي الفهري (ت1188هـ)، منها نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم (8451).

160. **اختصار الإصابة لابن حجر**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الجزُولي الحُضيكي (ت1189هـ)[3]، منه نسخة بالخزانة الحسنية في مجلد ضخم تحت رقم (2599) تضم (333ورقة) بخط مغربي مقروء، به خروم، وأخرى في خزانة القرويين بفاس.

---

(1) معجم طبقات المؤلفين: (2/ 107).

(2) نشر المثاني (ضمن موسوعة أعلام المغرب): (6/ 2320).

(3) الإعلام بمن حلَّ مراكش وأغمات من الأعلام: (6/ 84)، سوس العالمة: (193).

161. **قصيدة في مدح أهل البيت ومدينة فاس وبانيها المولى إدريس**: للجيلالي بن أحمد بن المختار السباعي(ت1213هـ)، منها نسخة بالخزانة الحسنية رقم(10006).

162. **أرجوزة في التوسل بأهل بدر**: لأبي زيد محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الجليل السجلماسي الفيلالي البوجعدي(ت1214هـ)، منه سبعة نسخ خطية بالخزانة الحسنية تحت رقم(52، 872، 12302، 12402، 12719، 13271، 13346).

163. **تأليف في إثبات صحبة شمهروش الجني**: لمحمد بن عبد السلام الفاسي(ت1214هـ)[1].

164. **نظم في تاريخ الخلفاء والملوك**: لأحمد بن محمد بن أحمد المجلسي اليعقوبي المعروف بالبدوي(ت1220هـ)[2].

165. **مورد الصفا في سيرة النبي عليه السلام والخلفا**: لأبي محمد عبد السلام بن محمد ابن عبد الله العلوي الحسني السجلماسي الضرير(ت1228هـ)[3]، منه نسخة في مكتبة الزركلي ناقصة الآخر، ونسخة في جامعة القرويين بفاس قسم النوادر برقم(ي52)، ونسخة في خزانة ابن يوسف بمراكش رقم(ج1)[4]، وحقق الكتاب الطالب حسن مزراوي في إطار نيل دبلوم الدراسات العليا بمؤسسة دار الحديث الحسنية بالرباط، بإشراف د. محمد يسف، ونوقش يوم 09 نونبر 1999م.

166. **نهاية المنى والسُّول في حب آل بيت الرسول**: للعربي بن أحمد بن التاودي بن سودة المري(ت1229هـ)[5].

---

(1) فهرس الفهارس:(2/ 848).
(2) معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي:(6).
(3) الأعلام للزركلي:(4/ 7-8).
(4) الفهرس الشامل ـ السيرة ـ:(2/ 911-912).
(5) معجم طبقات المؤلفين:(2/ 214).

167. **إغاثة المضطر في التوسل بأهل بدر**: علي بن محمد خُلَيّف التميمي القيرواني(ت1232هـ)، وهي منظومة من بحر الرجز في 250 بيتاً، قال في آخرها:

قد انتهت إغاثة المضطر أبياتها أجاب أهل بدر

أتمها عام 1202هـ، وتوجد منها نسخة في دار الكتب الوطنية بتونس من7 ورقات، تحت رقم (9/ 18557)، ضمن مجموع من الورقة 55 إلى 62[1].

168. **اختصار الإصابة لابن حجر**: لأبي زيد عبد الرحمن بن أبي العلاء إدريس العراقي الفاسي(ت1234هـ)[2]، وصل فيه إلى حرف العين، ويُذكر أن نسخة من الكتاب كانت ضمن مكتبة عبد الحي الكتاني.

169. **مختصر في الصحابة والجرح والتعديل**: لأبي زيد عبد الرحمن بن إدريس العراقي الفاسي(ت1234هـ)، جمع فيه بين مصنفات عديدة، مثل الاستيعاب، والإصابة، والميزان، ولسان الميزان، واقتصر فيه على الوفيات وما لا بد منه[3].

170. **درّ السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة**: لأبي رأس محمد بن أحمد بن عبد القادر الراشدي المعسكري الجليلي الجزائري(ت1239هـ)[4].

171. **وسيلة الرواج في ذكر الأزواج**: لغالي بن المختار فال بن أحمد تلمود البصادي(توفي نحو 1243هـ)[5]، وهي منظومة في ذكر أسماء أمهات المؤمنين وأنسابهن، طبعت.

---

(1) كتاب العمر:(2/ 549-550).

(2) فهرس الفهارس:(2/ 824)، شجرة النور الزكية:(1/ 380).

(3) سلوة الأنفاس:(3/ 20).

(4) فهرس الفهارس:(1/ 150).

(5) معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي:(94).

172. **نظم أهل الصفة**: لزياد بن حامدت الديماني(ت1248هـ)[1].

173. **نظم مهاجري الحبشة**: لزياد بن حامدت الديماني(ت1248هـ)[2].

174. **نظم في الاستغاثة بأهل بدر**: لمحمد بن سالم بن فرج الحمامي (ت1250هـ)، وهي قصيدة من 150 بيتاً، شرحها في كتاب مستقل في حدود (75) ورقة، ومنه نسخة في دار الكتب الوطنية بتونس رقم(3/ 14856) (3/ 3428 أحمدية)[3].

175. **نظم أهل بدر**: لعبد الله بن سيد محمود الحاجي(ت1250هـ)[4].

176. **تفضيل قبائل العرب**: لعبد الله بن سيد محمود الحاجي(ت1250هـ)[5].

177. **منظومة في التوسل بآل البيت**: لأبي محمد عبد الهادي بن عبد الله بن علي الشريف الحسني العلوي(توفي بعد 1251هـ)، منه نسخة في الخزانة الحسنية برقم(12495).

178. **نظم أزواج النبي ﷺ**: للتجاني بن باب بن أحمد بيب العلوي(ت1260هـ)[6].

179. **الدرة الفائقة في أبناء علي وفاطمة**: لمحمد الزكي بن هاشم بن الكبير الحسني العلوي السجلماسي المدغري(توفي نحو 1270هـ)[7].

---

(1) معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي:(30).
(2) نفسه:(30).
(3) كتاب العمر:(2/ 555-557).
(4) معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي:(89).
(5) نفسه:(89).
(6) نفسه:(23).
(7) سلوة الأنفاس:(2/ 273).

180. **الشجرة الشما التي أصلها ثابت وفرعها في السماء في نسب النبي ﷺ وعشيرته**: لمحمد الزكي بن هاشم بن الكبير الحسني العلوي المدغري(توفي نحو 1270هـ)، منه نسخة خطية في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم(2210د/ 7)، ضمن مجموع من الورقة 116 إلى 124، وتوجد نسختين من الكتاب بنفس التسمية منسوبة لمجهول، الأولى في الخزانة الحسنية بالرباط رقم(10904)، والثانية في خزانة القرويين بفاس رقم(600) من (19ورقة)، أولها: «الحمد لله على إحسانه وأفضاله»، حبسها الولى عبد الله في 20 رجب عام 1150هـ.

181. **شرح على إحياء الميت في فضائل آل البيت**: لمحمد الطالب بن حمدون ابن الحاج السلمي المرداس الفاسي(ت1273هـ)(1).

182. **نظم أهل بدر المختصر**: للشيخ محمد المام بن البخاري بن حبيب الله بن باركل ابن أحمد بزيد اليعقوبي(ت1282هـ)(2).

183. **نظم الشهداء في حياة النبي ﷺ**: لمحمد فال بن متالي الأكدبجي(ت1287هـ)(3).

184. **نظم من صحبوا النبي ﷺ مع آبائهم**: لمحمد فال بن متالي الأكدبجي(ت1287هـ)(4).

185. **السفر المبارك في ذخيرة المحتاج**: لمولاي الحاج البوعناني الحسني، ذكر فيه فضل العشرة وآل بيت المصطفى ﷺ، منه نسخة بخزانة نظارة قلعة السراغنة رقم (7)، كتبت عام 1293م.

---

(1) معجم طبقات المؤلفين:(2/ 147).
(2) معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي:(73).
(3) نفسه:(77).
(4) نفسه:(77-78).

186. **جزء في المبشرين بالجنة:** لأبي عبد الله محمد المدني بن علي جُلون الكومي الفاسي(ت1298هـ)[1].

187. **جزء في الصّحابة الذين غيَّر المصطفى ﷺ أسماءهم:** لأبي عبد الله محمد المدني ابن علي بن جلون الكومي الفاسي(ت1298هـ)[2]، طبع على الحجر بفاس بذيل كتاب جزء الأحاديث المتواترة للمؤلف في (24 صفحة).

188. **مؤلف في الذين أردفهم النبيّ ﷺ خلفه:** لأبي عبد الله محمد المدني ابن جلون الفاسي(ت1298هـ)[3].

189. **نصح الخاص والعام فيما يجب لآل النبي عليه السلام:** لأبي عبد الله محمد المدني جنون(ت1302هـ)[4]، وله عدة أسماء، يقع في مجلد وسط، طبع على الحجر بفاس سنة 1306هـ.

190. **نظم في التوسل بالصحابة والأولياء:** محمد مختار بن أحمد بن حبيب الله بن الغلاوي اليعقوبي(ت1306هـ)[5]، أوله:

الحمد لله وباسم الله ... مصليا على نبي الله
وآله وصحبه مسلما ... ما أظلم الليل وغيم السماء
يا ربنا بجاه الأنبياء ... وجاه الأتقيا والأولياء

---

(1) معجم المطبوعات المغربية:(73).
(2) معجم طبقات المؤلفين:(2/ 361).
(3) نفسه:(2/ 361).
(4) دليل مؤرخ المغرب:(رقم 305).
(5) معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي:(140).

وجـــاه كل ملـــك وصـــالح اسـلك بنـا أهـدى سـبيل واضـح
بعمـــر الفـــاروق والـــصديق يـسر لنـا الأمـور عـن تحقيـق
وبعـــلي وبعثمـــان الـــرضي اجعل لنا مـن عـنكم نيـل الـرضى

191. **أرجوزة في التوسل بالصحابة**: لمحمد مختار بن أحمد بن حبيب الله بن الغلاوي اليعقوبي(ت1306هـ)[1]، أولها:

يـــا ربنـــا بنقبـــاء الخـــزرج والأوس ثبتـــني لدى مخـــتلجي

وقد شرحها حفيده محمد مختار بن محمد الأمين.

192. **الوسيلة في مدح أهل الفضيلة**: لمحمد بن عيسى الجزائري التونسي، والكتاب في مدح أبي بكر الصديق رضي الله عنه، طبع بتونس عام 1307هـ.

193. **تاج الحسن الباهر في أهل النسب الطاهر**: لأبي حامد العربي بن محمد بن قاسم العلوي الحسني المدغري الدرقاوي الكاوزي(ت1309هـ)[2]، منه نسخة خطية في الخزانة العامة بالرباط رقم(38 ك) تضم(35 ورقة) نسخت بخط مغربي عام 1291هـ، وقد حقق الكتاب في كلية الآداب بوجدة، اشتغل عليه الطالب ساسيوي الحاج في إطار نيل أطروحة الدكتوراه، ونوقش في يوم 25 ماي 2000م.

194. **قصيدة عينية في التوسل على ترتيب حروف اسم الصحابي سيدنا عمران بن حصين**: لأبي حامد محمد العربي بن محمد بن السائح الشرقي العمري الرباطي التيجاني(ت1309هـ)، منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(13679).

---

(1) معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي:(141).
(2) الأعلام:(4/ 225).

195. **نظم الصحابة المذكورين في القاموس المحيط للفيروزآبادي**: لمحمد فال بن آبني الشمشوي التمكلاوي(ت1309هـ)[1].

196. **شرح نظم الشهداء لمحمد فال بن متالي**: لمحمد فال بن آبني الشمشوي التمكلاوي(ت1309هـ)[2].

197. **تحفة الظرفاء في أسماء الملوك والخلفاء**: لجعفر بن المهدي النعماوي(ت1311هـ)[3].

198. **نزهة الأبصار في شرح قصيدة الأنصار**: للغالي بن المكي بن أحمد بن سليمان الفاسي نزيل مراكش(ت1317هـ)، مدح بها كعب بن زهير رضي الله عنه[4].

199. **نظم أمهات المؤمنين**: للشيخ محمذا الشمشوي الملقب بـ أبُّ(ت1318هـ)[5].

200. **مواهب الوهاب في سيرة النبي ﷺ والأصحاب**: لباب بكر بن أحجاب بن محمد الكبير الديماني(ت1322هـ)[6].

201. **القصيدة البهية في مدح خير البرية عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية وعلى آله وأصحابه أهل المراتب السنية**: لمحمد بن عبد الكبير الكتاني(ت1327هـ)، طبعت على الحجر بفاس دون تاريخ، في (4صفحات)، منه نسخة بالخزانة العامة تحت رقم(C 30164).

---

(1) معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي:(133).
(2) نفسه:(133).
(3) نفسه:(24).
(4) معجم طبقات المؤلفين:(2/ 238).
(5) معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي:(75).
(6) نفسه:(18).

202. **تأليف في نجاة أبي طالب:** لأبي عبد الله مَحمد بن مُحمد بن عبد السلام كنون الفاسي(ت1328هـ)[1]، لخصه من كتاب أسنى المطالب في نجاة أبي طالب للشيخ دحلان المكي الشافعي(ت1308هـ).

203. **سفينة في مدح الرسول ﷺ وأصحابه:** لمحمود بن علي الغدامسي الشهير بابن برو(توفي بعد 1328هـ)، منه أربعة نسخ خطية في دار الكتب الوطنية بتونس، تحت الأرقام: (2108) بخط المؤلف من (281ورقة)، ورقم(2134) مبتورة الأول من (117ورقة)، ورقم(2180) من (34ورقة)، ورقم(2519) من (48ورقة)[2].

204. **البستان السني في النسب الحسني أو الدرة اليتيمة الفاخرة في ذرية سيد أهل الدنيا والآخرة:** لمحمد بن قاسم بن محمد القادري(ت1331هـ)[3].

205. **جزء في المبشرين بالجنة:** لأبي المكارم عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد الكتاني الفاسي(ت1333هـ)[4]، ساق فيه نحو مائتي صحابي من المبشرين بالجنة.

206. **الانتصار لآل النبي المختار:** لأبي المكارم عبد الكبير بن محمد الكتاني(ت1333هـ)[5].

207. **جزء في المقام الروحي لولاتنا فاطمة الزهراء عليها الصلاة والسلام:** لأبي المكارم عبد الكبير بن محمد الكتاني(ت1333هـ)[6].

---

(1) معجم الشيوخ:(45).

(2) الفهرس الشامل ـ السيرة ـ:(1/ 428).

(3) معجم طبقات المؤلفين:(2/ 261)، دليل مؤرخ المغرب:(رقم 48).

(4) فهرس الفهارس:(2/ 745).

(5) فهرس الفهارس:(2/ 746)، معجم الشيوخ:(195).

(6) معجم الشيوخ:(195).

208. **رسالة في الصحابيات راويات الحديث ومرويّاتهن**: لمحمد فال بن العاقل الديماني(ت1334هـ)[1].

209. **شرح نظم الشهداء لمحمد فال بن متالي**: لمحمد بن المصطفى بن فتي العلوي(ت1337هـ)[2].

210. **اللئالئ المنتشرة في أقارب العشرة**: لمحمد بن المصطفى بن فتي العلوي(ت1337هـ)[3].

211. **منظومة في أهل الصفة**: للشيخ سيديا باب بن الشيخ سيدي محمد الشنقيطي(ت1342هـ)[4].

212. **إعلام السائلين عمن أقبر بمصر من صحابة سيد المرسلين**: لأبي علي الحسن بن محمد بن قاسم الكوهن التازي الفاسي(توفي بعد 1347هـ)[5].

213. **البدور المتبعة في مناقب الخلفاء الأربعة**: لمحمد الطاهر بن الحسن بن عمر الكتاني(ت1347هـ)[6].

214. **نظم شهداء المعارك في عهد النبي ﷺ**: لمحمد بن محمد المختار العلوي(ت1349هـ)[7].

---

(1) بلاد شنقيط:(594).
(2) معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي:(142).
(3) نفسه:(142).
(4) نفسه:(55).
(5) الأعلام:(2/221).
(6) منطق الأواني بتراجم أعيان آل الكتاني:(157).
(7) معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي:(136).

215. **الرَّحـمة المهداة فيمـا يتعلق بصحبة بُسر بن أرطأة**: لمحمد بن إدريس القـادري الفاسي(ت1350هـ)[1].

216. **نظم نسب الأنصار**: للبشير بن انباركي الشمشوي اليدمسي(ت1354هـ)[2].

217. **الكشف المعرب عمَّن دخل من الصحابة المغرب**: لأبي عبد الله محمد بـن أحمـد ابن قدُّور العبدي الكانوني الآسفي(ت1357هـ)[3].

218. **شرح نظـم أهـل بـدر المطـول للـشيخ محمـد المـام**: لـزين بـن أحمـد اليـدالي الشمشوي(ت1358هـ)[4].

219. **تكملة نظم شـهداء المعـارك لمحمـد فـال بـن متـالي**: لـزين بـن أحمـد اليـدالي الشمشوي(ت1358هـ)[5].

220. **نظم في تاريخ الخلفاء**: لمبرك بن المصطفى التندغي(ت1359هـ)[6].

221. **منظومـــة في أنـــساب العـــرب**: للـــشيخ عبـــد الـــرحمن بـــن بـــلال الإيدكجملي(ت1360هـ)[7].

222. **العسل المصفى في شهداء زمن المصطفى ﷺ**: للشيخ إمربيه رب بن الشيخ مـاء العينين الفاضلي(ت1361هـ)[8].

---

(1) إزالة الدهش:(79 ملحق).
(2) معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي:(23).
(3) التأليف ونهضته بالمغرب:(93).
(4) معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي:(31).
(5) نفسه:(32).
(6) نفسه:(97).
(7) نفسه:(60).
(8) نفسه:(51).

223. **شرح نظم غالي البصادي لزوجات النبيﷺ**: لأبي المعالي بن محمد بن عبد الله اليعقوبي الاخوالي(ت1363هـ)[1].

224. **كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب**: لمحمد حبيب الله بن عبد الله بن مايابا الشنقيطي(ت1363هـ)[2].

225. **شرح قصيدة أهل بدر**: لمحمد بن عبد المجيد بن عبد الرحمن أقصبي الفاسي(ت1364هـ)، منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(7062).

226. **تقييد في توضيح تقاعس الصحابة عن امتثال الأمر النبوي في صلح الحديبية**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن إدريس الشريف العلوي الإسماعيلي(ت1367هـ)، منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(13799).

227. **رِقَّة الصَّبابة فيمن دخل المغرب من الصحابة**: لمحمد بن عبد السلام السَّائح الرِّباطي(ت1367هـ)[3].

228. **تذكير الأنام بحقوق آل البيت الكرام**: لأبي العباس أحمد بن محمد بن الحسن الرهوني التطواني(ت1373هـ)، فرغ منه عام 1323هـ، منه نسخة خطية في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (2161د)، ضمن مجموع من 128 إلى 229، ومذيل في آخره بتقريظ لأحمد بن محمد العمراني.

229. **الدرر المجمعة في الإعلان بتراجم الخلفاء الأربعة**: لأبي العباس الرهوني التطواني(ت1373هـ)، كمل تأليفه عام 1321هـ، منه نسخة خطية في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم(2161د)، ضمن مجموع من الصفحة 461 إلى 513.

---

(1) معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي:(5).

(2) تشنيف الأسماع:(157).

(3) معجم المطبوعات المغربية:(151).

230. **رد لهج الصبابة فيمن قبل يد المصطفى من الصحابة**: لمحمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني(ت1382هـ)[1].

231. **الشفاء في من برئ على يد المصطفى ﷺ**: لمحمد سالم بن المختار بن ألما اليدالي(ت1384هـ)[2]، منظومة.

232. **حاشية رياض النزهة على منظومات نسمات رياح الجنة في فضائل أهل البيت وأولياء الله وأذكار الكتاب والسنة**: للشيخ بلهاشمي بن بكار المعسكري الجزائري(ت1384هـ)[3]، نشر الكتاب في حياته عام 1381هـ/ 1961م.

233. **إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن والسنة من فضائل الصحابة**: لمحمد العربي ابن التبّاني بن الحسين المغربي السَّطيفي(ت1390هـ)، طبع في مكة المكرمة عن المكتبة المكية سنة 1422هـ/ 2002م، بمراجعة محمد عبد الله ناصر الموزعي، في مجلد من (284 صفحة).

234. **آل البيت ما لهم وما عليهم**: لمحمد تقي الدين الهلالي المغربي(ت1407هـ)[4]، نشر في صحيفة الميثاق.

235. **الإفادة بطرق حديث النظر إلى علي عبادة**: لعبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري(ت1418هـ)[5]، مخطوط.

---

(1) فهرس الفهارس:(1/ 29).
(2) معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي:(118).
(3) أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة:(2/ 251).
(4) التأليف ونهضته بالمغرب:(124).
(5) إفادة الإخوان لابن الحاج:(430)، وفتح العزيز:(27).

236. **الأنوار الباهرة بفضائل أهل البيت النبوي والذرية الطاهرة:** لأبي محمد عبد الله ابن عبد القادر بن محمد التليدي الطنجي، نشرته دار ابن حزم-بيروت عام 1417هـ.

237. **المبشرون بالجنة:** لأبي محمد عبد الله بن عبد القادر التَّلِيدِي[1]، طبع بطنجة عام1408هـ، وفي بيروت عن دار ابن حزم عام 1417هـ.

238. **مشاهير رواة الصحابة:** لأبي محمد عبد الله بن عبد القادرالتَّلِيدي[2]، مخطوط.

239. **الأنوار الباهرة بفضائل الذرية الطاهرة:** لأبي محمد عبد الله بن عبد القادر التليدي[3]، مخطوط.

240. **فضائل الصحابة والدفاع عن كرامتهم وبيان خطر مبغضيهم والطاعنين فيهم:** لأبي محمد عبد الله بن عبد القادر التليدي، طبع بدار ابن حزم-بيروت عام 1420هـ في(237ص).

241. **أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الخليفة المجتهد:** ذ. عبد الحي حسن العمراني، طبع عام 1406هـ/ 1986م عن مطبعة فضالة بالمحمدية في حدود (231 صفحة).

242. **فقه عبد الله بن عمر رضي الله عنه في المعاملات:** ذ. محمد سلامة، طبع عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب عام 1989م، بمطبعة فضالة-المحمدية، في حدود (333صفحة)، وأصل الكتاب بحث قدمه الطالب لنيل دبلوم الدراسات العليا بمؤسسة دار الحديث الحسنية بالرباط، نوقش بتاريخ: 1 يونيو 1978م.

---

(1) معجم المعاجم والمشيخات:(3/ 197).
(2) نفسه:(3/ 198).
(3) نفسه:(3/ 198).

243. **أم سلمة أم المؤمنين**: ذ. أمينة أمزيان الحسني، طبع عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عام 1419هـ/ 1998م في جزأين، وأصل الكتاب رسالة قدمتها الطالبة بمؤسسة دار الحديث الحسنية لنيل دبلوم الدراسات العليا عام 1992م.

244. **إتحاف ذوي النجابة في مشاجرة الصحابة**: للشيخ بداه البوصيري (المفتي العام بموريتانيا)[1].

245. **الإصابة في الذب عن الصحابة**: لمحمد فاضل بن أحمد دليل اليعقوبي[2].

246. **العسل المصفى في شهداء زمن المصطفى**: للشيخ امربيه رب بن الشيخ ماء العينين الفاضلي[3].

247. **التوسل بأهل بدر**: لمحمد بن أبي القاسم الفلالي القاطن بأبي الجعد، لعله السجلماسي الرباطي، منه نسخة بالخزانة الصبيحية بسلا رقم (282/ 3)، تضم 8 أوراق بخط مغربي نسخي مليح، أوله:

الحمد لله مجيب الداعي ومذهب الأسقام والأوجاع

وآخره:

ما قد أجيبت دعوات السائل وظهرت بركة الوسائل[4]

248. **السيف المسلول فيمن أنكر على الرجراجيين صحبة الرسول**: لعبد الله بن محمد ابن البشير المقدم الرجراجي السعيدي البطريطشي.

---

(1) السلفية وأعلامها في موريتانيا: (452).

(2) معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي: (132).

(3) نفسه: (50).

(4) فهرس الخزانة الصبيحية: (240) رقم (489).

249. **قصيدة الكرام في مدح آل بيت رسول الله عليه السلام**: للصادق بن محمد بن الصادق بن عبد الله الجزائري، قصيدة من 73 بيتاً في مدح آل البيت النبوي الكريم، طبعت في مراكش عن مطبعة التقدم الإسلامية دون تاريخ، في (4 صفحات)، منها نسخة بالخزانة العامة تحت رقم(A 14769).

250. **قصيدة في مدح أهل البيت**: لمصطفى بن محمد بن الكبير بن عبد الرحمن العلوي المدغري، منها نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم(13762).

251. **أرجوزة في أنساب آل البيت**: للتهامي بن عبد الله بن الشريف عثمان، منه نسخة في الخزانة الحسنية، بخط مغربي من (20 ورقة).

252. **منظومة في التوسل بأهل بدر و غيرهم من الصحابة و الأنصار و المهاجرين و ذكر أسمائهم رضي الله عنهم**: لعبد الله بن حمزة الرجراجي، منها نسخة بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود تحت رقم(332-5)، من (4 ورقات)، أوله:«بسم الله الرحمن الرحيم.....وللشيخ الإمام سيدي عبد الله بن حمزة دفين آسفي رحمه الله تعالى هذا المنظومة (كذا) في التوسل بأهل بدر و غيرهم من الصحابة و الأنصار و المهاجرين و ذكر أسمائهم رضي الله عنهم:

الحمد لله مجيب الداعي وذهب الأسقام و الأوجاع
ومجزل الخيرات و الإحسان ومكثر الفضل و الامتنان

وآخره:

وأصلح الزرع بوابل المطر لعيشهم واقض لهم كل وطر
بجاه سيد الورى المشفع في نيل قصد الطالب المستشفع

صلى عليه ربنا و الآل وصحبه بزائد اللئالي ما قد
أجيبت دعوات السائل وظهرت بركة الوسائل

253. **مناقب العشرة المشهود لهم بالجنة**: لأبي يعقوب الحلفاوي، منه نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم (4552).

254. **قصيدة في التوسل بأهل بدر على ترتيب إشراق البدر**: للعربي بن الحسن الإسحاقي، منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(315).

255. **منظومة في التوسل بأهل بدر وشرح عليها**: لعبد الله بن محمد الخياطي التملي الروداني[1].

256. **تقييد في ذكر ذرية أبي بكر الصديق** رضي الله عنه: لإبراهيم بن عبد الله الشاوي، منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(12127).

257. **شرح منظومة في التوسل بأهل بدر**: لعيسى بن موسى الراشدي التجاني، منه نسختين بالخزانة الحسنية رقم(12080، 14024).

258. **شفاء الأسقام في صفة النبي ﷺ وأصحابه الكرام**: لعامر بن الحسن بن الزبير الهكسيمي، منه نسختين بالخزانة الحسنية تحت رقم(11973، 12093).

259. **نسب أهل البيت**: لإبراهيم بن حرب الحسيني، منه نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم(9562).

260. **أرجوزة في ذكر المهاجرين الأخيار**: لأبي المعالي أحمد القادري، منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(13938).

---

(1) سوس العالمة:(130).

261. **ذكر مناقب آل البيت وفضلهم**: للهاشمي بن عبد الكبير العلوي، منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(12495).

262. **رسالة في تفضيل عموم الملائكة على الصحابة**: لمحمد بن عمر بن أبي محلي، منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(614).

263. **اللؤلؤ المنقول في صفة صحابة الرسول ﷺ**: لعبد الله بن عثمان، منه نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم(13762).

264. **مواهب المواهب في سيرة النبي والأصحاب**: لأبي بكر بن أحجاب الأجيدي، منه نسخة في مجموعة موريتانيا برقم(2127) مجموع أوراقه أحد عشر[1].

265. **نظم العقبات**: لمحمد القاضي بن أحمد الفال، منه نسخة ضمن مجموعة موريتانيا برقم(1711) من 3ورقات[2].

266. **جواب علي بن أبي طالب على أسئلة بعض يهود خيبر**: منه نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم (7246).

267. **مسائل علي بن أبي طالب** رضي الله عنه: منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(5029).

268. **شرح أرجوزة أحمد بابا العلوي الشنقيطي في أزواج النبي ﷺ وما له منهن من البنين والبنات**: مجهول(كان حياً في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري)، منه نسخة في مؤسسة آل سعود بالدار البيضاء تحت رقم (142)، تضم (98 ورقة) بخط مغربي، ألفه بأمر من شيخه العربي بن السايح الرباطي(ت1309هـ)، أوله:«الحمد لله

---

(1) الفهرس الشامل ـ السيرة ـ:(2/ 909).

(2) نفسه:(2/ 968).

الذي بنعمته الصالحات وبأنوار عنايته نستوهب لطائف النفحات»، وآخره:«وهذا من خصائصه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام كما في أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب للحافظ السيوطي رحمه الله»[1].

269. **قصيدة في كرامات الصحابة والتابعين**: مجهول، منها نسخة بالخزانة الحسنية رقم(1586)، مجموع أبياتها 190، تناول فيها كرامات الصحابة في 112 بيتاً منها، ومطلع القصيدة:

فأولهم أولى بذكر كرامة … أبو بكر الصديق إذ كان أصدقا
بجفنته من بعد أكل طعامه … وبالقوت حتى كاد أن يتدفقا

وآخرها:

ولو أني سطرت كل كرامة لهم … ولقوم بعدهم كان أوسقا
وذا القدر فيه مقنع لذوي النهى … وأوفى دليل النّسرى أخي التقا
وإن نكروا فلينكروا الشمس رفعته … أو الليل مسودا أو الصبح مشرقا

270. **رسالة سيدنا أبي بكر لسيدنا علي يستدعي بيعته مع شرح عليها**: مجهول، منها نسخة بالخزانة الحسنية رقم(5915).

271. **ذكر وفاة رسول الله ﷺ وابنته فاطمة**: مجهول، منه نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم(13352).

272. **حزب صفية بنت عمر**: مجهول، منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(9487).

---

(1) فهرس مخطوطات آل سعود:(42).

273. **قصيدة همزية في التوسل بأهل بدر**: مجهول، منها نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم(1521).

274. **نظم في التوسل بأهل بدر**:مجهول، منه نسخة في مؤسسة علال الفاسي بالرباط تحت رقم(216ع)، مجموع أبياتها 246، والنسخة ضمن مجموع عدد أوراقها: 7، أوله:

الحمـــــــــد لله الذي أقامـــــــــــا   بنـــصر أهـــل بـــدر الإسلامـــا[1]

275. **مناقب عمر بن الخطاب**: مجهول، منه نسخة بخزانة ابن يوسف بخط أندلسي تحت رقم(289)[2].

276. **قضية اليهود العشرة مع عمر بن الخطاب**رضي الله عنه: مجهول، منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(13385).

277. **باب في فضل المهاجرين ومناقبهم**: مجهول، منه نسخة بكلية الآداب محمد الخامس تحت رقم (مكل 104)، ضمن مجموع من ص84 إلى ص131، بخط مغربي متوسط، نسخ عام 1213هـ[3].

278. **قصيدة في أسماء أهل بدر**: مجهول، منه نسخة بكلية الآداب محمد الخامس تحت رقم (مكل 153)، بخط مغربي واضح، نسخها محمد بن الصديق الآجري القفصي التونسي عام 1295هـ[4].

---

(1) الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي:(4/ 155).

(2) فهرس مخطوطات ابن يوسف:(468).

(3) فهرس مخطوطات كلية الآداب محمد الخامس:(71).

(4) نفسه:(76).

279. **تقييد في أسماء العبادلة**: مجهول، منه نسخة تامة بخزانة وزان تحت رقم(2/ 1254)، من (36 ورقة) ضمن مجموع[1].

280. **مناقب أهل بدر وأسماؤهم وكيفية الدعاء بهم**: مجهول، منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(52).

281. **منظومة في محبة آل البيت**: مجهول، منه نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم(5214).

282. **نبذة مختصرة في الحظ على محبة بيت رسول الله ﷺ**: مجهول، منه نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم(9564).

283. **أرجوزة في الصحابة أهل الصفة ومن إليهم**، مجهول، منه نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم(52).

284. **أسماء البدريين المذكورين بصحيح البخاري**: مجهول، منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(52).

285. **تقييد بأسماء الصحابة من أهل بدر**: مجهول، منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(11982).

286. **تقييد عن رسالة أبي بكر الصديق لعلي بن أبي طالب كرم الله وجههما**: مجهول، منه نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم (7246).

287. **تقييد في أولاد سيدنا علي وزوجاته**: مجهول، منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(14102).

---

(1) فهرس مخطوطات وزان:(1/ 233).

288. **تقييد في بعض فضائل فاطمة الزهراء رضي الله عنها**: مجهول، منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(12015).

289. **ذكر أصحاب بدر**: مجهول، منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(7068).

290. **تقييد في ذكر من حضر غزوة بدر**: مجهول، مرتب على حروف المعجم، منه نسخة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم(44 د) ضمن مجموع.

291. **ذكر فضل أصحاب رسول الله ﷺ**: مجهول، منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم(7068).

292. **أسماء الصحابة البدريين**: مجهول، منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (1010ك).

293. **دعاء أسماء بدر على العدو الظالم**: مجهول، منه نسخة بمؤسسة الملك عبدالعزيز آل سعود برقم(330-8)، من خمس ورقات، أوله:«بسم الله الرحمن الرحيم...اعلم أنه ورد في ساداتنا أهل بدر رضي الله عنهم من المناقب والفضائل والمفاخر، ومن ذلك هذه المنظومة العديمة المثال، الذي لم ينسج أحد لها على منوال، الموسومة بدعاء أسماء بدر على العدو الظالم، ونصها:

الحمد لله المجيب القادر ... الأبدي البطش الشديد القاهر
المهلك المنتقم النصير ... القابض المقتدر القدير

وآخره:

أسألك الصلاة والسلاما ... على النبي المصطفى إكراما
وآله وصحبه الكرام ... ولا تخيب لهم مرام

وعـــم بـــالرضى جميـــع أهـــل بـــدر رضى يتحفـــني بـــسؤل
والحمـــد لله الـــسميع المـــستجيب النـــاصر الـــرب المـــؤمن القريـــب

294. **منظومة في التوسل بأهل بدر**: مجهول، منها نسخة بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود رقم(330-9) من(3ورقات)، انتهى من نسخها في 19 حجة الحرام متم عام 1304هـ، أولها:

فالحمـــــــــد لله مجيـــــــــب الداعي وبـــصلاته على المطـــاع محمـــد
وبالـــــــــــسلام و الـــــــــــرضى عـــن آله و صـــحبه مـــلء الفـــضا

وآخرها:

وإن يكـــــن نظـــــمي لا يـــــواتي فإنـــــما الأعمـــــال بالنيـــــات
وإنمـــــا لـــــكل امـــــرئ مـــــا نـــــواه ومـــــن بـــــه داء فلـــــم يـــــدفع دواه

295. **أدعية ومنظومات في مدح الصحابة وأهل بدر**: مجهولة النسبة، منها نسخة في دار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم (2184) من (297 ورقة) بخط مغربي[1].

296. **أسماء زوجات النبي عليه السلام**: مجهول، منه نسخة في دار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم(4740)، من (124 ورقة) ضمن مجموع بخط مغربي[2].

297. **ذكر زواج علي بن أبي طالب بفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ**: مجهول، منه نسخة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم(2299د)، وتقع ضمن مجموع من الصفحة 395 إلى 495.

(1) الفهرس الشامل ـ السيرة ـ:(1/ 17).
(2) نفسه:(1/ 30).

298. **كتاب في آل البيت وفضائل الخلفاء وبعض الصحابة**: مجهول، منه نسخة بخط مغربي في جامعة الملك سعود بالرياض تحت رقم(1879)، منسوخة في القرن 12هـ، مبتورة الأول والآخر، مجموع أوراقها (18)، تبتدئ بفصل: ذكر آل البيت ومن استشهد منهم وسنهم ووفاتهم رضوان الله عليهم، ويستهل بذكر عبيدة بن الحارث ﷺ، ويختتم الكتاب بذكر مناقب عبد الرحمن بن عوف ﷺ.

299. **مناقب الحسنين سبطي رسول الله ﷺ**: مجهول، توجد منه نسخة خطية في الخزانة العامة بالرباط برقم(2100د)، في مجموع من الصفحة 246 إلى 248.

300. **شجرة نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة**: مجهول، منه نسخة بمؤسسة علال الفاسي تحت رقم(198ع)، ضمن مجموع من ورقتين، نسخ بخط الشيخ محمد بن عبدالقادر الفاسي[1].

وفيما يأتي ملحق بالرسائل والأطاريح المؤلفة في موضوع الصحابة:

301. **الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري ونوع اشتراكيته**: أحمد لسان الحق، دبلوم الدراسات العليا، إشراف ذ. علال الفاسي، مؤسسة دار الحديث الحسنية بالرباط، نوقش بتاريخ: 25 يونيو 1970م.

302. **الصحابة الشعراء**: محمد الراوندي، دبلوم الدراسات العليا، إشراف د.عائشة عبد الرحمن، مؤسسة دار الحديث الحسنية بالرباط، يوم 27 يونيو سنة 1395هـ/ 1975م.

303. **معاذ بن جبل ﷺ واجتهاده القضائي**: الحسين التاويل، دبلوم الدراسات العليا، إشراف ذ. العباس الأمراني، مؤسسة دار الحديث الحسنية بالرباط، نوقش بتاريخ: 13 يوليوز 1976م.

---

(1) الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي:(1/ 93-94).

304. **شعر كعب بن مالك الأنصاري دراسة إحصائية:** أحمد وهوب، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: د. أمجد الطرابلسي،كلية الآداب الرباط، نوقش بتاريخ25 ماي 1988م.

305. **تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين:** محمد أمحزون، دكتوراه الدولة، إشراف: د. فاروق حمادة، كلية الآداب وجدة، سجل البحث بتاريخ 02 دجنبر 1989م.

306. **فقه عمر بن الخطاب من خلال مسند الإمام أحمد بن حنبل:** محمد الصغير الغرفي، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: د. عبد الوهاب التازي سعود، كلية الآداب فاس-ظهر المهراز، نوقش بتاريخ 11 شتنبر 1989م.

307. **قراءات الصحابة رضوان الله عليهم:** بنيونس لحدودي، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: د. التهامي الراجي، كلية الآداب بالرباط، سجل البحث بتاريخ 12 يوليوز 1989م.

308. **الصحابة ومصادر معرفتهم:** عبد الحق يدير، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: د. إبراهيم بن الصديق، كلية الآداب بالرباط، نوقش بتاريخ: 12 نونبر 1990م.

309. **المصطلحات النقدية لدى الخلفاء الراشدين والأمويين وأمرائهم:** رشيدة الميلودي، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: د. رشيدة الميلودي، كلية الآداب فاس-ظهر المهراز، سجل بتاريخ 04 أكتوبر 1991م.

310. **الصحابة وأصول الفقه:** محمد فتح الله سطيري، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: د. أحمد أبو زيد، كلية الآداب الرباط، نوقش بتاريخ: 8 دجنبر 1992م.

311. **بناء القصيدة الشعرية بين الجاهلية والإسلام كعب بن زهير نموذجاً:** محمد بنفيلوس، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: د. أحمد الطريسي، كلية الآداب الرباط، سجل بتاريخ 27 أبريل 1992م.

312. **الرؤية النقدية لدى الخلفاء وأعلام النبلاء من أوائل القرن الهجري الأول إلى أواخر القرن الثالث؛ من أبي بكر الصديق 13هـ إلى عبد الله ابن المعتز:** علي الحجامي، دكتوراه الدولة، إشراف: د. علي حمودان، كلية الآداب فاس ـ ظهر المهراز، سُجّل البحث بتاريخ 16 أبريل 1992م.

313. **فقه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، وأثره في مذاهب أشهر الأئمة:** محمد الصغير الغرقي، دكتوراه الدولة، إشراف د. الشاهد البوشيخي، كلية الآداب فاس-ظهر المهراز، سُجّل بتاريخ 28 يونيو 1992م.

314. **تطور الدولة الإسلامية بنية وفكرة من الهجرة النبوية إلى نهاية الخلافة الراشدة:** حسن بوكبير، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: د. محمد الروكي، كلية الآداب بالرباط، سجل بتاريخ: 02 نونبر 1992م.

315. **حجية قول الصحابي عند الفقهاء والأصوليين:** عبد الرحيم الطاهري، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: د. فاروق حمادة، كلية الآداب بالرباط، نوقش البحث بتاريخ 12 يوليوز 1993م.

316. **تفسير جابر بن عبد الله جمع ودراسة وتوثيق:** محمد صلاح الدين صمدي، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: د. أحمد أبو زيد، كلية الآداب بالرباط، سجل بتاريخ 12 مارس 1993م.

317. **استنباط الأحكام عند فقهاء الصحابة والتابعين:** السعيد اجغوغ، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: د. زين العابدين بلافريج، كلية الآداب الدار البيضاء-عين الشق، نوقش البحث بتاريخ 01 نونبر 1993م.

318. **الأصول النظرية لفقه عمر بن الخطاب دراسة وتحليل**: عبد الفتاح برزوق، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: د. عقي النماري، كلية الآداب الدار البيضاء- بنمسيك، سجل البحث بتاريخ 24 أكتوبر 1994م.

319. **أدب الإمام علي خصائصه الفنية والموضوعية**: الحسن زروال، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: د. علي حمودان، كلية الآداب فاس-ظهر المهراز، سجل بتاريخ: 24 يناير 1994م.

320. **مبدأ المساواة في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في عهد الرسول ﷺ وخلفائه الثلاثة بعده**: أحمد لسان الحق، أطروحة الدكتوراه، إشراف: د. عمر الجيدي، مؤسسة دار الحديث الحسنية بالرباط، نوقشت في: 27 شتنبر 1994م.

321. **سياسة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مع ولاة الأمصار**: سعيد الوالي، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: د. عصمت دندش، كلية الآداب الرباط، نوقش بتاريخ: 07 مارس 1995م.

322. **مرويات محمد بن جرير الطبري في ميزان الجرح والتعديل، خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه**: خليد المقالي، أطروحة الدكتوراه، إشراف: د. محمد أمحزون، كلية الآداب مكناس، سجل بتاريخ 29 يونيو 1995م.

323. **التأصيل النظري لفقه أبي بكر الصديق**: عبد الحفيظ النبار، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: د. عقي النماري، كلية الآداب الدار البيضاء-بن مسيك، سجل بتاريخ: 02 نونبر 1995م.

324. **تاريخ ابن أبي خيثمة: قسم الصحابة- دراسة وتحقيق-**: سناء الوسيني، أطروحة الدكتوراه، إشراف: د. محمد الراوندي، مؤسسة دار الحديث الحسنية بالرباط، سجلت بتاريخ: 25 دجنبر 1996م.

325. **مرويات ابن جرير الطبري من خلال تاريخه، خلافة أبي بكر الصديق نموذجاً:** المصطفى بوشيبتي، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: د. محمد أمحزون ود. عبد الكريم مشهداني، كلية الآداب وجدة، سجل بتاريخ: 02 ماي 1996م.

326. **مرويات ابن جرير الطبري من خلال تاريخه، خلافة علي رضي الله عنه نموذجاً:** أحمد الفلوسي، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: د. عبد الكريم مشهداني ود. محمد أمحزون، سجل بتاريخ: 06 ماي 1996م.

327. **الأصول النظرية لفقه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:** إسماعيل حبيبي، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: د. محمد علوي بنصر، كلية الآداب مكناس، سجل بتاريخ: 14 يونيو 1996م.

328. **التأصيل النظري لفقه عبد الله بن مسعود:** السعدية عطاري، دبلوم الدراسات العليا، إشراف:د. عقى النماري، كلية الآداب الدار البيضاء-بنمسيك، سجل بتاريخ: 25 نونبر 1996م.

329. **الإشارة إلى سيرة المصطفى وآثار من بعده من الخلفاء للحافظ مغلطاي بن قليج(ت762هـ)، تقديم وتحقيق:** عبد الحفيظ البخاري، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: د. عصمت دندش، كلية الآداب بالرباط، نوق بتاريخ: 23 يناير 1997م.

330. **تفسير علي بن أبي طالب – جمع ودراسة-:** محمد الشرقي، أطروحة الدكتوراه، إشراف: د. معمر نوري، مؤسسة دار الحديث الحسنية، سجلت بتاريخ: 10 أبريل 1997م.

331. **محمد بن سعد وكتابه الطبقات، دراسة نقدية تحليلية شاملة لعلوم الحديث وللكتاب كله: لأبي** مالك محمد باقشيش، أطروحة الدكتوراه، إشراف: د. بلافريج، كلية الآداب بأكادير، نوقشت بتاريخ: 02 يوليوز 1997م.

332. **النظام الاقتصادي في عهد الخلفاء الراشدين**: الفلوسي أحمد، أطروحة الدكتوراه، إشراف: د. محمد أمحزون، كلية الآداب وجدة، سجلت بتاريخ: 13 مارس 1998م.

333. **النظام الحضاري في عهد الخلفاء الراشدين**: بوشبتى المصطفى، أطروحة الدكتوراه، إشراف: د. محمد أمحزون، كلية الآداب وجدة، سجلت بتاريخ: 13 مارس 1998م.

334. **صحيفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، دراسة حديثية وفقهية**: بوشتى الزفزوفي، أطروحة الدكتوراه، إشراف: د. أحمد البوشيخي، كلية الآداب ظهر المهراز-فاس، سجلت بتاريخ: 05 ماي 1998م.

335. **الرقابة المالية والإدارية في العهد الراشدي**: محمد الأمين ولد الشيخ، أطروحة الدكتوراه، إشراف: د. أحمد البوشيخي، كلية الآداب ظهر المهراز- فاس، سجلت بتاريخ: 15 ماي 1998م.

336. **العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية منهجاً وتطبيقاً**: ناصر عبد الله ناصر طفلان العجمي، أطروحة الدكتوراه، إشراف: د. فاروق حمادة، كلية الآداب الرباط، سجلت بتاريخ: 30 يونيو 1998م.

337. **المصطلحات النقدية لدى الخلفاء الراشدين والأمويين وأمراؤهم، جمع ودراسة**: رشيدة الميلودي، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: د. علي لغزيوي، كلية الآداب ظهر المهراز-فاس، نوقش بتاريخ 17 دجنبر 1999م.

338. **فقه أمهات المؤمنين من خلال مروياتهن: جمع وتوثيق ودراسة**: باخطير عبدالقادر، دكتوراه الدولة، إشراف: د. محمد الروكي، كلية الآداب وجدة، نوقش بتاريخ 05 يوليوز 2000م.

339. **مراعاة المقاصد عند الصحابة، عبد الله بن عباس ﵄ نموذجاً**: جواد بنسبع، أطروحة الدكتوراه، إشراف: د. عبد الحميد العلمي، كلية الآداب ظهر المهراز-فاس، سجلت بتاريخ: 25 يناير 2001م

340. **معجم الصحابة لأبي القاسم البغوي(ت317هـ)، دراسة وتحقيق وفهرسة الأجزاء العشار الأولى منه**: صباح زخنيني، دكتوراه الدولة، إشراف: د. حسين أبو لبابة ود. محمد بالوالي، كلية الآداب وجدة، نوقش بتاريخ 01 فراير 2001م.

341. **الصحابة الرواة من التاريخ الكبير لابن خيثمة (السفر الثاني):دراسة وتحقيق**: الشيخ اسعادة، دكتوراه الدولة، إشراف: د. حسن الأمراني ومحمد منفعة، نوقش بتاريخ 19 يوليوز 2001م.

342. **أنس بن مالك أحد المكثرين من الرواية عن رسول الله ﷺ، حياته، أحاديثه، الرواة عنه**: إدريس بن الضاوية، دكتوراه الدولة، إشراف: د. إبراهيم بن الصديق، كلية الآداب تطوان، نوقش بتاريخ 01 أكتوبر 2001م.

343. **قراءة عبد الله بن مسعود جمعا وتوجيها**: عبد الصمد سايسي حسني، أطروحة الدكتوراه، إشراف: د. عبد العزيز كارتي، كلية الآداب الرباط، سجلت بتاريخ: 03مارس 2002م.

344. **قراءة عبد الله بن عباس جمعاً وتوجيهاً**: علي عبد الله نعمان قائد، أطروحة الدكتوراه، إشراف: د. التهامي الراجي، كلية الآداب الرباط، سجلت بتاريخ: 20يونيو 2002م.

345. **المنهج المقاصدي عن الصحابة والتابعين، دراسة منهجية**: محمد اللياوي، أطروحة دكتوراه، إشراف: د. أحمد الريسوني، كلية الآداب الرباط، نوقشت بتاريخ: 22 يوليوز 2002م.

346. **فقه السيرة النبوية من خلال مرويات أمهات المؤمنين من الكتب التسعة:** خديجة بلى، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: د. مصطفى المسلوتي، كلية الآداب بأكادير، سجل عام 2004م.

347. **مرويات زواج النبي بأمهات المؤمنين رضي الله عنهن، جمعا ودراسة وتخريجاً:** عائشة حميميش، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: د. عبد الكريم عكيوي، كلية الآداب بأكادير، سجل بتاريخ: 2004م.

348. **رياض الأنس لعقلاء الإنس في معرفة أحوال النبي ﷺ وتاريخ الخلفاء بعده: دراسة وتحقيق:** عبد الإله اليوفي، محمد فيصل، طارق بنزرو، محمد هديدي، دبلوم الدراسات العليا، إشراف: د. عبد اللطيف الجيلاني، كلية الآداب بأكادير، سجل بتاريخ: 2006م.

349. **ردّ العقول الطائشة إلى ما اختصّت به خديجة وعائشة لعبد القادر بن محمد الشاذلي(ت935هـ)، دراسة وتحقيق:** عمر مشريق، أطروحة الدكتوراه، إشراف: د.محمد باقشيش، د. عبد اللطيف الجيلاني، سجلت بتاريخ: 2006م.

350. **مراعاة المصلحة في السيرة النبوية والخلافة الراشدة:** عبد الجليل مسكين، أطروحة الدكتوراه، إشراف: د. عبد الواحد الإدريسي، كلية الآداب بأكادير، سجلت عام 2006م.

هذا ما يسر الله جمعه من مؤلفات علماء الغرب الإسلامي في الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وخلصت من خلاله إلى جملة نتائج كانت كالآتي:

➢ بلغ مجموع مصنفات علمائنا بالغرب الإسلامي في الصحابة رضوان الله عليهم ما يقارب 350 عمل علمي حسب ما تيسر لي الوقوف عليه فحسب، وهو رقم يجلي حقيقةً ويلخص كل ما قيل عن اعتناء علماء هذه الربوع العزيزة بصحابة رسول الله ﷺ وآله.

➢ ونخلص من مجموع هذه الأعمال العلمية الزاخرة دون احتساب للأبحاث والأطاريح والرسائل الجامعية إلى أن تراثنا المخطوط في الصحابة يبقى في الصدارة رغم كل الجهود التي بُذِلت ولا زالت تُبذل في سبيل إحيائه، فقد بلغ مجموع الأعمال المخطوطة في الصحابة ما يفوق 130 عمل، ثم يليها ما هو في حكم المفقود بما يقارب 124 عمل، أما المطبوع منها فلم يتعد 43 عملاً.

➢ طغى على الأعمال العلمية في موضوع الصحابة التعدد والتنوع، إذ لا نقف على مصنفات مفردة بتراجمهم وحسب، بل نجد تآليف متعددة منها ما أُفرِد في أنسابهم، أو مناقبهم وفضائلهم، أو في صحابي مفرد ومناقبه، أو في أهل بدر خاصة، أو في الأنصار، أو آل بيت رسول الله ﷺ، أو غير ذلك، بما تحصل في مجموعه تراث مغربي أندلسي شمل جميع المناحي المتعلقة بصحابة رسول الله ﷺ.

➢ يظهر من مجموع هذا التراث المؤلف في الصحابة الذي تيسر لي جمعه، دون اعتبار للمصنفات العارية عن ذكر مصنفيها، أن علماء المغرب الأقصى حازوا قدم السبق بما جادت به قريحتهم في الصحابة رضي الله عنهم؛ إذ فاقت أعمالهم 110 عمل، طرقوا خلاله جميع المناحي التي تُعرّف بأشخاصهم، وأحوالهم، وسيرهم، ومناقبهم،

ووقائعهم، ثم يأتي من بعدهم علماء أرض الفردوس المفقود بلاد الأندلس الحبيبة فقاربَت أعمالهم التِّسعِين، وكانت أعمالهم عمدة لمن صنّف في هذا الباب، ثم يليهم علماء بلاد شنقيط بتآليف جاوزت الأربعين طغى عليها الجانب الأدبي؛ إذ أغلب أعمالهم في الصحابة أشعار وأرجيز، أما علماء إفريقية فقد أسهموا أيضا بجملة من الأعمال قاربت العشرين مصنفاً، ثم يليهم علماء المغرب الأوسط ببضعة عشر عملاً، وقد شكلت هذه الأعمال بمجموعها صرحا علمياً وحضارياً يعبّر عن هوية إسلامية سُنّية محضة.

➢ نخلص كذلك من هذا الثبت البيبليوغرافي أن أول من عُـرِفَ بوضعه تصنيفاً في موضوع الصحابة هو الإمام عبد الملك بن حبيب السلمي الأندلسي(ت238هـ)، من خلال كتابيه: فضائل الصحابة ومصابيح الهدى، فحاز بذلك السبق وعُدّ باكورة بلاد الأندلس في موضوع الصحابة، ويعدّ الإمام أبي محمد عبد الله بن يحيى بن علي الشَّقْرَاطسي التَوْزَرِي(ت466هـ) أول من صنف في الصحابة ببلاد إفريقية من خلال كتابه:«فضائل الصحابة»، أما عن بلاد المغرب الأقصى فأول من عرف بالتصنيف في هذا الفن الإمام أبي عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن التجيبي التميمي الفاسي(ت604هـ) من خلال كتابه اللمعة في ذكر أزواج النبي ﷺ وأولاده السبعة، وبخصوص بلاد المغرب الأوسط، فأول من عُرف بذلك الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد الله الأنصاري التلمساني الشهير بالبُرّي(ت681هـ) بتأليفه لكتابيه:«الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة» و«العُمْدَة في النبي ﷺ والخلفاء بعده»، وأول من عُرف بهذا أيضا في بلاد شنقيط الإمام أحمد بن محمد المجلسي اليعقوبي الشهير بالبدوي(ت1220هـ) من خلال منظومته في تاريخ الخلفاء والملوك.

➢ يمكن أن أجزم بالقول أن الكتب المفردة في الصحابة من قبيل كتاب معجم الصحابة للحسين بن عبد الله القرشي، وكتاب الاستيعاب لابن عبد البر واستدراكاته، وكتاب الجامع للرعيني، وكتاب ميدان السابقين للكلاعي وغيرها، عُدّت أصلا ومرجعاً للمصنفين في الصحابة سواء ببلاد المغرب والأندلس أو ببلاد المشرق، لما حوته هذه الدواوين من أخبار وأحوال ومناحي شاملة لحياة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

هذا ما يسّر الله جمعه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، للشيخ مولاي عبدالرحمن بن زيدان(ت1365هـ)، المطبعة الوطنية لعباس التناني، الطبعة الأولى: 1350هـ/ 1932م.
- الإحاطة في أخبار غرناطة: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني المعروف بذي الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب(ت776هـ)، تحقيق : د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى عام 1424هـ/2003م.
- الإحكام في أصول الأحكام، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي(ت456هـ)، دار الحديث–القاهرة، الطبعة الأولى: 1404هـ.
- إزالة الدهش والوله عن المتحير في صحة حديث«ماء زمزم لما شرب له»، لأبي عبدالله محمد بن إدريس القادري الفاسي(ت1350هـ)، طبعة مصر عام: 1330هـ.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي(ت463هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل-بيروت، الطبعة الأولى: 1412هـ.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد ابن الأثير الجزري(ت630هـ)، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الأولى: 1417هـ/1996م.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي(ت852هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل-بيروت، الطبعة الأولى: 1412هـ/1992م.
- الأعلام: خير الدين الزركلي الدمشقي(ت1396هـ)، الطبعة الرابعة عشرة 1999م، نشر دار العلم للملايين-ببيروت.

➢ الإعلام بمن حلَّ مراكش وأغمات من الأعلام، للعباس بن إبراهيم السَّملالي(ت1378هـ)، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية 1413هـ/1993م.

➢ أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، د. يحي بُوعَزيز، دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة الأولى: 1995م.

➢ أعلام مالقة، لأبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن حمديس، تقديم وتخريج وتعليق: عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 1420هـ/1999م.

➢ الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، لأبي الربيع سليمان ابن موسى الكلاعي الأندلسي(ت634هـ)، تحقيق : د . محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب-بيروت، الطبعة الأولى: 1417هـ

➢ الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج، لمحمد بن الطيب القادري(ت1187هـ)، دراسة وتحقيق: مارية دادي، تقديم د. محمد بنشريفة، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة شمس- وجدة، دون سنة الطبع ولا تاريخ.

➢ التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، لمحمد بن الطيب القادري(ت1187هـ)، دراسة وتحقيق: هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت، الطبعة الأولى: 1401هـ/ 1981م.

➢ إنباه الرواة على أنباه النحاة، للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي(ت624هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي-القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية-بيروت، الطبعة الأولى: 1406هـ/1986م.

➢ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل باشا بن محمد أمين(ت1339هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة: 1413هـ/1992م.

➢ برنامج التجيبي: القاسم بن يوسف التجيبي السبتي(ت730هـ)، تحقيق وإعداد: عبدالحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب-ليبيا، تونس طبعة 1981م.

- برنامج شيوخ الرعيني، لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الإشبيلي(ت666هـ)، إبراهيم شبوح، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق(1381هـ/1962م).
- برنامج الوادي آشي، محمد بن جابر الوادي آشي التونسي(ت749هـ)، تحقيق: محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي-بيروت، 1400هـ/1980م.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة الضبي(ت599هـ)، دار الكاتب العربي: 1967م.
- بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، للحافظ أبي الحسن علي بن محمد بن عبدالملك ابن القطان الفاسي(ت628هـ)، تحقيق : د. الحسين آيت سعيد، دار طيبة-الرياض، الطبعة الأولى: 1418هـ/1997م.
- تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، لخالد بن عيسى البلوي (توفي نحو 765هـ)، تحقيق الحسن السائح، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي-المغرب. د. ت.
- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة د. السيد يعقوب بكر، دار المعارف-مصر، طبعة: 1977م.
- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، للحافظ أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي(ت403هـ)، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسني، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى: 1408هـ/ 1988م 2ج.
- التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين (من 1900 إلى 1972)، للعلامة عبدالله ابن العباس الجراري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1406هـ/1985م.
- تذكرة الحفاظ، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي(ت748هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت ، الطبعة الأولى.
- تراث المغاربة في الحديث النبوي وعلومه، لمحمد بن عبد الله التليدي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى: 1416هـ/1995م.

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض بن موسى ابن عياض، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، تحقيق مجموعة من الباحثين الطبعة الثانية: 1403هـ/1983م، في 8 أجزاء.
- تشنيف الأسماع في أسماء الجماع وما يلائمه من مستلذ السماع، تأليف أبو العباس أحمد بن المامون العلوي البلغيتي(1348هـ)، الناشر المطبعة الجديدة، الطبعة سنة 1353هـ.
- التكملة لكتاب الصلة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار(ت658هـ)، تحقيق د. عبد السلام الهراس، دار المعرفة- الدار البيضاء.
- جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري(ت463هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، طبعة 1398هـ
- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، للحميدي(ت488)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة، ودار الكتاب اللبناني بيروت، الطبعة الثالثة: 1410هـ، 2 مج.
- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ابن محمد السخاوي(ت902هـ)، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم-بيروت، الطبعة الأولى: 1419هـ/1999م.
- درة الحجال في أسماء الرجال، لأبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي(1020هـ)، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، المكتبة العتيقية6تونس، ومكتبة دار التراث–القاهرة.
- دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لعبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري(ت1400هـ)، ضبط واستدراك: مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1418هـ/ 1997م.

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي(ت799هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني(ت542هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة الأولى 2000هـ (4م).
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبدالملك الأنصاري الأوسي المراكشي(ت703هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، ود. محمد ابن شريفة، دار الثقافة –بيروت.
- رحلة العبدري، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود العبدري(ت700هـ)، تحقيق وتقديم: د. علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1419هـ/1999م.
- الروض الأنف، لأبي القاسم السهيلي(ت581هـ)، تقديم طه عبد الرؤوف، دار الفكر.
- السلفية وأعلامها في موريتانيا، للطيب بن عمر بن الحسين، دار ابن حزم-بيروت، الطبعة الأولى: 1416هـ
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس لأبي عبدالله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني(ت1345هـ)، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني، حمزة ابن محمد الطيب الكتاني، محمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، الطبعة الأولى 1425هـ/2004م.
- سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت748هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة التاسعة: 1413هـ.
- السيرة النبوية في الغرب الإسلامي وأثرها العلمي والاجتماعي في القرنين الخامس والسادس الهجريين، لعبد الرحمن بوعلي، بحث نيل دبلوم الدراسات العليا، مؤسسة دار الحديث الحسنية بالرباط.

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن عمر بن قاسم مخلوف(ت1360هـ)، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى 1424هـ/2002م.
- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني(ت1122هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى: 1411هـ.
- صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، لمحمد بن الحاج بن محمد ابن عبد الله الصغير الإفراني(ت1138هـ)، تقديم وتحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي الدار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى:(1425هـ - 2004م).
- عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي، للإمام أبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي الإشبيلي المعافري(ت543هـ)، دار الكتاب العربي، دت.
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، لأبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني(ت704هـ)، تحقيق: عادل نويهض، لجنة التأليف والترجمة والنشر-بيروت، الطبعة الأولى: 1969م.
- الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض(ت544هـ)، تحقيق: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة الأولى: 1402هـ/1982م.
- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط: الحديث النبوي الشريف وعلومه ورجاله، إعداد المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)-عمان، 3 مجلدات، 1991م.
- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط: السيرة والمدائح النبوية، إعداد المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)، مجلدين.
- فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، لأبي بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي الإشبيلي(ت575هـ)، تحقيق الشيخ فرنشكة قداره زيدين، وتلميذه: خليان ربابة طرغوه، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة: 1417هـ/1997م.

- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي بن عبدالكبير الكتاني(ت1382هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس دار النشر: دار العربي الإسلامي-بيروت، الطبعة الثانية: 1402 هـ1982م.
- فهرس مخطوطات خزانة ابن يوسف بمراكش، إعداد الصديق بن العربي، دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة الأولى 1994م.
- فهرس مخطوطات خزانة القرويين، إعداد محمد العابد الفاسي، دار الكتاب-الدار البيضاء، الطبعة الأولى: 1399هـ/1979م.
- الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي، تأليف: عبد الرحمن بن العربي الحريشي، مطبعة الدار البيضاء، 1996م.
- كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال(ت578هـ)، عني بنشره، وصححه، وراجع أصله السيد عزت العطار الحسني، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية 1414هـ/1994م.
- كتاب صلة الصلة، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي(ت708هـ)، تحقيق عبد السلام الهراس، والشيخ سعيد أعراب، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، 1413هـ/ 1993م.
- كتاب العُمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، لحسن حسني عبد الوهاب، مراجعة وإكمال: محمد العروسي المطوي، بشير البكوش، طبع بالاشتراك: بيت الحكمة للترجمة والتحقيق والدراسات-تونس، دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة الأولى: 1990م.
- كشاف الكتب المخطوطة بالخزانة الحسنية، إنجاز عمر عمور، تقديم: د. أحمد شوقي بنبين، المطبعة والوراقة الوطنية-مراكش، الطبعة الأولى: 1428هـ/2007م.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي المعروف بحاجي خليفة(ت1067هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، طبعة 1413هـ/1992م.
- لسان الميزان، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي(ت852هـ)، تحقيق: دائرة المعرف النظامية-الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت، الطبعة الثالثة: 1406هـ/1986م.
- المسالك في شرح موطأ مالك، للقاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري(ت543هـ)، قرأه وعلق عليه: محمد بن الحسين السليماني، وعائشة بنت الحسين السليماني، دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة الأولى: 1428هـ/2007م.
- المصنفات المغربية في السيرة النبوية ومصنفوها، الدكتور محمد يسف، مطبعة المعارف الجديدة-الرباط، الطبع الأولى: 1412هـ.
- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ(ت605هـ)، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى ابن ناجي التنوخي(ت839هـ)، تحقيق: إبراهيم شبّوح، ومحمد الأحمدي أبو النور، ومحمد ماضور، ومحمد المجدوب، وعبد العزيز المجدوب المملكة العتيقة تونس، الطبعة الثانية: 1413هـ/1993م.
- معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم: علي الرضا قره بلوط، وأحمد طوران قره بلوط، دار العقبى قيصري-تركيا.
- المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبو علي الصدفيا، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن أبي بكر القضاعي ابن الأبار(ت658هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى: 1420هـ/2000م.

➢ معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب، عبد الحفيظ بن محمد الطاهر ابن عبد الكبير الفاسي(ت1383ه)، علق عليه عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية- بيروت،الطبعة الأولى: 1424ه/2003م.

➢ معجم طبقات المؤلفين على عهد دولة العلويين: لعبد الرحمن ابن زيدان(ت1365ه)، دراسة ببليومترية وتحقيق د. الحسن الوزاني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المملكة المغربية، الطبعة الأولى: 1430ه/2009م.

➢ المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي: لأبي عبد الله محمد بن عبدالله ابن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار(ت658ه)، دار صادر-بيروت، طبعة 1885م.

➢ معجم المطبوعات المغربية، إدريس بن الماحي الإدريسي القيطوني الحسني، تقديم عبدالله كنون، طبعة سلا 1988م.

➢ منطق الأواني بفيض تراجم عيون أعيان آل الكتاني، لمحمد حمزة بن علي بن المنتصر الكتاني، طبعة: دار الكتب العلمية.

➢ منهاج السنة النبوية، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني(ت728ه)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى: 1406ه.

➢ النبوغ المغربي في الأدب العربي، لعبد الله كنون، الطبعة الثانية، دون ذكر الناشر، 1مج، الدار البيضاء.

➢ نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني لمحمد بن الطيب القادري(ت1187ه).تحقيق د محمد حجي وأحمد توفيق، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، سنة الطبع: الجزء الأول 1977م، والجزء الثاني 1982م، والجزء الثالث والرابع 1986م.

➢ نزهة المجالس ومنتخب النفائس، لعبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري(ت894ه)، تحقيق : عبد الرحيم مارد يني، دار المحبة، دار آية: بيروت، دمشق، طبعة: 2001م/2002م.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن المقّري التلمساني(ت1041هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر-بيروت، الطبعة الثانية: 2004م.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي(ت1339هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة: 1413هـ/1992م.
- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي(ت764هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث-بيروت، طبعة: 1420هـ/2000م.
- معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي، لسيد محمد بن محمد عبد الله ولد بزيد، منشورات سعيدان بسوسة-تونس، 1996م.

المحور الثامن

الصحابة في التراث المغربي

الصحابة في التراث العقدي المغربي
مقدمات المراشد لابن خمير نموذجا

د. جمال البختي

ملخص البحث

حاول هذا العمل أن يقوم بقراءة في مبحث «الصحابة» و«الإمـامة» مـن خـلال كتـاب «مقدمـات المراشد» لابن خمير الـسبتي الأشـعري المغـربي، وعالـج الموضـوع على أسـاس مباحث أربعة:

☒ المبحث الأول تعلق بـمبررات إدراج البحث في الصحابة ضمن كتب العقائد.

☒ المبحث الثاني عُنوِن بـ «مكانة الصحابة ومرتبتهم عند ابن خمير ومدرسته الأشعري»، تعرضنا فيه لموضوع تعريف «الصحابي» الذي قفز عليه ابن خمير، كمـا قمنـا بـإبراز موقف ابن خمير من عدالة الصحابة وأفضليتهم.

☒ وفي المبحث الثالث تـمت معالجة قضيتين: الأولى تهم البحث في طبيعة الإمـامة بين «الفقهي» و«الأصولي» عند الأشاعرة، الثـانـة تـهم تصريح ابن خميـر بـكون إمـامة أبي بكـر كانت بـ «الوحي».

☒ وفي المبحث الأخير وقفنا مع الخلفيات المحلية المغربية في قراءة مواقف ابن خمير من الصحابة والإمـامة...

الباحث في سطور

الدكتور جمـال علال البختي Allalelbakhtijamal62@hotmail.com

- من مواليد عام 1962م بتطوان.
- أستاذ بـمركز تكوين أساتذة التعليم الابتدائي بتطوان.
- دكتوراه الدولة من كلية الآداب بالرباط سنة 2002م.
- شارك في العديد من الملتقيات والندوات العلمية.

له بحوث وأعمـال علمية منشورة، منها:

✍ كتاب الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع الهجـري ـ دراسة تأريخية وقراءة تحليلية في مواقف ابن خمير الـسبتي مـن التـصوف والمتصوفة.

✍ كتاب مقدمـات المراشد إلى علم العقائد لابن خمير السبتي ـ تحقيق وتقديم.

✍ كتاب أبو عمرو السلالجي ومذهبيته الأشعرية ـ دراسة لجانـب مـن الفكـر الكلامي بالمغرب من خلال «البرهانية» وشروحها.

✍ كتاب «العقيدة البرهانية» الأشعرية لأبي عمرو الـسلالجي الفـاسي ـ تقـديم وتحقيق.

مُقَدِّمَة

إنّ تبين مرتبة الصحابة ومعرفة ما لهم من رفيع القدر وسامي المنزلة لتعد من أجل المسؤوليات الدينية، لأن لهم حقوقا ترتبط بعقيدة المرء وصلاح دينه. لذلك ولأسباب متعددة أخرى كان حب الصحابة وتقدير جلائل أعمالهم من أصول معتقَد أهل السنة والجماعة.

قال إمام الحرمين أبو المعالي الجويني(ت478هـ) في «إرشاده»[(1)]، (فصل: الطعن في الصحابة...): «وقد كثرت المطاعن على أئمة الصحابة وعظم افتراء الرافضة وتخرصهم. والذي يجب على المعتقد أن يلتزمه، أن يعلم أن جلة الصحابة كانوا من الرسول ﷺ بالمحل المغبوط، والمكان المحوط، وما منهم إلا وهو منه ملحوظ محفوظ. وقد شهدت نصوص الكتاب على عدالتهم والرضا عن جملتهم بالبيعة بيعة الرضوان، نص القرآن على حسن الثناء على المهاجرين والأنصار. فحقيق على المتدين أن يستصحب لهم ما كانوا عليه في دهر الرسول ﷺ...» .

وقال ابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ) في «الرسالة»[(2)]: (باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات): «... وأن خير القرون القرنُ الذين رأوا رسول الله ﷺ وآمنوا به.......ولا يُذكَرَ أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا بأحسن الذكر، والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن تُلتمس لهم المخارج، ويظن بهم أحسن المذاهب..... وترك كل ما أحدثه المحدِثُونَ... ».

---

(1) الإرشاد: (364 ـ 365).

(2) انظر الرسالة شرح البغدادي: (124) وما بعدها.

ولأجل ما كان لمنزلة الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - من الفضل والعُلوّ والرِّفعة في الدنيا والآخرة، كان لِزاما على المسلم أن يُعمِّق محبتهم في نفسه، ويسعى إلى إشاعة هذه المحبة بين المسلمين، وأن يحذَر مما وقع فيه البعضُ ممن ولغ في طهارة الصحابة الذين كانوا النقلة والحماة لهذا الدين.

فإذا كان عِرضُ المسلم مَصونًا يمنع التعرض له والنوال منه، فكيف بهؤلاء الرجال المطهرين الذين زكّاهم ربُّ العزة، وأثنى عليهم سيد الخلق، وأوجبت العُقول عدالتَهم ونزاهتَهم وطهارة بواطنهم وظواهرهم؟

ولما كان البحث في موضوع الصحابة من حيث مركزيتهم في عملية نقل الدين والمنافحة عن وجوده واستمراريته بحثا من صميم العقيدة ومن دعائمها الكبرى، فقد صار من الوجيه مراجعة ما كتب عن الصحابة في الكتب العقدية والكلامية المتخصصة. إلا أن القراءة التي سنقدم في هذه العمل، ستكون دراسة نقدية وتحليلية للمواقف والآراء، وبالتالي لن تكون قراءة وصفية وعظية تعيد إنتاج المكتوب ووصفه.

وبما أن جغرافية المحاور العلمية للملتقى العلمي اختير لها الاشتغال على منطقة المغرب الإسلامي، فقد توجب أن تكون المؤلفات المغربية العقدية مجال العمل في هذا الخصوص.

وقد اخترنا الاشتغال على كتاب «**مقدمات المراشد في علم العقائد**» للمؤلف والمتكلم الضليع أبي الحسن بن خمير السبتي، الذي يعد عطاؤه في مجال الدرس الكلامي الأشعري من أفضل ما أنتجته العقلية الإبداعية المغربية.

وهكذا ستنصب هذه المداخلة على معالجة النقاط التالية:

1 - مبررات إدراج البحث في الصحابة ضمن كتب العقائد.

2 ـ مكانة «الصحابة» ومرتبتهم عند ابن خمير السبتي وغيره من الأشاعرة.

3 ـ عن الإمـامة وخلافة الصحابة الراشدين.

4 ـ خلفيات محلية في مواقف ابن خـمير من مبحث الإمـامة والصحابة.

1) مبررات إدراج البحث في الصحابة ضمن كتب العقائد:

رغم اختلاف المسلمين في الاجتهادات الفقهيـة وفي آليـات الحجـاج ومـستنداته في دفاعهم عن العقيدة فإنه لم تقم بينهم الحواجز، وتتفرق صفوفهم، وتتـصدع وحـدتهم. ولكن الصراعات السياسية والتنافس على السلطة وعلى الدولـة شـكل بـؤرة الخـلاف والصراع العميقين بينهم أدى إلى انقسامهم وتشتتهم وتقاتلهم إلى درجة استعصى معها إعادة الالتحام والالتئام بينهم.

فالتاريخ الإسلامي يشهد بأن المسلمين لم يشهروا سيوفهم في وجوه الـبعض مـنهم، ولم يسيلوا دمـاء بعـضهم الـبعض، ولم يزهقـوا آلاف الأرواح بـسبب قـضايا ديـنهم ـ فقهية أو عقدية ـ، وإنمـا كان ذلك وحصل بسبب الخلافات السياسية التي استعـصى حلها وصعب التوافق حولها، لاسيمـا مـا يتعلـق بموضـوع "**الإمـامة**" التـي يؤكـد الشهرستاني أنه «مـا سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل مـا سل عـلى الإمــامة في كل زمـان»[1].

كمـا أن التاريخ الإسلامي شاهد على «أن الخلافات السياسية التي استعـصت عـلى التجاوز ـ حتى مع مرور الوقت وتبدل الأجيال ـ كانت تلك التـي اصـطبغ أصـحابها وأطراف النزاع فيها بصبغة الدين، فانتقلـت مـن نطـاق «**المـرحلي والمؤقـت**» إلى إطـار

---

(1) الملل والنحل: (1/ 32).

«**الأبدي والدائم**»، وغدت «**ثوابت**» بعدما كانت من «**المتغيرات**»!، ومن هذا النوع، بل وفي مقدمته كانت «الإمامة»»[1].

ومع أن هناك تواصلا في تاريخ «الإمامة» الإسلامي، إلا أنه ينبغي التمييز بين لحظتين في تاريخ هذه «الإمامة»: لحظة أولى؛ متعلقة بما بعد وفاة النبي محمد ﷺ، أما اللحظة الثانية؛ فهي التي تلت وفاة علي رضي الله عنه.

وتمييزنا هذا يستند إلى أن الخلاف حول موضوع «خليفة المسلمين» لم يتأسس منذ البدء على أرضية «**دينية**»، وإنما كان منطلقه «**سياسيا**» بعد وفاته عليه الصلاة والسلام. فلا نجد أحدا من الفرقاء الذين اختلفوا على خلافة أبي بكر، ولا الذين اصطرعوا على خلافة عثمان -رضي الله عنهما- يتهم غيره من المخالفين بالخروج عن الدين والمروق عن الإسلام، وأن الدين الإسلامي قد أصبح حكرا على المدافعين عن موقفه وفرقته. والأكيد أن صراع الفرق والأفراد كان بعد لحظة وفاة الرسول ﷺ صراعا واختلافا «سياسيا» واجتماعيا أسهمت في تغذيته دواع قبلية وإقليمية، ولكن الخلاف

---

(1) محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي: (206). ويشهد لهذا أيضا تاريخ الفرق الكلامية في الإسلام، ويتأكد بمجرد البحث في أسامي جل الفرق ذلك البعد السياسي الحاضر في أصل تكوينها ونشأتها، فاسم «الشيعة» مرتبط بآل البيت الذين تعلقوا بهم وذادوا عنهم وناصروهم ضد الإقصاء عن الحكم. وكذلك اسم «الخوارج» فهو راجع إلى خروج تلك الجماعة على عليّ إبان أزمة التحكيم لقبوله تحكيم الناس في القرآن. و«المعتزلة» ترجع تسميتهم -في بعض الآراء- إلى نوع من «الاعتزال السياسي» المبكر، آثر فيه جماعة من المسلمين السلامة، ولزموا ديارهم معتزلين الناس أثناء الأزمة السياسية بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما-، وفي بعض الآراء هو متعلق بالفريق الذي اعتزل الحسن البصري في خصوص الخلاف حول «**مرتكب الكبيرة**»، هذا الموضوع الذي اشتعل الخلاف فيه بعد وقعة الجمل -التي دارت أحداثها بين بعض الصحابة فيهم عائشة وطلحة والزبير وبين علي رضي الله عنهم-. ولنفس هذه الأسباب نشأت فرقة «المرجئة» التي أخرت وأرجأت الحكم على «**مرتكب الكبيرة**» إلى يوم الدين. وبذلك فإن تأسيس ونشأة وتسمية جل الفرق الكلامية الأولى يرجع إلى الاختلافات والصراعات السياسية الأولى.

ظل بين إخوة في الدين والعقيدة، وبين أهل قبلة واحدة، لا علاقة له بالدين والدخول فيه أو الخروج منه.

ولكن الخلاف بين علي ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ أضفى على الصراعات الإسلامية الإسلامية طابعا جديدا وخاصا، ودفع الفرقاء إلى رفع خلافاتهم وصبغها بالصبغة «الدينية». وكان الخوارج أول من سلك هذا المسلك بادعائهم أنهم هم المؤمنون حقا، وأن ما عداهم مارقون عن الدين... مما دفع المخالفين إلى سلوك نفس سبيلهم، فأصبحت جل الفرق تقريبا «تضفي على مبادئها السياسية وآرائها الفكرية والاجتماعية صبغة من الدين وعقائده، انسياقا مع تيار سلطان العقيدة الدينية الجارفة حينا، وتملقا للعامة واستجلابا لتأييدها في أغلب الأحيان... فانطبعت خلافات الساحة الإسلامية بالطابع الديني عندما انتقل الجميع بما هو «**سياسي**» إلى ساحة ما هو «**ديني**»..!..!.. »[1].

حتى إذا جاءت اللحظة الثانية، لحظة ما بعد وفاة علي ـ كرم الله وجهه ـ تطور الصراع حول «الإمامة» ليصبح خلافا حول «**قاعدة دينية**» بالدرجة الأولى.

كان الشيعة عنصرا أساسيا في الصراع على «الإمامة»، شايعوا عليا وآل بيت الرسول، وذاقوا من المحن والتنكيل والتقتيل ما يصعب تصوره، وامتحنوا إلى درجة المأساة، وذلك على إثر انتفاضاتهم ضد الأمويين والعباسيين. ولم يتمكن هذا الفريق الإسلامي من تحقيق نجاحات سياسية على مستوى الوصول إلى السلطة، بل جرى عليه مزيد اضطهاد وكبير تنكيل، فانتهى به الأمر إلى الانزواء، وصار حب آل البيت رباطا عاطفيا ألف بين قلوب أتباعه ورص بنيانهم. «ثم تطلعوا إلى ربهم آملين مؤملين

(1) تيارات الفكر الإسلامي: (ص9).

في الخلاص، فتمنوا وحلموا بسلطة إلهية عادلة تتمثل في «**إمام معصوم**» عصمة الأنبياء، عالم علم الأنبياء، منزه عن نواقص البشر، لم يشترك البشر العصاة غير المعصومين في اختياره والبيعة له، وإنما السماء هي التي اختارته، وعينته، والله سبحانه هو الذي صنعه على عينه كي يملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت من الجور والفساد»[1].

عمد الشيعة إذن إلى التعالي بالإمامة من كونها «**مسألة سياسية**» ـ كما كان الأمر عليه في تعامل المسلمين معها بعد اللحظة الأولى ـ، إلى كونها أحد «**أصول الدين**»، وحكموا أن الإمامة «ليست.. قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله»[2].

وكان قولهم بـ «**النص والوصية**» على شخص الإمام من أخطر ما ترتب على أن الإمامة شأن من شؤون السماء، لا دخل للبشر فيه. وبات طريق «نصب الإمام» هو «النص والتعيين الذي حدث وتم من الله ورسوله على شخص الإمام أو على صفاته، نصا جليا أو خفيا....لأن هذا الواجب ليس واجبا على الجماعة المسلمة، وإنما هو واجب على الله، فليس للبشر سبيل واختصاص في هذا المقام»[3].

وهكذا ووجه إقصاء «الفرد» (المتمثل في **علي بن أبي طالب**) عن الإمامة في نظر الشيعة، بإقصاء «المجموع» (الأمة الإسلامية كاملة) عن مسألة الإمامة، لأن الأمة ليست موضع ثقة، وليست مؤهلة لحمل أمانة اختيار الإمام[4]. فالأصوب في نظرهم

---

(1) تيارات الفكر الإسلامي: (207).

(2) الملل والنحل (1/ 146).

(3) المعتزلة وأصول الحكم (ص 34).

(4) انظر تأويل الشيعة لقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ...﴾ (الأحزاب: 72) مثلا.

أن توضع الأمـانة في يد الخالق تعالى، لأنه ورسوله هما موضعا الثقة لا غيرهمـا مـن المخلوقات...!!

صارت الإمـامة عندهم ـ إذن ـ أصلا مـن أصـول العقيـدة، بـل هـي أهـم هـذه الأصول «فالإيمـان [عندهم] لا يتم إلا بالاعتقاد بالإمـامة»[1]، وتكـون مـع الـصلاة والزكاة والصوم والحج الفرائض الخمـس[2]، كمـا تُكوِن مـع المعرفـة لـصفات الله، والتصديق بالعدل والحكمة، والتصديق بـالنبوة، والتـصديق بالمعـاد قواعـد الإيمـان والإسلام الخمسة[3].

إن البحث الكلامي في موضوع «**الصحابة**» ناشئ ـ تاريخيا ونظريا ـ عن تبلور نظرية الشيعة في «الإمـامة». وإن تبلور هذا البحث حصل بعد اللحظة الثانيـة المرتبطـة بمـا بعد وفاة علي رضي الله عنه. فقـد تـمحور النسـق الشيعـي ـ سياسيا وعقائديا ـ حول الإمـامة التي صارت ـ بتأثير القمع السياسي ـ من «مـسألة سياسـية» إلى «عقيـدة دينيـة». وقـد ترتب عن ذلك أن تضخم «دور الإمـام» ليستوعب «دور النبي» بل و «الإله» ـ تعـالى ـ عند بعض غلاتهم، وارتبط بالمتنازعين على الخلافة وأنصارهم من «**الـصحابة**». ولهـذا كان لزامـا التنظير لاعتقاد في **الصحابة** ـ مواز لاعتقادات الشيعة ـ في الصف المعارض لهم من السنة وغيرهم، بغية دحض مواقفهم والـرد عـلى طعـونهم في جمـاعة المـؤمنين الأولى ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ.

وكان لزامـا عـلى المدرسـة الكلاميـة الـسنية ـ في هـذا الـصدد ـ أن تثير موضـوع «**الـصحابة**» في كتبهـا «العقديـة»، حتـى وإن كـان الموضـوع في نظـر وفي التـصريحات

---

(1) عقائد الإمـامية: (ص65).

(2) الكافي (1/ 290).

(3) التيارات (ص207).

الظاهرية لأهم علماء السنة ذا طبيعة فقهية!!؟ ولكن التسلح بإطار عقائدي في الموضوع - يعضد الرؤية السياسية - أضحى ضروريا بعد أن غدا التشيع عنوانا على حركة اجتماعية بل وقومية تشكل خطرا داهما على الدولة أو الدول السنية. وإذا كان الاتجاه الشيعي قد محور إطاره العقدي حول «**الإمام**» وأصدر مواقف قادحة في الكثير من **الصحابة** من أجل دعم الإطار النظري لرؤيته في الإمامة، فإن نسقا سنيا مضادا كان لا بد أن يتأسس من أجل عزل الإمامة - وما ارتبط بها من موضوع الصحابة - عن المجال الديني العقدي المحض، ورده إلى طبيعته الاجتهادية الفقهية البشرية، ولكن كان لا بد أن يقع النقاش أولا في المجال الذي نقله إليه الشيعة وهو مجال «العقيدة» و«الكلام».

وإذا كان هذا الكلام صورة مكبرة عن مبررات جر موضوع «**الصحابة**» إلى البحث الكلامي عند المدارس الكلامية، فكيف كان تناول المدرسة الأشعرية للموضوع - علما بأن تأسس المدرسة الأشعرية جاء متأخرا عن فترة الصحابة والفتنة الكبرى بزمن غير قصير -؟ ثم ما هي مكانة الصحابة الدينية في نظر هذه المدرسة، لا سيما في الفكر الكلامي المغربي مع ابن خمير السبتي؟ وكيف كان الدفاع عن هذه الفئة الرفيعة من المؤمنين؟ وما هي الخلفيات والخصوصيات الفكرية المحلية لدى ابن خمير الأشعري في تناول موضوع سياسي «فقهي/ عقدي» كموضوع «**الصحابة**» على وجه الخصوص؟

لابد - قبل الانتقال إلى الإجابة عن هذه الأسئلة - من الوقوف هنا عند ثلاثة أمور تستلزمهما طبيعة البحث: الأمر الأول له علاقة بسبب التركيز على الفكر الأشعري في هذا العمل وفي غيره من الأعمال العقدية الصادرة في المغرب حاليا، أما الأمر الثاني فيتعلق بشخصية ابن خمير ودواعي جعلها النموذج في هذه الدراسة. أما الأمر الثالث فله ارتباط بالجانب الجغرافي في البحث متعلق بمدينة سبتة خاصة.

1-1 ـ يؤكد باحث مغربي متخصص أن الخطاب الأشعري بالتحديد تتأكد قيمته بالنظر إلى أنه «من بين سائر «الفرق» والاتجاهات الكلامية العديدة والتي تعجّ بها كتب الفرق و«الملل والنحل»، وإن التراجع والأفول قد شمل كل تلك الاتجاهات الكلامية، سواء على مستوى الإنتاج النظري أو الممارسة العملية والأخلاقية والسياسية، باستثناء اتجاهات ثلاثة لا تزال فيما يبدو ـ ولأسباب تاريخية معروفة ـ تتمتع باستمرارية الوجود، وتحظى بقدر قليل أو كثير من الأتباع والمتعاطفين، وتتمتع بالتالي بنوع من النفوذ. وتتمثل هذه الاتجاهات الكلامية القديمة ـ المعاصرة معا في: «الفكر الكلامي الأشعري، والأخلاقي الصوفي، وفي الاتجاهات الشيعية...»[(1)].

ولذلك فإن البحث في الفكر الأشعري المغربي يكتسي أهمية بالغة؛ لأنه ليس بحثا تراثيا فحسب، ولكنه بحث يتداخل فيه الماضي بالحاضر، وترتبط فيه القناعات الإيمانية لكثير من مسلمي اليوم بقناعات الكثير من مسلمي الأمس؛ وذلك لأن المذهب الأشعري شكل خلال قرون عديدة المستند الإيماني لفئة عريضة من شعوب البلاد الإسلامية، ولا يزال هذا المذهب إلى الآن يعتبر المذهب العقدي **«الرسمي»** لبعض الدول الإسلامية التي من بينها المغرب.

ومن ثمة فإن البحث في الفكر الأشعري العربي ـ والمغربي خصوصا ـ ليس بحثا من أجل الوصف والترف الفكري، وليست دراسة العقيدة الأشعرية الآن قراءة لماض ولى وأدبر، والاهتمام المغربي بهذا الفكر في الوقت الراهن ليس وصفا لتشكل تجربة في الماضي الذي ولى وانصرم، ولكنهما قبل كل شيء دراسة لواقع ثقافي معيش، وبحث وتنقيب في جانب أثر وما يزال يمارس تأثيره في قناعات أمتنا الدينية ومبادئها

(1) عبد المجيد الصغير: دراسة بمجلة الاجتهاد، بعنوان: الخطاب الأشعري: (ص 244).

العقدية[1]، وهو تحليل لواقع عربي إسلامي راهن لا يزال يتنفس من مناخ فكري ساهم هذا الاتجاه بالذات في تشكيله وبلورته. ولا نبالغ إذا قلنا إن نظام التفكير الأشعري المهيمن على الثقافة العربية الإسلامية في جانبها التراثي والحداثي يكاد يحدد ـ على نحو تام ـ الخطاب العربي الحديث.

1 ـ 2 ـ أما ابن خمير السبتي الأشعري المغربي (ت614هـ/ 1217م) ـ الذي اخترنا كتابه «**مقدمات المراشد في علم العقائد**» نموذجا لهذه الدراسة وأرضية للبحث في موضوع الصحابة من الناحية العقدية في المغرب ـ، فقد عاش في فترة شكلت قمة في مراحل تطور المذهب الأشعري المغربي، فترة تميزت بظهور فكر أشعري طبعه التوسع في عرض الأفكار وتحليلها ومناقشتها، واختصت برواج التأليف المهتم بالشروح لأمهات الكتب الأشعرية كشرح ابن دهاق وشرح الشريف الإدريسي لإرشاد الجويني، وشرح الخفاف وشرح المقترح لبرهانية السلاجي، وشرح السكوني لمرشدة ابن تومرت... بيد أن أبا الحسن بن خمير تميز عن الباحثين المغاربة في بحوثه الأشعرية بأسلوب الكتابة والتحرير والمناقشة، كما استقل ببناء أدلته، وفي اختيار الكثير من الآراء والمواقف داخل المدرسة السنية، وتفرد بمنهجيته التأليفية، محققا نسبة عالية من الدقة والتنسيق والإبداع في مباحثه العقدية[2]. ولهذا كان اختيار الرجل وكتابه مجالا لدراسة موضوع الصحابة من بين كتب العقيدة المغربية أمرا له الكثير من المبررات والدواعي...

---

(1) انظر مقدمتنا لتحقيق كتاب: مقدمات المراشد في علم العقائد: (ص 6 وما بعدها).

(2) راجع أطروحتنا المعنونة بـ: «الفكر العقدي في المغرب بين السلفية والأشعرية»، توجد مرقونة بكلية الآداب بالرباط.

1 ـ 3 ـ ولد ابن خمير بمدينة سبتة، وعاش بين سنوات (550 ـ 614هـ). وكان الموحدون قد حاولوا إخضاع سبتة ـ بواسطة عبد المؤمن ـ منذ سنة 536هـ/ 1141م ولكنهم صدوا عنها فرجعوا إلى غمارة[1]. كان القاضي عياض زعيم بلدته سبتة في ذلك التاريخ، ولذلك ذكر ابن خلدون أنه «تولى كبر دفاعه عنها.. وكان رئيسها يومئذ بدينه وأبوته ومنصبه، ولذلك سخطته الدولة آخر الأيام حتى مات مغربا..»[2]. وقد ارتبط عياض وأهل سبتة بالمرابطين ارتباطا قويا، وكان المحدث السبتي مناصرا للملثمين بحكم العلاقة المتينة التي جمعت الفقهاء المالكية ـ عموما ـ بالمرابطين بالإضافة إلى علاقته الخاصة بهم، فلذلك اعتقد بأن الموحدين لاحَقّ لهم في تولي الأمر وفي الحكم واعتبرهم مجرد متغلبين، فوقفت سبتة كلها في وجه الموحدين «المتسلطين»، وحالت دون سيطرتهم المبكرة على المدينة.

ومع تقوي الموحدين واشتداد عُودهم، وبعد فتح تلمسان وفاس اضطر أهل سبتة إلى إعلان التوبة ومبايعة عبد المؤمن، فبادر عياض إلى لقاء الخليفة بمدينة سلا وأعلن اعتذار السبتيين، فقبل منه الخليفة وعفا عنه وعن أهل بلدته وأجزل صلته، وقام عبد المؤمن بتعيين عامل له على المدينة[3].

ورغم هذه المبايعة الاضطرارية إلا أن عياضا وأتباعه لم تكن لهم قناعة داخلية بهذا الحكم الجديد، إذ سرعان ما اغتنموا أول عملية تمردية تقع بالمغرب على يد محمد

---

(1) التاريخ(6/ 307)، وانظر أيضا: الناصري: الاستقصا: (2/ 104)، وانظر أيضا: تاريخ تطوان: (ص71).

(2) م، س:(6/ 307)، إلا أن عبد السلام شقور يؤكد أن القاضي أبا الفضل لم يكن بعد قد تولى قضاء سبتة في ذلك الوقت!! راجع: القاضي عياض الأديب ـ الأدب في ظل المرابطين (ص94).

(3) راجع: تاريخ ابن خلدون(6/ 309)، والاستقصا للناصري(2/ 113–114).

ابن هود ليعلنوا انقلابهم على الموحدين، وكان عياض مرة أخرى زعيم الانقلابيين[1]، فقام يحرضهم على الموحدين، فقتل السبتيون أتباع عبد المؤمن منهم عامل الموحدين على المدينة وأحرقوهم بالنار، ولم يكتف أبو الفضل وجماعته بهذا بل ركب البحر إلى ابن غانية بالأندلس يطلب منه تعيين وال من جهته على سبتة وأحوازها. فأرسل معه ابن غانية الوالي الصحراوي الذي دخل سبتة وأقام حاكما عليه فترة من الزمن[2].

وقد كادت هذه الثورة ـ التي انضمت إليها مجموعة كبيرة من القبائل المجاورة ـ أن تسحب البساط من تحت أقدام الموحدين لولا صرامة عبد المؤمن وشدته، حيث إنه أرسل حملات كثيرة إلى المنطقة بقيادة يصلاسن الذي توجه إلى الهبط وإلى طنجة وقتل واليها ـ وكان هواه مع المرابطين ـ ثم حاصر سبتة فاستعصت عليه[3]، ولكن السبتيين لم يجدوا بدا من الاستسلام والمبايعة مرة أخرى لأمير المؤمنين، وأرسل عياض إلى يصلاسن يخبره بعودة أهل سبتة إلى الطاعة[4].

---

(1) انظر: أخبار المهدي (ص67).

(2) الاستقصا(2/ 114)، وشقور: القاضي عياض(ص97)، وبالرجوع إلى كتاب «التعريف بالقاضي عياض» لابنه محمد نجده ينكر مشاركة والده في هذه الثورة الثانية، بل يؤكد أن عياضا كان رافضا لما وقع بسبتة، يقول: «لما ثارت الفتنة وقام البلد والله يعلم أن ذلك كان من غير رضى منه كراهة في الفتنة الدنيوية والأخروية، وبقي يدبر أمره ويسوس أهله، دون تعاط إلى الإمرة في قول أو فعل، إلى أن دخل الصحراوي إلى البلد، وهو حينئذ بخارج الجزيرة الخضراء زائرا مدافعا ليحيى بن غانية»: التعريف (ص12)، ويبدو كلام محمد بن عياض غير مقنع، فقد كان من الطبيعي ـ بحكم الواقع الضاغط الذي عاشه في ظل الموحدين ـ أن يخلق التبريرات والأعذار للدفاع عن والده وعن أسرته أمام السلطة الحاكمة استدرارا لعطفها ورضاها ودفعا لسخطها وغضبها.

(3) البيدق: أخبار المهدي(ص68).

(4) نفسه.

وهكذا ومن أجل أمن غدر السبتيين مرة أخرى وإقرارا للأمن وضمانا للاستقرار بالمنطقة عمل الموحدون على نفي عياض ـ زعيم الثائرين ـ إلى مراكش، حيث مكث بها أن وافاه أجله سنة 544هـ[1].

ومع ذلك ظلت هذه المدينة والكثير من أبنائها ومنهم ابن خمير يكنون العداء للحكام الموحدين ويتعاملون معهم بالكثير من الحذر والتوجس، باعتبارهم غاصبين لحكم المرابطين، ظالمين لعالمهم وحاكمهم عياض...

2) مكانة «الصحابة» ومرتبتهم عند ابن خمير السبتي وغيره من الأشاعرة:

2 ـ 1 ـ تعريف «الصحابة» و«الصحبة»: هل الإهمال مقصود؟

لم يقف ابن خمير في «مقدمات المراشد» عند تعريف «الصحابي»، ولم ينتبه إلى تقييد المجال الزمني للفترة التي تسمح باستحقاق صفة «الصحابي» ولا لنوعية العلاقة بالنبي عَلَيْهِ السَّلَامُ التي ينال صاحبها بفضلها رتبة «**الصحبة**». وإنما انتقل ـ على غير عادته في المباحث الكلامية الطبيعية والإلهية وحتى السمعية التي دقق فيها وتوقف كثيرا عند التحديدات اللغوية والاصطلاحية اللفظية ـ إلى بعض المباحث المرتبطة بـ«الإمامة» و«الصحابة» انتقاها انتقاء لغرض معين كان يروم الوصول إليه[2].

ولعل وجه الأهمية في التحديد الاصطلاحي يرجع إلى أن الاختلاف مع المخالفين في موضوع الحكم على الصحابة مرتبط بالتحديد الاصطلاحي لوصف «الصحابي»؛ لأن موضع طعنهم في الصحابة يستند إلى نصوص توقيفية وإلى وقائع تاريخية، تصف بعضا ممن عاشوا مع النبي ﷺ ـ أو بالقرب منه ورأوه ـ بالنفاق والخيانة لله

---

(1) الاستقصا (2/ 114-115).

(2) راجع: مقدمات المراشد في علم العقائد: (ص383 ومابعدها).

والرسول[1] ...كما أن التاريخ الإسلامي يحكي عن بعض ممن رأى النبي وسمع منه ارتد في حياته[2] أو بعد وفاته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[3]، وبالتالي فإن تحديد المقصود بـ«الصحابة» - هذا المفهوم الذي يحاط بمجموعة من الأوصاف المرتبطة ب«العدالة» و«الاستقامة» و«التميز» - يعد أمرا ذا بال يلزم الاحتياط فيه، خاصة ممن يعتبر مجال اشتغاله مرتبطا بالكلام والجدال والدفاع عن المواقف العقدية.

ولكن عمل ابن خمير هذا لم يكن بدعا في الوسط الأشعري؛ لأن جل من عالج موضوع الصحابة من مفكري الأشاعرة غض الطرف عن الدخول في التحديد الاصطلاحي لكلمة «الصحابي»، ولا نجد من تعريف للأشاعرة الأوائل في الموضوع إلا ما ورد عند أبي بكر الباقلاني حيث قال: «لا خلاف بين أهل اللغة أن «الصحابي» مشتق من الصحبة، وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلا كان أو كثيرا. يقال: صحبت فلانا حولا ودهرا وسنة وشهرا ويوما وساعة، قال: وذلك يوجب في حكم اللغة إجراءها على من صحب النبي ﷺ ساعة من نهار، هذا هو الأصل في اشتقاق الاسم، ومع ذلك فقد تقرر للأئمة عرف في أنهم لا يستعملون هذه التسمية إلا فيمن كثرت صحبته واتصل لقاؤه، ولا يجرون ذلك على من لقي المرء ساعة، ومشى معه خطى، وسمع منه حديثا، فوجب لذلك ألا يجري هذا الاسم في عرف الاستعمال إلا على هذه الحال»[4].

---

(1) كقوله تعالى ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ﴾ (التوبة: 101)، وقوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ (التوبة: 64)، وقوله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ (الأحزاب: 12)، وغيرها....

(2) كعبد الله بن خطل الذي قتل وهو متعلق بأستار الكعبة.

(3) كربيعة بن أمية الذي تنصر أيام عمر ونحوه.

(4) عن الحافظ العراقي: التبصرة والتذكرة (ص87).

واضح ـ إذن ـ من تعريف الباقلاني أنه قيد حد «الصحابي» بقيد زماني وقيد علائقي أوثق من ذلك الذي وضعه «المُحَدِثون»، وهو في تحديده يقترب من تحديد «الأصوليين» و«المنظرين». أما المحدثون فقد تفاوتت تعريفاتهم بين القائل بأن «الصحابي» هو «من رأى النبي ﷺ»[1]، والقائل بأنه: «من صحب النبي أو رآه من المسلمين»[2]، أو هو: «من صحبه سنة أو شهرا أو يوما أو ساعة أو رآه فهو صحابي»[3]، أو هو ما انتهوا إليه باتفاق وهو تعريف ابن حجر إذ ذكر أن الصحابي هو «**من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ثم مات على الإسلام**». قال: «فيدخل بهذا التعريف في «من **لقيه**» من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه ومن لم يرو عنه، ومن غزا معه ومن لم يغز، ومن رآه رؤية ولم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى، ويخرج بقيد «**الإيمان**» من لقيه كافرا ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى، وقولنا: «**به**» يخرج من لقيه مؤمنا بغيره...ويدخل بقولنا «**مؤمنا به**» كل مكلف من الجن والإنس...وخرج بقولنا: «**ومات على الإسلام**» من لقيه مؤمنا به، ثم ارتد ومات على ردته...»[4].

ويبدو بالنظر إلى تحديدات «المحدثين» أن الباقلاني حاول أن يعطي للصحبة معنى أعمق من ذلك الذي ذكره أهل الحديث، حيث اعتبر أن «**الصحبة**» لا يمكن أن تحقق بمجرد الرؤية أو اللقاء العابر، بل لا بد أن يشهد لها طول مدة الملازمة وما يرتبط بذلك من تمتن العلاقة وعمق الارتباط. أما تعريفات أهل الحديث فقد كان غرضهم منها توسيع دائرة الموصوفين بـ «**الصحبة**»، بالنظر إلى شخص الرسول ومركزه، حيث

---

(1) ذكر ذلك النووي في التقريب (ص 374 ـ 375).

(2) وهو تعريف البخاري، انظر: مقدمة ابن الصلاح (ص423).

(3) تعريف ابن حنبل، انظر: التبصرة (ص3).

(4) الإصابة في تمييز الصحابة (1/ 7).

اعتبروا أن قدسيته وقدسية اللحظة الرسالية كان لهما بعد روحاني وتأثير غيببي على الرجال، جعلت منهم يرتقون بسلوكهم إلى مستوى عال، أهَّلهم لاستقامة خاصة، لم تتحقق لغيرهم ممن تربوا وعايشوا فترات أخرى غير الفترة المحمدية.

وقد وافق الباقلاني في تعريفه السابق لـ «**الصحابي**» واقترب إلى حد ما من الحد المنسوب إلى «**سعيد بن المسيب**»، الذي كان لا يعد «**صحابيا**» «إلا من أقام مع الرسولﷺ سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين»[1]. ووافق أيضا تعريف «**ابن الصباغ**» الذي اعتبر أن صفة «الصحابي» تطلق على من «لقي النبي ﷺ وأقام عنده واتبعه، فأما من وفد عليه وانصرف عنه من غير مصاحبة ومتابعة فلا ينصرف إليه هذا الاسم»[2].

ولعل المتمعن في تدقيق هؤلاء «الأصوليين» يلحظ الاحتياط والتضييق اللذين وسمت بهما تعريفاتهم، نظرا لاستشعارهم للدلالات والحمولات التاريخية والسياسية التي تعتري عملية التحديد، وما يمكن أن تسمح به أو لا تسمح في مجال المناظرة ومناقشة الخصوم.

ورغم أن «المحدثين» ـ بالنظر إلى طبيعة عملهم التوثيقي وإغفالهم للبعد الجدلي الذي يخلقه تبني التعريف المعتمد ـ رفضوا وناقشوا تعريف «الأصوليين» لمدلول «الصحابي»، فإن الباقلاني والمدرسة الأصولية عموما ظلوا متشبثين بالتحديد المضيق لخناق الانتقادات التي توجه إلى المواقف السنية بخصوص الموقف من الصحابة وعدالتهم.

---

(1) التبصرة (ص8).

(2) نفسه:(ص 7).

ومع ذلك فيمكن قراءة موقف ابن خمير السبتي وموقف غالبية الأشاعرة ممن أعرضوا عن الوقوف عند التحديد الاصطلاحي لكلمة «الصحابي» قراءة واقعية تتعلق بـ «**وظيفية**» الوقوف مع التعريف. ذلك أن الخصم خارجيا كان أو معتزليا وخصوصا إذا كان شيعيا ـ إماميا أو إسماعيليا ـ لم يقف في انتقاداته لجانب الصحابة عند «**الفئة البعيدة**» من هذه الزمرة، وإنما كانت اتهاماته موجهة بالدرجة الأولى إلى «**النخبة الأولى**» وإلى واجهة أعلام الصحابة... فالخوارج طعنوا في **علي** بعد التحكيم وكفروه ومن سار معه من الصحابة الكبار...والمعتزلة أثاروا الكثير من الشبهات حول أصحاب «الجمل» بمن فيهم **عائشة وطلحة والزبير وعلي** ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، ولمزوا أهل «صفين» وعلى رأسهم **معاوية وعلي**...أما الشيعة فموقفهم من **معاوية** ومن كان معه من كبار الصحابة، وحكمهم على **أبي بكر وعمر وعثمان**رضي الله عنهم أقل ما يقال عنه إنه موقف مناف لموقف أهل السنة، موقف اتهام وقدح وتنقيص...

لذلك رأى ابن خمير ـ وغيره من الأشاعرة ـ أن التضييق الذي سلكه بعض «الأصوليين» بمن فيهم الشيخ الباقلاني في تحديد مفهوم الصحابي قد لا يفيد كثيرا في تفادي جانب من الجدل والخصام حول رفعة وعدالة كبار الصحابة، فضلا عن غيرهم...والمهم أو الأهم ـ في نظر ابن خمير ـ أن ينتقل إلى مناقشه موضوع الصحابة مباشرة بطرح الرؤية السنية وأدلتها، ثم مناقشة ودحض مواقف الخصوم وخلفياتها.

2 ـ 2 ـ الصحابة أفضل وأعدل المسلمين:

لقد شكل موقف الشيعة من الصحابة استفزازا كبيرا لأهل السنة، حيث إنهم لم يعطوا لمركزهم كبير أهمية بل اعتبروا أمرهم أمرا عاديا ينطبق عليهم ما ينطبق على بقية المسلمين. ويعتقد الشيعة أن في الصحابة المسيء والمصلح والطائع والعاصي والمؤمن والمنافق والتقي والشقي والصدوق والكذوب. إلا أن هذا لا ينفي ـ في نظرهم ـ أن

هناك صحابة على درجة عالية من التقوى والالتزام بنهج الرسول والإخلاص لدعوته تعتقد فيهم الشيعة وتجلهم وتقبل روايتهم عن الرسول ﷺ مثل عمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، والمقداد، وأبي ذر الغفاري، وحذيفة بن اليمان وغيرهم. إلا أن فكرة «**عدالة الصحابة مرفوضة**» عند الشيعة بصورتها العمومية التي يتبناها أهل السنة. كما أن التعريف المحدد للمراد بالصحابة الذي انتهى واتفق عليه السنة وتبنوه حول الصحابة مرفوض أيضا ومردود عن الشيعة[1].

وقد ركز ابن خمير في «مقدمات المراشد» أولا على بسط وجهة نظر مدرسته في موضوع الصحابة و «تميزهم»... فتحدث أولا عن أفضلية هذه الأمة على باقي الأمم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2]، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[3]... الخ، وقوله ﷺ: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[4]. قال: «فخرج من مضمون هذا أن هذه الأمة خير الأمم، وأن الصحابة رضي الله عنهم خيار هذه الأمة...»[5]. ثم أكد على **عدالة الصحابة** وأفضليتهم على باقي المسلمين لقوله جل علاه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾[6]، وقوله

(1) انظر من كتب الشيعة مثلا: أحمد حسين يعقوب: نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام المستبصر: في الموقع: www.shiaweb.org: books: adalat_alsahaba: index.htm

(2) سورة آل عمران: الآية 110.

(3) سورة البقرة: الآية 143.

(4) متفق عليه من حديث عمران بن حصين، أخرجه البخاري في الصحيح، (كتاب الشهادات، باب: لا يشهد شهادة جور إذا شهد): (ضمن فتح الباري)، رقم: 2651: 5: 258، وأخرجه مسلم: (كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة): الصحيح: رقم: 2535، 4: 1964.

(5) المراشد:(ص 384).

(6) سورة الفتح: الآية 29.

سبحانه: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَالأَنصارِ﴾[1]، قال: «وهذه الآية تشمل جميع الصحابة إذا كان الذين اتبعوهم بإحسان الذين جاءوا من بعدهم»[2]. كما استدل أيضا بقوله تعالى: ﴿لاَ يَسْتَوِى مِنكُم مَّنَ اَنفَقَ مِن قَبْلِ اِلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ﴾[3]. يقول ابن خمير: «فإذا سبق المتقدم المتأخر بتفاضل الأعمال وصحبة الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فلا جرم أن التابع وتابعه مسبوق. ومعلوم ـ على **العادة** ـ أن من سبق من الثوار إلى الملوك وبادر بنفسه وماله، أرفع قدرا عندهم ممن تأخر، وإن تساووا في النصرة والمعونة، فكيف من هاجر إلى الله رسوله بنفسه وماله وخرج عن سجيته وعادته وفارق الأهل والمال والوطن؟ فصح أن متقدمي الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أفضل من متأخريهم»[4].

يحكم ابن خمير إذن بأن تضحيات الصحابة في سبيل التمكين للإسلام في الأرض، وتقديمهم للأرواح والأموال، جعلتهم يستحقون المرتبة السامية التي وضعتهم فيها النصوص التوقيفية الكثيرة، فهم خير الناس، وأفضل أمة أخرجت للناس. وتفاوتهم في الفضل إنما يرجع في نظره إلى السبق والتقدم في الإيمان، فهو ميزان التفضيل ووسيلة التقريب.

ومن الأمور المهمة في نسق التفكير عند هذا الأشعري السبتي هو ما يلاحظ في كلامه السابق حيث نجده يستحضر مفهوم «**العادة**» الأشعري، ويستعمل قاعدة «**الاستدلال بالشاهد** (=العالم الطبيعي المنظور) **على الغائب** (=الله تعالى)»، **إذ هما** من

---

(1) سورة التوبة: الآية 100.

(2) المراشد: (ص384).

(3) سورة الحديد: الآية 10.

(4) المراشد: (ص 102).

الثوابت الأساسية لهذا الفكر لا يجوز التفريط فيهما حتى لو تعلق الأمر بالمحور والجانب السياسي في الفكر العقدي الكلامي. فمن قراءة نص ابن خمير السابق (بل ومن قراءة جل ما كتب في الموضوع عند الأشاعرة) يُستشف وجود ضرب من التجاوب العجيب بين «**الطبيعي**» و «**السياسي**» عند أتباع المدرسة، إلى درجة يمكن القول معها بأن الطبيعي يكاد أن يكون الأساس النظري الذي يحدد السياسي ويتحدد به لديهم. فإثارة ابن خمير هنا لقاعدة «**العادة**» ـ بما تعنيه من نفي ارتباط الأسباب بالمسببات ـ وهو يناقش تقديم بعض الصحابة على بعض بفضل السبق الإيماني، مرتبط بتوظيف ثوابت المذهب المتنوعة في الاستدلال الكلامي (مع أن الموضوع ـ موضوع **العادة** ـ يرتبط بالمجال الطبيعي قبل أن يكون موضوع المجال السمعي متعلقا بخرق العادة في قضية «النبوة»)، وتشبيه ابن خمير لله ـ تعالى ـ هنا بالملك في سبق الشعب (=العبيد) إلى طاعته، هو قياس يرتبط فيه المشاهَد بما هو غير مشاهد في نظر المخاطبين...وإذ يمكن المصير إلى اعتبار الخطاب الأشعري بمثابة الوحدة الكبرى في تحليله، فإنه يستحيل تصور وحداته الجزئية (بما فيها البحث في موضوع الصحابة) إلا كانتظامات داخل المعقولية المؤطرة لحدود هذا الخطاب الذي توجهه قواعد وثوابت في النسق الأشعري من أهمها مبدأ «**العادة**»، و«**قياس الغائب بالشاهد**»[1].

2 ـ 3 ـ المفاضلة بين الصحابة :

إن أفضل الصحابة في نظر ابن خمير هم المتقدمون، وأفضل المتقدمين البدريون، وأفضل البدريين أصحاب الشجرة، الذين رضي الله عنهم عند بيعة الرضوان، وأفضل العشرة الأربعة الخلفاء، وأفضل الخلفاء أبو بكر[2].

---

(1) انظر: الخطاب الأشعري السياسي(ص22).
(2) المراشد (ص385).

وفي فصل آخر نجد المفكر المغربي يبحث في ترتيب الخلفاء الأربعة، ولكنه ما يلبث أن يعود إلى مجموع الصحابة المتقدمين ليذكر بأن الظنون متعارضة في تفضيلهم «فإن الله مدحهم على الجملة والرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مدحهم على الجملة من غير أن يعين بالتفضيل إلا أبا بكر رضي الله عنه»[1]. وعموما فإن الخلفاء الأربعة هم خير الصحابة، وترتيبهم في الأفضلية هو حسب ترتيبهم في الخلافة، ومع هذا فقد ظل ابن خمير مصرا على تأكيد أفضلية أبي بكر دون الخوض في أدلة المفاضلة بين عمر ومن جاء بعده من الراشدين. فأبو بكر شهدت له النصوص القرآنية والحديثية على أنه أفضل الصحابة، وهو لم يفضل الصحابة بصلاة ولا صيام وإنما بشيء وقر في قلبه، ولو وزن إيمانه بإيمان الأمة كلها لرجح إيمانه[2]، وهناك أخبار كثيرة تجعل أفضليته تصل إلى مستوى التواتر، أما غيره من الصحابة فقد تعارضت فيهم الظنون والأمر فيهم موكول إلى الله تعالى.

2 ـ 4 ـ الرد على الخصوم من الشيعة:

وبعد اختصار رأي مدرسته في عدالة الصحابة وترتيبهم في الأفضلية بالصورة التي قدمنا ينتقل ابن خمير إلى الشيعة ليبين أن طعنهم في الصحابة فتح عليهم وعلى المسلمين عموما بابا خطيرا من الشبهات والاتهامات، ذلك لأن الصحابة هم نقلة الدين وحفاظه، فإذا طعنا فيهم فأي دين يبقى لنا!. وإذا كانت الأمم الخالية من نصارى ويهود وغيرهم قد كرموا الأتباع الأوائل لأنبيائهم من حواريين وغيرهم، «بل اليهود تعظم أصحاب الميقات، والنصارى تعظم حواريي عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»، فكيف يكون

(1) المراشد (ص388 و 389).

(2) نفسه (ص104).

حال هؤلاء «الأراذل» عندما يكفرون أصحاب محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ويسبونهم ويبدعونهم؟

والدليل على ذلك أن الذي بأيديهم من الكتاب والسنة التي بلغتهم إنما هي بواسطة الصحابة، فمنهم سمع وعنهم نقل، وإذا كان الصحابة كفرة مبتدعين وكذابين مجرحين - على زعمهم - فعمن نقل الروافض دينهم إذن؟ ومن أين صح لهم العلم أن الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نطق بالقرآن؟[1].

يقول ابن خمير: «والذي ينبغي أن يعتقد في الروافض أنهم كفرة، ومن أجل هذه القولة وأمثالها أطلق بعض الأئمة القول في الإمامية بتكفيرهم منهم الشعبي...وقد ذكر أصحاب المقالات أن معظم الأئمة كفروا جميع الروافض بتكفيرهم الصحابة، وادعائهم أن الصحابة بدلوا القرآن وغيروا بالزيادة والنقصان، وأسقطوا منه النص على خلافة «علي رضي الله عنه»، وزعموا أنه لا اعتماد على هذه الشريعة التي بأيدي المسلمين حتى يخرج «المهدي» فيجددها ويرد الحق إلى نصابه...وهذا هو الكفر الصراح...»[2].

ثم مضى يشبه مذهب الإمامية في الصفات بمذهب اليهود بدعوى غلوهم في التجسيم ناقلا عن الإسفراييني شيخ الأشاعرة أنهم قالوا: «إن الملائكة تحمل ربها المستقر على العرش، - وهو أقوى منهم -، كما يحمل الكركي قدماه، وهو أقوى منها»[3]. قال أبو الحسن: «ولهذا شبههم النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ باليهود في قوله ﷺ: «سيكون

---

(1) المراشد: (ص104).

(2) نفسه: (387).

(3) راجع الإسفراييني: التبصير في الدين، فعنه نقل ابن خمير هذا النص القول المنسوب لفرقة اليونسية من الرافضة، تحقيق: كمال يوسف الحوت (ص40).

في آخر الزمان قوم يقال لهم الروافض، يرفضون الدين، فاقتلوهم فإنهم مشركون»[1]. وروى «ابن عمر» أن النبيﷺ قال لعلي: «تكون أنت في الجنة وشيعتك في الجنة، وسيكون بعدك قوم يَدعون ولايتك يُدعوْن الرافضة، فإن وجدتهم فاقتلهم، فإنهم مشركون»، فقال علي: «وما علامتهم يا رسول الله؟» قال: «لا تكون لهم جمعة ولا جماعة ويسبون أبا بكر وعمر[2] »[3]. ويكفيك قوله تعالى حين مدح الصحابة في سورة الفتح فقال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾[4]، ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[5] »[6].

ثم زعم ابن خمير أن أصحاب المقالات ذكروا في قبيح دعاويهم وخرافاتهم أنهم لما رأوا أن «الجاحظ» يصنف الشبهات لأهل الملل قالوا: «صنف لنا كتابا»، فقال: «لست أرى لكم شبهة تتشبثون بها فأصنعها لكم، وأرتب الكلام عليها». قالوا: «فدلنا على من نتمسك به»، فقال: «إذا أردتم أن تقولوا شيئا مما تزعمون فقولوا: إنه قول جعفر الصادق، ولا أعرف لكم ما تتمسكون به سوى هذا». فرضوا منه بذلك، وتمسكوا بهذه السوءة البهيمية»[7].

---

(1) أخرجه ابن عاصم عن ابن عباس في: «السنة»: (ص467، رقمه: 981)، وضعف إسناده الألباني في: «ظلال الجنة». وله شاهد عن علي بن أبي طالب، أخرجه ابن أبي عاصم أيضا في نفس الباب: (ص465، رقم: 978)، وضعفه الألباني إسناده كذلك، راجع «ظلال الجنة في تخريج أحاديث السنة».

(2) وفي رواية ابن أبي عاصم: (ويطعنون على السلف): (ص466، رقم: 980).

(3) أخرجه ابن أبي عاصم في: «السنة»: (ص 466، رقم: 980)، وإسناده ضعيف جدا كما يرى الألباني في «الظلال»، وأورده الشوكاني في: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي اليماني: (ص 380، رقم: 88).

(4) سورة الفتح: الآية 29.

(5) سورة التوبة: الآية 30، وسورة المنافقين: الآية 4.

(6) المراشد: (ص387 و388).

(7) نفسه: (ص 388).

هكذا ينتهي ابن خمير في مناقشته للخصم الشيعي بالحكم عليه بالمروق عن الدين، فهو لم يكتف بالطعن في الصحابة وتكفيرهم مع أنهم نقلة الشريعة وحفظة الدين، ولم يكتف باختلاق النصوص الموضوعة في ادعاء إمامة علي، بل أضاف إليها اعتقادات خطيرة في العقيدة منها ما يتعلق بالتجسيم ومنها المتعلق بتكذيب القرآن بدعوى تصرف الصحابة فيه...إلخ، وهي انحرافات لا يمكن الحكم على أصحابها إلا بالكفر الصريح والخروج عن الإسلام.

3) عن الإمامة وخلافة الصحابة الراشدين:

3 ـ 1 ـ طبيعة الإمامة بين الفقه والأصول:

بالرجوع إلى كتاب «مقدمات المراشد» نجد ابن خمير يعلن ـ كبقية الأشاعرة ـ أن «الإمامة» «**ليست من أصول الاعتقاد**، ولا يطلب بالنظر في إثباتها لمستحقيها العوام، وإنما المطلوب بذلك الخواص من **أهل الحل والعقد**، والخطر على من يدلك في كل تفاصيلها أشد من الخطر على من يجهل أصلها، لأنه يؤدي إلى التعصب والميل وتعدي حق الله»[1]. وهو موقف يروم الرد على الثابت الشيعي الذي رفع من هذا المبحث إلى المجال «الأصولي» (=القطعي). وبالحديث عن «**أهل الحل والعقد**» (=المجتهدون) يكون ابن خمير قد لمح (أو بالأصح صرح) بالطبيعة الاجتهادية «الفقهية» (=النظرية) التي يقوم عليها اختيار الإمام، ورجع بالموضوع إلى مجاله الطبيعي. ولكن هل يمكن أن نرتاح إلى تصريحات ابن خمير، ونأخذ بها على سبيل التسليم، وهل يصح أن نطمئن إلى كون موضوع «الإمامة» وما ارتبط به من حديث عن «خلافة الراشدين» والخلافات التي حصلت بين الصحابة في «الفتنة الكبرى» لم تشكل قضايا «أصولية»

---

(1) المراشد: (ص383).

عند ابن خمير ومدرسته؟ ثم أليست هناك خلفيات عقدية ارتبطت بهذه المواضيع حتى داخل الصف السني رفعت من درجتها إلى مستوى «الأصول»؟

لقد تقدم إلى إعلان موقف ابن خمير السابق أئمة الأشاعرة الكبار الجويني(ت478هـ) والغزالي(ت505هـ) وغيرهما، فالجويني يستهل كلامه عن الإمامة بالقول: «الكلام في هذا الباب **ليس من أصول الاعتقاد** والخطر على من يزل فيه يُربي على الخطر على من يجهل أصله»[(1)]، وعلى نفس النهج يسير الغزالي إذ يقول: «النظر في الإمامة أيضا **ليس من المهمات**، **وليس** أيضا من فن المعقولات فيها من الفقهيات، ثم إنها مثار للتعصبات، والمعرض عن الخوض فيها أسلم من الخائض بل وإن أصاب، فكيف إذا أخطأ!»[(2)].

أما متأخرو الأشاعرة ممن جاءوا بعد ابن خمير فنقتطف من آرائهم في الموضوع ما ذكره أبو الحسن الآمدي (ت631هـ)، حيث جاء في «غاية المرام» أن «الكلام في الإمامة **ليس** من أصول الديانات، ولا من الأمور **اللابديات**، بحيث لا يسع المكلف الإعراض عنها، والجهل بها، بل لعمري إن المعرض عنها لأرجى حالا من الواغل فيها، فإنها قلما تنفك عن التعصب والأهواء، وإثارة الفتن والشحناء، والرجم بالغيب في حق الأئمة والسلف بالإزراء، وهذا مع كون الخائض فيها سالكا سبيل التحقيق، فكيف إذا كان خارجا عن سواء الطريق؟»[(3)]. وجاء في «المواقف» للإيجي (ت756هـ) أن الإمامة «عندنا [نحن الأشاعرة] من **الفروع**، وإنما ذكرناها في علم الكلام تأسيا بمن قبلنا...»[(4)].

---

(1) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص345).

(2) كتاب الاقتصاد في الاعتقاد (ص147).

(3) غاية المرام في علم الكلام (ص 309).

(4) المواقف في علم الكلام (ص395).

يتبين من خلال هذه الآراء «المبدأية» أن المدرسة الأشعرية تحيل في المبحث المتعلق بـ«الإمامة» على الجانب النظري الفقهي، ولكن قراءة مخالفة تتتبع ما وراء السطور والتصريحات «الظاهرية» توحي بأن موضع «الإمامة» عند الأشاعرة ـ بالرغم من ترتيبه الهندسي في آخر كتب العقيدة، وبالرغم من الإعلان الظاهري أنه ليس من «المهمات» «اللابديات» ـ يحوز قصب السبق في النظرية الكلامية الأشعرية، ولو كره الجويني ومن جاء بعده من أئمة المدرسة هذا الرأي. فللإديولوجية «منطقها الذي لا يدفع إلى المواربة والحجب فقط، بل يحمل أحيانا عديدة على الإعلان والجهر بنقيض ما يشهد عليه واقع الحال ويكشف عنه «فحوى الخطاب» ومضمونه»[1].

إن النبش في تاريخ تأسيس المدرسة الأشعرية وتمكنها يمدنا بمعطيات تاريخية وعلمية تثبت بأنه إذا كان أبو الحسن الأشعري قد خط الخطوط الأولى للمدرسة انطلاقا من الدواعي الموضوعية للفترة أملتها أنواع من التطرف طبعت مواقف المعتزلة العقلانية وآراء بعض الحشوية ممن أغرقوا في التجسيم والتشبيه، فإن كتبه الموجودة بين أيدينا الآن تعطي لموضوع «الإمامة» ولموضوع «الصحابة» وأفضليتهم مكانة خاصة في أعماله.

فعندما نقف مع كتاب «الإبانة» مثلا نجد الأشعري يقرر فيه تقريبا كل العقائد في غير إثبات أو تدليل كلامي جدلي، ولا يستثني من ذلك سوى الفصل الأخير المرتبط بموضوع «الإمامة»؛ إذ فيه يعود إليه «وعيه الكلامي» كاملا من أجل إبطال دعاوي الخصوم في القول بثبوت الإمامة عن طريق **«النص والعهد»**، وما يتأسس على ذلك من طعن في ترتيب الصحابة في الخلافة والأفضلية، «فكأن القصد من الكتاب كله

(1) سعيد بنسعيد العلوي: الخطاب الأشعري، مساهمة في دراسة العقل العربي (ص86).

ينحصر في مجرد الإعلان عن العقيدة الأشعرية، وكأن مسألة الإمامة تظل دون غيرها القضية التي يجمل بالمتكلم الأشعري بل السني عامة أن يتصدى للخصم فيها بكل ما يكون في وسعه من أدلة عقلية وبلاغة احتجاجية»[1].

وإذا كان الخصم الشيعي قد شكل ثقلا كبيرا في الساحة الكلامية وهدد الكيان السني، ولما كانت «الباطنية» من أخطر فرق الشيعة لتسرب أفكارها إلى العامة، فقد عمل أئمة الأشاعرة في كتبهم وفي توطيد قواعد مدرستهم على التصدي لهذا الخصم الذي جعل من **الإمام وعصمته، والطعن في الصحابة** ـ الذين خالفوا عليا رضي الله عنه بالطبع ـ المرتكزات الأساسية لدعوتهم. يقول البغدادي في «الفرق بين الفرق»: «اعلموا أسعدكم الله أن ضرر **الباطنية** على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل أعظم من مضرة الدهرية...بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان، لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة **الباطنية** ومن ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال في وقت ظهوره، لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين يوما، **وفضائح الباطنية** أكثر من عدد الرمل والقطر»[2].

لقد صار على المتكلم الأشعري أن يجعل من مناقشته وردوده على الخصم «**الباطني**» واجبا شرعيا وأول الأولويات فهو الخصم المتكلم ظاهرا وعدو الدين الإسلامي كله باطنا. والحكم على هذا الخصم ينتقل من مجال الاجتهاد الفقهي بالتخطئة والتصويب، إلى الحكم بإخراجه من الدين والمروق منه، وبالتالي الانتقال بالصراع من الفرع إلى الأصل.

---

(1) سعيد بنسعيد العلوي: الخطاب الأشعري، مساهمة في دراسة العقل العربي (ص54).

(2) الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد: (ص282).

وما يعزز ويؤكد هذا الرأي أن المتكلمين الأشاعرة اللاحقين أبوا إلا الرفع من قضية «الإمامة» إلى مستوى النقاش العقدي، لاسيما عندما اعتبر الغزالي ـ في ظل الصراعات السياسية الحادة مع الباطنية ـ من موضوع الخصم الباطني القائل بـ «**التعليم**» و «**المعلم المعصوم**» الهم الأكبر في مشروعه الفكري، فألف «فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة»، و«القسطاس المستقيم»، ثم «فضائح الباطنية»، وبنى فكره الفلسفي والصوفي في جانبه الأساس بتوظيف ما استفاده من الصراع والنقاش والمدافعة للباطنية والشيعة الغالين.

في ظل هذه الحقائق التاريخية يمكن أن نقتنع بأن الحكم الظاهري للأشاعرة على موضوع «الإمامة» وعلى البحث في اختلافات «الصحابة» السياسية بأنها من مباحث الجانب الفقهي لا العقدي، إن هو في الواقع إلا كلام ظاهري قد يقبل ويصدق إذا جردناه من أبعاده التاريخية وقرأناه بعيدا عن الخلفيات الإيديولوجية التي أحاطت به، ولكنه باستحضار كل تلك الخلفيات لا نملك إلا أن نجزم بأن الموضوع موضوع «أصولي» بامتياز.

وقد كان المفكر المغربي الأشعري ـ المعاصر لابن خمير ـ عبد الجليل القصري الأندلسي (ت608هـ) أكثر جرأة عندما كشف عن الطبيعة الأصولية لموضوع الإمامة، وما ارتبط بها من كلام عن الصحابة في واقع الأمر، حيث قال: «أما كون الإمامة من الدين والإيمان [أي العقيدة] فبين لا خفاء به، فإن فيها معنى التوحيد الذي هو الاجتماع، والاجتماع اتحاد والافتراق كثرة. والتوحيد هو الإيمان، لأن النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ أمر بطاعة الأمير، ففي طاعته طاعة الرسول، وطاعة الرسول طاعة لله»[1].

---

(1) شعب الإيمان (ص565).

ثم تعرض القصري لأحاديث تتعلق بالخروج عن الدين مرتبطة ـ في نظره ـ بفرقة الخوارج لينتهي إلى القول: «وإنما خرجوا من الدين وسموا «خوارج» لخروجهم عن طاعة الأمير، فأدى بهم ذلك إلى الخروج عن الدين، فكيف لا تكون الإمامة من أعظم شعب الإيمان؟»[1].

بهذا يؤكد القصري الأشعري أن الإمامة لا يمكن أن تكون إلا من مباحث الإيمان والعقيدة، لأن الخروج من الدين لا يكون إلا إذا وقع مس بجانب من جوانب العقيدة، وعدم طاعة الإمام الذي اختارته الأمة (أبو بكر وغيره من الخلفاء الراشدين) أدى إلى خروج العصاة الناقضين للإجماع ـ خوارج وشيعة ـ عن طاعة الرسول وطاعة الله وبالتالي مرقوا عن الإسلام.

3 ـ 2 ـ خلافة أبي بكر هل كانت بالنص أم بالاختيار؟

أولا يتفق الأشاعرة على أن الخلفاء الأربعة يستحقون المراكز التي رتبوا على أساسها في الخلافة. فالأول أبو بكر، يليه عمر، يتبعه عثمان، ثم علي. يقول ابن خمير: «فإن قيل: هل تفضلون بعض خلفاء الصحابة على بعض، أم تتوقفون في ذلك؟ قلنا: أما الأربعة الخلفاء رضي الله عنهم فإن الفضل يترتب فيهم حسب ترتيبهم في الخلافة لتقدم الفضل وهو مذهب من لم ير تقديم المفضول، وهو الأظهر، فإن المفضول إنما يقدم بقرينة توقع الخلاف والفتنة»[2].

ويقول إمام الحرمين: «وأمير المؤمنين من بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين»[3].

---

(1) شعب الإيمان (ص565).

(2) المراشد: (ص388).

(3) لمع الأدلة (ص199).

ومع ذلك نجد المفكر الأشعري المغربي أبا عمرو السلالجي (ت574هـ) يذكر في «برهانيته» أن «أفضل الناس بعد نبيهم: أبو بكر ثم عمر ثم تعارضت الظنون في عثمان وعلي ـ رضي الله عنهما ـ فهم الخلفاء الراشدون المهديون»[1]. كما يذكر ابن خمير في موضع آخر من كتابه أنه: «وقعت مناظرة بين «ابن ورقا» والشيخ «أبي الحسن الأشعري» في التفاضل بين علي وأبي بكر رضي الله عنهما في التقدم بالإيمان، فإنهما سبقا الناس، فوقع الاتفاق على أن أبا بكر أفضل الكهول، وعليا أفضل الشباب، وهذا على جهة التسامح، فالمتقدم أبو بكر رضي الله عنه»[2].

وقد ذكر الأشعري المغربي أبو الحسن اليفرني الطنجي (ت734هـ) عن الخلفاء أن «مراتبهم في الفضل كرتبتهم في الخلافة، لا خلاف بين أهل السنة فيه بين أبي بكر وعمر، ولا في تفضيل عمر على عثمان، واختلفوا بين علي عثمان: اختلف في ذلك مالك وغيره من العلماء، وكان محمد بن إسحاق يفضل عليا، قال ابن العربي: «والذي عندي أن عثمان أفضل، ثم علي هو رابع الأربعة، ورتبتهم في الخلافة كرتبتهم في الفضيلة..»[3].

أما في خصوص أبي بكر الخليفة الأول فيرى ابن خمير أنه أفضل الخلفاء جميعا لإجماع الصحابة على تقديمه لإصلاح دينهم ودنياهم من غير خوف هرج ولا فتنة... «والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة واجتهدوا حتى رضوه وبايعوه عن **رضا منهم واختيار**، لكونه جمع شروط الخلافة على أتم الجمع مع زيادة الفضل، حتى

(1) العقيدة البرهانية (ص131).

(2) المراشد: (ص385).

(3) المباحث العقلية في شرح معاني العقيدة البرهانية، مخطوطة الخزانة الحسنية، رقم: 11174: (ص69).

قال عمر رضي الله عنه: «من قدمه رسول الله ﷺ لأمر ديننا نقدمه لأمر دنيانا»[(1)]، يعني بذلك تقديم رسول الله ﷺ [له] للصلاة في الخبر المشهور[(2)]، حتى راجعته «عائشة رضي الله عنها»[(3)] في تقديمه فقال: (**يأبى الله ذلك والمؤمنون**)[(4)]»[(5)].

وإذا بحثنا في طريقة تولي أبي بكر الخلافة ومستندها عند ابن خمير، فإننا نجده يعلن أن الصحابة أجمعوا على تقديمه **باختيارهم** «ولا خلاف بين المسلمين إذ إجماع الصحابة حاكم على كل إجماع يأتي بعده، وهذه [يقول ابن خمير] أول مسألة اجتهادية وقعت في الإسلام بعد فقد النبي ﷺ. وفي هذه المسألة رد على من أنكر القياس [=الشيعة]، وعلى صحة الاجتهاد في مسائل الخلاف»[(6)].

وبالرغم من أن الأشاعرة يؤكدون على رد نصب الإمام أبي بكر إلى **الاختيار والاجتهاد** الإنساني، وإلى **إجماع** الصحابة كما نبه إلى ذلك ابن خمير، إلا أنهم لا

---

(1) أخرجه النسائي بلفظ آخر عن عبد الله بن عمر قال: «لما قبض رسول الله ﷺ قلت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فأتاهم عمر فقال: ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يصلي بالناس؟! فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟!». انظر: السنن، (كتاب: الإمامة، باب: ذكر الإمامة والجماعة): 2: 74 – 75، رقم: 777، وحسن إسناده الألباني في: صحيح سنن النسائي: 1: 168، رقمه: 749.

(2) جزء من حديث أخرجه أبوداود عن عبد الله بن زمعة في (كتاب: السنة، باب: استخلاف أبي بكر). انظر: السنن: (5/ 47 – 48)، رقم: 4660، وهو حديث حسن صحيح كما ذكر الألباني في: صحيح سنن أبي داود:(3/ 882)، رقمه: 3895.

(3) مراجعة السيدة عائشة رضي الله عنها غير ثابتة في الأخبار التي ذكرنا.

(4) انظر مثلا ما أخرجه الحاكم عن عبد الله بن زمعة، (كتاب: معرفة الصحابة، باب: ذكر عبد الله بن زمع ابن الأسود)، وعلق عليه بقوله: «حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وسكت عنه الذهبي في «التلخيص». انظر: الحاكم: المستدرك، تحقيق: محمود مطرجي:(4/ 368)، رقم: 6824.

(5) المراشد (386 ـ 387).

(6) نفسه (ص386).

يمنعون من الجواز العقلي للتنصيص على الخليفة **نصا**. وبما أن النص لم يثبت، لأنه لو ورد نص قطعي لاتفقت الأمة على العمل به. أما إن كان النص ظنيا «فادعاء العلم بالتنصيص إذ ذاك يكون محالا، والاكتفاء بمحض الظن أيضا مما لا سبيل إليه ههنا، لما فيه من مخالفة الإجماع القاطع من جهة العادة»[1].

وأمام تعسف الشيعة الروافض الذين ادعوا وجود النص المتواتر على علي ـ كرم الله وجهه ـ قام علماء الأشاعرة أولا بالرد عليهم وتفسير النصوص التي اعتمدها هؤلاء، ثم قابلوا دعواهم بنقيضها بالبحث في النصوص التوقيفية على ما يمكن أن يشير إلى أولوية أبي بكر في الخلافة... ومن هذه النصوص ما ذكره جل الأشاعرة بدءا من الأشعري نفسه، وأثبته ابن خمير بقوله: «إن خلافته [أي خلافة أبي بكر] مستخرجة من كتاب الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ اُوْلِے بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِن تُطِيعُواْ يُوتِكُمُ اُللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً اَلِيماً﴾[2]. والدليل على صحة خلافته من هذه الآية: الوعد بالثواب على طاعته، والوعيد بالعذاب على معصيته. وهو الذي دعاهم لقتال بني حنيفة ـ كما تقدم ـ فلو لم يكن خليفة لما صح الوعد والوعيد بالعذاب على طاعته ومعصيته، وهذا بين لا خفاء به»[3]. فهذه إشارة واضحة في القرآن ـ يرى الأشاعرة ـ على أحقية أبي بكر للخلافة...

ومع ذلك فإن الأشاعرة ظلوا متشبثين بموقفهم في كون اختيار الإمام علي رضي الله عنه لا نص متواتر عليه، وأخبار الآحاد مردودة بالإجماع لأنه ـ أي إجماع الصحابة ـ أقوى منها، والمرجع في موقف التقديم هو اختيار الصحابة وإجماعهم.

---

(1) غاية المرام في علم الكلام (ص319).

(2) سورة الفتح: الآية 16.

(3) المراشد (ص386).

في ظل هذه المعطيات يرد معنا رأي عجيب لابن خمير، فهو من جانب يرد أو يؤول دلالة الروايات التي اعتمدها الشيعة في الدلالة على أحقية علي في الخلافة ورد خلافة أبي بكر ﷺ، لأن ما اختلقه الروافض من أن عليا أنكر تقديم أبي بكر وأكره على المبايعة ـ يرى ابن خمير ـ أمر باطل وتخرص منهم، «والدليل على كذبهم في ذلك قتال علي ﷺ أهل الردة معهم، وسبيه الجارية من بني حنيفة وتسريه بها، ومنها ولده محمد، ولذلك سمي «ابن الحنفية» ليفرق بينه وبين إخوته من فاطمة ﷺ. فلو كان [علي] لا يرى إمامته لم يفعل ذلك، وحاشا علمه وورعه وفضله من ذلك»[1].

يظهر إذن أن ابن خمير يطعن على الروافض الشيعة ردهم إمامة أبي بكر معتمدا شهادة شاهد من أهلها وهو علي نفسه، إذ لم يملك ـ وقد حصل إجماع الصحابة على أبي بكر ـ إلا أن يعلن مبايعته له، وانخراطه معه في الدفاع عن الإسلام ضد المرتدين... ومعنى هذا أن ما ادعته الشيعة من ثبوت «النص» على إمامته أمر غير وارد ولا ثابت بتاتا، وإلا لكان علي أول من تشبث به، فلا «نص» في الموضوع ولا حجة لمن يقول بالنص لا على علي ولا على غيره...

ولكن العجيب أن ابن خمير ما يلبث أن يصدمنا بموقف آخر ربما يتناقض مع هذا الموقف، إذ بعد نقله لخبر تقديم أبي بكر لصلاة، ومراجعة عائشة ﷺ للنبي ﷺ في ذلك ثم رد النبي عليها بقوله: «يأبى الله ذلك والمؤمنون»[2]، نجد ابن خمير يعلق على هذا الخبر بقوله: «وفي هذه القولة تنبيه عظيم على أن خلافة أبي بكر كانت بـ«الوحي»، وإلا فمن أين كان يعلم أن الله تعالى يأبى تقديم عمر ويرضى تقديم أبي

---

(1) المراشد: (ص386).

(2) نفسه.

بكر؟»[1]. فهل نفهم من كلام ابن خمير أن خلافة أبي بكر كانت بـ «النص»، وبالتالي الاتفاق مع الشيعة في مستند تولية الخليفة والإمام وهو «**النص**»؟

إن المتأمل في النسق الفكري الأشعري يلحظ ويسجل إيمان المدرسة بقاعدة أساسية تقوم على استحالة أن يكون في العالم فاعل إلا الله؛ وذلك من حيث إن «كل حادث فالله تعالى محدثه»[2]. فكيف جعل جمهور الأشاعرة أمر «الإمامة» إلى اختيار الناس، مع أنها تندرج في إطار الحوادث لا شك في ذلك؟

إن فهم الموقف الأشعري لا يمكن استيعابه إلا بالنظر إلى جملة قواعد أخرى حاولوا من خلالها حل الكثير من الإشكالات واجهتهم في صراعهم مع الخصوم المختلفين، وخصوصا ما يتعلق منها بمعقولية التكليف، ومسؤولية الإنسان الأخروية التي تولد عنها القول بنظرية «**الكسب**». كما أن إيمان الأشاعرة بآلية «**التجاور**» المنبثقة عن تبنيهم لنظرية «**الجوهر الفرد**» التي هيمنت على بناء خطابهم كله، ودفعتهم إلى التمييز بين الفاعل الحقيقي (= الله)، والفاعل بالمجاز (الإنسان). فمن خلال هذا التمييز يصح الارتداد بـ «الإمامة» إلى الإنسان كفاعل بالمجاز، وبين الله فاعلا على الحقيقة. ولكن هل يفهم من هذا أن هناك تقاربا في العمق بين الموقف الأشعري والموقف الشيعي في «**مستند النص**» على الإمام والخليفة؟

الحق أن القول الأشعري بكون الإمامة هي في الحقيقة «**فعل الله**» لا يخرج بنيويا عن فضاء القول الشيعي فيها بـ«**النص**»؛ بالنظر إلى كون الموقفين معا يتعاليان بالإمامة إلى أن تكون نصا (الشيعة) أو فعلا (الأشاعرة) لله، فالظاهر أن هناك تقاربا في الموقفين في النظام العميق للموضوع، والخلاف يبقى سطحيا، مرتبطا بالجانب الواقعي لعملية

---

(1) المراشد: (ص386).

(2) الجويني: اللمع (ص106).

التنصيب الأول للخليفة أبي بكر، حيث كان الأشاعرة ينظرون ـ في حقيقة الأمر ـ لما تحقق من إمامة أبي بكر، أما الشيعة فكانوا ينظرون للممكن الذي لم يتحقق في ترك تنصيب علي رضي الله عنه في المنصب أولا. فكان التنصيب لأبي بكر فعلا ألهيا بحسب رؤية الأشاعرة، وكان عدم تنصيب علي إهمالا للنص الذي جاء عن الرسول من ربه[(1)].

أما عن الاختلاف والخلاف الذي يفترض أن يكون بين الشيعة والأشاعرة فيوضحه الغزالي إذ يقول: «لينظر الناظر إلى مرتبة الفريقين، إذ نسبت الباطنية نفسها إلى أن نصب الإمام عندهم من الله تعالى، وعند خصومهم من العباد، ثم لم يقدروا على بيان وجه نسبة ذلك إلى الله تعالى إلا بدعوى الاختراع على رسوله في النص على علي ودعوى بقاء ذلك في ذريته بقاء كل خلف لكل واحد، ودعوى تنصيصه على أحد أولاده بعد موته، إلى ضروب الدعاوي الباطلة. ولما نسبونا إلى أنا ننصب الإمام بشهوتنا واختيارنا، ونقموا ذلك منا، كشفنا لهم بالآخرة أنا لسنا نقدم إلا من قدمه الله...فكأنا في الظاهر رددنا تعيين الإمامة إلى اختيار (العباد)، وفي الحقيقة رددناها إلى اختيار الله تعالى ونصبه»[(2)].

هكذا يفاخر الغزالي من جهته بكون الأشاعرة ليسوا بأقل اعتبارا للتدخل الإلهي في موضوع الإمامة، وأن قول المدرسة بكونها فعلا ألهيا أقوى من موقف الشيعة الذين ذهبوا إلى أنها نص إلهي. أعتقد أنه بهذا التحليل وانطلاقا من هذه القراءة يمكن فهم موقف ابن خمير عندما أكد على أن خلافة أبي بكر كانت مستندة إلى **«الوحي» (=النص)**.

---

(1) راجع: الخطاب السياسي الأشعري:(ص 86 وما بعدها).

(2) فضائح الباطنية: (ص 178 ـ 179).

بعد هذه الوقفة مع قراءة مبحث «الصحابة والإمامة» في «مراشد» ابن خمير من زاوية عامة تتعلق به كمفكر أشعري، نتوقف في النقطة اللاحقة والأخيرة من هذا العمل لمحاولة قراءة المبحث من زاوية محلية تتعلق بالبيئة السياسية والفكرية التي عاش فيها ابن خمير.

4) خلفيات محلية في مواقف ابن خمير من مبحث الإمامة والصحابة:

لقد عاش ابن خمير في أجواء سياسية خاصة ومتميزة حكمتها التوجهات والاختيارات التومرتية؛ إذ كان ابن تومرت ـ زعيم حركة الموحدين ـ المنظر الأكبر للعصر، وكان خلفاؤه من الموحدين حريصين على الترويج لأفكاره الدينية والثقافية والسياسية الخاصة، وهي أفكار استمدها من دراسته المشرقية ومن اطلاعه على مختلف الآراء والمواقف المذهبية المختلفة هناك. وقد تميز هذا الرجل بالقدرة على التأليف بين مجموعة من الآراء المختلفة الأصول بل والمتضاربة الأسس وحتى الأغراض. وبالرغم من التأثيرات الفكرية والدينية التي مارسها ابن تومرت في الفكر المغربي، إلا أن مواقفه السياسية بل وبالأصح توظيفاته العقدية والكلامية في ميدان السياسة كانت علامة ساطعة على مذهبه التلفيقي. ولا نغالي إذا قلنا إن فكر ابن تومرت فكر «براغماتي» جمع فيه من ضروب الآراء وأنواع المعتقدات مما جعله قادرا على بناء سياسة مذهبية خاصة أمكن استعمالها في كل المجالات، واستطاع بواسطتها أن يضمن طاعة أتباعه ويكسب هيبتهم، أو على الأقل أن يضمن سكوتهم وخضوعهم القسري لتوجيهاته.

ولعل من أخطر ما أسس ابن تومرت عليه نظريته السياسية قضية «**المهدية**» وقضية «**العصمة**» ـ التي تهمنا هنا بصورة أكبر ـ. إذ قرر ابن تومرت لأتباعه ـ على المستوى

النظري ـ أن الإمـام هو الذي يتوقف عليه تحقيق العدل، ويلزم أن يكون معصومـا من كل أنواع الباطل والضلال والبدع ومن العمل بالجهل «فلا يـصح الاتفـاق إلا بإسـناد الأمور إلى أولي الأمر، وهو **الإمـام المعصوم من الباطل والظلم**»[1].

نعم اعتمد المهدي هذه الوسيلة التي تعلـن عـن الطـابع الـسياسي لدعوتـه معتمـدا للأصلين العقديين اللذين استقاهمـا من **الفكر الشيعي**، حيث استفاد من تعلق المغاربـة بـ «**البيت النبوي**» من أجل التمكن من قلوبهم وكسب حبهم وتقـديرهـم[2]. واسـتدل المهدي على ذلك بأن الإمـام مهمته مقاومة الباطل والظلم وتحقيـق العـدل والمـساواة، وبمـا أن الباطل والظلم لا يرتفعان إلا بالحق والعـدل فقـد وجـب أن يكـون الإمــام **معصومـا** من الباطل والظلم حتى ينتشر الحق بالعدل[3].

وقد ذهب بعض المتخصصين في الفكر التـومرتي إلى أن العـصمة في الفكـر النظـري للرجل لا تشترط عنده إلا في جانبين: جانب عـصمته مـن الباطـل (أي عـصمة آرائـه ومبادئه وتعاليمه بحيث لا يدخلها كذب ولا جهل ولا ابتداع)، ثم جانب عصمته من الظلم (أي عصمته من الفساد والتعدي على حقوق الرعية)[4]. ومعنى هذا أن مـا ذكره ابن خلدون من أن المهدي وافق الإمـامية من الشيعة في القول بـ «**الإمـام المعصوم**» غير صحيح لأن موقع العصمة عنده يأتي في درجة أقل من العصمة التي نـادى بهـا الـشيعة (والتي تحتم اتصاف الإمـام بالعصمة الشاملة المطلقـة)، أمــا المهـدي فكـأن العـصمة عنده ـ على حد قول هؤلاء ـ تتسع لبعض الأخطاء والمعاصي في غير المجالات المتعلقة بالباطل والظلم. ويفهم من هذا أن معنى العصمة عنده ليست «إلا تعبيرا عن الشروط

---

(1) أعز مـا يطلب (كتاب العصامة): (ص 295).

(2) المعجب، ضبط: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي: (ص 275).

(3) أعز مـا يطلب: (ص 244–245).

(4) المهدي ابن تومرت: (ص49)، الإمـامة عند ابن تومرت: (ص175).

التي اشترطها **أهل السنة والمعتزلة** في الأئمة، ولكنه تعبير اكتسى صبغة الغلو بفعل القسوة في الأحداث التي أحاطت بابن تومرت في دعوته»[1].

إنه بالرغم من الفهم الخاص الذي قدمه هؤلاء الباحثون عن الفكر السياسي لابن تومرت، إلا أن الانطباع السائد عند كل من اطلع على أحداث حياة المهدي وتتبع مواقف خلفائه وأنصاره يجد بأن المهدي كان يدعو إلى **عصمة** للإمام مختلفة كثيرا عن الصورة المعتدلة التي حاول «النجار» وغيره تبريرها، لأن التصور التومرتي للعصمة يجعل من المعصوم إنسانا فوق مرتبة البشر العادي، ولا شك أن المهدي - رغم محاولته النظرية تلافي التورط في اقتباس المفاهيم الشيعية للعصمة - إلا أنه على المستوى الواقعي والعملي كان يكرس هذا المفهوم، وكان يجسد معاني التميز في شخصه ويحاول أن يظهر لأتباعه بأنه إنسان فوق الناس.

وقد تفنن المهدي في ابتكار وسائل التحايل من أجل بث معاني التقديس لشخصه والهيبة والإعجاب في نفوس أصحابه بقصد دفعهم إلى الاعتقاد بعصمته ومهدويته، لذلك آمن عدد غير قليل منهم بأنه إنسان «معصوم» لا بالمفهوم النظري الضيق الذي تبناه «النجار» وغيره بل بمفهوم أوسع وأخطر.. وأكتفي في هذا المقام بالإحالة على كتاب «أخبار المهدي» للبيدق وكتاب «نظم الجمان» لابن القطان لاكتشاف الصورة الحقيقية التي كان أتباع المهدي ينظرون بها إليه، والمرتبة العالية التي كانوا يضعونه فيها؛ إلى درجة صار بعضهم معها إلى سرد أخباره كما يراها إنسان أسلم العنان لشيطان الخيال مخلطا الحقيقة بالأسطورة ومازجا الواقع بالدجل، حتى أضحى سرد البيدق

---

(1) راجع: النجار، المهدي: (ص250)، وانظر أيضا: علام: الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي: (ص297).

وابن القطان عملا خرافيا يبدو فيه تغلغل الفكر الشيعي والشطح الصوفي وتحايل المشعوذين.

لقد عاشت فكرة **العصمة** بعد وفاة المهدي طويلا مع دعوة المهدية يدا في يد، وقد قام عبد المؤمن بن علي بالدفاع عنها وتأكيدها عند أتباعه من الموحدين، ونادى بأنه «**من لم يؤمن بعصمة المهدي ومهديته التي قامت عليها البراهين فهو كافر مجسم**».

وهكذا عرفت فكرة **المهدية** وفكرة **العصمة** في عهد ابن خمير احتفاء خاصا وعناية متميزة سواء من طرف الحكام أو من طرف المتزلفين من العلماء الذين احتضنوها ودافعوا عنها وحملوا العامة والخاصة على الإيمان بها واعتقادها[1]، فصارت المواقف المتعلقة بإمامة المهدي وعصمته مما لا يجوز الاعتراض عليها لأنها من «**ثوابت الدولة**» والمقدسات التي أقامت عليها إيديولوجيتها. وهكذا صار الخلفاء الموحدون يقاومون كل معارضة لمواقفهم فيها إلى درجة أن أحد خلفائهم ـ ممن كان مهوسا بالمهدي وعصمته ـ لم يتردد في قتل ابن الصغير الذي رد على خطيبهم في خطبته حين فاه باسم المهدي وعصمته، فرفض أشياخ الموحدين ذلك وأبوا إلا قتله، فغلبوا على أمره وقتلوه خوفا أن يقول ذلك غيره فتختل عليهم القاعدة التي بنوا دولتهم عليها[2].

إن أقوى دليل على أن العصمة التي أراد المهدي والموحدون أن يبثوها بين الناس هي عصمة أبعد ما تكون عن العصمة بمعناها اللغوي ـ أي بالمعنى الذي ذكره النجار وغيره آنفا ـ وبالتالي أبعد ما تكون عن المعاني التي اشترطها أهل السنة والمعتزلة في الأئمة، هو الاعتراف الواضح الذي ورد على لسان واحد من خلفاء الموحدين المتأخرين، الذي جاهر بإنكار عصمة المهدي ـ وأقصد به المامون (حكم من: 624 إلى

(1) راجع: النجار: المهدي: (ص 404).
(2) الاعتصام (2/ 276).

629هـ) ـ الذي يقول: «إذا كانت العصمة لم تثبت للصحابة فما الظن بمن لا يدري بأي يد يأخذ كتابه، بل هم ضلوا وأضلوا، وتلفوا في ذلك وزلوا، ما تكون لهم الحجة على تلك الحاجة. اللهم اشهد أننا تبرأنا منهم براءة أهل الجنة من أهل النار»[1]. فهل بعد هذا الاعتراف من كلام؟ وهل بعد شهادة أحد الموحدين الكبار من دليل؟

لقد كان الخوض في النظرية السياسية ـ على عهد ابن خمير ـ إذن تعتوره المغامرة والمجازفة بالحياة، ومن هنا فقد التجأ الكثير من الباحثين في علم الكلام إلى حذف مبحث الإمامة وما يرتبط به من كلام عن الصحابة وخلافتهم من بحوثهم العقدية اجتنابا لكل ما يمكن أن يسقطهم في متابعات سلطوية أو في نفاق عقدي، بحيث يلتجأ الباحث إلى الدفاع عن مواقف عقدية وسياسية لا يؤمن بها...

وقد استشعر ابن خمير هذا الخطر المحدق به أثناء تأليفه لـ «مقدمات المراشد»، لذلك اكتفى في المباحث المتقدمة بالإشارة ـ وبأسلوب فيه بعض التحايل ـ إلى عدم رضاه عن الاختيارات السياسية للبلاد، وعندما اضطر إلى مواجهة المسألة السياسية ـ التي جرت العادة أن تختتم بها كتب العقائد ـ اندفع إلى القول بأن «الكلام في الإمامة.. ليس من أصول الاعتقاد، ولا يطلب بالنظر في إثباتها لمستحقها العوام، وإنما المطلوب بذلك الخواص من أهل الحل والعقد، والخطر على من يدلك في كل تفاصيلها أشد من الخطر على من يجهل أصلها، لأنه يؤدي إلى التعصب والميل وتعدي حق الله»[2].

بهذه الطريقة «الذكية» حاول ابن خمير أن يبرر عدم توسعه في المباحث السياسية المتعلقة ب**الإمامة** كما عرضها الكثير من الأشاعرة قبله وبعده، فالسياسة، كما

(1) المغرب عبر التاريخ: (1/ 321).

(2) المراشد: (ص 102).

يقول، هي من اختصاص أهل **الحل والعقد** ولا تهم المبتدئين من الطلبة الذين وجه كتابه إليهم، كما أنها ليست من شأن العامة، وهناك خطر -يقول ابن خمير- في الاستدلال عليها، وهذا هو المهم والسر الكامن في الإعراض عن الخوض في مباحثها، لأن «الخطر على من يدلك في كل تفاصيلها أشد من الخطر على من يجهل أصلها»[1].

نعم يعترف ابن خمير بالخطر المحدق بالعلماء الذين بحثوا في السياسية من الوقوع في الغلو والتعصب، (وهذا أمر يذكره جميع الأشاعرة)، ولكن هناك خطرا محليا يتعلق بالباحث المغربي في العقيدة على عهد الموحدين، لاسيما إن كان باحثا من أهل سبتة، مثل مفكرنا ابن خمير، لأن السبتيين خصوا وتميزوا من بين أهل المغرب بالتمرد على الموحدين، وقد عرفنا بأن السبتيين رفضوا التعامل مع هذا النظام، كما عرفنا بأن الموحدين وجهوا اهتماما خاصا لترويض السبتيين، وقد أجهد عبد المؤمن كتابه ووزراءه في بعث الرسائل والنداءات إلى أهل هذه المدينة من أجل تألفهم وتخويفهم ومنعهم من الخروج عن الطاعة.

لقد كان ابن خمير يستحضر كل هذه الظروف والحيثيات أثناء تأليفه لـ «المراشد»، ولهذا اكتفي بالبحث في الجانب السياسي المرتبط بالإمامة بأقل القليل، متفاديا الخوض في القضايا المتعلقة باختيار الإمام وشروطه، ومنها شرط «**العصمة**»...إلخ مجنبا نفسه الدخول في نقاش عبثي قد يثير عليه رجال السلطة ويؤلب عليه الخصوم، ولهذا اكتفى بتوظيف الكلام في «**الصحابة**» والبحث في المراحل الأولى من مراحل تكوين الدولة الإسلامية أيام الراشدين من أجل تمرير رسائله إلى الموحدين.

---

(1) المراشد: (ص 102).

ولعل في ردود ابن خمير على الشيعة وفي إثارته الانتباه إلى الغلو الذي طبعت به آراؤهم لا في السياسة فحسب، ولكن أيضا في القول بالتجسيم وفي تكفير الصحابة وفي الطعن في الشريعة عموما، تلميحا وردا غير مباشر على من اقتبس من آرائهم أو استعار بعض اصطلاحاتهم لتوظيفها في مجال العقيدة الإسلامية، وعلى رأس من نهج هذا النهج المهدي ابن تومرت زعيم الموحدين.

إنه لما كان من الخطر ومن المغامرة مواجهة أفكار المهدي صراحة والإعلان بانحرافه فيما ادعاه من العصمة والمهدية في بيئة ابن خمير المحاطة بأعين الموحدين، فقد حاول هذا السبتي بذكاء نسف المشروع السياسي النظري والتطبيقي لابن تومرت من خلال فضح ودحض الآراء التي اعتمدت في تأسيس هذا الفكر وهي الآراء الشيعية. وهو عمل ـ في حد ذاته ـ شجاع اضطلع به ابن خمير الذي أبى أن يعطي المشروعية للدولة الحاكمة معبرا عن مواقف السبتيين الذين كان يجمعهم الاعتراض على الموحدين بفعل الاصطدامات التاريخية ونظرا لتنكيلهم برمز المدينة القاضي عياض خلال مرحلة احتلال سبتة، ولكن قبل هذا وذاك لاعتناقهم بعض العقائد التي آمن به الخصوم من الشيعة الروافض الذين حكم عليهم في «مراشده» بالمروق عن الإسلام.

وبعد: فإن هذا العمل حاول أن يقوم بقراءة في مبحث «الصحابة» و«الإمامة» من خلال كتاب «مقدمات المراشد» لابن خمير السبتي الأشعري المغربي، وعالج الموضوع من خلال مباحث أربعة:

- المبحث الأول تعلق بمبررات إدراج البحث في الصحابة ضمن كتب العقائد، منتهيا إلى أن اللحظة التي أعقبت تنصيب «علي» للخلافة ثم ما جاء بعد ذلك باستشهاده، كانت لحظة حاسمة في تطور الصراع حول الإمامة لتصبح خلافا دينيا بالدرجة الأولى، لا سيما عندما قال الشيعة بـ «النص والوصية»، فتحول الموضوع «أصلا عقديا» بعدما كان «خلافا سياسيا».

➢ المبحث الثاني عنون بـ «مكانة الصحابة ومرتبتهم عند ابن خمير ومدرسته الأشعري»، تعرضنا فيه لموضوع تعريف «الصحابي» الذي قفز عليه ابن خمير، ووصلنا إلى نتيجة مفادها أن وظيفة التعريف لم تكن لتحقق أهدافها في عملية الجدال الكلامي، لأن الخلافات السنية الشيعية تجاوزت الحدود التي يضبطها التعريف إلى دائرة مست أبرز الصحابة الكرام...

وخلال هذا المبحث قمنا بإبراز موقف ابن خمير من عدالة الصحابة وأفضليتهم حيث تبين أنه اكتفى بذكر المتفق عليه في المدرسة مع مناقشته للآراء المخالفة لا سيما آراء الخصم الرافضي..

➢ وفي المبحث الثالث تمت معالجة جملة من القضايا: القضية الأولى تهم البحث في طبيعة الإمامة بين الفقه والأصول عند الأشاعرة، حيث توصلنا إلى نتيجة مضمنها أن الأشاعرة رغم إعلانهم «ظاهرا» بأن الإمامة ليست من «الأصول العقدية» وليست من «اللابديات المهمة» في الشأن الكلامي، إلا أنهم وفي ظل الظروف التي تأسس فيها المذهب، وأخذا بعين الاعتبار لعلاقات أعلامهم بالسلطة الحاكمة، يمكن الجزم بكون الموضوع كان من أساسياتهم الكلامية التي لم تؤثر في الجوانب السياسية للمدرسة فقط، ولكنها أثرت كذلك في المواقف العامة المشكلة لنسقية المذهب.

ومن جانب آخر أثبتنا في قضية ثانية بالمبحث ما وجدنا من تصريح لابن خمير بأن إمامة أبي بكر كانت بـ «**الوحي**» أي بالنص، وهو موقف يتوافق ظاهرا مع الرأي الشيعي في اعتبار النص في عملية الاختيار هو الوسيلة الأساسية، فحاولنا إبراز الكوامن التي دفعت ابن خمير إلى إعلان هذا الموقف الذي أيده التوجه العام للأشاعرة وآراؤهم ـ لاسيما الغزالي ـ إذ أقروا بأن اختيار الخليفة مرتكزه «فعل الله»..

➢ وفي المبحث الأخير وقفنا مع الخلفيات المحلية المغربية في قراءة مواقف ابن خمير من الصحابة والإمامة، فتبين لنا أن تقليص الكلام في الموضوع السياسي لدى ابن خمير وقفزه عن الخوض في بعض قضاياه، خاصة ما تعلق منها بالإمام وشروطه، كانت وراءه دوافع محلية تتعلق بموقفه من الموحدين الذين تبنوا آراء ابن تومرت ودافعوا عنها وحاربوا كل من يخالفها، خصوصا في دفاعهم عن القول بـ «المهدية» و«العصمة» التي ادعاها ابن تومرت، فاعتبرت من ثوابت النظام الدينية بعد ذلك...



فهرس المصادر والمراجع

➢ الإدريسي علي: الإمـامة عند ابن تومرت، ط: ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر:1991م.

➢ الإسفراييني: التبصير في الدين، تحقيق: كمـال يوسف الحوت، ط: 1 عالم الكتـب، بـيروت: 1403/1983م.

➢ الألباني: صحيح سنـن أبي داود، ط: 1 المكتب الإسلامي، بيروت: 1409هـ

➢ الألباني: صحيح سنن النسائي، ط: المكتب الإسلامي، بيروت: 1401هـ

➢ الألباني: ظلال الجنة في تخريج أحاديـث الـسنة»، (مطبـوع مـع كتـاب «الـسنة» لابـن أبي عاصم)، ط: المكتب الإسلامي، بيروت: 1419هـ

➢ الإيجي: المواقف في علم الكلام، ط: عالم الكتب، بيروت، (د ـ ت).

➢ الآمدي: غاية المرام في علم الكلام: تـح: أحمـد فريـد المزيـدي، ط:1 دار الكتـب العلميـة، بيروت: 1424هـ/ 2004م.

➢ البخاري: الصحيح، (ضمن فتح الباري)، ط: دار الفكر، بيروت (د ـ ت).

➢ البغدادي: الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محيي الدين عبـد الحميـد، ط: المكتبـة العـصرية للطباعة والنشر، بيروت: 1411/1990م.

➢ البيدق: أخبار المهدي، ط: دار المنصور، الرباط/1971م.

➢ ابن تومرت: أعز مـا يطلب، تحقيق: عمـار طالبي، ط: المؤسسة الوطنيـة للكتـاب، الجزائـر: 1982م.

➢ الجويني عبد الملك: الإرشاد، تحقيق: أسـعد تمـيم، ط: مؤسـسة الكتـب الثقافيـة، بـيروت: 1405/1985م.

➢ الجويني: فضائح الباطنية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافيـة الكويـت (د ـ ت).

- الجويني: لمع الأدلة، تحقيق: عبد العزيز السيروان، ط: دار لبنان للطباعة والنشر: 1987/1408م.
- الحاكم: المستدرك، تحقيق: محمود مطرجي، ط: دار الفكر، بيروت: 2002/1422م
- ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: طه محمد الزيتي، ط: 1 مكتبة الكليات الأزهرية، (د – ت).
- حركات ابراهيم: المغرب عبر التاريخ: ط: دار السلمي، البيضاء: 1965م.
- ابن خلدون: التاريخ، ضبط: خليل شحاذة، ط: 3 دار النهضة، القاهرة: 1401هـ.
- ابن خمير: مقدمات المراشد في علم العقائد، ط: مطبعة الخليج العربي، تطوان: 1425هـ/2004م.
- أو داود: السنن، إعداد: عزت دبيس الدعاس، وعادل السيد، ط: دار الحديث، حمص: 1974م.
- داود محمد: تاريخ تطوان، ط:2، مطبعة مكتبة كريماديس، تطوان (د–ت).
- ابن أبي زيد: الرسالة: ضمن شرح البغدادي عليها، ط: دار الكتب العلمية، بيروت 2002/1423م.
- السلالجي: العقيدة البرهانية، تحقيق: جمال البختي، ط: مطبعة الخليج العربي، تطوان: 2008/1429م.
- الشاطبي: الاعتصام، ط: دار الفكر، بيروت: (د ـ ت).
- شقور عبد السلام: القاضي عياض الأديب ـ الأدب في ظل المرابطين، ط: مطبعة دار الأمل، طنجة/1983م.
- الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق: عبد العزيز الوكيل: ط: دار الفكر، بيروت" (د ـ ت).
- الشوكاني: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي اليماني، ط:دار الكتب العلمية، بيروت: (د – ت).

- الصغير عبد المجيد: دراسة بمجلة الاجتهاد، بعنوان: الخطاب الأشعري، ع: 19، س:5، ربيع 1413/1993هـ.
- ابن الصلاح: المقدمة، تحقيق: عائشة عبد الرحمن، ط: دار الكتب العلمية، بيروت: (د– ت).
- العراقي الحافظ: التبصرة والتذكرة، ط: دار الكتب العلمية، بيروت (د – ت).
- علال البختي جمال: الفكر العقدي في المغرب بين السلفية والأشعرية، أطروحة توجد مرقونة بكلية الآداب بالرباط.
- علام عبد الله: الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي، ط: دار المعارف، القاهرة: 1971م.
- العلوي سعيد بنسعيد: الخطاب الأشعري، مساهمة في دراسة العقل العربي، ط: دار المنتخب العربي، بيروت: 1992/1412
- عمارة محمد: تيارات الفكر الإسلامي، ط: دار الشروق،1991م.
- عمارة محمد: المعتزلة وأصول الحكم، ط: دار الهلال، القاهرة: 1984م.
- عياض (الابن): التعريف بالقاضي عياض، تحقيق: محمد بن شريفة، ط:2 فضالة المحمدية 1982م (الأوقاف).
- القصري عبد الجليل: شعب الإيمان، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط: دار الكتب العلمية، بيروت: 1995/1416م.
- الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية، بيروت1403هـ/1983م.
- الكليني: الكافي، ط: دار الأضواء، بيروت: 1985/1405م.
- مبروك علي: الخطاب الأشعري السياسي، ط: رؤية للنشر والتوزيع: القاهرة: 2007م.
- المراكشي: المعجب، ضبط: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، ط: 7 دار الكتاب، البيضاء: 1978م.

➢ مسلم: الصحيح، ط: بعناية محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت: 1983م.

➢ مظفر محمد رضا: عقائد الإمامية، ط: النجف، دار النعمان.

➢ النجار عبد المجيد: المهدي ابن تومرت، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت:1983/1403م.

➢ النسائي: السنن، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت: 1409هـ

➢ الناصري: الاستقصا:ط: دار الكتاب، البيضاء: 1954م.

➢ النووي : التقريب، تحقيق: عرفان العشا، ط: دار الفكر: 1993/1414م.

➢ يعقوب أحمد حسين: نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام المستبصر: في الموقع: www.shiaweb.org/books/adalat_alsahaba/index.htm

➢ اليفرني أبو الحسن: المباحث العقلية في شرح معاني العقيدة البرهانية، مخطوطة الخزانة الحسنية، رقم: 11174.

الصحابة الكرام في التراث السوسي

د. المهدي السعيدي

مُلَخّص البَحْث

يتناول هذا العرض الصحابة الكرام، رضوان الله عليهم، كما وردوا في تراث المغرب عامة وعلماء سوس وفقهائها من مؤلفات علمية وأدبية وإبداعات شعرية ونثرية، وكيف أُحيطوا بالتبجيل والاحترام واتُّخذوا قدوة ونموذجا يُحتذى، تطبيقا لأمر رسول الله ﷺ في احترامهم وتقديرهم.

ولا يقتصر الأمر في هذا العرض على التراث العربي وحده بل يضاف إليه التراث الأمازيغي المتجلي في تراجم العلماء للكتب الشرعية في المواعظ والرقائق المعبرة كلها عن توحُّد وجدان المغاربة في التعلق بشريعة الإسلام ومحبة النبي ﷺ، وتبجيل صحابته بالرغم من اختلاف طريقة التعبير ولسانه.

الباحث في سطور

الدكتور المهدي السعيدي esaidi@gmail.com

- من مواليد عام 1966م بإقليم تزنيت.
- أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن زهر بأكادير.
- دكتوراه الدولة بأطروحة حول أدب الرسائل بالمغرب في القرن 14 الهجري.
- عضو اللجنة التربوية الجهوية للتعليم العتيق بوزارة الأوقاف.

من أعمـاله العلمية المنشورة:

- المدارس العتيقة بالمغرب وإشعاعها العلمي والأدبي.
- وله أزيد من 100 بحث وعرض ومقال تركزت حول الـتراث المغـربي والتـاريخ والكتاب المخطوط، منها دراسـات وأبحـاث حـول الـتراث الـشعبي والتـاريخ والثقافة المـحليين، والفكر المغربي وأعلامه نشرت بـمجلات مغربية، وأبحاث فكرية بمجلات عربية.

غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] تشلحيت [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد

بسم الله الرحمان الرحيم [illegible]

ايـ[illegible] لكتاب [illegible]

الغزوات ـــ أسيدي رسول الله

خمس وعشرين كيسنت أدون أهل الله

ربنا أوغ سكيس لهجر كيات

العام تغتل خصغن الامنت

اتبعن غلاحداث زكرين تسكيس

ايزيد المستمح لانوار الا سفوس

البار مولانا صل سلم على

سيدنا رسول الله أخيرا أولا

دلا فلت غ بلادرس امسلمن اجمعين

رحت أذ رحان غد الايو الذين

آشكس ازورن غلهج نسنغ

تراخير علمدين نسلاسر شرت

اتحكيس لسيد تقبدا أولا

[illegible]

مُقَدِّمَة

دخل الإسلام المغرب على يد الفاتحين العرب وما لبث المغاربة أن اعتنقوه لما رأوا فيه من قيم العدالة والحق، وصفاء عقيدة التوحيد، فتشبثوا به وأنشأوا الأجيال على التعلق بعقيدته، وبالقرآن الكريم ومحبة النبي ﷺ، وتبجيل صحابته الذين حملوا معه لواء الدين وجاهدوا معه حتى بلّغ الرسالة وأدى الأمانة، وقد تأسى المغاربة في ذلك بهدي النبي ﷺ، في احترام الصحابة وتقديرهم إذ منهم كتبة الوحي ومفسرو القرآن والعلماء والصالحون المجاهدون.

أما منطقة سوس التي شهدت نهضة علمية منذ القرون الإسلامية الأولى تجلت في نبوغ العلماء الكثيرين وازدهار المدارس وكثرة التآليف[1]، فقد رسخت فيها العقيدة الإسلامية التي اعتز بها المغاربة وناضلوا دونها المذاهب المنحرفة والأفكار الضالة المنتشرة بالمنطقة قبل القرن الخامس للهجرة، ممثلة في الشيعة البجلية المتمركزة بتارودانت ثم بجبال الأطلس الكبير[2]، ثم ملة البورغواطيين التي امتدت إلى المنطقة مدعومة بقوة إمارة تامسنا[3]، إضافة إلى انتشار أفكار الخوارج المستبدين بسجلماسة ردحا من الزمن[4]، غير أن حركة الإصلاح المالكي التي قامت في القرن الخامس الهجري وما نتج عنها من قيام دولة المرابطين بزعامة عبد الله بن ياسين التمنارتي

(1) انظر: سوس العالمة، محمد المختار السوسي.

(2) الفصل في الملل والنحل، ابن حزم(4/ 140).

(3) انظر: من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب في العصر الإسلامي، سحر السيد عبد العزيز سالم. وسوس العالمة لمحمد المختار السوسي.

(4) الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع، محمود إسماعيل عبد الرزاق، (ص:122 وما بعدها).

الجزولي[1]، أعادت الأمور إلى نصابها فقضت على مظاهر الخلل العقدي ووحدت المغرب تحت لواء السنة والفقه المالكي[2].

وقد عمل العلماء والفقهاء على إعادة الناس إلى مذهب السنة والجماعة، فعكفوا على محاربة بقايا الأفكار المنحرفة في النفوس بتصحيح العقائد وتعليم العبادات والمعاملات، فلم ينقض إلا زمن قليل إلا وقد انمحت مظاهر تلك المذاهب من النفوس وانقرضت من الأفئدة، وصارت نسيا منسيا ولم تعد تذكر إلا في كتب التاريخ ومصادر الأخبار[3].

ومن أبرز ما ركز عليه الدعاة والوعاظ والعلماء تمييز مكانة الصحابة الكرام وبيان فضلهم على الدين وعلى القرون التي جاءت بعدهم من أهل الإسلام، وقد اتخذوا لذلك عدة وسائل أبرزت هذه الجهود وعبرت عن المحبة والتقدير المكين الذي كان لهذه الفئة المنيفة. فنتج عن ذلك إجماع المغاربة على تبجيل الصحابة واحترامهم والاعتراف بفضلهم في نشر الإسلام وعقيدته وسماحته وتحقيق مجتمع الإسلام المثالي في كل جوانبه العقدية والعملية، وقد تجلى ذلك الاحترام والتبجيل في عدة مظاهر اجتماعية وعلمية وأدبية، يمكن أن نميزها في منطقة سوس على النحو التالي:

---

(1) انظر ترجمته في المعسول(11/ 39).

(2) ينظر المهدي بن محمد السعيدي: حركة الإصلاح المالكي في القرن الخامس للهجرة ودور وكاك بن زلو اللمطي خلالها، مجلة التاريخ العربي، العدد 49 صيف 2009.

(3) كان ذلك بفضل حركة تعليمية نشيطة تمثلت في تأسيس المدارس في القرون 6 و7 و8، انظر المدارس العلمية العتيقة وإشعاعها الأدبي والعلمي بالمغرب، المدرسة الإلغية بسوس نموذجا (ص:25 وما بعدها)، للمهدي بن محمد السعيدي.

1- المظاهر الاجتماعية:

مما لاشك فيه تعبير المجتمعات عن معتقداتها وتصوراتها من خلال عاداتها وتقاليدها الراسخة، ولما كان للسوسيين من اعتقاد فطري في التوحيد وإيمان بصدق رسالة النبي ﷺ، واتباع لنهج السلف الصالح في تقدير الصحابة الكرام وتبجيلهم، فقد برز ذلك لديهم في مظاهر اجتماعية منها:

- **التسمية بأسماء الصحابة:** وخاصة منهم الخلفاء الراشدين، فتأتي في المرتبة الثانية بعد اسم النبي ﷺ وتحويراته، فانتشرت أسماء عمر وأبي بكر وعثمان وعلي، وخالد وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعمرو، ومن أسماء النساء زينب ورقية وخديجة ونفيسة وفاطمة (باشتقاقاتها الكثيرة) وحواء (وقد حرفت إلى حُكّا)[1] وحبيبة وحفصة وعائشة، ولم تقتصر هذه الأسماء على الأعلام الشخصية فحسب بل شملت الأسر والقبائل والجماعات التي انتسب كثير منها إلى أسلاف حملوا أسماء الصحابة من ذلك، أيت علي وأيت بوبكر وأيت سعيد وأيت سعد وأيت عمرو وإيد طلحة (بمدينة تزنيت وقد حورت الطاء ضاء فعرف هؤلاء بإيد ضلحة) . وما ذلك إلا نتيجة لانتشار فكرة محبة الصحابة والتعلق بهم.

- **احترام سلالة الصحابة:** احتفى المغاربة بآل البيت وأحبوهم وعظموهم تقديرا لمكانة النبي ﷺ في نفوسهم، ووقوفا عند أمره تعالى بتقديرهم واحترامهم[2]، وقد برز ذلك جليا في مبايعة المغاربة إدريس الأول عندما قدم من المشرق فارا لاجئا إليهم

---

(1) تجاوز هذا الاسم الأفراد فصار علما على حلف قبلي عظيم هو حلف تاحكّات مخالف لحلف تكوزولت، يراجع حولهما: إيليغ قديما وحديثا، لمحمد المختار السوسي (ص238).

(2) كما ورد في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا اِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ سورة الشورى: الآية 21-23.

فآووه ونصروه وارتضوه أميرا عليهم، وكان ذلك حالهم مع أولاده وحفدته إلى أن انقرضوا، ثم وقفوا الموقف نفسه مع الشرفاء السعديين ثم العلويين. وقد تمكنت هذه المحبة للسلالة النبوية الشريفة عند السوسيين بسبب آصرة العقيدة ونبعة الإيمان، وكانت سبب احتفائهم بكل من كانت له صلة بالنبي ﷺ مثل صحابته الكرام وسلالتهم التي وصلت إلى المغرب واستقرت به، فعظموها وأكرموها وبجّلوها، ورد في بعض مشجرات أنساب الأسر المنتمية إلى الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه: «هنيئاً لمن انتظم في سلك هذا النسب العجيب الفائق الجامع للأوداء الرائق الطيب أصله وفرعه الزاكي بذره وزرعه، وقد حازوا شرف الدارين ببركة جدهم الصالح ذي النورين، وقد سرى إليهم الصلاح ويرجع لهم ببركته الفلاح، لا غرو أن يسري صلاح الأب لنسله وتلوح مخائل الليث في شبله، وقد ظهر ذلك فيهم؛ لأن فيهم العلماء الأكابر العاملين والأفاضل الصالحين والأولياء المتقين، فيجب توقيرهم وتعظيمهم والإحسان إليهم وإكرامهم لقول بعض العلماء الثقات: وكان من الواجب إكرام أولاد الصالحين والاعتناء بهم والإحسان إليهم حسبما استنبط من قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحاً ﴾[1] فكيف أولاد الشهداء؟ وكيف أولاد الصديقين؟ وكيف أحفاد التابعين؟ وكيف أحفاد الصحابة؟ وكيف أحفاد الخلفاء؟ كل واحد من هؤلاء أفضل ممن قبله بأضعاف لا تنحصر»[2].

وورد في مشجر نسب آخر، قول أحد المنتمين إليه، وقد وقف على اتصال نسبه بذي النورين معبرا عن سروره وفرحه الغامر بذلك الانتماء:

(1) سورة الكهف: الآية 82.

(2) المعسول (5/ 27).

«وقد كنت قبل هذا الزمان سائلاً عن نسبنا وبحثت عن فرعنا وأصلنا حتى وجدته بفضل الله متصلاً بأحد الخلفاء الأربعة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وعن جميع الصحابة، فكاد قلبي يطيش فرحاً، وجسمي يسيل حباً له ومدحاً»[1].

وقد استقرت بسوس أسر كثيرة يرفع نسبها إلى الصحابة الكرام مثل:

× **البكريين**: حفدة أبي بكر الصديق ومنهم أسر علمية عظيمة كالأسرة التمنارتية التي منها الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم الشيخ التمنارتي المتوفى في القرن 10 للهجرة[2]، ومن سلالته الشاعر المفلق الطاهر الإفراني[3]، وابنه البشير بن الطاهر الذي ما يزال لهجا بالشعر محبا له، ومنهم الجشتيميون[4] العلماء العظام ومنهم أبو العباس أحمد الجشتيمي الإمام الراتب للسلطان الحسن الأول، وهو شاعر فقيه مفت مشهور[5].

×**والعثمانيين**: ومنهم أقدم أسرة علمية معروفة بسوس نبغ أحد أجدادها منذ القرن الرابع الهجري وقد استقرت بأگرسيف بقبيلة أمانوز، ومن سلالته علماء كثيرون نافوا على الثلاثمائة، نبغوا في علوم الشرع والقرآن والقراءات[6].

×**والعمريين**: منهم الأسرة الوسائية الرندية الأندلسية أصلا والسوسية مستقرا وجدها عبد الرحمن الرندي المشهور بوَسّاي دفين ماسة[7]، ومنهم الأسرة التاموديزتية، ومن أعلامها عمرو بن أحمد المشهور بالمفتي(ت968هـ) أخذ عن

---

(1) المعسول (17/ 43-44).

(2) انظر حوله المعسول (7/ 10).

(3) المعسول (7/ 68).

(4) انظر تراجم علماء هذه الأسرة في المعسول (6/ 10) وما بعدها.

(5) انظر التعريف به في المعسول(6/ 83).

(6) انظر التعريف بهذه الأسرة المعسول (17/ 63).

(7) المعسول (16/ 238).

الونشريسي وابن غازي[1].

×**والعلويين**: ومنهم أسرة عديدة متعددة أكثرها إدريسي النسب، كالوگاگيين الذين ينتمي إليهم وگاگ بن زلو اللمطي[2]. والإغرابوئيين الأندلسيين أصلا البعقيليين مستقرا[3].

×**والجعفريين**: مثل الإيسيين والحامديين والسيموريين الباعمرانيين والمباركين الأقاويين[4].

×**والأيوبيين الأنصاريين**: أحفاد أبي أيوب الأنصاري المستقرين بقرية گدورت بقبيلة إيسي[5].

×**والعوفيين**: أحفاد الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي[6].

×**والعكاشيين**: ذكر محمد المختار السوسي أن أبناء الأسرة العلمية العدانية التي كانت مستقرة بقرية أگني إيعدان يرفعون نسبهم إلى عكاشة بن محصن الصحابي الجليل، قال: «أگني إيعدان يوجد في منازل أيت موسى أحد أفخاذ مجاط، قرية مر فيها علماء، وكانت فيها مدرسة قديمة، تدرس فيها العلوم. هذه الأسرة التي رفعت فيها راية المعارف تنتسب ـ فيما يقول العدانيون ـ إلى عكاشة الصحابي الشهير»[7].

---

(1) المعسول (8/ 150).

(2) نفسه (11/ 30).

(3) نفسه (11/ 81).

(4) إيليغ قديما وحديثا (ص: 8).

(5) نفسه (ص: 4).

(6) نفسه (ص: 10).

(7) المعسول (18/ 144).

ومقابل محبة الصحابة وتبجيل سلالتهم، ذم السوسيون من عاداهم وكرهوه، وكانوا ينسبون أراذل الناس وسفلتهم إلى من اشتهر بالإساءة إلى الصحابة مثل عبدالرحمن ابن الملجم قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، معتبرين ذلك أقسى ما يمكن أن يوصف به إنسان[1].

❁ نسبة بعض المغاربة الأقدمين (الأمازيغ) إلى الصحابة:

بلغ من حب السوسيين للصحابة رضوان الله عليهم أن راجت روايات شفوية سرعان ما جعلها بعض المقيدين حقيقة واقعية دافعوا عنها بكل وسيلة، ومفادها أن طائفة من المغاربة الأوائل قد رحلوا إلى المدينة المنورة وأسلموا على يديه وعادوا إلى بلادهم مبشرين قومهم ومنذرين، وهم سبع إخوة عرفوا بالركراكيين، وقد ألفت كتب ورسائل في إثبات صحبتهم وفي ردها[2]، ولا يعنينا هنا مناقشة القضية وبيان وجهها وإن كان الأخذ برأي أستاذنا الدكتور محمد المغراوي[3] هو الصائب حين ذهب إلى أن رحلة الركراكيين صحيحة ولكنهم لم يذهبوا إلى المدينة المنورة في عهد النبي ﷺ، وإنما رحلوا إلى القيروان ولقوا بعض الصحابة أو التابعين وأسلموا على أيديهم قبل فتح المغرب[4]. وما يعنينا من هذه المسألة دلالتها على هذه المحبة الكبيرة للصحابة حتى

---

(1) ديوان قبائل سوس في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي، إبراهيم بن علي الحساني ؛ تحقيق عمر أفا . (ص: 15) وانظر (ص:24). ويشير صاحب الكتيب إلى أن السلطان المنصور الذهبي حرر قبائل إذاوكنسوس من الوظائف المخزنية مكافأة لهم على قتالهم ذرية عبد الرحمن بن ملجم.

(2) انظر مثلا: العيون المرضية في ذكر مناقب الطائفة الرجراجية، لأبي الفضل عبد الكبير بن سعيد؛ دراسة عبد الكريم كريم .

(3) أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الآداب بالرباط، وباحث في الخط العربي والمغربي ورئيس تحرير مجلة دعوة الحق الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط.

(4) أشار إلى ذلك في مشاركته في ندوة التصوف في الجنوب المغربي التي نظمها فريق البحث في التراث السوسي بالتعاون مع عدة جهات بمدينة تزنيت في يوليوز 2005.

جعلت الرواية بعض أسلاف المغاربة منهم، وزعمت أنهم وفدوا على رسول الله وكلمهم بالأمازيغية وأسلموا على يديه[1].

1- **المظاهر العملية:**

لم يبن السوسيون ـ شأن المغاربة جميعا في عهد قوتهم الحضارية ـ محبتهم للصحابة رضوان الله عليهم على العاطفة المجردة، بل إنهم استندوا على العلم والمعرفة والدليل الشرعي، فطالعوا كتب السيرة النبوية وسير الصحابة رضوان الله عليهم، ودرسوها، وألفوا في مجالاتها، وهكذا برز ت لديهم محبة الصحابة في مظاهر علمية، هي:

أ) **مظهر التدريس:**

اشتهرت منطقة سوس بمدارسها العتيقة التي برزت منذ القديم باعتكاف العلماء فيها على التربية والتعليم، والتكوين والتوجيه، وكانوا يدرسون فيها العلوم المختلفة من علوم اللغة العربية إلى العلوم الشرعية ومكملاتها إلى الآداب والتاريخ. وكانت السيرة النبوية من بين المواد المتدارسة في هذه المدارس فيعكف عليها بعض الأساتذة بحثا وتدقيقا ويكتفي منها آخرون بالمطالعة والسرد، وقد كانت دروس السيرة تعتني بذكر الصحابة رضوان الله عليهم وفضلهم في نشر الدين وتثبيت الإيمان، كما كانت تتناول أنسابهم وأخبارهم وأعمالهم بعد وفاة النبي ﷺ، ومن أبرز العلماء الذين اشتهروا بمعرفة السيرة النبوية وتدريسها، نذكر:

× **محمد بن سعيد الميرغتي**: (ت1089هـ) كان إماما في السيرة، له سند مسلسل إلى ابن حجر العسقلاني من طريق أستاذه أبي بكر السكتاني وآخر إلى السيوطي عن علي

---

(1) انظر تراجم الركراكيين في المعسول (4/ 10).

الأجهوري شارح ألفية العراقي[1].

× **محمد بن أحمد الحضيكي** (ت1189هـ) العلامة الكبير المدرس المؤلف كان شديد الاهتام بالسيرة والشمائل، وصفه تلميذه عبد الرحمن الجشتيمي فقال: «كان آية من آيات الله في حفظ السيرة النبوية، والتنقيب على أحوال الصحابة والسلف الصالح. يوشح مجالسه بذلك»[2].

× **عبد الله الجشتيمي** (1198هـ): العلامة الفاضل جد الأسرة الجشتيمية البكرية العظيمة، كان له اهتمام بالسيرة خاصة بكتاب الشفا للقاضي عياض، وكان يعكف على دراسته، وألف كتابا اختصره فيه ذكره ابنه عبد الرحمن، فقال: «وكانت له رحمه الله تآليف جيدة، وأجلها شرحه لكتاب الشفاء فقد شهد له أهل العلم والصلاح بالفضل والخير»[3].

× **أبو بكر بن أحمد التاكموتي**(ت1214هـ)[4]: الأستاذ المدرس المعتكف، كان مغرما بسيرة النبيﷺ وأخبار الصحابة والتابعين يعقد المجالس لدراسة سيرهم، قال تلميذه عبد الرحمن التغرغرتي:

« الفقيه العالم العامل، المحدث الصوفي الكبير في الطريقة وفي الورع والزاهد والذكر والتدريس دائما، وحكاية مغازي النبي ﷺ وأصحابه وشجاعتهم، وحكاية كرامة

---

(1) عناية أهل سوس بالسيرة النبوية تدريسا وتأليفا (ص: 12)، بحث شهادة الدراسات العليا المعمقة، إعداد الطالب حسن تقي الدين، بإشراف الدكتور إبراهيم الوافي بوحدة المناهج العلمية لدراسة السيرة النبوية، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، السنة الجامعية 1423-2003.

(2) الحضيكيون، لعبد الرحمن الجشتيمي، تحقيق المجلس العلمي المحلي لتارودانت.

(3) المعسول (6/ 10).

(4) مختصر طبقات الشعراني، عبد الرحمن التغرغرتي، مخطوط خاص (ص:35).

التابعين وزهدهم، وصبرهم على المحن. وربما بكي عند ذكر بعضهم وبكينا معه، شفقة ورحمة بهم، رضي الله عنهم، ولا يخلو مجلسه من ذكر ذلك، وذكر مولده ﷺ وسيره مع أهل مكة والمدينة وكفار قريش، ومغازيه معهم، والعفو عنهم، وسبب إسلام كل واحد من المهاجرين الأولين، إلى غير ذلك من محاسن الصحابة وأشعارهم عند الضرب في الحروب، وجودهم وكرمهم، رضي الله عنهم»[1].

ب) مظهر الاستظهار والحفظ:

شغف السوسيون بكل ما يتعلق بالنبي ﷺ وآل بيته وصحابته رضوان الله عليهم، ومن شدة محبتهم لهم عكفوا على الكتب التي تذكرهم والمنظومات والقصائد فحفظوها واستظهروها، فكانت أحداث السيرة على أطراف ألسنتهم، ومن أبرز ما راج عندهم حفظ القصائد النبويات مثل بانت سعاد والبردة والهمزية والشقراطيسية. وغيرها، إلا أن بعضهم ممن اجتهد في مجال السيرة النبوية تجاوز ذلك إلى حفظ المطولات مثلا ألفية العراقي التي كان الفقيه الحافظ محمد بن علي الجلوي يمليها من حفظه[2]، ومثل كتاب الشفا للقاضي عياض الذي كان مبارك بن عبد الله الأخصاصي يحفظه كله[3]. وبفضل هذا الاستظهار كانت تفاصيل السيرة النبوية وأخبار الصحابة حاضرة لدى هؤلاء العلماء الذين كانوا ينبرون للتحديث بها في كل مناسبة علمية أو اجتماعية.

---

(1) انظر التعريف بالتاكموتي، المعسول (18/ 228).

(2) المعسول (13/ 210).

(3) محمد بن أحمد الإكراري، روضة الأفنان في وفيات الأعيان، تحقيق حمدي أونوش، مراجعة محمد الحاتمي، (ص: 246).

ج) مظهر **التأليف:**

اهتم علماء سوس بالتأليف الذي كان ثمرة من ثمار معارفهم الثرة، وفكرهم الخلاق، وأسهموا إلى جانب علماء مختلف مناطق المغرب في النهضة العلمية العظيمة التي شهدتها بلادنا في قرونها الذهبية، وقد شملت تآليفهم مجالات مختلفة من الفقه إلى الأصول إلى الحديث وعلوم القرآن والقراءات إلى التاريخ والحساب والفلك إلى الأدب وعلوم اللغة. وقد برز في هذه التآليف تعلقهم بالشريعة الغراء واحتفاؤهم بقيم الإسلام، ومن هذه المظاهر التعلق بالصحابة الكرام ومحبتهم، ويمكن أن نميز في هذه التآليف بين صنفين:

❁ **مؤلفات خاصة:**

ونقصد بها ما خصص للصحابة الكرام وذكرهم وسرد مناقبهم وفضائلهم وما تعلق بذلك من قريب أو بعيد ومن هذه المؤلفات، نذكر:

➢ «**العشرة الكرام والأزواج المطهرات**»، لأحمد بن علي البوسعيدي الهشتوكي المتوفى بفاس سنة 1046هـ، وهو من كبار علماء المغرب في القرن الحادي عشر للهجرة، تحدث في هذا الكتاب عن كبار الصحابة وأمهات المؤمنين[1].

➢ «**ترجمة إشراق البدر في عدد أهل بدر**»، للمؤلف نفسه، ذكر فيه الصحابة الذين شهدوا بدرا، موردا أقوال العلماء في الموضوع، ذاكرا أسماء الصحابة البدريين مرتبة على حروف المعجم[2].

---

(1) سوس العالمة (ص180).

(2) نفسه، وبالخزانة الوطنية في قسم المخطوطات، تحت رقم 341ج، ذكر ذلك ووصف النسخة الأستاذ أحمد فكير، في مقاله: تراث السوسيين في السيرة النبوية، بمجلة دراسات (ص: 90) الصادرة عن كلية الأداب بأكادير العدد 13 سنة 2008.

➢ «**وصلة الزلفى تقربا بآل المصطفى**»: للمؤلف نفسه، مخطوط متعدد النسخ في الخزانات المغربية، خصه لآل البيت الكرام رضي الله عنهم[1].

➢ «**مصابيح الإصابة في تعريف الصحابة**»، لمحمد بن أحمد الحضيكي المتوفى سنة1189هـ اختصر فيه كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني[2].

➢ «**التوسل بأهل بدر وشرح عليه**»، وهو منظومة لعبد الله بن الحاج الخياطي الروداني[3].

❁ **مؤلفات عامة:**

➢ ونقصد بها تلك التي ذُكِر فيها الصحابة عرضا ككتب السيرة النبوية وكتب التراجم والعلوم الشرعية وهي كثيرة جدا، نذكر منها:

➢ «**ترتيب الغزوات والسرايا**»: لأحمد بن محمد العباسي (ت1152هـ) ذكر فيه المؤلف غزوات النبي ﷺ والسرايا التي أرسلها وألم خلال ذلك بالصحابة الكرام الذين كانوا قادتها[4].

➢ «**حاشية على الشمائل**»: لعبد الرحمن التغرغرتي (ت1278هـ) اختصر فيه الشمائل للترمذي[5].

---

(1) ذكر الأستاذ فكير ـ في المقال نفسه ـ الكتاب ووصف المنوني له في المصدر نفسه، وأشار إلى نسخه المعروفة وأرقامها في المكتبة الوطنية والملكية وابن يوسف بمراكش وجامع وزان.

(2) سوس العالمة (ص 193).

(3) نفسه (ص130).

(4) والكتاب مخطوط منه نسخة في الخزانة الأدوزية حسب ما ذكره محمد بن الطالب ومن معه، في: مخطوطات العلوم الشرعية بخزائن سوس(ص:188) بحث الإجازة بكلية الشريعة بأيت ملول، إنجاز: محمد بن الطالب ومسعود الحامدي والعربي البوهالي بإشراف الدكتور حسن الباز السنة الجامعية:1988-1989.

(5) سوس العالمة (ص:200).

➢ «**مختصر شرح الخفاجي على الشفا**» لعبد الله بن محمد الجشتيمي (ت1271هـ)[1] ويقوم أحد حفدته وهو الأستاذ عبد الرحمن الجشتيمي بتحقيقه في إطار أطروحة الدكتوراه بشعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب باكادير.

➢ «**تصدير وتعجيز للقصائد النبوية المشهورة وشروح عليها**»: ومن نماذجها، **تقييد** على قصيدة بانت سعاد لمحمد بن مسعود المعدري[2]، وموزانة الوتريات البغدادية لعبد العزيز بن أبي بكر الرسموكي (ت1065هـ)[3]، وشرح ألفية العراقي في السيرة لمحمد بن علي الجلوي (ت1296هـ)[4].

➢ **الترجمة والتأليف بالأمازيغية**: اعتنق المغاربة الإسلام وأحبوه وتعلقوا بعقيدته وقيمه، وعملوا على نشر معاني القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ وسيرته وفقه الشرع الحنيف بين الناس بغض النظر عن مكانتهم العلمية، واستغلوا لذلك كل الوسائل، ومنها محادثة عامة الناس بالأمازيغية ودعوتهم بها في المساجد والزوايا والأسواق والمواسم، وقد نتج عن هذا النشاط الدعوي الدائب، ترجمة متون علمية عربية هامة إلى الأمازيغية، ومن المناطق التي شهدت اهتماما كبيرا بهذا المجال منطقة سوس ولغتها الشلحية[5]، وقد بدأ التأليف في مرحلة مبكرة من دخول الإسلام، غير أن أقدم تأليف مذكور في المصادر التاريخية هو عقيدة المهدي بن تومرت[6]، وقد استخدم دعاة النحل والمذاهب المنحرفة من خوارج وشيعة هذا النهج في نشر أفكارهم وعقائدهم الفاسدة،

---

(1) سوس العالمة (ص: 189).
(2) المعسول (13/ 33).
(3) خلال جزولة (2/ 60).
(4) المعسول (13/ 210).
(5) انظر ألواح جزولة، محمد العثماني (ص: 48).
(6) حضارة الموحدين محمد المنوني (ص: 21).

فتصدى لهم فقهاء المالكية وردوا عليهم بمثل صنيعهم، ومن العلماء المشهورين بالوعظ والدعوة بالأمازيغية سالم بن سلامة الروداني السوسي[1].

أما في مجال التأليف والترجمة فنجد كتبا كثيرة شملت مختلف المجالات المعرفية من الفقه إلى السيرة النبوية ومن الرقائق والمواعظ إلى الحديث النبوي فضلا عن الفلك والشعر.وغير ذلك، ومن الكتب المؤلفة أو المترجمة إلى الأمازيغية، نذكر:

➢ **قصة فتح سوسة**: لم أقف عليها، وصفها محمد المختار السوسي فقال: «وهي ملحمة أشادت بشهامة عبد الله بن جعفر، وهو بطل القصة في ست صفحات، وهذه الملحمة منتشرة»[2].

➢ **قصة عكاشة مع النبي ﷺ**: وهي قصة موضوعة ومضمونها نعي النبي ﷺ نفسه بعد فتح مكة وطلب عكاشة القود منه، وقد ترجمت إلى تاشلحيت، وكان ديدن الوعاظ إنشادها[3]. وقد ورد فيها ذكر عدد من الصحابة مثل بلال بن رباح وعكاشة بن محصن والفضل بن العباس وعلي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء وغيرهم، رضي الله عنهم.

➢ **غزوات النبي ﷺ**: ليحيى بن عمر الزعنوني، ذكر فيه غزوات النبي ﷺ والسرايا التي أرسلها ومن كان على رأسها من الصحابة، كل ذلك في نظم شلحي استوفى أخبار

---

(1) التشوف إلى رجال التصوف، لابن الزيات، تحقيق أحمد التوفيق (ص: 283). ومادة سالم بن سلامة الروداني، معلمة المغرب تحرير المهدي بن محمد السعيدي، (ج13/ 4466).

(2) خلال جزولة (3/ 120).

(3) أوردها ابن الجوزي في الموضوعات من الأحاديث المرفوعات، تحقيق نور الدين بن شكري بن علي بويا جيلار(2/ 29)، وقد شنع ابن الجوزي على واضعها فقال: «هذا حديث موضوع محال كافأ الله من وضعه وقبح من يشين الشريعة بمثل هذا التخليط البارد والكلام الذي لا يليق بالرسول ﷺ ولا بالصحابة». المصدر نفسه (2/ 36). وانظر موقف محمد المختار السوسي من هذه القصة في الإلغيات(1/ 187).

هذه الغزوات باختصار مفيد، والنسخة التي بين يدي نسخها محمد بن مولود من دوار أيت حساين (كذا) بتاريخ الإثنين 5 ذي الحجة عام 1406هـ، وتقع في 70 صفحة من القطع المتوسط بخط بارز.

> **ترجمة البردة للبوصيري** لعبد الله بن يحيى الحامدي: سماها «تلقيح الصدور بما يورث السرور»[1] وأشار الأستاذ امحمد العثماني[2] أن منها نسخة بالخزانة الوطنية تحت رقم 1098د[3].

> **ترجمة نور اليقين في سيرة سيد المرسلين**: لعبد الله بن علي الدرقاوي، وهو الأخ غير الشقيق لمحمد المختار السوسي (ت1994) ترجمه في جزء متوسط[4]. وترد في النص المترجم سيرة النبي ﷺ وأعمال الصحابة رضوان الله عليهم في الإيمان به ونصرة دين الله سبحانه وتعالى.

> **ترجمة رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**: للمؤلف نفسه، في ثمانية أجزاء زادت على الألف صفحة من الحجم المتوسط، تتبع فيه أحاديث كتاب الإمام النووي

---

(1) سوس العالمة لمحمد المختار السوسي(ص: 188)، وانظر خلال جزولة(4/ 52) وقارن بما عند أحمد بزيد في: المخطوط الأمازيغي مجالات ومضامين، ضمن أعمال ندوة المخطوط الأمازيغي أهميته ومجالاته(ص: 32).

(2) من سلالة الأسرة الكرسيفية التي ينتهي نسبها إلى ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه (1340-1922/ 1404-1984) فقيه أديب مؤلف واعظ عمل بجامعة القرويين ثم بمعهد تارودانت ثم أستاذا بكلية اللغة بمراكش فكلية الشريعة بأكادير، انظر التعريف به في المعسول (17/ 43) وما بعدها ومقدمة كتاب ألواح جزولة (ص:5) وما بعدها.

(3) ألواح جزولة (ص:50).

(4) درسته وحللت مضامين منهجه في دراسة بعنوان: «ترجمة نور اليقين في سيرة سيد المرسلين لمحمد الخضري إلى الأمازيغية السوسية لعبد الله بن علي الدرقاوي» ضمن ندوة مناهج دراسة السيرة النبوية التي نظمتها شعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب بأكادير يومي 5-6 مارس 2004 مرقون معد للنشر.

شرحا وتفسيرا اعتمادا على شرح محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم المكي[1]. ويرد خلال هذه الترجمة ذكر جوانب من سيرة النبي ﷺ والإشارة إلى بعض الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

وتبرز هذه المؤلفات والترجمات اهتمام العلماء بتبسيط المعرفة الشرعية وتمكين عامة الناس ممن لا يعرفون العربية من التعرف على نبي الأمة ﷺ، وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، فكانت هذه الترجمات والمؤلفات سببا في محبة السوسيين للصحابة الكرام والوفاء بحقوقهم من التبجيل والاحترام والاقتداء[2].

2- المظاهر الأدبية:

أ- مظهر الشعر:

دخلت اللغة العربية إلى المغرب بدخول الإسلام وانتشرت به، ولم تمض سوى عقود قليلة حتى بدأ المغاربة يبدعون فيها أشعارا رائقة ومنثورات رفيعة، ولم تخرج منطقة سوس عن هذه القاعدة، فقد ظهر بها علماء أتقنوا اللغة وألفوا في قواعدها ودقيق تفاصيلها، ومن أبرزهم أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي صاحب

---

(1) قدمت دراسة عنه بعنوان «ترجمة الحديث والسنة النبوية إلى لغات الشعوب الإسلامية، الأمازيغية بالمغرب نموذجا» إسهاما في ندوة «ترجمة السنة والسيرة النبوية الواقع، التطوير، المعوقات» التي نظمتها الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية خلال الفترة 23- 25 / 2/ 1429هـ، قيد النشر بمجلة دعوة الحق التي تصدر عن وزارة الأوقاف بالرباط.

(2) تحتاج هذه المؤلفات وغيرها إلى وقفة علمية أكثر دقة وشمولا للتعريف بها وبيان منهجها وهدفها وتأثيرها في المجتمع وتمكينها عامة الناس من فقه دينهم وسنة نبيهم وسيرته العطرة وأخبار صحابته رضوان الله عليهم أجمعين، كما يحتاج هذا النهج في تبسيط المعرفة الشرعية إلى متابعة وتقوية تأليفا وتسجيلا حتى تصل لأكبر عدد من الناس وتسهم في تعليمهم ما يلزمهم من فقه وسنة وسيرة وغير ذلك.

المقدمة النحوية[1]، كما ظهر بها أدباء مبرزون نظموا الشعر وكتبوا النثر، وضمنوا إنتاجاتهم، أفكارهم وتصوراتهم وما آمنوا به من عقائد، ولما كان حب الصحابة وتبجيلهم من القيم الراسخة لدى السوسيين فقد تناولها شعراؤهم وعبروا عنها، في قصائد كثيرة، ومما شجعهم على النظم في هذا الموضوع:

- حب النبي ﷺ والارتباط الشديد بالشريعة الإسلامية السمحة.
- مناسبة المولد النبوي التي كانت فرصة لإنشاد القصائد والأشعار في مدح رسول الله ﷺ والتنويه بصحبه رضوان الله عليهم.

وقد ارتبطت محبة الصحابة عندهم بمحبة النبي ﷺ، ومن أبرز الجوانب التي تناولها الشعراء السوسيون، نذكر:

- **المدح**: لقد كان الصحابة كما وصفهم النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبا، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[2]. وقد عبّر الشعراء عن هذه المحبة بمدحهم وتبجيلهم وجعلوهم المثل الأعلى للصدق والحق والإيمان بعد النبي ﷺ، وعَدّوا زمنهم أفضل الأزمان وأعمالهم أفضل الأعمال، قال محمد الأعسري التيملي يرثي الفقيه الأديب العلامة العربي الساموكني ويسلي نفسه بذكر فقد الصحابة وموتهم، معتبرا أن ذلك أعظم مصاب بعد النبي ﷺ، فلو كان الرجاء لبقاء أناس لبقي الصحابة الكرام رضوان الله عليهم[3]:

(1) انظر التعريف به في: أبو موسى الجزولي؛ عرض لحياته العلمية و منهجه في البحث وتأثيره في حقل النحو ثم نقد لمنهجه، تأليف أحمد الزواوي.

(2) رواه الإمام البخاري في الصحيح في كتاب فضائل الصحابة، الحديث رقم: 3470، تحقيق: محب الدين الخطيب المكتبة السلفية.

(3) المعسول (9/ 81)، وأمثال هذه القصائد كثيرة نقتصر منها على هذه النماذج.

أين الصحابة خير من نشروا الهدى ... بالعدل والأخلاق والمران
أين الجهابذة الألى كانوا لديـ ... ـن الله حصنا راسخ الأركان
من كل فذ في العلوم غطمطم ... أو ناسك قاد العلا بعنان
هيهات قد طوت المنية بسطهم ... فكأنهم لم يلمحوا بعيان

وقال الشاعر الطاهر الإفراني معددا فضائل الصحابة وخصالهم[1]:

دعت للهدى فارتاح لما رأى سنا ... ضحاها كرام للسعادة سبق
وكذب من عانى الشقا ثم صدقوا ... مقالة حد السيف والسيف أصدق[2]
بهم لمم أعيا الرقاة فعوذت ... عليهم ظبات بالتعاويذ أحذق[3]
سيوف بنصر الله تفري فلم تبل ... أما حاك داود فرت أم خدرنق[4]
بأيدي رجال لا يبالون من أتى ... أآساد غيل أم نقاد وأعنُق[5]
هم الجند جند الله جدوا وشمروا ... لحرب العدا حتى أشاموا واعرقوا[6]
بحور ندى يوم النوال وفي الوغى ... أسود لأشلاء الكماة تمزق
بهم عزز الله النبي فأصبحوا ... وعزهم أسنى وأسمى وأسمق
إذا ما دعا لبوا وإن هم حققوا ... وإن لاح أطرقوا وإن قال صدقوا

---

(1) المعسول (7/ 215-216).

(2) قال أبو تمام: (هوامش الشروح من المعسول)

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

(3) اللمم: جنون خفيف، والرقاة جمع راق، وهو الذي يعوذ المريض بما يقرأه عليه.

(4) الخدرنق: العنكبوت.

(5) النقاد بالكسر جمع نقد محركا: صغار الغنم، والأعنق بضم النون جمع عناق بالفتح: إناث الجديان.

(6) أشاموا أي أشأموا بالهمز ثم سهلت بمعنى دخول الشام، وأعرقوا بمعنى دخلوا العراق.

فهم صدقوا ما عاهدوا فوفوا به   وهم جاهدوا حق الجهاد وأنفقوا
ففازوا بمدح الله في نص ذكره   ولقاهم الرضوان في جنب ما لقوا
جزاهم عن الدين الحنيفي ربه   وجادهم صوب الرضا المتدفق

> **التوسل**: إذا كان بعض الشعراء قد أكبروا الصحابة الكرام ومدحوهم بما هم أهل لهم، فإن هناك شعراء آخرين صدروا عن تلك المحبة، بل غالوا فيها وبالغوا، حتى جعلوهم وسيلة إلى رب العالمين، وواسطة لنيل الحاجبات وقضاء الأغراض، ومن المعروف أن ذلك خروج عن نهج السنة وتعرض للمستحدثات، إلا أنه من الناحية الفكرية يعبر عن هذه المحبة المتأصلة وإن زادت عن حدها وخرجت إلى مجال تأباه الشريعة. ومن قصائد التوسل بالصحابة، ما ورد عند الشاعر يحيى بن عبد الله الحاحي(ت1035هـ)[1] متوسلا إلى الله راجيا منه الحفظ من وباء الطاعون الواقع بالمغرب مطلع الألفية الثانية الهجرية، قال فيها[2]:

سألتك يا الله يا كاشف الضر   بجاه النبي المصطفى وأبي بكر
وبالسيد الفاروق ثمت بالرضى   علي وبالسبطين بعد أبي عمر
بطلحة ربي بالزبير بسعدهم   بجاه سعيد بابن عوف أخ اليسر
بعاشرهم أبي عبيدة ثم من   من أصحاب خير الرسل جاهد في بدر
إلهي بإبراهيم نجل نبينا   وقاسمه والطيب الطيب الذكر

(1) عالم فقيه شاعر مدرس، ثار في عهد زيدان السعدي واستولى على تارودانت وأحوازها، ترجم له تلميذه عبد الرحمن التمنارتي في كتابه الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، ص: 157 وما بعدها.
(2) شعر التوسل بالمغرب وأبعاده النفسية والاجتماعية في القرن11هـ، المهدي السعيدي(ص: 47) بحث الإجازة إشراف الأستاذ اليزيد الراضي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر أكادير السنة الجامعية 1987-1988.

وبالطـاهر الأرضى بزينـب بنتـه بفاطمـة الـزهراء الملازمـة الـستر
بباقـي بناتـه رقيـة ثـم أم كلثـوم يـا ذا الـصفح والعفـو والـبر

ومن الشعراء المتوسلين كذلك الطاهر الإفراني الذي قال في قصيدة[1]:

وبالـصحابة أسـد الغـاب همـتهم ذب عـن الديـن لا حـرب على الحـبر
وبـالوزيرين خـير المؤمنـين أبي بكـر وفتـاح أمـصار العـدا عمـر
وبالـشهيد شهيـد الدار سيدنـا عثمـان مـن زنـده بالمكرمـات وري
وبعـلي أبي الـسبطين ليـث وغـى يفري لدى الحرب بالصمصام خير فـري

وقال في ذكر النساء الصحابيات ومدحهن والتوسل بهن[2]:

بخديجـة خـير النـسـاء ومـن لهـا في الـصدق والتـصديق مـا لا يحـسب
وببـضعة الـصديق عائـشة الـتي بالحـب منـك لهـا الطـراز المـذهب
وببنـت زمعـة سـودة وبحفـصة بنـت الذي منـه الموسـوس يهـرب
وببنـت جحـش زينـب مـن بعـدها أم المـساكن والأرامـل زينـب
وبهنـد بنـت أبي أميـة مـن لهـا والله يـوم الـروع رأي أصـوب
و صـفية الـصافي لهـا إذ زاحمـت بالجـد في حـب النـبي المـشرب
وكـذا جويريـة و رملـة مـن غـدت مـن عنـد أصـحمة تـزف وتجلـب[3]
وببنـت حـارث الهـلالي مـن غـدت ميمونـة واليمـن دابـه يطلـب
وبزينـب مـن قـد تزوجهـا أبـو الـ ـعاص الذي في وعـده لا يكـذب
و رقيـة وبـأم كلثـوم اللتيـ ـن حواهمـا عثمـان وهـو محبـب

(1) المعسول (7/ 201).
(2) نفسه (7/ 174).
(3) أصحمة: اسم النجاشي الذي وقف حتى زفت (رملة) إلى النبي وهي أم حبيبة.(هامش المعسول).

وبفـــاطم تفاحـــة الفـــردوس مـــن في فـضلها قـصـر اللـسان المطنـب
خير النـساء على الحقيقـة مـن غـدت يـوم القيـام لهـا الـشفـاعة توجـب

ثم قال يذكر الصحابة رضوان الله عليهم ويثني عليهم[1]:

زوج ابن عمك سيف نصرك خـير مـن يـوم الملاحـم بالمثقـف يلعـب
وبورديتـك سليلـي الزهـراء أطـ ـيب مـن بـه روض الثنـاء يطيـب
فـرعي أصـول الـسؤدد الحـسنين مـن طلعـا وكل في الـسيادة كوكـب
وبخـير أمتـك الخليفـة مـن هـدى إذ هـد أركان الجبـال المرهـب
ثانيك في الغار المـواسي المؤنس الـصـ ـديق أفـضل مـن لفـضل ينـسب
وبمـن هـو الفـاروق مـن في الله قـد يـرضى ويغـضب بـل يلـين ويـصعب
عمـر الـذي بـالله عـز فأصبحـت مـن حـد درتـه الجبابـر ترعـب
وبمن غـدت منـه الملائـك تـستحي إذ صـار يعـرف بالحيـا ويلقـب
عثمـان ذي النـورين خـير خليفـة أضـحى بـورس دم الـشهادة يخـضب[2]
وبمـن غـدا في الزهـد والتقـوى وفي ثـوب المعـارف دائمـا يتقلـب
بـدر الكمـال علي المـولى الـذي بـولائه يعطـى المفـاز ويـسلب
وبعمـك العبـاس مـن كنيتـه بـأبي الملـوك فحبـذا ذا المنـصب
وبحمـزة ليـث الكفـاح أشـد مـن بالعـضب في يـوم الكريهـة يـضرب
وبـسائر الـصحب الكـرام وكل مـن في شرعـة التقـوى يـجيء ويـذهب

(1) المعسول (7/ 175).
(2) الورس بفتح فسكون: نبات كالسمسم يصبغ به وهو أحمر.

وإذا كان بعض الشعراء قد مالوا عن السنة وغالوا في الصحابة حتى صاروا يتوسلون بهم، وجعلوهم المرجوين للنجاة، فإن شعراء آخرين جعلوا التأمل في سيرهم وما قدموا من خير للأمة، وسيلة لمعرفة الرجال بالحق، وقياس الناس إليهم باعتبارهم الصفوة المختارة من المؤمنين في كل زمان ومكان، فلا يمكن لغيرهم أن يبلغ ما بلغوا من استقامة على الدين وتشبث بالسنة واقتداء تام بالنبي ﷺ. لذلك نجد أبا العباس أحمد الجشتيمي يذكرهم في رده على معاصره محمد بن العربي الأدوزي[1] الذي غالى في شيخه في التربية الصوفية محمد بن أحمد التمكيدشتي[2] حتى نسب إليه التصرف في شؤون الخلق، مشيرا إلى أن هذا الشيخ لا ينبغي أن ينسب إليه ما ذكر، فحتى الصحابة مع ما كان لهم من مكانة عند الله عز وجل وعند رسوله ﷺ وفضل وسبق للإيمان والجهاد، ما كانوا يرون لأنفسهم شيئا من التحكم في الأرزاق والأقوات وشؤون الكون، قال في إحدى قصائده[3]:

لا يدعون من المقدمات العلا ... شيئاً لأنفسهم على الأقران
بل يحقرون نفوسهم بتأدب ... وتواضع لله والإخوان
حتى الصحابة لا يرون نفوسهم ... بلغت مقام الأمن في الإيمان
حتى أجلهم أبو بكر ومن ... قد كان منه مهرب الشيطان
وأخو الحيا عثمان ذو النورين والـ ... ـمولى علي سيد الشجعان
وبقية الغر المبشر جمعهم ... من ربنا بكرامة الرضوان

---

(1) أحد علماء سوس الكبار نبغ في اللغة والنحو، له كتاب مهم في شرح ألفية ابن مالك، انظر ترجمته في المعسول (5/ 149).

(2) من شيوخ التصوف بالجنوب المغربي في القرن 13هـ، انظر: المعسول (6/ 173).

(3) المعسول (5/ 172).

ما منهم من يدعي للنفس قد   راً يملك التصريف في الأكوان
أترى مقامك جل فوق مقامهم   حتى تركت مناهج الركبان
وجريت في الصعب المضيق دون ما   يجرون فيه أفسح الميدان
لو قد سكت عن الدعاوى كان أد   نى للتقي وفضيلة الإنسان
ما كان من أرج لريحان فلا   يحتاج للدعوى من الريحان
يكفيه إقرار المعاطس كلها   يذكي عرف منعش الأذهان
نور الهداية واضح كالشمس لا   يخفي بتلبيس ولا نكران
كلا ولا يحتاج في إثباته   من كان ذا بصر إلى برهان

ب - النثر:

حفلت إبداعات السوسيين النثرية بمحبة الصحابة وذكرهم، وظهرت كتابات أدبية تذكرهم وتبرز تعلق الكُتَّاب بهم وتقديرهم لهم، ونظرتهم إليهم باعتبارهم النموذج الأعلى في الاستقامة والتمسك بالدين والمعاملة الحسنة والخلق النبيل، وقد ورد ذكر الصحابة في عدة أنواع نثرية، نذكر منها:

❁ المذكرات:

وهي الكتابات التي يحررها الأدباء يذكرون فيها وقائع حياتهم ومجريات أيامهم وما شاركوا في صناعته من أحداث محلية أو وطنية ومن المذكرات المتميزة تلك التي حررها محمد بن أحمد المانوزي المعروف ببوزكر[1]، والتي ذكر فيها نشأته ببلده أمانوز ودراسته بنواحي سوس واشتغاله بالتدريس بالمدارس العتيقة ومشاركته في حركات المقاومة بعد استحكام الاحتلال الفرنسي للمغرب، وخلال حديثه هذا يورد ذكر

(1) يراجع التعريف الموسع في مذكراته التي أدرجها محمد المختار السوسي في ترجمته بالمعسول (3/ 240).

الصحابة بما هم مثل أعلى يحتذى في شؤون الحياة والسياسة والجهاد والصبر، وقد ورد ذكر الصحابة في جوانب من مذكراته، منها:

➢ ذكر سياستهم وتدبيرهم لأمور الحياة بعيدا عن السذاجة، فعندما ذكر حركة المقاومة التي تزعمها الشيخ أحمد الهيبة بن ماء العينين ـ وقد حضر بعض مراحلها ـ أشار إلى أنه استشير في كيفية تدبير أمر القبائل وإسناد ذلك إلى العلماء والفقهاء، فأشار إلى أن الأولى إسناد التسيير إلى ذوي الخبرة والمران في شؤون الناس، لا إلى العلماء والفقهاء الذين لا يعرف كثير منهم طرق التسيير والتدبير، ثم استشهد بفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شؤون خلافته، قال:

➢ «قالوا رأينا أن نولي على كل قبيلة عالما منها، لنكون مستندين على الحق، فقلت لهم الرأي؛ بل تتركون ذوي الرئاسات والبيوتات الكبار على ما هم عليه من قبل، وتعززونهم بالولايات وأما الطلبة فمنهم من لا يصلح إلا للأكل والشراب والعبادة، بل أكثرهم بله مغفلون، لا تقبل شهادتهم، وإن كانت ترجى بركتهم، كما قال أيوب السختياني رضي الله عنه: «من أصحابي من أرجو بركته، ولا أقبل شهادته»[1]. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يولي دهاة الصحابة مثل عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومعاوية بن أبي سفيان، وأبي عبيد الثقفي وغيرهم، مع حضور كثير من الصحابة السابقين أهل بدر، فلما سمعوا مني ذلك استصوبوه ومالوا إليه»[2].

➢ ذكر شجاعتهم وثباتهم في المعارك وصبرهم على الحق، وقد ورد ذلك عند تنويه المانوزي بالمقاوم الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، وصبره وثباته عند قتاله الفرنسيين والإسبان، مشبها أعماله بما كان للصحابة رضوان الله عليهم من مآثر،

(1) العقد الفريد (7/ 182).

(2) المعسول (3/ 372).

قال: «هذا الرجل من عظماء الرجال المجاهدين في زمانا هذا، المكافحين عن وطنهم الذين أظهروا من الشجاعة والبطولة والاستبسال في الحرب، والاستماتة في سبيل الله، وإعلاء كلمته العليا، ما لم يتقدم له نظير إلا في أزمان الصحابة رضوان الله عليهم، وقد ألف بعضهم في سيرته وأحواله في حركاته وحروبه وسياسته ودهائه فيها، مما لم يتأت لأحد إلا بإعانة الله وعنايته، وقد رأيت في ذلك كله تواليف تاريخية عديدة للمغاربة والفرنسيين والإسبانيين، أطالوا فيها على حسب الأيام ووقائعها، مما يدل على أن الرجل خالد بن الوليد في زمانه سياسة، وشبيه بابن العاص دهاء ومكرا وحيلا»(1).

❁ **الرحلات الحجازية:**

وهي من الفنون النثرية التي تبرز تعلق المغاربة بدينهم وعقيدتهم وتضحيتهم في سبيل أداء فريضة الحج وصبرهم على الأهوال والشدائد، فكانوا أكثر الناس رحلة إلى المعاهد الحجازية، وقد تضمنت رحلاتهم وصف ما لاقوا فيها من أهوال ومصاعب جمّة، كما تضمنت التعبير عن مشاعرهم الرقيقة تجاه النبيﷺ وارتباطهم العميق بمحبة صحابته رضوان الله عليهم، وقد تجلت تلك المحبة في حرص الرحالة المغاربة على زيارة قبور الصحابة سواء في الحجاز أو خارجه في إفريقية ومصر. ومن هؤلاء الرحالة سوسيون دونوا مشاهداتهم. ومما يتعلق بمحبة الصحابة ما ورد عندهم:

➢ ما ورد في رحلة العيني الجراري من مروره بقبر الصحابي أبي لبابة حينما وصل إلى مدينة قابس وفارق الركب ليركب البحر في سفره للحج، قال: «وزرت قبر الإمام أبي لبابة رضي الله تعالى عنه، يوم نزلنا عنده، وشكوت إليه حالي، إذ حرت في أمر

---

(1) المعسول (3/ 412).

الإقامة خوف الانقطاع، وتوسلت به إلى الله تعالى أن يأتينا بالتيسير»[1].

➢ ما ورد في رحلة محمد بن محمد التمراوي (ت1285هـ) حيث قال في وصف مكة والمدينة ومن زار بها من الصحابة رضوان الله عليهم بعد زيارة المصطفى ﷺ: «ثم دخلنا مكة بعد العشاء، ومكثنا فيها، فأتينا بالعمرة من التنعيم بعد تمام الحج، وزرت مسجدها، فمكثنا فيها ـ أي مكة ـ إلى يوم الأحد الموفى عشرين من ذي الحجة فعزمنا على السفر والقفول للمدينة فبرزنا خارجها، بذي طوى بعد طواف الوداع، فنزلنا فيه حتى اجتمع ركب أهل المغرب والتواتي[2]، فقفلنا يوم الأربعاء مع الركب المغربي، وزرت ما تيسر من المزارات بمكة، شرفها الله كـأبي قبيس موضع أذان سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، لما أذن له أن يؤذن للناس، وكمولد الحسن والحسين، ومصلى أبي بكر رضي الله عنه، وبيت خديجة رضي الله عنها، وبيت علي وفاطمة رضي الله عنهما، ونفعنا بهما في الدارين، ووصلنا بدرا حيث موضع غزوة بدر يوم الخميس مفتتح المحرم عام 1243هـ وقلنا فيه، وبتنا، وزرت فيه شهداء غزوة بدر وهم في خارج بدر دارت بهم المقابر، معلمون بحائط دار بهم .. ثم وصلنا المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ضحى يوم الاثنين الخامس من المحرم وفرحنا غاية السرور لوصول المرام، فنزلنا في الأبطح وتهيأنا للزيارة، ثم سرنا بسكينة ووقار إلى الشفيع المشفع فدخلنا المسجد، فتوجهنا نحوه، فسلمنا عليه ثم على صاحبيه، ثم دعونا وزرت

---

(1) المعسول (13/ 292).

(2) يقصد ركب منطقة توات التي كانت آنذاك مغربية قبل أن يضمها الاستعمار الفرنسي إلى سيطرته أيام كان محتلا للجزائر، يراجع كتاب: توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من حوالي 1850 إلى 1902: مساهمة في محاولة الكشف عن جذور المشروع وأبعاده وعلاقته بمشروع السودان الغربي، أحمد العماري.

فيها مـا تيسر كأهل البقيع وفيه جم غفير من الصحابة، وآله صلى الله عليه وسلم كولده إبراهيم وبناته، وزوجاته وعمه العباس وسيدنا عثمـان بن عفان، وإمــام دار الهجـرة، ونافع إمـام القراء، وغيرهم ممن شـاء الله، زرت شـهداء أحـد في خـارج المدينـة بنحـو ساعة تحت جبل أحد كسيدنا حمزة وغيره وفيه عدد كبير من الشهداء مدفونون في محـل المعركة»[1].

➢ مـا ورد في رحلة التمراوي نفسه، حـين تحـدث عـن زيـارة قـبر أحـد الـصحابة بإفريقية مرجعه من الحج، قال: «وهناك قبر أبي لبابة صاحب رسول الله ﷺ الذي قيـل فيه أنه يقود أهل المغرب يوم القيامة إلى أن يوصلهم إلى النبـي ﷺ في المحـشر لأنـه هـو الذي دفن في ناحية المغرب من أصحابه ﷺ[2]. ثم خرجنـا مـن قـابس يـوم الثلاثاء الرابع عشر من الشهر، فوصلنا يوم السبت الثامن عشر مدينة القيروان مـوطن الصالحين والعلمـاء، وموضع الشيخ أبي محمد صـاحب الرسـالة نفعنـا الله برجالهـا في الدارين، وهي مدينة جيدة، لم يسكنها الكفار، ولا يطرقونها من عمـل تـونس. وزرت فيها مـا تيسر كالشيخ أبي مـحمد بن أبي زيد والسيد عبد الله بن آدم الصحابي، مدفـون في خارجها، له مقام عظيم، وعنده مدرسة فيها الطلبة، وعليه قبة عظيمة»[3].

إلى الرحلات النثرية نظيف الرحلات المنظومـة التـي جمعـت المعلومــات الجغرافيـة والتاريخية والعلمية ومـجريات الرحلات في قالب نظمي جميل، وقد أولع المغاربة بهـذا

---

(1) المعسول (8-205-206).

(2) بنى التمراوي قوله هذا على حديث منسوب للنبي ﷺ، ونصه: «مـا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي يَمُوتُ بِأَرْضٍ إِلَّا بُعِثَ قَائِدًا وَنُورًا لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، رواه الترمذي في كتاب المناقب من الجامع، وقـال: «هـذا حـديث غريب، الحديث رقم: 3856، انظر الجامع الكبير (6/ 171) تحقيق بشار عواد معروف.

(3) المعسول (8/ 211-212).

النمط، لما فيه من طرافة واستعراض للقدرة النظمية، ومن هذه النصوص رحلة الشيخ الصوفي علي بن أحمد الدرقاوي[1] التي راجعها وهذبها ولده محمد المختار السوسي ونشرها تحت عنوان: «أصفى الموارد في تهذيب الرحلة الحجازية للشيخ الوالد» وقد زاد عدد أبياتها على الألفين، وقد ورد فيها ذكر الصحابة رضوان الله عليهم وجهادهم في نصرة رسول الله ﷺ، مما جعلهم خير الأمة وأجل المؤمنين، قال الشيخ الدرقاوي في رحلته متعرضا لزيارة الحديبية متذكرا ما كان فيها من صلح بين المسلمين وكفار قريش، ومتعرضا لنصرة الصحابة رضوان الله عليهم رسوله ﷺ، ومشيرا إلى فضلهم ومكانتهم[2]:

هنـــاك موضـــع رضى المنـــان — عـن صـاحبي الـشجرة الـشجعان
أيـــام أن زحـــف سيـــد الـــورى — إلى قـــريش ســـاكني أم القـــرى
قـــد جـــاءهم معتمـــرا ولكـــن — قـــد منعـــوا أن يلـــج المـــساكن
فعـــسكروا في خـــارج وقالـــوا — دخولـــه ديارنـــا محـــال
فأرســـل النـــبي: لـــم نجـــئ ســـوى — معتمـــرين لـــم نـــرد حـــرب الـــسوا
فأنفـــوا أن يـــسمع الأنـــام — أن قـــد حـــواه البلـــد الحـــرام
فـــسفرت مـــا بيـــنهم رجـــال — فـــكان مـــن كل فريـــق قـــال
وبـــين ذلـــك مـــضى عثمـــان — نحـــو قريـــش ولـــه الإيمـــان
ليقـــضي الغـــرض للرســـول — إذا بـــه منـــع مـــن قفـــول
فقـــام سيـــد الـــورى فمـــدت — كـــف شريفـــة لـــه فامتـــدت

---

(1) تراجع ترجمته في الترياق المداوي في أحوال الشيخ الحاج علي الدرقاوي، لمحمد المختار السوسي.

(2) أصفى الموارد في تهذيب الرحلة الحجازية للشيخ الوالد (ص: 60).

فبـــايع الـــصحاب تحـــت الـــشجرة ... علـــــى محــــاربتهم للكفــــــرة
فــكان هنـــــاك أظفـــر الـــورى ... بخـير مـــا يحــوزه مـــن ظفــرا
فـــازوا برضـــوان مـــن المهـــيمن ... وذا الرضـــا منيـــة كل مؤمـــن
وبعـــد أهـــل بـــدر كانـــوا أفـــضلا ... يـا سـعدهم حـازوا الكمـال والعـلا
وبعــــد ذا راجعهـــم عثمــــان ... ولـــم يمـــس عنـــده بنــــان
فتمــت الهدنـــة ثـــم رجعــــا ... ســيد مـــن صـــلى وصـــام ودعـــا
صـــلى عليـــه الله مـــا حـــن محـــب ... إلى الحبيـــب مـــا بـــدا بـــرق يجـــب

هكذا نرى أن المغاربة الذين رحلوا إلى الحـج، لم يكونـوا يرحلـون لقـضاء الفريـضة وزيارة الروضة النبوية فحسب، بل كانت رحلتهم سفرا وجدانيا إلى فضاء من المـشاعر والعواطف، فضاء قرأوا عنه في الكتب ودرسوه في كتب التراجم، وأرادوا أن يـستغلوا فرصة السفر لإحيائه في نفوسهم بربط الصلات مع أولئك الرجـال الأطهـار والنـساء الطاهرات الذين عاشوا في عصر الرسالة، وتـملوا بطلعـة النبـي ﷺ، وشـهدوا تنـزل آيات الوحي، ونشأة مجتمع اليمن والإيمـان، فكان عصرهم أزهى العصور وأحـسنها، وأفضل القرون وأعزها، وكانت زيارتهم تذكرا لذلك العهد وتنسمـا لتلك النفحـات، وربمـا غالى بعضهم، فأخرج الصحابة رضوان الله عليهم ـ لما يعتقد فـيهم مـن سـمو المكانة ونبل المقام ـ من مرتبتهم البشرية وصار يتشفع بهم ويطلب منهم قضاء الحوائج، وهذا وإن دل على حرارة المحبة وصدق العاطفة، إلا أنه لا يستقيم والسنة الغـراء التـي تنهى عن التوجه فيمـا يطلب إلى غير الله سبحانه وتعالى.

خاتمة

إن كل ما سبق أن ذكرناه يبرز بجلاء ووضوح مجموعة من الخلاصات المهمة التي نوجزها في ما يلي:

× تأصل محبة الصحابة رضوان الله عليهم في وجدان المغاربة عموما، كما يظهر أن هذه المحبة لم تكن عاطفية ساذجة وإنما كانت محبة مبنية على المعرفة العلمية الشرعية من خلال كتب السيرة ومتونها التعليمية لفضلهم وحميد سيرهم، وأنها كانت تتأرجح بين جانبين اثنين:

- أولهما: التأسي بهذه الصفوة المختارة من المؤمنين الصادقين والاستفادة من مجريات حياتهم لما كانوا يمثلونه من مجتمع الخير والصلاح، ولكونهم تربوا بين يدي النبي ﷺ، ونشأوا على الوحي الذي هذب نفوسهم وشذبها.

- ثانيهما: الانحراف ـ عند كثيرين ـ عن السبيل المستقيمة في النظر إلى الصحابة باعتبارهم نموذجا إنسانيا يحتذى ويقتدى بأعماله وأفعاله الصالحة، إلى تقديسهم ورجاء النفع منهم والاستشفاع والتوسل بهم إلى الله سبحانه وتعالى، وفي ذلك انحراف عن الجادة، ولعل سبب ذلك ما شهده المغرب في القرون المتأخرة، خاصة في القرن الرابع عشر من تكالب الاستعمار على البلاد وتسلط الأجانب عليها بعد انكسار حركات المقاومة المسلحة، وفقدان المغاربة الأمل في النجاة من براثن الاحتلال، وتشبثهم بالتصورات الطرقية التي كانت تنظر إلى الواقع نظرة خرافية، فلا تسعى لتغييره بسنن التغيير الكوني، وإنما تركن إلى الاتكال وانتظار الخوارق والبركات، واستبدال الإكثار من الأذكار بأخذ العدة الاجتماعية والعلمية والفكرية والحربية.

× رسوخ هذه المحبة في نفوس المغاربة بالرغم من بروز اتجاهات فكرية وتصورات مذهبية مختلفة تعمل على انتقاص مكانة الصحابة بدون وجه حق، وإزاحة ما يتمتعون به عندنا من حرمة واحترام، وسيادة الاقتناع بأن هذا الانتقاص إنما هو بداية للنيل من الوحي والتشكيك في العقيدة ونقض نظام الإسلام وقيمه السمحة، تمهيدا لتفريغ وجدان المغاربة من كل ارتباط بدينهم وعقيدتهم.

× نتج عن هذه المحبة للصحابة رضوان الله عليهم مجموعة من العادات والتقاليد الاجتماعية والإنتاجات العلمية القيمة والإبداعات الأدبية الرائقة، تمثل إسهام المغاربة الفكري والثقافي في ارتباطهم بدينهم وقيمهم الوطنية والإسلامية، كما تكوّن قيمهم الثابتة التي تنبني عليها حياتهم الحاضرة والمستقبلية كما انبنت عليها حياة الأسلاف والأجداد.

هذا ما سوده القلم وبضت به القريحة في هذا الموضوع الهام، تقبل الله أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وعفا عنا في ما زل به اللسان أو سهى عنه الفكر، والسلام.

خير الوجود الا منك ابتغي

ابتدا أولا آخيرا لله

لترجوه ان كل نفس [illegible] أجمعين ام

انتهت بعون الله وتوفيقه وإرادته [illegible]

الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] سيدي الحاج يحيى بن عمر

[illegible] النور [illegible]

الزعفراني [illegible] رضي الله عنه

ونفعنا بكم آمين

[illegible]

[illegible]

حبيب [illegible]

الله الرسول

وآمين

[illegible]

[illegible] 1206

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أبو موسى الجزولي؛ عرض لحياته العلمية ومنهجه في البحث و تـأثيره في حقـل النحـو ثـم نقد لمنهجه، تأليف أحمد الزواوي. مطبعة موناستير المحمدية 1984م.
- الإلغيات، محمد المختار السوسي الجزء 1، مطبعة النجاح الدار البيضاء 1382-1963م.
- ألواح جزولة، دراسة لأعراف قبائل سوس في ضوء التشريع الإسـلامي، المحمـد العثمـاني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الرباط 1425-2004.
- أصفى الموارد في تهذيب الرحلة الحجازية للـشيخ الـوالد، مطبعـة النجـاح الدار البيـضاء 1380-1961م.
- إيليغ قديمـا وحديثا، لمحمد المختار السوسي، المطبعة الملكية، الرباط 1386-1966م.
- تراث السوسيين في السيرة النبوية، أحمد فكير مجلة دراسات، الـصادرة عـن كليـة الأداب بأكادير العدد 13 سنة 2008م.
- ترجمة الحديث والسنة النبوية إلى لغات الشعوب الإسلامية، الأمـازيغية بالمغرب نموذجـا، إسهامـا في ندوة «ترجمة السنة والسيرة النبوية الواقـع، التطـوير، المعوقـات» الـتي نظمتهـا الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها بجامعـة الإمـام محمـد ابـن سـعود الإسـلامية خلال الفترة 23- 25 /1429/2هـ، قيد النشر بمجلة دعوة الحق الـتي تـصدر عـن وزارة الأوقاف بالرباط.
- ترجمة نور اليقين في سيرة سيد المرسلين لمحمد الخضري إلى الأمـازيغية السوسية لعبـدالله ابن علي الدرقاوي» ضمن ندوة مناهج دراسة السيرة النبوية التي نظمتها شـعبة الدراسـات الإسلامية بكلية الآداب بأكـاديـــر يومي 5-6 مـارس 2004م مرقون معد للنشر.
- التشوف إلى رجال التصوف ليوسف بن يحي ابن الزيات، تحقيق أحمد التوفيق، منـشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1984م.

- توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من حوالي 1850 إلى 1902 : مساهمة في محاولة الكشف عن جذور المشروع و أبعاده و علاقته بمشروع السودان الغربي، أحمد العماري منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز فاس 1988م.
- الترياق المداوي في أحوال الشيخ الحاج علي الدرقاوي، لمحمد المختار السوسي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط 2009م.
- الجامع الصحيح، الإمام البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب المكتبة السلفية، القاهرة 1400هـ/ 1980م.
- الجامع الكبير، للترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان – بيروت 1996م.
- حركة الإصلاح المالكي في القرن الخامس للهجرة ودور وكاك بن زلو اللمطي خلالها، مجلة التاريخ العربي، العدد 49 صيف 2009م.
- حضارة الموحدين محمد المنوني، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء 1989م.
- الحضيكيون، لعبد الرحمان الجشتيمي، تحقيق المجلس العلمي المحلي لتارودانت، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 2010م.
- خلال جزولة، محمد المختار السوسي، الجزء 4، مطبعة المهدية، تطوات (د.ت)
- الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع، محمود إسماعيل عبد الرزاق، دار الثقافة الدار البيضاء، 1976م.
- ديوان قبائل سوس في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي، إبراهيم بن علي الحساني؛ تحقيق عمر أفا، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء 1989م.
- روضة الأفنان في وفيات الأعيان، محمد بن أحمد الإكراري، تحقيق حمدي أونوش، مراجعة محمد الحاتمي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بأكادير، ط2، 2009م.

- سالم بن سلامة الروداني، معلمة المغرب تحرير المهدي بن محمد السعيدي، ج4466/13 تصدرها الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.1422هـ/2001م.
- سوس العالمة، محمد المختار السوسي، ط2، مؤسسة بنشرة الدار البيضاء 1984م.
- صحيح الإمام البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب المكتبة السلفية، القاهرة 1400هـ/ 1980م.
- شعر التوسل بالمغرب وأبعاده النفسية والاجتماعية في القرن 11هـ المهدي السعيدي، بحث الإجازة إشراف الأستاذ اليزيد الراضي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر أكادير السنة الجامعية 1987-1988م.
- الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، تحقيق اليزيد الراضي، مطبوعات السنتيسي، الدار البيضاء 1999م.
- العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت 1404-1984م.
- عناية أهل سوس بالسيرة النبوية تدريسا وتأليفا، بحث شهادة الدراسات العليا المعمقة، إعداد الطالب حسن تقي الدين، بإشراف الدكتور إبراهيم الوافي بوحدة المناهج العلمية لدراسة السيرة النبوية، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، السنة الجامعية 1423-2003م.
- العيون المرضية في ذكر مناقب الطائفة الرجراجية، لأبي الفضل عبد الكبير بن سعيد؛ دراسة عبد الكريم كريم . مطابع الأطلس - الرباط 1987م.
- الفصل في الملل والنحل، ابن حزم، صححه عبد الرحمان خليفة، مصر 1348.
- مختصر طبقات الشعراني، عبد الرحمن التغرغرتي، مخطوط خاص.
- المخطوط الأمازيغي مجالات ومضامين، أحمد بزيد، ضمن أعمال ندوة المخطوط الأمازيغي أهميته ومجالاته، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط 2004م.

- مخطوطات العلوم الشرعية بخزائن سوس، بحث الإجازة بكلية الشريعة بأيت ملول، إنجاز: محمد بن الطالب ومسعود الحامدي والعربي البوهالي، بإشراف الدكتور حسن الباز السنة الجامعية:1988-1989م.
- المدارس العلمية العتيقة وإشعاعها الأدبي والعلمي بالمغرب، المدرسة الإلغية بسوس نموذجا، المهدي بن محمد السعيدي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 2006م.
- المعسول، لمحمد المختار السوسي، مطبعة النجاح الدار البيضاء، مطبعة فضالة، المحمدية، مطبعة المهدية تطوان، مطبعة الشمال الإفريقي الرباط 1960-1963م.
- من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب في العصر الإسلامي، سحر السيد عبد العزيز سالم، الإسكندرية مؤسسة شباب الجامعة، 1993م.
- الموضوعات من الأحاديث المرفوعات، لابن الجوزي، تحقيق نور الدين بن شكري بن علي بويا جيلار، 29/2 مكتبة أضواء السلف الرياض، ط1، 1418-1997م.

منزلة الصحابة في التراث النوازلي
(المعيار الجديد) نموذجا

د.محمد الحفظاوي

مُلَخّصُ البَحْث

موضوع المشاركة في الندوة عن منزلة الصحابة في التراث النوازلي المغربي، وذلك من خلال كتاب «المعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب» للعلامة الفقيه المالكي الشيخ محمد المهدي الوزاني(ت1342هـ) وقد جعلته وفق التصميم الآتي:

- تعريف فقه النوازل وأهميته.
- التعريف بكتاب المعيار الجديد.
- بيان منزلة الصحابة من خلال الكتاب.

الباحث في سطور

الدكتور محمد الحفظاوي hafdawi@hotmail.com

من مواليد عام 1969 بمدينة أرفود إقليم الرشيدية.

- أستاذ الفقه وأصوله بصفة مؤقتة بمؤسسة ابن هلال للتعليم العتيق بأرفود.
- دكتوراه من جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس، في موضوع «التطبيق المقاصدي في فقه الأموال من خلال كتاب المعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب للعلامة المفتي المالكي الشيخ محمد المهدي الوزاني المالكي (ت1342هـ)».
- أسهم بمجموعة من الدراسات والمقالات في مجلات وجرائد عديدة.
- شارك في العديد من الندوات الوطنية.

من إنتاجه العلمي:

- فقه النوازل ومنزلة علماء تافيلالت في مصنفاته: المعيار الجديد للمهدي الوزاني نموذجا.
- من مزايا المذهب المالكي.
- ابن جزي وكتابه القوانين الفقهية.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين.

وبعد، فإن شرط الخيرية[1] الأول أن ينتمي الإنسان وينتسب للأمة الإسلامية، فيكون مسلما حقا؛ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويستقيم على مقتضيات كلمة التوحيد. يقول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ اخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ اِلْمُنكَرِ وَتُومِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوَ ـامَنَ أَهْلُ اُلْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ اُلْمُومِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ اُلْفَاسِقُونَ﴾[2].

ولئن كان القرآن الكريم وضع الأسس الكبرى والقواعد العامة للخيرية، فإن السنة فصلت ذلك تفصيلا واضحا؛ فالنبيﷺ هو خير البشر وذلك ـ كما قال ـ: «إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير فرقهم، وخير الفريقين، ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسا، وخيرهم بيتا»[3]. فههنا انتساب لخير الأصول النسبية.

وخير العصور بعد عصر النبوة عصر الصحابة، فقد زكاهم الله تعالى ورضي عنهم في قوله: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اَللَّهُ عَنِ اِلْمُومِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ اَلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ اَلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾[4].

---

(1) الخيرية من الخير ضد الشر: وخاره على صاحبه فضله. رجل خير وامرأة خيرة، والجمع أخيار وخيار، والخيرات الفاضلة من كل شيء، ويراد معنى التفضيل بقول: فلان خير الناس. لسان العرب لابن منظور: خير. فالخيرية هي الأفضلية وعلو المنزلة وفق موازين الشرع بما يقرب إلى الله عز وجل.

(2) سورة آل عمران: الآية 110.

(3) أخرجه الترمذي في سننه،كتاب المناقب، باب فضل النبي ﷺ، الحديث رقم:3607. وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(4) سورة الفتح: الآية 18.

وقال رسول اللهﷺ: «خيرأمتي قرني، ثم الـذين يلـونهم، ثـم الـذين يلـونهم ـ قـال عمران: فلا أدري: أذكر بعد قوله قرنين أو ثلاثـا ـ ثـم إن بعـدكم قومـا يـشهدون، ويخونـون ولا يُؤتـمنون، ويَنْـذِرون ولا يفُـون، ويظهـر فـيهم الـسّمن»[1]. وقـال النبيﷺ: «بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الـذي كنـت فيه»[2]. وهنا بيان لخير القرون.

إن المسلَّمتين السابقتين ـ خيرية النبيﷺ وخيرية الصحابة الكرام ـ مـدخل لقـراءة تاريخنا الإسلامي بالطريقة الصحيحة، فالتـاريخ علـم ضروري في بنـاء الأمـة، لأنـه ذاكرتها التي من خلالها يتشكل حاضرها ومستقبلها. ومن أضاع تاريـخه فقد أضـاع هويته.

لذلك نجد هذا الموضوع ـ منزلة الصحابة وفضلهم ـ في مـصنفات العقيـدة، وفي ثنايا كتب الفقه ضمن مباحث العقيدة عند أهل السنة، وفي كتب الفتاوى والنوازل؛ يذكرون في ذلك فضل الصحابة وعدالتهم، والنهـي عـن تجريحهم والكـف عمـا شجر بينهم. بمـا يفسر أن الموقف من الصحابة موقـف عقـدي أصـيل في المذهبيـة الإسلامية.

ولأهمية التاريخ فقد تعرض تاريخ الأمة للتزييف والتشويه والإهمـال بقصد طمـس الهوية الحضارية لهذه الأمة من لدن الغرب وتيارات أخرى من داخل الأمـة[3]. مـمـا عرض ويعرض عددا من أبناء الأمة ونخبها للانجذاب لتلك الأفكـار الـسلبية وغـير الشرعية، مـمـا يشوش على عقول الناس، ويشكك في مرجعية الأمة، ويهدد ـ بالتـالي ـ استقرار المجتمع ووحدته.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضائل أصحاب النبي ﷺ، الـحديث رقم: 3649.

(2) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، حديث رقم:3557.

(3) ينظر مثلا: كتاب علمـاء الشيعة يقولون لمركز إحياء تراث آل البيت.

لذا جاء هذا العمل استجابة لدعوة فضيلة الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء ـ حفظه الله ـ، للمشاركة في الندوة العلمية الدولية التي يشرف على تنظيمها مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء، في موضوع: «الصحابة الكرام في التراث المغربي الأندلسي».

وهي استجابة ضمنية للقيام بالتكليف الشرعي بإعطاء أصولنا الشرعية ماتستحق من عناية وبيان؛ ولأجل المساهمة في تثبيت عقيدة أبناء الأمة، وتحصين ثقافتهم من التيارات والمذاهب المنحرفة في زماننا هذا. وقد سميت هذا العمل (موضوع المشاركة) بـ: **منزلة الصحابة وفضلهم في التراث النوازلي(المعيار الجديد المعرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب)** ـ نموذجاـ للشيخ العلامة الفقيه محمد المهدي الوزاني أحد أعلام الغرب الإسلامي. قاصدا بذلك بيان مواقف بعض علماء الغرب الإسلامي مغاربة وأندلسيين، في الموضوع.

وجعلته وفق التصميم الآتي:

أ. **تعريف فقه النوازل وبيان أهميته.**

ب. **تعريف كتاب المعيار الجديد والمصنف.**

ج. **منزلة الصحابة من خلال الكتاب.**

وبالله التوفيق.

أولا ـ تعريف فقه النوازل وبيان أهميته:

بمـا أن الكتاب ينتسب لفقه النوازل؛ فسأبدأ بتعريف هذا العلم.

1) تعريف فقه النوازل:

يدور المفهوم اللغوي للنازلة حول المفاهيم اللغوية الآتية:

➢ **الحلولُ**: النوازل من النُّزول وهو الحُلول جاء في لسان العـرب: «النـزول وهـو الحلولُ... قال الأخفش: هو من نزول الناس بعضهم عـلى بعـض، يقـال مـا وجـدنا عندكم نزلا»(1). وهذا المعنى اللغوي ينسجم مع البعد الواقعي لمفهـوم النازلـة. ومنهـا نزول وحلول الرحمة أو العذاب بقـوم. يقـال: «نَزَلَـتْ علـيهم الرحمـة، نَـزَل علـيهم العذاب كِلاهمـا علـى الـمثل. نَزَل به الأَمرُ: حلّ»(2). وقريب منه لفـظ الوقـوع الـذي منه مصطلح الواقعة.

➢ **الوقوعُ**: قال ابن منظور: «الواقِعةُ: النازِلةُ من صُرُوف الدهرِ، والواقعةُ: اسـم مـن أَسمـاء يـوم القـيامة. وقولـه تعـالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾(3)، يعنـي القـيامةَ. قال أبو إِسحق: يقال لكل آتٍ يُتَوَقَّـعُ قـد وَقَـعَ الأَمْـرُ، كقولك قد جاء الأَمرُ، قال: والواقِعةُ ههنا الساعةُ والقـيامةُ»(4). فوقع الأمر معناه نـزل بالقوم وتـحقَّق حصوله في الواقع. ومثله الحدوث.

(1) لسان العرب، مـادة نزل.

(2) نفسه.

(3) سورة الواقعة: الآية 1،2.

(4) لسان العرب: مادة وقع.

➢ **الحدوثُ**: قال ابن منظور: «حدث أمر أي وقع»[1]، وقال: «حَدَثانُ الدَّهر وحَوادِثُه: نُوَبُه، وما يَحْدُث منه، واحدُها حادِثٌ؛ وكذلك أَحْداثُه، واحِدُها حَدَثٌ. الأزهري: الحَدَثُ من أَحْداثِ الدَّهْرِ: شِبْهُ النازلة»[2]، فالحدوث والوقوع لفظان يحملان معنى حصول الشيء وتحققه.

المصيبة الشديدة: وللنازلة معنى المصيبة الشديدة والمهلكة. قال ابن **منظور**: «**والنازلة الشديدة تنزل بالقوم، وجمعها النوازل. والنازلة الشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس**»[3]. **لذلك وردت ألفاظ مرادفة بهذا المعنى في اللسان وهي الحين، والقارعة، والفادحة، والكريهة، والنائبة.**

وتدور هذه المعاني اللغوية للنازلة حول معنيين رئيسيين: الوقوع، والشدة. وهذا ينسجم مع الدلالة الاصطلاحية للفظ «النازلة»؛ فبالمعنى الأول فمن طبيعة النازلة الوقوع الفعلي إذ ليست أمرا متوهما أو متوقعا بل هي واقع حاصل ومشاهد، ومن جهة المعنى الثاني فإن من الشدة وحال العسر حصول الوقائع الجديدة العارية عن حكم الشرع، فالمكلف في حال من العسر والشدة والحرج مالم يعرف الحكم الشرعي للنازلة، والمجتهد المتعين في حقه الاجتهاد في حال من الكلفة والمشقة مالم يبرئ ذمته بإصدار الفتوى في النازلة المعروضة عليه.

❁المعنى الاصطلاحي للنازلة:

لذلك اعتمد العلماء على هذه المعاني اللغوية فكانت تعاريفهم للنازلة كالآتي:

---

(1) لسان العرب: مادة حدث.
(2) نفسه.
(3) نفسه مادة: نزل.

× استعمـال النازلة بمفهوم الحادثة والواقعة المستجدة، إذ مـمـا يميز النوازل كونها أحداثا حيَّة عاشها الناس وليست افتراضات لم تقع. ومن ثم فهـي مـصطبغة بالـصبغة المحلية، ومتأثرة بالمؤثرات الوقتية، وهذا المفهوم اسـتعمله الفقهـاء في مـصنفاتهم مثـل قول الشافعي: «فليست تنزل بأحد من أهل ديـن الله نازلـة، إلا وفي كتـاب الله الـدليل على سبيل الهدى فيها»[1].

× استعمـال النازلة بمفهوم المشكلة التي تفتقر إلى حل، وتستدعي جوابا شافيا مـن الشدة الحاصلة للمكلف: فتعرف بكونها الحوادث والوقائع اليومية التي تنزل بالناس، فيتجهون إلى الفقهاء للبحث عن الحلول الشرعية لها. فتكون بمعنى «الأمـر والخطـب العظيم الشديد الذي ينزل بالناس فيحتـاجون لرفعـه عـنهم أن يبـين الحكـم الـشرعي فيه»[2]. وهذا مـا يفهم من قول ابن قيم: «إذا نزلت بالعامي **نازلة** وهو في مكان لا يجـد من يسأله عن حكمها»[3].

وهذا المعنى هو الذي قصده الشاطبي بقوله: «لا بد ... من أخـذ الـدليل عـلى وفـق الواقع بالنسبة إلى كل **نازلة**»[4]. وقـال القـرطبي «وقـد أعـطى النبيﷺ مـائـة نـاقة في **نازلة** سهل ابن أبي حـثـمة إطفاء للثائرة»[5]. أي ودى الصـحابي الذي قتلـه اليهـود في خيبر عندمـا لم يعرف قاتله من إبل الصدقة، لأن الرسول د كره أن يبطل دمه.

---

(1) الرسالة للإمـام محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة204هـ، تحقيق أحمد محمـد شـاكر:20. دار الفكـر، طبعة:1309هـ.

(2) المدخل إلى فقه النوازل للدكتور عبد الناصر موسى أبو البصل، مشاركة في ندوة النوازل الفقهية وأثرهـا في الإجتهاد والفتوى بجامعة الحسن الثاني عين الشق، المغرب. (ص:3).

(3) إعلام الموقعين(4/ 460).

(4) الموافقات(3/ 53).

(5) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي(8/ 186).

❁ **تعريف فقه النوازل:**

فقه النوازل فرع من الاجتهاد العام، إذ يتوقف على حصول النوازل ووضع الأسئلة لبيان الحكم الشرعي لها، **وفقه النوازل بما هو اجتهاد للوصول إلى الحكم الشرعي في النوازل الوقتية وإعلام المستفتي به**، يتميز بواقعيته لارتباطه بوقوع الحوادث وتحققها في الزمان والمكان. وهذه المواكبة للواقع تجعل فقه النوازل يتعرض للنظر في موضوعات لم تطرق من قبل، ولم يرد فيها عن السلف قول؛ فهي مستجدات من هذا العصر المتميز بالتعقيد والتطور والتشابك.

2) **بيان أهميته:**

يعتبر علم النوازل من أعظم العلوم الشرعية، وأجودها، وأنفعها. وإذا كان أعظم دليل على فضيلة الشيء النظر إلى ثمرته، فإن من نظر في ثمرة الفقه وعلم نوازله علم أنه أفضل العلوم. ذلك أن الفقه هو العلم المطلوب من المكلف معرفته والسعي إليه، لتحقيق ثمرته في الوجود وهي العبودية لله تعالى.

إن علم النوازل ثمرة لقناعة العلماء بأن لكل واقعة تنزل بالناس حكما في شرع الله، قال الجويني: «والرأي المبتوت المقطوع به عندنا أنه لا تخلو واقعة عن حكم الله تعالى. متلقّى من قاعدة الشرع»[1].

وقال الشافعي: «فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها. قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۝ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[2]، وقال:

---

(1) البرهان للجويني: (2/ 485).

(2) سورة إبراهيم: الآية 1.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3]»[4]. وفي هذا المعنى قال الشاطبي: «الوقائع في الوجود لا تنحصر، فلا يصح دخولها تحت الأدلة المنحصرة، ولذلك احتيج إلى فتح باب الاجتهاد من القياس وغيره، فلا بد من حدوث وقائع لا تكون منصوصا على حكمها ولا يوجد للأولين فيها اجتهاد، وعند ذلك فإما أن يترك الناس فيها مع أهوائهم أو ينظر فيها بغير اجتهاد شرعي، وهو أيضا اتباع للهوى وذلك كله فساد فلا يكون بد من التوقف لا إلى غاية، وهو معنى تعطيل التكليف لزوما وهو مؤد إلى تكليف ما لا يطاق، فإذن لا بد من الاجتهاد في كل زمان لأن الوقائع المفروضة لا تختص بزمان دون زمان»[5]. وقال ابن رشد الجد: «فلا نازلة إلا والحكم فيها قائم من القرآن، إما بنص، وإما بدليل، علمه من علمه وجهله من جهله»[6].

لذلك: «لعبت الفتوى دورا هاما في استكناه المقاصد الشرعية، واستيعاب مشاكل المجتمعات الإسلامية والتكيف معها»[7].

---

(1) سورة النحل: الآية 44.

(2) سورة النحل: الآية 89.

(3) سورة الشورى: الآية 49.

(4) الرسالة للشافعي (ص20).

(5) الموافقات (4/ 62).

(6) مسائل أبي الوليد ابن رشد الجد (1/ 681).

(7) النوازل الفقهية والمجتمع لمحمد فتحة: (78).

ثانيا ـ تعريف كتاب المعيار الجديد والمؤلف:

1) تعريف الكتاب:

❁ **أولا: اسمه ووصفه ومعلوماته:**

سمَّى المهدي الوزاني كتابه هذا بـ «**المعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب**»، فنص عليه في قوله: «وقد كنت قبل هذا ألفت كتابا جمعت فيه مالدي من الفوائد والطرر، ونسقت فيه ماحضرني من النصوص والتقاييد الغرر، وأتيت فيه بجل ما يحتاج إليه من النوازل الوقتية، وما لابد منه من الأحكام والفروع الفقهية، وسميته: «**المنح السامية في النوازل الفقهية**».

ثم بعد سنين اجتمعت لدي نوازل أخرى ضمنتها هذا الكتاب المسمى بـ «**المعيار الجديد الجامع المعرب، عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب**»[1]. وبهذا يظهر ثبوت الكتاب لمصنفه.

وقد ذكره ناسخه بهذا الاسم أيضا؛ جاء في آخر الكتاب في الجزء الثاني عشر منه: «وكتبه أفقر الورى إلى رحمة ربه، محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجاي الغلام لطف الله به. وكان الفراغ من طبع فهارس هذا الكتاب المنيف، المسمى بـ(**المعيار الجديد الجامع المعرب، عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب** (تأليف علامة الزمان، وفريد الدهر والأوان، خاتمة المحققين، وتاج المدققين، المفتي بفاس، سيدي المهدي الوزاني الحسني العمراني حفظه الله من الباس، وأدام النفع به لجميع الناس، تحت ظل سلطان السلاطين محيي العلوم، والقامع لكل باغ ظلوم، أبي الفضائل والفواضل، مولانا عبدالحفيظ حفظه الله بهذا الدين، ووالى به آلاءه الوافية على المسلمين، ووفر عساكره

---

(1) المعيار الجديد: (1/ 13-14).

وجنوده، وبكت عدوه وحسوده، آمين آمين»[1]. لكن أثبت له المحقق اسما آخر هو: «**النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى**»، لا أدري هل هو من وضعه، أم من وضع المصنف.

وقد صدر الكتاب في عهد الدولة العلوية، وفي ظل أحد ملوكها، السلطان المولى عبد الحفيظ، الذي طبعت في وقته وعلى نفقته كثير من المؤلفات العلمية القيمة في العلوم الإسلامية وغيرها[2].

والكتاب مجموع في أحد عشر جزءا في طبعته الحجرية، حيث إنه طبع أول مرة بفاس طبعة حجرية بتاريخ 28 شوال عام1328هـ، وتوجد نسخ من الطبعة الحجرية بمكتبات وطنية؛ كالخزانة الملكية بالرباط، والمكتبة العامة قسم المطبوعات، وبخزانة القرويين. ثم عملت وزارة الأوقاف على إعادة طبعه بعد ماقام الأستاذ الفاضل عمر ابن عباد «بتحقيقه»، وذلك في اثني عشر جزءاً، وكان طبعه مابين:

(1417هـ-1996م)، و (1421هـ-2000م). وقد جمع فيه مصنفه فتاوى كثيرة في قضايا فقهية جزئية متنوعة.

❁ ثانيا :أسلوب المصنف في عرض نوازله

بادر المصنف إلى تأليف هذا الكتاب، فجمع فيه جملة وافرة من أجوبة المتأخرين، مستوفيا فيه ما استحسنه من كلام المحققين منهم الراسخين، سالكا فيه أحسن الترتيب، تبعا لصاحب المختصر في نسقه العجيب، وعمدته ما يكثر ترداده بين أيدي الحكام، ويشكل على بعض من يتعاطى الفصل بين الأنام، مذيلا بعض الأجوبة بما

---

(1) المعيار الجديد(12/ 673).

(2) نفسه(12/ 675)، وينظر المنح السامية(1/ 87).

يكون لها كالشرح والتتميم، لئلا يسرع بعض القاصرين بنقد أو توهيم، وبنظائر تكمل بها الفائدة، وإن كانت عن الترجمة زائدة[(1)].

فالنازلة تنقسم عنده إلى جزئين، الأول عبارة عن سؤال يتضمن عناصر النازلة وحيثياتها ومكان وتاريخ إنشائها أحيانا. وفي الشطر الثاني جواب الفقيه النوازلي، يورد فيه رأيه مبنيا إما على القرآن والسنة أو على أقوال شيوخ المذهب المالكي بالغرب الإسلامي مع ذكر مصادرها في الغالب أو مبنيا عليهما معا. ويصحب ذلك أحيانا رأي بعض المعاصرين من الفقهاء في نفس النازلة، أو تتم الإحالة على نازلة مشابهة تم القياس عليها، ويختم ذلك باسم الفقيه المستفتى ويذيل أحيانا بتاريخ إنشائها.

ويأتي التعبير عن النازلة ـ غالبا ـ بقول المؤلف: سئل ـ ويذكر اسم النوازلي ـ ثم يعرض جوابه بقوله:فأجاب: الحمد لله...ويشير النوازلي إلى نفسه بقوله في بداية النازلة «وسئلت عن»، أو في آخرها بقوله: «وكتبه فلان مع الدعاء لنفسه». مثل «وكتبه المهدي لطف الله به. والله تعالى أعلم»[(2)].

وكثيرا ما يعقب المصنف على النقول التي يسردها، لتقرير الحكم الشرعي بقوله: «فظهر بهذه النقول أن...» أو «فهذه النقول دالة على...» كما قال ـ بعد سرد نقول ـ في حكم من أحدث في بنائه ما يفضي إلى الاطلاع على بيوت الجيران من غرفة وغيرها بقوله: «فظهر بهذه النقول أن فتح كوة واحدة من الضرر، فكيف بذلك العدد الكثير الذي لايغتفر بحال، والعلم لله الكبير المتعال، وكتبه المهدي لطف الله به»[(3)].

---

(1) هذه العبارات مقتبسة من كلام المصنف: المعيار الجديد:(1/ 13).

(2) النوازل الجديدة الكبرى:(3/ 555).

(3) المعيار الجديد:(7/ 148).

وقد لايذكر نص السؤال بل يكتفي بفهمه من الجواب، كما عبر في مواضع كثيرة منها:«وسئلت عن نازلة تظهر من الجواب»[1].

ويفصل الكلام في بعض المسائل الفقهية ويحقق قضاياها في عدد من الأوراق يسميها رسالة كما في «رسالة النصر لكراهة القبض، والاحتجاج على من نازع فيها في صلاة الفرض»[2]. ويذيلها بتعليقات لفقهاء يوافقونه فيما ذهب إليه ويثنون عليه.

وفي بعض النوازل يوجز النوازلي جوابه، فيكتفي بذكرالحكم الشرعي بدون تفصيل ولا استدلال، كقول المصنف:«وسئل أيضا ـ يقصد ابن هلال ـ عمن له زرع بدرعة وآخر بسجلماسة أرادا أن يتعاوضا ويأخذ كل منهما زرع الآخر الذي في غير بلده؟ فأجاب: الحمد لله، لا يجوز ذلك»[3].

وقد يأتي بالنازلة لاصلة لها بالباب، كما في نوازل الجنائز، حيث أورد نوازل عن حكم خروج المرأة لزيارة الصالحين الأحياء أو لزيارة العلماء لطلب العلم[4]، وكما أتى بفوائد عن آداب معلم الصبيان في باب الإجارة والكراء[5]..

ويأتي بالنازلة وجوابها من مجهول بعبارة ووقع السؤال عن... والجواب بهذا...ثم يرد على الجواب منتقدا ومصوبا ومفندا كما في نازلة الزينة في باب نوازل الشفعة[6]. وغالب النوازل أتت بتعبير وسئل عن ـ ثم يذكر خلاصة السؤال ـ.

---

(1) المعيار الجديد (5/ 345).

(2) نفسه (1/ 280).

(3) نفسه (2/ 92).

(4) نفسه (2/ 36).

(5) نفسه (8/ 224).

(6) نفسه (7/ 488).

وقد يذكر سؤال السائل وقد يكتفي بالجواب مشيرا إلى ذلك بقوله «وسئلت عن نازلة تظهر من الجواب»، «وسئل ـ ويذكر اسم النوازلي ـ عما يظهر من جوابه».

❁ ثالثا: دواعي التأليف ومقاصده

في بيانه لدواعي التأليف قال الشيخ المهدي الوزاني: «فإن العلم أفضل ما تستعمل فيه عوامل الأفكار، وأنفس ما تنبعث إليه نفوس أهل الدراية، لأنه العلم بالأحكام المنوطة بأفعال العباد، والمبين للمعيار الشرعي الذي يترتب بحسبه الجزاء في الميعاد.

ولما كان أفضله هو النوع الذي يدور عليه القضاء والفتيا، إذ به يتوصل المرء في الدارين إلى كل مرتبة عليا، وهو المنهج القويم الذي تستبصر به الحكام، والقسطاس المستقيم الذي يفزع إليه لإقامة الأحكام، وهو عمدة الدين، وحافظ نظام المسلمين، وورد في الكتاب والسنة من الترغيب فيه ما يحمل العاقل على أن يتبع طريقه ويقتفيه، بادرت إلى تأليف هذا الكتاب ووضعه فيه، فجمعت فيه جملة وافرة من أجوبة المتأخرين، مستوفيا فيه ما استحسنته من كلام المحققين منهم الراسخين، سالكا فيه أحسن الترتيب، تبعا لصاحب المختصر في نسقه العجيب، وعمدته ما يكثر ترداده بين أيدي الكرام، ويشكل على بعض من يتعاطى الفصل بين الأنام، مذيلا بعض الأجوبة بما يكون لها كالشرح والتتميم، لئلا يسرع بعض القاصرين بنقد أو توهيم، وبنظائر تكمل بها الفائدة، وإن كانت عن الترجمة زائدة، وإني مع ذلك معترف بالعجز والقصور، اعترافا واضحا بين الظهور.

وقد كنت قبل هذا ألفت كتابا جمعت فيه مالدي من الفوائد والطرر، ونسقت فيه ما حضرني من النصوص والتقاييد الغرر، وأتيت فيه بجل ما يحتاج إليه من النوازل الوقتية، وما لابد منه من الأحكام والفروع الفقهية، وسميته: «المنح السامية في النوازل الفقهية».

ثم بعد سنين اجتمعت لدي نوازل أخرى ضمنتها هذا الكتاب المسمى بـ «**المعيار الجديد الجامع المعرب، عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب**»، راجيا بتأليفه الثواب العظيم والأجر الجزيل من رب الأرباب، فهو الكريم الذي لا يخيب من سعاه، ولا يرد قاصدا أمله ورجاه، مقتصرا فيه على القدر المفيد مما لم يكن في الكتاب الأول تقرر، وتاركا الكلام فيه على ماقررته في ذلك الكتاب، خشية السآمة من المكرر، إلا أن أذكره على سبيل التبعية والاستشهاد، أو للتنبيه على ما وقع فيه من غلط أو نقد أو إيراد، راجيا منه تعالى إكماله، ومتمنيا تسديده وإفضاله، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، وهو حسبي ونعم الوكيل»[1].

فمن خلال هذا النص المفصل، حدد المؤلف دوافع التأليف في الدافع العلمي، والدافع الأخروي، والدافع الحضاري، والدافع الشرعي:

- فأما **الدافع العلمي**؛ فقد ذكرأن الفقه أفضل ما تستعمل فيه عوامل الأفكار، وأنفس ماتنبعث إليه نفوس أهل الدراية، لأنه العلم بالأحكام المنوطة بأفعال العباد، والمبين للمعيار الشرعي الذي يترتب بحسبه الجزاء في الميعاد، فالاشتغال به من أجل بيان شرع الله لعباده وتعليمهم ما يلزمهم معرفته بما يحقق عبوديتهم وحقيقة خلافتهم، كما أن تدوين مسائل هذا العلم مما يثري المكتبة الاسلامية ويقدم للأجيال تراث السابقين، لتضل الصلة العلمية قائمة بين الخلف والسلف.

وهذه الفوائد دليل كبير على عظمة هذا العلم، ودافع قوي للعناية والاشتغال به؛ فقد قال ابن الجوزي: «أعظم دليل على فضيلة الشيء النظر إلى ثمرته. ومن تأمل ثمرة الفقه علم أنه أفضل العلوم»[2]. قال الشاعر:

---

(1) المعيار الجديد: (1/ 13، 14).

(2) صيد الخاطر (ص125).

والعمر عن تحصيل كل علم يقصر فابدأ منه بالأهم
وذلك الفقه فإنه ما لا غنى في كل حال عنه

> **والدافع الأخروي** يظهر في كون العلم عامة وهذا العلم خاصة، مما به يتوصل المرء في الدارين إلى كل مرتبة عليا. قال رحمه الله في مقدمة كتابه «تحفة أكياس الناس بشرح عمليات فاس»: «فإن العلم من أجل مايفشى ويدخر، ومن أعظم عمل حقه أن يقدم ولا يؤخر، ولاس يما مايتعلق منه بالأحكام، التي يمتاز بها الحلال من الحرام»[1]، ودليل هذا القول من الكتاب العزيز قوله سبحانه: ﴿يَرْفَعِ اِ۬للَّهُ اُ۬لذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَالذِينَ أُوتُواْ اُ۬لْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[2]، فهذه الرفعة في الدنيا والآخرة سببها الانتساب للعلم، فكان الاعتناء به لأجل تحصيل تلك الرفعة. قال المصنف في سبب تأليفه لهذا الكتاب: «راجيا بتأليفه الثواب العظيم والأجر الجزيل من رب الأرباب، فهو الكريم الذي لايخيب من سعاه، ولايرد قاصدا أمله ورجاه»[3].

> **والدافع الحضاري** المتعلق بالحفاظ على نظام الأمة، إذ علم الفقه ونوازله عمدة الدين، وحافظ نظام المسلمين لما فيه من إقامة أحكام الدين التي بها قيام نظام المسلمين ودوام مصالحهم ومصالح الناس أجمعين.

> **ودافع التكليف الشرعي**، لما ورد في الكتاب والسنة من ا لترغيب فيه مما يحمل العاقل على أن يتبع طريق هذا العلم الشريف ويقتفيه، إذ لا مفر للمسلم من العلم الشرعي تعلما وتعليما لتبرأ ذمته، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اَ۬لْمُومِنُونَ

---

(1) تحفة أكياس الناس بشرح عمليات فاس (ص39).

(2) سورة المجادلة: الآية 11.

(3) المعيار الجديد (1/ 13- 14).

لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[1].

2) **تعريف المؤلف:**

❁ أولا : اسمه

هو أبو عيسى المهدي بن محمد بن محمد بن الخضر العمراني نسبا الوزاني أصلا الفاسي داراً. فهو ينتسب إلى الشرفاء العمرانيين بقبائل غمارة بشمال المغرب، وهم فرع من الشرفاء الإدريسيين، أحفاد المولى إدريس بن عبد الله مؤسس الدولة الادريسية بالمغرب في القرن الثاني للهجرة(172هـ)[2].

❁ ثانيا : زمان ولادته ووفاته

تجمع المصادر التي ترجمت للمهدي أن سنة ولادته هي عام 1266هـ/ 1850م، بوزان وتوفي سنة 1342هـ/ 1923م، ودفن بالقباب بفاس[3].

---

(1) سورة التوبة: الآية 122.

(2) ينظر الأعلام لخير الدين الزركلي(7/ 114)، وشجرة النور الزكية للشيخ محمد بن محمد مخلوف(ص435ـ 436)، والفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي(4/ 379)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة(13/ 32)، وموسوعة أعلام المغرب للدكتور محمد حجي(8/ 2935،2936)، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع لعبد السلام ابن عبد القادر ابن سودة (2/ 435).

(3) ينظرالأعلام للزركلي(7/ 114)، وشجرة النور الزكية(436)، والفكر السامي(4/ 379)، وفهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني(2/ 1113)، وموسوعة أعلام المغرب للدكتور محمد حجي(8/ 2936). ومعجم المؤلفين(13/ 32).

وهكذا فقد «امتدت حياة المؤلف ما بين1266هـ - 1342هـ/ 1850م - 1923م. وقد تميزت هذه المرحلة بدخول المغرب في دوامة الصراع الحضاري المصيري ضد القوى الاستعمارية، وقد انتهت الحلقة الأولى من هذا الصراع، مع مطلع القرن العشرين، إلى نتيجة خطيرة لم يعرفها المغرب منذ قرون، انتهت باحتلاله من قبل فرنسا، التي فرضت عليه حمايتها منفردة»(1)، وكان لذلك الوضع انعكاسات متعددة وفي كل المجالات، خاصة المجال المالي الاقتصادي الذي قال عنه الأستاذ محمد المنوني «إن الحضارة المغربية في هذه الفترة وقبلها من بدايات القرن19، بدأت مدنية أوروبا الحديثة تفد إليها عن طريق منسوجاتها الآلية، ومصنوعاتها المغرية».

فقد عاش - رحمه الله - حقبة صعبة من تاريخ المغرب، قبيل الحماية وأثناءها. حيث «احتلت الدعوة إلى تحديث الدولة حيزا هاما في الخطابات الرسمية والشعبية على حد سواء في مغرب النصف الثاني من القرن 19. ولعل من أسباب تلك الدعوة ما تعلق بأوضاع المغرب الداخلية، كانتشار المجاعات والأوبئة والزيادة في النمو الديموغرافي، وتراجع الحياة الاقتصادية عموما، والتي عانت من غياب مصادر تقليدية أصيلة كأموال الغنيمة والفيء ومال الصلح وذلك نتيجة غياب الجهاد.

بالإضافة إلى انعدام بنى اقتصادية تحتية تضمن الاستمرار الطبيعي والاستقرار الاقتصادي، الشيء الذي فرض على المغرب ضرورة مراجعة تقنياته ووسائله، في الاقتصاد والسياسة والثقافة.

ومن الأسباب أيضا، ما تعلق بالضغوطات الأجنبية، وتطور نظام الغزو الأوروبي بأساليبه ووسائله، والانتفاض على التقنيات العتيقة، والأساليب المتخلفة المستغلة في قطاعات الدولة المختلفة.

---

(1) قضايا تاريخية واجتماعية في المغرب الحديث والمعاصر من خلال كتاب «المعيار الجديد» للمهدي الوزاني» للطالب أحمد طالبي (1/ 40).

إضافة إلى هذه الأسباب، تجدر الإشارة إلى دعوات العلماء المتعالية للدولة بالاهتمام بمجال الاقتصاد، باعتباره عنصرا من عناصر القوة، وأصلا من أصول الاستعداد في إطار نظام الدفاع، والمواجهة الحضارية التي تعين على المغرب أن يخوض غمارها دفاعا عن ثقافته وهويته الحضارية»[1].

كما تميزت حياة المهدي الوزاني سياسيا بكونه عاش في «ظل ستة من سلاطين الأسرة العلوية، أربعة منهم قبل الحماية وهم الملوك: عبد الرحمن بن هشام (1238هـ ـ 1276هـ) ومحمد بن عبد الرحمن (1276هـ ـ 1290هـ) والحسن الأول (1290هـ/ 1311هـ) وعبد العزيز(1311هـ/ 1325هـ)، واثنان بعد الحماية هما الملكان: عبد الحفيظ(1325هـ/ 1330هـ) وأخوه يوسف (1330هـ/ 1346هـ)»[2].

❁ ثالثا: ثقافته

كان الشيخ محمد المهدي الوزاني من أشهر علماء فاس، بل عُد مفتي فاس وفقيهها المالكي في عصره.

وبما أن لكل نتيجة مقدمة ولكل سبب مسبب، فبلوغه هذا المقام بعد توفيق الله تعالى، يرجع إلى نشأته في بيئة علمية، ووسط معروف بالشرف والفضل، والتقى والنبل. فأبوه كان فقيها مقرئا وهو أول شيوخه الذين تلقى عنهم العلم. ثم أقبل على مجالس العلم طالبا مجدا، وانتقل من وزان مسقط رأسه إلى فاس حيث جامعة القرويين التي تلقى من شيوخها علوما كثيرة؛ كالحديث والفقه وأصول الفقه والتفسير واللغة والأدب. ونهل من الكتب العلمية والأمهات الشيء الكثير مثل:

---

(1) قضايا تاريخية واجتماعية في المغرب الحديث والمعاصر من خلال كتاب «المعيار الجديد» للمهدي الوزاني» (1/ 96- 97).

(2) رسالة أبي عيسى محمد المهدي الوزاني حياته وآثاره وآراؤه: (ص10).

الموطأ للإمام مالك، والشفا للقاضي عياض، والشمائل المحمدية للترمذي، و الجامع الصحيح للبخاري ومسلم، ومختصر خليل، وألفية بن مالك وغيرها. إلى أن أصبح له شأن بين العلماء، فتصدر للتدريس في جامعة القرويين، وأقبل على درسه الجم الغفير من طلبة العلم، فطار صيته في كل الأرجاء، وقصده الطالبون لأحكام الشرع مستفتون في نوازلهم، تلك النوازل التي قيدها لتظل محفوظة للأجيال من بعده، كما قال:«كنت زمن تعاطي للفتوى إذا أجبت عن مسألة قيدتها، فلما اجتمع عندي ما يسر الناظر منها، بادرت إليها فجمعتها»[1] .

ويحسن هنا ذكر بعض شهادات معاصريه وتلامذته ومترجمين لحياته:

➢ قال فيه **الزركلي**: «محمد المهدي بن محمد بن محمد بن خضر بن قاسم العمراني الوزاني الفاسي، أبو عيسى، مفتي فاس وفقيهها في عصره، من المالكية. أصله من قبيلة «مصمودة» من جبال غمارة، ونسبته إلى عمران بن يزيد بن صفوان جد العمرانيين الذين في غمارة. مولده بوزان ووفاته بفاس»[2].

فعده مفتي فاس وفقيهها في عصره، وربما في هذا إشارة لتفرده في زمانه. وهذا ما أكده **محمد بن محمد مخلوف** بقوله في حقه: «شيخنا أبو عبد الله محمد المهدي بن محمد ابن خضر الحسني الوزاني الفاسي مفتيها العلامة وفقيهها الفهامة أستاذ الأساتذة وخاتمة العلماء المحققين الجهابذة صاحب التآليف المفيدة والرسائل العديدة العمدة الفاضل العارف بمدارك الأحكام والنوازل ومسائل المذهب والمنقول والمعقول. أخذ عن أعلام ... له تآليف كثيرة أبان فيها عن كثرة الاطلاع ورزق في غالبها القبول ... كان مفتيا مقصودا في المهمات من سائر الجهات وتوفي عن سن عال في المحرم

---

(1) المنح السامية لأبي عبد الله محمد المهدي الوزاني(1/ 11).
(2) الأعلام للزركلي(7/ 114).

سنة1342هـ»[1]. وفي قوله: «خاتمة العلماء المحققين الجهابذة»، دلالة على أن الوزاني كان آخر علماء المذهب المحققين بالمغرب. وهذا مما يؤسف له، ولكن الرجاء في الله كبير أن يعوض الأمة المغربية من أولئك خلفا لا يقل شأنا ورسوخا.

➢ وقال عنه **عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة**: «وفي الساعة الحادية عشرة والنصف من ليلة الأربعاء تاسع وعشرين محرم توفي المهدي بن محمد الوزاني الحسني، خاتمة الفقهاء بالديار المغربية، وآخر من أتقن هذا الفن، المشارك المطلع الكثير التلامذة الشيخ الإمام، له عدة تآليف كلها تدل على اطلاعه ومقدرته، منها النوازل الكبرى»[2].

فالمهدي الوزاني هو أحد أعلام الفكر الإسلامي بالمغرب الحديث، وأحد شيوخ الفقه المالكي المتفردين في زمانهم بجمع أصوله وفروعه، وخاتمة العلماء النوازليين في الغرب الإسلامي، ومفتي الديار المغربية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي.

❁ رابعا: الآثار العلمية للمصنف

أ. شيوخه:

لقد اقتضت سنة الله في الحياة أن يكون العلم بالتعلم، وبالتالي فلا أحد يولد عالما، كما قال الشاعر:

«تعلَّمْ فلَيسَ المرءُ يولَدُ عالما *** وليسَ أخُو علْمٍ كَمنْ هُو جاهلُ»

---

(1) شجرة النور الزكية (ص435، 436).

(2) إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع: (2/ 435).

لذلك كانت بداية المصنف تعلُّما من علماء زمانه، فقد درس المهدي الوزاني على ثلة من المشايخ، وتلقَّى على أيديهم مختلف العلوم الشرعية واللغوية، فتخرج فقيها أصوليا، ونوازليا مفتيا، وهذه بعض أسماء هؤلاء الشيوخ[1]:

1. والده الفقيه أبو عبد الله محمد بن الخضر العمراني الوزاني(ت1276هـ). قرأ عليه القرآن وختم عليه ختمتين.
2. أبو عبد الله بن المدني كنون(1240 ـ 1302هـ/ 1825 ـ 1885م)[2]. أخذ عنه الفقه والتوحيد وأجازه[3].
3. الفقيه النوازلي أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن حمو.
4. أحمد بن حسون العمراني.
5. الشيخ محمد الطاهر النيفر من تونس.
6. الشيخ محمد مصطفى الملقب بماء العينين الشنكيطي وقد أجازه[4].
7. محمد بن عبد الرحمن الفلالي[5]، أخذ عنه الفقه.
8. صالح بن المعطي التادلي الفاسي.

---

(1) ينظر فهرسة المهدي الوزاني المشار إليها في مؤلفاته. وقد حققها الطالب عبد الواحد الجيدي، في رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بدار الحديث الحسنية بالرباط: 1994م ـ 1995م، وهي مسجلة بخزانتها تحت رقم: ت ـ 2.1229.

(2) كان نموذجا للفقيه العلامة في نهاية القرن التاسع عشر بشهادة أعلام كصاحب سلوة الأنفاس، والحجوي الثعالبي. النوازل الجديدة الكبرى(6/ 472).

(3) إذ ذكره بعبارة شيخنا في نوازله الكبرى(6/ 472).

(4) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية(ص435).

(5) نفسه(ص435).

9. الشيخ أبو العباس أحمد بن الطالب بن سودة قاضي الجماعة بمكناس[1].
10. الشيخ جعفر بن ادريس الكتاني الحسني[2].
11. الشيخ عبد الله بن ادريس الحسني الشهير بالبقراوي[3].
12. مولاي محمد العلوي قاضي الجماعة بفاس.
13. محمد بن عبد الرحمن الشريف العلوي، أخذ عنه الفقه.
14. الشريف محمد القادري الحسني قرأ عليه كتاب جمع الجوامع للسيوطي وأجازه.
15. أبوعبد الله محمد المقري.
16. عمر بن الطالب بن سودة.
17. عبد الهادي بن أحمد الصقلي الحسني قاضي الجماعة بفاس.
18. الطيب بن كيران.

ب. **تلاميذه:**

من عادة العلماء أنهم يحملون ما تعلموا من المعارف والعلوم إلى طلبة العلم راغبين في الأجر والثواب، ومؤدين لأمانة التبليغ كما أمر بها الشرع الحنيف، وهكذا سار شيخنا على نفس النهج، عاملا على نشر ما أُوتي من علم في أوساط طلبته الذين لا يعدون كثرة، ونذكرهنا بعضهم[4]:

---

(1) النوازل الجديدة الكبرى(1/ 300).
(2) موسوعة أعلام المغرب(8/ 2936).
(3) النوازل الجديدة الكبرى(1/ 300).
(4) ينظر: إتحاف ذوي العلم والرسوخ بتراجم من أخذت عنه من الشيوخ(ص43،215)، وفهرسة المهدي الوزاني.

1. محمد بن حسنين بن محمد مخلوف العدوي المصري الأزهري المالكي الخلوتي(1355هـ).
2. محمد بن العربي العلوي(ت1384هـ).
3. التهامي بن لحسن بن العربي الفيلالي البلغمي الفاسي(ت1378هـ).
4. محمد الرهوني التطواني.
5. محمد الصادق النيفر،أجازه لما نزل ضيفا على علماء تونس عام:1323هـ.
6. أبو الشتاء ابن الحسن ابن محمد الغازي الشهير بالصنهاجي 1299هـ ـ 1365هـ.
7. الحبيب بن أحمد بن محمد بن الخضر الإدريسي المهاجي:1318هـ ـ 1348هـ.
8. محمد بن عبد السلام بن الحسن بن أحمد بن محمد بن الحاج البناني النفزي:1316هـ ـ 1376هـ.
9. محمد بن عثمان بن محمد بن أحمد بن عبد الحفيظ الشامي المولود عام:1319هـ.
10. محمد بن هاشم العلوي.1296هـ ـ 1371هـ.
11. أحمد بن محمد بن الخضر بن الفضيل بن محمد بن عبد الملك بن محمد بن أحمد العمراني،1297هـ ـ 1370هـ.
12. أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الكريم بن محمد فتحا الإدريسي المعروف بالشبيهي:1306هـ ـ 1394هـ.
13. محمد بن محمد عبد السلام الطاهري ولد عام 1314هـ.
14. محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن السائح ولد عام1310هـ. وتوفي عام1367هـ.

15. أبو العلاء إدريس ابن أبي محمد عبد الله بن الهاشمي ابن خضراء السلاوي المتوفى: 1328هـ.

16. الحسن بن محمد بن محمد حجاج الشفشاوني العمراني الزرهوني: 1302هـ - 1361هـ.

17. محمد بن أحمد بن داود الأندلسي أصلا، التطواني منشأ ودارا: 1318هـ - 1404هـ.

18. المختار بن محمد بن المكي السنتيسي الفاسي: 1315هـ - 136 - 89هـ.

19. المهدي بن عبد الله العلوي: 1299هـ - 1399هـ.

20. محمد العابد بن عبد الله بن عبد السلام بن علال الفاسي الفهري: 1320هـ-1395هـ.

21. عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن زيدان بن اسماعيل الحسني العلوي السجلماسي مؤرخ مكناس الشهير: 1290هـ - 1365هـ.

ج. آثاره العلمية:

خلف الشيخ تراثا علميا في فنون متنوعة علاوة على التلاميذ الذين درسهم. فقد كان رحمه الله عالما معلما، ومؤلفا مكثرا، كان كما قال الثعالبي: «دؤوبا على نشر العلم بدروس عامرة، وتواليف متكاثرة هو أكثر من أدركنا بالمغرب تأليفا وتصنيفا»[1]، وقد لقيت تصانيفه القبول كما قال صاحب شجرة النور الزكية: «له تآليف كثيرة أبان فيها عن كثرة الاطلاع ورزق في غالبها القبول»[2].

---

(1) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: (4/ 379).

(2) شجرة النور الزكية: (435، 436).

ومن مؤلفاته:

1 ـ «المعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب»، والمسمى بـ «النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى»، مطبوع في إثني عشر جزءا. طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سنة 1417هـ موافق 1996م، قال فيها الدكتور عمر الجيدي في معرض مقارنتها بمعيار الونشريسي: «وإن كانت من حيث القيمة أجود من، وتمتاز عن سابقتها بنقلها فتاوى المتأخرين»[1].

2 ـ المنح السامية في النوازل الفقهية، طبعت على الحجر بفاس منذ حوالي قرن من الزمن، ونشرتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في أربعة أجزاء: 1412هـ/ 1992م.

3 ـ فهرسته. وقد عثرت عليها محققة بخزانة دار الحديث في بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا بعنوان «الشيخ المهدي الوزاني حياته ومؤلفاته وتحقيق فهرسته»، للطالب عبد الواحد الجيدي، بإشراف عمر الجيدي. ورقمها: ت ـ 2.1229.

4 ـ تحفة أكياس الناس بشرح عمليات فاس، شرح فيه منظومة[2] أبي زيد عبدالرحمن الفاسي[3] التي جمع فيها أهم عمل أهل فاس في عصره (ت1096هـ)، وهذا

(1) محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الاسلامي: (105).

(2) منظومة ضمنها حوالي 300 مسألة مما جرى به العمل بفاس وتصدى لشرحها صاحبها بنفسه، كما شرحها ـ إلى جانب المهدي الوزاني ـ القاضي العميري (ت1178هـ) فسماه «الأمليات الفاسية في شرح العمليات الفاسية»، وشرحها الفقيه العالم المشارك محمد بن القاسم السجلماسي الرباطي (ت1214هـ).

(3) هو أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي له تآليف منها نظم العمل الفاسي وشرح بعضه والطالع المشرق في المنطق، والباهر اختصار الأشباه والنظائر وغاية الوطر في علم السير واللمعة في قراءة=

الكتاب هو خلاصة لشرح مطول للمنظومة سماه «الشفاء الذي لا يغادر سقما ولا بأسا»، وتوجد نسخة منه بالخزانة الحسنية . وهو موجود في طبعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

5 ـ «الكواكب النيارة: حاشية على ميارة، على الدر الثمين، طبعت في جزئين.

6 ـ رسالة في «الرد على الشيخ محمد عبده» في مسألة التوسل.

7 ـ «حاشية على شرح التاودي للامية الزقاق» في القضاء .

8 ـ «حاشية على شرح التاودي لتحفة ابن عاصم» في الفقه.

9 ـ «حاشية على شرح أبي زيد عبد الرحمن المكودي لألفية أبي عبد الله محمد بن مالك، طبعت بفاس عام 1317هـ، وهي في النحو وتقع في جزئين.

10ـ «السيف المسلول باليد اليمنى في الرد على ابن مهنى» في دفع المذمة عن أهل فاس.

11 ـ شرحان على العمل الفاسي.

12 ـ تأليف في الفرق بين الطلاق البائن والرجعي.

13 ـ حاشية على شرح أبي العباس أحمد بن محمد السوداني على مقدمة ابن آجروم.

14 ـ شرح منظومة ياقوتة الحكام.

15 ـ بغية الطالب الراغب القاصد، إباحة صلاة العيدين في المسجد.

= السبعة، وألف في مصطلح الحديث والفرائض والحساب والجدل والعروض والقوافي والتوقيت، قال عنه والده كان سيوطي زمانه، مولده سنة1040هـ وتوفي سنة1096هـ ـ 1684م. شجرة النور الزكية:(1/ 456،457).

16 ـ تأليف في إباحة الخز للرجال.

17 ـ رسالة: الثريا في الرد على من منع بإطلاق بيع الثنيا.

18 ـ حاشية على شرح أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي لنظم ألقاب الحديث لأبي عبد الله العربي الفاسي.

19 ـ شرح دلائل الخيرات للجزولي.

20 ـ السيف المسلول باليد اليمنى، لقطع رأس ابن مهنا.

هذه التآليف وغيرها مما لم نتعرف عليه، تشهد بغزارة الإنتاج العلمي لهذا العلَم الفقهي، ومدى حرصه على كتابة علمه، ليبقى منارة للأجيال من بعده.

ثالثا ـ منزلة الصحابة من خلال الكتاب:

أورد الوزاني كعادته في «المعيار الجديد»، أقوالا من علماء المذهب في موضوع الصحابة في الجزء الثالث من الكتاب خاصة في نوازل الخصائص. وفي الجزء الثاني عشر ـ أيضا ـ الذي لم يقسمه المصنف كعادته في الأجزاء الأخرى، وإنما جعله جامعا كعادة العلماء في تصانيفهم، سماه: (الجامع في نوازل مختلفة لاترجع إلى باب معينة)، وسيكون عمدتنا في هذا العمل نص نفيس هو عبارة عن جواب لمحمد بن عبد القادر الفاسي عن جملة أسئلة تتعلق بالصحابة الكرام، وسنعالجه باعتباره النص الأساس وننتقي من الكتاب ـ مجال الدراسة ـ نصوصا مفيدة خادمة للمقصود :

1) **النص:**

قال محمد المهدي الوزاني:«وسئل الشيخ العلامة أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي عن الصحابة بعد تسليم أنهم أفضل الأمة بحسب الصحبة، هل يحصل إثم أو يتطرق لوم إلى من قال: يوجد فيمن بعدهم من هو أعلم من بعضهم، وأعرف منه بالله، وأكثر عبادة وزهادة وغيرهما مما ينتجه العلم والمعرفة، فإن قيل بوجوده فإلى أي منزلة يبلغ فيما ذكر؟ وأيضا قد علم وسلم أن العصمة خاصة بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأن الصحابة رضوان الله عليهم ليسوا معصومين كغيرهم من البشر، فهل يتطرق لوم لمن قال: إنهم يغضبون للدنيا ويتنافسون فيها كتنافسنا نحن؟ وأيضا هل يوجد من علماء الأمة الراسخين في العلم من يفهم معاني القرآن وتأويلاته كفهم الصحابي الذي أنزل على لغته ـ وتلقاه من النبي ﷺ مشافهة ـ لذلك أو أكثر؟ وأيضا، فهل العدالة عامة لسائر الصحابة أو خاصة لبعضهم؟ وأيضا، هل الأفضلية لسائر الصحابة أو لبعضهم؟ وأيضا، هل الصحابة الذين ماتوا في زمن النبيﷺ وهو عنهم راض وشهد جنائزهم أفضل من الذين

مـاتوا بعده؟ جوابا شافيا بذكر مـاللعلمـاء في ذلك من الأقـوال، والنـصوص الرافعـة للاحتمـال، ولكم الأجر والسلام؟

فأجاب: إن السؤال ينحصر في مباحث، نفرد كل واحد منها بجوابه إن شاء الله.

❁المبحث الأول: هل يأثم من قال: يوجد فيمن بعد الصحابة من هو أعلم من بعضهم وأعرف منه بالله، وأكثر عبادة وزهادة؟ وعلى القول بوجوده فإلى أي منزلة يبلغ؟

والجواب عن هذا المبحث أن مرجع مـاذكر إلى مسألة تفضيل البعض، وإنمـا يـسوغ الخوض في ذلك وأمثاله لمن تأهل للاجتهاد والنظر في أدلة الشرع، ولا إثم عليه حينئـذ إن سلم من الهوى، وكان مقصوده طلب الحق والبحـث عـن حقيقـة الأمـر، وحـسب المقلد حكاية قول إمـامه لغرض صحيح مع توقي مـايخل بالأدب والحذر مـن الخطـر. والمسألة وإن لم تكن من العمليات فإن الاجتهاد سائغ فيها على مـاذهب إليه عبدالحميد الصائغ، ووافقه الشيخ ابن عرفة فقال: المسائل العلمية مـمـا يرجـع لأحكـام العقائـد لاتثبت إلا بمـا يفيد القطع اتفاقا، ومـاليس من العقائد كأفضلية بعض الـصحابة عـلى بعض ونحوه، فهذا يصح إثباته بالدلائل الظنيـة، إذ لايلـزم مـن تحـصيله بهـا إخـلال بواجب.(هـ) بخ. ويخالفه ظاهر كلام الإمـام في المحصول على مـاقاله الأبّي، وكذا كلام البيضاوي، وقد خالف المـازري عبد الحميـد أيـضا، وكـذا في كـلام القـاضي عيـاض الإحالة في المسألة على النص دون القياس، فيحتمل أنه يشترط القطع أو مطلق الـنص، ونص القاضي في المسألة: إعلم أن الفضائل والتفـضيل عنـد العلمـاء مـمــا لايـدرك بقياس، وإنمـا مداره على التوقيف، ومعنى فلان أفضل من فلان، أكثر ثوابـا عنـد الله، وأرفع منزلة لديه، وهذا مـمـالايعلم إلا بتوقيـف، ولا يـستدل عليـه بكثـرة الطاعـات

الظاهرة، إذ قد يكون الثواب من الله على اليسير الخفي منها أكثر من الكثير الظاهر، وعلى صحة الإيمان وكثرة الذكر والفكر والخشية وإن كانت الأعمال الظاهرة، فيها مجال لغلبات الظنون والتفضيل.(هـ).

أما ما ورد فيه قاطع كأفضلية الصديق فلا موقع للاجتهاد فيه من غير ريب، إذ لا قياس مع قيام القاطع على خلافه، ولا يجوز خرق الإجماع، فإن وقع اختلاف لمن لم يطلع على القاطع فالحكم كما ذكره في جمع الجوامع، وإن كان ظاهر كلامه إنما هو في الأحكام المتعلقة بالعمل، فقد يجوز هنا أيضا، ونصه ـ ممزوجا ببعض شرحه للمحلّي ـ: أما الجزئية فيها قاطع من نص أو إجماع، فاختلف فيها لعدم الوقوف عليه، فالمصيب فيها واحد وفاقا، وهو من وافق ذلك القاطع، وقيل: على الخلاف فيما لاقاطع فيه وهو بعيد، ولا يأثم المخطىء فيها، بناء على أن المصيب واحد على الأصح، ومتى قصر مجتهد أثم وفاقا». هذا وقد ذهب الشيخ الأشعري إلى أن ترتيب الفضل بين الخلفاء قطعي، وخالفه القاضي الباقلاني فقال: إن فيه ضربا من الاجتهاد، فمن أداه اجتهاده إلى تفضيل أحدهم واعتقد ذلك من غير طعن على أحدهم ولا نقص فلا عتب عليه؛ لأن الخطأ في مثل هذا لايوجب التبري والتكفير والتأثيم، وأقصى مافيه أن يكون مقصرا في أمر لم يلزم العلم به؛ لأن هذا ليس من فرائض الدين(هـ). وكلامه ليس على إطلاقه لامحالة، ولابد من استثناء مافيه قاطع كما تقدم، والله سبحانه أعلم.

❁ المبحث الثاني : أن الصحابة رضي الله عنهم ليسوا بمعصومين ، لأن العصمة خاصة بالأنبياء ، فهل يتوجه لوم على من قال : إنهم يغضبون للدنيا ويتنافسون فيها كتنافسنا؟

والجواب عنه أنه لا يلزم من عدم العصمة وقوع المعصية، لجواز الحِفْظة[1] في حق المعصوم، وهم أحق الناس بها، فيظن بهم الجميل ماأمكن. وما ثبت من أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجم بعضهم في الزنى، وقطع يد بعضهم في السرقة، وجلد بعضهم في الخمر، دال على وقوع المخالفة منهم في الجملة، لكن ليس لنا أن نحكم باطراد الوقوع في حق جميعهم من غير ثبت، ولاباطراد وقوع كل مخالفة، فلا نعتقد إصرارهم على الذنب وإكبابهم على حب الدنيا الذي هو رأس الخطايا، وإنما جرى عليهم القدر بمافيه حد من تلك الأمور التي ذكرنا وحكمها، لحكمة تنفيذ الأحكام وإظهارها على يد الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ليقتدى به في ذلك قولا وفعلا، مع عدم إصرار من وقع منه ماوقع، ومبادرته بالتوبة كماهو معلوم مشهور في الذي طلب إقامة الحد على نفسه، وشهادة الرسول للشارب بأنه يحب الله ورسوله، والتائب من الذنب كمن لاذنب له. فما لم يثبت من المخالفات ليس لنا أن ننسبه إليهم مع الاحتمال، لأنا ماموررون بحسن الظن، وباجتناب سوء الظن في حق من هو دونهم من المومنين فضلا عنهم، فالحكم على جميعهم بأنهم يغضبون للدنيا، وحمل ما يسمع مما شجر بينهم على ذلك، لايصح ولا يجوز، وهو من الخطر في الدين، والإصرار عليه إصرار على أمر عظيم، وكذلك الحكم بذلك على المعين منهم حيث لانص، لأنه سوء ظن، بل مع الثبوت يجتنب الإخبار لغير غرض صحيح، ليسلم من غيبتهم.

---

(1) الحفظة بكسر الحاء، والحفيظة: الغضب والحمية لحرمة تنتهك، لسان العرب لابن منظور: حفظ.

ولقد أحسن الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رضي الله عنه حيث قال في كتابه التنوير: وسمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول: العارف لادنيا له، وآخرته لربه، وعلى ذلك تحمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالحين، فكل ما دخلوا إليه من أسباب الدنيا فهم بذلك إلى الله متقربون، وإلى رضاه منتسبون، لا قاصدون بذلك الدنيا وزينتها ووجود لذاتها، وبذلك وصفهم الحق سبحانه بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[1]. وقال في الآية الأخرى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[2] وبقوله: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[3]، ونظائر هذه الآيات.

وما ظنك بقوم اختارهم الله لصحبة رسول الله ﷺ، ولمواجهة خطابه في تنزيله، فما أحد من المؤمنين إلى يوم القيامة إلا وللصحابة في عنقه منة لا تنحصر، وأياد لا تنسى؛ لأنهم هم الذين حملوا إلينا عن رسول الله ﷺ الحكمة والأحكام، وبينوا الحلال والحرام، وفهموا الخاص والعام، وفتحوا الأقاليم والبلاد، وقهروا أهل الشرك والعناد، وبحق ما قال رسول الله ﷺ فيهم: «أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم

(1) سورة الفتح: الآية 29.

(2) سورة النور: الآية 36.

(3) سورة الأحزاب: الآية 23.

اهتديتم»[1]، فقد وصفهم الله تعالى في الآية الأولى بأوصاف إلى أن قال: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾[2]، فدل ذلك من قوله ـ وهو المطلع على أسرارهم، العالم بهم في سرهم وأجهارهم ـ، أنهم ما ابتغوا مما حاولوه الدنيا، ولم يقصدوا بذلك إلا وجه الله الكريم وفضله العميم، وقد قال سبحانه فيهم: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[3]، فقد أخبر سبحانه أنهم لا يريدون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، وقوله في الآية: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[4]، إشارة إلى أنه قد طهر أسرارهم، وكمل أنوارهم، فلذلك لا تأخذ الدنيا من قلوبهم، ولا تخدش وجه إيمانهم، وكيف تأخذ الدنيا من قلوب ملأها بحبه، وأشرق فيها أنوار قربه، وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[5]، فلو كان للدنيا على قلوبهم سلطان لكان للشيطان على قلوبهم أيضا، إذ لا يمكن الشيطان أن يصل إلى قلوب أشرقت فيها أنوار الزهد، وكنست من أوساخ الرعونة، بقوله سبحانه ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[6]، أي ليس لك ولا لشيء من الأكوان على قلوبهم سلطان، لأن سلطان عظمتي في قلوبهم يمنع أن يكون على قلوبهم سلطان لشيء دونه.

---

(1) أخرجه ابن عبد البرفي كتابه: جامع بيان العلم وفضله، وقال: هذا إسناد لا تقوم به حجة. حديث رقم1760 . جامع بيان العلم وفضله: (2/ 925).

(2) سورة الفتح: الآية 29.

(3) سورة الكهف: الآية 28.

(4) سورة النور: الآية 36.

(5) سورة الحجر: الآية 42.

(6) سورة الحجر: الآية 42.

ثم قال الشيخ تاج الدين بعد كلام ما نصه:

فإن قلت: قد زعمت أن ليس منهم من يريد الدنيا، وأنزل الله في شأنهم يوم أحد: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلآخِرَةَ﴾[1]، حتى قال الصحابة رضي الله عنهم: ماكنا نظن أن أحدا منهم يريد الدنيا حتى نزل قوله سبحانه: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلآخِرَةَ﴾[2]، فاعلم ـ وفقك الله للفهم عنه، وجعلك من أهل الاستماع منه ـ أنه يجب على كل مؤمن أن يظن في الصحابة رضي الله عنهم الظن الجميل، وأن يعتقد فيهم الاعتقاد الفضيل، وأن يلتمس لهم أحسن المخارج في أقوالهم وأفعالهم في جميع أحوالهم، في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته، لأن الحق سبحانه لما زكاهم تزكية مطلقة لم يقيدها بزمان دون زمان، وكذلك تزكية الرسول لهم بقوله ﷺ: «أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم»[3].

وعن هذه الآية جوابان: أحدهما: منكم من يريد الدنيا للآخرة كالذين أرادوا الغنيمة ليعاملوا الله تعالى بما يأخذونه منها بذلا وإيثارا، ومنكم من لم يرد ذلك، وإنما كان مراده تحصيل فضل الجهاد لا غير، فلم يلو على الغنائم ولم يلتفت إليها، فمنهم الفاضل، ومنهم الأفضل، ومنهم الكامل، ومنهم الأكمل.

الجواب الثاني: أن السيد يقول لعبده ماشاء، وعلينا أن نتأدب مع عبده لثبوت نسبته منه، فليس كل ماخاطب به السيد عبده ينبغي أن يثبت للعبد، ولا أن يخاطب به، إذ

---

(1) سورة آل عمران: الآية 152.

(2) آل عمران: الآية 152.

(3) سبق تخريجه:19.

للسيد أن يقول لعبده ماشاء، تحريضا لعبده وتنشيطا لهمته وقصده، وعلينا أن نلتزم حدود الأدب معه، وإن تصفحت الكتاب العزيز وجدت فيه كثيرا(هـ) محل الحاجة من كلامه رضي الله عنه.

وفي شرح الرسالة للقلشاني: والمعتقد أن الصحابة رضي الله عنهم عدول، اختصهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه، وأثنى عليهم في كتابه العزيز، فكل ما وقع بينهم فليس عن هوى ولا لتحصيل دنيا، وإنما هو عن اجتهاد ورأي، والذي يجب على الكافة اعتقاد عدالتهم، وأنهم مجتهدون، وكل مجتهد في الأحكام مصيب، فمتى سمعوا شيئا من وقائعهم كفوا عن الخوض فيما لا يعلمون، و «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[1].

(1) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في حسن الخلق، حديث رقم:691، وأخرجه الترمذي في سننه وابن ماجة وأحمد في مسنده.

❁المبحث الثالث: هل يوجد في علماء الأمة من يفهم معاني القرآن كفهم الصحابي؟

وكذا قوله فيما تقدم، فإن قيل بوجوده أي بوجود من هو أعرف بالله من بعض الصحابة أو أعلم منه أو أزهد منه فلنجعل ذلك كله بحثا واحدا ونقول في الجواب عنه: إن مطلق الاختصاص مما لا يوجب إطلاق التفضيل الشرعي، فلا ينبغي أن يكون محلا للخلاف كاختصاص المفضول بفضيلة جسمانية أو خصيصة لا تعادل فضيلة الأفضل. ومن ذلك أن يختص التابعي عن الصحابي بحفظ سورة من القرآن، أو رواية حديث ما، أو فهم مسألة، أو زيادة عدد في عمل، من حج أو عمرة، أو صوم أو صلاة. ومن أمثلتهم في رواية الأكابر عن الأصاغر رواية الصحابي عن التابعي، وجمع القرآن بالروايات كثير من الأمة، ولم يجمعه كثير من الصحابة. وفي الحديث: «رب مبلغ علم أوعى من سامع»[1]، وفي حديث آخر: «أخبروني عن شجرة، فوقع في نفس ابن عمر أنها النخلة، وكان أصغر القوم، وفيهم أبوه عمر رضي الله عنهما»[2]. ومثل هذه الجزئيات لاينحصر، وإنما محل النظر الخصوصية المقتضية لإطلاق التفضيل كالمعرفة بالله التي هي مجمع الفضائل، فغير خاف أن حوزها مقتض للأفضلية حسبما دلت على ذلك النصوص الشرعية، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[3]، والأعرف بالله أتم خشية وتقوى وزهدا، وأقوى يقينا من غيره، فهو أكرم وأفضل عند ربه، هذا إن اعتبر التفضيل المستند للسبب والوصف الخاص، وإلا فقد يكون التفضيل

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: «رب مبلغ أوعى من سامع»، حديث رقم67.

(2) رواه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ماعندهم من العلم، حديث رقم: 62.

(3) سورة الحجرات: الآية 13.

بغير شيء، فإن لله سبحانه أن يفضل ماشاء على من شاء لابخصوصية زائدة في الفاضل ولالنقص في المفضول.

وبالجملة، فتفضيل شخص على آخر إنما يكون بتوقيف ممن يفضل من شاء على من شاء، أو بدليل يستند إلى كتاب أو سنة أو إجماع.

وإذا تمهد ذلك فالقول بوجود من هو أعرف بالله من بعض من ثبتت له الصحبة أو أزهد أو نحو ذلك، مرجعه إلى القول بتفضيل بعض من بعدهم عليهم، فيرجع إلى مقتضى النصوص الشرعية في ذلك، وقد تواتر حديث «خيركم قرني»[1]، فهو دليل قاطع على الأفضلية، لكنه محتمل من حيث دلالته، لتفضيل المجموع على المجموع، أو تفضيل كل واحد على كل واحد، فنشأ من ذلك اختلاف، فذهب ابن عبد البر وطائفة إلى الأول، وهو تفضيل المجموع، وأنه قد يكون في التابعين أو من بعدهم من يزيد على بعض من حصل له مجرد الرؤية، واستدلوا بجمع القرن بين الفاضل والمفضول، وبأحاديث وآثار:

منها حديث: «ليدركن المسيح أقواما، إنهم لمثلكم أو خير ثلاثا، ولن يخزي الله أمة أنا أولها، والمسيح آخرها»[2].

ومنها حديث: «تأتي أيام، للعامل فيها أجر خمسين»[3].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لايشهد على شهادة جور إذا أشهد، الحديث رقم: 2651.

(2) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الزهد جامع أقوام شتى حديث رقم36279، وإسناده متصل ورجاله ثقات، وأخرجه في كتاب الجهاد باب ما ذكر في فضل الجهاد برقم18774.

(3) رواه أبو داود في سننه باب في الأمر والنهي، حديث رقم:4341. وابن ماجة:4014. وقال الألباني: ضعيف.

ومنها حديث:«مثل أمتي مثل المطر، لايدرى أوله خير أم آخره»[1]، إلى غير ذلك، وذهب الجمهور إلى تفضيل كل فرد، لأن فضيلة الصحبة لايعدلها عمل، لمشاهدة رسول الله ﷺ.

ويجاب عما استدل به الأولون بأن ما استدل به من جمع القرن بين الفاضل والمفضول على تسليم أن المراد من القرن الزمان، لا ينهض إلا لو اقتصرنا في الاستدلال بمجرد حديث «خيركم قرني»[2]، ونحن لم نقتصر عليه لما ذكرنا من أفضلية الصحبة التي لا تعادل، وغير ذلك.

وعن الحديث الأول بأن الخيرية أو المثلية تصرف إلى وصف خاص لا على الإطلاق.

وعن الثاني بأن مجرد الأجر لايستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة. وأيضا الأجر إنما يقع تفاضله بالنسبة إلى ما يماثله في ذلك، فأما مافاز به من شاهده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فضيلة المشاهدة فلا يعدله فيها أحد.

وعن الثالث بما قاله النووي من أن المراد من تشتبه عليه الحال في ذلك من أهل الزمان الذين يدركون عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ويرون ما في زمانه من الخير والبركة وانتظام كلمة الاسلام ودحض أمر الكفر، فيشتبه الحال على من شاهد ذلك، أي الزمانين خير، وهذا الاشتباه مندفع بصريح قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خير القرون قرني»[3]، والله أعلم.

---

(1) رواه الترمذي في سننه، كتاب الأمثال، باب مثل أمتي مثل المطر. وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب. حديث رقم: 2869.

(2) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، الحديث رقم: 2651.

(3) أخرجه البخاري ومسلم.

وعلى كل حال فمحصول النزاع كما قيل يتمحض فيمن لم يحصل إلا مجرد المشاهدة، وبه يقع الجمع بين الأحاديث ويردها إلى وفاق.

وكلام ابن عبد البر صريح في عدم الإطلاق، وأنه يستثنى أهل بدر والحديبية. ثم من المعلوم أيضا أن ماوقع النص أو الاجماع في خصوصه خارج عن الخلاف، إذ لاقياس مع النص، وخرق الإجماع حرام، بل إذا كان المجمع عليه معلوما من الدين بالضرورة فإن جاحده كافر، وقد قيل: إن تفضيل مسجد، أي مسجد كان، على مسجد مكة والمدينة كبيرة، وبعض الناس يكفر به، وهم الأكثر، كما يكفر من يعتقد أنه أفضل من أبي بكر ﷺ أو مساو له، كذا ذكر أبو الفضل راشد في جواب له نقله صاحب المعيار، والله سبحانه أعلم.

۞ المبحث الرابع: هل العدالة ثابتة لجميع الصحابة أو خاصة ببعضهم؟

والجواب أن أهل السنة اتفقوا على أن الصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول مطلقا، كبيرهم وصغيرهم، لابس الفتنة أم لا، وجوبا لحسن الظن بهم، ونظرا إلى مآثرهم التي لا تنحصر ولم تجتمع في غيرهم.

قال الخطيب في الكافية: عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1]، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[2]، وقوله: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾[3]، وقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[4]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5]، وقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[6]، في آيات كثيرة يطول ذكرها، وأحاديث شهيرة يكثر تعدادها، وجميع ذلك يقتضي القطع بتعديلهم، ولا يحتاج أحد منهم بعد تعديل الله تعالى إلى تعديل أحد من الخلق.

---

(1) سورة آل عمران: الآية 110.

(2) سورة البقرة: الآية 142.

(3) سورة الفتح: الآية 18.

(4) سورة التوبة: الآية 100.

(5) سورة الأنفال: الآية 65.

(6) سورة الحشر: الآيات: 8 ـ 10.

على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرنا لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة ونصرة الإسلام، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأبناء، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، والقطع على تعديلهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المخلوقين بعدهم، والمعدلين الذين يجيئون بعدهم، هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتمد قوله.

ثم أسند عن أبي زرعة الرازي: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق. وذلك أن الرسول حق، والقرآن حق، وماجاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة(هـ).

وهو ـ كما قال الحافظ ابن حجر ـ فصل نفيس، والأحاديث الواردة في تفضيلهم كثيرة. من أدلتها على المقصود مارواه الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث عبدالله بن مغفل، قال: قال رسول الله ﷺ: «الله الله في أصحابي، لاتتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، فيوشك أن يأخذه»[1] (هـ)».

والكلام في هذه الأغراض منتشر، ومناقبهم وفضائلهم لاتنحصر، وخصوصا هذا الفصل الذي هو العدالة، وما فيه متسع في كتب الأصول واصطلاح الحديث، وفي هذا القدر كفاية، والله أعلم.

---

(1) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب لاتسبوا أصحابي، الحديث رقم: 3862. وقال الترمذي: حديث غريب.

المبحث الخامس: هل الصحابة الذين ماتوا في حياة النبي ﷺ، وهو عنهم راض وشهد جنائزهم، أفضل من الذين ماتوا بعده؟

والجواب: أن عبد البر وطائفة ذهبوا إلى ذلك، أي تفضيل من مات في حياته ﷺ، وقد رُد هذا القول بما أجمع عليه الصحابة والتابعون من أفضلية أبي بكر وعمر على سائر الصحابة، ثم عثمان ثم علي، وكتب عبد الله سبحانه محمد بن عبد القادر الفاسي كان الله له.(هـ)[1].

2) دراسة النص

1. تعريف المفتي:

أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، الفهري، المالكي، الإمام العلامة العمدة المحقق الفهامة القدوة الفاضل حافظ وقته، المتفنن في المعقول والمنقول لقبه والده بسيوطي زمانه، أخذ عن والده وابن سودة وميارة وغيرهم. له تآليف كثيرة منها نظم العمل الفاسي واختصار الأشباه والنظائر، ولد سنة1040هـ، وتوفي سنة 1096هـ[2].

2. قضايا النص:

جعل المفتي جوابه في مباحث خمسة:

- المبحث الأول: في حكم القول بوجود من هو أعلم من الصحابي وأعبد بعد عصر الصحابة ؟

---

(1) المعيار الجديد (3/ 197، 210).

(2) شجرة النور الزكية (1/ 456،457)، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي (4/ 336).

- المبحث الثاني: في عدم عصمة الصحابة وهل بموجب ذلك يميلون إلى الدنيا؟
- المبحث الثالث: في مسألة الأفضلية هل يوجد في علماء الأمة من هو أفهم للقرآن منهم؟ وهل الأفضلية لسائر الصحابة أو خاصة لبعضهم؟
- المبحث الرابع: هل العدالة ثابتة لجميع الصحابة أو خاصة ببعضهم؟
- المبحث الخامس: هل الصحابة الذين ماتوا في حياة النبي ﷺ، وهو عنهم راض وشهد جنائزهم، أفضل من الذين ماتوا بعده؟

۞ المبحث الأول:

ففي المبحث الأول ذكر المفتي أن مسألة الأفضلية مرجعها إلى العلماء المجتهدين؛ لأنها محل اجتهاد كما ذهب إلى ذلك بعض الفقهاء مثل عبد الحميد الصائغ والشيخ ابن عرفة، والباقلاني، لكن بشرط السلامة من الهوى وقصد الحق مع التحلي بالأدب من غير طعن في أحدهم. وذهب آخرون إلى أن المسألة توقيفية وأن المعول فيها على النص لا على النظر والقياس، وهذا مذهب القاضي عياض والمازري والبيضاوي والأشعري الذي ذهب إلى أن الترتيب بين الخلفاء قطعي.

والحاصل من كل ذلك أنه لابد أن يكون القول بأفضلية بعض السلف عن بعض صادرا عن دليل في المسألة والله أعلم.

۞ المبحث الثاني:

وفيه قاعدة أساسية؛ تقتضي إثبات العدالة لهم مع اعتقاد عدم عصمتهم و الحفاظ على الأدب معهم .

فالقاعدة تقرر عدم عصمة الصحابة ؛ وهذا لا يعني تلازم عدم العصمة مع وقوع الخطأ إذ يجوز أن يحفظهم الله من الوقوع في المعاصي. وما وقع منهم هو لحكم أرادها الله سبحانه. كالمعاصي التي استوجبت حدودا مثل الخمر والسرقة والزنا، لذلك قال محمد بن عبد القادر الفاسي: «وإنما جرى عليهم القدر بمافيه حد من تلك الأمور التي ذكرنا وحكمها، لحكمة تنفيذ الأحكام وإظهارها على يد الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ليقتدى به في ذلك قولا وفعلا، مع عدم إصرار من وقع منه ماوقع، ومبادرته بالتوبة كماهو معلوم مشهور في الذي طلب إقامة الحد على نفسه، وشهادة الرسول للشارب بأنه يحب الله ورسوله، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. فما لم يثبت من المخالفات ليس لنا أن ننسبه إليهم مع الاحتمال، لأنا مأمورون بحسن الظن، وباجتناب سوء الظن في حق من هو دونهم من المومنين فضلا عنهم»[1]. فمن حكم ذلك تأكيد بشريتهم، وإظهار تنفيذ الأحكام للاقتداء في تنفيذها، وكذلك بيان أن التدين لايعني الخلو من الذنوب ولأن هذه الأخيرة مجال لتجلي عدد من الصفات الإلهية كالرحمة والمغفرة والعفو وقد جاء في الحكم العطائية: «لا صغيرة إذا قابلك عدله، ولا كبيرة إذا واجهك فضله»[2].

ثم إنهم رضوان الله عليهم لم يباشروا الدنيا لأجل الدنيا ولكن ابتغاء فضل الله بذلك كله، ورغبة في الدار الآخرة، وكم تساوي بضع مخالفات حصلت من بعضهم في بحر خيرهم وفضلهم، ولقد رحلوا عن هذه الدنيا تاركين لمن بعدهم من الخير الشيء الكثير، فكانت معرفتهم معرفة بالدين جعلها ابن عبد البر في مراتب العلم بعد العلم بالسنن، بل عدها أوكد آلات السنن المعينة عليها والحافظة لها، فقال، رحمه الله تعالى:

---

(1) المعيار الجديد (ص201).

(2) الحكم العطائية (ص25).

«إن أولى ما نظر فيه الطالب، وعني به العالم، بعد كتاب الله عز وجل - سنن رسوله ﷺ، فهي المبينة لمراد الله عز وجل من مجملات كتابه، والدالة على حدوده، والمفسرة له، والهادية إلى الصراط المستقيم صراط الله، من اتبعها اهتدى، ومن سلك غير سبيلها ضل وغوى، وولاه الله ما تولى. ومن أوكد آلات السنن المعينة عليها، والمؤدية إلى حفظها، معرفة الذين نقلوها عن نبيهم ﷺ إلى الناس كافة، وحفظوها عليه، وبلغوها عنه، وهم صحابته الحواريون الذين وعوها وأدوها ناصحين محسنين، حتى كمل بمانقلوه الدين، وثبتت بهم حجة الله تعالى على المسلمين، فهم خير القرون، وخير أمة أخرجت للناس، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم وثناء رسوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولاتزكية أفضل من ذلك، ولاتعديل أكمل منه. قال الله تعالى ذكره: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ الآية[1]. فهذه صفة من بادر إلى تصديقه والإيمان به، وآزره ونصره، ولصق به وصحبه»[2].

وهذا التعديل الرباني كاف في الحكم لهم بالعدالة والقبول عند الله تعالى. لذلك تجب محبتهم، لأن محبتهم من مقتضيات الإيمان، وبغضهم من أمارات النفاق؛ قال محمد ابن عبد القادر الفاسي - كما ذكره المهدي الوزاني في نوازله الكبرى -: «وكذلك أصحاب نبينا ﷺ وأهل بيته تجب محبتهم، وبذلك يتم الإيمان ويبرأ من النفاق، فإن لأهل بيت النبي ﷺ مزية على الناس لا يدري قدرها إلا من خصهم بها، وكذلك

(1) سورة الفتح: الآية 29.

(2) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي (1/ 1- 2).

أزواجه المطهرات أمهات المؤمنين، وكذلك أصحابه الكرام، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، فيوشك الله أن يأخذه، ومن يأخذه فيوشك أن لايفلته»(1). ومما أجمع عليه أهل الحق: من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله، ومن أحب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسن في أصحاب محمد ﷺ فقد برىء من النفاق، وثبت في الصحيح: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»(2)، ومناقبهم وفضائلهم لاتحصى، ومننهم علينا ومنفعتهم لدينا لاتنكر، فحق علينا تعظيمهم وتوقيرهم، وأن لانذكر أحدا منهم إلا بأحسن ذكر، وأن نمسك عما شجر بينهم، وأن نلتمس لهم أحسن المخارج، ونظن بهم أحسن المذاهب كما قاله ابن أبي زيد رحمه الله»(3).

ومن جميل ماختم به المفتي جواب المسألة الثانية؛ نص من شرح الرسالة للقلشاني هو كالآتي: وفي شرح الرسالة للقلشاني: والمعتقد أن الصحابة رضي الله عنهم عدول، اختصهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه، وأثنى عليهم في كتابه العزيز، فكل ما وقع بينهم فليس عن هوى ولا لتحصيل دنيا، وإنما هو عن اجتهاد ورأي، والذي يجب على الكافة اعتقاد عدالتهم، وأنهم مجتهدون، وكل مجتهد في الأحكام مصيب، فمتى

---

(1) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب،باب لاتسبوا أصحابي،الحديث رقم:3862، وقال الترمذي: حديث غريب.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار،باب حب الأنصار من الإيمان، حديث رقم:3784.

(3) المعيار الجديد (12/ 126- 127).

سمعوا شيئا من وقائعهم كفوا عن الخوض فيما لا يعلمون، «ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[1].

نفهم من القاعدة إذن إثبات العدالة للصحابة رضوان الله عليهم، رغم عدم عصمتهم، ولزوم الأدب معهم فيما شجر بينهم، مع وجوب الحذر مما لفق من أكاذيب على الصحابة مما أبطله العلماء الثقات كابن العربي في كتابه النفيس «العواصم من القواصم». فأما ما وقع منهم من مخالفات فلا يسقط عدالتهم لأن «الذنوب ليست مسقطة للعدالة إذا وقعت منها التوبة» كما قال ابن العربي[2].

فمن الأدب حسن الظن بهم والتماس العذر لهم قال ابن أبي زيد القيرواني: «وأن لايذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب. والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم واتباع السلف الصالح واقتفاء آثارهم، والاستغفار لهم وترك المراء والجدال في الدين، وترك كل ما أحدثه المحدثون، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعلى آله وأزواجه وذريته وسلم تسليما كثيرا»[3].

وفي المعنى نفسه قال ابن جزي: «وأما ما شجر بين علي ومعاوية ومن كان مع كل منهما من الصحابة، فالأولى الإمساك عن ذكره، وأن يذكروا بأحسن الذكر، ويلتمس لهم أحسن التأويل؛ فإن الأمر كان في محل الاجتهاد. فأما علي ومن كان معه، فكانوا على الحق؛ لأنهم اجتهدوا فأصابوا، فهم مأجورون. وأما معاوية ومن كان معه، فاجتهدوا فأخطأوا، فهم معذورون. وينبغي توقيرهم وتوقير سائر الصحابة

---

(1) المعيار الجديد (3/ 204- 205).

(2) العواصم من القواصم (ص106).

(3) مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني:(ص8-9).

ومحبتهم، لما ورد في القرآن من الثناء عليهم، ولصحبتهم لرسول الله ﷺ؛ فقد قال ﷺ :«الله الله في أصحابي، لا تجعلوهم غرضا بعدي. فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»[1]»[2].
«ومن أصول السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به في قوله تعالى:﴿وَالذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا أَلذِينَ سَبَقُونَا بِالِايمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاٗ لِّلذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾[3]»[4].

وقال الشيخ الإمام العارف بالله سيدي عبد الجليل القصري في شعب الإيمان:«الصحابة لايعدل بهم شيء، وذلك أن الفضل في المنازل إنما هو في العلم والعمل به، الموافق لرضى الله والتخلق بوصف العلم.

فأعلم الناس بعد الرسول الصحابة، لأنهم كانوا في الوقت الذي تجلى الله بكلامه لهذا العالم حين بعث النبيﷺ، فمقامهم من المعرفة والنور مقام من تعرف الله إليه وعلمه، ومن نظر الله إليه وأقبل عليه وتجلى له لايقدر أحد قدر ماجعل في باطنه وظاهره من البركات وفضائل العلم والصفات وأنواع الخيرات فافهم.

وأما العمل فالصحابة أطوع الخلق، لأنهم أفعالهم عن أمر الله عزوجل على لسان نبيه في كل نازلة تنزل بهم، ولايأمر إلا بما يحب ويرضى فأطاعوا فيماأمرهم، فوافقوا رضوانه على مشاهدة المخاطبة ومكاشفة نزول الأمر، فهم أعظم الناس منزلة وجاها،

---

(1) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب لاتسبوا أصحابي، الحديث رقم:3862.وقال الترمذي: حديث غريب.

(2) القوانين الفقهية:(ص38-37).

(3) سورة الحشر: الآية 10.

(4) مجموعة الفتاوى لابن تيمية:(3/ 101).

وأوجب مدحا وثناء، فوجب حبهم لذواتهم وما هم عليه من جميل الفضائل وكريم حسن الطباع والمنازل، ووجب حبهم لإحسانهم إلى كل من يأتي بعدهم، فلهم على الكل منة عظيمة دائمة إلى يوم القيامة، فإنهم كانوا العون والأنصار لدين الله حتى ظهر واستقر، ومنهم أخذ، وهم سنوا السنن، فلهم أجرها وأجر من عمل بها، فلولاهم لكنا كفارا من لدن التابعين إلى يوم الدين، فحبهم واجب لاينكره إلا جاحد، فمن حبهم الدعاء لهم والرضى عنهم، والترحم عليهم إذا ذكروا سرا وإعلانا، والكف عما شجر بينهم، فرضي الله عن جميعهم أفضل الرضوان، في كل حين وفي كل أوان، ونسأل الله الكريم أن يرزقنا حبهم وشفاعتهم، وأن يعصمنا من الإذاية لهم والوقيعة في واحد منهم، بمنه وفضله آمين(ه)»[1]. وقال القرطبي: «لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به، إذ كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله عز وجل، وهم كلهم لنا أئمة، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألانذكرهم إلا بأحسن الذكر؛ لحرمة الصحبة ولنهي النبيﷺ عن سبهم، وأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم...قال ابن فورك: ومن أصحابنا من قال إن سبيل ماجرت بين الصحابة من المنازعات كسبيل ماجرى بين إخوة يوسف مع يوسف؛ ثم إنهم لم يخرجوا بذلك عن حد الولاية والنبوة؛ فكذلك الأمر فيما جرى بين الصحابة، وقال المحاسبي: فأما الدماء فقد أشكل علينا القول فيها باختلافهم. وقد سئل الحسن البصري عن قتالهم فقال: قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا. قال المحاسبي: فنحن نقول كما قال الحسن؛ ونعلم أن القوم كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا، ونتبع ما اجتمعوا عليه، ونقف عند ما اختلفوا فيه ولا نبتدع

---

(1) المعيار الجديد (3/ 174- 175).

رأيا منا، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عز وجل؛ إذ كانوا غير متهمين في الدين، ونسأل الله التوفيق»[1].

❁ **المبحث الثالث :**

في مسألة التفضيل هل يوجد فعلا من هو أفضل وأعلم من الصحابي؟ هذه ـ في نظر المفتي من المسائل التوقيفية التي لايجوز القول فيها بغير نص عن نظر واستدلال. لكن الدليل القاطع من النص أنهم خير القرون؛ **قال ابن العربي**: «انعقاد الاجماع أنه لم يتقدمهم في الفضيلة أحد إلى يومنا هذا، ومابعدهم مختلف فيه، وأولئك مقطوع بهم، متيقن إمامتهم، ثابت نفوذ وعد الله لهم. فإنهم ذبوا عن حوزة المسلمين، وقاموا بسياسة الدين»[2]. وجاء في نوازل الوزاني: «قال الإمام أبو الفضل العقباني: «الصحابة رضي الله عنهم أفضل الأمة حسبما يدل عليه: «خير القرون قرني» وغيره من الأخبار المأثورة عن سيدنا رسول الله ﷺ، كخبر: «إن الله اختار لي أصحابي على العالمين سوى النبيئين والمرسلين»، وعلى هذا القول أهل العلم»[3].

وقد ثار بين الفقهاء إشكال في موضوع التفضيل هل يقصد به المجموع على المجموع، أم يتناول الآحاد، فذهب ابن عبد البر إلى الأول، مما يعني إمكان وجود من يزيد بمزية على أحدهم. ومذهب الجمهور أفضلية كل واحد من الصحابة على كل أحد ممن بعدهم لأن الصحبة لا يعدلها عمل. لذلك جعل ابن حجر تفضيل الصحابة عمن يأتي بعدهم من العلم فذكر أن: من أجل معارف علم الحديث النبوي (تمييز الصحابة ممن بعدهم)؛ قال ـ رحمه الله ـ :«من أشرف العلوم الدينية علم الحديث النبوي، ومن أجل معارفه تمييز أصحاب رسول الله ﷺ ممن خلفهم»[4].

---

(1) الجمع لأحكام القرآن:(16/ 321-322).

(2) العواصم من القواصم:(ص198).

(3) المعيار الجديد:(3/ 173).

(4) الإصابة في تمييز الصحابة:(1/ 153).

❁ المبحث الرابع:

المسألة هنا تتعلق بمشمولات العدالة من الصحابة هل تعمهم أم تختص ببعضهم؟ فأجاب النوازلي بأن أهل السنة اتفقوا على أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كلهم عدول مطلقا. قال ابن عبد البر: «ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم وثناء رسوله عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولاتزكية أفضل من ذلك، ولاتعديل أكمل منه. قال الله تعالى ذكره: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ الآية[1]. فهذه صفة من بادر إلى تصديقه والإيمان به، وآزره ونصره، ولصق به وصحبه»[2].

وجاء في المعيار الجديد: «قال الشيخ أبو عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ: وبالجملة فالمقطوع به أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كلهم عدول، سادات، أجلة، مختارون عند الله تعالى على كل من بعدهم من غير تفصيل، هذا هو الذي عليه المحققون، وأجمع عليه من يعتد بإجماعه(هـ)»[3].

❁ المبحث الخامس:

في الأفضلية؛ هل الصحابة الذين ماتوا في حياة النبي ﷺ، وهو عنهم راض وشهد جنائزهم، أفضل من الذين ماتوا بعده؟ فذكر المفتي أن ابن عبد البر وطائفة ذهبوا إلى ذلك، أي تفضيل من مات في حياته صلى الله عليه وسلم، وقد رد هذا القول بما أجمع عليه الصحابة والتابعون من أفضلية أبي بكر وعمر على سائر الصحابة، ثم

---

(1) سورة الفتح: الآية 29.

(2) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: (1/ 1-2).

(3) المعيار الجديد (3/ 175).

عثمـان ثم علي. أورد القاضي عياض عن أشهب بن عبد العزيز قال: «كنا عند مـالك إذ وقف عليه رجل من العلويين وكانوا يقبلـون عـلى مجلسه فنـاداه: يـا أبـا عبـد الله فأشرف له مـالك، ولم يكن إذا ناداه أحد يـجيبه أكثر من أن يشرف برأسه، فقـال لـه الطالبي: إنني أريد أن أجعلك حجة فيمـا بيني وبين الله، إذا قـدمت عليـه فـسألني، قلت له: مـالك قال لي.

ـ فقال له: قل.

ـ فقال: من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟

ـ قال: أبو بكر، قال العلوي: ثم من؟ قال مـالك: ثم عمـر.قـال العلـوي:ثـم مـن؟ قال: الخليفة المقتول ظلمـا،؛ عثمـان. قال العلوي: والله لا أجالسك أبدا.

ـ قال له مـالك: فالخيار إليـك»[1]. فالإمــام مــالك يفـضل الخلفـاء الأربعـة عـلى غيرهم، وذلك حسب ترتيبهم في الخلافة. وهذا مـا سار عليه أئمة المذهب عـبر تـوالي الأيام والأزمـان، فهذا مـالك الصغير ابن أبي زيد القـيرواني يقـول في مقدمـة رسـالته الفقهية:»وأن خير القرون القرن الذين رأوا رسول الله ﷺ وآمنوا به، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون، أبو بكـر ثـم عمـر ثـم عثمـان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين»[2].

وقال ابن جزي في الفاتحة الاعتقادية لكتابه الفقهي القـوانين الفقهيـة فيمـــا يجـب في الاعتقادات من أصول الديانات: «الباب الثامن في الإمــامة؛ وفيـه مـسألتان: المـسألة

---

(1) ترتيب المدارك (2/ 44،45)، نقلا عن عقيدة إمـام دار الهجرة مـالك بن أنس بن مـالك بـن أبي عـامر الأصبحي رحمه الله: (ص23).

(2) مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ص8).

الأولى: في إثبات إمامة الخلفاء الأربعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ والدليل على إمامة جميعهم من ثلاثة أوجه: أحدها: أن كل واحد منهم جمع شروط الإمامة على الكمال. والآخر: أن كل واحد منهم أجمع المسلمون في زمانه على بيعته والدخول تحت طاعته؛ والإجماع حجة. والثالث: ماسبق لكل واحد منهم من الصحبة، والهجرة، والمناقب الجليلة، وثناء الله عليهم، وشهادة الصادق ﷺ لهم بالجنة»[1].

وقال ابن أبي زيد القيرواني(310هـ - 386هـ)، في مقدمة رسالته الفقهية: «وأن خير القرون القرن الذين رأوا رسول الله ﷺ، وآمنوا به، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وأفضل الصحابة الخلفاء الرشدون المهديون: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، وأن لايذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب»[2]. وقد نظمها الشيخ أحمد بن مشرف المالكي الاحسائي فقال:

وأن أفضل قرن للذين رأوا ... نبينا وبهم دين الهدى نصرا
أعني الصحابة رهبان بليلهم ... وفي النهار لدى الهيجا ليوث شرى
وخيرهم من ولي منهم خلافته ... والسبق في الفضل للصديق مع عمرا
والتابعون باحسان لهم ... وكذا أتباع أتباعهم ممن قفى الأثرا
وواجب ذكر كل من صحابته ... بالخير والكف عما بينهم شجرا
فلا تخض في حروب بينهم وقعت ... عن اجتهاد وكن إذا خضت معتذرا
والاقتداء بهم في الدين مفترض ... فاقتد بهم واتبع الآثار والسورا

---

(1) القوانين الفقهية لابن جزي (ص37).

(2) الرسالة لابن أبي زيد القيرواني.

وتـرك مـا أحدثـه المحـدثون فكـم ضـلالة تبعـث والديـن قـد هجـرا؟
إن الهدى مـا هدى الهادي إليـه ومـا بـه الكتـاب كتـاب الله قـد أمـرا
فلا مـراء ومـا في الديـن مـن جـدل وهـل يجـادل إلا كل مـن كفـرا؟»[1]

❁ حكم الطعن في الصحابة:

«حرص الإمـام مـالك رحمه الله كغيره من الأئمة على ذكر عقيدته في الصحابة ضمن أصوله التي نص عليها، وذلك بعد أن ظهر الوقوع في الصحابة، والقدح فيهم، والحط من شأن أبي بكر وعمر وغيرهمـا رضي الله عنهم جميعا، وكل ذلك بسبب الباطنية والناصبة، فمن هنا وجد الأئمة لزامـا عليهم إظهار القول الحق في شأن الصحابة، وهذا مـافعله الإمـام مـالك رحمه الله»[2]، فقد أخرج أبو نعيم عن عبد الله العنبري قال: «قال مـالك بن أنس: من تنقص أحدا من أصحاب رسول اللهﷺ، أو كان في قلبه عليهم غل، فليس له حق في فيء المسلمين، ثم تلا قوله تعالى:﴿وَالذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا أَلذِينَ سَبَقُونَا بِالِايمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِے قُلُوبِنَا غِلّاً ﴾[3]. فمن تنقصهم أو كان في قلبه عليهم غل، فليس له في الفيء حق»[4].
فلا حق في الفيء لمبغض الصحابة في نظر الإمـام.

وأمـا حكمه فيمن يبغضهم أو ينتقصهم؛ فقد أخرج أبـو نعـيم عـن رجـل مـن ولـد الزبير قال:«كنا عند مـالك فذكروا رجلا ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ، فقرأ مـالك هذه الآية: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اُ۬للَّهِ وَالذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ﴾ حتى بلـغ:﴿يُعْجِبُ اُ۬لزُّرَّاعَ

(1) مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني ونظمها:للشيخ أحمد بن مشرف المـالكي الأحسائي:(ص13-14).
(2) عقيدة إمـام دار الهجرة مـالك بن أنس بن مـالك بن أبي عامر الأصبحي رحمه الله: (ص22).
(3) سورة الحشر: الآية 10.
(4) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:(6/ 327).

لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾[1] فقال مالك: «من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، فقد أصابته الآية»[2]. قال القرطبي: «لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله. فمن نقص واحدا منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين؛ قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَالذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ الآية[3]. وقال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُومِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[4]. إلى غير ذلك من الآي التي تضمنت الثناء عليهم، والشهادة لهم بالصدق والفلاح؛ قال تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[5]. وقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰناً﴾ إلى قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[6]، ثم قال عز من قائل: ﴿وَالذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَالِايمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ إلى قوله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[7]. وهذا كله مع علمه تبارك وتعالى بحالهم ومال أمرهم، وقال رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم»[8]... والأحاديث بهذا المعنى كثيرة؛ فحذار من الوقوع في أحد منهم، كما فعل من طعن في الدين... وقد لعن رسول الله ﷺ من سب أصحابه؛ فالمكذب لأصغرهم

(1) سورة الفتح: الآية 29.

(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (6/ 327). وانظر تفسير القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن: (16/ 296، 297).

(3) سورة الفتح: الآية 29.

(4) سورة الفتح: الآية 18.

(5) سورة الأحزاب: الآية 23.

(6) سورة الحشر: الآية 6.

(7) سورة الحشر: الآية 9.

(8) أخرجه البخاري في الصحيح (2/ 938/ ح2509).

ـ ولاصغير فيهم ـ داخل في لعنة الله التي شهد بها رسول الله ﷺ، وألزمها كل من سب واحدا من أصحابه أو طعن عليه... فالصحابة كلهم عدول، أولياء لله تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله. هذا مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة»[1]. وأهل السنة والجماعة[2]، يقدمون كلام الله وهدي رسوله على كل كلام وهدي، فبمقتضى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من الأدب احترام الصحابة، وتقديرهم حق قدرهم.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن(16/ 297،299).

(2) إنما سموا بذلك لعلمهم أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي ﷺ، وهم ضد الفرقة ومع الجماعة ووحدة الكلمة.

خاتمة

إن موضوع الصحابة مبحث عقدي أصيل، ومرتكز إيماني مبني على الحجة والدليل. لذلك تحدث عنه أعلام الإسلام بما يليق بمنزلته في الدين، وهكذا نجد هذا الموضوع في مصنفات العقيدة وفي ثنايا كتب الفقه ضمن مباحث العقيدة عند أهل السنة، وفي كتب الفتاوى والنوازل؛ يذكرون في ذلك فضل الصحابة وعدالتهم، والنهي عن تجريحهم والكف عما شجر بينهم مبما يفسر أن الموقف من الصحابة موقف عقدي أصيل.

وإن ورود موضوع الصحابة في كتب الفتاوى والنوازل يدل على انشغال واهتمام العقل المسلم في واقعه بالموقف من هؤلاء الصحب الكرام بناء على الحكم الشرعي، سعيا لبلوغ منازلهم تلك المنازل والأقدار التي لاتنال إلا بمثل الأوصاف التي تحلوا بها من مثل:

- ابتغاء الفضل من الله والرضوان في جانب القصد .
- تراهم ركعا سجدا في الجانب التعبدي.
- رحماء فيما بينهم وأشداء في مواقف الشدة في جانب المعاملة والسلوك الاجتماعي.

وجماع كل ذلك الإيمان والعمل الصالح، لكنهم اختصوا بمزيد فضل من الله وهو الصحبة الشريفة وتلقي الاسلام منبعه الصافي ونقله للخلف.

وإن من آفات قراءة تاريخ السلف اعتماد التفكير الجزئي الذي يركز على جزئيات أخطاء وقعت ممن سبق، وجعلها مدار الحكم النهائي عليهم، وهذا من ظاهر العلم

وسطحه، بينما يقتضي المنهج العلمي التفكير الشامل الذي من ثمراته الإحاطة بكل المكونات المشكلة لموضوع الدراسة «وخطورة التفكير الجزئي أنه تفكير انتقائي ينتهي إلى الأحكام الخاطئة المضللة، ويقود إلى تمزق وحدة الموضوع، وتجزئة الميادين والظواهر العلمية، مما ينعكس أثره على تجزئة الظواهر الاجتماعية، وتمزق وحدة الجماعات»[1].

لذلك وبنظر شامل وتفكير كلي جامع وجه فقيه المالكية ابن العربي المالكي وصاياه في العواصم من القواصم إلى المسلمين قائلا: «فأعرضوا عن الغاوين، وازجروا العاوين، وعرجوا عن سبيل الناكثين، إلى سنن المهتدين، وأمسكوا الألسنة عن السابقين إلى الدين. وإياكم أن تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب رسول الله ﷺ، فقد هلك من كان أصحاب النبي ﷺ خصمه. دعوا مامضى فقد قضى الله فيه ماقضى، وخذوا لأنفسكم الجد فيما يلزمكم اعتقادا وعملا. ولاتسترسلوا بألسنتكم فيما لايعنيكم مع كل ماجن اتخذ الدين هملا، فإن الله لايضيع أجر من أحسن عملا. ورحم الله الربيع بن خيثم فإنه لما قيل له: قتل الحسين! قال: أقتلوه؟ قالوا: نعم. فقال: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[2]. ولم يزد على هذا أبدا. فهذا العقل والدين، والكف عن أحوال المسلمين، والتسليم لرب العالمين»[3]. «فلا تكونوا ولم تشاهدوهم وقد عصمكم الله من فتنتهم ممن دخل بلسانه في دمائهم»[4].

---

(1) مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح (ص60).

(2) سورة الزمر: الآية 43.

(3) العواصم من القواصم (ص182).

(4) نفسه (ص231).

ورحم الله عمر بن عبد العزيز حيث قال: «ولقد تكلموا في الذي جرى بين الصحابة: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]»[2] .

تم بحمد الله وتوفيقه بتاريخ: الإثنين 25 صفر 1431هـ موافق 11 يناير 2010م ببلدة أرفود جهة تافلالت، على يد أفقر العباد إلى المولى تبارك وتعالى محمد بن عبد الرحمن الحفظاوي، غفر الله له ورحم والده آمين.

(1) سورة البقرة: الآية 133.

(2) العواصم من القواصم (ص269).

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع لعبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، تحقيق محمد حجي. طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت، طبعة أولى/417هـ-1997م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر تحقيق علي محمد البجاوي، طبع دار الجيل، بيروت، طبعة أولى/1412هـ-1992م.
- الإصابة في تمييز الصحابة للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني دراسة وتحقيق وتعليق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى/1414هـ-1995م.
- أصول فقه الإمام مالك: أدلته العقلية للدكتور فاديغا موسى. دار التدمرية، الرياض، طبعة أولى:1428هـ-2007م.
- اعتقاد أهل السنة في الصحابة للدكتور محمد بن عبد الله الوهيبي، من سلسلة كتاب البيان التي تصدر عن مجلة البيان.
- إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية، تحقيق عصام الدين الصبابطي:460/4. طبع دار الحديث، القاهرة/1422هـ-2002م.
- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لخيرالدين الزركلي (ت1976م). دار العلم للملايين، بيروت، طبعة1997/12م.
- البرهان في أصول الفقه لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني المتوفى سنة:478هـ، تحقيق الدكتور عبد العظيم محمود الديب:870/2. طبع دار الوفاء، المنصورة، طبعة ثالثة/1412هـ-1992م.

- تحفة أكياس الناس بشرح عمليات فاس للعلامة الشريف أبي عيسى المهدي الوزاني الفاسي المتوفى عام1342هـ-1924م. طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط/1422هـ-2001م.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(ت671هـ). دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة أولى/1416هـ-1995م.
- الحكم العطائية للشيخ تاج الدين أحمد بن عطاء الله السكندري المتوفى سنة709هـ،طبع دار السلام، القاهرة، طبعة أولى/1427هـ-2006م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني المتوفى سنة430هـ، طبع دار الكتب العلمية لبنان، طبعة أولى/1409هـ-1988م.
- الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة204هـ، تحقيق أحمد محمد شاكر. دار الفكر، طبعة/1309هـ
- سنن الترمذي للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، اعتنى به محمد بربر، طبع المكتبة العصرية، بيروت/2008م-1429هـ
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية تأليف العلامة الجليل الأستاذ الشيخ محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف المتوفى سنة1360هـ، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى/2002م-1424هـ
- الصحبة والصحابة للدكتور أحمد علي الإمام، كتاب شهري من سلسلة دعوة الحق التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي السنة الثانية والعشرون، العدد:214-العام1427هـ-2006م.
- (صحيح البخاري): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن بردربه البخاري المتوفى سنة256هـ دار الفكر، بيروت، طبعة أولى/1422هـ-2002م.

- صيد الخاطر لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي المتوفى سنة597هـ دار الفكر، بيروت/1420هـ-1999م.
- عقيدة إمام دار الهجرة مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي رحمه الله للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس، طبع دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، الجهراء بالكويت.
- علماء الشيعة يقولون، إعداد مركز إحياء تراث آل البيت، طبعة ثانية.
- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ للإمام القاضي أبي بكر بن العربي المالكي(468هـ-543هـ)، تحقيق مركز السنة للبحث العلمي، طبع مكتبة السنة، القاهرة، طبعة خامسة/1408هـ.
- فتاوى الإمام الشاطبي لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي، تحقيق الدكتور محمد أبو الأجفان. مكتبة العبيكان، الرياض، طبعة رابعة/1421هـ-2001م.
- فضائل الصحابة والدفاع عن كرامتهم وبيان خطر مبغضيهم والطاعنين فيهم لعبد الله عبد القادر التليدي، طبع دار ابن حزم، بيروت طبعة أولى/1420هـ-1999م.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي:1291هـ-1376هـ طبع دار الكتب العلمية ببيروت، طبعة أولى/1416هـ-1995م.
- القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية لمحمد بن أحمد بن جزي الغرناطي، تحقيق عبد الكريم الفضيلي، طبع دار الرشاد، الدار البيضاء، طبعة أولى/1420هـ-1999م.
- لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري. طبع دار صادر، بيروت.

- مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني المتوفى سنة 728هـ، اعتنى بها وخرج أحاديثها عامر الجزار وأنور الباز، طبع دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع بالمنصورة، طبعة أولى/ 1418 هـ-1997م.
- محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي للدكتور عمر الجيدي. منشورات عكاظ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب. للفقيه العلامة الشيخ المهدي الوزاني المتوفى عام1342هـ، تحقيق الأستاذ عمر بن عباد، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط/1417هـ-1996م.
- مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح للدكتور ماجد عرسان الكيلاني، كتاب الأمة رقم:29، مركز البحوث والمعلومات، الدوحة طبعةأولى:شوال/1411هـ.
- المنح السامية لأبي عبد الله محمد المهدي الوزاني. طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط/1413هـ-1993م.
- موسوعة أعلام المغرب للدكتور محمد حجي، طبع دار الغرب الإسلامي، طبعة أولى/1417هـ-1996م.
- نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للإستعمار: المغرب نموذجا لأحمد العماري. طبع المعهد العالمي للفكر الإسلامي، طبعة أولى/1417هـ1997م.
- النوازل الفقهية والمجتمع لمحمد فتحة. من منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة عين الشق، سلسلة الأطروحات والرسائل، طبع المعارف الجديدة، الدار البيضاء/1999م.

المحور التاسع

الصحابة في التراث الأندلسي

الصحابة الكرام
في بعض مؤلفات ابن حزم

دة. صباح زخنيني

ملخص البحث

لقد تنافس علمـاء المسلمين رحمهم الله تعالى، في تدوين أخبار أصحاب رسول الله ﷺ وفضائلهم ومـا أسندوه لـه مـن حـديث، وكان مـمـن تنـاول ذلـك مــحمد بـن حـزم الأندلسي في بعض مؤلفاته كـ «المفاضلة بين الصحابة» و«أسمـاء الصحابة الـرواة» و«مـا لـكـل واحد من العدد» و«أصحاب الفتيا من الصحابة» وعدد مـا لكل صاحب في مسند بقي.

ومن خلال هذه المؤلفات، سأحاول أن أبين رأي ابن حزم في النقاط التالية:

من هو الصحابي ـ عدالة الصحابة ـ المفاضلة بين الصحابة ـ الـصحابة الـرواة ـ علـم الصحابة بالسنن ـ الـصحابة مــحدثين ـ الإكثـار مـن الروايـة عنـد الـصحابة ـ قـول الصحابي «السنة كذا» ـ فقهاء الصحابة في كـتـابـات ابــن حـزم ـ رسـالة أصحــاب الفتيا من الصحابة، وغيـر ذلك في مداخلـة متواضـعـة عنونـتـها بـ «الـصحابة الكـرام في بعض مؤلفات ابن حزم».

الباحثة في سطور

الدكتورة صباح زخنيني Sabah_zekhnini@hotmail.com

- من مواليد عام 1965م بوجدة.
- أستاذة التعليم العالي بكلية الآداب جامعة محمد الأول وجدة.
- دكتوراه الدولة بجامعة محمد الأول - كلية الآداب والعلوم الإنسانية، في موضوع «معجم الصحابة لأبي القاسم البغوي» دراسة وتحقيق.
- دبلوم من المعهد البريطاني للغة الإنجليزية بتونس.
- عضو في العديد من المراكز والمكاتب واللجان العلمية والجمعيات.
- شاركت في عدة ندوات علمية.

لها أعمال علمية قيد الطبع منها:

- معجم شيوخ ابن وهب، دراسة وتحقيق.
- الموطأ برواية يحي بن بكير، دراسة وتحقيق.
- معجم الصحابة للإمام البغوي، دراسة وتحقيق.
- مولد النبي صلى الله عليه وسلم، لنجم الدين الغيطي، تقديم وتحقيق.

مقدمة

اختار الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ أصحابا كانوا نجوم الاهتداء وأئمة الإقتداء، مثلوا الوساطة بيننا وبين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، حفظوا كتاب الله وسنة نبيه المصطفى ﷺ وحرصوا على نقلها وأدائها إلى كل من جاء بعدهم ناصحين محتسبين، فهم خير القرون وخير أمة أخرجت للناس، ثبتت عدالتهم بثناء الله عز وجل عليهم وهو القائل: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَالأَنصارِ وَالذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[1] وثناء رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حيث قال: «الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، من آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد أذى الله، ومن أذى الله فيوشك أن يأخذه»[2].

ولهذا فإن التعريف بهم وضبط أسمائهم وتتبع مروياتهم وحصر عددها وذكر فضلهم والمفاضلة بينهم، ومعرفة الفقهاء والمحدثين وأصحاب الفتيا منهم وغيره، لأمر ذو بال من الناحية العلمية، جعل الكثير من العلماء والمحدثين يولونه اهتماما كبيرا.

ويهدف هذا العرض إلى إبراز مدى إسهام ابن حزم الأندلسي في هذا كله.

(1) سورة التوبة: الآية 101.

(2) أخرجه الترمذي، باب فضل من بايع تحت الشجرة 3861، والإمام أحمد في مسنده (4/ 87).

1) تعريف الصحابي لغة واصطلاحا:

❁ الصحابي لغة:

جاء في لسان العرب: «صحبه يصحبه صحبة بالضم وصحابة بالفتح، وصاحبه: عاشره، والصحب جمع صاحب مثل راكب وركب. والأصحاب: جمع الصحب مثل: فرخ وأفراخ. والصاحب المعاشر... والجمع أصحاب وأصاحيب وصحبان مثل شاب وشبان. وصحاب مثل جائع وجياع. وصحب وصحابة وصحاب حكاها جميعا الأخفش، وأكثر الناس على الكسر دون الهاء «صحاب» وعلى الفتح معها «صحابة».

قال الجوهري: «الصحابة بالفتح الأصحاب، وهو في الأصل مصدر، وجمع الأصحاب أصاحيب، وأما الصحبة والصحب اسمان للجمع، ويقال: صاحب وأصحاب كما يقال: شاهد وأشهاد وناصر وأنصار»[1].

ولا خلاف بين أهل اللغة في أن القول «صحابي» مشتق من الصحبة، وأنه ليس مشتقا من قدر منها مخصوص، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلا كان أو كثيرا.

فيوقع اسم المصاحبة بقليل منها وكثيره، وذلك يوجب في حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار، هذا هو الأصل في اشتقاق الاسم، ومع ذلك فقد تقرر للأمة عرف في أنهم لا يستعملون هذه التسمية إلا في من كثرت صحبته واتصل لقاؤه، ولا يجرون ذلك على من لقي المرء ساعة ومشى معه خطى وسمع منه حديثا، فوجب لذلك ألا يجري هذا الاسم في عرف الاستعمال إلا على من هذه حاله[2].

---

(1) لسان العرب: مادة صحب.

(2) انظر الكفاية (ص51)، وفتح المغيث (ص31)، والسنة قبل التدوين (ص387).

❁ الصحابي اصطلاحا:

عرف جمهور العلماء الصحابي بكونه من لقي النبي ﷺ مؤمنا ومات على الإيمان[1]. فهذا تعريف جامع مانع، فبالقيد الأول «من لقي»: يخرج كل من لم يلقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن أدركه وأسلم كالنجاشي.

ولا يشترط الرؤية إذ يوجد من هو معدود في الصحابة من غير خلاف ولم يره لعارض كالعمي كالصحابي الجليل ابن أم مكتوم.

ولا يشترط أيضا أن يغزو معه أو أن يحدث عنه، أو أن يطيل صحبته لشرف مجرد رؤية النبي ﷺ ولو لحظة لمنزلته عند الله تعالى، فقد قيل: إذا رآه مسلم أو رأى مسلما لحظة طبع قلبه على الاستقامة لأنه بإسلامه متهيئ للقبول، فإذا قابل ذلك النور العظيم أشرف عليه فظهر أثره على قلبه وعلى جوارحه[2].

ويخرج بهذا القيد من رآه بعد موته ﷺ قبل دفنه، فلا يكون صحابيا كأبي ذؤيب الهذلي الشاعر.

وبالقيد الثاني «مؤمنا به» يخرج كل من رآه كافرا، وهذا كثير، فقد لقي النبي ﷺ جمع من أهل الشرك والكفر ولم يسموا صحابة لمجرد ذلك، كأبي جهل وأضرابه.

ويخرج به أيضا من كان مؤمنا بغيره كزيد بن عمرو بن نفيل أو غيره من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة الشريفة، وبه جزم ابن حجر في مقدمة الإصابة مع أنه ترجم له تبعا البغوي وابن منده وغيرهما[3].

---

(1) الإصابة (1/ 158)، وفتح المغيث (4/ 77).

(2) الإصابة (1/ 158).

(3) نفسه (1/ 159).

أمـا بالقيد الثالث «مـات على الإيمـان» فيخرج به كل من لقيه مؤمنا ثم ارتد ومـات على ردته. وفي إثبات صحبة من عاد إلى الإسلام بعد ردته خلاف بين العلمـاء[1].

وهذا التعريف ـ كمـا يقول ابن حجر ـ مبني على الأصح عند المحققين...

ووراء ذلك أقوال أخرى شاذة كقول من قال: «لا يعد صحابيا إلا من وصف بأحـد أوصاف أربعة: من طالت مجالسته، أو حفظـت روايتـه، أو ضـبط أنـه غـزى معـه، أو استشهد بين يديه، أو كان من اشترط في صحة الصحبة بلـوغ الحلـم أو المجالـسة ولـو قصرت».

قال ابن حزم: «وليس كل من أدرك النبي ﷺ ورآه صحابيا، ولو كان ذلك لكان أبـو جهل من الصحابة لأنه قد رآى النبي ﷺ وحادثه وجالسه وسمع منه، وليس كـل مـن أدركه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولم يلقه، ثـم أسـلم بعـد موتـه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أو في حياتـه ـ إلا أنـه لم يـره ـ معدودا في الصحابة، ولو كان ذلك لكان كل من كان في عصره عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ صحابيا، ولا خلاف بين أحد في أن علقمة والأسود ليسا صحابيين وهمـا من الفضل والعلـم والـبر بحيث همـا، وقد كانا عالمين جليلين أيام عمر وأسلمـا في أيام النبي ﷺ »[2].

لم يخالف ابـن حـزم في هـذا التعريـف الجمهـور إلا أنـه لـيس عـلى صـناعة الحـدود والتعريفات محررا دقيق العبارة.ويشمل مصطلح الصحابة الأحرار والمـوالي والـذكور والإناث لأن المراد به الجنس.

---

(1) الأحكام (2/ 82-83).

(2) فتح المغيث (4/ 79).

1) طرق إثبات الصحبة:

تثبت الصحبة بإحدى الطرق التالية[1]:

> **أولا:** تواتر العلم بذلك كصحبة العشرة المبشرين بالجنة وهم الخلفاء الأربعة وسعد بن أبي وقاص وسعد بن زيد وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة ابن الجراح.

> **ثانيا:** استفاضة العلم بذلك من غير أن يبلغ حد التواتر كصحبة ضمام بن ثعلبة وعكاشة بن محصن وغيرهما.

> **ثالثا:** إخبار صحابي معلوم الصحبة أنه صحابي كإخبار أبي موسى الأشعري بصحبة حممة بن أبي حممة الدوسي.

> **رابعا:** ادعاء الصحبة من شخص معلوم العدالة قبل سنة 110هـ للخبر الواحد عن النبي ﷺ «ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ»[2] ولذلك اشترطوا أيضا المعاصرة للنبي ﷺ، وكل ادعاء للصحبة بعد هذا التاريخ مردود كادعاء جعفر بن نسطور الرومي الصحبة بعد سنة 200هـ.

2) عدالة الصحابة:

الصحابة كلهم عدول وبساطهم مطوي كما قال الأمام الذهبي، عدلهم الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾[3].

---

(1) الكفاية (ص52)، وفتح المغيث (4/ 89-93)، والباعث الحثيث (ص185).

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب ذكر العشاء. ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ «لا تأت مائة سنة ...» وأخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الفتن، باب 64 حديث رقم 2251، والإمام أحمد في مسنده (2/ 22).

(3) سورة التوبة: الآية 100.

وقال تعالى: ﴿وَالذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالذِينَ ءَاوَواْ وَنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُومِنُونَ حَقّاً لَّهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ﴾[1].

وفي السنة أدلة أخرى تثبت عدالتهم منها قوله ﷺ: «خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[2] وقال أيضا: «الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، من آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه»[3].

وأما في الإجماع فقد اتفقت كلمة علماء الأمة ـ إلا من شذ ـ على عدالة الصحابة رضوان الله عليهم. قال الأمام الجويني وقد حكى الإجماع على القول بعدالتهم: «ولعل السبب فيه أنهم نقلة الشريعة فلو ثبت توقف روايتهم لانحصرت الشريعة على عصر الرسول ﷺ، ولما استرسلت عل سائر الأعصار»[4].

ويرى ابن حزم أن الصحابة كلهم عدول لا يستثني منهم أحدا خلافا لمن قال بعدالة طائفة منهم فقط، وأخرج من شارك في فتنة أو ارتكب معصية أو رأى الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ ولم يلازمه. قال ابن حزم: «الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعا، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنَ اَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ الذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ وَكُلّاٗ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾[5]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ

---

(1) سورة الأنفال: الآية 74.

(2) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه 2531، والإمام أحمد في مسنده (4/ 399).

(3) أخرجه الترمذي، باب فضل من بايع تحت الشجرة 3861 والإمام أحمد في مسنده (4/ 87).

(4) البرهان (1/ 632)، وفتح المغيث (4/ 96-97).

(5) سورة الحديد: الآية 10.

﴿ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾. قال: فثبت أن الجميع من أهل الجنة، وأنه لا يدخل أحد منهم النار، لأنهم المخاطبون بالآية السابقة، فإن قيل: التقييد بالإنفاق والقتال يخرج من لم يتصف بذلك، وكذلك التقييد بالإحسان في الآية السابقة، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ يخرج من لم يتصف بذلك، فالجواب أن التقييدات المذكورة خرجت مخرج الغالب، وإلا فالمراد من اتصف بالإنفاق والقتال بالفعل أو القوة»[1]. وقد خالف هذا الرأي بعض الأصوليين، فقد حكى الآمدي وابن الحاجب قولا أنهم كغيرهم في لزوم البحث عن عدالتهم مطلقا. وقال آخرون: عدول إلى وقت الفتن. فأما بعد ذلك فلا بد من البحث عمن ليس ظاهر العدالة، وذهب المعتزلة إلى ردة من قاتل عليا، وقيل لا يحكم بعدالة من دخل منهم في فتنة من الفتن الواقعة من حين مقتل عثمان رضي الله عنه، كالجمل وصفين من الفريقين إلا بعد البحث عنها. وحصر بعضهم العدالة فيمن اشتهر منهم وطالت ملازمته لرسول الله ﷺ. قال المازري في شرح البرهان: «لسنا نعني بقولنا الصحابة عدول كل من رآه ﷺ يوما ما أو زاره أو اجتمع به لغرض وانصرف عن قريب، وإنما نعني به الذين لازموه ونصروه»[2].

ولكن ماذا يقصد بالعدالة...؟

قال ابن الأنباري: «وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم، إنما المراد قبول رواياتهم من غير تكلف يبحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية إلا أن ثبت ارتكاب قادح ولم يثبت ذلك ولله الحمد»[3].

---

(1) المحلى (1/ 28).

(2) فتح المغيث (4/ 98).

(3) إرشاد الفحول (ص70)، وفتح المغيث (4/ 100).

3) تفضيل الصحابة بعضهم على بعض:

يتفاوت الصحابة في الأفضلية إجمالا ثم تفصيلا.

فأما بالإجمال، فتفضل طبقة من تقدم إسلامه بمكة، ثم طبقة أصحاب دار الندوة، ثم طبقة المهاجرين إلى الحبشة، ثم أهل بيعة العقبة الأولى، ثم أهل العقبة الثانية. وقد يفضل أهل بدر ثم من أسلم قديما ممن هاجر إلى الحبشة وشهد أحدا ثم من شهد الخنق فما بعدها، ثم مسلمة الفتح وأخيرا الصبيان والأطفال ممن لم يغز.

وأما بالتفصيل، فيفضل أبو بكر على سائر الصحابة بل هو أفضل الناس مطلقا بعد الأنبياء، قال فيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين أفضل من أبي بكر»[1]. ثم يليه عمر بن الخطاب ولم يختلف في ذلك أحد من أئمة السلف ولا الخلف، ولا عبرة بأقوال أهل التشيع، ثم يليه عثمان بن عفان وهو قول أكثر أهل السنة، وخالف بعضهم وقدم عليا، والتوقف في تفضيل أحدهما عن الآخر أولى كما ذهب إلى ذلك جمع من العلماء منهم مالك ويحيى بن سعيد القطان ومن المتأخرين ابن حزم.

وهؤلاء هم الخلفاء الأربعة المفضلون على غيرهم، وبالستة الباقين يكتمل العشرة الذين بشرهم النبيﷺ بالجنة»[2].

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (ص135-137)، وأبو نعيم في الحلية (3/ 335).

(2) فتح المغيث (4/ 115 -119)، وعلوم الحديث لابن الصلاح (ص269)، والإرشاد للنووي(2/ 489) وشرح مسلم للنووي (15/ 148).

4) رأي ابن حزم في موضوع المفاضلة بين المصاحبة:

كتب ابن حزم رسالة خاصة في المفاضلة بين الصحابة اشتمل عليهما كتاب الفصل[1]، وطبعت مفردة[2]. يتجه ابن حزم في المفاضلة بين الصحابة إلى تفضيل الطبقات لا إلى تفضيل الأشخاص عموما، ولكنه لا ينجو من التفضيل الشخصي أيضا.

يرى ابن حزم أن أفضل الناس بعد الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ أمهات المؤمنين يقرر ذلك لأن الله تعالى اختصهن بأن جعلهن من بين نساء العالمين في جوار رسوله الأمين، وهن فوق ذلك القانتات العابدات الصالحات الصابرات، يفضلهن على سائر الناس رجالا ونساء، ومنهم فاطمة بنت النبي ﷺ، فهي دون أمهات المؤمنين في الأفضلية في رأيه.

ويذهب أبو زهرة إلى أن هذه التفرقة بين نساء النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ وبناته خطأ، يقول: «ولذلك أخالف ابن حزم وأحسب قوله هذا من شدة رغبته الأموية ومقاومته للشيعة؛ لأنهم هم الذين كانوا يدعون ما يدعون على أساس نسبتهم لفاطمة وعلي»[3].

ثم يلي أمهات المؤمنين في الأفضلية أبو بكر وعمر، ويجتهد ابن حزم في إثبات الحجج والأدلة على تفضيلهما على علي، من ذلك أن أبا بكر أكثر فتوى ورواية منه إذا قيست الفتاوى والرواية بالمدة التي عاشها بعد النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ. ولكن حينما يتحدث عن علي ومعاوية فإنه يقول بالتوقف لأن فضائلهما تتفاوت في الأكثر، ولأن التفضيل الشخصي هنا غض من مقام المفضل عليه. ومع ذلك فإن في كلامه ما يدفع إلى ترجيح عثمان على علي، يقول ابن حزم: «نقول بفضل المهاجرين الأولين بعد عمر بن

(1) انظر الجزء الرابع من كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل.

(2) نشرت بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني.

(3) ابن حزم حياته وعصره لأبي زهرة: (ص281-282).

الخطاب قطعا إلا أننا لا نقطع بفضل أحد منهم على صاحبه، كعثمان بن عفان، وعثمان بن مظعون، وعلي، وجعفر، وحمزة، وطلحة، والزبير، ومصعب بن عمير، وعبد الرحمن ابن عوف وغيرهم من نظرائهم، ثم بعد هؤلاء أهل العقبة ثم أهل المشاهد مشهدا مشهدا...»[1].

5) عدد الصحابة:

يصعب حصر عدد الصحابة لعدة أسباب نذكر منها:

➢ دخول عدد كبير من الناس في الإسلام ومبايعة رسول الله ﷺ من غير أن تعرف أسماؤهم، فقد كانوا يفدون من البوادي والأقاليم في جماعات يبايعون رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ثم يعودون إلى بلادهم من غير أن تذكر أسماؤهم، كما وقع في العام التسع للهجرة وهو العام المشهور بعام الوفود.

➢ تفرقتهم في المدن والبوادي، وكثير منهم لم تعرف له رواية فلم يعرف اسمه. ولذلك فإن حصر عددهم متعذر لهذا السبب أيضا.

➢ اختلاف العلماء في صحبة عدد منهم، ومن ذكر عددهم إنما على وجه التقريب، فقد قال كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة تخلفه عن غزوة تبوك: «وأصحاب رسول الله ﷺ كثير لا يجمعهم كتاب حافظ»[2]. وقال أبو زرعة: «شهد معه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غزوة تبوك سبعون ألفا»[3]. ونقل عنه قوله: «توفي النبي ﷺ ومن رآه وسمع منه زيادة على

---

(1) التقيد والإيضاح (ص305-306)، ومحاسن الاصطلاح (ص432)، والفصل في الملل والأهواء والنحل (4/ 136).

(2) صحيح البخاري (4/ 1603-1604/ ح4156) باب حديث كعب بن مالك.

(3) فتح المغيث (4/ 108).

مـائة ألف إنسان من رجل وامرأة كلهم قد روى عنـه سمــاعا أو رؤيـة»[1]، وذكـر في رواية أخرى أنهم مـائة ألف وأربعة وعشر ألفا[2].

ويرى ابن فتحون أن هذا العدد الذي ذكره أبو زرعة خاص بالصحابة الرواة ولـيس جملة الصحابة[3].

6) الصحابة محدثون:

ألف ابن حزم رسالة في بيـان عـدد مرويـات الـصحابة الـذين عرفـت عـنهم روايـة الحديث، وهي في حقيقتها ترتيب لرسالة الحافظ بقي بـن مــخلد القرطبـي «ذكـر مــا للصحابة من عدد»[4].

❁ طريقته في عرض عدد مرويات الصحابة:

يبدأ ابن حزم هذه الرسالة بذكر المكثرين من الصحابة وهـم سـبعة زادت مرويـاتهم عن ألف حديث، ثم أصحاب المئين، ثم أصحاب المــائتين، ثـم أصـحاب المــائة، ثـم أصحاب العشرات، ثم أصحاب العشرين، ثم أصحاب التـسعة عـشر، وهكـذا إلى أن ينتهي إلى أصحاب الأفراد[5].

يكتفي ابن حزم كغيره مـمـن ألفوا في هذا الموضوع بـذكر اسـم الـصحابي ثـم عـدد مروياته، مثاله:

---

(1) الإصابة (1/ 2).

(2) اختصار علوم الحديث (ص185).

(3) الإصابة (1/ 3).

(4) حققه د. أكرم ضياء العمري بعنوان «عدد مـا لكل واحد من الصحابة من الحـديث» وهـي جـزء مـن مقدمة المسند المصنف لبقي بن مـخلد.

(5) انظر رسالة بن حزم «أسمـاء الصحابة الرواة» (ص275) المطبوعة مع كتاب جوامع السيرة.

1. أصحاب الألوف: أبو هريرة، خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثا.

2. أصحاب الألفين وما زاد عنها: عبد الله بن عمر: ألفا حديث وستمائة وثلاثون حديثا.

ومن الملاحظ أن ابن حزم تعزب عنه معلومات وفوائد أخرى غير العدد، فلا يذكر مثلا مظان الحديث النبوي الشريف التي اعتمدها من أجل حصر هذه الأعداد.

❁ **فؤائد حصر عدد مرويات كل صاحب.**

لمعرفة عدد مرويات كل صاحب فوائد مهمة من الناحية الحديثة، فبفضل ذلك يكتشف الوضع، فنسبة أي حديث زائد على المعروف إلى الصحابي مدعاة التوقف، فقد يكون الحديث الزائد صحيح النسبة إلى صاحبه ولم يعرفه من حصر العدد، وقد يكون موضوعا على الصحابي.

7) علم الصحابة بالسنن:

يتفاوت الصحابة في العلم بالسنن النبوية، فقد كان منهم الملازم لرسول الله ﷺ المتبع لسننه، وكان منهم من يحضر المجلس والمجلسين وتشغله الصفق في الأسواق أو الضرب في الأرض، وكان منهم المقيم والظاعن، ويمكننا أن نعرف علم الصحابي كما قال ابن حزم بأحد وجهين لا ثالث لهما:

- أحدهما: كثرة روايته وفتاواه.
- والثاني: كثرة استعمال النبي ﷺ له.

فمن المحال الباطل أن يستعمل النبي ﷺ من لا علم له، وهذا أكثر شهادات العلم وسعته[1].

وهذا لا يكفي لمعرفة علم الصحابي وروايته، لأن بعض الصحابة الذين عرفت ملازمتهم للرسول ﷺ وسبقهم الإسلام بالتواتر كأبي بكر وعمر الذين حملا علما كثيرا عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يظهر علمهم كله لنا وبخاصة أبو بكر لأنه لم يعش كثيرا بعد رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليحتاج إليه كما احتيج إلى غيره، فامتداد عمر الصحابي إلى جانب الوجهين السابقين الذين ذكرهما ابن حزم يكشف لنا عن عمله ومروياته، كما أن ظهور أمور جديدة في الحياة مع مر الزمن يكشف عن علم الصحابة؛ لأنه يحتاج إلى ما عنده تجاه تلك الأمور المستجدة، وفي هذا يقول ابن حزم: «ثم وجدنا الأمر كلما طال كثرت الحاجة إلى المصاحبة فيما عندهم من العلم، فوجدنا حديث عائشة رضي الله عنها ألفي مسند ومائتي مسند وعشر مسانىد...»[2].

8) المكثرون من الصحابة:

ولئن تفاوت الصحابة في العلم بالسنن، فقد برز منهم كثيرون زاد حديثهم على ألف وهم سبعة، ذكرهم ابن حزم في رسالته فقال[3]:

- أبو هريرة 5374.

---

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل (4/ 136).

(2) نفسه.

(3) انظر رسالة ابن حزم «أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد275-276، والرسالة مطبوعة مع كتاب جوامع السير لابن حزم تحقيق د. إحسان عباس ود. ناصر الدين الأسد وانظر أيضا « عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث» لبقي بن مخلد (ص 79) تحقيق ضياء العمري.

- عبد الرحمن بن عمر 2630.
- أنس 2286.
- عائشة 2210.
- عبد الله بن عباس 1660.
- جابر بن عبد الله 1540.
- أبو سعيد الخذري 1170.

ثم يلي هؤلاء المكثرين أحد عشر صحابيا، لكل واحد منهم أكثر من مائتي حديث، ثم الذين رووا أكثر من مائة حديث، ثم عدد كبير من أصحاب العشرات ممن يقربون من مائة، ثم عدد ممن لهم عشرة أحاديث أو أقل من ذلك، ثم جمع ممن لهم حديث الواحد أو الحديثان.

❁ رأي ابن حزم في مسألة الإكثار من الرواية عند الصحابة:

ناقش ابن حزم ما نقله العلماء من ذم عمر بن الخطاب الإكثار من الرواية ونهيه الصحابة عن ذلك، ويرى أن رواية الحديث خير وأن الإكثار من الخير خير[1].

يقول ابن حزم: «وقولهم هذا داحض بالبرهان الظاهر ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وهو أنه يقال لمن ذم الإكثار من الرواية: أخبرنا عن الرواية لحديث رسول الله ﷺ أخير هي أم شر؟، ولا سبيل إلى وجه ثالث فإن قال هي خير فالإكثار من الخير خير، وإن قال هي شر فالقليل من الشر شر وهم قد أخذوا منه بنصيب فيلزمهم أن

(1) شرح ألفية العراقي «التبصرة والتذكرة» (ص3).

يعترفوا بأنهم يتعلمون الشر، ويعملون به، أما نحن فلسنا نقر بذلك بل نقول إن الإكثار منها لطلب ما صح هو الخير كله»[1].

وأيضا: «وليت شعري إذا كان الإكثار من الحديث شرا فأين الخير أفي التقليد الذي لا يلزمه إلا جاهل أو فاسق، أم في التحكم في دين الله عز وجل بالآراء الفاسدة التي قد حذر الله تعالى منها وزجر النبي ﷺ عنها»[2].

وبنفس الطريقة يواصل ابن حزم الرد على من يذم إكثار الرواية، والرد على من يقول إن مالكا كان يختصر موطأه.

إن غرض ابن حزم من وراء ذلك كله تأصيل الفكرة التي ينادي بها مذهبه ألا وهي الرجوع إلى الكتاب والسنة وذم التقليد. ولا يتوانى ابن حزم في رد كل خبر يناقض هذه الفكرة، مما يثبت أن لظاهريته أثرا في التصحيح والتضعيف عنده.

❁ رأي ابن حزم في قول الصحابي «السنة كذا»:

لا يدرج قول الصحابي «السنة كذا»، أو «أمرنا كذا» في رأي ابن حزم في عموم السنة النبوية، فقد يكون ذلك محض اجتهاد من الصحابي فيكون قوله السنة كذا: «السنة عنده على ما أداه إليه اجتهاده»، ومعلوم أن ابن حزم يمنع التقليد سواء أكان المقلد صحابيا أو من دونه. يقول ابن حزم: «إذا قال الصحابي السنة كذا وأمرنا بكذا» فليس هذا إسنادا، ولا يقطع على أنه عن النبي ﷺ، ولا ينتسب إلى أحد قول لم يرو أنه قاله، ولم يقم برهان على أنه قاله، وقد جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: «كنا نبيع

---

(1) أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (276-315).

(2) الإحكام (2/ 134-135-136).

أمهات الأولاد على عهد الرسول ﷺ حتى نهانا عمر فانتهينا»وقال بعضهم: «السنة كذا» وإنما يعني أن ذلك هو السنة عنده على ما أداه إليه اجتهاده»[1].

9) **الصحابة فقهاء:**

حظي الجانب الفقهي عند الصحابة في كتابات ابن حزم باهتمام كبير، أثار ابن حزم فيها مسائل كثيرة كحجية عمل أهل المدينة واجتهاد الصحابي وحكم تقليده، وبين أيضا أصحاب الفتيا منهم ومراتبهم، مكثرين كانوا أو مقلين. وله كتاب «الإيصال إلى فهم كتاب الخصال» وهو شرح لكتاب «الخصال الجامعة لحمل شرائع الإسلام والحلال والحرام والسنة والإجماع» أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم في المسائل الفقهية، والحجة لكل قول، وهو كتاب كبير[2].

❁ **رسالة أصحاب الفتيا من الصحابة**[3]:

قسم ابن حزم أصحاب الفتيا من الصحابة أقساما ثلاثة:

➢ **المكثرون:** وهم سبعة: عائشة، عمر، علي بن مسعود، ابن عمر، زيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس.

قال ابن حزم: يمكن أن يجمع من فتيا كل واحد من هؤلاء مجلد ضخم.

---

(1) الإحكام (2/ 134-135-136).

(2) نفسه (2/ 72).

(3) وفيات الأعيان (3/ 325)، وتذكرة الحفاظ (3/ 1147)، والسير (19/ 193)، وسماه حاجي خليفة» الخصال الجامعة لمحصل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام». كشف الظنون(1/ 704).

➢ **المتوسطون**: ثلاثة عشر وهم: أبو بكر، أم سلمة، أنس، أبو سعيد الخذري، أبو هريرة، عثمان، عبد الله بن عمرو بن العاص، عبد الله بن الزبير، أبو موسى الأشعري، سعد بن أبي وقاص، سلمان جابر، معاذ.

➢ **المقلون**: وهم الباقون من الصحابة أصحاب الفتيا.

قال ابن حزم: «والباقون رضي الله عنهم مقلون في الفتيا لا يروى عن الواحد منهم إلا المسألة والمسألتان والزيادة اليسيرة على ذلك فقط، يمكن أن يجمع من فتيا جميعهم جزء صغير»[1].

ورغم أن ابن حزم يؤلف هذه الرسالة القيمة في أسماء الصحابة الفقهاء وكذا من جاء بعدهم، فانه لا يعتد بقول الصحابة ولا يراه حجة، ويرد تقليده سواء أكان المقلد مجتهدا أو عاميا، بل إنه يعد التقليد بدعة محرمة استحدثت بعد عصر أتباع التابعين، ولا قول إلا بما جاء بنص القرآن أو كلام صحيح النقل عن النبي ﷺ أو نتائج مأخوذة من مقدمات صحاح من هذين الوجهين.

ويجتهد ابن حزم في البحث عن الأدلة التي يحسبها مقنعة في الدلالة عن منع تقليد الصحابي، منها أن الصحابة لم يكونوا مطلعين على كل السنن، فما علمه بعضهم خفي عن بعضهم الآخر، ثم إنهم تفرقوا في الأمصار مما زاد بعدهم عن معرفة السنن والأحكام التي يعرفونها، وهم بالإضافة إلى ذلك مختلفون في اجتهاداتهم.

---

(1) وهي رسالة صغيرة في أصحاب الفتيا من الصحابة وفيمن بعدهم أيضا إلى زمن المؤلف، طبعت ضمن كتاب جوامع السيرة مع رسائل أخرى بتحقيق د. إحسان عباس ود. ناصر الدين الأسد مع اختلاف في ترتيب أسماء الصحابة، وتوجد أيضا ضمن كتاب الإحكام في أصول الأحكام، نشرها د. إحسان عباس ضمن رسائل ابن حزم طبعة مؤسسة الرسالة.

يرتب ابن حزم على هذه الأدلة وغيرها عدم جواز تقليد من لم يكن عارفا بكل السنن والأحكام، وفي حالة اختلاف الصحابة يتساءل ابن حزم: فأي واحد منهم تقلد؟[1].

وينحو باللائمة على المقلدين ويصفهم بعبارات حادة مثل قوله: ولا أضل ولا أجهل ولا أبعد من الله عز وجل ممن يزجر عن تبليغ كلام النبي ﷺ ويأمر بألا يكثر من ذلك، أو يرد ما لم يوافقه مما صح عن النبي ﷺ بنظره الملعون ورأيه الفاسد وهواه الخبيث ودعواه الكاذبة، ثم يفني دهره في تبليغ آراء مالك وابن القاسم وسحنون[2].

ويبين في المقابل أن الذين ينبذون التقليد وينهلون من الكتاب والسنة هم الطائفة التي على الحق، يقول: «وليعلموا أن طلاب سنن رسول الله ﷺ حيث كانت والعاملين بها والمتفقهين في القرآن والذين لا يقلدون أحدا هم على منهاج الصحابة والتابعين والأعصار المحمودة وإنهم أهل الحق في كل عصر»[3].

في حين يرى بعض العلماء منهم ابن القيم أن الصحابة هم سادة المفتين والعلماء.

قال الليث بن سعد عن مجاهد: العلماء أصحاب محمد ﷺ.

وقد صدق، فقد كانوا أئمة أعلاما شهدوا التنزيل وعلموا الناسخ والمنسوخ، وتتبعوا السنن النبوية القولية والفعلية واستدركوا ما فاتهم بالسؤال والرحلة، وكانوا إلى جانب ذلك على حض كبير من العلم بقواعد الاستنباط، ولذلك كله كانت فتواهم ذات قيمة كبيرة عند علماء الأمة خلفا عن سلف، وأنها أولى بالأخذ بها من آراء

---

(1) الإحكام (5/ 93)، وجوامع السيرة (319-323)، وإعلام الموقعين (1/ 12/ 13)، والإصابة(1/ 12).
(2) الإحكام (2/ 134).
(3) نفسه (2/ 144).

المتأخرين خصوصا إذا اشتهر قول الصحابي في الصحابة، فالذي عليه جماهير الفقهاء أنه إجماع وحجة، وأما إذا لم يشتهر فهو عندهم حجة(1).

وفي وجوب اتباع أقوال الصحابة أدلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾(2) ووجه الدلالة أن الله تعالى قد أثنى على من اتبعهم، خصوصا إذا كانوا عواما، أما المجتهدون فلا يجوز لهم اتباعهم.

ومنها قوله تعالى﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(3).

فكل الصحابة مهتدون وكل واحد منهم لم يسألنا أجرا.

ومنها أيضا قوله تعالى﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾(4) وكل من الصحابة منيب إلى الله عز وجل، فيجب اتباع سبيله.

ومنها أيضا قوله تعالى﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾(5) فأخبر تعالى أن من اتبع الرسول فإنه يدعو إلى الله، ومن دعا إلى الله على بصيرة وجب اتباعه(6).

---

(1) الإحكام (2/ 146).

(2) أعلام الموقعين (4/ 120).

(3) سورة يس: الآية 20.

(4) سورة لقمان: الآية 14.

(5) سورة يوسف: الآية 108.

(6) انظر هذه الأدلة وغيرها في أعلام الموقعين 4/ 123-130-131-136 وما بعدها.

خاتمة

ليس غريبا أن يهتم ابن حزم بالصحابة باعتبارهم محدثين وفقهاء أو بأي اعتبار آخر، فهذا موضوع قد كتب فيه العلماء قبله وبعده، إلا أن الملاحظ أن ابن حزم كان يعرض مباحث هذا الموضوع وفق قواعد مذهبه الظاهري حتى إنه ليرد النصوص المشهورة الصحيحة باجتهادات وأدلة ثبوتها أمر نسبي أمام النقد العلمي الرزين، وما في كتاب «الإحكام» خير دليل على ذلك.

والملاحظ أيضا أن ابن حزم في الوقت الذي يؤلف فيه رسالتيه في الصحابة المحدثين والفقهاء يمنع تقليدهم، وقد يظن ذلك تناقضا منه، والأمر ليس كذلك، فإن في بيانه لعدد مرويات الصحابة مثلا إشارة إلى عدم جواز تقليدهم، إذ كيف يقلد عشرات من الصحابة لا يروي الواحد منهم إلا الحديث والحديثين، والأمر نفسه في الصحابة الفقهاء المقلين وهم كثر، وهو أمر فصل فيه ابن حزم القول في كتابه «الإحكام».

فهرس المصادر والمراجع

- الإحكام في أوصال الأحكام، لابن حزم، تقديم إحسان عباس، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية/1983م.
- الإرشاد، للنووي.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للشوكاني، دار الفكر ط1.1956م.
- أسماء الصحابة الواردة، لابن حزم تحقيق سيد كسردي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى/ 1992م.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى/1995م.
- أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم الجوزية، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية/1977م.
- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير، أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعةالأولى/1983م.
- بقي بن مخلد القرطبي ومقدمة مسنده، عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث، تحقيق أكرم ضياء العمري، الطبعة الأولى/1984م.
- تدريب الراوي للسيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة السلفية.
- الجامع الصحيح للبخاري.
- الجامع الصحيح لمسلم.
- جامع الترمذي، دار الفكر.
- جوامع السيرة لابن حزم، تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد، دار المعارف بمصر.
- ابن حزم حياته وعصره لأبي زهرة، دار الفكر العربي1954م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم، مطبعة السعادة بمصر1357م.

- السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب، دار الفكر الطبعة الأولى1963م.
- سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق شعيب الأرنـؤوط ومحمـد نعـيم العرقـسوسي، مؤسـسة الرسالة، الطبعةالأولى1984م.
- شرح ألفية الحديث للعراقي، المطبعة الجديدة، الطالعة، فاس الطبعة الأولى/1355.
- شرح مسلم للنووي.
- علوم الحديث لابن الصلاح، تحقيق نور الدين عتر، دار الفكـر المعـاصر، بـيروت لبنـان، ودار الفكر دمشق سورية1986م.
- علوم الحديث لصبحي الصالح، دار العلم للملايين، الطبعةالأولى1959م.
- فتح المغيث للسخاوي، تحقيق علي حسن علي، دار الإمـام الطبري، الطبعة الثانية/1992.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، طبعة صبيح، القاهرة1964م.
- فضائل الصحابة، للإمـام أحمد، تحقيق فاروق حمـادة، دار الثقافة 1984.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة حلبي، وكالة المعارف1941-1943.
- الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت لبنان.
- المحلى لابن حزم صححه الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الفكر، مكتبة التراث.
- مسند الإمـام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان.
- وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، طبعـة دار صـادر للطباعـة والنـشر، بيروت من سنة 1968 إلى سنة 1972.

المحور العاشر

التعريف ببعض المؤلفات المغربية في الصحابة

مؤلفات علماء المغرب
في الصحابة

د. عبد العزيز فارح

ملخص البحث

اصطفى الله عز وجل محمد بن عبد الله لرسالته، وفضّله على الخلق كله، واصطفى له من الناس جميعا جيل الصحابة، وخصهم برتبة الصّحبة وشرف النّصرة، وأثبت لهم العدالة والحُظوة، فآمنوا برسوله واحتضنوا دعوته، وبلّغوا رسالته، وأقاموا أركان دولة الإسلام، وحضارته الفيحاء، فكانوا أحق بأن يُخلَّد ذكرهم وتُدوّن تضحياتهم، وتحفظ أخبارهم، وتُذكر فضائلهم.

وكان لعلماء المغرب والأندلس إسهام بارز في التعريف بهؤلاء وتخليد ذكرهم وبيان مكانتهم وفضلهم، بل والذود عنهم وردّ ما رُموا به من قبل الروافض خاصة.

ونظراً لمكانة علماء المغرب وقيمة العديد من مؤلفاتهم اخترت موضوع: «مؤلفات علماء المغرب في الصحابة» جمعا وتصنيفا ثم دراسة لنماذج منها للوقوف على قيمتها العلمية وخصوصيتها وما أسهمت به في تكريم الأصحاب وإظهار فضائلهم، وبيان حكم سبّهم وانتقاصهم، وسأركز هنا على كتاب «الاستيعاب» للحافظ ابن عبد البر، وكتب الحافظ ابن دحية السبتي المتعلقة بالموضوع حيث اختص بتآليف مشهورة عن النبي ﷺ وأصحابه الكرام. والقاضي عياض اليحصبي الذي اشتهر بأكثر من مؤلف منها كتابه الشفا، حيث عقد فيه فصلا يتعلق بالصحابة أتى فيه بما هو مفيد، شاكرا لرابطة علماء المغرب اختيارها لهذا الموضوع ذي الشأن الخطير في وقت دعت الضرورة فيه إلى نصرة هؤلاء الصحابة والتعريف بحقهم، وللجنة المنظمة الثناء الجميل والدعاء بالتوفيق والسداد.

الباحث في سطور

الدكتور عبد العزيز فارح a.farih@voila.fr

- أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب ـ وجدة.
- دكتوراه الدولة من جامعة محمد الأول بوجدة عام 2000م.
- رئيس مختبر الأبحاث والدراسات في التراث الإسلامي كلية الآداب بوجدة.
- له عدة بحوث ومقالات منشورة في مجلات وطنية ودولية.
- شارك في عدة ملتقيات ومؤتمرات وطنية ودولية.

نشر أعمالا علمية كثيرة، منها:

✍ كتاب: «مع السنة النبوية».
✍ كتاب: «من ألقم الحجر إذ كذب وفجر وأسقط عدالة من قال من الصحابة ما له أهجر» للحافظ ابن دحية السبتي: دراسة وتحقيق.
✍ كتاب: «المنهج الاستشراقي لدراسة السنة وعلومها».
✍ كتاب: «صناعة الفهرسة و التكشيف» بالاشتراك، وغيرها.

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وأرسل رسلا مبشرين ومنذرين، ومعلمين ومرشدين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين هاديا ومبشرا ونذيرا.

وبعد،

فإن رسالة الإسلام قد أطلت على الإنسانية العاثرة والتائهة في ضلالات الجهل والشرك والوثنية، فانتشلت الناس من الوهدة المريعة، والتيه الكريه، والفرقة والتقاتل والعبودية إلى ظلال الإسلام ودوحته الفيحاء..

ولم تكد تمضي المائة الأولى حتى كانت معالم حضارة الإسلام تظهر في الأفق: أمة واحدة، وعلوم وعلماء، ومؤسسات ونُظُم...

وقد امتدت تلك الظلال الوارفة إلى بلاد المغرب، ثم الأندلس؛ إذ وصلت مصادر العلم، وتناقلها الناس ورحلوا من أجلها إلى بلاد المشرق وتضلعوا منها وجلبوا بعضها في رحالهم، فانتشرت حلقات العلم ومراكزه بإفريقية وبجاية وتلمسان وفاس ومراكش وأغمات وسجلماسة وقرطبة وشاطبة وبلنسية وغيرها.. وظهر العلماء الذين ملأوا الربوع علما ومعرفة، فنشروا ما حملوه من شيوخهم بالمشرق والمغرب، وأسسوا مدرسة مغربية لها خصوصيات وإضافات تضاهي أو تفوق أحيانا نظيراتها المشرقية باعتراف الجميع وتنويههم، وباعتمادهم عليها وتعويلهم على أصحابها.

من ذلك ما كتبه العديد من علماء المغرب عن الصحابة: تعريفا بهم أو دفاعا عنهم أو بيانا لمكانتهم ولحكم من انتقصهم، أو لبيان علمهم فقها وتفسيرا ورواية للحديث

النبوي وذبّاً عنه.

وقد أحببت أن أتحدث عما كتبه هؤلاء العلماء عن الصحابة بدء بالكتب الجامعة في تراجم الصحابة، ثم غير الجامعة، ثم كتب الأنساب عامة وأنساب الصحابة خاصة، ثم المؤلفات في أسماء الصحابة وكناهم، ثم المؤلفات في فضائل الصحابة أو المفاضلة بينهم أو الرد على من سلبهم فضائلهم، ثم المؤلفات في حروب الصحابة، ثم المؤلفات في الصحابة رواة وفقهاء وقراء، وشعراء، وسأركز بعض الشيء على أعلام تركوا بصمات واضحة في المجالات المذكورة أولهم الإمام المحدث عبد الملك بن حبيب الألبيري (المتوفى سنة 238هـ) رائد المصنفين في المغرب بل والمشرق أحيانا، وحافظ المغرب أبو عمر ابن عبد البر القرطبي، والحافظ أبو الخطاب ابن دحية السبتي المتفنن في التصنيف في الحديث وأخبار الأصحاب وفضائلهم، ثم درة المغرب وعلم الأعلام القاضي عياض السبتي.

أولا: مؤلفات جامعة في تراجم الصحابة

بدأ التأليف في الصحابة تعريفا بهم وذكرا لبعض أخبارهم وفضائلهم في كتب السيرة والمغازي والفتوح وكتب الحديث وكتب الطبقات والتراجم وتواريخ المحدثين، لكن أوَّلَ من عُرِف أنه أفرد تأليفا للصحابة هو الإمام البخاري، قال الحافظ ابن حجر: «فأول من عَرَفْتُ صنّف في ذلك أبو عبد الله البخاري، أفرد في ذلك تصنيفا فنقل منه أبو القاسم البغوي وغيره، وجمع أسماء الصحابة مضمومة إلى من بعدهم جماعة من طبقة مشايخه كخليفة بن خياط، ومحمد بن سعد، ومن قرنائه كيعقوب بن سفيان وأبي بكر بن أبي شيبة...»[1].

أما ما ألفه علماء المغرب فهو كالآتي:

مصابيح الهدى:

للإمام المحدث صاحب التصانيف عبد الملك بن حبيب القرطبي السلمي، إمام الأندلس في الفقه والحديث في زمانه إلى جانب يحي بن يحي الليثي، ولد سنة 174هـ، أخذ علومه عن عدد من الشيوخ الكبار منهم من لقي مالكا وروى عنه كالغازي بن قيس القرطبي (199هـ) وزياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون (ت204هـ) قبل أن يرحل إلى المشرق ليستزيد من العلم.

توفي رحمه الله بعد حياة حافلة بالتأليف والتدريس عام (238هـ).

وأما كتبه ففي علوم كثيرة، فقد كان أكثر طبقته تصنيفا، وكان مشاركا في علوم مختلفة بما في ذلك الإعراب واللغة والشعر والعروض إلى جانب الفقه والحديث

---

(1) الإصابة (1/ 2).

والأخبار والأنساب. وهو فضلا عن ذلك رائد في التصنيف في هذه المجالات كما هو الشأن في كتابه «مصابيح الهدى» الكتاب الذي خصه لتراجم الصحابة، إذ لم يعرف أن أحدا من المصنفين قبل البخاري أفرد الحديث عنهم في كتاب مستقل كما قال الحافظ ابن حجر. وابن حبيب عاش قبل الإمام البخاري المتوفى سنة 256هـ. وسنذكر له في المجموعات المقبلة من مصنفات علماء المغرب إسهامات أخرى كان فيها أيضا رائدا وعمدة.

❁ كتاب الاستيعاب لحافظ المغرب أبي عمر ابن عبد البر القرطبي

أنجبت بلاد الأندلس طائفة كبيرة من الأعلام محدثين ومفسرين وفقهاء ولغويين وغيرهم، ولعل الحافظ ابن عبد البر أشهر هؤلاء وأكثرهم علما وأوسعهم اطلاعا، حتى قال الإمام أبو الوليد الباجي: «لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر»، وقال أيضا: «أبو عمر أحفظ أهل المغرب»[1] وهو عند ابن سعيد «إمام الأندلس في علم الشريعة ورواية الحديث... وحافظها الذي حاز خصل السبق واستولى على غاية الأمد، وانظر إلى آثاره تغنيك عن أخباره»[2].

«ألف مما جمع تواليف سارت عنه»[3]، وهي المؤلفات التي يقول عنها العلامة ابن حزم: «إنها لا مثيل لها»[4]. وليس في كلامه مبالغة وقد كتب الله تعالى لها الشهرة الفائقة، والاستحسان والقبول مغربا ومشرقا، وأضحت إلى يومنا هذا مرجع المتبحر، ونجعة القاصد المشمر، والكل يجمع على حسنها وكثرة فوائدها، وأنها مما يقدم

(1) الصلة لابن بشكوال (2/ 616-617).
(2) المغرب في حلى المغرب (2/ 407).
(3) الكلام لتلميذه الحميدي انظر جذوة المقتبس (ص344).
(4) رسائل ابن حزم (2/ 180).

في أبوابها.

فأما في الحديث وفقهه، فإن كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد يعد أحسن شرح للموطأ، غزير الفوائد، لم يمتلك ابن حزم نفسه حين طالعه فقال: «وهو كتاب لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلا فكيف أحسن منه»[1].

وعنه يقول العلامة عبد الله بن الصديق رحمه الله: «وليس فيما كتب على الموطأ من شروح ما يضاهي كتاب التمهيد أو يوازيه لاشتماله على خصائص لم تجتمع في غيره منها:

- إشباع الكلام على طرق الحديث ورواياته المحفوظ منها وغير المحفوظ مع التنبيه على ذلك.
- ومنها حكاية مذاهب الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب.
- ومنها ترجيح ما يراه راجحا، والاستدلال عليه.
- ومنها التنبيه على الأقوال الضعيفة وبيان وجه ضعفها.
- ومنها التعرض لما في الحديث من بحوث لغوية وفوائد تتعلق بمكارم الأقوال ومحاسن الأفعال.
- ومنها إسناد أحاديث لم توجد في غيره مسندة، بحيث إن الحفاظ يعزونها إليه كما يعزون إلى الدارقطني أو البيهقي...[2].

---

(1) رسائل ابن حزم (2/ 179)، وهذا الثناء، نقله عنه الحميدي في جذوة المقتبس (ص345)، والضبي في بغية الملتمس (ص90)، والذهبي في تذكرة الحفاظ (3/ 1129).

(2) التمهيد لابن عبد البر، مقدمة التحقيق للشيخ عبد الله بن الصديق (7 / 6).

ويشبهه في غزارة الفوائد ودقة المنهج كتاب «الاستذكار لمذاهب الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار».

❁موسوعة في التاريخ والتراجم

إن المتأمل فيما كتبه الحافظ ابن عبد البر في التاريخ والأنساب والتراجم ليدرك أنه انتهى في الأخير إلى موسوعة في هذا الشأن شاملة لمسائل وقضايا متعددة وإن أفردها في كتب مستقلة:

➢ **أولها: كتاب القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم وأول من تكلم بالعربية من الأمم**[1]، وفيه عني بذكر الأنساب والأصول البعيدة للعرب والعجم.

➢ **وثانيها**: كتاب «**الإنباه على قبائل الرواة**»، خصه لذكر أصول القبائل وأنساب الرواة من قريش والأنصار وسائر العرب.

والكتابان جعلهما مدخلا للكتابين الثالث والرابع الآتي ذكرهما وتمهيدا لهما.

➢ **ثالثهما**: «**الدرر في اختصار المغازي والسير**»، وهو من أشهر مصادر سيرة المصطفى ﷺ، له فوائد كثيرة منها حفظ نصوص كثيرة من كتب لم تصلنا، زيادة على نصوص أخرى ينقلها عن طريق التلقي عن شيوخه بأسانيده المتصلة.

➢ **رابعها: كتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»**: وهو في تراجم الصحابة وذكر مناقبهم.

---

(1) وهو الكتاب الذي ذكره بروكلمان بعنوان «التمهيد في الأنساب». انظر (تاريخ الأدب العربي 6/ 261).

ولم يفته أن يؤلف أيضا في تاريخ غير الأصحاب من التابعين وغيرهم، وفي بيان أسماء المشهورين منهم بالكنى، أو بيان الكنى المشهورين بالأسماء. وذلك في كتابه «الاستغنا في أسماء المشهورين من حملة العلم بالكنى».

وفي مختصره لكتاب الجرح والتعديل لأحمد بن سعيد الصدفي.

وفي كتابه الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة وبعض أخص تلاميذهم.

وفي فهرست شيوخه، وفي ترجمته لشيوخ مالك في التمهيد وفي غير ذلك مما يشكل فعلا موسوعة تاريخية متنوعة متكاملة، تبدأ بأصول القبائل البعيدة وأنسابها مرورا بسيرة المصطفى وأصحابه، والتعريف بشيوخ السنة ورواتها صحابة وتابعين وتنتهي بعصر المؤلف من خلال تعريفه بشيوخه.

۞ كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب:

هو الكتاب الشهير في أسماء الصحابة الكرام والتعريف بهم وتلخيص أحوالهم وعيون أخبارهم. يتصدر قائمة كتب ابن عبد البر إلى جانب التمهيد وجامع بيان العلم. ذكره ابن بشكوال والحميدي وابن فرحون وابن خلكان ومن المتأخرين بروكلمان وحاجي خليفة.

➢ سبب تأليفه:

ذكر ابن عبد البر في مقدمة الاستيعاب مكانة الصحابة الأجلاء وفضلهم وبين بالأدلة المختلفة القرآنية والحديثية وأقوال العلماء منزلتهم عند الله عز وجل وموضعهم في الأمة الإسلامية، وأعاد إلى الأذهان أن من أولى مطالب المسلم بعد كتاب

الله عز وجل سنن رسوله ﷺ وأن من أوكد آلات السنن المعينة عليها والمؤدية إلى حفظها معرفة الذين نقلوها عن نبيهم ﷺ إلى الناس كافة وبلغوها عنه. وكذلك يحتم معرفة الصحابة ومعرفة أسمائهم وأنسابهم وأحوالهم وسيرهم.. وذهب إلى أكثر من ذلك فقال: «...فواجب الوقوف على أسمائهم والبحث عن سيرهم وأحوالهم ليهتدي بهم...ولا خلاف علمته بين العلماء أن الوقوف على معرفة أصحاب رسول الله ﷺ من أوكد علم الخاصة وأرفع علم أهل الخير وبه ساد أهل السير»(1).

ورب قائل يقول إن هذا حق والكتابات في سيرة الأصحاب موجودة قبل ابن عبدالبر فما الذي دفعه إلى تأليف كتاب الاستيعاب؟ والجواب أن الحافظ أبا عمر أشار إلى وجود مؤلفات في الموضوع إلا أنه رأى فيها أشياء زادت من عزمه على تأليف الاستيعاب تحاشى فيه عيوب الذين سبقوه كالتطويل وإغفال عيون الأخبار وعمل على الانتقاء والجمع يقول أبو عمر: «وقد جمع قوم من العلماء في ذلك كتبا صنفوها ونظرت إلى كثير مما صنفوه في ذلك وتأملت ما ألفوه فرأيتهم ـ رحمهم الله ـ قد طولوا في بعض ذلك وأكثروا من تكرار الرفع في الأنساب ومخارج الروايات ـ فهذا إن كان له وجه ـ فهو تطويل على من أحب علم ما يُعتمد عليه من أسمائهم ومعرفتهم وهم مع ذلك قد اضربوا عن التنبيه على عيون أخبارهم التي يُوقَف بها على مراتبهم، ورأيت كل واحد منهم قد وصل إليه من ذلك شيء ليس عند صاحبه فرأيت أن أجمع ذلك وأختصره وأقربه على من أراده واعتمد في ذلك على النكت التي هي البغية من المعرفة بهم... وأبين مراتبهم بأوجز ما تيسر وأبلغه ليستغني اللبيب بذلك ويكفيه عن قراءة التصنيف الطويل فيه...»(2).

---

(1) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (1/ 19).
(2) نفسه (1/ 19-20).

أما عن زمن تأليف الاستيعاب، فالظاهر أنه كان بعد تأليف كتاب التمهيد وبعد كتاب الانباه عن قبائل الرواة، وذلك لإشارة المؤلف لهذين الكتابين في مواضع من الاستيعاب(1).

وعن سبب تسميته بالاستيعاب رأى غير واحد أن المؤلف ظن أنه استوعب الأصحاب وشملهم بالذكر وأحاط بالمهم من أخبارهم وأحوالهم(2). ويبدو أن المؤلف إنما يقصد بالاستيعاب استيعاب أهم أخبار الأصحاب، وما كان أولى بأن يذكر.

➢ وصف الكتاب:

استهل ابن عبد البر كتاب الاستيعاب بمقدمة مهمة أثار الانتباه فيها إلى ضرورة معرفة الصحابة الأجلاء بوصفهم حاملي السنة النبوية الشريفة، الأصل الثاني بعد القرآن الكريم.

ولتأكيد ذلك أسهب في الكلام عن فضل الصحابة وعلو منزلتهم في الدنيا والآخرة، وأورد في ذلك آيات وأحاديث تؤكد ما ذهب إليه منها قوله تعالى ﴿وَالسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾(3).

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾(4).

وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(5).

---

(1) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (1/ 5-25-184).

(2) الإصابة في تمييز الصحابة (1/ 3)، والرسالة المستطرفة (ص128).

(3) سورة التوبة: الآية 100.

(4) سورة الفتح: الآية 18.

(5) سورة آل عمران: الآية 110.

واجتهد ابن عبد البر في إيراد أقوال العلماء فيها وتفسيراتهم لها بمنهج المحدثين القائم على الأسانيد والروايات والنقد والتمحيص.

ثم بين دواعي تأليفه لهذا الكتاب ومنهجه فيه. وذكر الكتب التي اعتمدها ضمن موارده وأغلبها قرأها على شيوخه كسيرة ابن إسحاق والطبقات للواقدي والتاريخ له وكتاب التاريخ الكبير للبخاري وكتاب المولد والوفاة للدولابي وذيل المذيل للطبري بالإضافة إلى الروايات والفوائد والمعلقات عن الشيوخ. ثم بدأ بذكر رسول الله ﷺ، وبعض أخبار وسيرته مما لا يليق بذي علم جهله، وتحسن المذاكرة به في اختصار واستيعاب، وأضاف إلى ذلك حديثا مفيدا عن إبراهيم بن النبي ﷺ. ثم بدأ بالتعريف بالصحابة بابا بابا على حروف المعجم[1].

➢ قيمة كتاب الاستيعاب:

لا شك أن معرفة صحابة رسول الله ﷺ وتتبع أخبارهم وأحوالهم مما يجدر بالمسلم طلبه، ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب في وصفه واحدا من المصادر التي تعيننا في هذا المجال، وتزداد قيمته وضوحا حين نعلم أن الحافظ ابن عبد البر قدم لنا عصارة ما قرأه في الموضوع على شيوخه وخلاصة جهود العلماء الذين سبقوه وألفوا في تاريخ الأصحاب، والسيرة والمغازي فكان ما في الاستيعاب أهم ما يجب معرفته والاطلاع عليه، وقد طابق اسمه المضمون فجاء مصداقا لما شرطه المؤلف في المقدمة من التقصي والاستيعاب مع الاختصار وترك التطويل والإكثار[2].

إلى جانب ذلك يفيدنا ابن عبد البر في هذا الكتاب بآرائه وملاحظاته وكلامه في

---

(1) الاستيعاب (1/ 25-54-61)، كشف الظنون (1/ 81).

(2) الاستيعاب (1/ 25).

الرجال والأحداث والوقائع، فيناقش ويؤكد عدالة فلان ويجرح آخر، ويفند هذا الحادث ويؤكد بالدلائل صحة الحادث الآخر. وعليه يمكن لرجال الحديث ودارسيه الاستفادة من هذا الكتاب[1].

إضافة إلى الجانب التاريخي والحديثي، يزخر الاستيعاب بمجموعة مهمة من شعر الصحابة المعدود في أدب الدعوة أو الأدب الإسلامي.

وليس غريبا أن تكون هذه المزايا وغيرها قد دفعت العلماء قديما وحديثا إلى الإشادة بهذا الكتاب والرفع من قيمته، يقول أحمد الضبي بعد ذكر الكتاب: ... وهو كتاب حسن كثير الفوائد رأيت أهل المشرق يستحسنونه جدا ويقدمونه على ما ألف في بابه[2]. وفي فهرسة ابن خير: وهو كتاب مفيد جليل حافل طابق اسمه معناه[3] وفي كتاب تدريب الراوي قال النووي وقد بدأ يستعرض أهم كتب الأصحاب: «ومن أحسنها وأكثرها فوائد الاستيعاب لابن عبر البر»[4]. وقال الذهبي وهو يعدد مؤلفاته: ومنها الاستيعاب في الصحابة ليس لأحد مثله[5].

❁ ما انتُقد على ابن عبد البر

- **المأخذ الأول: تعويله على الإخباريين:**

قال الإمام أبو عمرو بن الصلاح: «وهذا علم كبير قد ألف الناس فيه كتبا كثيرة، ومن أجلها وأكثرها فوائد كتاب الاستيعاب لابن عبد البر لولا ما شأنه من إيراده

---

(1) الاستيعاب (1/ 120-184).

(2) بغية الملتمس للضبي (ص490).

(3) فهرست ابن خير (ص214).

(4) تدريب الراوي للسيوطي (2/ 207).

(5) تذكرة الحفاظ (3/ 1129).

كثيرا مـمـا شجر بين الصحابة، وحكاياته عن الإخباريين لا المحدثين»[1].

وفي هذا المـأخذ لابن الصلاح نظر كمـا قال الدكتور محمد يسف[2] فالحافظ أبو عمر من علمـاء الحديث ونقاده الكبار، وهو ذو معرفة بمـا يميز الـضعيف مـن الـصحيح، وذو معرفة بأحوال الرواة تعديلا وتجريحا، وذو معرفة بمن يعتمد قولهم في نقل الأخبار من الإخباريين والنسابين، وليس مـمـن ينقل من غير تـمحيص ونظر، أو مـمـن ينقل كل شيء عن كل أحد.

- **المـأخذ الثاني: تسمية الكتاب بالاستيعاب**

قال الحافظ ابن حجر وهو يتكلم عن التصنيف في تراجم الصحابة: «ثـم كـأبي عمـر ابن عبد البر 463هـ، وسمى كتابه الاستيعاب لظنه أنه استوعب مـا في كتب من قبلـه، ومع ذلك ففاته شيء كثير...»[3].

وأظن أن هذا الكلام زائد ولا حاجة إليه لأن أبا عمر صرح في خطبة الاستيعاب بأنه لا يروم استيعاب أسمـاء كل الصحابة وإنمـا يرجو أن يفوق من سبقه في إحصاء أكـبر عدد مـمكن منهم، وفي إغنائه بالفوائد الكثـيرة فقـال:«وأرجـو أن يكـون كتـابي أكثـر كتبهم تسمية وأعظمها فائدة وأقلها مؤونة، عـلى أني لا أدعـي الإحاطـة، بـل أعـترف بالتقصير الذي هو الأغلب على الناس»[4].

ولعل هذا الكلام واضح، ولو تأمله الحافظ لمـا قال مـا قال، وأحب أن أعزز كلامـي

---

(1) علوم الحديث لابن الصلاح، (ص391-392).

(2) المصنفات المغربية في السيرة ومصنفوها (2 / 29).

(3) الإصابة في تـمييز أسمـاء الصحابة (1 / 2-3).

(4) الاستيعاب (1/ 1).

هذا بما ذكره الدكتور محمد يسف: «قوله صريح في كونه لم يحط بكل الصحابة علما، فإن يكن سماه (الاستيعاب) فعلى سبيل الرجاء، وبقدر ما أحاط به علمه، لا على سبيل ظنه بأنه استوعب كل ما في كتبهم «كما قال الحافظ ابن حجر».

❁ **مصنفات أخرى لعلماء المغرب:**

من خلال تكملة كتاب الاستيعاب أو التذييل أو الاستدراك عليه:

لقد حظي كتاب الاستيعاب باهتمام العلماء وطلاب العلم مشرقا ومغربا، قديما وحديثا، دفعهم إلى ذلك شهرة الكتاب ومكانة صاحبه، وربما زاد من ذلك وصية المؤلف لتلميذه الإمام أبي علي الغساني: «أمانة الله في عنقك متى عثرت على اسم من أسماء الصحابة لم أذكره إلا ألحقته في كتابي الذي في الصحابة»[1].

من أشهر مختصراته:

- **اختصار الاستيعاب**: تأليف أبي العباس ابن سميرة الإشبيلي، كان حيا في حدود **الستمائة**[2].

ومن أشهر ذيوله وتكميلاته والمستدركات عليه:

- **تذييل الحافظ أبي بكر ابن فتحون الأريولي (519هـ)**[3] صاحب كتاب الشروط الذي قيل عنه: «إنه لم يسبق إلى مثله»[4]. ولم يكن هذا التذييل أقل شهرة من كتاب

---

(1) الاستيعاب (4/ 1234).

(2) الذيل والتكملة لابن عبد الملك (1/ 1/ 390).

(3) انظر ترجمته في بغية الملتمس (ص63)، والصلة(2/ 5471)، والغنية (ص81)، ومعجم أصحاب أبي علي الصدفي (ص 104).

(4) بغية الملتمس (ص63).

الشروط، بل إنه أشهر ذيول الاستيعاب، أخذه الناس ورووه عن المؤلف وتلامذته، وأصبح من مصادر من ألف في الصحابة كالأصل.

➢ **ذيل الاستيعاب تأليف الإمام الحافظ أبي علي الغساني** (498هـ)، وهو أول من استجاب لوصية شيخه أبي عمر، فوضع هذا الذيل وفاء ببعض حقوق شيخه عليه، وقد لقي الذيل استحسان العلماء وإقبالهم عليه كما أقبلوا على أصله وجعلوه من مصادرهم في تراجم الصحابة كما يظهر ذلك بجلاء في تراجم كثيرة من كتاب «أسد الغابة» لابن الأثير، و«الإصابة» لابن حجر.

➢ **المستدرك على الاستيعاب**: للحافظ لأبي الوليد ابن الدباغ المرسي (546هـ) أخذ العلم عن الكبار أمثال أبي علي الصدفي. اشتهر بمعرفة وباع كبيرين في الحديث وأسماء الرجال[1]. واستدرك على ابن عبد البر تراجم عديدة وأفاد منه من ألف في الصحابة بعده كابن الأثير والذهبي وابن حجر.

➢ **المستدرك على الاستيعاب** لأبي إسحاق ابن الأمين الطيطلي ثم القرطبي المتوفى سنة (546هـ)[2]. وسماه «الإعلام بالخيرة الأعلام من أصحاب النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ. وهو أيضا من المصادر التي عول عليها من ألف في الصحابة..

➢ **ميدان السابقين، وحلبة الصادقين المصدقين**: وهو ذيل على الاستيعاب وإكمال له، تأليف الحافظ الكبير أبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الشهيد (634هـ). ذكره تلميذه الرعيني في برنامج شيوخه، وأشاد بهذا الكتاب وأفاد بأنه لم يكمله، وأنه لو كمل لكان أكبر من كتاب الاستيعاب[3].

---

(1) انظر ترجمته في الصلة (2/ 644-645)، وبغية الملتمس (ص476)، وتذكرة الحفاظ (4/ 1310).

(2) ترجمته في الصلة (1/ 101)، ومعجم أصحابي أبي علي الصدفي (ص643).

(3) انظر برنامج الرعيني (ص 66).

➢ **إكمال إكمال أبي الربيع الكلاعي** للإمام المحدث أبي العباس أحمد بن محمد بن ميمون الأشعري المالقي المتوفى سنة 682هـ، والمعروف أيضا بابن السكان كان حجة في الحديث والفقه والأدب، حسن المذاكرة، جامعا بين العلم والعمل، أثنى عليه الإمام العبدري في رحلته ثناء جميلا[1]. كما تحدث عنه الإمام البارع ابن رشيد السبتي في رحلته المشهورة[2].

➢ **إكمال ذيل ابن فتحون المشار إليه سابقا**، هو كسابقه في الحسن والفائدة لكنه إكمال لذيل ابن فتحون الأريولي السابق ذكره[3].

➢ **استِدْرَاكٌ** على الاستيعاب، **تأليف أبي القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي الملاحي الغرناطي المتوفى سنة 619هـ.**

➢ **ألف على الاستيعاب استدراكا، كذا سماه ابن الأبار[4] وابن عبد الملك[5]، وتبعهما في ذلك الإمام الذهبي[6] والصفدي[7].**

أوهام كتاب الاستيعاب **لابن فتحون الأريولي** المذكور ضمن من ذيلوا على **الاستيعاب أو استدركوا عليه، وهذا كتاب آخر لابن فتحون** على كتاب ابن عبد البر، لكن خصّه للأوهام الواقعة فيه.

---

(1) رحلة العبدري (ص267-268).

(2) ملء العيبة (2/ 49).

(3) الذيل والتكملة، لابن عبد الملك المراكشي (1/ 2/ 521).

(4) التكملة، لابن الأبار (2/ 609).

(5) الذيل والتكملة (6/ 413).

(6) تذكرة الحفاظ (4/ 1402).

(7) الوافي بالوفيات(4/ 68).

۞ مصنفات أخرى في الصحابة غير مرتبطة بالاستيعاب

➢ **إصلاح أوهام معجم الصحابة** لابن قانع تأليف الإمام ابن فتحون السابق ذكره، كما سماه ابن بشكوال[1] وابن الأبار[2].

وسماه كارل بروكلمان: الإعلام والتعريف بما لابن قانع في معجمه من الأوهام والتصحيف[3].

➢ **مجلس في فضل أبي بكر الصديق**: لأبي القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي الملاحي الغرناطي (619هـ). كذا سماه ابن الأبار[4].

➢ **فضائل الخلفاء الأربعة** لأبي القاسم الملاحي الغرناطي (619هـ)، كذا سماه الإمام الرعيني في برنامجه[5]. ويبدو أن الكتاب السابق جزء من هذا الكتاب، رغم أنه مذكور عند ابن الأبار على أساس أنه كتاب مستقل.

➢ **كتاب النبراس في ذكر خلفاء بني العباس**: هو كتاب للحافظ أبي الخطاب مجد الدين عمر بن الحسن بن دحية الكلبي السبتي (ت633هـ)، ذكره في كتابه «العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور» حين إشارته لمناقب عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال: «وقد ذكرنا مناقبه في كتابنا المسمى بالنبراس في ذكر خلفاء بني العباس». وسأعود للحديث عن الحافظ ابن دحية ومؤلفاته عن الصحابة في المجموعة الرابعة من مؤلفات علماء المغرب عن الصحابة الكرام، وفضائلهم والمفاضلة بينهم.

---

(1) الصلة (2/ 547).

(2) معجم أصحاب أبي علي الصدفي (ص126-317).

(3) تاريخ الأدب العربي (3/ 224).

(4) التكملة (2/ 609).

(5) برنامج الرعيني (ص64).

➢ **مناقب أبي بكر الصديق** رضي الله عنه لابن دحية السبتي (633هـ) ذكره البغدادي[1] والشيخ عبد الله كنون[2]، والكتاب في فضائل خليفة رسول الله، وذكر ما جاء في خلافته دفعا لما روجه الروافض من سلب لفضائله وأحقيته بالخلافة.

ثانيا: مؤلفات في الأنساب

هي في أنساب العرب وبطونهم وأفخاذهم، إسهاما في التعريف بالناس، ودفعا لاختلاط الأنساب والأرحام والقرابات، ولتوقف بعض أحكام الشرع الإسلامي على معرفتها، كأحكام الزواج والمواريث والولاية على القاصرين والديات وغير ذلك.

واحتاج علماء الحديث أيضا إلى علم الأنساب والتأليف فيه لتوقف الرواية على ذلك من حيث التوثيق ومعرفة طبقات الرواة، وكشف كذب الوضاعين وغير ذلك، وفي هذا يقول الدكتور محمد يسف: «واحتيج منذ زمن مبكر إلى التصنيف في الأنساب مع ظهور الحاجة إلى تدوين المرويات والأحاديث والسنن والأحكام، وتوثيق أسانيدها إلى الصحابة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ، وأقدم ما علمناه من كُتبٍ في الأنساب كتاب قتادة بن دعامة السدوسي أبي الخطاب البصري الحافظ (117هـ) في نسب قريش، ثم توالت كتب الأنساب إما في أنساب العرب عامة، ككتاب النسب لأبي المنذر الكلبي هشام بن محمد بن السائب... (204هـ) وقيل (206هـ)»[3].

وقد أدخلنا كتب الأنساب في بحثنا هذا من زاوية أنها تعنى بأنساب الصحابة مع غيرهم، وفيها تتجلى أيضا جهود علماء المغرب في التأليف في الصحابة.

---

(1) هدية العارفين (1/ 786).

(2) النبوغ المغربي (1/ 160).

(3) جذوة الاقتباس (ص 197).

➢ **أنساب قريش:** لعبد الملك بن حبيب القرطبي (238هـ).

سبق التعريف بالإمام ابن حبيب والإشارة إلى أنه رائد في التصنيف، مشارك في أكثر من علم.

وأما كتابه «أنساب قريش» فهو أول كتاب في الموضوع ألفه علماء المغرب، ولم يُسبق في المشرق إلا بكتابي قتادة وابن السائب الكلبي المشار إليهما أعلاه. ولذلك صار كتاب ابن حبيب مصدرا مقدما لمن ألف في الأنساب من علماء المغرب والمشرق على السواء.

➢ **الأنساب:** للإمام قاسم بن أصبغ القرطبي المحدث المشهور الذي أخذ علمه عن مؤسسي مدرسة الحديث بالمغرب الحافظين الكبيرين بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح القرطبيين، وفي المشرق عن كبار الآخذين عن أحمد بن حنبل ويحي بن معين ومصعب الزبيري أمثال الإمامين ابن قتيبة وابن أبي خيثمة صاحب التاريخ الكبير، توفي قاسم سنة 340هـ[1].

أما كتابه الأنساب فمن أحسن ما ألفه المغاربة في القرن الرابع الهجري (340هـ)، وهو في الأنساب عامة خلاف كتاب عبد الملك بن حبيب القرطبي السابق ذكره، المقتصر على أنساب قريش، ولذلك نوّه به غير واحد، فقال الإمام الحميدي وهو يذكر مؤلفاته: «وكتاب في الأنساب في غاية الحسن والإيعاب»[2].

وقال الدكتور محمد يسف: «وقاسم غير مسبوق في هذا الباب بالمغرب فيما نعلم، إذ

---

(1) انظر ترجمته بتفصيل في تاريخ ابن الفرضي (1/ 406)، وجذوة المقتبس (ص311)، وبغية الملتمس(ص333). وترتيب المدارك للقاضي عياض (5/ 180).

(2) جذوة المقتبس(ص311).

إن مجال «الأنساب» في عمومه أوسع من كتاب ابن حبيب في نسب قريش خاصة، ومعهم ألوف رضي الله عنهم شطرهم أنصار غير قرشيين، ومعهم ألوف من الصحابة المنسوبين إلى قبائل أخرى عدنانية وقحطانية غير قريش...» ويمكن القول بأن كتابه في الأنسب يمثل مرحلة مبكرة من التصنيف في هذا الباب بالمغرب، لم تلبث أن نضجت في القرن الخامس نفسه على يد الحافظ أبي محمد بن حزم»[1].

- **جمهرة أنساب العرب**: للإمام العلامة ابن حزم الظاهري صاحب التصانيف المشهورة المنافح عن الإسلام في ديار الأندلس، وخادم السنة النبوية تدريسا وتأليفا في الإيصال والمحلى وغير ذلك[2].

وأما في مجال الأنساب فألف كتابا فوائده كثيرة، ومزاياه عديدة فقد كان لابن حزم كما هو معروف اطلاع واسع على الأحاديث واهتمام بالغ بها وتتبع لطرقها كما يظهر ذلك في كتبه الرائقة. ولذلك غدا كتابه جمهرة الأنساب مصدرا عوّل عليه من جاء بعده ممن ألف في السيرة والأنساب وفضائل الأصحاب، وغيرهم وعلى رأسهم الإمام السهيلي في كتابه الشهير «الروض الأنف».

- **الإنباه على قبائل الرواة.**
- **والقصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم.**

كلاهما لحافظ المغرب أبي عمر ابن عبد البر الأندلسي.

---

(1) المصنفات المغربية في السيرة النبوية (2 / 93).

(2) انظر ترجمته بتفصيل في جذوة المقتبس للحميدي (ص290). والصلة (2/ 395)، وبغية الملتمس(ص403)، ومطمح الأنفس لابن خاقان (ص279)، والمعجب لعبد الواحد المراكشي(ص46)، وتذكرة الحفاظ (3/ 1146).

فأما **الأول** - أي الإنباه - فهو في أنساب الرواة من قريش وسائر العرب دون ما قبل عدنان وقحطان من آباء رفعهم النسابون إلى سام وحام ويافث أبناء نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وأما **الثاني** - أي القصد والأمم - فهو في الأنساب البعيدة للعرب والعجم، مع عناية خاصة بالعدنانية والقحطانية وعمائرها وأفخاذها وعشائرها، وفيها النسب الزكي لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وأنساب آل بيته الأطهار، وأنساب أصحابه المهاجرين والأنصار، وكذا من كان منهم من العجم ممن آمن به وصدق رسالته، وفيهم أيضا موالي، ثم من أخذ عن هؤلاء الآل والأصحاب من التابعين.

وبذلك يظهر أن الكتابين متكاملان، وقد جعلهما المؤلف بمثابة مقدمة ومدخل لكتابه «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» يغنيان عن الرفع في الأنساب، فمن أراد ذلك رجع إليهما، وهذا أمر أكده المؤلف نفسه في خطبة الإنباه فقال: «أما بعد فإني ذكرت في كتابي هذا أمهات القبائل التي روت عن النبي ﷺ، وقربت ذلك واختصرته وبينته، وجعلته دليلا على أصول الأنساب ومدخلا إلى كتابي في الصحابة ليكون عونا للناظرين فيه، ومنبها على ما يحتاج إليه من معرفة الأنساب...».

➢ **اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار لمحمد بن** عبد الله بن علي الرشاطي الأريولي، نسابة الأندلس[1] الحافظ المحدث المتوفى سنة (542هـ)[2].

أما كتابه اقتباس الأنوار فمن أجلّ وأشهر كتب الأنساب وأحسنها، وهو على نمط

(1) كذا قال الحافظ ابن دحية في كتابه المطرب في أشعار أهل المغرب (ص61)، وهو يتحدث عن صنهاجة وشرفهم ونسبهم إلى حمير.

(2) انظر ترجمته في الصلة لابن بشكوال (1/ 286). وبغية الملتمس للضبي (ص366). والمعجم في أصحاب أبي علي الصدفي لابن الأبار (ص277).

كتاب الأنساب للإمام السمعاني، فيه فوائد أدبية وتاريخية وجغرافية أندلسية قيمة بالإضافة إلى الموضوع الأصل وهو بيان الأنساب، ولذلك امتدحه علماء الأندلس والمشرق ونوهوا به فقال تلميذه المؤرخ الكبير أبو القاسم ابن بشكوال: «وله كتاب حسن سماه «اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار» أخذه الناس عنه وكتب لنا بإجازته مع سائر ما رواه»[1].

وعن هذا الكتاب أيضا يقول الضبي: «وهو كتاب غريب كثير الفوائد، جامع... لقيه شيخي القاضي أبو القاسم ـ يعني ابن بشكوال ـ بالمرية وقرأ عليه كتاب علوم الحديث، وناوله هذا الكتاب...»[2].

وأما ابن الأبار فرفع من مكانته فذكر أنه لم يسبق إلى مثله فقال: «وكان مشاركا في اللغات والآداب ومتحققا بالآثار والأنساب، وكتابه المترجم باقتباس الأنوار... لم يسبق إلى مثله واستعمله الناس»[3].

وليس في مثل هذا الكلام المنقول عن هؤلاء من مبالغة، فلقد شهد الواقع أن عددا ممن ألف في السيرة والأنساب وتراجم الأصحاب بعد الرشاطي أفادوا من هذا الكتاب وجعلوه من بين مصادرهم كابن سيد الناس اليعمري[4] والإمام المؤرخ شمس الدين الذهبي في أكثر من كتاب من كتبه في التاريخ والتراجم وكتاب تجريد أسماء الصحابة. وخاتمة الحفاظ ابن حجر في كتابه «الإصابة في تمييز الصحابة» وكفى الرشاطي شرفا وكتابه علو منزلة أن عوّل عليه أمثال هؤلاء الكبار.

---

(1) الصلة (1/ 286).
(2) بغية الملتمس (ص336).
(3) المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي (ص228).
(4) عيون الأثر (2/ 347).

ومما ترتب عن تلك المنزلة العالية لهذا الكتاب أن كتب عدد ممن جاء بعده مذيّلين أو مختصرين منهم:

- الإمام الحافظ الكبير عبد الحق الإشبيلي (582هـ).
- الإمام أبو عبد الله المرسي (617هـ).
- الإمام أبو عبد الله الغساني الغرناطي (619هـ).
- الإمام أبو محمد الحرار الإشبيلي (646هـ).

وهي مؤلفات تضاف إلى ما ذكرنا سابقا مما ألفه المغاربة بدءا بابن حبيب ووصولا إلى الرشاطي باعتبار أنها من تأليف علماء كبار أصحاب حديث ونقد ومعرفة بالتاريخ والأنساب، وأنها احتوت على إضافات وفوائد لم تقع في كتاب الرشاطي، فهذا الحافظ أبو العباس الغبريني يقول في «عنوان الدراية» عن اختصار الإمام عبد الحق الإشبيلي: «وله اختصار الرشاطي، وهو أحسن من الأصل»[1].

وعن اختصار أبي عبد الله المرسي يقول ابن الأبار: «وله اختصار مفيد في اقتباس الأنوار لأبي محمد الرشاطي وقفت عليه»[2].

وعن اختصار أبي عبد الله الغساني الغرناطي يقول ابن عبد الملك وهو يتحدث عن مؤلفاته: واختصار حسن في «اقتباس الأنوار للرشاطي»[3].

---

(1) عنوان الدراية (ص73).

وردد هذا الثناء ابن مخلوف في شجرة النور الزكية (ص155).

(2) التكملة لكتابي الموصول والصلة (2/ 605). ووصفه ابن عبد الملك في الذيل والتكملة بالاختصار النبيل. الذيل والتكملة (6/ 492).

(3) الذيل والتكملة (6/ 348).

وهكذا أيضا كانت ذيوله فيها الإضافات والتنقيحات والزيادات من أنساب الإمام السمعاني وابن الأثير وغيرهما دالة على اهتمام الناس بأنساب الرشاطي مغربا ومشرقا، وإقبالهم عليه قراءة وإقراء وتلخيصا وتذييلا...

➢ **الشجرة في أنساب العرب والعجم** لأبي القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي الملاحي الغرناطي (ت619هـ) ذكره ابن الأبار[1] وابن عبد الملك[2] وقال فيه: «أنساب الأمم العرب والعجم، وهي الشجرة، أبدع في وضعها وأتقن تفريعها، واحتفل فيها، وأتى منها بغريبة يقر بفضلها وجلالة واضعها أهل ذلك الشأن، وقد وقفت على نسختين منها بخطه الأنيق»[3].

➢ **تاريخ الأمم في أنساب العرب والعجم** للحافظ عمر بن حسن أبي الخطاب ابن دحية الكلبي السبتي (633هـ). وهو كأغلب الكتب المذكورة عام في أنساب العرب والعجم. وقد نسبه إليه الشيخ عبد الله كنون ضمن كتبه التاريخ والجغرافية في عصر الموحدين، وهو العصر الذي عاش فيه ابن دحية[4].

---

(1) التكملة لابن الأبار (2/ 609).

(2) الذيل والتكملة(6/ 413).

(3) نفسه.

(4) النبوغ المغربي(1 / 160).

ثالثا: مؤلفات في أسماء الصحابة وكناهم وسائر نعوتهم

هذا فن كتب فيه علماء الحديث خاصة في خضم عنايتهم برواة السنن النبوية والتعريف بأحوالهم تعديلا وتجريحا، والتعريف بطبقاتهم باعتبارات متعددة، والتعريف بأسمائهم وكناهم وأنسابهم وألقابهم وسائر نعوتهم للتمييز بين الرواة إذا ذكروا بما لم يشتهروا به، أو اشتركوا في الأسماء، أو الأسماء وأسماء الآباء، أو في الأسماء والأنساب، وقد ظهرت في ذلك عشرات الكتب في الأسماء والكنى والطبقات، والمتشابه، والأنساب، والمتفق والمفترق والمؤتلف والمختلف...

ومما عرف من هذه مؤلفات عند علماء المغرب:

- **كتب الصحابة الجامعة** المذكورة في المجموعة الأولى من هذا البحث. ففيها عناية بالأنواع المذكورة، كما أنها تعقد للكنى أبوابا خاصة.

- **كتب الأنساب** المذكورة قريبا، ففيها أيضا بيان لكنى المذكورين بأسمائهم أو أنسابهم.

- **كتاب أسماء المعروفين بالكنى من الصحابة والتابعين لأبي القاسم خلف بن** قاسم ابن **الدباغ** القرطبي المتوفى سنة 393هـ، صاحب الرحلة الطويلة إلى المشرق والتي دامت خمس عشرة سنة، أخذ عنه علماء الأندلس على كبر سنهم كأبي الوليد ابن الفرضي، وكبار تلامذتهم كابن عبد البر. وأما كتابه ففي «أسماء المعروفين بالكنى من الصحابة والتابعين وسائر المحدثين» كذا سماه الحميدي في جذوة المقتبس[1].

- **تبويب كتاب الأسماء والكنى للإمام النسائي**، تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن مفرج القرطبي المتوفى سنة (380هـ)، وصاحب رحلة علمية إلى المشرق دامت

---

(1) جذوة المقتبس (ص197).

ثمان سنوات، سمع فيها علما جما وقرأ كتبا كثيرة، وعاد إلى الأندلس وقد تضلع من العلم، وحمل معه كتبا سمعها منه طلاب العلم في حلقات تدريسه بقرطبة.

وكان من جملة تلك الكتب كتاب الأسماء والكنى للإمام أحمد بن شعيب النسائي صاحب السنن، وصاحب التصانيف في الجرح والتعديل والأسماء والكنى، ثم قام بتبويبه، وبه رواه عنه أبو الوليد ابن الفرضي وغيره[1].

> **كتاب اختصار الأسماء والكنى للإمام النسائي**، تأليف أبي زكرياء يحي بن محمد ابن مسرة التميمي الأندلسي المتوفى سنة 394هـ. محدث مغربي مشهور، وصاحب رحلة إلى الحجاز. من مؤلفاته هذا المختصر على كتاب الأسماء والكنى للإمام النسائي، وهو المختصر الذي وصفه ابن بشكوال بالحسن المفيد»[2].

> **كتاب المتشابه في أسماء الرواة وكناهم وأنسابهم**، للإمام الحافظ الكبير مؤرخ الأندلس أبي الوليد ابن الفرضي القرطبي (المتوفى سنة 403هـ) كان مشاركا في فنون كثيرة: الحديث والرجال والفقه والتاريخ والأدب. ووضع في معظمها كتبا أشهرها كتابه «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس».

أما كتابه «المتشابه في أسماء الرواة وكناهم وأنسابهم» فمن الكتب التي لا يستغني عنها من اشتغل بالرجال والجرح والتعديل، فإنه قد تختلط عليه الأسماء والكنى والأنساب المتشابهة والمتفقة، ومن لم يميز بينها أو شَكّ أن يخلط بين الرواة فيوثق الضعفاء ويضعف الثقات...

---

(1) انظر تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لابن الفرضي(2/ 93)، وفهرست ما رواه عن شيوخه لابن خير(ص 214).

(2) الصلة (2/ 624).

➢ **الاستغنا في أسماء المشهورين من حملة العلم بالكنى لحافظ المغرب ابن عبدالبر** (463هـ)، هو من أشهر كتب الحافظ أبي عمر بعد الدرر والاستيعاب والتمهيد والاستذكار وقد ألفه ابن عبد البر بعد أن قرأ على شيوخه عددا من الكتب المؤلفة في الباب أو مختصراتها، بل إن ما مرّ ذكره من كتب الباب رواه الناس من طريق ابن عبدالبر[1].

رابعا مؤلفات الفضائل

لا ينكر فضل الأصحاب إلا ذو غل في قلبه أو ممن غلبت عليه الأهواء، وانخدع بأباطيل الروافض ومن التقى معهم في سلب هؤلاء من كل فضيلة وخصيصة، والسعي إلى التقليل من شأنهم والغض من قيمتهم، والتشكيك في منزلتهم، فيتجرأ عليهم مَن لم يعرف قدرهم وينتقصهم من لم يعلم أن الله تعالى قد رضيهم وعدَّلهم وشهد لهم بالإيمان.

وإن هذا الأمر لهو من أخطر ما أثاره أناس في عصرنا إحياء لدسائس السبئية وجرأة الروافض وأكاذيبهم وتأويلاتهم الفاسدة.

وسأقدم الآن بعض كتب علماء المغرب في بيان فضائل الصحابة:

❀فضائل الصحابة:

للإمام عبد الملك بن حبيب القرطبي (238هـ)، وهو من أوائل الكتب المفردة في فضائل الصحابة إذ لا يعرف من ألف في المسألة كتابا مستقلا قبل ابن حبيب، فهو الرائد في هذا الباب في المغرب والمشرق لأن أول من وصلنا عنه كتاب مفرد في فضائل

---

(1) انظر مثلا فهرست ابن خير (ص 214-218).

الصحابة هو الإمام النسائي المتوفى سنة (303هـ) أي بعد وفاة ابن حبيب بأكثر من ستين سنة.

- **مصابيح الهدى**

لعبد الملك بن حبيب أيضا[1]، وما قيل عن الكتاب السابق يقال عن هذا. وقد سبق الحديث عن هذا الكتاب ضمن كتب تراجم الصحابة الجامعة.

- **المصابيح في فضائل الصحابة**

لقاضي الجماعة أبي المطرف ابن فطيس القرطبي المتوفي سنة 402هـ من أوائل المصنفين في الباب بعد عبد الملك بن حبيب[2].

- **فضائل الأنصار:**

لابن الصفار أبي الوليد يونس بن عبد الله الأنصاري القرطبي المتوفى سنة (429هـ)، وهو خاص بفضائل الأنصار من الأوس والخزرج الذين أووا النبي ﷺ ونصروه، فكانت لهم تلك منقبة المناقب، إضافة إلى فضائل أخرى كثيرة لهم مجموعين، ولأفراد منهم.

- **رسالة المفاضلة بين الصحابة**

للعلامة أبي محمد ابن حزم الأندلسي (456هـ)، موضوع الكتاب هو المفاضلة بين الصحابة الفضلاء، والمفاضلة لا تعني أن منهم من ليس فاضلا أو عدلا، وإنما هي مراتب في الفضل، كما أن الهدف من ذلك هو دحض أقوال وشبهات تنقص من

---

(1) ممن ذكر أن عبد الملك بن حبيب ألف الكتابين معا أبو الوليد ابن الفرضي في تاريخ علماء الأندلس(1/ 313)، والقاضي عياض في ترتيب المدارك (4/ 127).

(2) ذكره ابن بشكوال في الصلة (1/ 300) ومن أهل المشرق الذهبي في تذكرة الحفاظ (3/ 1061).

شأن بعض الأصحاب وأمهات المؤمنين وتسلب فضائلهم كما فعلت الخوارج والروافض خاصة.

وفي هذه الرسالة تقديم في الفضل لأمهات المؤمنين وبيان لأدلته في ذلك قرآنا وسنة مع إيراد لحجج المخالفين ومناقشتها.

ثم في بيان لأفضل الصحابة وهو أبو بكر مع عناية يذكر مستنده في ذلك من مناقب لخليفة رسول الله ﷺ، وهكذا بالنسبة للفاروق عمر ثم ذي النورين عثمان، ثم علي كرم الله وجهه، ثم أصحاب بدر ثم أهل المشاهد:

ولما كانت المفاضلة بين الصحابة من المواضيع الشائكة، وكان عدد كبير من المسلمين قد تحاشاها وأجابوا من سألهم عن ذلك بوجوب الإمساك عما شجر بينهم وبحبس ألسنتهم عن الخوض في ذلك، فإن الإمام ابن حزم عاد في آخر رسالته إلى بيان معايير المفاضلة والموازنة بين الأشخاص وهي الإيمان والتقوى والعمل الصالح والمجاهدة والجهاد، وأما القرابة والنسب فلا يسرعان بالمرء إذا أبطأ به عمله.

- **كتب فضائل الصحابة أو المفاضلة بينهم عند الحافظ ابن دحية السبتي (633هـ)**

يجدر بنا هنا التوقف بعض الشيء مع حافظ كبير وعَلَم بارز من أعلام المحدثين الكبار بالمغرب الحافظ أبي الخطاب عمر بن حسن بن دحية الكلبي السبتي، المشهور أيضا بذي النسبتين أو النسبين، إشارة إلى شرف نسبه من جهة الأم والأب. ولد بسبتة سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وقيل غير ذلك.

ونشأ بدانية وأخذ عن شيوخها كابن بشكوال وأبي بكر بن الجد والسهيلي ثم رحل إلى فاس ثم مراكش، حيث كان يحكم الموحدون الذين كانوا يشجعون أهل الحديث ويحضونهم على دراسته وتدريسه والتأليف فيه، فنهل ابن دحية من نبع فياض، وسمع

من الشيوخ الكبار، ثم رحل إلى تلمسان، ثم المشرق: مصر والشام والعراق وعراق العجم وخراسان، واستأدبه الملك العادل لابنه الكامل ولي عهد مصر، وكتب لهما مؤلفات رائقة، كما وجد حظوة عند صاحب إربل الملك مظفر الدين التركي، فوضع له كتاب «التنوير في مولد السراج المنير»[1].

❁ مؤلفاته أو الموسوعة عن النبي ﷺ

ألف الحافظ أبو الخطاب ابن دحية كتبا كثيرة يغلب عليها مجال الدراسات الحديثية وشخص الرسول ﷺ، تأثرا بالتوجه العام للدولة الموحدية بالمغرب، حيث بدأ طلب العلم، وتأثرا بالمذهب الظاهري، وكلا التوجهين طغى عليه الاشتغال بالحديث النبوي الشريف، وقوى لديه هذا الاهتمام ما وجده لدى السلطانيين مظفر الدين كُوكُبُوري صاحب إربل والملك الكامل ناصر الدين صاحب مصر من تعظيم لصاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام، وعناية بسنته ونقَلتها.

لقد عني الحافظ ابن دحية بالفعل بالتأليف في مسائل تتعلق بالنبي ﷺ، ويبدو أنه كان شغوفا بالحديث النبوي طلبا وتدريسا وتأليفا، وأن تكوينه في هذا الشأن أسعفه بذلك وأعانه عليه. ومن الثابت أن بضاعته فيه كانت عالية وغنية، ولذلك اشتهرت كتبه وذاع صيتها، ولقد زاد من ذلك المنهج الذي عرف به ابن دحية في كتبه، وكثرة الفوائد والاستطرادات التي ترصع أعماله.

وإن الناظر المتأمل فيما كتب الرجل عن النبي ﷺ ليدرك أنه انتهى في الأخير إلى موسوعة فريدة عن النبي ﷺ من حيث الاسم بل الأسماء، والنسب الشريف، والمولد، والخصائص، والأعضاء وما خصت به من معجزات، والبشارات والإنذارات أو إخباره ﷺ بما يقع في المستقبل، وما يتعلق بالإسراء والمعراج، وما

---

(1) انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان (3/ 448) وما بعدها، سير أعلام النبلاء (22/ 389).

تعلق بشفاعته وفضل من تمسك بسنته... وفي كل هذه المسائل وغيرها ألف ابن دحية كتابا مستقلا، زيادة على إشارات واستطرادات مرتبطة بما سبق مبثوثة في كتبه الأخرى في الحديث ومناقب الصحابة وفضائل الأيام والشهور.

ولقد كانت كتبه ذات مستوى علمي رفيع، نافعة بما تزخر به من الفوائد والمباحث المتعددة، وبما يميزها من توسع في شرح المسائل التي يريد بيانها، أو دحض الشبهات أو الفهوم السقيمة، وهو في كل ذلك ينتقل من الحديث وبعض علومه وبيان أحوال بعض رواته إلى شرح الغريب من الألفاظ، أو الإشارة إلى خبر يتعلق بالسيرة أو بتاريخ الخلفاء أو غير ذلك مما ينبئ عن سعة اطلاعه وعلو شأنه في الحديث النبوي رواية ودراية، وما يخدمه من لغة وسيرة وتاريخ وأدب.

فبرز وتفرد، وأجاد وأفاد، لذلك قال تقي الدين عبيد الإسعردي: «أبو الخطاب ذو النسبين صاحب الفنون والرحلة الواسعة، له المصنفات الفائقة والمعاني الرائقة»(1).

وقال الإمام الذهبي: «وله تواليف تشهد باطلاعه»(2).

وفيما يأتي قائمة لمصنفاته التي وصلتنا.

➢ **كتب تتعلق بالحديث ورجاله**، وسنكتفي الآن بذكر عناوينها، على أن نعود لتفصيل الكلام عنها بعد قليل:

أ- كتب الحديث

1) العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور. 2) ما جاء في فضل شعبان. 3) أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب. 4) تنبيه البصائر في أسماء أم الكبائر. 5)وهج الجمر في تحريم الخمر. 6) جميع العلوم الكميات في قوله «الأعمال بالنيات»

---

(1) سير أعلام النبلاء (22/ 394).

(2) ميزان الاعتدال (3/ 188).

7)تعليق شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث النبوية. 8) من ألقم الحجر إذ كذب وفجر وأسقط عدالة من قال من الصحابة ما له أهجر. 9) شرح الموطأ. 10) المنتخب من معجم الطبراني الكبير. 11) أنوار المشرقين في تنقيح الصحيحين المشرقين. 12) الابتهاج بأحاديث المعراج. 13) التحقيق في مناقب أبي بكر الصديق. 14) أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهلي صفين. 15) جزء في أحاديث الحوض. 16) جزء في النظر إلى الله جل جلاله. 17) جزء في التيمم وأحاديثه وبيان عللها. 18) جزء في المحبة.

ب- كتب المصطلح

19) تأليف في بلاغات مالك. 20) نثر الدرر في فضل من تمسك بسنة سيد البشر.

هذا بالإضافة إلى كتب الحديث وعلم المصطلح، منها:

ج- كتب الرجال

21) مصنف في رجال الحديث.

د- كتب الشمائل والخصائص النبوية وما شابههما

22) سلسلة الذهب في نسب سيد العجم والعرب. 23) شرح أسماء النبي ﷺ[1]. 24) التنوير في مولد السراج المنير[2]. 25) الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء الرسول ﷺ من المعجزات[3]. 26) نهاية السول في خصائص الرسول ﷺ[4]. 27)البشارات والإنذارات المتلقاة من أصدق البراءات.

---

(1) النبراس في تاريخ بني العباس، لابن دحية (ص16).

(2) الذيل والتكملة (1/ 219).

(3) نفح الطيب (2/ 104)، والذيل والتكملة (1/ 218).

(4) نفح الطيب (2/ 306).

هـ- كتب متنوعة

28) **استيفاء المطلوب في تدبير الحروب.**

29) **تاريخ الأمم في أنساب العرب والعجم**، ذكره العلامة الشيخ عبد الله كنون في كتابه النبوغ المغربي ضمن كتب التاريخ والجغرافية في عصر الموحدين[1].

30) **دليل المتحيرين في مسألة عصمة الأنبياء من الكبائر والصغائر**، وهو الكتاب الذي أشار إليه المؤلف نفسه في «الابتهاج في أحاديث المعراج»[2].

31) **الصارم الهندي في الرد على الكندي**[3].

32) **مجموعة خطب بليغة**، ذكره العلامة عبد الله كنون في النبوغ المغربي ضمن كتب الأدب والدواوين الشعرية في عصر الموحدين[4].

33) **المطرب من أشعار أهل المغرب**، وهو من أشهر كتبه التي عرف فيها بالعديد من شعراء المغرب الإسلامي وخاصة أهل الأندلس[5].

ولذلك كان عمدة المؤرخين المشارقة بالخصوص[6]، والكتاب مطبوع بتحقيق الأستاذ إبراهيم وآخرين[7].

---

(1) النبوغ المغربي(1 / 160).

(2) الابتهاج في أحاديث المعراج (ص: 196).

(3) كشف الظنون(2/ 1070).

(4) النبوغ المغربي (1/ 161).

(5) نفسه (1/ 193).

(6) وفيات الأعيان (4/ 24).

(7) صدر في القاهرة والخرطوم سنة 1373هـ/ 1954م.

34) **معجم شيوخ أبي جعفر بن مضاء**، وابن مضاء هذا من شيوخه، قيد في هذا المعجم أسماء شيوخ شيخه وهو طالب بعد في حلقته(1).

35) النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس(2).

❁ فضائل الصحابة والمفاضلة بينهم عند ابن دحية الكلبي السبتي

هما موضوعان شغلا الحافظ أبا الخطاب ابن دحية السبتي في كتب كثيرة له. فهو كلما وجد فرصة إلا وبيّن من خلالها هذين الموضوعين أو أحدهما حتى في الكتب التي لا يظن أنه يتناولهما فيها: فقد تطرق للموضوعين في الكتب الآتية:

- **أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهلي صفين.**
- **مناقب أبي بكر الصديق.**
- **الرد على اللاغي في تفضيل الباغي.**
- **النبراس في ذكر خلفاء بني العباس.**
- **من ألقم الحجر إذ كذب وفجر وأسقط عدالة من قال من الصحابة ما له أهجر.**

وسأعود إليها بشيء من التفصيل.

وأما الكتب التي تناول فيها الموضوع استطرادا وإن كانت مواضيعها بعيدة فمنها كتاب:

- **أداء ما وجب في بيان وضع الوضاعين في شهر رجب**

ففيه يثني على الصحابة أجمعين وينبه على فضائلهم ومكانتهم ويذكّر بجهادهم

(1) انظر كتاب فهارس علماء المغرب، للدكتور عبد الله المرابط الترغي (ص604).

(2) حققه قديما عباس العزاوي، صدر في بغداد في طبعته الأولى عام 1366هـ، الموافق لـ1946م.

في نصر النبي ﷺ حتى غدوا خير أمة أخرجت للناس، وخير القرون الذين أنزل الله عليهم السكينة، ورضي عنهم وعدلهم، فقال المصنف في أول الكتاب: «...غدا بهم حزب الشريعة موفورا، وجمع الشرك مغلوبا مقهورا، فهم خير الناس وخير القرون، وكلا الخيرين لهم خير مقرون، قارعوا دون رسول الله ﷺ البُهُم، وبايعوه على الموت الأحمر فصدقوا البيع ووفوا الذمم، ولو يقولوا: اذهب أنت وربك فقاتلا كما قال من تقدم، فكانوا خلفاء الخلق، وفَتَحة الغرب والشرق، وقد نطق بفضلهم القرآن، وقام الدليل القاطع على عدالتهم والبرهان، وهم الذين أمرهم بالتبليغ عنه ففعلوا ذلك محتسبين ناصحين، حتى كمل بما نقلوه الدين وثبتت حجة الله على جميع المسلمين.

وقد أخبر الله جل جلاله أنه رضي عنهم، وأنزل السكينة عليهم، فقد صحت لهم العصمة من تعمد الفسوق على رغم كل رافضي معاند، إذ لا تجتمع السكينة والفسق في قلب واحد»[1].

> **أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهلي صفين لابن دحية** ذكره المراكشي[2] وابن الأبار[3].

×موضوعه:

الكتاب في أخبار حرب صفين، وما جرى فيها من اقتتال بين المسلمين، وفيه مقارنة مفصلة بالأدلة الكثيرة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وترجيح كفة علي رضي الله عنه في الفضل والأحقية بالخلافة.

ومع ذلك يذكر بأن توقير الصحابة أجمعين واجب، وإهانتهم والتنقيص من شأنهم

(1) أداء ما وجب.

(2) الذيل والتكملة (8/ 219).

(3) التكملة لكتاب الصلة (3/ 160).

وسبهم من أكبر الذنوب فيقول: «وبعد هذا، **فتوقير الصحابة رضي الله عنهم واجب** على كل مسلم، غير أنه لا يستوي منهم المتأخر في فضله مع ذي الفضل المتقدم»[1].

×حكم من سب الصحابة

وفي هذا الكتاب أيضا فائدة أخرى مهمة، وهي بيان المؤلف حال من يسب الصحابة أو أحد منهم فقال رحمه الله: «واعلموا رحمكم الله أن سب الصحابة أو أحدا منهم من أكبر الذنوب، وإذا سُبَّ أصحاب السلطان فهو في نفسه المسبوب، فكيف بنبي الرحمة عليه من الله صلاة وسلام ما هبت ريح الشمال والجنوب، وقد أسند مسلم في صحيحه من كتاب الزهد والرقائق وهو آخر الصحيح عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: قالت عائشة: يا ابن أختي، أُمِروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم. قال ذو النسبين أيده الله: نعوذ بالله من الإخلال، ونسأله تسهيل المطلوب، وأن يبلغنا من الكون مع النبي ﷺ وأصحابه كل مرغوب، إنه الوهاب لكل موهوب، ونحن نقول كما أمرنا ربنا العظيم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

< من ألقم الحجر إذ كذب وفجر وأسقط عدالة من قال من الصحابة ما له أهجر لابن دحية

ذكره ابن الشعار في قلائد الجمان ضمن مؤلفات ابن دحية.

وفي إحدى طرر نسخة مخطوطة من كتاب الشفا ذكرٌ لهذا الكتاب، فقد ورد هذا النص: أهجر بفتح الهمزة والهاء والجيم وفي رواية أهجر بفتح الهمزة وضم الهاء، قال

---

(1) أعلام النصر المبين (ص155).

(2) نفسه (ص155-156).

ابن الأثير: أي هل تغير كلامه واختلط لما به من المرض، هذا أحسن ما يقال فيه ولا يجعل إخبارا ليكون من الفحش والهذيان، والقائل كان عمر لا يظن به ذلك. انتهى. وقد أفرد ابن دحية هذه اللفظة بتأليف.

كما أن الكتاب نفسه شمل على عبارة «قال ذو النسبين» أو قال: «ذو النسبتين» وهو أمر درج عليه ابن دحية في كتبه، وفيه إحالة على كتب أخرى للمؤلف صحيحة النسبة إليه «كالابتهاج» و«أداء ما وجب»[1].

× **موضوع الكتاب:**

هذا الكتاب واحد من مؤلفات الحافظ أبي الخطاب بن دحية السبتي التي تنبئ عن إمامته في العلم وعلو كعبه فيه. موضوعه هو شرح لحديث يتعلق بحدث من أحداث السيرة في آخر حياة النبي ﷺ، وقد اشتد به مرض الموت حينما دعا الصحابة إلى أن يأتوه بما يكتب لهم فيه كتابا لن يضلوا بعده أبدا، فتنازعوا واختلفوا وكثر لغطهم، وقال بعضهم: ما له، أهجر؟ وهو حديث أخرجه الشيخان وغيرهما، وقد شرح المؤلف في هذا الكتاب معنى: أهجر، وبرأ الصحابة الكرام من تهمة إطلاق الهجر على النبي ﷺ، وهو الهذيان، لما فيه من تعارض مع مبدأ العصمة النبوية، ومع عدالة الصحابة الأطهار، فإن ذلك يخرجهم من دائرة الإيمان، وإذا ثبت هذا في حقهم فلا يستبعد كما يذكر المؤلف أن يتمالؤوا على أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ويسلبوا حقه، وذلك أكبر متعلق الروافض في الطعن في الصحابة وتجريحهم، وقد ذكر أبو الخطاب ابن دحية في معرض شرحه للحديث والرد على الروافض بعض الأحاديث التي واكبت المسألة وذكر بعض مناقب الصحابة وخاصة الشيخين،

---

(1) انظر كتاب: من ألقم الحجر، لابن دحية، قسم الدراسة والتقديم للأستاذ عبد العزيز فارح (ص 53).

وقصة مبـايـعـة الخليفة الصديق[1].

× **فوائد الكتاب:**

شغل الحديث الذي شرحه ابن دحية السبتي في هذا الكتاب، ومسألة الهجر خاصـة، عددا من علمـاء الأمة وشراح الحديث كالقـاضي عيـاض الـسبتي والإمـام النـووي والقرطبي وأبي عبد الله المـازري والخطابي وغيرهم، قال الحافظ ابن حجر: «وقد تكلم عياض وغيره على هذا الموضع فأطالوا، ولخصه القرطبي تلخيصا حسنا ثم لخصته مـن كلامه». إلا أن ابن دحية السبتي يتميز عن هؤلاء بـأن أفـرد المـسالة في كتـاب مـستقل وفصل فيها القول من جوانب متعددة.

ويمتاز هذا الكتاب أيضا بفوائد كثـيرة يقـدمها المؤلـف عـن طريـق الاسـتطرادات، كعادته في سائر كتبه، من ذلك:

1) الفوائد المستخلصة من النـصوص التـي يـستدل بهـا كالفوائـد المستخلـصة مـن الحديث «لله أشد فرحا بتوبة عبده» ذكرها استطرادا.

2) شرح الألفاظ الغريبة، وهذا أمر واضح في هذا الكتاب أيضا من ذلك شرحه لــ: أهجر وهجر والفرح، وأيس، وعقر، ورسلك، ونشج، واللفظ، ولم يقف المؤلـف عنـد مـجرد شرح الغريب بل إنه يشرح الحديث بأكمله أو يستخلص منه الفوائد انطلاقا من النكت والوجوه اللغوية.

3) ذكر بعض الأحاديث في عصر النبوة والخلافة الراشدة وحكايـة تـأدب الـصحابة مع النبي ﷺ، وحكاية حالهم عند وفاته، وخطبة أبي بكر رضي الله عنه، فيهم، وبعض مـا كـان في سقيفة بني ساعدة ومبايعة الصديق على الخلافة.

---

(1) كتاب من ألقم الحجر (53).

4) ذكر أحوال بعض الرواة تعديلا وتجريحا.

5) حرض شديد على ذكر مصادره التي ينقل منها، وفي غالبها مصادر حديثية كالصحيحين والموطأ والمسند وجامع الترمذي ومصادر في السيرة النبوية وتاريخ الصحابة.

6) توثيق دقيق للنصوص التي يستدل بها كقوله بعد أن نقل كلام عمر يوم السقيفة «أخرجه الإمام أبو عمر ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب عن عبد الله بن مسعود في ترجمة أبي بكر من حرف العين».

وكقوله: «وأسقطها البخاري في أول صحيحه من كتاب العلم في باب كتابه العلم... وكذلك أسقطها البخاري في باب كراهية الاختلاف في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، وهو آخر الديوان...»[1].

➢ **النبراس في ذكر خلفاء بني العباس** لابن دحية.

وقد سبق الحديث عنه في المجموعة الأولى من كتب الصحابة عند علماء المغرب.

➢ **الرد على اللاغي في تفضيل الباغي** للحافظ ابن دحية السبتي.

ذكره المؤلف نفسه في كتابه المعروف «العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور» بعدما نقل كلاما للإمام الجويني في الإرشاد، وأبي منصور البغدادي في الفرق بين الفرق في إثبات لفضل علي كرم الله وجهه وأحقيته في الخلافة، واجتهاده في قتال خصومه من الصحابة وقال عقب ذلك: «وقد ألفنا كتابا سميناه كتاب «الرد على اللاغي في تفضيل الباغي» بينا فيه المطلوب»[2].

---

(1) كتاب من ألقم الحجر، مقدمة المحقق (ص55-57).

(2) العلم المشهور (الورقة 73 / ب).

وفي هذا الكتاب بيان وتفصيل لأحداث تاريخية مؤلمة وقعت بين صحابة كرام مبجلين، اجتهدوا من موقعهم البشري، فأصاب من أصاب، وأخطأ من أخطأ، وتخطئتهم لا تعني تكفيرهم، إنما يستوجب ذلك حسن الظن بهم، وحسنُ الظن بهم يقتضي أن يُظن بهم قصد الخير وإن أخطأوه. من هذا المنطلق بيّن المؤلف في هذا الكتاب فضل الإمام علي وتفضيله، ورد على من منح ذلك التفضيل لخصومه.

× قيمته

موضوع الكتاب في غاية الأهمية والخطورة، وحسمُ الكلام فيه وبيانُه وتوضيحُه أضحى واجبا في عصرنا خاصة، حيث غدت تلك الأحداث مدخلا نجح من خلاله من يحاول زعزعة إيمان الناشئة من المسلمين، أو النيل من عقيدتهم والتشويش على نظرتهم للصحابة الكرام، واتخاذ كل ذلك ذريعة لتضليلهم وتكفيرهم وسندا للتأويل الفاسد للأحاديث والأحداث المرتبطة بهؤلاء الأصحاب كأحاديث فضائل علي كرم الله وجهه، وأحداث النزاع والحرب في موقعة الجمل وصفين.

❁ ما كتب في بيان مكانة الصحابة وحكم من سبهم وما شابه ذلك:

هذا موضوع عظيم الشأن لارتباطه بالعقيدة وتعلقه بمن اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه وخليله، وعدّلهم ورضي عنهم، وجعلهم أنصار دينه وحماة شريعته... فحبهم والرفع من شأنهم وتوقيرهم دين يدان به، وانتقاصهم أو سبهم أو تكفيرهم مما يهدد إيمان المسلم ويثلم عقيدته أو يطيح بها. وذلك يستوجب أحكاما قررها العلماء الذين يعتد بهم. وقد كتب في هذا القاضي عياض وابن دحية السبتي.

فأما عياض ففي كتابه المشهور «**الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ**» والكتاب وإن كان معظمه في بيان حقوق النبي ﷺ، وصفاته وشمائله وخصائصه وتوقيره وكيف

يقتدى به، فإن فيه فصلا[1] عن الصحابة وحبهم وتوقيرهم وحكم من سبهم. إذ حبهم من حب النبي ﷺ.

- **حكم سب آل البيت النبوي والصحابة عند عياض:**

بدأ القاضي عياض الفصل ببيان حكم ذلك فقال: «**وسب آل بيته وأزواجه أمهات المؤمنين وأصحابه ﷺ وتنقصها حرام ملعون فاعله**»[2]. ثم أورد أحاديث فيها النهي عن سب الصحابة وإذايتهم، ثم قال: «وقد أعلم النبي ﷺ **أن سبهم وأذاهم يوذيه، وأذى النبي ﷺ حرام**»[3].

وبعد أن أورد حديث «لا تؤذوني في عائشة»، وحديث «فاطمة بضعة مني يؤذيني من يؤذيها»، نقل مشهور قول مالك رحمه الله في ذلك وهو: «من شتم النبي ﷺ قُتل، ومن شتم أصحابه أُدّب». وقوله: «من شتم أحدا من أصحاب النبي ﷺ أبا بكر أو عمر أو عثمان أو علي أو معاوية أو عمرو بن العاص، فإن قال: كانوا على ضلال وكفر قُتل، وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نُكّل نكالا شديدا»[4].

ثم نقل أقوال بعض مشاهير علماء المالكية كعبد الملك بن حبيب الأندلسي، وسحنون وابن أبي زيد. ونقل عن ابن شعبان أن من انتقص من مات من الصحابة فأن لولده القيام بما يجب، وإلا فمن قام من المسلمين كان على الإمام قبول قيامه، قال: وليس هذه كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم.

(1) هو الفصل الأخير من كتاب الشفا (2 / 651).

(2) الشفا (2/ 651).

(3) نفسه (2/ 652).

(4) نفسه (2/ 652-653).

وأمـا الحافظ ابن دحية السبتي فتكلم عن ذلك في أكثر من كتاب، من ذلك:

➢ **كتاب من ألقم الحجر:**

الذي سبق الحديث عنه بتفصيل، وقد شرح فيه المؤلف قول من قال: مـا لـه أهجـر. ودفع تأويل الروافض لذلك الحدث الذي قيلت فيه تلـك اللفظـة لتجـريح الـصحابة ونسبة عدم تأدبهم مع رسول الله ﷺ، ونسبتهم له الهجر وهو الهـذيان، قـال رحمـه الله: «ومقصد الروافض في هذه المسألة أن يجعلوا الصحابة ظالمين لأمير المؤمنين علي بـن أبي طالب رضي الله عنه، وإذا أطلق عليهم الخروج عن دائرة الإيمـان بإطلاق الهجر على الرسـول المعصوم المؤيد بـالقرآن، فـلا عجـب مـن اعتقـاد تمـالئهم عـلى عـلي رضي الله عنه في سـالف الأزمـان. وهذا عين الكذب من هؤلاء الأشرار»[1]. وأسهب في عرض الأدلة في توقير الصحابة للنبي ﷺ ثم قال: «هذا معتقدنا فيهم ولو أسأنا بهـم الظـن لبطلـت الـشريعة المنقولة على ألسنتهم، ولو بطلت لبطل قولــه تــعالى ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ بل ظهر ورووه واشتهر، وعاد كالشمس لا كضوء القمر»[2].

➢ **كتاب أعلام النصر المبين:**

وقد مر الحديث عنه، ولكن لا بأس من ذكر حكم المؤلف على من سـب الـصحابة، قال رحمه الله: «وبعد هذا فتوقير الصحابة رضي الله عنهم واجب على كل مـسلم، غـير أنه لا يستوي منهم المتأخر في فضله مع ذي الفضل المتقـدم... واعلمـوا رحمكـم الله أن سب الصحابة أو أحدا منهم من أكبـر الذنـوب، وإذا سُـبَّ أصحـاب السلطان فهـو في نفسه المسبوب، فكيف بنبي الرحمة عليه من الله صلاة وسلام مـا هبت ريح الشمـال

(1) كتاب مـا له أهجر (ص 70).

(2) نفسه (ص82).

والجنوب، وقد أسند مسلم في صحيحه من كتاب الزهد والرقائق، وهو آخر الصحيح عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: قالت عائشة: يا ابن أختي، أمِروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم. قال ذو النسبين أيده الله: نعوذ بالله من الإخلال، ونسأله تسهيل المطلوب، وأن يبلغنا من الكون مع النبي ﷺ وأصحابه كل مرغوب، إنه الوهاب لكل موهوب، ونحن نقول كما أمرنا ربنا العظيم: ﴿رَبَّنَا اَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلذِينَ سَبَقُونَا بِالِايمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِے قُلُوبِنَا غِلّاٗ لِّلذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[1].

خامسا: مؤلفات في حروب الصحابة وفتوحاتهم

هي مؤلفات تؤرخ لمظهر من مظاهر إخلاص الصحابة للإسلام وحبهم لنبي الإسلام والتفافهم حوله ونصرتهم له، ودفاعهم عنه، ومسارعتهم لتلبية ندائه كلما دعاهم لتضحية بمال أو وقت أو نفس، وهكذا كانت مسارعتهم لتلبية نداء الجهاد، شعارهم في ذلك: «والله لا نقول لك ما قال.....

وفيما يلي بعض الكتب التي ألفها المغاربة لتخليد تاريخ هؤلاء الصحابة في الغزوات والسرايا والفتوحات وبيان شجاعتهم وتضحياتهم.

❁ **كتب السيرة النبوية**، فهي تذكر جهاد هؤلاء الأصحاب ضمن أحداث السيرة النبوية وأشهرها:

- **الدرر في اختصار المغازي والسير**، للحافظ ابن عبد البر (463هـ) وهو من أشهر كتب السيرة، وعليه عول كثير ممن ألف فيها بعده من المغاربة والمشارقة[2].

---

(1) أعلام النصر المبين (ص155-156).

(2) انظر الدراسة المفصلة للكتاب في مقدمة التحقيق للدكتور شوقي ضيف، وكتاب المصنفات المغربية في السيرة النبوية ومصنفوها للدكتور محمد سيف، (ص 64 وما بعدها).

➢ **جوامع السيرة**، للإمام ابن حزم الأندلسي، وفيه فوائد، وإنْ أَكْثَر النقل من كتاب شيخه ابن عبد البر.

➢ **كتاب المغازي**، للإمام عبد الملك بن حبيب الأندلسي القرطبي (238هـ) رائد المصنفين في بلاد المغرب والمشرق أيضا.

وكتابه هذا في غزوات الرسول ﷺ وسراياه وبعوثه بقيادة بعض الصحابة، وفيها ذكر لبطولات هؤلاء وتضحياتهم في نشر دين الإسلام والذود عنه.

➢ **كتاب حروب الإسلام**، لعبد الملك بن حبيب أيضا، والكتاب غير كتاب المغازي المار ذكره، فقد ذكرهما القاضي عياض معا على أساس أنهما كتابان مستقلان.

ويغلب على الظن أن موضوع كتاب «حروب الإسلام» هو فتوحات الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة.

➢ **كتاب الغزوات الضامنة الكافلة والفتوح الجامعة الحافلة**، لأبي القاسم عبد الرحمن بن حبيش الأندلسي (584هـ).

وهو في الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول. وقد اشتهر الكتاب في عصره وبعده، وصار مصدرا يعول عليه في تاريخ الفتوح كما هو الشأن للإمام الكلاعي في كتابه الذائع الصيت «الاكتفاء».

➢ **الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء**، للإمام الكبير أبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي الأندلسي الشهيد (634هـ) من كبار علماء الأندلس، كان بارعا مشاركا في علوم كثيرة كالتفسير والقراءات والحديث والفقه والنحو والأدب والتاريخ[1].

---

(1) انظر برنامج تلميذه الرعيني (ص66). والذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي(4/ 83)، والتكملة لابن الأبار (2/ 708).

أمـا كتابه «الاكتفاء» فهو في مغازي رسول الله ﷺ وسراياه، وفي فتوحـات الـصحابة الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول.

وقد حظي هذا الكتاب بشهرة فائقة، وعكـف عليـه النـاس قـراءة وإقـراء، وشرحـا واختصارا، وتنافسوا في روايته[1].

> **حاشـية عـلى الاكتفـاء** تـأليف أبي عبـد الله محمـد بـن أحمـد الجـزولي الحضيكي (1189هـ).

سادسا: مؤلفات في الصحابة رواة وفقهاء وشعراء

هذا في مـجال آخر تجلى من خلاله الوجه المشرق للصحابة الكـرام. إنـه مجال العلـم والتفقه في الدين، والاجتهاد في ذلك تـمكنا منه وحفظا له، ثم رواية وتبليغا وتعليمـا للأبناء وللمسلمين الجدد الداخلين في الإسلام، وهكذا ظهر في جيل الصحابة الفقهـاءُ والمحدثون والقراء والعارفون بتفسير القرآن. وقد كانوا مراجع في ذلك يرحـل إلـيهم ويستفسرون. وللعلمـاء المغاربة نصيب في التعريف بهؤلاء الأصحاب باعتبارهم رواة للحديث وفقهاء وقراء... ومن أشهر المؤلفات المعدودة في هذا الباب:

> **كتب الحافظ ابن عبد البر كالتمهيد، والاستذكار، والدرر، والاستيعاب، وجامع بيان العلم وفضله**، فكلها زاخرة بنصوص وأقوال منقولـة عـن هـؤلاء الأصـحاب أو متحدثة عنهم، مبينة لمكانتهم في العلم، ففي التمهيد والاستذكار مثلا الكثـير مـن فقـه الصحابة وفي الدرر والاستيعاب كثير من شعر الصحابة مـمـا يـدخل في أدب الـدعوة الإسلامية، وفي جامع بيان العلم بيان لمن دوّن السنة النبوية من الصحـابـة في صـحف

---

(1) انظر كتاب المصنفات المغربية في السيرة النبوية (ص138-139-140).

في حياة النبي ﷺ وبعد ذلك، ومَنْ أبى ذلك وعوّل على الرواية الشفوية.

> **كتاب الرواة من قريش** للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مفرج القرطبي(380هـ).

> **الإخوة والأخوات من المحدثين من الصحابة والتابعين**، لأبي المطرف ابن فطيس القرطبي (402هـ)، وموضوع الكتاب هو في فن من فنون علوم الحديث، كتب فيه الرواد الأوائل كعلي بن المديني ومسلم بن الحجاج كتبا مفردة قبل أن تظهر كتب علوم الحديث الجامعة فتضمه إلى فنونها الأخرى.

> **عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث**، للإمام الحافظ بقي بن مخلد القرطبي (276هـ) مؤسسة مدرسة الحديث بالمغرب الإسلامي مع الحافظ محمد بن وضاح القرطبي، وصاحب المسند المصنف الذي لم يؤلف مثله.

أما رسالته «عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث»، فتعد جزءا من مسند المصنف، ورغم ذلك لم تضع كما ضاع المسند المصنف(1).

وهي ـ أي الرسالة ـ في بيان عدد روايات كل صحابي روى عن النبي ﷺ، سواء روى حديثا واحدا أو حديثين أو ثلاثة وهكذا إلى أن نصل إلى أصحاب الألوف.

وحصر ذلك العدد ومعرفته من الأهمية بمكان إذ تسمح بمعرفة المكثرين في الرواية والمقلين. كما تسمح بكشف وضع الوضاعين إذا نسبوا لصحابي أحاديث أكثر من العدد الذي رواه حقيقة.

---

(1) ذكر الإمام الذهبي أنه تملك لمجلدين من مسند بقي، وأفاد من هذا الكتاب في وضعه لعدد روايات الصحابة الذين ذكرهم في كتابه تجريد أسماء الصحابة. كما أن الحافظ ابن حجر ينقل منه في كتابه الإصابة، مما يدل على أنه رآه أو رواه ضمن ما روى من المصنفات.

ورغم أن الحافظ بقي بن مخلد قد كتب في الموضوع منذ وقت مبكر في القرن الثالث الهجري فإنه بالإضافة إلى ريادته فيه قد أصبح مَصْدَرَ مَنْ كتبوا عن أعداد روايات الصحابة كابن حزم، والمرادي، وابن الجوزي، وابن حجر، والذهبي، قال الدكتور أكرم ضياء العمري «تعتبر القائمة التي ذكرها بقي بن مخلد أجمع ما كتب في عدد أحاديث الصحابة، وقد عني بهذا الأمر الحافظ أبو بكر أحمد بن عبد الله البرقي (ت270هـ) في كتاب التاريخ وهو مفقود، وله أيضا كتاب في معرفة الصحابة، ولا أستطيع الجزم إن كان قسما من التاريخ أو كتابا مستقلا بذاته. وقد اقتبس منه الحافظ ابن حجر في الإصابة... ويظهر من مقارنة الأرقام التي ذكرها الاثنان، وضمنها الحافظ ابن الجوزي في القائمة التي نشرها في (تلقيح فهوم أهل الأثر) أن قائمة بقي فيها زيادة كبيرة في عدد أحاديث الصحابة على ما ذكره أبو بكر البرقي، ولكن في بعض الحالات النادرة ذكر البرقي عددا أكبر من العدد الذي ذكره بقي»[1].

وقد رتبها العلامة ابن حزم، وأفاد منها كثيرا في رسالة منسوبة إليه معدودة ضمن مؤلفاته، وهي لا تعدو أن تكون مجرد ترتيب لما كتبه بقي.

◄ **أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد منهم من العدد**، للعلامة ابن حزم القرطبي (456هـ)، وقد سبق الإشارة إلى أن ابن حزم قد قام بترتيب رسالة بقي، فنسبت إليه وعُدّت من جملة ما كتب[2]. والرسالة مطبوعة ضمن كتاب جوامع السيرة[3].

---

(1) بقي بن مخلد القرطبي ومقدمة مسنده عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث (ص29).

(2) انظر كتاب تراث المغاربة في الحديث وعلومه لمحمد بن عبد الله التليدي (ص147).

(3) طبع الكتاب والرسائل المرفقة بتحقيق الدكتور عباس إحسان وناصر الدين الأسد.

> **كتاب زهرة المتعلمين في أسماء مشاهير المحدثين** لمؤلف مغربي مجهول، وهو في عدد ما لرجال الصحيحين وأبي داود والترمذي من الحديث، وقف الحافظ ابن حجر على نسخة من كتاب الزهرة بخط ابن الطاهر[1].

> **أسماء الفتيا من الصحابة رضي الله عنهم**، للعلامة ابن حزم القرطبي (456هـ) والرسالة في ذكر أسماء الصحابة أصحاب الفتيا سواء كانوا مكثرين أم مقلين، وعددهم مائة واثنان وستون، منهم عشرون امرأة من الصحابة.

والرسالة نواة لكتابات مفصلة عن الصحابة الفقهاء أو فقه الصحابة ولذلك أوردها الإمام ابن القيم في أعلام الموقعين مع اختلاف الترتيب[2].

> **طبقات القراء والمقرئين من الصحابة والتابعين**، للإمام الكبير، بل إمام الأئمة في علوم القرآن عامة والقراءات خاصة، أبي عمرو الداني (444هـ) صاحب التصانيف المنيفة في هذا الشأن.



---

(1) تهذيب التهذيب (9/ 360).

(2) إعلام الموقعين (1/ 12).

فهرس المصادر والمراجع

- أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب للإمام ابن دحية السبتي، تحقيق محمد زهير الشاويش، تخريج محمد ناصر الدين الألباني. ط 1، 1419هـ/1988، المكتب الإسلامي بيروت.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، تحقيق محمد علي البجاوي، طبعة نهضة مصر القاهرة...
- أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهلي صفين لابن دحية السبتي، دراسة وتحقيق د.محمد أمحزون، ط 1/1988م. دار الغرب الإسلامي بيروت.
- الإنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر، مطبعة السعادة، القاهرة.
- برنامج الرعيني الإشبيلي، تحقيق د. إبراهيم شبوح. 1381هـ/1962م. دمشق.
- بغية الملتمس لابن عميرة الضبي، طبعة مجريط، 1884م.
- بقي بن مخلد القرطبي ومقدمة مسنده، عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث، للدكتور أكرم ضياء العمري، ط 1/ 1404هـ-1984م.
- تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار 1379هـ/1959م، دار المعارف القاهرة.
- تذكرة الحفاظ للذهبي، تحقيق عبد الرحمن بن يحي المعلمي، 1374هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ترتيب المدارك للقاضي عياض، تحقيق أحمد أعراب. طبعة وزارة الأوقاف المغربية.
- جذوة المقتبس للحميدي، الدار المصرية للتأليف.
- جذوة المقتبس للحميدي، تحقيق محمد بن تاويت.
- الديباج المذهب لابن فرحون، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، مصر.

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لابن عبد الملك المراكشي، دار المعارف الجديدة الرباط.
- رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، ط 1/1981م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي تحقيق د. بشار عواد معروف وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت. ط 3. 1405هـ/1985م.
- الصلة لابن بشكوال، طبعة القاهرة 1955.
- الشفا بتعريف المصطفى، للقاضي عياض، تحقيق محمد أمين ترة علي وأسامة الرفاعي وجمال السيروان ونور الدين قرة علية وعبد الفتاح السيد، ط 2/ 1407هـ-1986م، إصدار مؤسسة علوم القرآن ودار الفيحاء - عمار- الأردن.
- فهرست ما رواه عن شيوخه لابن خير الإشبيلي، تحقيق فرنسشكه قدارة زيدين وتلميذه خليان رباره طرغوه، طبعة منقولة عن طبعة قومش بسرقسطة عام 1893م. ط 3/1417هـ-1997م. الناشر مكتبة الخانجي القاهرة.
- من ألقم الحجر إذ كذب وفجر وأسقط عدالة من قال من الصحابة ما له أهجر للحافظ ابن دحية السبتي، تحقيق ودراسة د. عبد العزيز فارح، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، سلسلة كتاب دعوة الحق.
- المصنفات المغربية في السيرة النبوية ومصنفوها للدكتور محمد يسف، منشورات دار الحديث الحسنية، ط 1/ 1412هـ-1992م.
- المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي لابن الأبار، طبعة دار الكتاب العربي، سلسلة المكتبة الأندلسية، 1387هـ/1967م.
- النبوغ المغربي في الأدب العربي للشيخ عبد الله كنون، ط 2/ 1380هـ-1960م.
- وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي، 1402هـ/1982م. دار الفكر بيروت.

قراءة في كتاب

«الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة»

د. محمد بنمعمر

مُلَخّصُ البَحْث

كتاب غزيـر الفائدة يدل على تبحر مؤلفه في عـلـم الرجال، كتبه سنة(644هـ) وهـو في الأسر عند النصارى الإسبان، وهذّبـه ونقّحـه بعـد فكاكـه على يـد أمـير منورقـة أبي عثمـان سعيد القرشي في العام المـوالي تنـاول فيـه نـسب النـبي صـلى الله عليـه وسـلم وأصحابه العشرة وهم الخلفاء الأربعة زائد الزبير بن العوام وطلحـة بـن عبـد الله وابـن عوض وابن أبي وقاص....

الباحث في سطور

الدكتور محمد بن معمر Benmammar2005@yahoo.fr

- من مواليد 1962 بصبرة تلمسان.
- أستاذ التعليم العالي بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية جامعة وهران.
- دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي.
- رئيس قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران.
- رئيس فرقة بحث في مختبر مخطوطات الحضارة الإسلامية جامعة وهران.
- عضو اتحاد المؤرخين الجزائريين، وغيرها من الخبرات العلمية.
- له العديد من المداخلات الوطنية والدولية، ومشاركات في تنظيم الملتقيات الوطنية والدولية.

له العديد من الإنتاجات العلمية المنشورة منها:

- رحلة المقري إلى المغرب والمشرق لأبي العباس أحمد المقري، دراسة وتحقيق.
- تاريخ ميورقة لابن عميرة المخزومي، دراسة وتحقيق.
- القضاء والقضاة على عهد المرابطين والموحدين.
- منهج ليفي بروفنسال الاستشراقي في تحقيق تراث الغرب الإسلامي.

مقدمة

إن لصحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صفات مميزة وسمات بارزة يُعرفون بها، فهم ذلك الجيل الموصوف بالخيرية والأفضلية المطلقة على سائر البشر. لقد حملوا عبء الرسالة، وبهم أظهر الله الإسلام وأعلى كلمة الحق، وهم الذين بذلوا الأموال والأنفس رخيصة في سبيل نصرة هذا الدين، وأعلوا كلمة لا إله إلا الله في كل مكان، وضربوا أروع الأمثلة في الصبر على البلاء والتضحية والفداء، وصلابة العقيدة ورسوخ اليقين، فكانوا مُثلاً عليا للمسلمين في كل زمان ومكان.

وهذا ما يؤكّده ابن مسعود في حق أبناء جيله من الصحابة حين قال: «من كان منكم متأسّيا فليتأسّ بأصحاب محمد ﷺ، فإنّهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلّها تكلّفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[1].

ولأنّ الله أثنى عليهم، ونبيه مدحهم وأكثر مدحهم، فإنّ علماء الأمّة قد أجمعوا على وجوب محبتهم والاعتراف بعدالتهم والتّأسّي بهم والدّفاع عنهم. ولم يكن علماء الغرب الإسلامي أقل عناية بالصحابة الكرام من نظرائهم المشارقة، فقد اهتموا بسيرهم وآثارهم، وانبروا للدّفاع عنهم، واجتهدوا في نظم الأشعار ووضع المصنّفات والمدونات المخلّدة لأسمائهم وأنسابهم وحميد سيرهم ومناقبهم.

ومن تلك المصنّفات: كتاب فضل الصحابة والتابعين ومن دونهم لأبي عبد الرحمن بقي ابن مخلد، وكتاب كنى الصحابة والتابعين وسائر المحدثين لأبي القاسم خلف بن قاسم

(1) السيرة النبوية الصحيحة (2/ 669).

المعروف بابن الدّبّاغ، وكتاب المصابيح في فضائل الصحابة لأبي المطرّف عبد الرحمن بن فطيس، وكتاب أسماء الصحابة والرواة لابن حزم الأندلسي، وله أيضا كتاب أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا، وكتاب الاستيعاب في أسماء الصحابة لأبي عمر يوسف المعروف بابن عبد البر، واختصار الاستيعاب لابن سميرة أحمد بن محمد الفهري، واقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار لأبي محمد عبد الله الرّشاطي، والاكتفا بما تضمنه من مغازي الرسول ومغازي الثلاثة الخلفا لأبي الرّبيع بن سالم الكلاعي، وغيرها من المصنفات، وكتاب الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة، وهو المصنّف الذي وقع عليه الاختيار من أجل تقديمه ورقة علمية في هذه النّدوة.

❁ مؤلف الكتاب

اسمه الكامل أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني الشهير بالبُرّي (596 ـ 681هـ)، وشقي[1] الأصل، وهو أخو الفقيه أبي إسحاق إبراهيم[2] وكبيره. أخذ العلم ببلده تلمسان عن أبي عبد الله التجيبي، وابن عبد الحق، ثم دخل الأندلس ودرس على أبي بكر بن محرز، وأبي الحسن سهل بن مالك، وأبي الرّبيع

---

(1) وشقة مدينة حصينة لها سوران من صخر بينها وبين مدينة سرقسطة خمسون ميلا شرقا منها، ينسب إليها جماعة من العلماء منهم سعيد بن سعيد المرادي. الرّشاطي أبو محمد، اقتباس الأنوار (ص93).

(2) نزيل سبتة، والمتوفى بها سنة 697هـ، كان فقيها عارفا بعقد الشروط، مبرزا في العدد والفرائض، أديبا شاعرا ماهرا. وهو صاحب الأرجوزة الشهيرة في الفرائض، نظمها وهو ابن ثمان وعشرين سنة، لم يُصنف في فنّها مثلها كما يقول مترجموه. انظر ترجمته عند: ابن الخطيب، الإحاطة: (1/ 168) وما بعدها. ابن فرحون، الديباج المذهب(1/ 274). المنوني محمد، ورقات عن حضارة المرينيين(ص291،531).

ابن سالم، وابن الأبّار، وأبي المطرف ابن عميرة المخزومي، وبجزيرة منورقة على أبي عثمان سعيد بن حكم وغيرهم من شيوخ عصره[1].

وبعد حياة الدّرس والتحصيل، أقبل على تدريس العلم والاهتمام به والتأليف في حقوله المعرفية، حتى صار فقيها مؤرّخا نسّابة، وهو ما أجمله ابن عبد الملك، الذي انفرد بترجمته الأساسية، في العبارة التالية: «كان معتنيا بالأنسـاب والحفظ لها، ذا مشاركة في الحديث ورجاله، وحظ من النظم»[2].

ومن مؤلفاته، سوى الجوهرة، كتاب العمدة في ذكر النبي ﷺ والخلفاء بعده، الذي قال عنه:

هذا كتاب العمدة للذّكر خير عدّة
مشرف في ملإ مؤنس في وحدة

وكتاب العدّة، وقد اختصره من الكتاب المذكور وقال في شأنه أيضا:

الحمد لله على عونه في وضع هذا الجامع المختصر
ما أعظم النفع به لامرئ على اطلاع ليس فيه قصر

وكتاب فريدة اللآلي، وهو رجز مختصر لسير ابن إسحاق وابن هشام[3]. وله أيضا أشعار كثيرة مدح فيها حاكم منورقة أبي عثمان سعيد، ورد بعضها في مقدّمة كتاب الجوهرة، والبعض الآخر في مخطوط زواهر الفكر وجواهر الفقر لابن المرابط[4]. إلى غير ذلك من مصنفاته كما يقول ابن عبد الملك.

(1) صلة الصلة: القسم 3 (ص 42).
(2) الذيل والتكملة: السفر 8/ القسم 1 (ص 280).
(3) نفسه (ص281).
(4) زواهر الفكر وجواهر الفقر: الورقات (177 ـ 182).

وكان المؤلف ممن امتُحِن بذلّ الأسر في يد النصارى سنة 644هـ، وقد ذكر ذلك في مقدمة كتاب الجوهرة، وأكّده ابن عبد الملك قائلا: ودخل ثغر منورقة[1] أسيرا[2]. ولم نجد في المصدرين المذكورين ما يساعدنا على معرفة أسباب وظروف ومدّة هذا الأسر، ولكن من المعروف أنّ من أبرز نتائج انهيار سلطان الموحدين في الأندلس، هو استيلاء النصارى على المدن الأندلسية وتشريد أهلها من المسلمين عن أوطانهم أو إخضاعهم. وقد ظهر هناك اتجاهان بين المسلمين في الأندلس يومئذ: الأول سكن أصحابه إلى النصارى ومالوا إليهم ورضوا بحكمهم، تمسكا بوطنهم وخوفا من الغربة ومكاره السفر فسُمّوا بالمدجّنين أو أهل الدّجن. والثاني رفض أصحابه حكم النصارى ففضلوا المقاومة والتشرد عن أوطانهم والهجرة إلى بلاد الإسلام في المشرق والمغرب، أو الوقوع في الأسر[3].

---

(1) ثانية جزر البليار من حيث المساحة التي تبلغ حوالي 700 كلم مربع، ويصل طولها إلى حوالي 48 كلم ومتوسط عرضها حوالي 16 كلم. وهي تبعد عن جزيرة ميورقة بحوالي 40 كلم شرقا. وقد اشتهرت بخصوبتها وكثرة الزرع والكروم والأبقار، وهو ما يشير إليه الزهري قائلا: «ومما يلي هذه الجزيرة (ميورقة) في الشرق جزيرة منورقة، وهي صغيرة كثيرة الزرع والكرم وليس في معمور الأرض أطيب من لحم بقرها، ولقد يطبخ فيذوب كما يذوب الشحم ويصير زيتا، والغنم فيها قليلة». ويضيف ابن سعيد قائلا: «وهي مستطيلة قليلة العرض وفي وسطها حصن مانع». وهو يشير بالحصن المانع إلى القلعة التي مازالت حتى اليوم في منتصف الجزيرة على قمة جبل مونت تورو ويطلق عليها الإسبان اسم قلعة الملك. وجاء عنها في الروض المعطار: «جزيرة تقابل برشلونة بينهما مجرى وبينها وبين سردانية أربعة مجار وهي إحدى بنتي جزيرة ميورقة». استولى عليها ألفونسو الثالث ملك أرغون سنة 686هـ/ 1287م. الزهري، الجعرافية (ص129). المغرب (2/ 129). الروض المعطار (ص549).

(2) الذيل والتكملة (ص281).

(3) انظر فتوى الونشريسي، أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر. صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1957م، مج 5، العدد 1ـ2، (ص 129-191).

وفي سنة 645هـ كان فكاكه من الأسر على يد الأمير أبي عثمان سعيد بن حكم[1] الذي آل إليه حكم جزيرة منورقة، بعد سقوط ميورقة، مدة ثلاثين سنة(630ـ680هـ). وقد اشتهر هذا الأمير، الذي اكتسب ثقة ومحبة أهل منورقة وملك قلوبهم بحكمته ودهائه، بسمعته الطيبة خارج الجزيرة، التي أصبحت في عهده الملجأ الأمين للكثير ممن عصفت بهم الهزائم، وشرّدتهم عن أوطانهم بالأندلس. وإلى جانب استقباله لهؤلاء اللاجئين وإيوائهم، سواء أولئك الذين قدموا من ميورقة أم من مدن الأندلس الأخرى، فإنّ يده قد امتدت إلى تحرير الأسرى منهم، حيث افتكّ عددا كبيرا من هؤلاء. وهذه شهادة أحد معاصريه يقول فيها: «فكم لقيت بأقطار المغرب والمشرق من أديب، أو شاعر أو حسيب، خلع عنه رِبقة الإسار، ونقله إلى قرارة الإسلام عن محلّة الكفار»[2].

وكان مؤلف الجوهرة واحدا من هؤلاء، وقد عاش بعد تحريره في ظلّ الدّعة والخصب بجزيرة منورقة مشتغلا بخطة الكتابة عند صاحبها، وهو ما ذكره ابن الخطيب الذي نقل خبرا مرويا عنه، بواسطة ابن أخيه أبي الحسين التلمساني، يتصل بسيرة حاكم منورقة المذكور، حين قتل رجلا عقابا على شرب الخمر، فاحتج على هذا العمل المحدّث ابن مفوّز وأنكره لمخالفته الشرع، وكان قد اجتلبه الأمير للرّواية عنه وسماع كتاب البخاري عليه، فبرّر ابن حكم ذلك قائلا: يا فقيه هذه الجزيرة كثيرة العنب، والناس يشربون الخمر بها ويسكرون، فيضيّعون الاحتراس، فيظهر علينا العدو. ولكن الفقيه ابن مفوز لم يقتنع بهذا التبرير وأصرّ على أنّ ذلك غير جائز، لأنّ

---

(1) انظر زواهر الفكر وجواهر الفقر والحلة السيراء (2/ 318)، واختصار القدح (ص 28) وما بعدها، والذيل والتكملة (4/ 28) وما بعدها، وعنوان الدراية (ص254).

(2) اختصار القدح (ص28).

الشريعة لم تترك شيئا من موازين صلاح الدنيا والآخرة إلاّ أعطته حقّه كما قال، ثم انصرف عنه[1].

❁ كتاب الجوهرة في نسب النبيﷺ وأصحابه العشرة

بداية، ينبغي ألاّ يشتبه علينا هذا الكتاب بكتاب آخر يحمل العنوان نفسه لمؤلِّفه أبي البركات عبد الرحمن بن محمد كمال الدين المعروف بابن الأنباري المتوفى سنة 577هـ، صاحب المصنفات الكثيرة، الإمام المناظر الفقيه الغزير العلم[2].

ألّف البُـرّي كتاب الجوهرة[3] سنة 644هـ في ظروف صعبة أشار إليها في مقدمة الكتاب، وهي ظروف الأسر التي تطرقنا إليه قبل قليل في ترجمته. وقد عبّر عن هذه الأجواء قائلا: «ولم أقدر على إصلاح ما وقع فيه من غلط لِما كان يشغلني عنه في الأسر من ذل وامتحان، فلو أتيت فيه خطابة قُسّ لأخرس رعبه عن وضع كلمة مع أخرى»[4]، وكان الفراغ من التأليف يوم الجمعة 25 ذي الحجة من السنة المذكورة.

---

(1) أعمال الأعلام (القسم الأندلسي) (ص276).

(2) عن ابن الأنباري ومصادر ترجمته انظر الوافي بالوفيات (18/ 148).

(3) حقق الدكتور محمد التونجي الفصل الخاص بالإمام علي من هذا الكتاب، ونشرته مكتبة النوري بدمشق سنة 1982. كما نشرته دار الجيل ببيروت سنة 1993. ثمّ قام التونجي بتحقيق الكتاب كاملا وطُبع في مجلدين بدار الرفاعي بالرياض سنة 1984. ولكن المحقق لم يقف على أيّ شيء فيما يتعلق بمؤلف الكتاب كما قال. أما النسخة التي اعتمدها في التحقيق فهي نسخة بخط المؤلف وهي فريدة في العالم موجودة بمكتبة جامعة بنغازي، سقطت منها فاتحة المقدمة، وطُمِسَت منها كلمات وعبارات في مواضع كثيرة جدّا.

(4) الجوهرة (ص2).

ولما تحرّر من الأسر عاد فهذب الكتاب ونقّحه وزاد عليه زيادات حبّرته، وللناظر كالروض أظهرته، فجاء بها رائق المعاني، محكم الرصف والمباني، كما قال[1]. وكان الشروع في تبييض الكتاب في شهر رمضان سنة 645هـ كما قال:

يا رب يسّر علي فيه بالمصطفى أحمد الوجيه
بدأته في أجلّ شهر يسدي أجورا لصائميه

وأتـمّه يوم السبت الثامن ذي الحجة من السنة المذكورة.

وبعد تهذيب الكتاب وتنقيحه وتحبيره، وضع مقدمته التي مدح فيها نظما ونثرا محرّره من الأسر أبا عثمان سعيد صاحب منورقة، كما أشاد بخصاله الكريمة ثم أهدى الكتاب إلى خزانته. وفيما يلي نص الإهداء: «وهذا التأليف أهلٌ لخزانة هذا السيد الرّئيس الأرضى، أعزّ الله به الدين وأعلاه، وخير ما أولى عباده الصالحين أولاه، فإنه رضي الله عنه، جلب إليها من العلوم الدينية والمعارف التاريخية والأدبية أعلاقا، وفتح منها بتصحيحه وتنقيحه أغلاقا، تعجز عما حوته المدرسة النظامية ببغداد، وتنيل في الدارين المامول لمن بمعارفها لاذ، ولا يزال بين يديه الكريمتين علم نافع يصلح خلله، وينشر بالرّقم الرّائق حلله، ويوضح ما أشكل منه بنقده الصحيح، وعرفانه المنتخب الصريح[2].

تلك هي عادة أبي عثمان سعيد في شأن الكتب التي ترد إلى مكتبته، فقد كان حريصا على قراءتها ونقدها وتصحيحها قبل فهرستها، وهو ما خضع له كتاب الجوهرة أيضا،

---

(1) الجوهرة (ص3).

(2) نفسه (ص5). وقد وصف ابن عبد الملك هذه الخزانة قائلا: كان أبو عثمان سعيد شديد العناية بجمع دفاتر العلم وأعلاق الكتب، حتى جمع منها ما لا نظير له كثرة وجودة، إذ كان مقصودا بها من المسلمين والنصارى. الذيل والتكملة: (السفر 4 ص31).

إذ لما رفعه البرّي إلى خزانته، وكان مشغولا بشؤون الإمارة، لم يتمكن من النظر فيه، فأحاله على كاتبه أبي القاسم بن يامن ليرى رأيه فيه وقال يخاطبه[1]:

عساك تشقه لترى ... منازعه وتختبرا
فإما أن نفهرسه ... وإما أن ترى ونرى
ولم أفرغ لأنظره ... ومثلك من كفى النظرا

لقد جمع البرّي كتاب الجوهرة وانتخبه وانتقاه وهذّبه معتمدا في ذلك على جملة من المصادر المتنوعة، في الحديث، والتاريخ، والسير، والتراجم والطبقات، والأنساب، والأسماء والكنى، والأدب، والشمائل وغيرها. فمن كتب الحديث الصحيحة اعتمد على صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن النسائي، وسنن أبي داود، ومسند الترمذي، إضافة إلى منتقى ابن الجارود[2].

ومن المصادر التاريخية كتاب تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. وكتاب التاريخ للحافظ أبي عمرو خليفة بن خياط العُصفُري البصري[3]، المتوفى سنة 240هـ، النسابة الإخباري العالم بأيام الناس، صاحب كتاب الطبقات. وكتاب التعريف بصحيح التاريخ للطبيب القيرواني الحاذق أبي جعفر أحمد بن إبراهيم ابن أبي خالد المعروف بابن الجزار، وهو تاريخ مختصر يشتمل على وفيات علماء زمانه، وقطعة جميلة من أخبارهم، وهو صاحب كتاب زاد المسافر[4].

---

(1) ابن المرابط، مخطوط زواهر الفكر وجواهر الفقر، الورقة (43).

(2) جاء في رسالة ابن حزم في فضل الأندلس تعليقا على منتقى ابن الجارود: «ولأبي محمد قاسم بن أصبغ (أندلسي) هذا تآليف حسان جدّا، منها كتاب المجتبى على أبواب كتاب ابن الجارود المنتقى، وهو خير منه وأنقى حديثا وأعلى سندا وأكثر فائدة». انظر نفح الطيب(3/ 169).

(3) انظر ترجمته في الوافي بالوفيات (13/ 238).

(4) انظر ترجمته في عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص481).

ومن المصادر الأخرى، كتاب السّير لابن إسحاق، وكتاب الكنى والأسماء لمسلم ابن الحجاج صاحب الصحيح، وكتاب صفّين للنسّابة الكوفي الشهير أبي المنذر هشام ابن محمد بن السائب المعروف بابن الكلبي، المتوفى سنة 204هـ، صاحب التصانيف الشهيرة في الأنساب كالجمهرة وغيرها(1). وكتاب الشريعة للفقيه الشافعي المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الآجُرّي، المتوفى سنة 360هـ، صاحب الأربعين المشهورة(2). وكتاب رياضة المتعلمين للحافظ المشهور أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، المتوفى سنة 430هـ، صاحب كتاب حلية الأولياء.

ومنها كتاب طبقات الفقهاء لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي شيخ الشافعية ومدرّس النظامية ببغداد، المتوفى سنة 476هـ(3). وكتاب المعارف لابن قتيبة، والكامل للمبرد، وكتاب النوادر لأبي علي البغدادي، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وكتاب منتخب نقائض جرير والفرزدق لأبي يعقوب يوسف بن يعقوب النّجيرمي اللّغوي البصري نزيل مصر، المتوفى سنة 423هـ(4).

ولم ينس البرّي الاعتماد على كتب حافظ الأندلس وعالمها، وإمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما، وصاحب البسطة الكبيرة في علم النسب، أبي عمر يوسف بن عبد الله الشهير بابن عبد البرّ، المتوفى سنة 463هـ، ومنها كتاب الاستيعاب في أسماء الصحابة، وكتاب الإنباه على قبائل الرواة، وكتاب التقصّي، الذي قال في حقه أبو عبد الله بن الفخار: ثلاثة كتب هي عندي كسورة القرآن، منها كتاب التقصّي هذا(5).

---

(1) ترجمته في وفيات الأعيان (6/ 82).

(2) انظر ترجمته ومصادرها في الوافي بالوفيات (2/ 276).

(3) انظر ترجمته في البداية والنهاية (16/ 86).

(4) ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان (7/ 75).

(5) الذيل والتكملة: (السفر 6، ص 89).

غالبا ما نجد القدامى يذكرون في المقدّمة الخطة التي يبنون عليها مؤلفاتهم، وهو ما لم يقم به البرّي في كتابه هذا. ولكننا نستنتج من العرض العام للكتاب أنّه قسّمه إلى أربعة أقسام. أما القسم الأول فقد خصّصه لنسب النبي ﷺ من عبد المطلب إلى عدنان، ثم القسم الثاني الذي ذكر فيه سيرته عليه السلام من مولده إلى وفاته ذكرا يفصح عن أصح الآثار ويعرب عن أغرب الأخبار كما قال. وقد استوعب هذان القسمان الجزء الأكبر من الكتاب.

وأما القسم الثالث فقد تناول فيه الخلفاء الراشدين الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، متوسعا في الحديث عن الخليفة الرابع الذي يأتي بعد النبي من حيث الحجم الذي استوعبه نسبه من الكتاب، وقد ختم الكلام عنهم قائلا: لقد ذكرت من صحيح الآثار والأخبار في مناقب الخلفاء الأربعة ما يملأ الآذان حسنا، ويمنح مَن سلك سبيلها الزيادة والحسنى، إذ هم أئمّة الهدى، ومصابيح الدّجى، وأرباب التّقى، وواضحوا سبل سنة نبينا محمد المصطفى، نفعنا الله بمحبتهم وحشرنا في زمرتهم[1]. ويخلص إلى القسم الرابع والأخير الذي خصّصه للستة الباقين من الصحابة.

ولم يكتف البرّي بالنقل من المصادر المذكورة دون تدخل أو تمحيص، بل كان يصحح ويرجّح ويدلّل كلما دعت الضرورة إلى ذلك، مستعملا في الغالب العبارات التالية: قال المؤلف غفر الله له، وأصلحه الله، ووفقه الله لما يرضيه، وعفا الله عنه، وأعزّه الله بتقواه، وشرح الله صدره، وأغناه الله من فضله وما شابه ذلك. فمن ذلك مثلا ترجيحه للرواية القائلة بعدم إلقاء جثة أمية بن خلف في البئر يوم بدر حين قال: الصحيح الذي لا شك فيه أن أمية بن خلف هو الذي تقطّعت أوصاله، لما رواه ابن إسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: لما أمر

(1) الجوهرة (ص469).

رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القليب طرحوا فيه، إلا ما كان من أمية بن خلف، فإنه انتفخ في درعه، فملأه فذهبوا يحركوه فتزايل لحمه، فأقرّوه، وألقوا عليه ما غيّبه من التراب والحجارة[1].

ومن ذلك ما قاله البخاري ومسلم في الصحيحين إنّ سعيد بن المسيّب التابعي الفقيه شهد بيعة الرّضوان تحت الشجرة مع أبيه، ولكن المؤلف يناقضهما ويأخذ برأي أصحاب المغازي الذين ينكرون ذلك فيقول: والدليل على ما قاله الدّارقطني أنّ سعيدا وُلِد في صدر خلافة عمر بن الخطاب، ولا خلاف أنّ والده المسيّب ممن بايع تحت الشجرة[2].

ويقول محققا في سنّ أبي وائل شقيق بن سلمة الذي قال عن نفسه إنّه كان يوم بزاخة (من أيام حروب الرّدة) ابن إحدى وعشرين سنة: كان يجب أن يكون أبو وائل ابن أربع وثلاثين سنة يوم بزاخة على قوله إنّه كان ابن عشر سنين عند البعث، اللهم إلا أن يريد بالبعث الهجرة فحينئذ يصح كونه كذلك، ومما يؤيد أنّه أراد بالبعث الهجرة رواية هشيم عن مغيرة عنه أنه قال: أتانا مصدق النبي وأنا غلام يومئذ، ولو كان عند البعث ابن عشرٍ لم يكن عند أخذ النبي الصدقة غلاما[3].

استهل المؤلف كلامه عن نسب النبي بذكر الشجرة المعروفة التالية: محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كِلاب بن مرّة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار بن مَعدّ بن عدنان. إلى هنا هو النسب الصحيح الذي لا

(1) الجوهرة (ص19).

(2) نفسه (ص47).

(3) نفسه (ص129).

اختلاف فيه بين علماء الأنساب كما يقول المؤلف، مدعما كلامه بأحاديث صحيحة، وأقوال الصحابة كعمر بن الخطاب، وروايات علماء الأنساب كابن الكلبي وغيره. وهذا ما يؤكده ابن حزم حين يقول: فعدنان من ولد إسماعيل بلا شك في ذلك، إلاّ أنّ تسمية الآباء بينه وبين إسماعيل قد جُهِلت جملة، وتكلم في ذلك قوم بما لا يصح، وأما كلّ مَن تناسل من ولد إسماعيل فقد غبروا ودثروا، ولا يعرف أحد منهم على أديم الأرض أصلا، حاشا ما ذكرنا من أنّ بني عدنان من ولده فقط(1).

وقد وقف المؤلف عند كلّ واحد من أجداد النبي الواردين في الشجرة المذكورة، وبداية من الجدّ الثامن وهو لؤي بن غالب، نجده يتوسّع في موضوع أنساب القبائل العربية وليس قبيلة قريش وحدها التي ينتمي إليها النبي وأصحابه العشرة.

ولم يقتصر المؤلف في كتاب الجوهرة على ذكر نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة حسبما يوحي به العنوان، بل تشعّب فيه إلى الحديث عن غيره من القضايا، سيما وأنّ مسألة النسب قد فصل فيها أثناء تناوله نسب النبي، لأنّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلتقي في نسبه مع هؤلاء العشرة: مع أبي بكر الصّدّيق في مرّة بن كعب، ومع عمر بن الخطاب في كعب بن لؤي، ومع عثمان بن عفان في عبد مناف بن قصي، ومع علي في عمّه أبي طالب، ومع الزبير بن العوام في قصي بن كلاب، ومع طلحة بن عبيد الله في مرّة بن كعب، ومع عبد الرحمن بن عوف في كلاب بن مرّة، ومع سعد بن أبي وقاص في كلاب بن مرّة أيضا، ومع سعيد بن زيد في كعب بن لؤي، ومع أبي عبيدة عامر بن الجراح في فهر بن مالك(2).

---

(1) جمهرة أنساب العرب(ص7).

(2) نفسه، الصفحات(358، و374، و400، و415، و469، و490، و495، و502، و507، و508).

فهو أثناء تناوله لأجداد رسول الله ﷺ وآبائه الكرام أولي المكارم والمآثر، من عبد المطلب إلى عدنان، تكلم عن إخوتهم وأعقابهم ومن اشترك معه في النسب من القبائل وذكر البطون منهم والأفخاذ والفصائل، وما انفردوا به من مآثر في الجاهلية والإسلام، ومَن آمن به وصحبه من أبنائهم السعداء، ومَن اشتهر منهم بإيمان أو منقبة في الجاهلية، ومَن بقي على كفره أو قتله عليه الصلاة والسلام على استهزائه في غزواته، والتنبيه على رجال الحديث منهم والتعريف بهم، كلّ ذلك بيّنه كما يجب أحسن البيان بمنتقى المعارف المستجادة، وساقه بليغا موجزا مفيدا غاية الإفادة كما قال[1]. ثم انتقل إلى الحديث عن الرسول ﷺ من مولده إلى وفاته، عن أعمامه، وعماته، ووالدته، وأزواجه، وخدمه، ومواليه، وخيله، وكتّابه، وشمائله الكريمة وفضائله العميمة، وحجة الوداع وخبر وفاته.

وبعد ذلك ينتقل إلى الحديث عن الخلفاء الراشدين الأربعة، وأولهم أبوبكر الصّدّيق وأسبقيته في الإسلام، ومكانته بين الصحابة، وأخلاقه، وفضائله ونبذ من أخباره، ودوره في حروب الرّدّة، وموته، وذكر أولاده وعقبه منهم، وهم عبد الرحمن وعبد الله ومحمد، ومن البنات عائشة وأسماء وأم كلثوم.

ثم عمر بن الخطاب وتوليه الخلافة، وما جاء في تقشّفه وتواضعه وجدّه، ومقتله، وأولاده وعقبه منهم. وكذلك عثمان بن عفان وزواجه من بنتي رسول الله، وحصاره ونقمة الناس عليه ومقتله. وآخرهم الإمام علي وما جاء عن أسبقيته في الإسلام ومكانته فيه، وفضائله ومواعظه ووصاياه، وأخباره في تقشفه في لباسه وطعمه، ومقتله على يد الخوارج، وذكر ولديه الحسن والحسين وأحفاده.

---

(1) الجوهرة (ص292).

ويختم الكتاب بالكلام عن الصحابة الستة الباقين من العشرة وهم الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، سالكا في ذلك المنهج نفسه الذي اتبعه مع الخلفاء الراشدين، وهو أن يترجم للصحابي، ثم يذكر أولاده وأحفاده ومواليه، ثم يترجم لكل واحد منهم، مبينا ما له من الرواية في كتب الأحاديث، وما اشتهر به من فنون العلم والأدب، مع ترجمة ما يقع في السند من رجال الحديث، ثم يعود فيذكر فضائل الصحابي ونبذا من أخباره.

يعد كتاب الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، إسهاما علميا كبيرا، وإضافة هامة إلى المكتبة التراثية الإسلامية، سيما ما تعلق منها بالأنساب وفضائل الصحابة. فقد أتيحت للبرّي التلمساني فرصة الاطلاع على ما سبقه من كتب الأنساب والرجال والطبقات والسير والحديث والتاريخ ونحوها، فاستخلص منها هذه الصورة المتكاملة المترابطة، التي خلت من الجفاف الذي يعانيه قارئ كتب الأنساب، ويسّرت للناظر فيه مواصلة القراءة بانبساط، والاستفادة من المعارف الدينية والتاريخية والأدبية ونحوها.



فهرس المصادر والمراجع

- ابن الأبّار أبو عبد الله القضاعي، الحلة السيراء. تحقيق حسين مؤنس. القاهرة: دار المعارف، 1985.
- ابن أبي أصيبعة أبو العباس موفق الدين، عيون الأنباء في طبقات الأطباء. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1965.
- البرّي محمد بن أبي بكر التلمساني، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة. تحقيق محمد التونجي. الرياض: دار الرفاعي، 1984.
- البرّي محمد بن أبي بكر التلمساني، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة. (الفصل الخاص بالإمام علي)، تحقيق محمد التونجي. بيروت: دار الجيل، 1993.
- إحسان النص، القبائل العربية أنسابها وأعلامها. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000.
- أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة. الرياض: مكتبة العلوم والحكم، 1994.
- ابن حزم علي بن أحمد، جمهرة أنساب العرب. تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة: دار المعارف، 1962.
- الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار. تحقيق إحسان عباس. بيروت: مكتبة لبنان، 1984.
- ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة. تحقيق يوسف علي طويل. بيروت: دار الكتب العلمية، 2003.
- ابن الخطيب لسان الدّين، أعمال الأعلام (القسم الأندلسي)، تحقيق ليفي بروفنسال. بيروت: دار المكشوف، 1956.

- ابن خلكان أحمد بن محمد، وفيات الأعيان. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة، 1971.
- الرّشاطي أبو محمد، اقتباس الأنوار، تحقيق مولينا لوبيز. مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، 1990.
- ابن الزبير أبو جعفر أحمد، صلة الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس وسعيد أعراب. الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1993.
- ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب. تحقيق شوقي ضيف. القاهرة: دار المعارف بمصر، 1964.
- ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى، اختصار القدح. تحقيق إبراهيم الأبياري. بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1980.
- الصفدي صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات. تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2000.
- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، تحقيق محمد بن شريفة. الرباط: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، السفر الثامن، 1984.
- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة، السفران الرابع والسادس، 1973.
- الغبريني أبو العباس أحمد، عنوان الدراية. تحقيق رابح بونار الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1981.
- ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب. تحقيق محمد الأحمدي. القاهرة: دار التراث، 1972.

- ابن كثير أبو الفدا إسماعيل، البداية والنهاية. تحقيق عبد الله التركي. دار هجر للطباعة والنشر، 1997م.
- ابن المرابط المرادي، مخطوط زواهر الفكر وجواهر الفقر. مصوّر بالخزانة العامة بالرباط على شريط تحت رقم 1114.
- المقري أبو العباس أحمد، نفح الطيب. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر، 1968.
- المنوني محمد، ورقات عن حضارة المرينيين. الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1996.
- الونشريسي أحمد بن يحي، أسنى المتاجر. صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، العدد 1 ـ 2، مج 5، 1957.

من نوادر التراث المغربي في موضوع
كرامات الصحابة:

«السِّلك المثنى النِّظام
بما للصحابة الكرام على جميعهم الرضوان والسلام
من الكرامات المكرمات العظام»

(لأبي محمد الحسن بن علي ابن القطان المراكشي

«من علماء القرن الهجري السابع»)

ذ. مصطفى عكلي

مُلَخّصُ البَحْث

الحمد لله الذي فاضل بين عباده المؤمنين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، وعلى آله وصحبه الأكرمين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنّ التأليف في الصحابة رضي الله عنهم بدأ مبكرا؛ إذ كان علماء الحديث النبوي والمعتنون منهم خاصة بالتأليف في علم الرجال أول من قصد الترجمة لصحابة رسول الله ﷺ وكان غرضهم ذكر ما روي عنهم، وتعيين من تشرّف بالأخذ عنهم.

ثم ظهرت مصنفات خصّت الصحابة الكرام بتآليف مفردة، وقد اشتهر منها كتاب ابن عبد البر النمري(463هـ)، الموسوم بـ «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، وكتاب أبي الحسن ابن الأثير(630هـ) المحلى بـ «أسد الغابة في معرفة الصحابة»، وكتاب الحافظ ابن حجر العسقلاني (852هـ) الموشح بـ «الإصابة في تمييز الصحابة»، وهذه الكتب اعتنت بالتعريف بالصحابة، وذكر بعض أخبارهم وشيء مما روي عنهم.

ولعل من نوادر الكتب وأعلاق النفائس التي سارت على سَنن ما ذكر قبل وزادت عليها بذكر فضائل الصحابة وكراماتهم كتاب «السِّلك المثنى النِّظام بما للصحابة الكرام على جميعهم الرضوان والسلام من الكرامات والمكرمات العظام» لأبي محمد الحسن ابن الشيخ الحافظ المحدث الشهير أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الله القطان الفاسي (من علماء القرن السابع الهجري)، ورغم طرافة هذا الكتاب واستقلال موضوعه؛ فإنه لم يحظ بعد بأي عناية من طرف الباحثين والدارسين، ولهذا فإن البحث الذي أتقدم به لندوتكم المباركة سيكون في التعريف بهذا الكتاب، وبيان منهج مؤلفه وموارده بما يعرِّف الباحثين بكنز من كنوز تراثنا التي طالها النسيان، والله الموفق.

الباحث في سطور

الأستاذ مصطفى عكلي Ibnmbark_@hotmail.fr

- من مواليد عام 1978/06/03م بتمكروت إقليم زاكورة.
- باحث بمركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء.
- دبلوم الدراسات العليا المعمقة بكلية الآداب ابن زهر ـ أكادير، بعنوان: «مرويات علامات النبوة بعد نزول الوحي على رسول الله ﷺ»، من خلال الطبقات الكبرى لابن سعد ـ من غير طريق الواقدي ـ دراسة وتخريج.
- مسجل بسلك الدكتوراه في الوحدة المذكورة.

✍ دراسة وتحقيق كتاب «الفصول في أركان الإسلام» للإمام العلامة المحقق ناصر الدين محمد بن الحسن اللّقاني المالكي (ت 958هـ).

✍ التعريف بما طبع من سيرة النبي الشريف، بالمشاركة مع طلبة الفوج الثالث في وحدة السيرة النبوية، إشراف الدكتور: عبد اللطيف الجيلاني.

✍ رسالتان في السيرة النبوية والمولد الشريف لأبي جعفر الرعيني وابن جابر الأندلسي الضرير، نشر مركز ابن القطان بالعرائش التابع للرابطة المحمدية للعلماء، 2011م.

✍ كتاب: اللمع من أدب الطالب، لأبي العباس التدمري(ت555هـ)، قيد الطبع.

✍ المشاركة في إنجاز ومراجعة الأعمال العلمية التي أصدرها مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث.

✍ المشاركة في تنظيم ندوات وملتقيات علمية.

تمهيد

الحمد لله الذي أيّد نبيه المصطفى ﷺ بالآيات البينات، والمعجزات الباهرات، والبراهين الواضحات القاطعات، والصلاةُ والسلامُ على رسوله المبعوث رحمة لأهل الأرض والسماوات، وعلى آله وصحبه المشهودِ لهم ببلوغ أسمى الدرجات، واستحقاق أعلى المقامات؛ خيرِ الخلق بعد الأنبياء أصحاب الرسالات، وعلى من تبعهم وسار على نهجهم إلى يوم الميقات، أما بعد:

فإن المغاربةَ جُبلوا على حبِّ صحابةِ رسولِ الله ﷺ وتوقيرِهم، واحترامِ خصوصياتهم وأسبقيتِهم، والعض بالنواجذ على كلِّ ما شهد لهم به المولى عز وجل، وبيّنه وفصّله حبيبه المصطفى ﷺ، ففي القرآن الكريم آياتٌ كثيرة تقطع برضا الله عز وجلّ عن صحابة رسول الله ﷺ، وفي السنة النبوية المشرفة جمهرة من الأحاديث تؤكد ذلك.

والمغاربةُ بفعل تعلقهم الوطيد بكتاب الله عز وجل، وتشبثهم القوي بسنّة رسول الله ﷺ، لم ولن يخرجوا عن سياقِ الفهم الصحيح لهما، والاتباعِ الصريح لما تنطوي عليه معانيهما، فهم يقرؤون آناء الليل وأطراف النهار آياتٍ بيناتٍ من مثل قوله عز وجل: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1]، وقوله: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا

(1) سورة التوبة: الآية 100.

حَكِيماً ﴾[1]، ويستظهرون ـ أي المغاربة ـ أحاديثَ صحيحة مثلُ قولِه ﷺ: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[2]، وقوله: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذَهَبا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نَصِيفَه»[3]. وقد وَجَدَت معاني هذه الآيات والأحاديث مكانَها في قلوب المغاربة على مرّ التاريخ، وجسدوها بأفعالهم وأعمالهم، وما هذه الندوة المباركة إلا حلقة من ذلك التاريخ، ودليل واضح على استمرار هذا القطر الكبير على نهج سلفه وأثره.

والحاصل أن حبَّ الصحابة وتوقيرَهم ركن ركنين وعقيدة راسخة ذات أساس متين لدى المغاربة؛ خلفٌ عن سلف، وصغير عن كبير.

ومن تجليات هذا الحبِّ المتأصل، والإرث المتأثل، توجُّه من نَفَرَ من أهل الغرب الإسلامي للعلم إلى وضع مؤلفات تُعنى بتسجيل سير الصحابة الكرام، وتقييد فضائلهم ومناقبهم، وتخليد مآثرهم وحفظ آثارهم، ومنها ما عُني بالذَّبِّ عن حياضهم، والرَّدِّ على مُبغضيهم ومُتَنقصيهم؛ ذلك أن علماءَ الغرب الإسلامي على غرار نظرائهم في المشرق الإسلامي على علم تام بمنزلة الصحابة ومقامهم، فَهُم حملةُ الوحي عن رسول الله ﷺ، والمستأمنون على سنته، والناقلون لدينه وشريعته، والمبلِّغون لدعوته، والسابقون الأولون إلى كل فضل، والفائزون برضا ربهم عز وجل، وصحبة رسوله ﷺ.

---

(1) سورة الفتح: الآيات 18 ـ 20.

(2) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه(7/ 7 مع الفتح)، في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، الحديث رقم(3651)، ومسلم في صحيحه (4/ 1962) في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم الحديث(2533).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (7/ 21 مع الفتح)، في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذا خليلا»، الحديث رقم(3674).

ويعدّ أبو محمد ابن القطان المراكشي من أبرز علماء المغرب الذين ضربوا بحظ وافر في التأليف في موضوع الصحابة، بل هو من أفراد علماء القرن الهجري السابع، الذين جنحوا إلى إفراد فضائل الصحابة وكراماتهم بدواوينَ جامعة، ومصنفاتٍ جليلة بديعة، والتي من أهمها كتاب «**السِّلْك المثنى النّظَام بما للصحابة الكرام على جميعهم الرضوان والسلام من الكرامات المكرمات العظام**» وهو محور هذا البحث الساعي إلى التعريف به من خلال وصف أصله الخطي، وذكر الباعث على تأليفه، وبيان موضوعِه، وسَوْقِ بعض ما ألف على منواله، وتحديد مواردِه، واستخراج منهج مؤلفه فيه، ويتقدمُ هذا: الاستفتاحُ بنبذة مختصرة عن صاحبه، ويعقبه الختم بأهم ما تم استنتاجه في عرضه. وأسأل الله التوفيق والسداد، والهدايةَ إلى سبيل الرشاد، آمين[1].

---

(1) ثمة جوانب أخرى يمكن الحديث عنها في هذا البحث غير أنه لضيق الوقت اقتصرت على ما ذكرت، وأنا على يقين أن الزميل الأستاذ الحسن البربوشي، الذي وفقه الله ليشتغل بتحقيق هذا الكتاب في أطروحته، سيعمل بإذن الله على بحث جميع الجوانب بما في ذلك ما أعرضه منها هنا.

❁ التعريف بالمؤلف

إذا كان من نوادر المؤلفات ونفائس المصنفات ما لا يُكتبُ له انتشارٌ ولا اشتهار، وقد يحدث ألا تبرحَ مكانَها حتى تصير إلى الزوال والاندثار، فإن من العلماء من دفنت معهم سيرهُم، لا أنهم ليسوا ممن يُحتفى بهم ويُحتذى، ويؤخذ من علمهم ويجتبى، بل لأن تخليدَ مآثرهم، وتسجيلَ آثارهم إما غفلَ عنه المترجمون، أو قضت على سِجِلَّاته الأيام والسِّنُون. مما أدى إلى غمط حقّ طائفة من العلماء، وخلط كثير من سير الفضلاء، والغلط في نسبة كتبٍ ومصنفات إلى غير مصنفيها حتى على المحققين النبهاء.

وأبو محمد ابن القطان أحدُ الأعلام المبرزين، والمؤرخين المتميزين، الذين لحقهم بعض ما ذكر؛ فالباحث عن ترجمته لا يظفر بها مسترسلَة في كتاب، وإنما يعثر على إشارات وعلامات شديدة الاقتضاب، ولا تَسلَم هي الأخرى من الخلط والغلط الذي يدعو إلى الشك والارتياب. والمبتغي معرفةَ آثار أبي محمد ابن القطان وإنتاجِه قد يعيا في إيجاد مطلوبه، وربما يصل إلى شيء من مرغوبه، ومن هنا تتناثر علامات الاستفهام ويطرح السؤال عن شخص أبي محمد ابن القطان، وعن سيرته وحياته.

فهذا العلامة المؤرخ المنقب البحاثة عميد المؤرخين المغاربة المعاصرين محمد بنشريفة حفظه الله وعافاه ـ وهو المتخصص في ترجمة غير المعروفين، ونفض الغبار عن سِيَر كثير من الغابرين والعلماء المغمورين ـ يقرر في مقدمة تحقيقه للجزء الأول من السفر الثامن من كتاب الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي(ت703هـ) وهو يستعرض مراجع شيوخ هذا الأخير؛ وصاحبنا ابن القطان منهم ما يلي: «لم نقف له على ترجمة، وتوجد إشارات في الذيل والتكملة، والبيان المغرب، ومفاخر البربر، والدوحة

المشتبكة، ومخطوط الخزانة العامة رقم(1275 ك ص25) ولا بد أن ابن عبد الملك ترجم له في السفر السابع المفقود؛ لأنه دخل الأندلس كما يدلّ على ذلك هذا النص الموجود في الدوحة المشتبكة»[1]. فساق النص.

وقد أحال الدكتور بنشريفة في كلامه هذا على الدكتور محمود مكي محقق كتاب نظم الجمان لابن القطان، والذي أحال بدوره على كلام الأول في مقدمة تحقيقه للكتاب المذكور، طبعة دار الغرب الإسلامي سنة(1990م)، وأضاف قائلا: «ولو بقيت ـ يقصد ترجمة ابن عبد الملك لشيخه ابن القطان الابن ـ لكانت... من أغزر تراجمه مادةً وأدقها تصويراً لشخصيةِ شيخِهِ وتسجيلا لجهوده العلمية»[2].

ولا يسعني بعد هذا الذي توصل إليه الأستاذان ووقفتُ على حقيقته فيما رجعت إليه من مظان، إلا أن أتتبع ما في الكتب من تلك الإشارات، والتقط ما أراه خادما لما أنا فيه؛ لأضع بين يدي القارئ نبذة مختصرة عن أبي محمد ابن القطان وعن حياته وبعض ما ساوق ذلك. فأقول مستعينا بالله:

هو الحسن بن الحافظ المحدث الفقيه أبي الحسن علي بن محمد بن عبدالملك ابن يحيى ابن محمد بن يحيى بن إبراهيم بن خلصة بن سماحة الحِميري الكُتامي، القرطبي الأصل، المراكشي الدار، يعرف كأبيه بابن القطان.

كنيته أبو محمد، وكنّاه صاحب مفاخر البربر[3]: أبا علي، وكذا ورد في بعض نسخ كتابه الإحكام الآتي ذكره، وبالكنية الأولى شُهِر، فقد كناه بذلك تلميذه ابن عبد الملك

(1) الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول(ص:138) مقدمة المحقق.
(2) نظم الجمان (ص28) مقدمة المحقق.
(3) مفاخر البربر(ص171).

المراكشي في غير موضع من كتابه «الذيل والتكملة»، وابن عذاري في «البيان المغـرب»، وهو ما صرح به ناظم كتابه «الإحكام» الحسن الرهوني حيث قال:

أبـو محمـد ويُـدعى حـسنا ولـم يـزل يـصنعُ شـيئا حـسنا[1]

عاش أبو محمد ابن القطان في عصر تعاقبت فيه على حكم المغرب دولتـان كبيرتـان، همـا الدولة المرابطية والدولة الموحدية، وقد وَجَد المترجم نفوذ دولة الموحدين قد اتسع وامتد، وسلطانهم قَهر الخصوم واستبد، وهذا مـا فصلته كتب التاريخ وجرت به أقلام المؤرخين. ورغم الولاء التام الذي عُرف به بيت ابن القطان لدولة بني عبد المؤمن فلـم تكن الحياةُ أمـامَه مستقرة آمنة، بل تعاقبت عليه ـ كمـا على الدول ـ أيـام مـنح ومحـن، وكانت له رياسة ومجد، وغنى ويسار، ومرت عليه ظروف ضعف وانكسار. فقـد كـان أبوه أبو الحسن ابن القطان «معظمـا عند الخاصة والعامـة مـن آل دولـة عبـد المـؤمن، حظي كثيرا عند المنصور منهم فابنه الناصر فالمستنصر ابن الناصر فأبي محمد عبدالواحد أخي المنصور ثم أبي زكرياء المعتصم ابن الناصر حتى كان رئيسَ الطلبة ـ و هم من أعلى طبقات الدعوة الموحدية ـ، مصروفة إليه الخطط النبيهة مرجوعـا إليـه في الفتـاوى»[2]. وكمـا أغدقت الدنيا على بيت أبي الحسن ابن القطان بنعيمها في أيام من ذُكر من الأمراء والخلفاء، فإنها رجعت لتسترد مـا أعطت وتُبلي مـا كـست؛ إذ خـصَّه مـا عـمَّ النـاس خلال سبعة أعوام عجاف توالت على مراكش، ومـا صاحب ذلك مـن شـدة وتنـاهٍ في غلاء الأسعار؛ وذلك ـ كمـا يقول ابن عبد الملك ـ لكثر عياله، وانقطاع مواد الفوائـد عنه بعطلته عن الأشغالِ التي كان ينتفع بها ومنها. وذكر ابن عبد الملك قبل هذا السببَ المباشرَ في الحال التي صار إليها البيت القطاني وهو نقمة الخليفة أبي محمـد ابـن عبـدالله

(1) نظم الدرر في ترجيز كتاب الإحكام من آي خير الأنام(1/ 143) البيت (42). وقد طبع هـذا الكتـاب مؤخرا بتحقيق خديجة البدوي. وقفت عليه قبيل طبع هذه الندوة أي بعد إنجاز عملي.
(2) الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول (ص169).

العادل ابن المنصور على صاحبه، بعد أن تولى هذا الأخير الحكم لما خُلع عمُّه أبو محمد عبدالواحد أخو المنصور الذي قتل غدرا، وهذا كله بعد اختلاف أهل الحلِّ والعقد في مَن يُقلدُ الأمرَ لما توفي أبو يعقوب المستنصر، فأشار فريق منهم بتقديم العمِّ لحزمه وصلاحه، بينما أشار فريق آخر بتقديم ابن الأخ، وكان ميالا إلى البطالة، والإخلاد إلى الراحة، وكان أبو الحسن ابن القطان حاضرا لأمر الشورى فأنشد متمثلا ومنبها على التفرقة بينهما:

إذا رَتَّلَ القرآنَ في جُنْحِ لَيْلِه ❊❊❊ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ لم يُغَن مخارق

فهذا الذي كان سبباً في الضيق الذي مَسّ البيت القطاني على ما حكى أحد أبنائه وهو مترجـمُنا[1]. ويضاف إلى هذا تضعضع حكم الموحدين عامة، ودخول دولتهم في مرحلة مدّ وجزر؛ لأن سُنّة التداول لم ولن تخطئها؛ إذ عصفت عليها رياح بني مرين من جهة، واقتطع جزء من دولتهم من طرف الحفصيين من جهة ثانية، وتكالب النصارى على بلاد الأندلس، كما نشبت الثورات وعمّ الفساد. ومجال تفصيل هذا أيضا كتب التاريخ التي عُنيت بأخبار الدولة الموحدية.

وما قيل عن عصر ابن القطان الأب في الجانب السياسي والاقتصادي وما يتعلق باتصاله بدولة بني عبدالمؤمن يقال كذالك عن عصر ابن القطان الابن في عهد من عاصرهم واتصل بهم من الخلفاء، وبخاصة مدة حكم الخليفة أبي حفص عمر بن أبي إبراهيم بن أمير المؤمنين أبي يعقوب بن يوسف بن الخليفة عبد المؤمن وهو الملقب بالمرتضى، غير أن الابن سَلِم من كثير مما لَحق أباه من محن وأزمات، وإن لم يكن مُعْفًى من تأثيرها المباشر وغير المباشر.

---

(1) الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول (ص:173 ـ 175) بتصرف.

وإذا كان هذا هو حال الجانب السياسي والاقتصادي وتأثيره على البيت القطاني، فإن الجانب العلمي على نقيض ذلك؛ إذ كان لابن القطان الأب والابن معا في كل أطوار الدولة الموحدية وما كُتب لهما أن يعيشاه في ظلها من عقود وسنين أن يتبوأ المكانة الرفيعة، والدرجة الحصينة المنيعة، ذلك أن خلفاء الدولة الموحدية وأمراءَها كانوا قد فسحوا المجال للعلم والعلماء، وأعلوا من قدرتهم وشأنهم، وعرفوا حقّهم ومنزلتهم، وهذا ما كان حافزا قويا لكثير من العلماء والفقهاء لِشَدِّ الرحال إلى دولتهم، والتعلق بأهذاب سلطانهم، وهكذا ـ وكما يقول محمد العابد الفاسي رَحِمَهُ اللَّهُ ـ «ظهرت بالدولة الموحدية حركة علمية جديدة، وانتشر التأليف والتدوين، وتقرب أهل العلم والأدب للدولة الجديدة بنتائجِ قرائحهم، ونفيس تعاليقهم وموضوعاتهم، وتمتنت العلائق أكثر من ذي قبل مع الأندلسيين، وكَثُرَتْ هجرةُ هؤلاء للمغرب واستوطنوه ونشروا فيه علومهم وأفكارهم وأدبَهم الرائع، وانتقل المغاربة إلى الأندلس بقصد أخذِ العلم عن شيوخه، والارتواءِ من مناهل حياضهم الفياضة، فنشأ عن جميعِ ذلك مزيجٌ من رقة الأندلسيين وخفة أرواحهم، وصراحة المغاربة وتوقد أذهانهم»[1].

ولن أكون مبالغا إن قلت وكما أسلفت أن ابن القطان الأب والابن كانت لهما حظوة خاصة لدى سلاطين الدولة الموحدية، فالأب متصدر لتدريس طلبة الموحدين؛ وَهُم المعول عليهم في نشر دعوتهم وبثِّ أفكارهم؛ وهو الموصوف في زمانه بالحفظ والإتقان، والمعرفة بعلوم الحديث رواية ودراية، وقد أقرّ له بذلك القرين والمعاصر، ولم يُخْفِهِ الخصم فَضْلاً عن الناصر، واستشفه المطالع لكتبه العديدة، ومقالاته الفريدة، فهذا ابن عبد الملك يصور بعضا من هذا فيقول: «كان ذاكراً للحديث، مستبحرا في علومه، بصيرا بطرقه، عارفا برجاله، عاكفا على خدمته، ناقدا مميزا صحيحَه من سقيمه،

(1) الخزانة العلمية بالمغرب (ص11).

مثابرا على التلبُّس بالعلم، وتقييدِهِ عُمرَه، وكَتَب بخطِّه على ضعفه الكثير، وعُني بخدمة كتبٍ بلغ فيها الغاية، منها نسخة بخطه من صحيح مسلم والسنن لأبي داود، وغيرُ ذلك. وصنف في الحديث ورجاله، والفقه وأصوله مصنفات نافعة أُخذت عنه»[1]، فذكر ثَبَتاً موسعاً يجمع عناوين مصنفات ابن القطان الأب، ويكفي أن أذكر منها هنا كتاب «الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام» ـ والأحكام كتاب لعبدالحق الإشبيلي ـ وهو من أجلِّ كتبه وأشهرها، طارت نسخه مشرقا ومغربا، واسترعى هِمَمَ الباحثين قديما وحديثا واستقطبتها استقطابا. يقول الحافظ شمس الدين الذهبي: «علقت من تأليفه كتاب الوهم والإيهام فوائد تدل على قوة ذكائه وسيلان ذهنه وبصره بالعلل»[2].

وإذا كانت كتب التراجم قد أشفت الغليل في تعريفنا بالمكانة العلمية لابن القطان الأب وبإنتاجه الغزير فإنها ـ ولِما سَلَف ذكره ـ لم تحتفظ بتسجيل ما لابن القطان الابن من ذلك، لكن يمكن رصد بعضه منها، ولَمُّ شَعَث ما تفرق في تضاعيفها، واستخراج ما يمكن استخراجه من كتبه المخطوطة الموجودة بين أيدينا.

إن مكانة أبي محمد ابن القطان العلمية تستخلص من معرفة أمور منها: طلبه للعلم وشيوخه، وتلامذته، وما أَلَّفه من دواوين، وخطّه من عناوين.

وأما **شيوخه** فعلى رأسهم أبوه الذي تقدمت مكانته، ولا غرو أنه نهل من علمه، وتأثر بطريقته ومنهجه، وكان مَثَلَهُ الأعلى وقدوته المثلى، ولا شك أيضا أن أباه وعلى عادة أهل الزمان وجّه ابنه حَسَناً إلى حفظ كتاب الله، والتعلق بسنة رسول الله ﷺ، واستظهار أشهر المتون في مختلف العلوم والفنون.

---

(1) الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول (ص167).

(2) سير أعلام النبلاء (22/ 307).

ويظهر جليا أن لأبي محمد بن القطان اعتناء خاص بكتب أبيه، وحظٌّ وافر من النظر فيها، واستلهام لدقيق دررها وفرائد فوائدها، فقد أشار ابن عبد الملك غير مرة إلى أن شيخه أبا محمد هو من وضع هذا العنوان أو ذاك لكتاب أبيه؛ فتسميات «كتاب النظر في أحكام النظر»، و«كتاب النزع في القياس لمناضلة من سلك غير المهيع في إثبات القياس»، وهو رد للأب على أبي علي بن الطويل، و«مقالة إنهاء البحث منتهاه عن مغزى من أثبت القول بالقياس زمن نفاه»، كلها من وضع الابن.

ومن شيوخه الذين صرح بهم في كتابه «السّلك المثنى النظام»، أبو سعيد المتراري، وبعد البحث تبين أن اسمه: يخلفتين بن تنفليشت المتراري البوغاغي، ذكره ابن عبدالملك في مناسبتين: الأولى في ترجمة ابن القطان الأب، ووسَمه بالوَرِع المجمع على فضله، ومن العجيب أنَّ ذكره في ترجمة ابن القطان كان في أثناء سرد ابن عبد الملك للأمور التي عيبت عليه، فاستشهد في عرضها بقول أبي سعيد فيه: «ذلك شخصٌ يصارح نَفْسَهُ أن يكون مُهَلبي الملوك»[1]. أما المناسبة الثانية ففي ترجمة أبي موسى عيسى بن عبدالعزيز اليَزْدَكْتَنِي حيث قال: «وأخبرني ممن أَثِقُه أن الفقيه المتفنن الورع المجمع على فضله أبا سعيد يخلفتين بن تنفليشت بن إبراهيم المتراري البوغاغي كان متى أشكل عليه شيء من علم العربية تعرض لأبي موسى في طريقه... »[2].

ومن الشيوخ الذي صاحبهم بمراكش هو وأبو عبد الله ابن الطراوة(ت659هـ)[3]: أبو علي عمر بن محمد بن أحمد القيسي الفاسي، خال ابن عبد الملك المراكشي، توفي بمراكش سنة (620هـ) وهو ابن خمس وأربعين عاما أو نحوها. قال ابن عبد الملك:

---

(1) الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول (ص173.)

(2) نفسه (ص251).

(3) ترجمته في الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول (ص264).

«وكان شيخنا أبو محمد حسن بن القطان وأبو عبد الله ابن الطراوة يكثران الثناء عليه، والإيجاب له، والشهادة بتبريزه في النبل، والاشتمال على خِلال الفضل، وقد صاحباه طويلا بمراكش، واشتركا معه في الأخذ عن الشيوخ بها»[1]. ومن الشيوخ المذكورين في ترجمة أبي علي القيسي: أبو إسحاق الزوالي، وأبو بكر السلاقي، وأبو الحسن الأخفش، وابن قطرال، وأبو بكر عبد الله ابن الجدع، وأبو القاسم البلوي، وأبو محمد ابن حوط الله. ولا يُعلم بالتعيين من هم الشيوخ الذين شارك ابن القطان وابن الطراوة أبا علي القيسي في الأخذ عنهم.

وحدّث عن المحدِّثِ الحافظِ الضابط المتقن، اللغوي المتفنن أبي العباس وأبي جعفر أحمد بن سلمة بن أحمد بن يوسف الأنصاري اللَّوَرقي، المعروف بابن الصَّيْقل(ت598هـ)، وكان قد استدعاه أبو يوسف يعقوب المنصور بن أبي يعقوب إلى حضرته مراكش لِيُسْمع بها الحديث فَقَدِمَهَا ثم عاد إلى تلمسين، وهي منزله، في ذي القعدة سنة(585هـ). وفيه قال أبو الحسن ابن القطان: عدلٌ إمامٌ في الحديث[2].

وحدث عن المحدث الحافظ المسند الأديب أبي عمر أحمد بن أبي محمد هارون بن أحمد ابن جعفر بن عبد الملك ابن عات ـ وبه شهر ـ النفزي الشاطبي، فُقِدَ في وقعة العُقاب[3] سنة(609هـ)، وكان الأمراء من آل عبد المؤمن يخاطبونه ويعتمدونَ رأيه وإشارته في مصالح بلده شاطبة وأهلها ثقة بدينه وركونا إلى نصيحته[4].

(1) الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول (ص237).
(2) الذيل والتكملة، السفر الأول (ص126)، وترجمته فيها من (ص125 ـ 127)، وفي التكملة(1/ 81).
(3) قال ابن فرحون اليعمري: «وهذه الوقعة هي السبب الأقوى في تَحَيُّف الروم بلاد الأندلس، حتى استولوا على معظمها، وأفضى الحال إلى خلائها من أهل الملة الحنيفية، فإنا لله وإنا إليه راجعون». الديباج المذهب(1/ 204).
(4) الذيل والتكملة، السفر الأول (ص560)، وترجمته فيها (ص556 ـ 562)، وفي التكملة(1/ 101)، والإعلام للمراكشي(2/ 117 ـ 124)، والديباج المذهب(1/ 202)، ونفح الطيب(2/ 602).

وحدث عن المقرئ المجود، المحدث المكثر، العدل الثقة، النحوي الأديب، الورع الحافظ أبي حفص وأبي علي عمر بن عبد المجيد بن عمر بن يحيى بن خلف الأزدي المالقي، المعروف بالرّندي(ت616هـ)، وكان أقرأ القرآن ودرّس العربية والأدب طويلا بسبتة، ثم استدعاه أهل مالقة بعد ارتحال السهيلي عنها ـ وقيل بعد موته ـ للتدريس بها والإقراء مكانه، فأجابهم إلى ذلك، واستقر بها إلى أن توفي[1].

وحدث عن القاضي الفقيه الأصولي النّظار الشاعر الأديب المشارك أبي عبد الله محمد ابن عيسى بن محمد بن أصبغ المعروف بابن المناصف، الأزدي، المهدوي، القرطبي الأصل، وكان استقر آخر حياته بمراكش خطيبا بجامع بني عبد المؤمن الأقدم؛ جامع الكتبيين إلى أن توفي بها سنة(ت620هـ)، وهو صاحب المنظومة الرائعة البديعة المسماة: «الدرة السنية في المعالم السنية»؛ نظم فيها علم الكلام والأصول والفقه والسيرة النبوية[2].

وروى عن الأصولي المتكلم المحقق المشارك أبو الحجاج يوسف بن محمد بن المعز المكلاتي الفاسي(ت626هـ). قال ابن عبد الملك: «وكانت بينه وبين أبي الحسن ابن القطان ـ والد المترجم ـ منافرة شديدة ومقاطعة مشهورة، وعلى ذلك فقد صدر عنه في جانب أبي الحسن ما فيه أصدق دلالة على حسن دفاعه وكرم طباعه»، فذكر قصة لأبي الحسن ابن القطان ألبت عليه طائفة من ثالبيه والطاعنين عليه وتضمنت القصة دفاع أبي الحجاج المكلاتي عن ابن القطان[3].

---

(1) الذيل والتكملة السفر الخامس (2/ 453)، وترجمته فيه من (ص450 ـ 454).

(2) الذيل والتكملة السفر الثامن (1/ 346)، وترجمته فيه من (ص345 ـ 350)، وفي الابتهاج للتنبكتي(ص379).

(3) الذيل والتكملة، السفر الثامن(2/ 432) ترجمته فيه: (2/ 432-434).

وحدّث عن القاضي المتصوف اللغوي الأديب أبي يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى ابن عبد الرحمن التادلي، المعروف بابن الزيات، مؤلف كتاب التشوف إلى رجال التصوف(ت627هـ)[1]. وهذا مأخوذ من ترجمة أبي الحسين يحيى بن محمد بن علي بن الصائغ الأنصاري السبتي(ت600هـ) في الذيل والتكملة.

وحدث أبو محمد ابن القطان بالإجازة عن المحدث الرَّاوِية اللغوي الأديب المشارك أبي الخطاب عمر بن حسن بن علي المعروف بابن دحية الكلبي، وبذي النسبين(ت633هـ)؛ طلب له الإجازة منه ولغيره أبو إسحاق بن الواعظ[2].

وحدث بها عن الإمام الصالح الجليل، الكاتب الأديب البليغ أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير بن محمد بن جبير الكناني(614هـ)، وهذه الإجازة أيضا باستدعاء وطلب أبي إسحاق بن الواعظ للمترجم والجماعة[3].

واستجاز له أبوه ولنفسه أبا إسحاق إبراهيم بن منصور الغساني الدمشقي، المعروف بالسنهوري. قال أبو الحسن ابن القطان وهو يذكره في شيوخه: «قدم علينا تونس سنة اثنتين وستمائة، واستجزته لابني حسن فأجازه وإياي ... وقدم علينا بعد ذلك مراكش مفلتا من الأسر فظهر في حديثه عن نفسه تجازف واضطراب وكذب زهده فيه،

---

(1) الذيل والتكملة، السفر الثامن(2 / 418). وترجمته في: الأعلام للزركلي(8/ 257)، ومقدمة تحقيق كتابه التشوف إلى رجال التصوف، للدكتور أحمد التوفيق، وسنة وفاة التادلي المثبتة على ظهر الغلاف وهي(617هـ) غير صحيحة، وقد أثبت التاريخ الصحيح في الصفحة(24) حيث قال: توفي التادلي بركراكة سنة 627هـ أو 628هـ.

(2) الذيل والتكملة السفر الثامن (2 / 218). وترجمته فيه من(ص215 ـ 220).

(3) الذيل والتكملة السفر الخامس القسم الثاني (ص607)، وترجمته فيه من (ص595 ـ 621)، وفي التكملة لكتاب الصلة (2/ 109)، وتاريخ الإسلام (44/ 211).

وإثر ذلك انصرف إلى المشرق راجعا، وقد أجاز ابني، كتب بخطه جملة من أسانيده وسمى كتبا منها الموطأ والصحيحان وغير ذلك. قال: وقد تبرأت من عهده جميعه لما أثبت من حاله»[1]. وكان السنهوري ينتحل مذهب ابن حزم الظاهري[2].

فهذه مشيخة تزيد عن العشرة باثنين، وبالبحث والتنقيب، خاصة في ما هو مخطوط، يمكن الظفر بأكثر من هذا، وهو أمر يحتاج إلى السبر والصبر معا.

وأما تلامذة أبي محمد ابن القطان فلم أجد ممن صُرح بهم زيادة على واحد، وقد تقدمت الإشارة إليه، وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، الذي لا يتردد في وصفه كلما ذكره بما يبين أنه من أبرز شيوخه، ومصدر هام لكثير من المواد التي بثها في كتابه، ولَوْلا هذا التلميذ الوفي، والذي فيما يبدو أكثر ملازمة له، ما من عرفنا عن أبي محمد ابن القطان شيئا.

وبالعَدِّ الإحصائي تردد ورود اسم ابن القطان الابن عند تلميذه ابن عبدالملك عشرون مرة على ما أحصيت، ولا أقول استقصيت، بينما أشار الدكتور محمود علي مكي فقط إلى أن ابن عبدالملك ذكره في مواضع تزيد عن العشرة[3]. وأما تفصيل ما أحصيت: فقد ذكره في ترجمة أبيه ثماني مرات، ومواضعها: السفر الثامن القسم الأول، الصفحتان(167، 170) مرتان في كل صفحة، والصفحات(168، 170، 173، 190) مرة واحدة، وثلاث مرات في ترجمة ابن دحية الكلبي: السفر الثامن القسم الأول، الصفحات(218، 219، 220)، ومرتين في ترجمة كل من ابن عات وابن المناصف: الأول في السفر الأول في الصفحتين(560، 562)، والثاني في السفر

(1) التكملة لكتاب الصلة(1/ 149)، والإعلام للمراكشي(1/ 169 ـ 170) نقلا عن الأول.

(2) الإعلام للمراكشي(1/ 171) نقلا عن لسان الميزان.

(3) نظم الجمان (ص30) (مقدمة المحقق).

الثامن القسم الأول(346، 348)، ومرة واحدة في تراجم كل من أبي علي عمر بن محمد الفاسي، وأبي جعفر أحمد بن سلمة الأنصاري، وعمر ابن خلف الأزدي، وأبي الحسين ابن جبير الكناني، وهي على التوالي: السفر الثامن القسم الأول(237)، والسفر الأول(126)، والسفر الخامس القسم الثاني(453)، ونفس السفر والقسم(607)، وتكملة العدد هي ذكر تحديث ابن القطان عن ابن الزيات التادلي في ترجمة أبي الحسين يحيى بن محمد ابن الصائغ السفر الثامن القسم الثاني الصفحة(418).

وأنقل هنا بعض ما ذكره ابن عبدالملك عن شيخه ابن القطان الابن خاصة ما لهُ في الكشف عن شخصه زيادةُ فائدة، وما في عرضه تميمٌ لأركان هذه النبذة.

ذكر ابن عبد الملك في ترجمة ابن القطان الأب أنه توجَّه إلى ضيعته وهو يساير أبا عبدالله ابن المناصف ـ وهو شيخ لابنه ـ فعثرت به بغلته، فقال ابن المناصف:

ما بَالها عثرتْ ومالها قلقه

فأجابه ابن القطان مرتجلا ومداعبا:

لم تعثر البغلةُ السَّفْواء إذ عثرت من ضُعفِ أَيْدٍ ولا من أنها خَرِقه
لكنها غشيت من نور ما حملت من العلوم فخَرَّت تحته صعقه

قال ابن عبد الملك: «أنشدنيها أيضا ابنه أبو محمدرَحِمَهُ ٱللَّهُ وقال لي: كان متى ذكرهما يستعبر ويستغفر الله منهما، وقد رأيته ضرب عليهما في معلقاته»[1].

(1) الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول (ص170).

وفي موضع آخر من الترجمة قال ابن عبد الملك: «هذا ما وجدت بخطِّ أبي الحسن ابن القطان من هذه القصة ـ قصة العثماني وابنه ـ، وعرفت من ابنه أبي محمد شيخنا ومن غيره من شيوخنا»[1].

وفي ترجمة ابن عات، قال ابن عبد الملك: «**وحدثنا عنه شيخنا القاضي** أبو محمد حسن بن علي بن القطان»[2].

وفي نفس الترجمة قال: «أنشدني **القاضي** أبو محمد ابن القطان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أنشدني الشهيد عمر ابن عات رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أنشدني الحافظ المتفنن أبو الحسن ابن المفضل المقدسي لنفسه وهو من تجنيس القوافي البديع:

أيا نفسُ بالماثورِ عن خَيْرِ مرسلٍ وأصحابِه والتابعينَ تَمَسَّكي

عَسَاكِ إذا بَالَغتِ في نَشْر دينه لما طابَ مِن نَشْرٍ لَه أن تَمَسَّكي

وخافي غداً يوم الحساب جهنّما إذا لَفحت نيرانُها أن تَمَسّكي»[3]

وفي ترجمة أبي عبد الله ابن المناصف قال ابن عبد الملك: «وكان حافظا للغات، ريانا من الأدب، شاعرا مجيدا مرجزا مطبوعا، من بيت علم ورياسة فيه، وتنقل في خططه السرية بارع الخط في كل طريقة. ذكر لي شيخنا أبو محمد ابن القطان أنه كان يكتب ثلاث عشرة طريقة هو فيها كلها مجيد. قال المصنف عفا الله عنه: قد رأيت منها أربع طرائق، **وهي كما وصف شيخنا أبو محمد**».

(1) الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول (ص191).

(2) الذيل والتكملة، السفر الأول (ص560).

(3) نفس المصدر (ص562).

وفي ترجمة ابن دحية الكلبي قال: «وأنشدني شيخنا أبو محمد حسن بن القطان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أبي الخطاب ابن الجميل لنفسه فيما أذن له في روايته عنه، وأنشده إياه أبو إسحاق الواعظ قال: أنشدني أبو الخطاب لنفسه في نسخ الأحاديث المشهورة بالضعف:

أَحاديثُ نَسطورٍ وَيَسرٍ وَيَغنُمٍ وَقول أَشَجّ الغَربِ بعدَ خِراشِ
وَنَسخَةُ داوود وَأَخبارُ تِربِهِ أَبي هُدبَةَ البصري شِبهُ فراشِ»[1]

وللإشارة فقط فالبيتان وكما ذكر الدكتور بنشريفة ـ حفظه الله وشفاه ـ للحافظ أبي طاهر السلفي، وأكثر الذين يذكرونهما لا ينسبونهما لقائلهما، وبغير هذا اللفظ، وأكثر ألفاظهما ورودا عندهم:

أَحاديثُ نَسطورٍ وَيَسرٍ وَيَغنُمٍ وَبَعدَ أَشَجَّ الغَربُ ثُمَّ خِراشِ
وَنَسخَةُ دينارٍ وَأَخبارُ تِربِهِ أَبي هُدبَةَ القَيسي شبهُ فراشِ[2]

هذا، وليُعلم أن ابن دحية يروي بالإجازة عن الحافظ أبي طاهر السلفي[3]، وأن البيتين يرويهما الحافظ أبو عمر ابن عات عن أبي طاهر مباشرة؛ سمعهما فيما قرئ عليه، كما نقل المَقَّري في أزهار الرياض من رواية الحافظ ابن رُشيد السبتي رحم الله جميعهم[4].

---

(1) الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول (ص219)، وفي البيت الثاني: «أبو هدبة»، ولعل ما أثبتت هو الصواب.

(2) ينظر موضوعات الصغاني (ص33)، والنكت على مقدمة ابن الصلاح (2/ 277)، كشف الخفا(2/ 561).

(3) ينظر الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول (ص217).

(4) أزهار الرياض(2/ 354).

نعود إلى ما كنا فيه: ومما رواه ابن عبد الملك عن شيخه قال: «وحدثني **القاضي** أبو محمد حسن بن علي بن القطان، عن التاريخي العدل أبي يعقوب ابن الزيات قال: «أخبرنا أبو عبد الله ابن خالص الأنصاري قال: سمعت الشيخ أبا الحسين يحيى بن محمد الأنصاري المعروف بابن الصائغ يقول: زرت أبا يعزى... »[1] فذكر حكاية في كرامات هذا الأخير.

فمن هذا الذي سُقْتُ من كتاب الذيل والتكملة لابن عبد الملك يمكن الخروج بما يلي:

1. أنَّ أبا محمد ابن القطان من قضاة دولة بني عبد المؤمن، وخُطَّة القضاء تستلزم فيمن يتولاها أمورا عليها اتفاق الأئمة العلماء، وهنا أنقل بعض ما قاله أبو الحسن البناهي[2] في كتابه تاريخ قضاة الأندلس، قال رحمه الله: «وخُطَّة القضاء في نفسها عند الكافة من أسنى الخطط؛ فإن الله تعالى قد رفع درجةَ الحكام، وجعلَ إليهم تصريفَ أمور الأنام، يحكمون في الدماء والأبضاع والأموال، والحلال والحرام. وتلك خطة الأنبياء ومن بعدهم من الخلفاء: فلا شرفَ في الدنيا بعد الخلافة أشرفُ من القضاء. ولِأجلِ مُنيف قَدْرِه في الأقدار، ولِسُمُوِّ خطرِه في الأخطار، اشترط العلماء في مُتَوَلِّيه، من شروط الصحة والكمال، ما تقرر في كتبهم، واستَبعد حصولَ مجموعِه الأئمةُ المقتدى بهم. فقد نُقل عن مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان يقول في الخصال التي لا يصلح القضاء إلا بها: لا أراها تجتمعُ اليومَ في أحدٍ؛ فإذا اجتمع منها في الرجل خِصلتان: العلم والورع، قُدِّم. قال عبد الملك بن حبيب في كتابه: وإن لم يكن عِلْمٌ،

---

(1) الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الثاني(ص418).

(2) هذا هو الصحيح في نسبته كما حققه الدكتور بنشريفة وأخبرنا به وليس «النباهي» كما هو شائع.

فعقلٌ وورعٌ؛ فبالعقلِ يُسأل وبه تَحصُلُ خصال الخير كلها؛ وبالورعِ يَعِف؛ وإن طلبَ العلمَ وَجَدَه ؛ وإن طلبَ العقلَ، إذا لم يكن عنده، لم يجده»[1].

2. أن له عناية بالأدب، واهتمام بالشعر؛ فهو يرويه ويستحضره ويحفظه؛ وقد ذكر ابن عبد الملك مقطوعات في الأماكن التي أشرت إليها غيرُ التي نقلت منها هنا يقول فيها: «أنشدنيها شيخنا أبو محمد ابن القطان».

3. أنه كان شديد الحرص على رواية الأخبار وإسنادها، والنظر في أحوال الرجال ووصفها.

4. أنه كان ثقةً فيما ينقل، عدلا فيه، ضابطا له، فقد نقل عنه ابن عبد الملك أخبارا عن أبيه وأكّدَ موافقتها لما رواه عن غيره من الشيوخ، واعتمده في وصف طرائق ابن المناصف في الخط، ثم عاين ذلك بنفسه فوجد كلامه كما وصف، ولا يغيب عنا هنا أن ابن عبدالملك من أبعد المؤرخين عن المجاملة وأكثرهم إعمالا للنقد والتمحيص.

5. أن له مجلسا يذاكر فيه، وتلامذة غير ابن عبدالملك أخذوا عنه العلم ، فقول الأخير «وحدثنا **عنه** شيخنا **القاضي** أبو محمد حسن بن علي ابن القطان»، ينبئ بذلك، فلم يكن ابن عبدالملك وهو المميز لألفاظ الرواية، العارف بصيغها وما تعنيه لِيستعمل صيغة التحمل «**حدثنا**» المفيدة للجمع لو كان حدثه وحده فقط، ونحن نجده يستعمل صيغة «**حدثني**» بالإفراد في مواضع أخرى كما مرّ آنفا.

6. أنه من مواليد العقد الثامن من القرن الهجري السادس؛ أي في حدود(570هـ) فما بعدها، فأقدم شيوخه وفاة هو أحمد بن سلمة الأنصاري اللورقي، توفي سنة(598هـ)، ثم إن هذا الشيخ غادر مراكش قبل هذا التاريخ بكثير، وذلك

(1) تاريخ قضاة الأندلس(المرقبة العليا) (ص:2).

سنة(585هـ)، ونعلم أن أبا الحسن ابن القطان كان في هذه المدة على صلة وثيقة بخلفاء الدولة الموحدية، وأن المنصور الذي حكم بين(580هـ و595هـ) هو أول من قربه وأحظاه[1]، وغالب الظن، إن لم يمكن القطع، أن ابنه الحسن كان وقتها صغيرا يعيش في كنفه، فيكون أخذُه عن الشيخ المذكور بمراكش في السنة التي غادرها أو قبلها. وهذا يرد قول محقق كتاب نظم الجمان الذي قال: إن أبا محمد ابن القطان ولد في حدود(585هـ). والله أعلم.

وهناك شيء آخر يستخلص من تلك النقول وإن كان من تحصيل حاصل: أن ابن القطان توفي قبل تلميذه ابن عبد الملك وربما قبل تحريره لبعض المواد التي أخذها عنه، فهو يتبع ذكره في أحيانا كثيرة بقوله: «رحمه الله».

ومما سبق عرضه واستخراجه يمكنني صياغة تحلية لابن القطان، وإن لم أعرض بعد كل أخباره فأقول: **هو الشيخ، المؤرخ، الفقيه، القاضي، الورع، الثقة، العدل، الضابط، المعتني بالرواية والنقد، المهتم بإنشاد الشعر وحفظه، والاشتغال بالأدب واستعذابه.**

وهذا الذي خلصت إليه وقفت مؤخرا ـ والحمد لله ـ على ما يزكيه ويقويه، وذلك في التحلية التي ضمنها الحسن الرهوني صدر الأرجوزة التي نظم فيها كتاب الإحكام من آي خير خيرة الأحكام حيث قال[2]:

فريد هذا العصر في العلوم وحَبْرُه المستوثِقِ المعلومِ
العالمُ العلامة النحريرُ خالي السّريُّ الأفضل المبرورُ[3]

(1) نظم الجمان (ص17) (مقدمة المحقق).
(2) نظم الدرر(1/ 142-143).
(3) نظم الدرر(1/ 142) البيتان (40-41).

وبقي لي بعد هذا أن أذكر مؤلفات ابن القطان الابن وآثاره العلمية، وحتى لا أجعل الكلام هنا في سياق واحد، رأيت أن أجمع بين ذكرها وبين السبب الباعث على تأليفه لها؛ إذ إن المناسبة بين الأمرين قوية، وسيتبين هذا في المحور الآتي.

❁ مؤلفات أبي محمد بن القطان والباعث على تأليفها:

تؤكد العناوين الموجودة من مؤلفات ابن القطان أنه من علماء القرن الهجري السابع المتخصصين في علم السيرة النبوية، المبرزين في التأليف فيها؛ فجلُّ مؤلفاته في موضوعها، وقد سلك في وضع الغالب منها طريقةَ الإفراد؛ وأقصد بها أنه ألَّفَ في كل موضوع من موضوعاتها كتابا مستقلا، وهذه قائمة الكتب التي ألفها:

1. كتاب الإعلام بما للنبيﷺ من واضح الأعلام، أشار إليه الحسن الرهوني في نظم الدرر[1].

2. وكتاب الإتمام لكتاب الأعلام لما للنبي ﷺ من أوضح الأعلام. نسبه المؤلف لنفسه في كتاب السلك المثنى النظام[2].

3. الأحكام من آي خيرة خير الأنام أو الأحكام لسياق ما لسيدنا محمدﷺ من الآيات البينات والمعجزات الباهرات والأعلام. من نسخه المخطوطة: نسخة في خزانة جامع القرويين بفاس، تحت رقم: (243) وهي غير تامة. ونسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم: (316)، ومنه نسخ أخرى. نسبه المؤلف لنفسه في كتابه الروضات البهية الوسيمة، وفي كتابه السلك المثنى النظام، ونسبه له تلميذه ابن عبد الملك في الذيل والتكملة، وابن عذاري في البيان المغرب[3].

---

(1) نظم الدرر(1/ 142) البيت(38).

(2) السلك المثنى النظام(38/ أ).

(3) السلك المثنى النظام ص36، والذيل والتكملة، السفر الخامس(1/ 288)، والبيان المغرب ص:446 (قسم الموحدين).

4. وكتاب مناجاة الأبرار، نسبه المؤلف لنفسه في كتابه السلك المثنى النظام، ونسبه له ابن عذاري في البيان المغرب[1].

5. وكتاب انسجاماتِ الصحابة بكرامات الصحابة. نسبه المؤلف لنفسه في كتاب السلك المثنى النظام أيضا[2].

6. وكتاب السلك المثنى النظام بما للصحابة الكرام على جميعهم الرضوان والسلام من الكرامات والمكرمات. نسبه المؤلف لنفسه في كتابة الروضات البهية الذي بعده[3].

7. وكتاب الروضات البهية الوسيمة في الغزوات النبوية الكريمة[4]. وأعمل على تحقيقه على نسخة مخطوطة بجامع القرويين بفاس.

8. وكتاب المسموعات، فيه قصائد متخيرات فيما يخص المولد الكريم وشهر رجب وشعبان ورمضان. نسبه للمؤلف ابن عذاري في البيان المغرب[5].

9. والمرشد لآثار المولد، ذكرت خديجة البدوي أن أبا محمد ابن القطان أشار إليه في كتابه شفاء الغُلل[6].

---

(1) السلك المثنى النظام(104/ ب)، والبيان المغرب:446 (قسم الموحدين).

(2) السلك المثنى النظام(1/ ب).

(3) ذكره عبد الحي الكتاني أيضا في كتابه تاريخ المكتبات الإسلامية ومَن ألف في الكتب ضمن نفائس مكتبة القرويين(ص123).

(4) المصنفات المغربية في السيرة النبوية ومصنفوها، لمحمد يسف(1/ 267).

(5) البيان المغرب ص: 446 (قسم الموحدين).

(6) في دراستها لكتاب نظم الدرر(1/ 93).

10. وشفاء الغُلَل في أخبار الأنبياء والرسل. نسبه للمؤلف ابن عذاري في البيان المغرب[1]. منه نسخة بالخزانة الحسنية بالرباط تحمل رقم:(671).

11. وكتاب نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان. مطبوع بتحقيق الدكتور محمود علي مكي، صدر عن دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى سنة(1990م).

وباستثناء الكتاب الأخير، فإن جميع كتب ابن القطان الابن لم تر النور بعد؛ وقد قيض الله لتحقيق عددٍ منها والانكباب على نفض الغبار عنها في السنتين الأخيرتين مجموعةً من الباحثين المتخصصين في السيرة النبوية، من خريجي وحدة التكوين والبحث في المناهج العلمية لدراسة السيرة النبوية التي أتشرف بكوني واحدا منهم، والتي يعود الفضلُ في تأسيسها بعد الله عز وجل لشيخنا محمد باقشيش أبي مالك، ولأساتذتنا الأجلاء في شعبة الدراسات بكلية الآداب ـ جامعة ابن زهر بأكادير، حفظ الله جميعهم وأجزل لهم المثوبة. ولله الحمد والمنة. وبخصوص كتاب السلك المثنى الذي أعرف فإن الزميل الأستاذ الحسن البربوشي يعمل على تحقيقه ودراسته، ونرجو لنا وله من الله العون والسداد.

أما باعثُ أبي محمد ابن القطان على وضع تلك التصانيف الحفيلة والدواوين الجليلة فهو الخليفة الموحدي أبو حفص عمر بن إبراهيم الملقب بالمرتضى. وقد دأب المؤلف نفسه على ذكر هذا الباعث في أغلب مقدماته كتبه التي وصلت إلينا، وهو ما أشار إليه أيضا الحسن الرهوني في نظم لكتاب الإحكام بقوله:

---

(1) البيان المغرب ص: 446 (قسم الموحدين)، والمصنفات المغربية في السيرة النبوية ومصنفوها(1/ 267).

وكلهـــا كان بـــأمر صـــادرِ   مـــن الإمـــام الحـــائز المـــآثرِ
خليفـــة الله الذي ارتـــضى   وَالى عليـــه كلَّ حـــينٍ الرِّضـــا
وكان هـــذا الـــشان لـــم يُنْـــدَب لهُ   خليفـــةٌ ولا إمـــام قَبلـــهُ

فقد كان المرتضى ـ رحمه الله ـ من الخلفاء المولعين بالعلم، المطالعين للكتب، الآمرين بتدوينها وتصنيفها ونشرها، وفي وصف هذا يقول محمد العابد الفاسي: «وأنت عليم بأن أبا حفص المرتضى هذا المتوفى عام 665هـ كان عصره في ميدان العلم ونشر الدين من أزهى العصور الموحدية، وهو نفسه كان له تعلق بالعلم معتنيا بأهله، باذلاً نفيس أوقاته وعزيز أمواله في اقتناء الكتب وجمع الذخائر، وانتسخ بخط يده عدة كتب، وهو الكاتب للمصحف الكريم الذي تحدث الناس عنه كثيرا، وكان مكتوبا في أجزاء عشرة، حبس ربعه على مسجد السقاية الذي بناه بحضرة مراكش بتاريخ 656 ... ومن الكتب التي انتسخها بخط يده نسخة من الموطأ في سفرين، انتسخها من عتيق...»[1]. وكان رحمه الله يقوم بليلة المولد النبوي الشريف، وكان أشار له بذلك أبو القاسم العزفي مؤلف الدر المنظم في مولد النبي المعظم.

(1) الخزانة العلمية بالمغرب (ص:15) وينظر تتمة الكلام فيه.

⊠ وصف ما هو موجود من مخطوطة الكتاب:

يوجد من «كتاب السلك المثنى النظام» السفر الأول فقط، منه نسختان خطيتان، الأولى بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم (223) وهي تامة، عدد صفحاتها 306 صفحة، بحسب الترقيم الذي أحدث على أعلى صفحاتها، مسطرتها 22 سطرا، في كل سطر من ست إلى عشر كلمات، كتبت فيها جلُّ عناوين الأبواب والفصول وأسماء الأعلام وعبارات الرواية بخط بارز بالحبر الأحمر، خطها مغربي وسط حسن، على طررها الداخلية أثر الأرضة، وليس لذلك تأثير على متن الكتاب إلا على بعض الكلمات، والنسخة عارية من ذكر اسم الناسخ وتاريخ النسخ، ويظهر أنها مصححةٌ ومقابلة بنسخة أخرى، إذ هناك إشارات في الطرر إلى الاختلاف الحاصل بين هذه النسخة وغيرها.

تبتدئ هذه النسخة بما نصه: «قال العبد الفقير إلى رحمة الله عز وجل ومغفرته، حسن بن علي بن محمد بن عبدالملك ابن القطان وفقه الله تعالى وسدده بمنّه آمين: الحمد لله مبدع المصنوعات بحكمته، وموجد الموجودات بقدرته، ومجري الأحكام العادية على نظام لا تبديل فيه لسنتِه، ولا تغيير لخلقتِه، ولا انخراق لمستتبِ ما جرى من فطرته، لما أحكم من صنعته، إلا أن يأمر جلّ وعلا بخرق شيء من ذلك لنبي برهاناً لنبوته، أو لولي إظهاراً لحظوته عنده سبحانه وأثرته، فتنخرقُ العادة لهما بمشيئته، وتشرقُ أنوار الاعتناء برحمته ومنّته، أحمده جلا وعلا حمداً دائما بدوام ربوبيته، أبديا لا انقطاع لأبديته، وأشكره سبحانه على ما أنعم وأسبغ من آلائه ونعمته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمد عبده ورسوله شهادة أرجو بها دخول جنته، والفوز بتجاوزه وعفوه ومغفرته، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمدٍ المصطفى الكريم المختار من جميع بَرِيّته، الذي صمته لفكرته ونظره وعبرته؛ لتبليغه لوحيه وسنته وحجته، وعلى آله وعِترته وصحبه الأكرمين وأسرته، وأزواجه أمهات المؤمنين وذرياته، وسلم تسليما زاكيا عليه وعليهم وعلى جميع زمرته.

ورضي الله عن الإمام المعصوم المعلوم المجدد لما دَرَسَ من ملَّته، والمحيي لما طُمس من شريعته، وعن غلبائه الراشدين المرشدين الحافظين لدولته، القائمين بكلمته العليا ودعوته، وعن الأمير الطاهر أبي إبراهيم بن سيدين الخليفتين الإمامين أمير المؤمنين الذي كانت الطهارة راسخة في سَجِيّته، والتقوى ملازمة لعمله.

ونصر الله الخليفة سيدنا ومولانا الإمام أبا حفص عمر بن سيدنا الخليفة أمير المؤمنين بن سيدنا أمير المؤمنين نصرا مؤزرا يجعل الأقاليم كلها في حوزته، والشاسع والداني والموالي والمعادي في طاعته وقبضته، وفتح له فتحا مبينا يملأ الأرض بأنوار بهجته، وتعمُّ آثاره الطول منها والعرض في جميعِ مدّته، وجعل ذلك كلمة باقية في عقبه ناجزة لهم به صادقاتٌ تباشيرهُ وعدَّتهُ بجوده وفضله ورحمته.

أما بعد: فإن الأمر المطاعَ العليَّ المُـؤْمنيَّ المرتضى أدام الله بهاء الدنيا بطول بقائه، واعتلاءَ الدين ببسوق اعتلائه...».

وتنتهي النسخة بقول المؤلف: «وعن حنظلة بن نعيم قال: لما ضرب ابنُ ملجم ـ لعنه الله ـ عليا رحمه الله تعالى ورضي الله عنه/ ...[ص307] فإني لا أخرجه لك أبدا فشق لحييه واستخرج لسانه بين لحييه فقطعه.

كمل السفر الأول من كتاب السلك المثنى النظام بما للصحابة الكرام عليهم الرضوان والسلام من الكرامات والمكرمات العظام، بحمد الله تعالى وحسن عونه، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[1].

وأما النسخة الثانية من السفر الموجود، فتحتفظ بها خزانة جامع القرويين تحت رقم(243)، ناقصة الأول بصفحة، والنصف الأعلى من الصفحة الأخيرة، عدد لوحاتها 117، مسطرتها 21 سطرا، في كل سطر 10 كلمات، يزيد العدد وينقص، وخطها مغربي واضح، كتبت فيها عناوين الأبواب والفصول وأسماء الأعلام وعبارات الرواية بخط سميك، بعضه بالحبر الأسود والآخر بالأحمر، عارية من ذكر اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

---

(1) وقع سقط في أثناء هذا الحديث في النسختين معا، ولعل ذلك يرجع إلى أحد أمرين لا ثلاث لهما: إما أن تكون إحدى النسختين منقولة عن الأخرى، وكان وقع ذلك السقط في التي هي أصل، وهو ضعيف، والثاني أن المؤلف أو الناسخ قد عمد إلى حذف ذلك من الحديث؛ لتضمنه كيفية الاقتصاص من ابن ملجم، وهذا قوي، ويزيد من قوته ترك فراغ مكانه في النسختين معا. والله أعلم.

وهذا نص الحديث كاملا كما أخرجه الإمام أبو بكر الآجري في كتابه «الشريعة»، من طريق علي بن حنظلة بن نعيم عن أبيه قال: «لما ضرب ابن ملجم علياً رضي الله عنه قال علي: احبسوه، فإنما هو جرحٌ، فإن برئت امتثلت أو عفوت، وإن هَلَكتُ قتلتموه. فجعل عليه عبد الله بن جعفر، وكانت زينب بنت علي تحته، فقطع يديه، وفَقَأَ عينيه، وقطع رجليه، وجدعه، وقال له: هات لسانك. فقال له: إذ صنعتَ ما صنعتَ فإنما تستقرضُ في جسدكَ، أما لساني ويحك فدعه أذكر الله عز وجل به، وإني لا أخرجه لك أبدا، فشق لحييه وأخرج لسانه من بين لحييه فقطعه، وحمّى مسمارا ليفقأ به عينيه، فقال: إنك لتكحل بملمول مضر (ممض)، فجاءت زينب تبكي وتقول: يا خبيث والله ما ضرت أمير المؤمنين، فقال: علام تبكين يا زينب؟ والله ما خانني سيفي وما ضعفت يدي. كتاب الشريعة(4/ 2107 ـ 2108) رقم(1060).

تبتدئ بقول المؤلف: «... الإمام المؤمن بالله تعالى المرتضى لأمره، أمير المؤمنين أبا حفص عمر بن سيدنا الأمير الطاهر أبي إبراهيم بن سيدنا الخليفة المطاع أمير المؤمنين ابن سيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين نصرا مؤزرا يجعل الأقاليم كلها في حوزته، والشاسع والداني والموالي والمعادي في طاعته وقبضته ...[1/ ب]».

والملاحظ أن بدايتها تختلف مع ما يقابلها في النسخ الأخرى في بعض العبارات، وبالضبط في التحليات المستعملة فيها.

وتنتهي هذه النسخة بـ: «عن حنظلة بن نعيم قال لما ضرب ابنُ ملجم ـ لعنه الله ـ عليا رضي الله تعالى عنه [...] فإني لا أخرجه لك أبدا فشق لحييه واستخرج لسانه بين لحييه فقطعه.

كمل السفر الأول من كتاب السلك المثنى النظام».

⊠ موضوع الكتاب ومضامينه:

يمكن تصنيف «كتاب السَّلكِ المثنَّى النِّظَام» في إطاره العام في كتب السيرة النبوية؛ إذ مفهومُها العام يسمحُ بدخول ما أُلِّف في الصحابة رضوان الله عليهم فيها، ويمكن تصنيفه في حياة الصحابة وسِيَرِهم خاصة، وإذا أردنا التخصيص أكثر قلنا: موضوع الكتاب في فضائل الصحابة ومناقبهم وكرماتهم ومكراماتهم كما جاء في العنوان الذي وَشَّح به المؤلفُ كتابَه، وما نطق به في تضاعيفه، حيث قال: «فعند شروع المملوك في الامتثال، وبروز كتاب انسجاماتِ الصحابة بكرامات الصحابة في حُلَلِه يختال، وإن لم يكن بلغ حينئذ مبلغ التَّمام والكمال، بل هو في زمن التهذيب والتصوير والانفعال، صدر أمر ثانٍ كريمٌ مطاعٌ عالٍ بأن تضافَ إلى الكرامات نُبَذٌ من

فضائلهم رضي الله تعالى عنهم وما لهم من كريم السَّجَايا والخِلال، حتى يكون المجموعُ مشتملاً على الكرامات والمكرمات أوعبَ اشتمال....»[1].

هذا عن موضوع الكتاب، وأما مضامينُه فابن القطان قسَّم كتابه إلى خمسة أجزاء، اشتملت على مقدمتين وثلاثة كتب.

أما المقدمة الأولى فعرّف فيها الصحابي والولي، مستحضرا بعض النصوص الحديثية، وكثيرا من أقوال العلماء، ويحسب للمؤلف هنا تنبيهه على كون لفظة **"الصحابي"** قد وَرَدَ على لسان النبي ﷺ ما هو مشتق منها كما في قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «لا تسبّوا أصحابي» الذي أخرجه مسلم وغيره. وعقد فيها فصلا بيّن فيه مفهوم الكرامة، والفرق بينها وبين الآية والمعجزة، محددا أقسامها، وفي فصل تالٍ قَرر المؤلف أن شهود بدر كرامة، وأن بيعة الرضوان كرامة لأصحابها، وأن هناك كرامات عامة للصحابة ولجماعات منهم رضي الله عنهم، وفي فصل آخر أورد الشواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة وآثار السلف على صحة كرامات الأولياء، وختم هذه المقدمة بتوضيح معنى الفضيلة والمنقبة.

وجعل المؤلف المقدمة الثانية لكتابه تنتظم في فصلين اثنين، فَصَّل الحديث في الأول عن مناقب الصحابة بعموم، مبتدئا بمناقب المهاجرين ثم الأنصار رضوان الله عليهم جميعا، ذاكرا ما جاء من الآيات في فضل سبقهم، وثناء الباري عز وجل عليهم، مستعرضا بعض الأحاديث والآثار والأقوال.

وفي الفصل الثاني تحدث المؤلف عن كرامات الصحابة بعموم أيضا.

---

(1) الورقة [1/ب] من نسخة القرويين وعليها أحيل.

أمـا الكتب الثلاثة فاشتملت على ذكر نُبَذٍ من فضائل الـصحابة الكـرام رضـوان الله عليهم جميعا، ولُمَعٍ من معاليهم[1]، فالمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يستقص كل ذلك، وإنمـا اختـار وانتقى وانتخب؛ إذ فضائل الصحابة ومكرمـاتهم ـ كمـا قال رحـمه الله ـ «لا يمكـن حصرها، ولا يُعبر بحرُها، فمن ذا الذي يطيق إحصاء عدد القطـر والحـصى والـتراب، فحَسْبُ المدفوع لذلك أن يختار منها اللُّبـابَ فاللبـاب»[2]. وقـد أودع الكتـب الثلاثـة ـ كمـا قال ـ مـا تيسَّر له الوقوف عليه من كرامـاتهم الخارقة للعادة.

وأمـا الكتاب الأول فعرض فيه مناقب العشرة المشهود لهم بالجنـة، ومـا وجـد مـن كرامـاتهم، ومـا ساوق ذلك من أنسابهم ومواليدهم ووفيـاتهم، ونحـو ذلـك رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ورتب ذلـك في صـدر وأحـد عـشر بابـا؛ أورد في صـدر الكتـاب الأحاديث الشاهدة لأولئك العشرة بالجنة. وأمـا الأبواب فقد خـصص المؤلـف لكـل واحد من العشرة بابا عرض فيه مـا يخصه مـمـا ذُكر آنفا، والعشرة كمـا نظمهـم أحـد السلف هم:

لقــد بــشرت بعــد النّــبي محمــد ... بجنّــات عــدن زمــرةٌ سُــعداءُ
ســعيدٌ وســعدٌ والــزبيرُ وعامــر ... وطلحــةُ والزهــري والخلفــاءُ[3]

فعامر هو أبو عبيدة بن الجراح، والزهري هو عبد الرحمن بـن عـوف رضي الله تعـالى عنهم أجمعين[4].

---

(1) الورقة [2/ أ].

(2) الورقة [2/ أ].

(3) نسب هذا النظم لأبي طاهر السلفي في كتاب وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام لأبي العبـاس أحمد بن الخطيـب (ص:72)، وذكـره ابـن سـيد النـاس في عيـون الأثـر في فنـون المغـازي والـشمـائل والسير(2/ 415).

(4) الورقة [21].

ويظهر أن أبا محمد بن القطان عَمد إلى بسط ما وقف عليه لكل واحد من العشرة في أربعة فصول، فهذا الذي سار عليه في أبواب الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم - وهي الموجود من الكتاب - حيث يعقد الفصل الأول في ذكر اسم الصحابي ونسبِه من أبويه وحِلْيَته. والفصل الثاني في نبذ من مناقبه وفضائله، والفصل الثالث فيما خرج من فضائله ومناقِبه مخرَجَ الكرامات الخارقة للعادات، ثم الفصل الرابع في ذكر وفاته.

وأشار المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في باب علي رضي الله عنه؛ في الفصل الثاني المخصص لذكر كراماته؛ أنه خصّ أهل البيت النبوي الكريم بكتاب مستقل ضمنه ما لهم من الفضائل والمعالي. ومن ثَمَّ يمكن تصور الكتاب الثالث الذي يفترض أنه وضعه في فضائل ومناقب بقية الصحابة من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم جميعا. والله أعلم.

هذا ما يمكن قوله عن موضوع الكتاب - وبخاصة السفر الموجود منه - ومضامينه باختصار شديد. وللإشارة فالمؤلف لم يغفل ذكر ما للصحابة من الفضائل والمناقب حتى قبل إسلامهم.

☒ من ألف على منواله:

كثيرة هي الكتب المؤلفة في فضائل الصحابة ومناقبهم وكراماتهم، ولعلّ أصحابَ الحديث كانوا سباقين إلى طرق هذا الموضوع؛ إذ خصصوا في مصنفاتهم المشهورة كتبا وأبوابا كاملة لذلك، فنجد في الجامع الصحيح للإمام أبي عبدالله البخاري(ت256هـ): «كتابَ فضائل الصحابة»، وكذا في صحيح الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج(ت261هـ)، وتَرجَمَ الإمام أبو داود السجستاني(ت275هـ) في سننه: «باب في فضل أصحاب رسول الله ﷺ»، وابنُ ماجهْ(ت273هـ) في سننه: «باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ»، وفيه أبواب مفردة في فضل عدَدٍ من الصحابة

الكرام، وللإمـام الترمذي(ت279هـ) في سننه أبواب مفردة أيضا في مناقب كثير مـن الصحابة، ولأبي عبد الله الحاكم النيسابوري(ت405هـ) في مستدركه: «كتاب معرفة الصحابة»، وهكذا فعل جلّ من اعتنى بهذا الشأن.

وبعد أصحاب الحديث بل وفي زمنهم ظهرت مصنفات مستقلة، عُنِي أصحابها بجمع ما روي في فضائل الصحابة ومناقبهم وكراماتهم، ولا شك أن طُرقهم في تحبيرها ومناهجهم في تسطيرها اختلفت، وأن مواردهم في جمعها تنوعت. وأذكر هنا مسردا مختصرا لبعض ما ألف في الموضوع استقلالا، يكون ـ بإذن الله ـ للقصد مستكملا[1]:

1. إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن والسنة من فضائل الصحابة، لمحمد المغربي بن الثباني السطيقي، صدر عن دار الأنصار للطباعة والنشر ـ القاهرة (دون تاريخ).

2. إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل، لمحمد بن محمد بن عبدالله حجازي القلقشندي(ت1035هـ).

3. إتحاف السعداء بمناقب الشهداء (حمزة بن عبدالمطلب)، جمع الشيخ عفيف الدين أبي السيادة عبد الله بن إبراهيم بن حسن ميرغني الحسني المتقي المكي الطائفي الحنفي(ت207هـ).

4. الأربعون في مناقب أمهات المؤمنين، لأبي منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن عساكر(ت620هـ). صدر عن دار الفكر ـ دمشق (1406هـ)، تحقيق محمد مطيع الحافظ، وغزوة بدير.

---

(1) ما أذكره مرتب على الحروف.

5. الأنباء المستطابة في فضل الصحابة والقرابة، لهبة الله بن سيد الكل القفطي الشافعي(ت697هـ).

6. الإيناس بمناقب العباس بن عبد المطلب (عم الرسول ﷺ)، للحافظ أحمد ابن حجر العسقلاني(ت852هـ).

7. التبيان في مناقب عثمان، للحافظ شمس الدين الذهبي(748هـ).

8. تحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة، لابن سيد الناس، أبي الفتح محمد بن محمد صاحب كتاب عيون الأثر(ت734هـ).

9. تحفة الأحباب في فضائل الأصحاب، لمحمد أمين الحامي الهروي(كان حيا 959هـ).

10. تحفة الأخيار في فضائل الأنصار، لابن حسين الأنصاري (نور الدين) (كان حيا 994هـ).

11. تحفة العَجْلان في فضائل عثمان، للحافظ جلال الدين السيوطي(ت911هـ).

12. جزء فيه فضائل أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان، لأبي القاسم عبيد الله بن محمد بن أحمد بن جعفر السقطي(ت604هـ).

13. در السحابة في مناقب القرابة والصحابة، لمحمد بن علي الشوكاني(ت1250هـ).

14. رفع الالتباس في فضائل الحبر ابن عباس، لمحمد بن محمد الإمام(ت745هـ).

15. الرياض النضرة في فضائل العشرة، لمحب الدين أبي عبد الله الطبري، أحمد ابن عبد الله(ت693هـ). صدرت له طبعات منها طبعة المطبعة الحسينية سنة(1327هـ)، وطبعة مكتبة الجندي بالقاهرة(1971م)، تحقيق محمد مصطفى أبو العلاء.

16. زبدة المقال في فضائل الأصحاب والآل، لكمال الدين أبي سالم محمد بن طلحة(ت652هـ).

17. سِيَر السلف ومناقبهم رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من الصالحين، لأبي القاسم محمد بن الفضل الأصبهاني الطلحي(ت535هـ).

18. ظِلُّ الغمامة وطوق الحمامة في مناقب من خصّه رسولﷺ من صحابته بالكرامة، لابن أبي الخصال محمد بن مسعود الغافقي(ت540هـ).

19. فضائل الصحابة، لعبد الملك بن حبيب السلمي الأندلسي(ت238هـ).

20. فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل(ت241هـ).

21. فضائل الصحابة، لبقي بن مخلد الأندلسي(ت276هـ).

22. فضائل الصحابة، للإمام النسائي(ت303هـ).

23. فضائل الصحابة، لخيثمة بن سليمان بن حيدرة الطرابلسي(ت343هـ).

24. فضائل الصحابة، لابن جماعة، إبراهيم بن عبد الرحمن المقدسي(ت764هـ).

25. فضائل الخلفاء الأربعة لأبي بكر أحمد بن إسحاق النيسابوري (ت343هـ).

26. فضائل الخلفاء الأربعة ، لأبي نعيم الأصفهاني(ت430هـ).

27. فضائل الصحابة ومناقبهم وقول بعضهم في بعض، للإمام الدارقطني (ت385هـ).

28. فضائل العشرة، للحاكم النيسابوري صاحب المستدرك على الصحيحين (ت405هـ).

29. المصابيح في فضائل الصحابة، لابن فطيس عبدالرحمن الأندلسي (ت402هـ).

30. المقامات العلية في كرامات الصحابة الجلية، لابن سيد الناس اليعمري (ت734هـ)، صدر عن دار الملاح في دمشق ، بتحقيق عفت وصال حمزة سنة 1986م.

وكما سلف فهذه نماذج فقط لما أُلِّف في الموضوع، وإلا فاستقصاؤها يطول، وللتوسع يمكن الرجوع إلى الفهارس والمعاجم التي استهدفت ذكر ما ألف في الصحابة مثل: معجم ما ألف عن الصحابة وأمهات المؤمنين وآل البيت رضوان الله عنهم، لمحمد بن إبراهيم الشيباني، وهو معتمدي في هذا المسرد.

⊠ مصادر ابن القطان في كتابه

يقفُ القارئ لمخطوطة السفر الأول من «**كتاب السِّلكِ المثنى النظام**» على مجموعة من أسماء المصنفين المشهورين، من أصحاب اللغة، والحديث، والتفسير، والتاريخ، والسير، والتراجم، والأنساب، والتصوف.

فمن أهل اللغة أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، صاحب كتاب العين، ومن أهل الحديث المصرَّح بهم: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، الذي أحال المؤلف على جامعه الصحيح غيرَ مرة، والإمام أبو

الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النسيابوري(ت261هـ)، والإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السُّلمي، الذي تكرر ورود اسمه في تضاعيف الكتاب، ولا شك أن كتب السنن المعروفة كانت مصدرا من مصادر المؤلف وإن لم يجر لديه ورود أسماء أصحابها؛ إذ الغالب عليه عدم ذكر من خرج الحديث، وإنما يكتفي بسوقه من مخرجه الأول الذي يكون في الغالب صحابيا أو تابعيا. وممن يُعَدُّ في أهل الحديث أبو بكر محمد بن الحسين الآجري(ت360هـ)، ويتبين من النقول التي نسبها إليه المؤلف أنه اعتمد على كتابه الشريعة في السنة، ومن أئمة التفسير: أبو محمد سعيد ابن جبير الأسدي الكوفي(ت95هـ)، والحسن بن أبي الحسن البصري(ت110هـ) وأبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي(ت110هـ)، وأما أئمة التاريخ والسير والمغازي والتراجم فمنهم: محمد بن إسحاق(ت151هـ) صاحب الكتاب المشهور في السيرة النبوية، وابن عبد البر الأندلسي(ت463هـ)، صاحب كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب، وقد عوّل المؤلف على كتابيها كما يظهر وإن كان لا يصرح بهما كل مرة، ومنهم المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي البغدادي(ت345هـ)، صاحب كتاب مروج الذهب وغيره من التواريخ، والواقدي محمد بن عمر(ت207هـ)، صاحب كتاب المغازي، والإمام البخاري، حيث نقل المؤلف من تاريخه مرة، والإخباري المشهور أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالله المدائني الإخباري(ت225هـ)، الذي من تصانيفه تاريخ الخلفاء وأخبار أهل البيت. ومن أهل علم الأنساب أبو عبدالله الزبير بن بكار بن عبدالله بن مصعب القرشي الأسدي(ت256هـ)، صاحب كتاب نسب قريش، ومن أهل التصوف أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري(ت465هـ)، نقل المؤلف من رسالته المشهورة بالنسبة إليه(الرسالة القشيرية).

وهناك أسماء غير ما ذكرت نقل عنهم ابن القطان كالقاضي عياض، وأبي حامد

الغزالي، وشيخه أبي سعيد المتراري، والسرِّيِ السقطي، والقاضي أبي بكر بن الطيب الأشعري، وأسماء أخرى أبهمها.

هذا، ولا يمكن القطع فيما إذا كان أبو محمد بن القطان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينقل مباشرة من كتب الأسماء المذكورة أم ينقل عنها بواسطة، لكن المؤكد أن كتبا منها كانت بين يديه، مثل كتب السُّنَّة، وكتاب الاستيعاب، وسيرة ابن إسحاق، والرسالة القشيرية، خاصة وأنه من بيت علم، وتحت إمارة اهتم أمراؤها بالعلم والعلماء وكانت لهم مكتبات وخزائن تضم نوادر الكتب ونفائس المصنفات.

⊠ منهجه فيه

كشف تتبع الكتاب وتصفح لوحاته على أن المؤلف نهجَ فيه من حيث الشكل ترتيبا محكما يشبه إلى حدٍّ ما الترتيب المعتمد لدى كثير من الباحثين والدارسين المعاصرين في رسائلهم ودراساتهم الأكاديمية، فالكتاب ـ كما سلف ـ ينتظم في ديباجة ومقدمتين وثلاثة كتب، ويظهر من السِّفر الموجود منه أن المؤلِّف خصَّ كل صحابيٍّ من الصحابة الذي ساقهم في كتابه ببابٍ مفرد، وجعل تحته فصولا على نحو ما تقدم في الكلام على مضامين الكتاب[1]. وداخل هذه الفصول يقف المتتبع على بعض جزئيات منهج المؤلف التفصيلة من قبيل التمييز بين فقرات الفصول ببعض العبارات التي يكرر إيرادها.

وأما منهج المؤلف من حيث المضمون، فيمكن إجماله في النقط الآتية:

---

(1) فهذه مثلا عناوين فصول باب عمر رضي الله عنه، وهو الثاني في الكتاب: الفصل الأول في ذكر أسمائه ونسبِهِ من أبويه وحِلْيَته. والفصل الثاني في نبذ من مناقبه العَلِيَّة وفضائله الزكية رضي الله تعالى عنه، والفصل الثالث فيما خرج من فضائله الزكيّةِ ومناقِبه العليَّة مَخرَجَ الكرامات الخارقة للعادات رضي الله تعالى عنه، ثم الفصل الرابع في ذكر وفاته رحمة الله تعالى عليه ورضوانه.

× **تحديده المعيار الذي أقام عليه أساس اختيارِه من يدخلهم من الصحابة الكرام رضي الله عنهم في تضاعيف كتابه**، فلم يذكر فيه «من لم يقف له على مستغرب من أحواله، وانحراق عادة في أفعاله، وإنما ذكر فيه من وجدت له كرامة خاصة من كرامات الأولياء أيُّ شيءٍ كانت ولو منامةً صادقة رآها فجاءت كفلق الصبح أو رُئيت له، أو دعوةً استجيبت فيه أو له أو منه أو غير ذلك من أصناف الكرمات»[1].

× تبعا للأول أفصح أبو محمد ابن القطان في الفصل الأول من المقدمة الأولى التي بيَّن فيها معنى الصحابي عن بعض منهجه وذلك عند ذِكرِه للتعريفِ الذي عليه شرط ابن عبد البر الأندلسي في كتاب الاستيعاب فقال: «وعلى هذا شرط ابن عبد البر في الاستيعاب أن يذكرَ في جملة الصحابة كل من كان كذلك، وكذلك ابن فتحون في ذيله وغيرهما. **وقد نسجت على منوالهم في هذا الكتاب**، فذكرت أبا مسلم الخولاني وهو لم ير النبي ﷺ، لكنه أسلم في حياته، وكذلك غيره ممن ولد في حياته ﷺ؛ إذ نالوا بركته بما أُعْطُوا من الكرامات؛ صَدَق عليهم اسم الصحابي أو لم يصدق»[2]. انتهى

× **جرّد المؤلف الأحاديث التي ساقها في كتابه من الأسانيد ومن سلاسل الرواة**، مكتفيا ـ حسب زعمه ـ بالنَّصِّ على من خرّج الحديث، فهو ممن يرى أن الأسانيد إنما يحتاج إليها في الأحاديث التي تقتبس منها الأحكام[3].

×**جمعه بين الروايات المختلفة والترجيح بينها**، فمن جمعه بين الروايات قوله في بداية الفصل الثاني في مناقب أبي بكر الصديق رضي الله وفضائله ـ وهو يذكر سبقه إلى

(1) الورقة [2/ أ].
(2) الورقة [2/ ب ـ 3/ أ].
(3) الورقة [2/ أ ـ ب].

الإيمـان وأوليته فيه، مستندا إلى أقوال جماعة من الـصحابة الكـرام وبعـض التـابعين الأخيار، منهم: حسان بـن ثابـت، وابـن عبـاس، وأسمـاء بنـت أبي بكـر، وإبـراهيم النخعي ـ: «وفي باب فضائل خديجة، رضي الله تعالى عنها، وكرامـاتها أنها أول من آمن، وقيل: أول من آمن زيدُ بن حارثة، وقيل: آمن زيد بعد عـليٍّ وبعـده أبـو بكـر رضي الله عنهم. ولعلّ ذلك يجتمع هكذا: أول من آمن من النـساء خديجـة رضي الله عنها، ومـن الـشباب غـير المكلفين حينئذ علي رضي الله تعالى عنه؛ لأنهم ذكروا أنـه كـان ابـنَ ثمـان، وقيـل ابـن عشرٍ، ثم زيد بن ثابت. وأول من آمن من الرجال المكلفين: أبو بكر الـصديق رضي الله تعالى عنه. وكيف مـا كان فهذه منزلة في السبق إلى الإيمـان لم يُعْطها غـيره»[1]، وأشـار المؤلف إلى هذا ثانية في مناقب علي رضي الله عنه فقال: «وقد تقـدم في بـاب أبي بكـر، رضي الله تعالى عنه، قولُ من يقول إنه أول مـن أسـلم ووجـه العمـل بـالأقوال كلهـا»[2]. لكـن المؤلف رحمه الله يذكر بعد هذا مـا يرجّح سبق بعض الصحابة إلى الإيمـان برسـول الله ﷺ وأوليته فيقول بعد ذكره لحديث سالم بن أبي الجعد أنه قال لابن الحنفية: «أبـو بكـر كان أولهم إسلامـا؟ قال: لا»[3]، وحديثِ سلمـان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «أول هذه الأمة وُرودا على الحوض أولها إسلامـا: علي بن أبي طالب»[4]: «وهذا هو الفاصل في ذلك مع صغر سنه. وأشبه التنزيلات في ذلـك: أن أول مـن آمـن خديجـة رضي الله تعالى عنها، ثم علي على صغر سنّه، ثم من الرجال المكلفين أبو بكـر الـصديق رضي الله

---

(1) الورقة [33/ أ].

(2) الورقة [90/ ب].

(3) الورقة [90/ ب]، وينظر الاستيعاب (3/ 1095).

(4) الورقة [90/ ب]، وينظر الاستيعاب (3/ 1092).

تعالى عنه». واستند في هذا إلى قول ابن عبد البر في استيعابه: «اتفقوا على أن خديجة أول من آمن ثم عليّ بعدها»(1)، ولا يَبْعُد أن ابن القطان استند إلى حديث سلمان رضي الله عنه في ترجيحه لكون ابن عبد البر حكم عليه بالرفع؛ إذ قال: إنه حديث مرفوع، وأن رفعه أولى؛ لأن مثله لا يدرك بالرأي(2). والله أعلم.

* **ترجيحه بين الأقوال الكثيرة بنص الحديث الأقرب إلى الصحة، المتوفر على أكثر شروط الاتصال على ما دونه**، وهذا مما يدلّ على عناية المؤلف بهذا العلم الشريف، فقد ذكر في سبب تسمية أبي بكر رضي الله عنه، بالعتيق سبعةَ أقوال: **الأول**: « ... عن عائشة رضي الله عنها، أن أبا بكر رضي الله عنه، دخل على رسول الله ﷺ فقال: «أنت عتيقُ الله من النار» فيومئذ سمي عتيقاً. **والثاني**: ما روي عن موسى بنِ طلحة: أنه اسم سَمَّته به أُمُّه. **والثالث**: ما روي عن الليث بن سعد: أنه سمي بذلك لجمال وجهه. **والرابع**: ما روي عن مصعبٍ الزبيري وطائفة من أهل النسب: أنه إنما سمي عتيقا لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب عنه. **والخامس**: روي عن آخرين أنه كان له أخوان أحدهما يقال له: عَتيقٌ، والآخر: عُتيقٌ، فمات عَتيقٌ فسمي باسمه. **والسادس**: ما روي عن بعضهم ـ واسمه الفضل بن عباس ـ أنه إنما سمي بذلك لأن أمَّه كانت لا يعيش لها ولدٌ، فلما ولدته بُشِّرت بأنه يَعيشُ، وسُميَ لها عتيقاً؛ بمعنى أنه عَتيقٌ من الموت صغيرا حتى يبلغ أَجَلَهُ. **وقيل**: إن أمه لا يعيش لها ولد فلما ولدته قالت: اللهم هذا عتيقُك من الموت فهَبْهُ لي. والسابع: أنه إنما سمي عتيقا لأنه قديم في الخير». ـ قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ : وهذه كلها وإن كانت محتملة فقد رَجَح عليه الأول؛ لأنه نصٌّ نبويٌّ مرفوع والحمد لله»(3).

---

(1) الورقة [90/ ب]، وينظر الاستيعاب (3/ 1091).

(2) الورقة [90/ ب]، وينظر الاستيعاب (3/ 1092).

(3) الورقة [21/ أ].

× **ترتيبه للأدلة، فيقدم في استدلاله القرآن الكريم ويثني بالسنة النبوية، ثم الآثار والأقوال**، كقوله في فصل الشواهد على صحة كرامات الأولياء: «انخراق العادة للأولياء من قبيل مجوِّزات العقول، ولا مانع يمنع من وقوعه وقد وقع، والدليل على وقوعه الكتاب والسنة والآثار...»[1] ثم يسترسل في عرض الأدلة مرتبة بحسب ما ذَكَر.

× **تنبيهه على اللاحق وإحالته على السابق بما يمكِّن القارئ من الجمع بين أطراف الموضوع الواحد**، مثاله: ذكر المؤلف في مناقب أبي بكر الصديق أنه أولُ من جمع القرآن، خَبَرَ مقتل القراء يوم اليمامة عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، والذي فيه عرضُ عمر ابن الخطاب فكرة جمع القرآن على الخليفة أبي بكر رضي الله عنهما، والذي قَبِلها بعد اعتراضه عليها، ثم كان من زيد بن ثابت ما كان من أبي بكر قبل أن ينشرح صدره لما انشرح له صدره، ووقف المؤلف عند قول زيدٍ: ووجدت آخر سورة براءة مع خزيمة ابن ثابت ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[2]. والشاهد أن المؤلف قال: «وسيأتي تمام هذا الأثر في مناقب عثمان رضي الله تعالى عنه»[3]. وعند بداية ذكره منقبة جمعه للقرآن لعثمان رضي الله عنه قال: «وقد تقدم في مناقب أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عند أمرِه بجمع القرآن أنَّ زيدَ بن ثابت تتبعه من الرقاع والعُسُب واللخاف وصدور الرجال، فاستقرّ تلك الصحف عند أبي بكر، رضي الله تعالى عنه، حتى مات، ثم كانت عند عمر، رضي الله تعالى عنه، حتى مات، ثم كانت عند حفصة رضي الله

---

(1) الورقة [8/ أ].

(2) سورة التوبة: الآية 129.

(3) الورقة [33/ أ].

تعالى عنها. فروى الزهري عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن حذَيفةَ ابنَ اليمان...»[1] الحديث. وكثيرا ما ينبّه المؤلف أن هذا الخبر سيأتي في باب فلان من الصحابة، أو تقدم في باب آخر.

وقد يشير المؤلف إلى أن الأثر الذي يعرضه في مناقب أو كرامات هذا الصحابي فيه أيضا منقبةٌ أو كرامةٌ لصحابي آخر يأتي من بعد، فلا يعيد سوقَ ذلك الأثر بنصّه في الموضع الثاني بل يختصر الكلام اختصاراً، ومثاله قوله في مناقب عمر رضي الله عنه: «وقد تقدمت له رضي الله تعالى عنه مناقب مشتركة مع أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، في باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه؛ كمنقبة وِزَارته للنبي ﷺ، ومنقبةِ صَدَقَتِه بِنِصْفِ ماله، ومنقبة سيادته لكهول الجنّة، ومنقبةِ أخذ النبيﷺ، بيدهِما وهو بينهما وقال: هكذا نُبعث يوم القيام، ومنقبة أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر، ومنقبةِ هذان السمع والبصر، ومنقبةِ اقتدوا باللذين من بعدي، وغيرها، وذلك مغنٍ عن إعادته هنا»[2]. ونَحْوُ هذا قوله في بداية ذكر فضائل عمر، رضي الله تعالى عنه، ومناقبه التي خرجت مخرج الكرامات: «وقد تقدم إيراد جميع ذلك في فصل كرامات أبي بكر، رضي الله تعالى عنه، بما يغني عن إعادته هنا والحمد لله. وكان من كراماته رضي الله تعالى عنه ـ يقصد عمر بن الخطاب ـ ما تقدم إيراده في فصل مناقبه قبل هذا؛ من سماعه من النبي ﷺ جواب ما خطر بباله ساعة خطر فكان ذلك من دواعي إسلامه...»[3].

---

(1) الورقة [77/ ب].

(2) الورقة [62].

(3) الورقة [63/ أ].

×**حكايته ألفاظ الروايات وذكره لطرقها المتعددة**، وهذا ما يلمسه متصفح الكتاب، فأما تعدّدُ الطرق فتكررت في الكتاب عبارة «**وفي رواية أخرى**» بصورة ملفتة للانتباه، وربما يجدها القارئ في أثناء الحديث مرات[1]. أما حكاية المؤلف لألفاظ الرواية، فمنه قول في مناقب أبي بكر رضي الله عنه: «فروي عن عائشة، رضي الله تعالى عنها، أن رسول الله ﷺ، قال: «ما نفعنا مالٌ ما نفعنا مال أبي بكر». وفي رواية: «ما نفعني» في الموضعين.

ومن اهتمام المؤلف بذكر طرق الحديث أنه ذكر حديثا عن زيد بن أرقم في ورع أبي بكر، رضي الله عنهما، جاء فيه أن مملوكاً له أتاه بطعام من عند قوم كان قد مرّ عليهم في الجاهلية فَطَعِم منه أبو بكر قبل أن يسأله من أين أتى به كما هي عادتُه، فلما أَعْلَمه المملوكُ بمصدر الطعام قال الصديق رضي الله عنه: «أفٍّ لك لقد كدت تَهلكني...» الحديث ـ وقد أخرجه أبو نعيم من طريق زيد بن الأرقم ـ فبعد سرد المؤلف لهذا الحديث بتمامه قال: وقد أخرج البخاريُ، رحمه الله تعالى، هذا الحديث من طريق عائشة رضي الله تعالى عنها.

× **الجمع بين مَخْرَجَي المتن الواحد في سياق واحد، أو ما يصطلح عليه بالإسناد الجمعي**؛ إذ يعمد المؤلف أحيانا إلى حديث خَرَج من طريقين، فيعطفهما ويقتصر بإيراد متن واحد، مثاله قوله: «كما روي عن أنس بن مالك وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ، أنه قال: «أبو بكر وعمرُ سيدا كُهول أهل الجنة»، ونحو هذا قوله: وروى بريدة وأبو هريرة وجابر والبراء وزيد بن أرقم وابن عباس وابن مسعود وأنس بن مالك، رضي الله تعالى عنهم، كل واحد منهم عن النبي ﷺ،

---

(1) الورقة [34/أ].

أنه قال يوم غَدير خُمٍ: «من كنت مولاه فعلي مولاه». وبهذا السياق ذكره ابن عبد البر في استيعابه[1]. لكن المؤلف زاد بعد ذلك بذكر حديث أكثرهم مفردا.

وقد يترك المؤلف طريقة الجمع تلك مشيراً إلى أن هذا الأثر مروي من مَخْرجٍ آخر لفظاً ومعنىً، مثاله ما ذكره عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «ما استطعنا أن نصلي [عند الكعبة] ظاهرين حتى أسلم عمر»، قال المؤلف: وعن سعد، رضي الله تعالى عنه، لفظاً ومعنىً. **وربما يذكر المؤلف الحديث من رواية صحابي جليل، ثم يشير إلى كون هذا الحديث رواه جمع من الصحابة**، ومثاله قوله ﷺ يوم خيبر: «لأعطين الرّاية رجلا يحبُّ الله ورسولَه، ويحبُّهُ اللهُ ورسولُه»[2]، فقد ساقه المؤلف من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، ثم لما أراد سوقه في موضع آخر قال: «كما تقدم في حديث سعد، رضي الله تعالى عنه، حين ذكر الراية، وقد رَوَى حديثَ الراية أبو هريرة، وسهل بن سعد، وبُريد الأسلمي، وأبو سعيد الخُدْري، وعبد الله بن عمر، وعمران بن حصين، وسلمة ابن الأكوع، رضي الله تعالى عنهم، بمعنى حديث سعد، رضي الله تعالى عنه»[3].

× **ذكر المؤلف بعض الحوادث القريبة العهد من عصره للدلالة على عِظم ما قام به صحابة رسول الله ﷺ** ـ وخاصة الخلفاء الأربعة ـ **ويشهد بكون فعلهم ذلك من المناقب العظمى**، وأَسُوقُ هنا الحادثتين اللتين ذكرهما عند حديثه عن منقبة جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه للقرآن وتكلميه لما كان شرع فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

---

(1) الورقة [92/ ب]، وينظر الاستيعاب(3/ 1099).

(2) الورقة [91/ أ].

(3) الورقة [91/ ب].

> **أما الحادثة الأولى** فهي قول المؤلف: «تحدث يونس بن عبد الله بن مغيث[1] بقصة القرشي المقرئ بقرطبة؛ أحد ثلاثة مقرئين كانوا بها، كيف شاعت عنه غلطتُه في تنوين الفعل الذي هو «تحيدُ»، وقَصدَ الفاضلُ العالم يحيى بن مجاهد الإلبيري[2] من بلده إليه من أجل ذلك، وكان بينهما وُدٌّ وصداقة. فقال له عند قدومه عليه: طال عهدي بتجويد القرآن وتحسين الأداء، فأنا أريد تجديد العهد بذلك عليك. فأجابه القرشي. فقال: أَبدأُ بالمهمِّ المتكرر في الصلوات؛ وذلك المفَصَّل، فأجابه إلى ذلك، فلما بلغ من سورة «ق» إلى قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ﴾[3] أظهر ترك التنوين، وتخفيف الواو العاطفة، فردّ عليه القرشي مُدغما للتنوين بشدّ الواو هكذا: (تحيد وَّنفخ) فوقف يحيى بنُ مجاهد وقال: ما هذا؟ قال: هو ذا. قال: هذا خطأ. قال: بل هو صواب. قال يحيى بن مجاهد: فَلْتعلم أن سببَ قدومي عليكَ هو شناعةُ ما شاعَ من ذلك عنك، وإنما أُتيتَ من قلَّة علمك بالنحو، فإن هذا فعلٌ، والأفعال لا يدخلها التنوين. فتحيّر القرشي ولم يقنع، فقال له ابنُ مجاهد: بيننا المصاحف، فاستحضروا منها ما أثلج صدره بالصواب، وردَّه إلى الحق»[4].

---

(1) هو أبو الوليد يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث القرطبي، يعرف بابن الصَّفّار: كان قاضيا، وزيرا، محدثا، فقيها، أديبا، شاعرا، عابدا، خاشعا، زاهدا. سمع من ابن الأحمر، وابن الحذاء، وابن مجاهد، وابن زَرب، وهو من أكابر أصحابه. ألّف كتاب الموعب في تفسير الموطأ، وأكثر تواليفه في أخبار الزهّاد وباب الرقائق. توفي سنة (429هـ). ترجمته في: ترتيب المدارك(8/ 15)، والصلة لابن بشكوال(2/ 646)، وبغية الملتمس(ص512)، وسير أعلام النبلاء(17/ 569)، والديباج المذهب(2/ 356).

(2) هو أبو بكر يحيى بن مجاهد ابن عوانة الفزاري الأندلسي الإلبيري الزاهد، قال ابن الفرضي: عُني بعلم القراءات والتفسير، وأخذ نصيبا من الفقه وحجّ فسمع بمصر من أبي محمد بن الورد، وكان منقطع القرين في العبادة والزهد. وكانت وفاته في جمادي الأولى سنة (366هـ).

ترجمته في: تاريخ ابن الفرضي(2/ 188)، وسير أعلام النبلاء (16/ 244)، ونفح الطيب (2/ 630).

(3) سورة (ق): الآية: 19 ـ 20 .

(4) الورقة [78/ أ].

➢ **وأما الحادثة الثاني** فهي قول المؤلف: «وتحدث محمد بن عمر بن لبانة[1] بعكس هذا عن فاجر أدركه بقرطبة أيضا يقال له: محمد بن يوسف بن مطروح الأعرج[2]، وكان يتولى الصلاة بجامعها قرطبة، وكان عديم الورع، قليل الصلاح، قرأ في خطبة الجمعة: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ بنونين، فلما انصرف أتوه، قال ابن لبابة: وكنا نأخذ عنه رأي مالك، فذكرنا له ما سُمِعَ عنه، فَلَجَّ، فحاكموه إلى مصحفه، فدخل لينظر فيه، فلما رأى (عنتُّم) على الصواب، أَلْحق الفاجر نوناً. قال ابن لبابة: لقد خرج إلينا والنون لم يتمَّ جُفُوفُ مدادها». قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينا قصده من إيراد هاتين الحادثتين: «فانظر عِظَمَ فائدة ما انتدبَ إليه هذا الإمام أمير المؤمنين عثمانُ بن عفان رضي الله تعالى عنه والفضلاء الأخيار من أصحاب نبينا ﷺ، ورضي عنهم، من جمعِ الناس على مصحف واحدٍ يُترك ما عسى أن يكون في آحاد المصاحف المتقدمة عنه له يبين لك قدر هذه المنقبة»[3].

قلت: روى ابن حزم الأندلسي الحادثين معا في كتابه الإحكام، وعلق عليهما بقوله: «فالأول ـ المقرئ القرشي ـ واهمٌ مغفلٌ، والثاني ـ ابن مطروح ـ: فاسقٌ خبيثٌ، فلولا كثرة المصاحف بأيدي الناس، لتشكّكَ كثير من الناس في مثل هذا إذا شاهدوه ممن

(1) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن لبابة القرطبي، كان إماما في الفقه، مقدما على أهل زمانه في حفظ الرأي والبصر بالفتوى، انفرد برئاستها أيام الناصر، وكان حافظا لأخبار الأندلس. روى عن عبد الأعلى ابن وهب، وأبان بن عيسى، ومحمد بن أحمد العتبي، وغيرهم. توفي سنة (314هـ). ترجمته في: تاريخ ابن الفرضي (2/ 36)، وترتيب المدارك (5/ 153)، وجذوة المقتبس (71)، وبغية الملتمس (112)، والعبر للذهبي (1/ 468)، والديباج المذهب (2/ 173 ـ 175).

(2) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطروح بن عبد الملك القرطبي، كان فقيها حافظا مبرزا. روى بالأندلس عن الغازي بن القيس، وعيسى بن دينار وغيرهما، ورحل فسمع من سحنون وأصبغ ومطرف وغيرهم، وكانت الفتوى دائرة عليه مع أصبغ بن خليل وعبد الأعلى بن وهب. روى عنه ابن لبابة وغيره، توفي سنة بالأندلس سنة (271هـ) ويقال: سنة(261هـ). ترجمته في: ترتيب المدارك (4/ 248)، والديباج المذهب(2/ 205)، وأخبار الفقهاء والمحدثين للخشني(116)، تاريخ ابن الفرضي (2/ 11).

(3) الورقة [78].

يظنون به خيرا أو علما، ولخَفِي الخطأ والتعمد، فمثل هذا تخويف عثمان رضي الله عنه، ولقد عظمت منفعة فعله ذلك أحسن الله جزاءه»[1].

وذكر الإمام أبو إسحاق الشاطبي الواقعة الأولى في كتابه الاعتصام، فعلق عليها قائلا: «ويا ليت مسألتنا مثل هذه، ولكنهم، عفا الله عنهم، أَبَوْا الانقياد إلى الصواب»[2].

× سبق أن نقلنا عن المؤلف قوله: إنه جمع في كتابه من كرامات الصحابة ما وجده ووقف عليه، وهذا يعني أنه لا يستثني من ذلك شيئا، ولم يضع أمامه ضابطا غير ما نصّ عليه من أنه لن يذكر من الصحابة في كتابه من لم يقف له على كرامة، وهذا ما يفسر **إيراده لبعض تلك الكرامات ولو كانت من حكاية الكهنة وما شابه**، والمؤلف نفسه يقر بهذا عندما يقول في سياق كرامات عثمان بن عفان رضي الله عنه: «وسواء كانت هذه المعرفة - يقصد معرفة عثمان بمصاهرته للنبي ﷺ، عن طريق خالته سُعْدى بنت كُريز وكانت كاهنة ـ عن قول كاهن أو جني أو صنم أو غير ذلك لا نبالي به؛ لأن الزمان كان زمان خرقِ عادة للنبي ﷺ». بل ويقف القارئ لكتاب السلك المثنى النِّظام على بعض الأحاديث - وهي قليلة ـ حكم عليها أهل النقد والصناعة الحديثية بالوضع، وأذكر من هذا القبيل مثالا واحدا وذلك ما ساقه المؤلف في كرامات علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، قال: روي عنه رضي الله تعالى عنه: خرجت مع رسول الله ذات يوم نمشي في طرقات المدينة إذ مررنا بنخل من نخلها فقالت: يا أختاه! هذا محمد المصطفى وعلي المرتضى، ثم جُزناها فصاحت ثانية بثالثة: موسى وأخوه هارون، ثم جزناها فصاحت رابعة بخامسة: هذا نوح وإبراهيم، ثم جزناها فصاحت سادسة

(1) الإحكام في أصول الأحكام(4/ 164).

(2) الاعتصام (2 / 351).

بسابعة: هذا محمد سيد المرسلين وهذا علي سيد الأوصياء، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «يا علي[إنما سمي] نخل المدينة صَيْحَانِياً لأنه صاح بفضلي وفضلك»[1].

فقد أخرج ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هذا الحديث في كتابه الموضوعات وقال: «وهذا من أبرد الموضوعات، وأقبحها، فلا رَعَى الله من عملَه، ولا نشك أنه من عمل الذراع» ـ هو أبو بكر أحمد بن نصر الذراع أحد رجال سند الحديث ـ ثم ذَكَّر بقول الدارقطني في الذراع فقال: «وقد ذكرنا عن الدارقطني أنه قال: هو دجال كذاب»[2].

وقال الحافظ شمس الدين الذهبي في الميزان في ترجمة الذراع وقد ذكر له وغيره: «هذا من إفك الذارع»[3].

وفي هذا الإطار يشار إلى أن المؤلف يَعُدُّ من كرامات الصحابة، رضي الله عنهم، ما اعتبره هو معرفتهم بالغيب واطلاعهم على الأمور المستقبلية، ومراده بهذا ليس المعنى الخاص للغيب الذي لا يعلمه إلا الباري عز وجل، فهو يسوق في هذا كثيرا مما بشّر به رسول الله ﷺ، صحابتَه الكرام أو حتى ما كان من آياته، صلى الله عليه وسلم، ومعجزاته، ويتعلَّل لهذا بمثل قوله: «...وغير ذلك من العجائب والآيات، فهي للنبيﷺ، آيات، ولعلي رضي الله تعالى عنه كراماتٌ»[4]، وهذا في سياق كرامات عليّ رضي الله عنه، مما يدل ـ حسب المؤلف دائما ـ بمعرفة الصحابي ما يستقبل من الأمور الغيبية. ومثل هذا قوله: «وهذا وإن كان شيئا ألقاه رسول الله ﷺ فلا يخرج ذلك أن يكون كرامة؛ لأنه علمٌ بمستقبلٍ على ما وقع عليه بطريق تحقيق»[5].

(1) الورقة [106/ ب].

(2) كتاب الموضوعات الكبرى(2/ 140).

(3) ميزان الاعتدال في نقد الرجال(1/ 308).

(4) الورقة [110/ أ].

(5) الورقة [112/ ب].

ويدخل المؤلف في هذا ـ إضافة إلى ما تقدم على لسانه ـ شيئا من أخبار الكهان والهواتف والجان. ويلاحظ في هذا كثرة تدخله بالاستنتاج والتعليق الوجيز على ما يذكر.

× **اختصار المؤلف أحيانا للأحاديث الطوال مبينا ذلك بقوله: وذكر بقية الحديث بطوله**(1).

× **سرده للأقوال المختلفة في القضية الواحدة وإن تعددت**، كما في سبب وفاة أبي بكر الصديق حيث ذكر أربعة أقوال، وفي حين وفاته خمسة أقوال. وفعل نحو هذا عند ذكره لوقت وفاة عمر رضي الله عنه، قال: «اختلف في وقت وفاته على ثلاثة أقوال»، وبعده قال أيضا في السِّنِّ التي توفي عليها عمر رضي الله عنه: «واختلف يوم مات على ثمانية أقوال»(2).

وبالمقابل قد ينص المؤلف على الاتفاق الحاصل على بعض الأقوال، كقوله: «ولم يختلفوا في أنه - يقصد أبا بكر- توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة، وأنه استوفى بخلافته بعد رسول الله ﷺ سنّ رسول الله ﷺ، التي توفاه الله بها إلا ما لا يصح».

× **تنبيهه ـ أحيانا ـ على القول الصحيح أو الأصح، ومثاله كلامه المتقدم في ذكر سِنّ أبي بكر** رضي الله عنه، ونحوُه قوله في سِنِّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة؛ سنُّ رسول الله ﷺ والصديق رضي الله تعالى عنه في **أصح أقوالٍ ثمانية** في ذلك سنأتي بها إن شاء الله»(3). ومثال **تنبيهه المؤلف على أن الرواية لا تصح**: قوله في صفة عمر رضي الله عنه: «وكان رضي الله تعالى عنه أبيضَ أمهقَ، تعلوه حمرةٌ، طُوالاً أصلعَ

(1) الورقة [73/أ].

(2) الورقة [74].

(3) الورقة [48/أ].

أَجْلَج، شديد حمرة العينين، في عارِضيه خِفَّة. وقيل: كان آدمَ شديدُ الأُدْمَة، كثُّ اللحية، أَعْسَرَ يخضب بالحِناء والكَتَم، هذا هو الأكثر في صفته، وقد **ضعفت رواية الصفة الأولى**[1].

قلت: صحح الحافظ ابن حجر سند ما جاء في صفة عمر من رواية أبي رجاء العطاردي التي خرجها عنه ابن أبي الدنيا. قال أبو رجاء: كان عمر طويلا جسيما أصلع أشعر شديد الحمرة كثير السَّبَلَة في أطرافها صُهُوبة وفي عارضيه خِفَّة[2].

× **عنايته بعلوم اللغة، وبناؤه بعض اجتهاداته عليها**، ويبرز هذا من خلال وقوفه عند بعض الألفاظ المشكلة، وبحثه في الجانب الصرفي، مثاله قول المؤلف في الفصل الأول في أسماء أبي بكر الصديق: «العرب تقول لكل مُتَنَاهٍ في الخير: عتيقٌ، وسميت الكعبة البيت العتيق لذلك، وأبو بكر، رضي الله تعالى عنه، مُتناهٍ في الجَوْدةِ من كل وجه؛ نسبا وشرفا وكمالا وغير ذلك. فقد تكون تسميته بذلك لهذا المعنى»[3]. ومن نفس الموضع قولُه ـ رحمه الله ـ في«صدِّيق»: «وهذه البِنية؛ أعني فِعِّيلا هي للمبالغة، فَصِدِّيقٌ معناه كثير الصدق في القول والعمل، وتلك أعلى مراتب العباد إلى الله»[4].

× **تنبيهه على بعض استطراداته التي يجره الكلام إليها جراً دون قصد منه، وبالمقابل يبين في مواضع أخرى أنه لا يريد الإسهاب أكثر فيما يعرض**، فنجده يقول مثلا: «وقد خرجنا عما أردنا، وتغلغل بنا القول في الاعتبار الذي أوردناه، فالحديث ذو شجون فلنعد إلى ما كنا فيه من تلك الكرامات والفنون»[5]. ويقول: «وليس هذا موضع

(1) الورقة [49/ أ].
(2) الإصابة في تمييز الصحابة(4/ 279).
(3) الورقة [22/ أ].
(4) الورقة [22/ ب].
(5) الورقة [41/ ب].

إطناب في ذلك فلنقتصر على هذا القدر من تصميمه على قتالهم حين ارتد من ارتد منهم ومنع الزكاة من منعها»[1]. ونحوه قوله في مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «وقد نرى أن نقتصر من معاليه التي لا يحاط بوصفها، رضي الله تعالى عنه، ونفعنا بمحبته، على هذا القدر معترفين بالعجز عن إحصائها»[2].

× **إيراده لبعض الأخبار والآثار وإن طالت إذا رأى أنها جامعةٌ لما يريد الحديث عنه، ومستوفيةٌ لغرضه الذي قصد إليه**، مثل قوله: «ونرى أن نأتي هنا بتأبين علي له ـ لأبي بكر ـ رضي الله تعالى عنهما وثنائه عليه بعد موته، لجمعه من مناقبه لما لا يوجد في غيره ولحسن إيراده». ثم قال عند تمامه: «فانظر ما جمع هذا التأبين لمناقبه العلية كلها كأنه جمع تراجم ما سلف بسطه في هذا الفصل وزاد فيه لمن قد قصد الاستماع وعبرة»[3].

هذا ما تيسر لي استخراجه من منهج أبي محمد ابن القطان من خلال السفر الموجود من كتابه **السّلك المثنى النِّظام**، ولا شك أنه لو كان الكتاب موجودا بين أيدينا كاملا بجميع أجزائه لعَرَّفنا أكثر عن تفاصيل معالم منهجه فيه.

---

(1) الورقة [32/ ب].

(2) الورقة [35/ أ].

(3) الورقة [34/ أ ـ 35/ أ].

❁ نتائج وخلاصات

كثيرة هي النتائج الأصلية والتبعية التي خرجت بها من خلال قراءتي لكتاب السِّلك المثنى النّظام، وأكتفي هنا بذكر ما أراه مهما وجديرا بالعرض:

➢ **أولا**: أن أمراءَ المغرب وسلاطينَه كما هو شأن علمائه لم يدخروا يوما جهدا في حفظ المكانة التي بوأها الله عز وجل صحابة رسوله ﷺ، وهذا عهد وثيق، وميثاق غليظ، يقوم بحمله والوفاء به كل من ولي منهم أمرَ هذا القطر العزيز.

➢ **ثانيا**: أن أبا محمد الحسن ابن القطان من شيوخ وأعلام المغرب الكبار في السيرة النبوية العطرة؛ السيرة بالمفهوم العام الذي يشمل أخبار المبتدأ والسير والمغازي وسيَرَ الصحابة وفضائلَهم ومناقبَهم وكراماتِهم، المتخصصين فيه، الضاربين في أعماقه، الكاشفين لأغواره وأسراره.

➢ **ثالثا**: أن كتابه السّلك المثنى النظام ـ على ما يتبين من سفره الأول الموجود بين أيدينا ـ من أوعب الكتب المؤلفة في الصحابة مادة، وأطرفها موضوعا، وأروعها سياقا، وأحسنها ترتيبا، وأجملها تبويبا.

➢ **رابعا**: أن كثيرا من أعلامنا المغاربة لم ينالوا منا حقهم من البحث كليا ولا جزئيا، ومن ثم فعلينا أداء هذا الواجب والقيام بهذا الفرض، بتنظيم ملتقيات وندوات تعرف بهم وبعلومهم، وأرى أبا محمد الحسن ابن القطان من هؤلاء الأعلام ومن أحقهم بذلك.

➢ **خامسا**: أن فتح المجال أمام الباحثين المبتدئين أمثالي سبيلٌ لتحقيق هذه الأماني وطريق إلى استحقاق البشرى والتهاني، وهنا أشكر بعد الله عز وجل من قدمني إلى هذا المقام لأول مرة أستاذي وشيخي الدكتور عبد اللطيف الجيلاني ـ حفظه الله وأنار دربه ـ.

وأختم بالشكر والدعاء الصالح لمن أسهم في هذه الندوة عامة، ثم أخص بالذكر الأستاذة نعيمة بنيعيش وفريقها المتكامل، فجزاهم الله عنا خير جزائه.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، واجعلنا منهم يا ربّ العالمين.

تم بحمد الله

فهرس المصادر والمراجع

أ ـ المخطوطة:

- الروضات البهية الوسيمة في الغزوات النبوية الكريمة، لأبي محمد الحسن بن علي ابن القطان المراكشي. نسخة جامع القرويين.
- السِّلْك المثنى النَّظَام بما للصحابة الكرام على جميعهم الرضوان والسلام من الكرامات المكرمات العظام»، لأبي محمد الحسن بن علي ابن القطان المراكشي. نسخة الخزانة الحسنية، ونسخة جامع القرويين.

ب ـ المطبوعة:

- الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الأندلسي الظاهري، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى 1345هـ.
- أخبار الفقهاء والمحدثين، لأبي عبد الله محمد بن حارث الخشني (ت361 أو 362هـ)، تحقيق: ماريا لويس أبيلا، ولويس مولينا، نشر المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، طبعة سنة 1992م.
- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض وما يناسبها مما يحصل به ارتياح وارتياض، للمقري (ت1041هـ)، نشر صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة، 1398هـ/1978م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تأليف: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبدالبر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الأولى 1412هـ
- الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، مصورة دار الكتب العلمية عن طبعة بلدة كلكتا.
- الاعتصام، لأبي إسحاق الشاطبي(ت790هـ)، المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر.

- الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الإعلام، للعباس بن إبراهيم، تحقيق عبدالوهاب ابن منصور.
- الأعلام، لخير الدين الزركلي، نشر دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة عشرة، يناير2005م.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لابن عميرة الضبي(599هـ)، نشر دار الكاتب العربي،1387هـ/1967م.
- البيان المغرب في اختصار أخبار الأندلس والمغرب ـ قسم الموحدين ـ، لابن عذاري المراكشي، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد بن تاويت، ومحمد زنيبر، وعبدالقادر زمامة، دار الثقافة، الطبعة الأولى 1406هـ ـ 1985م.
- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، لابن الفرضي (ت403هـ)، اعتناء السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية/ 1408هـ-1988م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للإمام المؤرخ المحدث شمس الدين الذهبي (ت748هـ)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربي، لبنان ـ بيروت /1407هـ ـ 1987م.
- تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاة والفتيا)، لأبي الحسن النباهي (كان حيا سنة 792هـ)، نشر المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- تاريخ المكتبات الإسلامية ومَن ألف في الكتب، لعبد الحي الكتاني(ت1382هـ)، ضبط وتعليق: أحمد شوقي بنبين وعبد القادر سعود، منشورات الخزانة الحسنية ـ المملكة المغربية، الطبعة الثانية 2005م.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض (ت544هـ)، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الرباط.
- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي(مقدمة المحقق)، لأبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي المعروف بابن الزيات (617هـ)، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الطبعة الثانية1997م.

- التكملة لكتاب الصلة، لأبي عبد الله بن الأبار (ت658هـ)، تحقيق: عبدالسلام الهراس، دار المعرفة بالدار البيضاء.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس [وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه، والأدب، وذوي النباهة والشعر] لأبي عبد الله الحميدي (ت488هـ)، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- الخزانة العلمية بالمغرب لمحمد العابد الفاسي، مطبعة الرسالة، الرباط.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لبرهان الدين بن فرحون (ت799هـ)، تحقيق: الدكتور علي عمر، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى 1423هـ، 2003م.
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبدالملك المراكشي (ت 703هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت. وتحقيق: الدكتور محمد ابن شريفة، نشر أكاديمية المملكة المغربية، طبعة سنة1984م.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي (ت748هـ)، تحقيق: جماعة من أهل العلم بإشراف شعيب الأناؤوط، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة العاشرة 1414هـ/1994م.
- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت261هـ)، نشر مكتبة الرشد، الرياض، طبعة سنة 1422هـ/2001م.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال (ت578هـ)، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية 1414هـ/ 1994م.
- العبر في خبر من غبر، للذهبي (ت748هـ)، تحقيق: فؤاد سيد، نشر مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الثانية، سنة1984م.
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لأبي الفتح محمد بن محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمري(ت734هـ)، تحقيق: محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين ميستو، مكتبة دار التراث، ودار ابن كثير، الطبعة الأولى1413هـ/1992م.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني(ت852هـ)، مصورة دار الفكر عن الطبعة السلفية.
- كتاب الشريعة، للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري (ت360هـ). دراسة وتحقيق الدكتور عبدالله بن همر بن سليمان بن الميجي، دار الوطن ـ الرياض، الطبعة الثانية/1420هـ ـ 1999م
- كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس لإسماعيل ابن محمد العجلوني الجراحي، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعةالرابعة/1405هـ
- موضوعات الصغاني، للحسن بن محمد بن الحسن القرشي الصغاني، تحقيق: نجم عبدالرحمن خلف، دار المامون للتراث ـ دمشق، الطبعة الثانية/1405هـ
- الموضوعات من الأحاديث المرفوعات، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت597هـ)، تحقيق: الدكتور نور الدين بن شكري بن علي بوياجيلار، نشر أضواء السلف، الرياض الطبعة الأولى/1418هـ ـ1997م.
- المصنفات المغربية في السيرة النبوية ومصنفوها، لمحمد يسف، 1412هـ/1992م.
- معجم ما ألف عن الصحابة وأمهات المؤمنين وآل البيت رضوان الله عنهم، لمحمد بن إبراهيم الشيباني.
- مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، طبعة سنة 2008م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي (ت748هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة ببيروت، الطبعة الأولى/1382هـ ـ1963م.
- نظم الدرر الحسن الرهوني في ترجيز كتاب الإحكام من آي خير الأنام، تحقيق: خديجة أحمد البدوي، ورزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى 2010م.

- نظم الجمـان لترتيب مـا سلف من أخبار الزمـان، لابن القطان حسن بن علي ابن محمـد ابن عبدالملك الكتامي(منتصف القرن السابع الهجري، درسـه وقـدم له وحققـه: الدكتـور محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى/1990م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، لأحمد ابن محمد المقري التلمساني (ت1041ه)، تحقيـق الدكتـور إحـسان عبـاس نـشر دار صـادر ببيروت الطبعة الثانية/2004م.
- النكت على مقدمة ابن الصلاح، لبدر الدين أبي عبد الله محمد بن جمـال الديـن عبـد الله ابن بهادر، تحقيق: د. زين العابدين بن محمد بلا فريج، أضواء السلف ـ الرياض، الطبعـة: الأولى/1419هـ ـ 1998م.
- نيل الابتهاج بتطريز الديبـاج لأحمـد بابـا التُّنبكـتي (ت1036ه) اعتنـاء عبـد الحميـد عبـدالله الهرامـة، منـشورات كليـة الدعـوة الإسـلامية بطـرابلس الغـرب، الطبعـة الأولى/1409هـ ـ1989م.
- وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام، تأليف: أبي العباس أحمـد بـن الخطيـب، دار النشر: دار الغـرب الإسـلامي ـ بـيروت ـ لبنـان ـ1404هـ ـ 1984م، الطبعـة الأولى، تحقيق: سليمـان العيد المحامي.

الــملاحــق

صور من وقائع الندوة



صورة للسيد الأمين العام للرابطة المحمدية الدكتور أحمد عبادي

أثناء إعلانه عن إنشاء «مركز عقبة بن نافع الفهري للدراسات والبحوث حول الصحابة والتابعين» بطنجـــة



صورة لجانب من حضور الجلسة الافتتاحية للندوة



صورة للأساتذة المشاركين في الجلسة الأولى من جلسات الندوة ويظهر فيها السادة الأساتذة

من اليمين إلى اليسار: عبد اللطيف الجيلاني ـ عبد القادر بوباية ـ

أحمد شوقي بنبين ـ عبد الهادي حميتو ـ حمزة أبو فارس



صورة لجانب من حضور إحدى جلسات الندوة



صورة لإحدى جلسات الندوة ويظهر فيها السادة الأساتذة من اليمين إلى اليسار:

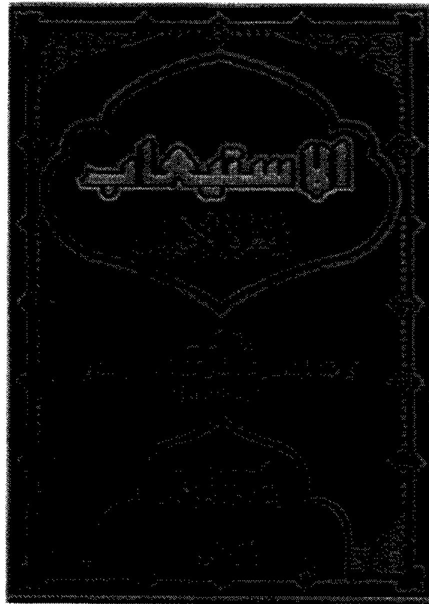
عبد القادر سعود ـ عبد الله البخاري ـ حمزة أبو فارس ـ محمد بنمعمر ـ مصطفى عكلي



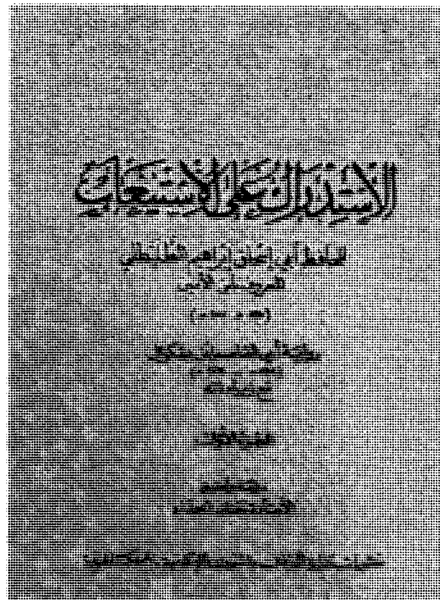
صورة لإحدى جلسات الندوة ويظهر فيها السادة الأساتذة من اليمين إلى اليسار:

محمد الحفظاوي ـ عبد الهادي الحسيسن ـ عبد الله محمد حسن دمفو ـ محمد السرار ـ أحمد الخياطي ـ طارق طاطمي ـ الصادق كورشيد

نماذج مصورة لأغلفة
بعض مؤلفات الأندلسيين في الصحابة



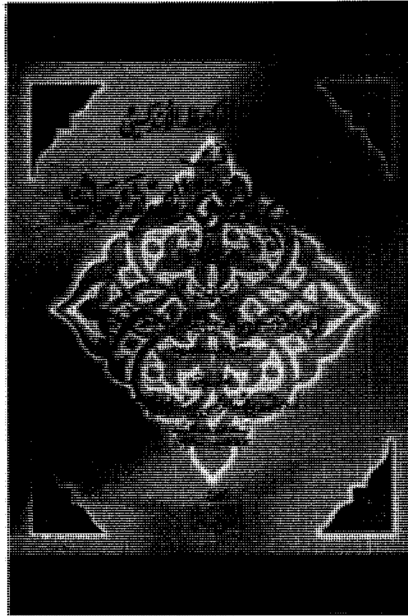
الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر ابن عبد البر النمري(ت463هـ)



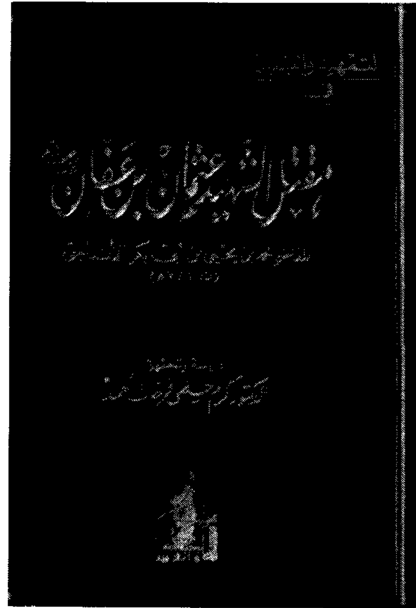
الاستدراك على الاستيعاب لأبي إسحاق ابن الأمين الطليطلي(ت544هـ)



العواصم من العواصم لأبي بكر ابن العربي المعافري(ت543هـ)



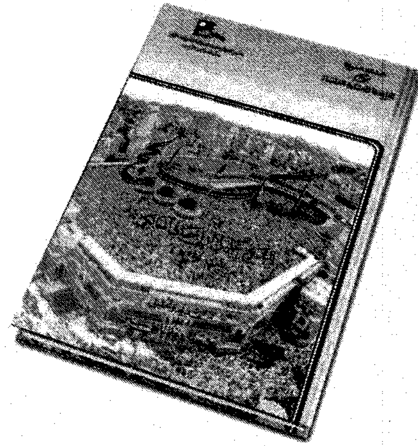
قصيدة الواعظ الأندلسي في مناقب أم المؤمنين الصديقة عائشة رضي الله عنها
لأبي عمران الواعظ الأندلسي(القرن السادس الهجري)



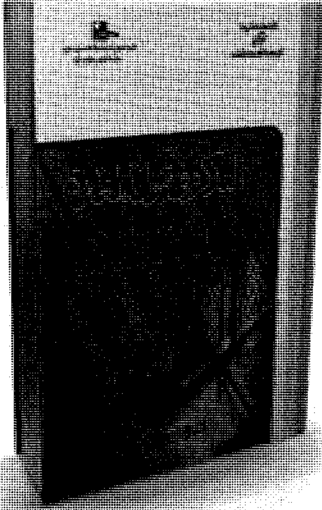
التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمـان لأبي عبد الله ابن يحي المالقي(ت741هـ)

إصدارات

مؤسسة الرابطة المحمدية للعلماء



❁ **مناسك الحج**، للشيخ خليل بن إسحاق المالكي(ت776هـ)، تقديم وتحقيق: د.النّاجي لمين.

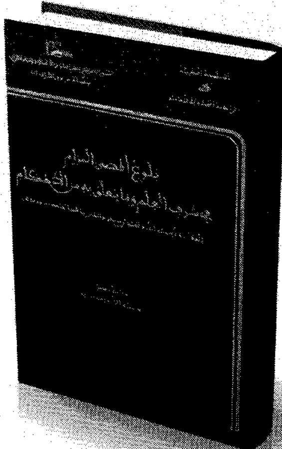


❁ **التَّذكرة في قَبول المعذرة وفيما جاء في العَفوِ عند المقدِرة**، للإمام العلامة الأديب محمد بن عبد الرحيم بن محمد ابن أبي العَيْش الأنصاري التِّلمسَاني (توفي بعد 654هـ)، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن الهيباوي.

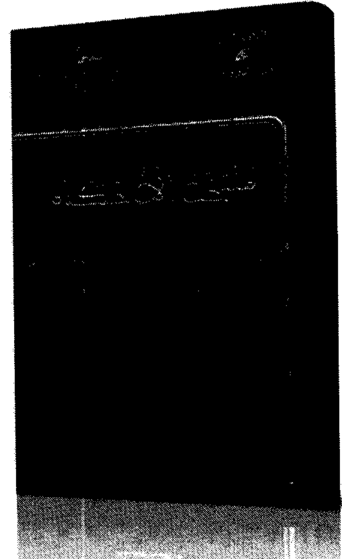




❁ **خَيرُ البِشَرِ بخَير البَشر صلى الله عليه وسلم**، للإمام حجة الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن ظَفَر الصقلي (ت567هـ)، ضبط وتحقيق: لطيفة شوكري وخديجة أبوري.



❁ **بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وما يتعلق به من الأحكام**، للعلامة أبي عبد الله محمد ابن مسعود الطرنباطي الفاسي(ت1214هـ)، دراسة وتحقيق: د.عبد الله رمضاني.



مُنْتَخب الأحـكـام، (في مجلدين) للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم الإلبيري الأندلسي المعروف بابن أبي زمنين(ت399هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمد حماد.



الأَجوِبة، للإمام الفقيه المحدث أبي القاسـم أحمد بن محمـد بن عمر التّميمي المعـروف بابن وَرْد (ت540هـ)، دراسـة وتحقيق: محمد بوخبزة وبدر العمراني.





الانتصَـار لأَهـل المدينــة، لـلإمـام الفقيـه أبي عبـد الله محمـد بـن عمـر ابـن الفخّـار القرطبي(ت419هــ)، دراسـة وتحقيـق: د. محمد التّمسـماني الإدريسي.



تَفسِيرُ سُورة الإخلَاص وتقاييد أخرى في علم التفسير، للإمام العلَامة محمّد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي(ت1376هـ)، دراسةوتحقيق: د. ابراهيم الوافي.

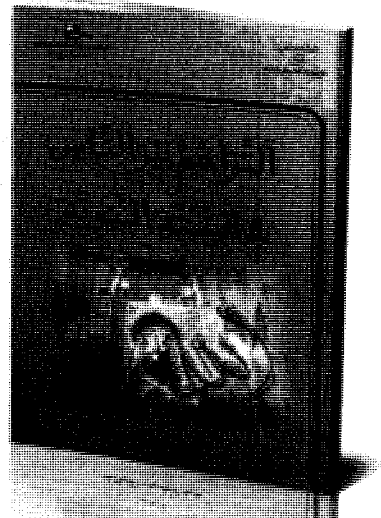


تقييدٌ في ختم الموطّأ، لشيخ الجماعة بالرّباط العلّامة المحدث محمَّد المكّي بن محمّد البِطَاوري (ت1355هـ). تحقيق: ذ. جَمال القديم.



حقُّ الزَّوجة في الكدّ والسعاية، دراسة في التراث الفقهي المالكي، تأليف: ذ. الميلود كعواس.



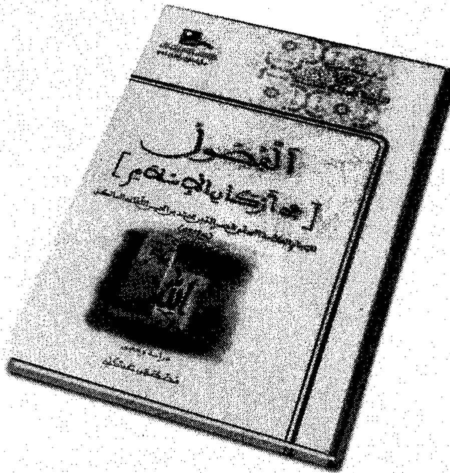


التَّراحم بين النَّاس في السُّنَّة النبوية، تأليف: د. عبد اللطيف الجيلاني.



مُرشِدَة الصبيان ومُبصِّرة لمن أرادها من الإخوان، للإمام العلامة أبي سرحان مسعود ابن محمد بن علي جمّوع السجلماسي الفاسي (ت1119هـ)، دراسة وتحقيق: ذ. طارق طاطمي.

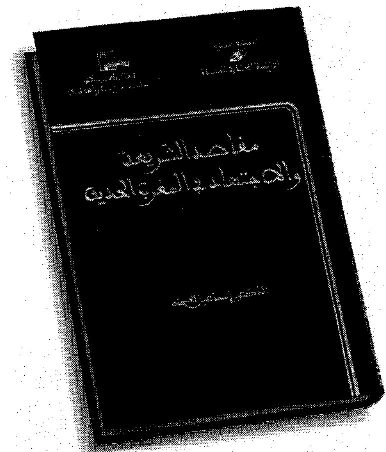




رسالة في السبعة الذين يُظلّهم الله يوم القيامة يوم لا ظلّ إلا ظِلّه، للشيخ الإمام العلامة محمد بن عبد الباقي الزُّرْقاني المالكي (ت1122هـ)، دراسة وتحقيق: ذ. نور الدين شُوبد.

الفُصُول في أركان الإسلام، للإمام العلامة المحقّق ناصر الدين محمد بن الحسن اللَّقَاني المالكي (ت958هـ)، دراسة وتحقيق: ذ. مصطفى عَكلي.

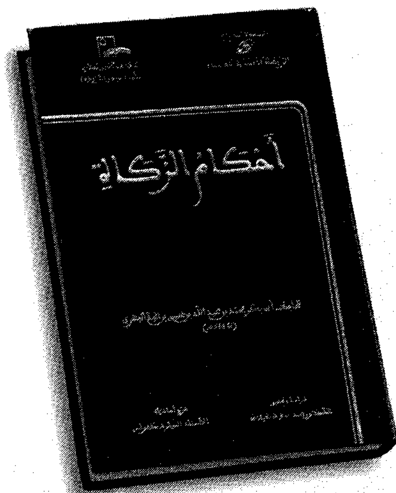




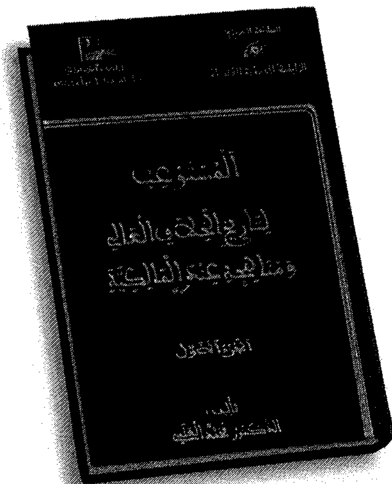


مقاصد الشّريعة والاجتهاد في المغرب الحديث، تأليف: د. إسماعيل الحسني.

أَبُو عِمرَان الفاسي (ت430هـ) حافظ المذهب المالكي، بحوث الندوة العلمية التي نظمها مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء بمناسبة الذكرى الألفية على وفاة أبي عمران الفاسي.

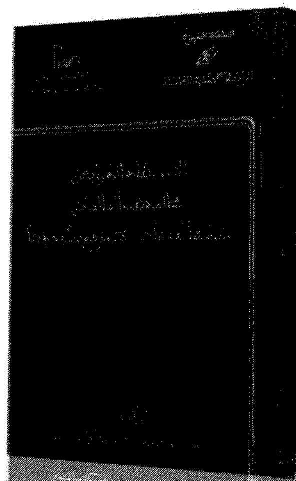


أحكام الزكاة، للحافظ أبي بكر محمّد ابن عبد الله بن يحيى بن الجدّ الفهري(ت586هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد المغيث الجيلاني، خرّج أحاديثه: ذ. الميلود كعواس.



المستوعب لتاريخ الخلاف العالي ومناهجه عند المالكية، (في مجلدين)، تأليف: د. محمد العلمي.

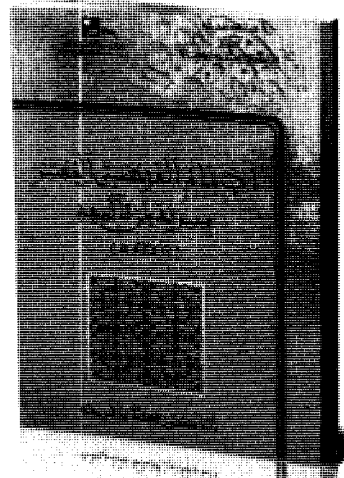




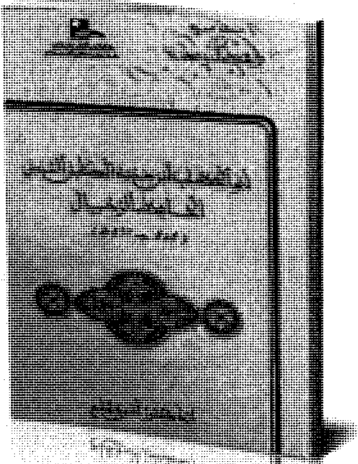
الاجتهاد الذرائعي في المذهب المالكي وأثره في الفقه الإسلامي قديما وحديثا، تأليف: د. محمد التمسماني الإدريسي.



التَّقريب والحرش المتضمن لقراءة قالون وورش، تأليف الفقيه المقرئ أبي الأصبغ عيسى ابن محمد بن فتّوح الهاشمي البلنسي المعروف بابن المرابط (ت 552هـ)، تقديم وتحقيق: د. حسن حْميتُّو.

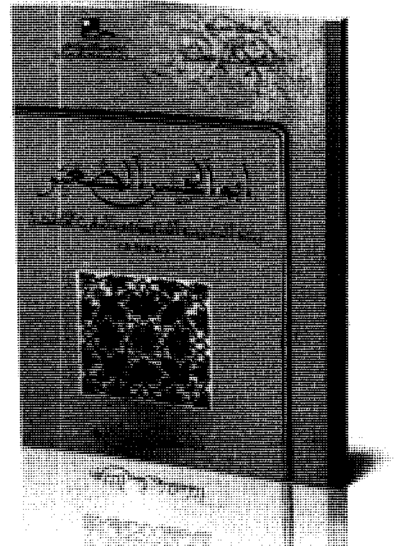


❁ الإمام القرطبي المفسّر سيرته من تآليفه (ت671هـ)، تأليف: د. محـمد بنشريفة.



❁ أبو الخطاب ابن دحية الكلبي السبتي الحافظ الرحال (ت633هـ)، تأليف: د. أنس وجَّاج.

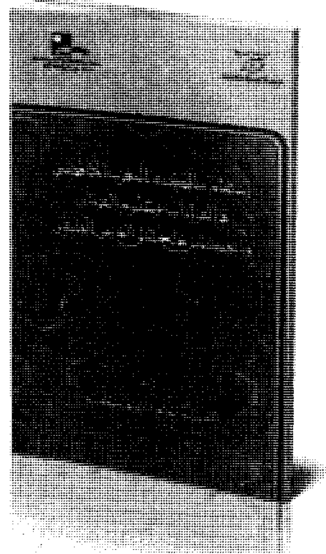




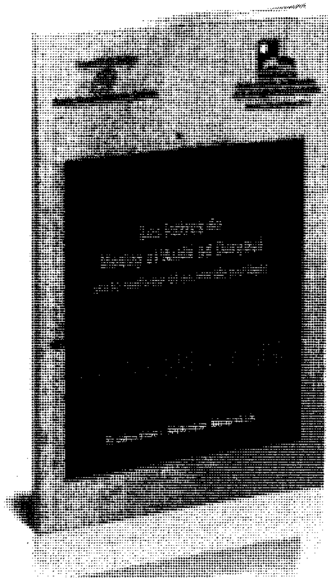
❁ أبو الحسن الصُّغير، رائد المدرسة المالكية بالمغرب الأقصى (ت719هـ)، تأليف: د. لمين النَّاجي.



❁ محمد بن سليمان الروداني، حكيم الإسلام ومفخرة المغرب (ت 1094هـ)، تأليف: د. مصطفى بن عمر المسلوتي.

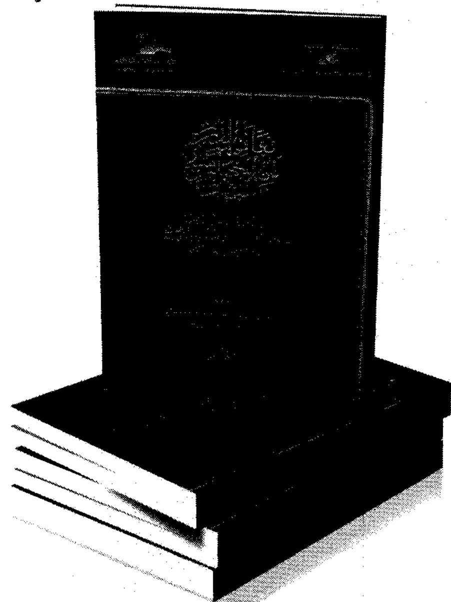


❁ **إسهام مالكية المغرب الأقصى في القراءات وعلوم القرآن وانعكاس ذلك على الدرس الفقهي**، تأليف: د. عبد الهادي حميتو.



❁ **رسائل في الأدب والسلوك، للإمام أبي عبد الله** العربي بن أحمد بن الحسين الدرقاوي الحسني (ت1239هـ)، ترجمة: ذ. عبدالإله المكاوي.

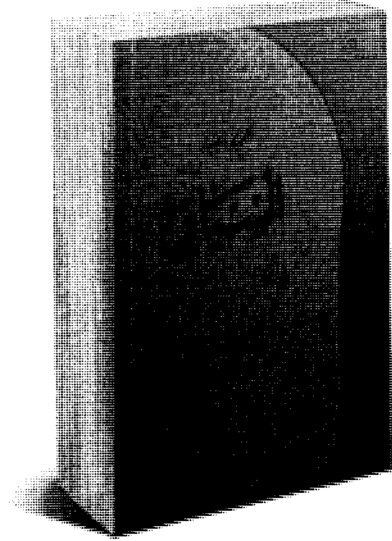




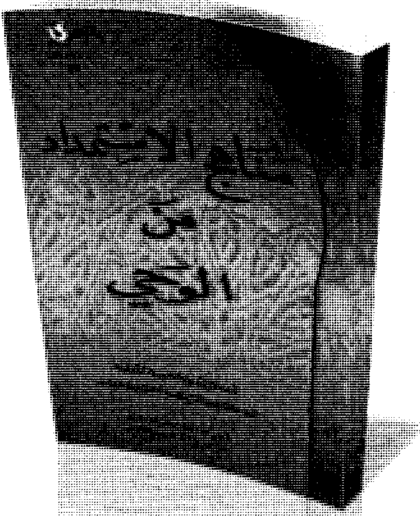
❁ **نفائس الدرر من أخبار سيد البشر**، (6 أجزاء)، تأليف الإمام العلامة أبو سرحان مسعود بن محمد بن علي السجلماسي الفاسي الشهير بجمُّوع (ت1119هـ)، دراسة وتحقيق: طارق طاطمي، الحسن الخبية، عبد اللطيف علوان، عبد الحميد تدراني، إبراهيم أمالك، مصطفى رفيق، حميد آيت معيط.



❁ **مجلة مرآة التراث**، مجلة علمية تراثية محكمة تصدر مرتين في السنة عن مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء.

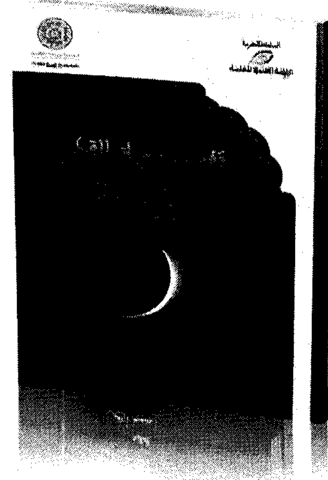


❁ **أهمية اعتبار السياق في المجالات التشريعية وصلته بسلامة العمل بالأحكام**، بحوث الندوة العلمية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، (1428هـ/ 2007م).

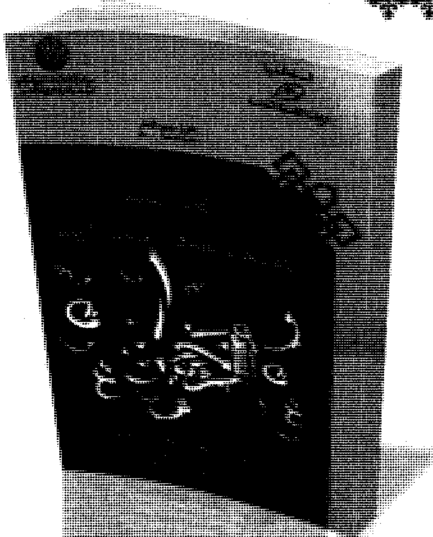


❁ **مناهج الإستمداد من الوحي**، بحوث الندوة العلمية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، (1429هـ/ 2008م).

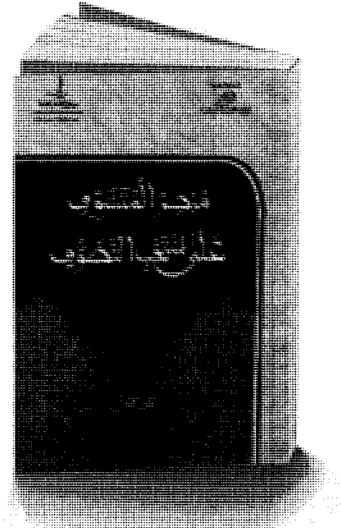




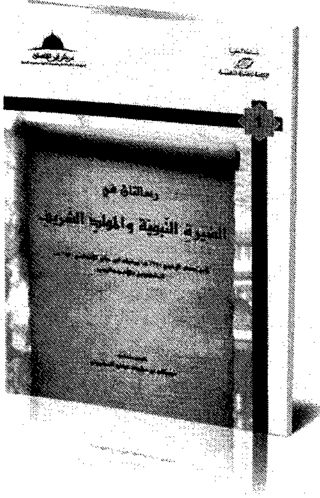
❁ **تفسير سورة القدر**، للإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد بن محمد السنباوي المالكي (تـ1232هـ) المشهور بالأمير الكبير، تحقيق: أحمد أزهر.



❁ **العلل البينة في وجه حذف الألف اللينة**، تأليف: د. عبد الرحيم بن عبد السلام نبولسي.



❖ **مبصر المتشوف على منتخب التصوف،** (في جزأين) تأليف: العلامة الشيخ محمد مصطفى ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين (تـ1328هـ/ 1910م)، تحقيق: د. محمد الظريف، د. محمد عيناق.



❖ **رسالتان في السيرة النبوية والمولد الشريف،** لأبو جعفر الرعيني (779هـ) ورفيقه ابن جابر الأندلسي (780 هـ) المشهورين بالأعمى والبصير، تقديم وتحقيق: ذ. مصطفى عكلي.





❖ **مجلة الإحياء،** مجلة فصلية محكمة تصدر عن الرابطة المحمدية للعلماء.



❖ **منبر الرابطة،** أسبوعية شاملة تصدر عن الرابطة المحمدية للعلماء.

As-Sahâba al Kirâm fi at-Turât al Maghribi al Andalusi

(The Noble Companions in the North African and Andalusian Heritage)

The high position and the consideration given to the Prophet's Companions in Islam are well known. They are the luminous circle that lit on contact of the prophetic light and the moons on which the secrets of the prophetic sun printed themselves. They are the sincere transmitters who collected and preserved the words and the doings of the Seal of the prophets.

Ulemas understood the Companions' central position in the construction of the Umma (nation) and are unanimous in thinking that we have the duty to respect them, love them, admit their virtue, consider them as examples and comfort, to defend and praise them. So, Andalusian and North African Ulemas are known for their great love for the Companions. They quoted, in their writings and poems, the praised path and the excellent acts of the Companions; they were known for their supplications (du'â') and their agreement in favor of the Companions.

Imam Abu Abdallah Muhammad Ibn Fattuh al Hamîdî (d. 488 H) justly said: « It is an Andalusian characteristic to quote one of the Elders only saying good things about him », because of the respect [for the Companions] and the reminder of the consideration due to them contained in the Andalusian/North African heritage.

There was a competition between 'Ulemas to relate the names of the Companions, their genealogies and their acts; they did this in more 350 books. 'Ulemas also built a solid dam to contain the Companions enemies and the sects and schools which wanted to diminish their justice and their virtue; they also displayed efforts to cancel the presumptions and to refute the arguments of these schools and sects.

In consideration of the rank of the noble Companions in the Andalusian/North African 'Ulemas' heritage, with a view to highlight the high consideration due to them and in order to defend rising generations against sects and erroneous schools' allegations, the Patrimony Revival, Research and Studies Centre of the Muhammadan League of Religious Scholars organized an international conference under the theme: The Noble Companions in the Andalusian/North African Heritage, with the participation of more than thirty scholars and researchers on 25 & 26 Safar al khayr/10 & 11 February 2010; it now publishes the proceedings of this conference.

Translation: Mekaoui Abdélilah

Aç-çahâba al Kirâm fi at-Tourât al Maghribi al Andalousi

Nul n'ignore la haute position et la haute considération dont jouissent les Compagnons du Prophète (pbsl) en Islam. Ils sont le cercle lumineux qui s'est allumé au contact de la lumière prophétique et les lunes sur lesquelles se sont imprimés les secrets du soleil prophétique. Ils sont les transmetteurs sincères qui ont recueilli et conservé les paroles et les faits du Sceau des prophètes.

Les Oulémas ont saisi la position centrale des Compagnons dans la construction de la *oumma* (nation) et sont unanimes sur le devoir de les respecter, les aimer, d'admettre leur vertu, de les considérer comme réconfort et exemples, de les défendre et de faire leur éloge. Ainsi, les *Oulémas* du Maghreb et de l'Andalousie sont connus depuis les premiers temps pour leur très grand amour envers les Compagnons. Ils ont cité dans leurs écrits et leurs poèmes le parcours digne d'éloge et l'excellence des actions des Compagnons ; ils étaient connus pour leurs supplications en leur faveur et leur agrément à leur égard, qu'ils exprimaient du haut de leurs chaires.

L'*'Imam* Abou Abdallah Mohammed Ibn Fattouh al Hamîdî (m. 488 H) a dit, à juste titre : « Une caractéristique de l'Andalousie, c'est qu'on ne cite l'un des Anciens qu'en disant du bien de lui » en raison de ce que renferme le patrimoine maghrebo-andalou de respect pour les faits des Compagnons et du rappel de ce que la *Oumma* leur doit comme considération. Il y avait entre eux une grande émulation pour relater les noms des Compagnons, ainsi que leurs généalogies et leurs hauts faits dans des recueils, qui dépassèrent le nombre de 350. Les Oulémas ont aussi dressé un barrage solide devant les ennemis des Compagnons et les sectes et les écoles qui aspiraient à diminuer leur esprit de justice et leur vertu ; de même qu'ils ont déployé de grands efforts pour annuler leurs présomptions et réfuter leurs arguments.

Aussi, en considération du rang des nobles Compagnons, dans le patrimoine des 'Oulémas du Maghreb et de l'Andalousie, afin de mettre en évidence la haute considération qui leur est due et dans le but de prémunir les générations montantes contre les allégations des sectes et des écoles erronées, le Centre d'Etudes de Recherche et de Revivification du Patrimoine de la Rabita Mohammadia des Oulémas a organisé un colloque international sous le thème : *Les nobles Compagnons dans le patrimoine andalou-maghrébin*, auquel ont participé plus de trente érudits et chercheurs nationaux et de l'étranger, les 25 & 26 çafar al khayr /10 & 11 février 2010, de même qu'il publie aujourd'hui les actes de ce colloque.

Traduction : Mekaoui Abdélilah

Rabita Mohammadia des Oulémas

Publications du Centre des Etudes,
de Recherche et de Revivification du Patrimoine

Série : conférences & colloques (3)

Les Nobles Compagnons dans le patrimoine maghrebo-andalou

Actes du Colloque international organisé par le Centre des Etudes,
De Recherche et de Revivification du Patrimoine de la Rabita
Mohammadia des Oulémas à Tanger
les 25 & 26 çafar al khayr 1431/10 & 11 février 2010